كتاب الأغاني


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

(٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م)

اعداد

مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي

الجزء السابع

طبعة كاملة وجديدة، مصححة، ملونة

محققة على تسع مخطوطات ومزيدة بفهارس شاملة

دار احياء التراث العربي



طبعة جديدة مصححة

الطبعة الأولى

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

بيروت – لبنان – بناية كليوبترا – شارع دكاش – ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Imm. Kleopatra - Rue Dakkache - B.P. 11/7957

Tél. Dépôt 274494, 272082, 270760 – Domicile 830711, 830727

بسم الله الرحمن الرحيم
الجزء السابع
من كتاب الأغاني

/ أخبار الوليد بن يزيد ونسبه

نسبه وكنيته:

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مَرْوان بن الحَكَم بن أبي العاصِي بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف، ويُكْنى أبا العبّاس. وأمّه أم الحَجّاج بنت محمد بن يوسف بن الحَكَم بن أبي عَقيل الثَّقَفِيّ، وهي بنت أخي الحَجّاج. وفيه يقول أبو نُخَيلة[1]:

بيـن أبـي العـاصـي وبيـن الحَجّـاجْ ... يـالكمـا نُـورًا سـراجٍ وَهّـاجْ

* عليه بعد عَمّه عُقِد التّاجْ *

وأم يزيدَ بن عبد الملك عاتكةُ بنت يَزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حَرْب بن أُميّة. وأمّها أم كُلْثوم بنت عبدالله بن عامر. وأمّ عبدالله بن عامر أم حَكيم البَيْضاء بنت عبد المطلب بن هاشم؛ ولذلك قال الوليد بن يزيد:

نَبِيُّ الهُـدَى خـالـي ومـن يَـكُ خـالُـه ... نبـيَّ الهـدى يَقْهَـرْ بـه مـن يُفـاخـرُ

/ كان شاعراً خليعاً مرمياً بالزندقة: [٧/ ٢]

وكان الوليد بن يزيد من فِتْيان بني أُميّة وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشِدّائهم، وكان فاسقاً خليعاً متَّهماً في دينه مرميًّا بالزندقة؛ وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقُتل. وله أشعار كثيرة تدلّ على خبثه وكفره. ومن الناس من ينفي ذلك عنه وينكره، ويقول: إنه نُحِلَه وأُلْصِقَ إليه. والأغلب الأشهر غير ذلك.

ولاه أبوه العهد بعد هشام وطمع هشام في خلعه:

أخبرني الحسن بن عليّ وأحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنيّ عن إسحاق بن أيّوب القُرَشيّ وجُوَيْرِيَة بن أسماء وعامر بن الأسود والمِنْهالِ بن عبد الملك وأبي[2] عمرو بن المبارك وسُحَيْم بن حَفْص وغيرهم:

أن يزيد بن عبد الملك لما وجّه الجيوشَ إلى يزيد[3] بن المهلّب وعقَد لمَسْلَمةَ بن عبد الملك على الجيش

---

(١) أبو نخيلة وهو اسمه. وكنيته أبو الجنيد، شاعر يغلب عليه الرجز، عاصر الدولتين الأموية والعباسية، اتصل ببني هاشم ومدح خلفاء بني العباس في دولتهم وهجا بني أمية. (انظر ترجمته في «الأغاني» حـ ١٨ ص ١٣٩ طبع بولاق)

(٢) في الأصول: «أبو عمرو».

(٣) هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، كان اتهمه عمر بن عبد العزيز وسجنه فهرب من السجن في آخر خلافة عمر. فلما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة طلبه فخرج عليه وخلعه وحاز البصرة فحاربه يزيد. (انظر «الطبري» ق ٢ ص ١٣٧٩ طبع أوروبا).

وبعث العبّاسَ بن الوليد بن عبد الملك وعقَد له على أهل دمَشْق، قال له العباس: يا أمير المؤمنين، إن أهل العراق أهل غَدْرٍ وإرْجَافٍ، وقد وجهتَنا محاربين والأحداثُ تحدُثُ، ولا آمَنُ أن يُرْجِفَ أهلُ العراق ويقولوا: مات أمير المؤمنين ولم يعهَد، فيَفُتُّ ذلك في أعضاد أهل الشأم؛ فلو عهِدت عهداً لعبد العزيز بن الوليد! قال: غداً. / وبلغ ذلك مَسْلَمةَ بن عبد الملك، فأتى يزيدَ فقال: ياأمير المؤمنين، أيُّما أحبُّ إليك: ولدُ عبد الملك أو ولد الوليد؟ فقال: بل ولدُ عبد الملك. قال: أفأخوك أحقُّ بالخلافة أم ابنُ أخيك؟ قال: إذا لم تكن في ولدي فأخي أحقُّ بها من ابن أخي. قال: فابنُك لم يَبْلُغ، فبايعْ لهشام ثم لابنك بعد هشام ـ قال: والوليدُ يومئذ ابن إحْدَى عشرة سنة ـ قال: غداً / أبايعُ له. فلما أصبح فعل ذلك وبايعَ لهشام، وأخذ العهدَ عليه ألاّ يَخْلَع الوليدَ بعده ولا يغيِّر عهدَه ولا يحتالَ عليه. فلما أدرك الوليدُ نَدِم أبوه، فكان ينظر إليه ويقول: اللّهُ بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك.

[١٠٢/٦] [٣/٧]

وتُوفّي يزيد سنةَ خمسٍ ومائةٍ وابنُه الوليد ابن خمسَ عشرةَ سنة. قالوا[1]: فلم يزل الوليد مكرَّماً عند هشام رفيعَ المنزلة مدّة، ثم طمِع في خَلْعه وعقدِ العهدِ بعده لابنه مَسْلَمة بن هشام، فجعل يذكر الوليدَ بن يزيد وتهتُّكَه وإدمانَه على الشراب، ويذكر ذلك في مجلسه ويقوم ويقعد به، وولاّه الحَجَّ ليظهَرَ ذلك منه بالحرمين فيسقُطَ؛ فحجّ وظهر منه فعل كثير مذموم، وتشاغَل بالمغنِّين وبالشُّرّاب، وأمر مولًى له فحجّ بالناس. فلما حجّ طالبه هشامٌ بأن يخلع نفسَه فأبى ذلك؛ فحرمه العطاءَ وحَرم سائرَ مَوَاليه وأسبابَه وجفاه جفاءً شديداً. فخرج مُتبدِّياً[2] وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّبه[3]، وكان يُرمَى بالزندقة. ودعا هشامٌ الناسَ إلى خلعه والبَيْعةِ لمَسْلمة بن هشام ـ وأمُّه أم حكيم بنت يحيى بن الحَكَم بن أبي العاصي. وكان مَسْلمةُ يُكْنى أبا شاكر؛ كُنِي بذلك لمولًى كان لمروان يُكْنى أبا شاكر، كان ذا رأيٍ وفضلٍ وكانوا يعظِّمونه ويتبركون به ـ فأجابه إلى خَلْع الوليد والبيعة لمَسْلمة بن هشام محمدٌ وإبراهيمُ ابنا هِشام بن إسماعيل المَخْزوميّ والوليدُ وعبد العزيز وخالد بن القَعْقاع بن خُوَيْلد العَبْسيّ وغيرُهم من خاصّة هشام. وكتب إلى الوليد: ما تَدَع شيئاً من المنكر إلاّ أتيتَه وارتكبتَه غيرَ مُتحاشٍ ولا مستترٍ، فليت شعري ما دِينُك؟! أعلى الإسلام أنت أم لا؟! فكتب إليه الوليد بن يزيد ـ ويقال: بل قال[4] ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى ونَحَله إيّاه ـ:

[٤/٧]

/ صوت

يــا أيّهــا الســائــلُ عــن دِيننــا	نحــن علــى ديــن أبــي شــاكــرِ
نشــرَبُهــا صِــرْفــاً وممــزوجــةً	بــالسُّخْــنِ أحيــانــاً وبــالفــاتِــرِ

ـ غنّاه عمرُ الوادِي رَمَلاً بالبنصر ـ فغضب هشام على ابنه مسلمة، وقال: يعيِّرني بك الوليدُ وأنا أرشِّحك للخلافة! فالزَم الأدبَ، واحضُر الصلوات. وولاّه المَوْسِمَ سنةَ سبع عشرةَ ومائة، فأظهر النُّسُكَ وقَسم بمكة والمدينة أموالاً. فقال رجل من موالي أهل المدينة:

يــا أيّهــا الســائــلُ عــن دِيننــا	نحــن علــى ديــن أبــي شــاكــرِ

(١) كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س: «قال».
(٢) كذا في أكثر النسخ: وتبدّى: أقام بالبادية. وفي ب، س: «متندباً» وهو تصحيف.
(٣) كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س: «مؤدباً».
(٤) في ب، س: «بل قال له ذلك».

الـواهـبِ البُـزْلَ[1] بـأرْسـانِهـا ... لـيـس بـزنـديـقٍ ولا كـافـرِ

قال المدائنيّ: وبلغ خالداً القَسْرِيَّ ما عزَم عليه هشام، فقال: أنا بريء من خليفة يُكْنَى أبا شاكر؛ فبلغت هشاماً عنه هذه، فكان ذلك سببَ إيقاعه به.

تساب هو والعباس بن الوليد في مجلس هشام:

أخبرني محمد بن الحسن الكِنْدِيُّ المؤدِّب قال حدّثني أبي عن العباس بن هشام قال:

دخل الوليد بن يزيد يوماً مجلسَ هشام بن عبد الملك وقد كان في ذِكْره قبل أن يدخل، فحمَّقَه من حضَر من بني أميّة. فلما جلس قال له العباس بن الوليد وعمر بن الوليد: كيف حبُّك يا وليد للروميّات، فإنّ أباك كان بهنّ مشغوفاً؟ قال: إني لأُحِبهنّ؛ وكيف لا أحبهنّ ولن تزال الواحدة منهن قد جاءت بالهَجين مثلك ـ وكانت أمّ العباس روميّة ـ قال: اسكتْ فليس الفحلُ يأتي عَسْبُه[2] بمثلي؛ فقال / له الوليد: اسكتْ يابنَ البَظْراء! قال: أتفخَر عليّ [٥/٧] بما قُطِع من بَظْر أمك. وأقبل هشام على الوليد فقال له: ما شَرَابُك؟ قال: شَرَابُك يا أمير المؤمنين؛ وقام مغضَباً فخرج. فقال هشام: أهذا الذي تزعمون أنّه أحمقُ! ما هو أحمق، ولكني لا أظنّه على الملّة.

دخل مجلس هشام فعبث بمن كان فيه من وجوه بني أمية:

أخبرني محمد بن العباس اليَزِيديّ قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المَدَائنيّ قال:

دخل الوليد بن يزيد يوماً مجلسَ هشام / بن عبد الملك وفيه سعيد بن هشام بن عبد الملك وأبو الزُّبير مولى ١٠٣/٦ مَرْوان وليس هشام حاضراً؛ فجلس الوليدُ مجلسَ هشام، ثم أقبل على سعيد بن هشام فقال له: من أنت؟ وهو به عارف؛ قال: سعيد ابن أمير المؤمنين؛ قال: مرحباً بك. ثم نظر إلى أبي الزبير فقال: من أنت؟ قال: أبو الزبير مولاك أيها الأمير؛ قال: أنِسْطَاسٌ أنت؟ مرحباً بك. ثم قال لإبراهيم بن هشام: من أنت؟ قال: إبراهيم بن هشام. قال: مَنْ إبراهيم بن هشام؟ وهو يعرفه؛ قال: إبراهيم بن هشام بن إسماعيل. قال: مَنْ إسماعيل؟ وهو يعرفه؛ قال: إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المُغِيرة. قال: مَنِ الوليد بن المغيرة؟ قال: الذي لم يكن جدُّك يُرَى أنه في شيء حتى زوَّجه أبي وهو بعضُ ولدِ ابنته. قال: يابن اللَّخْناء! أتقول هذا! واتخذا[3]. وأقبل هشامٌ؛ فقيل لهما: قد جاء أميرُ المؤمنين، فجلسا وكفَّا. ودخل هشام؛ فما كاد الوليد يتنحّى له عن صدر مجلسه، إلا أنه زحَل[4] له قليلاً؛ فجلس هشام وقال له: كيف أنت يا وليد؟ قال: صالحٌ. قال: ما فعلتْ / بَرَابِطُك[5]؟ قال: مُعْمَلَة أو [٦/٧] مُسْتعملة. قال: فما فعل ندماؤك؟ قال: صالحون، ولعنَهم اللّهُ إن كانوا شرًّا ممّن حضَرك؛ وقام؛ فقال له هشام: يابن اللَّخْناء! جَئوا عنقَه؛ فلم يفعلوا ودفَعوه رُوَيْداً. فقال الوليد:

أنـا ابـن أبـي العـاصِـي وعثمـانُ والـدي ... ومـروانُ جَـدِّي ذو الفَعَـال وعـامـرُ

---

(١) البازل من الإبل: الذي استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة.

(٢) العسب: طرق الفحل، وقيل: هو ماء الفحل فرساً كان أو بعيراً: يقال: قطع الله عسبه أي ماءه ونسله.

(٣) اتخذا: تصارعا.

(٤) كذا في «تجريد الأغاني»، وزحل تنحى. وفي الأصول: «دخل» بالدال المهملة والخاء المعجمة، وهو تحريف.

(٥) كذا في أكثر النسخ. والبربط: العود. وفي ب، س: «برأيك». وهو تحريف.

أنا ابنُ عظيم القريتين[١] وعِزُّها ... ثَقِيفٌ وفِهْرٌ والعُصَاةُ الأكابرُ
نَبِيُّ الهدى خالِي ومن يَكُ خالُه ... نبيَّ الهُدَى يَقْهَر به من يُفاخِرُ

مات مسلمة بن عبد الملك فرثاه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المَدَائنيّ قال:

كان هشام بن عبد الملك يُكْثِر تَنَقُّصَ الوليد بن يزيد؛ فكان مَسْلمةُ يعاتب هشاماً ويَكُفّه؛ فمات مَسْلمةُ؛ فغَمّ الوليدُ ورثاه فقال:

صوت

أتانا بَرِيدانِ من واسِطٍ ... يَخُبَّانِ بالكُتُب المُعْجَمَهْ
أقول وما البعدُ إلاّ الرَّدَى ... أمَسْلَمُ لاَ تَبْعَدَنْ[٢] مَسْلَمَهْ
فقد كنتَ نوراً لنا في البلاد ... تُضِيء فقد أصبحتْ مُظْلِمَهْ
كتَمْنا نَعِيَّك نَخْشَى اليقين ... فجَلَّى اليقينُ عن الجَمْجَمَهْ[٣]
/ وكم من يَتِيم تلافيتَه ... بأرض العدوّ وكم أيِّمَهْ
وكنتَ إذا الحربُ دَرَّتْ دَماً ... نَصَبْتَ لها رايةً مُعْلَمَهْ

١٠٤/٦

/ غنَّى في هذه الأبيات التي أوّلها: [٧/٧]

* أقول وما البعدُ إلا الرَّدَى *

يونسُ خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وذكر الهِشاميّ أن فيه ثقيلاً أوّلَ يُنسَب إلى أبي كامل[٤] وعمر الوادِي. وذكر حَبَش أن ليونُسَ فيه رَمَلاً بالبِنْصَر.

أخبرني الطُّوسِيّ والحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء قالا حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني موسى بن زُهَير بن مُضَرِّس بن مَنْظُور بن زَبَّان بن سَيّار عن أبيه قال:

رأيت هشام بن عبد الملك وأنا في عسكره يوم تُوفِّي مسلمةُ بن عبد الملك وهشامٌ في شُرْطَته، إذ طلع الوليدُ بن يَزيد على الناس وهو نَشْوانُ يَجُرُّ مِطرَفَ خَزٍّ عليه؛ فوقف على هشام فقال: يا أمير المؤمنين، إن عُقْبَى من بقِي لحوقُ من مضَى؛ وقد أَقْفَر بعد مَسْلمةَ الصيدُ لمن يرى[٥]، واختلّ الثغرُ فوَهَى، وعلى أَثَرِ مَنْ سَلَف يمضي من

(١) القريتان: مكة والطائف. واختلف في عظيم القريتين، فقيل: الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف. وقال ابن عباس: الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عميرة الثقفي.
(٢) لا تبعدن: لا تهلكن.
(٣) جلى عن الشيء: كشفه وأظهره. والجمجمة: إخفاء الكلام.
(٤) ستأتي ترجمته في هذا الجزء.
(٥) كذا بالأصول.

خَلَف؛ فتزوّدوا، فإنّ خير الزاد التّقْوى. فأعرض عنه هشامٌ ولم يَرُدّ جواباً؛ ووجَمَ الناسُ فما همَس أحدُ بشيء.
قال: فمضى الوليد وهو يقول:

أهَيْنَمَةٌ[1] حديثُ القوم أم هُمْ ... سُكُوتٌ بعد ما مَتَع[2] النهارُ
عزيزٌ كان بينهمُ نبيّا ... فقولُ القومِ وَحْيٌ لا يُحار
كأنّا بعد مَسْلَمةَ المُرجّى ... شُرُوبٌ طوّحت بهمُ عُقَار
أو الأَفُ هِجَانٌ في قُيودٍ ... تلفّتُ كلّما حَنّتْ ظُؤارُ[3]
فليتَك لم تَمُتْ وفَداك قومٌ ... تُريحُ غبيَّهم عنّا[4] الدِّيارُ
/ سقيمُ الصّدر أو شَكِسٌ نَكِيدٌ ... وآخرُ لا يَزُور ولا يُزَار [٨/٧]

يَعني بالسّقِيم الصدر يزيدَ بن الوَليد، ويعني بالشَّكِس هشاماً، والذي لا يزور ولا يُزار مروان بن محمد.

أراد هشام خلعه من ولاية العهد فقال شعراً:

قال الزُّبَير وحدّثني محمد بن الضَّحّاك عن أبيه قال:

أراد هشام أن يخلَع الوليد ويجعل العهدَ لولده؛ فقال الوليد:

كفرتَ يداً من مُنْعِمٍ لو شكرتَها ... جَزَاك بها الرحمنُ ذو الفَضْل والمَنّ
رأيتُك تَبْني جاهداً في قَطِيعتي ... ولو كنتَ ذا حَزْمٍ لهدّمتَ ما تَبْني
أراك على الباقين تَجْني ضَغِينةً ... فيا وَيْحَهم إن مُتَّ من شَرِّ ما تَجْني
كأنّي بهم يوماً وأكثرُ قولِهم ... أيا ليتَ أنّا، حين «يا ليت» لا تُغْني

أمره هشام بطرد عبد الصمد فطرده ولما اضطهد أعوانه ذمه بشعر:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المَدَائنيّ قال:

عتَب هشام على الوليد وخَاصّته. فخرج الوليد ومعه قوم من خاصّته ومَوَاليه فنزل بالأَبْرَق بين أرض بُلْقَيْن وفَزَارة على ماء يقال له الأَغْدَف، وخلّف بالرصَافة كاتبَه عِيَاضَ بن مُسْلِم مولى عبد الملك ليكاتبَه بما يحدُث، وأخرج معه عبدَ الصمد بن عبد الأعلى. فشربوا يوماً؛ فقال له الوليد: يا أبا وَهْب، قل أبياتاً نُغَنّي فيها؛ فقال أبياتاً، وأمَر عمرَ الوادي فغنّى فيها وهي:

صوت

/ ألَمْ تَرَ للنَّجْم إذ سَبّعا[5] ... يُبَادِر في بُرجِه المَرْجِعَا ١٠٥/٦

(١) الهينمة: الكلام الخفيّ لا يفهم.
(٢) متع النهار: بلغ غاية ارتفاعه قبل الزوال، وقيل: متع النهار: طال وامتدّ.
(٣) الظؤار: جمع نادر، مفرده ظئر وهي الناقة العاطفة على غير ولدها المرضعة له.
(٤) كذا في ء وهامش أ، وفي سائر الأصول: «عنها».
(٥) سبعاً: أقام سبع ليال.

تحيَّر عن قَصْد مَجْراتِه إلى[1] الغَوْرِ والتمس المَطْلَعَا

[٩/٧] / فقلتُ وأعجبني شأنُه وقد لاح إذ لاح لي مُطمِعا

لعلَّ الوليدَ دنا مُلكه فأمسى إليه[2] قد استجمعا

وكنا نؤمِّل في مُلكه كتأميل ذي الجَدْب أن يُمْرِعا

عَقَدنا له مُحْكَماتِ الأمو ر طَوْعاً وكان لها مَوْضِعا

فرُوِي هذا الشعرُ، وبلغ هشاماً، فقطع عن الوليد ما كان يُجْرِي عليه وعلى أصحابه وحَرَمهم؛ وكتب إلى الوليد: قد بلَغني أنك اتّخذتَ عبدَ الصمد خِدْناً ومحدِّثاً ونديماً؛ وقد حقَّق ذلك ما بلغني عنك، ولن أُبرّئكَ من سوء؛ فأخرِج عبدَ الصمد مذموماً. قال: فأخرجه الوليدُ وقال:

لقد قَذَفوا أبا وَهْبٍ بأمر كبيرٍ بل يزيد على الكبيرِ

وأشهَد أنهم كذَبوا عليه شهادةَ عالمٍ بهمُ خبيرِ

فكتب الوليد إلى هشام بأنه قد أخرج عبد الصمد، واعتذر إليه من منادمته، وسأله أن يأذَن لابن سُهَيل في الخروج إليه ـ وكان من خاصّة الوليد ـ فضرب هشامٌ ابنَ سهيل ونفاه وسيَّره ـ وكان ابنُ سهيلٍ من أهل النَّباهةِ، وقد وَلِي الولاياتِ، ولِي دِمَشْقَ مراراً ووليِ غيرَها ـ وأخذ عِيَاضَ بن مُسْلِم كاتبَ الوليد فضربه ضرباً مبرِّحاً وألبسه المُسُوحَ وقيّده وحبسه، فغَمَّ ذلك الوليدَ فقال: من يثق بالناس! ومن يصنع المعروف! هذا الأحول المشؤوم قدّمه أبي على ولده وأهل بيته وولاّه وهو يصنَع بي ما تَرَوْن، ولا يعلم أنّ لي في أحدٍ هَوًى إلاّ أضرّ به؛ كتب إليّ بأن أُخرِجَ عبدَ الصمد فأخرجتُه، وكتبتُ إليه في أن يأذَن لابن سُهَيل في الخروج إليّ فضربَه وطرَده وقد علم رأيي فيه؛ وعرَف مكانَ عِيَاضٍ منّي وانقطاعَه إليّ فضرَبه وحبَسه، يُضارُّني بذلك؛ اللهمّ أجِرْني منه. ثم قال الوليد:

[١٠/٧] / صوت

أنا النَّذِيرُ لمُسْدِي نعمةٍ أبداً إلى المَقارِيفِ[3] لَمّا يَخْبُرِ الدَّخَلا

إن أنتَ أكرمتَهم ألفيتَهم بَطِروا وإن أهنتَهمُ ألفيتَهم ذُلُلا

أتشمَخُون ومنّا رأسُ نعمتكم ستعلَمون إذا أبصرتُمُ الدُّوَلا

انظُر فإن أنت لم تقدِر على مَثَلٍ لهم سِوَى الكلبِ فاضرِبْه لهم مَثَلا

بَيْنَا يسمِّنه للصيد صاحبُه حتى إذا ما استوى من بعد ما هُزِلا

عدا عليه فلم تَضرُرْه عَدْوتُه ولو أطاق له أكلاً لقد أكلا

غنّاه مالكٌ خفيفَ ثقيلٍ من رواية الهشاميّ.

---

(١) كذا في ء، م وهامش أ. وفي سائر الأصول: «أتى».

(٢) في س: «عليه».

(٣) المقاريف: الأنذال، والمقرف أيضاً: الذي أمه عربية وأبوه غير عربي.

شعره في الفخر على هشام:

قال: وقال الوليدُ أيضاً يفتخر على هشام:

صوت

أنا الوليدُ أبو العباس قد علِمتْ ... عُلْيا مَعَدٍّ مَدَى كَرِّي وإقْدامي

إنّي لَفي الذِّروةِ العُليا إذا انتسبوا ... مُقابَلٌ[1] بين أخوالي وأعمامي

/ بَنى ليَ المجدَ بانٍ لم يكن وكِلاً ... على مَنارِ مُضِيئاتٍ وأعلام ١٠٦/٦

حللتُ من جوهر الأَعْياض[2] قد علِموا ... في باذخ مشمخرٌ العزّ قَمْقام[3]

صَعْبِ المَرامِ يُسامِي النَّجمَ مطلعُه ... يسمو إلى فرع طودٍ شامخ سامي

غنّاه عمرُ الوادي خفيفَ ثقيلٍ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

/ وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا أحمد بن زُهَير بن حرب قال حدّثني مصعَب الزُّبَيريّ قال: [١١/٧]

بعث الوليد بن يزيد إلى هشام بن عبد الملك راويتَه فأنشده قوله:

أنا الوليد أبو العباس قد علِمت ... عُليا مَعَدّ مَدَى كَرّي وإقدامي

فقال هشام: والله ما علِمتْ له مَعَدٌّ كرّا ولا إقداماً، إلا أنه شرِب مرّة مع عمّه بكّارٍ بن عبد الملك فعُرْبَد عليه وعلى جواريه؛ فإن كان يَعْني ذلك بكَرّه وإقدامه فعسى.

عابه هشام والزهري فحقد عليهما:

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثني عبدالله بن عمرو ابن أبي سعد قال حُدِّثت أن أبا الزِّناد قال:

دخلتُ على هشام بن عبد الملك وعنده الزُّهْرِيّ وهما يَعيبانِ الوليدَ، فأعرضتُ ولم أدخل في شيء من ذكره. فلم ألبَثْ أن استُؤْذن للوليد فأُذِن له، فدخل وهو مُغْضَبٌ فجلس قليلاً ثم نهض. فلما مات هشام ووَلِي الوليدُ كتب إلى المدينة فحُمِلتُ فدخلتُ عليه؛ فقال: أتذكر قولَ الأحول والزهريّ؟ قلتُ: نعم، وما عَرَضتُ في شيء من أمرك؛ قال: صدقتَ؛ أتدري من أبلغني ذلك؟ قلت لا؛ قال: الخادم الواقف على رأسه، وايم الله لو بَقِي الفاسقُ الزهريّ لقتلتُه. ثم قال: ذهب هشام بعمري؛ فقلت: بل يُبْقيك اللّهُ يا أمير المؤمنين، وقام وصلّى العصر. ثم جلس يتحدّث إلى المغرب ثم صلى المغرب ودعا بالعشاء فتعشيّت معه ثم جلس يتحدّث حتى صلى العَتَمةَ، ثم تحدّثْنا قليلاً ثم قال: اسقِينَني فأتينه[4] بإناء مغطّى، وجاء / جَوَار فقُمْنَ بيني وبينه فشرب وانصرفن؛ ومكث قليلاً ثم قال: [١٢/٧]

---

(١) المقابل: الكريم النسب من قبل أبويه. قال الشاعر:

إن كنت في بكر تمت خؤولة ... فأنا المقابل في ذوي الأعمام

(٢) الأعياص من قريش: أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر، وهم أربعة: العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص.

(٣) القمقام هنا: العدد الكثير قال الشاعر:

* من نوفل في الحسب القمقام *

(٤) في الأصول: «فأقره».

اسقِينني ففعلن مثلَ ذلك. وما زال والله ذلك دأبَه حتى طلَع الفجرُ، فأحصيتُ له سبعين قدحاً.

وأخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني عمّي مصعَب عن أبي الزِّناد قال:

أجمع الزُّهْريّ على أن يدخل إلى بلاد الروم إن وَلِي الوليدُ بن يزيد؛ فمات الزهريّ قبل ذلك.

عابه بعض بني مروان بالشراب فلعنهم وقال شعراً:

قال المدائنيّ: وبلغ الوليدَ أنّ العباس بن الوليد وغيرَه من بني مروان يَعيبونه بالشَّراب؛ فلعنهم وقال: إنهم ليَعيبون عليّ ما لو كانت لهم فيه لذّةٌ ما تركوه، وقال هذا الشعر، وأمر عمرَ الوادي أن يغنّي فيه ـ وهو من جيّد شعره ومُختاره. وفيه غناء قديم ذكره يونس لعمر الوادي غيرَ مجنَّسٍ ـ:

صوت

ولقد قضيتُ ـ وإن تَجَلَّل لِمّتي شيبٌ ـ على رغم العِدَا لَذّاتي
من كاعباتٍ كالدُّمَى ومَناصِفٍ ومراكبٍ للصيد والنَّشَواتِ
في فِتيةٍ تأبى الهوانَ وجوهُهم شُمّ الأنوف جَحاجحٍ ساداتِ
إن يَطلبوا بِتِراتِهم يُعْطَوْا بها أو يُطلَبوا لا يُدرَكوا بتِراتِ

الكتابان المتبادلان بينه وبين هشام:

[١٠٧/٦] حدّثني[1] المِنْهال بن عبد الملك قال: كتب الوليد إلى هشام[2]: «قد بلغني أحدث أمير / المؤمنين من قَطْع ما قطع عنّي ومَحْو من محا من أصحابي، وأنّه حَرَمني وأهلي. ولم أكن أخاف أن يبتلي اللّهُ أمير المؤمنين بذلك فيّ ولا ينالني مثلُه / منه، ولم يبلغ استصحابي لابن سُهيل ومسئلتي في أمره أن يَجْري عليّ ما جرى. [١٣/٧] وإن كان ابن سهيل على ما ذكره أمير المؤمنين، فبحَسْب العَيْر أن يقرُب من الذئب. وعلى ذلك فقد عقد الله لي من العهد وكتب لي من العمر وسبّب لي من الرزق ما لا يقدِر أحد دونه تبارك وتعالى على قطعه عنّي دون مدّته ولا صَرْفه عن مواقعه المحتومة له. فقدَرُ الله يجري على ما قدّره فيما أحبّ الناسُ وكرِهوا، لا تعجيلَ لآجلِه ولا تأخير لعاجله؛ والناس بعد ذلك يحتسبون الأوزار ويقترفون الآثام على أنفسهم من الله بما يَستوجبون العقوبة عليه. وأمير المؤمنين أحقّ بالنظر في ذلك والحفظِ له. والله يوفّق أمير المؤمنين لطاعته، ويحسن القضاءَ له في الأمور بقدرته. وكتب إليه الوليد في آخر كتابه:

أليس عظيماً أن أرى كلَّ واردٍ حِياضَك يوماً صادراً بالنّوافل
فأرْجِعَ محمودَ[3] الرَّجاء مصرَّداً بتحلِئةٍ عن وِرْد تلك المناهل
فأصبحتُ مما كنت آمُلُ منكُم وليس بلاقٍ ما رجا كلُّ آمل

(١) راجع نص هذين الكتابين في «الطبري» (قسم ٢ ص ١٧٤٦ طبع أوروبا).
(٢) كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س: «قال بلغني» وهو تحريف.
(٣) كذا بالأصول.

كمُقْتَبِضٍ يوماً على عُرْضِ هَبْوةٍ[١] يَشُدُّ عليها كفَّه بالأنامل

فكتب إليه هشام: «قد فهم أمير المؤمنين ما كتبتَ به من قطْع ما قطع وغير ذلك. وأميرُ المؤمنين يستغفر اللَّهَ من إجرائه ما كان يُجري عليك، ولا يتخوّف على نفسه اقترافَ المآثم في الذي أحدث مِنْ قطع ما قطع ومحو مَنْ محا مِنْ صِحابتِك، لأمرين: أمّا أحدهما فإنّ أمير المؤمنين يعلم مواضعَك التي كنتَ تصرف إليها ما يُجْريه عليك. وأما الآخرُ فإثبات صحابتك وأرزاقُهم دارّةٌ عليهم لا ينالهم ما نال المسلمين عند قطع البُعوثِ عليهم وهم معك تَجول بهم في سَفَهك. وأميرُ المؤمنين / يرجو أن يكفِّر اللَّهُ عنه ما سلَف من إعطائه إيّاك باستئنافه قَطْعَه عنك. وأما [١٤/٧] ابنُ سُهَيل، فلعمري لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليه لما جعله الله لذلك أهلاً. وهل زاد ابنُ سُهَيل، لله أبوك، على أن كان زَفّاناً[٢] مغنياً قد بلغ في السَّفَه غايته! وليس مع ذلك ابنُ سهيل بشَرٌّ ممّن كنتَ تستصحبُه في الأمور التي ينزّه أميرُ المؤمنين نفسَه عنها مما كنتَ لعَمْري أهلاً للتوبيخ فيه. وأما ما ذكرتَ ممّا سبّبه الله لك، فإن الله قد ابتدأ أميرَ المؤمنين بذلك واصطفاه له، والله بالغ أمره. ولقد أصبح أمير المؤمنين وهو على يقين من رأيه إلاّ أنه لا يملك لنفسه مما أعطاه الله من كرامته ضَرًّا ولا نفعاً، وإن الله وَلِيّ ذلك منه وإنه لا بدّ له من مفارقته، وإنّ الله أرأفُ بعباده وأرحمُ من أن يولّي أمرَهم غيرَ من يَرْتضيه لهم منهم. وإن أمير المؤمنين مع حسن ظنّه بربّه لعلى أحسنِ الرجاء لأن يولِّيه بسبب ذلك لمن هو أهله في الرِّضا به لهم؛ فإنّ بلاء الله عند أمير المؤمنين أعظمُ من أن يبلغَه ذكرُه أو يوازيَه شكره إلاّ بعون منه. ولئن كان قد قَدّر الله لأمير المؤمنين وفاةَ تعجيلٍ، فإن في الذي هو مُفْضٍ وصائرٌ إليه من كرامة الله لخَلَفاً / من الدنيا. ولعمري إن كتابك لأمير المؤمنين لما كتبتَ به لغيرُ مُسْتنكَرٍ من سَفَهك وحُمْقك، فأبْقِ على نفسك وقصِّر من غُلَوائها وارْبَعْ على ظَلْعِك؛ فإنّ لله سَطَوات وغِيَراً يصيب بها من يشاء من عباده. وأميرُ المؤمنين يسأل اللَّهَ العصمةَ والتوفيقَ لأحبِّ الأمور إليه وأرضاها له. وكتب في أسفل الكتاب: ١٠٨/٦

إذا أنتَ سامحتَ الهوى قادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقالُ

والسلام.

/ بشر بالخلافة بعد موت هشام: [١٥/٧]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن المدائنيّ عن جُوَيرِيةَ بن أسماء[٣] عن المِنهال بن عبد الملك عن إسحاق بن أيّوب كلّهم عن أبي الزُّبَير المنذِر بن عمرو ـ قال: وكان كاتباً للوليد بن يزيد ـ قال:

أرسل إليّ الوليدُ صَبيحةَ اليوم الذي أتته فيه الخلافةُ؛ فأتيتُه، فقال لي: يا أبا الزُّبَير، ما أتت عليّ ليلةٌ أطولُ من هذه الليلة، عَرَضتْني أمورٌ وحدّثتُ نفسي فيها بأمور، وهذا الرجل قد أُولِع بي، فاركبْ بنا نتنفّس. فركِب وسرتُ معه، فسار ميلين ووقف على تَلّ فجعل يشكو هشاماً، إذ نظر إلى رَهَج[٤] قد أقبل ـ قال عمر بن شَبّة في حديثه ـ

---

(١) الهبوة: الغبرة.

(٢) الزفن: الرقص.

(٣) كذا ورد هذا الاسم في جميع الأصول فيما سبق، وهو الموافق لما جاء في «تهذيب التهذيب» و«الطبري» في عدّة مواضع. وقد ورد هنا في هذا الموضع: «جويرية بن إسماعيل» وهو تحريف.

(٤) الرهج (بفتح فسكون ويحرك): الغبار.

وسمع قَعْقعة البَريد، فتعوّذ بالله من شرّ هشام، وقال: إن هذا البريد قد أقبل بموتٍ وَحِيٍّ[١] أو بمُلك عاجل. فقلت: لا يسوءك اللّهُ أيها الأمير بل يسرُّك ويُبقيك، إذ بدا رجلانِ على البريد يُقبِلانِ، أحدُهما مولًى لآل أبي سفيان بن حَرْب؛ فلما قرُبا رأيا الوليدَ فنزلا يَعْدُوان حتى دنَوَا فسلَّما عليه بالخلافة فوجَم، وجعلا يكرران عليه التسليمَ بالخلافة؛ فقال: وَيْحكم! ما الخبرُ؟ أمات هشام؟ قالا نعم؛ قال: فمرحباً بكما! ما معكما؟ قالا: كتاب مولاك سالم بن عبد الرحمن؛ فقرأ الكتاب وانصرفنا. وسأل عن عِيَاض بن مُسلِم كاتبِه الذي كان هشام ضربه وحبسه، فقالا: يا أمير المؤمنين، لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمر الله، فلمّا صار إلى حالٍ لا تُرْجَى الحياةُ لمثله معها، أرسل عياضٌ إلى الخُزّان: احتفظوا بما في أيديكم فلا يصلَنّ أحد إلى / شيء. وأفاق هشام إفاقةً فطلب شيئاً فمُنِعَه، فقال: أرانا كنّا خُزّاناً للوليد؛ وقضى من ساعته. فخرج عياضٌ من السجن ساعةَ قَضَى هشامٌ، فختم الأبواب والخزائن؛ وأمر بهشام فأُنزِل عن فراشه ومنعهم أن يكفِّنوه من الخزائن، فكفّنه غالبٌ مولى هشام، ولم يجدوا قُمْقُماً[٢] حتى استعاروه. وأمر الوليدُ بأخذ ابني هشام بن إسماعيل المخزوميّ، فأُخذا بعد أن عاذ إبراهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك؛ فقال الوليد: ما أُراه إلّا قد نجا؛ فقال له يحيى بن عُرْوة بن الزُّبَير وأخوه عبدالله: إن الله لم يجعل قبر أبيك مَعَاذاً للظالمين، فخُذْه برَدِّ ما في يده من مال الله؛ فقال: صدقتَ، وأخذهما فبعث بهما إلى يوسف بن عمر، وكتب إليه أن يَبْسُط عليهما العذابَ حتى يَتْلَفا، ففعل ذلك بهما وماتا جميعاً في العذاب بعد أن أُقيم إبراهيم بن هشام للناس حتى اقتضَوْا[٣] منه المظالِمَ.

[١٦/٧]

وقال عمر بن شَبّة في خبره: إنه لمّا نعي له هشام قال: والله لأتلقّينّ هذه النعمةَ بسَكْرة قبل الظهر؛ ثم أنشأ يقول:

طاب يومي ولَذَّ شربُ السُّلافه ... إذ أتاني نَعِيُّ من بالرُّصافه

/ وأتانا البريدُ ينعَى هشاماً ... وأتانا بخاتَم للخلافه

فاصطبحنا من خمر عانَةَ[٤] صِرْفاً ... ولَهَوْنا بقَيْنةٍ عَزّافه

[١٠٩/٦]

ثم حلَف ألّا يبرح موضعَه حتى يُغَنَّى في هذا الشعر ويشربَ عليه؛ فغُنّي له فيه وشرب وسكر، ثم دخل فبويع له بالخلافة.

[١٧/٧] / قال: وسَمِع صياحاً، فسأل عنه، فقيل له: هذا من دار هشام يبكيه بناتُه؛ فقال:

إنّي سمعتُ بليلٍ ... وَرَا المُصلَّى برنَّه

إذا بناتُ هشامٍ ... يندُبْنَ والِدَهُنّه

يندُبْنَ قَرْماً جليلاً ... قد كان يَعْضُدُهنّه

---

(١) كذا في ب، حـ، والوحيّ: السريع. وفي سائر الأصول: «بموت حيّ».

(٢) القمقم: إناء من نحاس يسخن فيه الماء.

(٣) كذا في ب، س. وفي سائر النسخ: «اقتصوا» بالصاد المهملة.

(٤) عانة: بلدة على الفرات تنسب إليها الخمر العانية. قال زهير:

كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت ... من خمر عانة لما بعد أن عتقا

أنــــا المخنَّـــــث حقًّـــا إن لـــــــم أنِيكهُنَّـــــــــه

وقال المدائنيّ في خبر أحمد بن الحارث: وشرِب الوليد يوماً، فلما طابت نفسُه تذكّر هشاماً، فقال لعمر الوادي غنّني:

إنّـــي سمعـــت بليـــل وَرَا المصلّـــى بـــرَنّـــة

فغنّاه فيه، فشرب عليه ثلاثة أرطال، ثم قال: والله لئن سمعه منك أحد أبداً لأقتلنّك. قال: فما سُمع منه بعدها ولا عُرف.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

طـاب يـومـي ولَـذَّ شُـرْبُ السُّلافـه إذ أتـانـا نَعِـيُّ مـن فـي الـرُّصـافَـة

غنّاه عمرُ الوادي خفيفَ رَمَلٍ بالبنصر.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني أبو غَسّان قال قال حَكَم الوادي:

كنّا عند الوليد بن يزيد وهو يشرب، إذ جاءنا خَصِيٌّ فشَقّ جيبَه وعزّاه عن عمه هشام وهنّأه بالخلافة وفي يده قضيب وخاتَم وطُومار[1]؛ فأمسكنا ساعةً ونظرنا إليه بعين الخلافة؛ فقال: غَنُّوني، غنّياني: قد طاب شربُ السلافه... البيتين؛ فلم نزل نغنّيه بهما الليلَ كلّه.

/ سأل الرشيد عنه ابن أبي حفصة فمدحه وذكر من شعره: [١٨/٧]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني مروان بن أبي حفصة قال:

دخلت على الرشيد أمير المؤمنين فسألني عن الوليد بن يزيد فذهبتُ أتزحزح، فقال: إن أمير المؤمنين لا ينكر ما تقول فقُلْ؛ قلت: كان من أصبح الناس وأظرف الناس وأشعر الناس. فقال: أتَرْوى من شعره شيئاً؟ قلت: نعم، دخلت عليه مع عُمومتي وفي يده قَضيب ولِيَ جُمَّةٌ[2] فَيْنانة فجعل يُدخل القضيبَ في جُمّتي وجعل يقول: يا غلام، ولدتْك سُكّر (وهي أمّ ولد كانت لمروان بن الحكم فزوّجها أبا حفصة) قال: فسمعته يومئذ يُنشد:

لـيـت هشـامـاً عـاش حتـى يـرى مكيـالَـه الأوفـرَ قـد أُتْـرِعـا[3]

كِلْنـا لـه الصـاعَ التـي[4] كـالَهـا فمـا ظلمنـاه بهـا أَصْـوُعـا

---

(١) الطومار: الصحيفة.

(٢) الجمة: مجتمع شعر الرأس وهي أكثر من الوفرة، وهي أيضاً ما تدلى من شعر الرأس على المنكبين.

(٣) رواية «الطبري» لهذه الأبيات (ص ١٧٥٢ ق ٢ طبع أوروبا):

لـيـت هشـامـاً عـاش حتـى يـرى مكيـالـه الأوفـر قـد طبعـا

كلنـاه بـالصـاع الـذي كـالـه ومـا ظلمنـاه بـه إصبعـا

ومـا أتينـا ذاك عـن بـدعـة أحلـه الفـرقـان لـي أجمعـا

(٤) في الأصول: «الذي». والصاع يذكر ويؤنث. وقد آثرنا ما وضعناه لتتلاءم الضمائر.

لم نأتِ ما نأتيه عن بدعة أحلّه القرآن لي أجمعا

قال: فأمر الرشيد بكتابتها[1] فكتبت.

كان شاعراً مجيداً وشيء من شعره:

١١٠/٦ وللوليد أشعار جِيادٌ فوق هذا الشعر الذي اختاره / مروان. فمنها - وهو ما برّز فيه وجوّده وتبعه الناس جميعاً [١٩/٧] فيه وأخذوه منه - قوله في صفة الخمر - أنشدنيه / الحسن بن علي قال أنشدني الحسين بن فَهْم قال أنشدني عمر بن شَبّة قال أنشدني أبو غَسّان محمد بن يحيى وغيره للوليد. قال: وكان أبو غَسّان يكاد يرقص إذا أنشدها -:

اصدَعْ نجيَّ الهموم بالطربِ وانعَمْ على الدهر بابنة العنبِ

واستقبلِ العيشَ في غَضارته لا تَقْفُ منه آثارَ معتقِبِ

من قهوة زانها تقادُمها فهي عجوز تعلو على الحِقَب

أشهى إلى الشَّرْب يوم جَلْوتها من الفتاة الكريمة النّسب

فقد تجلّت ورَقّ جوهرها حتى تبدّت في منظَر عجَب

فهي بغير المِزاج من شَرَر وهي لدى المزج سائلُ الذهب

كأنها في زجاجها قَبَسٌ تذكو ضياءً في عين مرتقِب

في فتيةٍ من بني أميّة أهـ ـلِ المجد والمأثُرات والحسب

ما في الورى مثلُهم ولا فيهم[2] مثلي ولا مُنْتَمٍ لمثل أبي

قال المدائنيّ في خبره: وقال الوليد حين أتاه نَعْي هشام:

طال ليلي فبتُّ أُسقَى المداما إذ أتاني البريد ينعَى هشاما

وأتاني بحُلّة وقضيب وأتاني بخاتم ثم قاما

فجعلتُ الوليَّ من بعد فقدي يفضُل الناسَ ناشئاً وغلاما

ذلك ابني وذاك قَرْم قريشٍ خيرُ قَرْمٍ وخيرُهم أعماما

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني عن جرير قال قال لي عمر الوادي:

[٢٠/٧] / كنت يوماً أغنّي الوليدَ إذ ذكَر هشاماً؛ فقال لي: غنّني بهذه الأبيات؛ قلت: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فأنشأ يقول:

(١) في ب، س، حـ: «بكتابها» وهو مصدر كالكتابة.

(٢) في ب، س: «ولا بهم» وهو تحريف.

صوت

هلَك الأحول المَشْـ ـؤُ ـمُ فقد أرسل المطرْ
ثمّت استُخلِف الولـ ـيد فقد أوْرق الشجرْ

أخذ أبو نواس وغيره من الشعراء معانيه في أشعارهم:

وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم، سلَخوا معانيها، وأبو نواس خاصّة فإنه سلخ معانيه كلّها وجعلها في شعره فكرّرها في عدّة مواضع منه. ولولا كراهةُ التطويل لذكرتُها هاهنا، على أنها تنبىء عن نفسها.

وله أبيات أنشدنيها الحسن بن عليّ قال أنشدني الحسين بن فهم قال أنشدني عمر بن شَبَّة قال أنشدني أبو غسّان وغيرُه للوليد ـ وكان أبو غسان يكاد أن يرقص إذا أنشدها ـ:

اصْدَع نجيَّ الهموم بالطرب وانعَمْ على الدهر بابنة العنب

الأبيات التي مضت متقدّماً. وهذا من بديع الكلام ونادره؛ وقد جوّد فيه منذ ابتدأ إلى أن ختم. وقد نقلها أبو نواس والحسين بن الضحاك في أشعارهما.

ومن جيّد معانيه قوله:

/ رأيتُك تَبني جاهداً في قطيعتي ولو كنتَ ذا حزم لهدّمتَ ما تبني [١١١/٦]

وقد مضت في أخباره مع هشام.

وأنشدني الحسن بن عليّ عن الحسين بن فهم قال أنشدني عمرو بن أبي عمرو للوليد بن يزيد وكان يستجيده فقال:

/ إذا لم يكن خيرٌ مع الشرّ لم تَجِدْ نصيحاً ولا ذا حاجَةٍ حين تفزَع [٢١/٧]
وكانوا إذا هَمُّوا بإحدى هَنَاتِهم حسَرتُ لهم رأسي فلا أتقنّع

ومن نادر شعره قوله لهشام:

فإن تك قد مَلِلتَ القربَ منّي فسوف تَرى مُجانبتي وبعدي
وسوف تلوم نفسَك إن بقِينا وتبلو الناسَ والأحوال بعدي
فتندَمُ في الذي فرّطتَ فيه إذا قايستَ في ذمّي وحمدي

قال يوم بيعته على المنبر بدمشق شعراً:

أخبرني الحسين بن يحيى قال حدّثنا ابن مَهْرويه وعبدالله بن عمرو بن أبي سعد قالا[1] حدّثنا عبدالله بن أحمد بن الحارث الحرشيّ قال حدّثنا محمد بن عائذ قال حدّثني الهَيْثم بن عِمْران قال سمعتُه يقول:

لما بويع الوليد سمعتُه على المنبر يقول بدمشق:

(١) في الأصول: «قال».

ضمِنتُ لكم إن لم تَرُعْنِي منيّتي بأنّ سماء الضرّ عنكم ستُقلِع

كتب إلى أهل المدينة شعراً وردّ عليه حمزة بن بيض:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال:

لمّا ولي الوليد بن يزيد كتب إلى أهل المدينة[1] والشعر له:

مُحَرِّمُكُم[2] ديوانكم وعطاؤكم به يكتب الكتّاب والكُتْب تُطبَعُ

ضمِنت لكم إن لم تصابوا بمهجتي بأنّ سماء الضرّ عنكم ستُقلِع

وأوّل هذه الأبيات:

ألاَ أيّها الركب المُخِبّون أبلغوا سلامِيَ سُكّانَ البلاد فأسمِعوا

[٢٢/٧] / وقولوا أتاكم أشبهُ الناس سنّةً بوالده فاستبشِروا وتوقّعوا

سيُوشِك إلحاقٌ بكم وزيادة وأعطِيةٌ تأتي تِباعاً فتُشْفَع

وكان سبب مكاتبته أهلَ الحرمين بذلك أنّ هشاماً لمّا خرج عليه زيد بن عليّ رضي الله عنه منع أهلَ مكة وأهلَ المدينة أعْطِياتِهم سنةً. فقال حمزة بن بَيْض يردّ على الوليد لمّا فعل خلافَ ما قال:

وصلتَ سماءَ الضرّ بالضرّ بعدما زَعمتَ سماء الضرّ عنّا ستُقلِع

فليت هشاماً كان حيّاً يسوسنا وكنّا كما كنّا نُرجّي ونطمع

بعث إلى جماعة من أهله يوم بيعته وأنشدهم شعراً يدل على مجونه:

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شَبّة قال روى جَرير بن حازم عن الفضل بن سُويد قال:

بعث الوليد بن يزيد إلى جماعة من أهله لمّا ولِي الخلافة فقال: أتدرون لَمَ دعوتكم؟ قالوا لا؛ قال: ليَقُلْ قائلُكم؛ فقال رجل منهم: أردتَ يا أمير المؤمنين أن تُرِيَنا ما جدّد الله لك من نعمته وإحسانه؛ فقال: نعم، ولكني:

١١٢/٦ / أُشهِد اللّهَ والملائكةَ الأبـ ـرار والعابدين أهلَ الصلاحِ

أنني أشتهي السَّماع وشربَ الـ ـكأس والعضّ للخدود الملاح

والنديمَ الكريم والخادمَ الفا رِهَ يسعى عليّ بالأقداح

قوموا إذا شئتم.

عرضت عليه جارية وغنته فأمر بشرائها:

أخبرني إسماعيل بن يونس وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال:

---

(١) في أ، م: «مكة».

(٢) كذا في أ، م ونسخة الشنقيطي مصححة ومضبوطة بقلمه. وفي ب، س، حـ: «محزمكم» بالزاي.

عُرضتْ على الوليد بن يزيد جاريةٌ صفراء كوفيّة مولّدة يقال لها سعاد، فقال لها: أيّ شيء تُحسنين؟ فقالت: أنا مغنّية؛ فقال لها: غنّيني، فغنّت:

صوت

/ لولا الذي حُمّلتُ من حبّكم ... لكان في إظهاره مَخْرَجُ [٧/ ٢٣]

أو مذهبٌ في الأرض ذو فسحةٍ ... أجَلْ ومن حَجَّت له مَذْحِجُ

لكن سباني منكُم شادنٌ ... مُرَبَّبٌ ذو غُنّة أدعجُ

أغرُّ مَمكورٌ[1] هَضِيمُ الحَشَى ... قد ضاق عنه الحَجْل والدُّمْلُجُ

ـ الشعر للحارث بن خالد. والغناء لابن سريج خفيفُ رمل بالبنصر. وفيه لدَحْمانَ هَزَج بالوسطى؛ وذكر الهشاميّ أن الهزج ليحيى المكيّ ـ فطرِب طرباً شديداً وقال: يا غلام اسقني، فسقاه عشرين قدحاً وهو يَستعيدها. ثم قال لها: لمن هذا الشعر؟ قالت: للحارث بن خالد. قال: وممَّن أخذتيه؟ قالت: من حُنَيْن. قال: وأين لقِيته؟ قالت: رُبِيتُ بالعراق وكان أهلي يَجيؤن به فيُطارحني. فدعا صاحبَه فقال: اذهب فابتعْها بما بلغتْ ولا تُراجعني في ثمنها ففعل؛ ولم تزل عنده حَظِيّةً.

شرب هو ومحمد بن سليمان بن عبد الملك بجرن:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني عُبيد الله بن أحمد بن الحارث القرشيّ قال حدّثنا العباس بن الوليد قال حدّثنا ضَمْرة قال:

خرج عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام يوماً إلى بعض الدَّيارات فنزل فيه وهو والٍ على الرّملة؛ فسأل صاحبَ الدَّيْر: هل نزل بك أحدٌ من بني أميّة؟ قال: نعم، نزل بي الوليد بن يزيد ومحمد بن سليمان بن عبد الملك. قال: فأيّ شيء صنعا؟ قال: شربا في ذلك الموضع. ولقد رأيتهما شربا في آنيتهما، ثم قال أحدهما لصاحبه: / هلمّ [٧/ ٢٤] نشرب بهذا الجُرْن[2] ـ وأومأ إلى جرنٍ عظيم من رخام ـ قال: أفعَلُ؛ فلم يزالا يتعاطيانه بينهما ويشربان به حتى ثمِلا. فقال عبد الوهاب لمولًى له أسود: هاتِه. قال ضمرة: وقد رأيتُه وكان يوصف بالشدّة، فذهب يحرّكه فلم يقدر. فقال الراهب: والله لقد رأيتهما يتعاطيانِه وكلٌّ واحد منهما يملؤه لصاحبه فيرفعه ويشربه غيرَ مكترث.

وفد عليه سعد بن مرة ومدحه فأجازه:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا أبو غَسّان محمد بن يحيى قال:

وفَد سعد بن مُرَّة بن جُبَيْر مولى آل كثير بن الصَّلْت، وكان شاعراً، على الوليد بن يزيد، فعرَض له في يوم من أيام الربيع وقد خرج إلى متنزَّه له، فصاح به: يا أمير المؤمنين، وافدُك وزائرك ومؤمِّلُك؛ فتبادر الحرس إليه ليصدّوه عنه، فقال: دَعوه، أُدنُ إليّ فدنا إليه؛ فقال: من أنت؟ قال: أنا رجل من أهل الحجاز شاعر؛ قال: تريد ماذا؟ قال: تسمع منّي أربعة أبياتٍ؛ قال: هاتِ.

(١) المرأة الممكورة: المستديرة الساقين، أو هي المدمجة الخلق الشديدة البضعة.

(٢) الجرن: حجر منقور يصب فيه الماء فيتوضأ به.

١١٣/٦

/ صـوت

شِمْنَ المَخَايِلَ نحوَ أرضِك بالحيَا ... ولَقِين ركبانا بعُرْفك قُفّلا

قال: ثم مَهْ؛ قال:

فعمَدن نحوَك لم يُنَخْن[1] لحاجة ... إلاّ وقوعَ الطير حتى تَرْحلا

قال: إن هذا[2] السير حثيث؛ ثم ماذا؟ قال:

يعمِدن نحو مُوطِّىءٍ حجراتِه ... كَرَماً ولم تعدِل بذلك مَعْدِلا

[٧/٢٥] / قال: فقد وصلتَ إليه، فمَهْ؛ قال:

لاحت لها نيرانُ حَيٍّ قَسْطَلٍ[3] ... فاخترن نارَك في المنازل منزلا

قال: فهل غيرُ هذا؟ قال لا؛ قال: أنْجحتْ وِفادتُك، ووجبت ضيافتك؛ أعطوه أربعة آلاف دينار؛ فقبضها ورحل.

الغناء لابن عائشة ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو والهشاميّ.

مسلمة بن هشام وزوجته:

رجعتِ الروايةُ إلى حديث المدائنيّ قال:

لمّا قدِم العباس بن الوليد لإحصاء ما في خزائن هشام وولدِه سوى مَسْلَمة بن هشام فإنه كان كثيراً ما يَكُفّ أباه عن الوليد ويكلّمه فيه ألّا يعرضَ له ولا يدخل منزله. وكانت عند مسلمة أمُّ سَلَمة[4] بنت يعقوب المَخْزوميّة، وكان مَسْلمة يشرب. فلمّا قدم العبّاس لإحصاء ما كتب إليه الوليدُ، كتبتْ إليه أم سَلَمة: ما يُفِيق من الشّراب ولا يهتمّ بشيءٍ مما فيه إخوتُه ولا بموت أبيه. فلما راح مسلمة بن هشام إلى العباس قال له: يا مسلمة، كان أبوك يرشّحك للخلافة ونحن نرجوك لما بلغني عنك، وأنّبه وعاتبه على الشراب؛ فأنكر مسلمة ذلك وقال: من أخبرك بهذا؟ قال: كتبتْ إليّ به أمّ سَلَمة؛ فطلّقها في ذلك المجلس، فخرجت إلى فِلَسطين، وبها كانت تنزل، وتزوّجها أبو العباس السفّاح هناك.

قصة طلاق الوليد لزوجته سعدة وتعشقه أختها سلمى:

وسَلْمى التي عناها الوليدُ هناك هي سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان؛ وأمها أُمّ عمرو بنت مروان بن الحَكَم، وأمّها بنت عمر بن أبي ربيعة المخزوميّ.

(١) كذا في نسخة المرحوم الشنقيطي مصححة بخطه. وفي الأصول: «لم ينجن بحاجة».
(٢) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «إن هذا لسير حثيث».
(٣) قسطل: موضع قرب البلقاء من أرض دمشق في طريق المدينة، وهو أيضاً موضع بين حمص ودمشق. وفي الأصول: «لاحت لها نيران حي قسطلا».
(٤) كذا في «عقد الجمان» و «الطبري» (ق ٣ ص ٢٥٠٧) وفيما سيأتي في بعض روايات أ. وفي جميع الأصول هنا: «أم مسلمة» وهو تحريف.

/ فأخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلّام وعن المدائنيّ عن [٢٦/٧] جُويرية بن أسماء:

أن يزيد بن عبد الملك كان خرج إلى قُرَيْن[1] مُتَبَدِّياً[2] به، وكان هناك قصر لسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان؛ وكانت بنته أمّ عبد الملك، واسمها سَعْدة، تحت الوليد بن يَزيد. فمرض سعيدٌ في ذلك الوقت، وجاءه الوليدُ عائداً، فدخل فلمَح سَلْمى بنت سعيد أختَ زوجته وسترها حواضِنُها وأختها فقامت ففرَعتْهن[3] طولاً، فوقعت بقلب الوليد. فلما مات أبوه طلّق أمّ عبد الملك زوجتَه وخطب سلمى إلى أبيها. وكانت لها أخت يقال لها أمّ عثمان تحت هشام بن عبد الملك؛ فبعثتْ إلى أبيها - وقيل: بعث إليه هشام -: أتريد أن تستفحلَ الوليدَ لبناتك يطلّق هذه وينكِح هذه! فلم يزوِّجه سعيد وردّه أقبحَ ردّ. وهوِيها الوليد ورام السلوَّ عنها فلم يَسْلُ؛ وكان يقول: العجب لسعيد! خطبتُ إليه فردّني، ولو قد مات هشام ووَلِيتُ لزوّجني! وهي طالق ثلاثاً إن تزوّجتها حينئذ وإن كنت أهواها. فيقال: إنه لما طلّق سَعْدة ندِم على ذلك / وغَمّه. وكان لها من قلبه محلٌّ ولم تحصُل له سَلْمى؛ فاهتمّ [١١٤/٦] لذلك وجزِع. وراسل سَعْدة، وقد كانت زُوِّجت غيرَه فلم ينتفع بذلك.

أرسل أشعب لزوجته بعد طلاقها فردّته:

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ والحسن بن عليّ قالا حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجَهْم قال حدّثنا المدائنيّ قال:

بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعد ما طلّق امرأته، فقال: يا أشعب، لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلّغ رسالتي سَعْدَة؛ فقال: أحضِر العشرةَ الآلاف / الدرهم حتى أنظر إليها؛ فأحضرها الوليد؛ فوضعها أشعبُ على [٢٧/٧] عنقه وقال: هات رسالتك؛ قال: قل لها يقول لك أمير المؤمنين:

أسَعْدةُ هل إليكِ لنا سبيلٌ ... وهل حتى القيامةِ من تَلاقي

بَلَى ولعلّ دهراً أن يُواتي ... بموت من حَليلك أو طلاقِ

فأُصبحَ شامتاً وتَقَرَّ عيني ... ويُجمعَ شملُنا بعد افتراق

فأتى أشعبُ البابَ فأُخبِرتْ بمكانه، فأمرت بفُرُش لها ففُرشت وجلست وأذِنت له. فلما دخل أنشدها ما أمره؛ فقالت لخَدَمها: خذوا الفاسقَ! فقال: يا سيّدتي إنها بعشرة آلاف درهم. قالت: والله لأقتلنك أو تبلّغه كما بلّغتني؛ قال: وما تَهَبين لي؟ قالت: بساطي الذي تحتي؛ قال: قومي عنه؛ فقامت فطواه وجعله إلى جانبه، ثم قال: هات رسالتك جُعِلتُ فِداك؛ قالت: قل له:

أتبكي على لُبْنَى وأنت تركتَها ... فقد ذهبتْ لبنى فما أنت صانعُ[4]

---

(١) قرين: موضع باليمامة يسمى قرين نجدة، قتل عنده نجدة الحروري.

(٢) في ب، س: «مبتدئاً»، وهو تحريف.

(٣) كذا في أكثر الأصول. وفرعتهن: علتهن. وفي ب، س: «فبرعهن».

(٤) رواية البيت في «أمالي القالي» (ج ٢ ص ٣١٥ طبع دار الكتب المصرية) عند ذكره لعينية قيس هكذا:

تبكي على لبنى وأنت تركتها ... وكنت كآت غيه وهو طائع

فأقبل أشعب فدخل على الوليد؛ فقال: هِيه، فأنشده البيت؛ فقال: أَوَّهْ قتلتني يابن الزانية! ما أنا صانع، فاختر أنت الآن ما أنت صانع[٩] يابن الزانية، إمّا أن أُدَلِّيَكَ / على رأسك منكّساً في بئر أو أرمي بك منكّساً من فوق القصر أو أضربَ رأسكَ بعمودي هذا ضربةً، هذا الذي أنا صانع، فاخْتَرْ أنت الآن ما أنت صانع؛ فقال: ما كنتَ لتفعلَ شيئاً من ذلك؛ قال: ولم يابن الزانية؟ قال: لم تكن لتعذّب عينين نظرتا إلى سَعْدة. قال: أَوَّهْ! أفلتَّ والله بهذا يابن الزانية! اُخرجْ عنّي. وقال الحسن في روايته: إنها قالت له أَنشِدْه: [٢٨/٧]

أتبكـي علـى لُبْنـى وأنـت تـركتهـا ... وأنـت عليهـا بـالمَـلاَ[١] كنـتَ أقـدرُ

وفي هذه الأبيات غناء هذه نسبتُه:

صوت

أرى بيـت لُبْنـى أصبـح اليـوم يُهجـرُ ... وهِجـرانُ لبنـى يـا لـكَ الخيـرُ مُنكَـرُ

فـإن تكـن الـدنيـا بلُبْنَـى تغيّـرت ... فلِلـدّهـر والـدنيـا بطـونٌ وأظْهُـرُ

أتبكـي علـى لُبْنـى وأنـت تـركتَهـا ... وأنـت عليهـا بـالحَـرَا[٢] كنـتَ أقـدر

عروضُه من الطويل. والشعر لقَيْس بن ذَرِيح. والغناء في الثاني والثالث للغريض ثقيل أوّلُ بالبنصر عن عمرو والهشاميّ. ، وفيهما[٣] لعَريب رملٌ بالبنصر. وفيه لشاريةَ خفيفُ رمل بالوسطى عن الهِشاميّ. وفي الأوّل خفيفُ ثقيلٍ مجهول.

تزيا بزي زيات ليرى سلمى وشعره في ذلك:

قال ابن سَلّام والمدائنيّ في خبرهما: وخرج الوليد بن يزيد يريد فَرْتَنَى[٤] لعلّه يراها؛ فلقِيه زيّات معه حمار عليه زيت؛ فقال له: هل لك أن تأخذ فرسي هذا وتُعطيني حمارك هذا بما عليه وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك؟ / ففعل الزيات ذلك. وجاء الوليد وعليه الثياب وبين يديه الحمار يسوقه متنكّراً حتى دخل قصرَ سعيد، / فنادى: من يشتري الزيت، فاطّلع بعضُ الجواري فرأينه فدخلن إلى سَلْمى وقُلْنَ: إن بالباب زيّاتاً أشبهَ الناس بالوليد، فاخرجي فانظري إليه؛ فخرجت فرأته ورآها، فرجعت القَهْقَرى وقالت: هو والله الفاسق الوليد! وقد رآني! فقلن له: لا حاجةَ بنا إلى زيتك؛ فانصرف وقال: [٢٩/٧] [١١٥/٦]

إننـي أبصـرتُ شيخـاً ... حسـنَ الـوجـه مليـخ

---

* وتتفق هذه الرواية مع رواية صاحب الأغاني عند ذكره للبيت في ترجمة قيس (ج ٨ ص ١٣٢ طبع بولاق) وهي:

أتبكـي علـى لبنـى وأنـت تـركتهـا ... وكـنـت كـآت حتفـه وهـو طـائـع

ووردت كلمة «ما أنت صانع» في بيت آخر من هذه القصيدة ونصه:

فيـا قلـب خبـرنـي إذا شطـت النـوى ... بلبنـي وصـدّت عنـك مـا أنـت صـانـع

(١) الملا: موضع بعينه.

(٢) الحرا: جناب الرجل وما حوله، يقال: نزل بحراه وعراه إذا نزل بساحته.

(٣) كذا في أ، م. وفي سائر النسخ «وفيها».

(٤) فرتنى: قصر بمرو الروذ.

ولِباسي ثوب شيخ ... من عباءٍ ومُسوح
وأبيعُ الزيت بيعاً ... خاسراً غيرَ رَبيح

وقال أيضاً:

فما مِسكٌ يُعَلُّ بزنجبيلٍ ... ولا عسلٌ بألبان اللَّقاحِ
بأشهى من مُجاجة ريق سلمى ... ولا ما في الزِّقاق من القَراح
ولا والله لا أنسى حياتي ... وَثَاقَ الباب دوني واطِّراحي

قال: فلما ولي الخلافةَ أشْخص إلى المغنِّين فحضَروه وفيهم معبدٌ وابن عائشة وذووهما. فقال لابن عائشة: يا محمد، إن غنّيتني صوتين في نفسي فلك عندي مائة ألف درهم؛ فغنّاه قولَه:

* إنني أبصرتُ شيخاً *

وغنّاه:

* فما مسكٌ يعلّ بزنجبيل *

الأبياتَ، فقال الوليد: ما عدوتَ ما في نفسي؛ وأمر له بمائة ألف درهم وألطاف وخِلَع، وأمر لسائر المغنّين بدون ذلك.

/ نسبة ما في هذا الخبر من الغناء [٧/ ٣٠]

صوت

فما مسكٌ يُعَلّ بزنجبيلٍ ... ولا عسلٌ بألبان اللُّقاحِ
بأطيبَ من مُجاجة ريق سلمى ... ولا ما في الزِّقاق من القَراح

غنّاه ابن عائشة، ولحنُه ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وحماد بن إسحاق.

تزوّج سلمى بعد ولايته الخلافة وماتت بعد قليل فرثاها:

قال المدائنيّ وابن سَلّام: فلمّا طال بالوليد ما به كتب إلى أبيها سعيد:

أبا عثمان هل لك في صنيع ... تُصيب الرشدَ في صلتي هُدِيتا
فأشكرَ منك[1] ما تُسدي وتُحيي ... أبا عثمان مَيْتةً ومَيْتا

قالوا: فلم يُجبه إلى ذلك حتى ولي الخلافةَ، فلما وليها زوّجه إياها؛ فلم يلبث إلاّ مدّة يسيرةً حتى ماتت. وقال فيها ليلة زُفّت إليه:

خفّ من دار جيرتي ... يا بن داود أُنْسُها

(١) في حـ «فأشكر منك المسدي وتحيي...».

وهي طويلة. وفيها ممّا يغنّى به:

أوَ لا تخـــــرج العـــــرو سُ فقـــــد طـــــال حبسُهـــــا
قـــد دنـــا الصبـــح أو بَـــدا وهـــي لـــم يُقْـــضَ لُبْسها
بـــرزت كـــالهـــلال فـــي ليلـــةٍ غـــاب نحسُهـــا
/ بيـــن خمـــس كـــواعـــبٍ أكـــرمُ الخمـــسِ جنسُهـــا

١١٦ / ٦

غناهُ ابنِ سُريجٍ، فيما ذكره حَبَش، رملٌ بالبنصر، أوّله:

* خَفّ من دار جيرتي *

وغناه معبد فيه خفيفُ ثقيلٍ، أوّله:

* ومتى تخرج العروس *

[٣١/٧] / في رواية الهشاميّ وابن المكيّ. وغناه عمر الواديّ في الأربعة الأبيات الأخَر خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو. وذكر في النسخة الثانية ووافقه الهشاميّ أنّ فيه هَزَجاً بالوسطى ينسب إلى حَكَم وإلى أبي كامل وإلى عمر.

غنى حكم الوادي للمهدي فوصله:

وقد أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا الأصمعيّ قال: رأيت حَكَما الوادي قد تعرّض للمهديّ وهو يريد الحجّ، فوقف له في الطريق وكانت له شهرة، فأخرج دفًّا له فنقر فيه وقال: أنا، أطال الله بقاءك، القائل:

ومتـــى تخـــرج العـــرو سُ فقـــد طـــال حبسُهـــا
قـــد دنـــا الصبـــح أو بـــدا وهـــي لـــم يُقْـــضَ لُبْسُهـــا

قال: فتسرّع إليه الحرس، فصِيحَ بهم، وإذا هو حكم الوادي؛ فأُدخل إليه المَضْرِبَ فوصله وانصرف.

نسبة أوَ لا تخرج العروس ـ قال: الشعر للوليد بن يزيد. والغناء لعمر الواديّ. وفيه لحنان هزجٌ خفيف بالخنصر في مجرى البنصر [وخفيفُ[1] رملٍ بالخنصر في مجرى البنصر جميعاً عن إسحاق]؛ وذكر حكم الواديّ أنّ الهزج له؛ وذكر إسحاق أن لحن حَكَم خفيفُ رمل بالخنصر في مجرى الوسطى. وقال في كتاب يحيى: إن هذا اللحن لعمر الواديّ. وذكر الهشاميّ أنّ فيه خفيفَ ثقيلٍ لمعبد ورملاً لابن سريج. وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه للدّلاَل خفيفَ ثقيل أوّل بالبنصر.

ماتت سلمى فرثاها الوليد:

وقال المدائنيّ: مكثتْ عنده سَلْمَى أربعين يوماً ثم ماتت؛ فقال:

ألَمّـــا تعلَمـــا سَلْمـــى أقـــامـــت مُضَمَّنَـــةً مـــن الصحـــراء لحـــدا

(١) هذه العبارة ساقطة من ء، ب، س.

لعمرك يا وليدُ لقد أجَنّوا بها حَسَباً ومَكرُمةً ومجدا
/ ووجهاً كان يقصُر عن مداه شعاعُ الشمس أهْلٌ أن يُفدَّى [٣٢/٧]
فلم أرَ ميّتاً أبكى لعينٍ وأكثر جازعاً وأجلَّ فقدا
وأجدرَ أن تكون لديه مِلكاً يُريك جَلادةً ويُسِرّ وَجْدا

شعره في سلمى:

ذكرَ أشعار الوليد التي قالها في سلمى وغنّى المغنّون فيها منها:

صوت

عرفتُ المنزلَ الخالي عفا من بعد أحوالِ
عفَاه كلُّ حَنّانٍ عَسُوفِ الوَبْل هَطّال
لسلمى قُرّةِ العين وبنتِ العمّ والخال
بذلتُ اليوم في سلمى خِطاراً[١] أتلفتْ مالي
/ كأنّ الريق من فِيها سَحيقٌ[٢] بين جِرْيال ١١٧/٦

غنّاه عمر الواديّ هزجاً بالوسطى عن عمرو. وذكر ابن خُرْداذبه أنّ هذا اللحن للوليد بن يزيد. وفيه رَمَلٌ ذكر الهشاميّ أنه لابن سريج.

ومنها وهو الصوت الذي غنّاه أبو كامل فأعطاه الوليدُ قَلَنْسِيَتَه[٣]:

صوت

منازلُ قد تَحُلّ بها سليمى دوارسُ قد أضرّ بها السّنونُ
أُميتُ السرَّ حفظاً يا سليمى إذا ما السرّ باح به الحَزُون[٤]

/ غنّاه أبو كامل من الثقيل الأوّل. وفيه لابن سريج، ويقال للغريض، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن [٣٣/٧] الهشاميّ، وقيل: إنه لحكم أو لعمر الوادي.

ومنها:

---

(١) الخطار: جمع خطر (بالتحريك) وهو السبق الذي يترامى عليه في الرهان.
(٢) كذا في «اللسان» (مادة جرل). والجريال: صفوة الخمر. والسحيق: المسك. أي مسك سحيق بين قطع جريال أو أجزاء جريال. وفي الأصول: «كأن المسك في فيها».
(٣) كذا في حـ. وفي سائر النسخ: «قلنسية».
(٤) الحزون: الكثير الحزن.

صوت

أراني قد تصابيتُ | وقد كنت تناهيتُ[١]
ولو يتركني الحبُّ | لقد صمت وصلّيتُ
إذا شئتُ تصبّرت | ولا أصبر إن شيتُ
ولا والله لا يصبـ | ـر في الدَّيْمومة[٢] الحُوت
سليمى ليس لي صبر | وإن رخَّصتِ لي جيتُ
فقبّلتُك ألفين | وفدّيت وحيّيتُ
ألا أخْبِبْ بزَوْرِ زا | رٍ من سلمى ببيروتِ[٣]
غزالٌ أدْعَجُ العين[٤] | نقيُّ الجيد والليتِ[٥]

غنّاه ابنَ جامع في البيتين الأوّلين هزجاً بالوسطى، وغنّاه أبو كامل في الأبيات كلها على ما ذكرتُ بَذْلُ ولم تجنّسه. وغنّى حَكَم الوادي في الثالث والرابع والسابع والثامن خفيفَ رملٍ بالوسطى عن عمرو والهشاميّ.

[٣٤/٧] / ومنها:

صوت

عتبَتْ سَلْمى علينا سَفَاهَا | أن سبَبْتُ اليوم فيها أباها
كان حقُّ العتب يا قومُ منّي | ليس منها كان قلبي فِداها
فلئن كنتُ أردتُ بقلبي | لأبي سلمى خلافَ هواها
فثكِلتُ اليوم سلمى فسلمى | ملأت أرضي معاً وسماها
غير أنّي لا أظن عدوّاً | قد أتاها كاشحاً بأذاها[٦]
فلها العُتْبَى لدينا وقلّتْ | أبداً حتى أنال رضاها

---

(١) في هذا الشعر السناد وهو أحد عيوب القافية. والسناد هنا ـ وهو أحد أوجه السناد الثلاثة ـ: اختلاف الحرف الذي قبل الردف بالفتح والكسر. والردف هو حرف اللين (الألف والواو والياء) قبل الرويّ. فالتاء في هذا الشعر هي حرف الرويّ أي القافية، والواو والياء ردف.

(٢) الديمومة: الصحراء البعيدة.

(٣) في هذا البيت والبيت الذي يليه إقواء وهو اختلاف حركة الروي. وقد ورد البيت الأوّل منهما في «معجم ياقوت» مع بيتين آخرين أثناء الكلام على بيروت هكذا:

ألا يا حبذا شخص | حمت لقياه بيروت

(٤) في جميع الأصول: «العينين».

(٥) الليت (بالكسر): صفحة العنق.

(٦) كذا في نسخة الشنقيطي مصححة بخطه. وفي جميع الأصول: «فأذاها» بالفاء، وهو تحريف.

غنّاه أبو كامل خفيفَ رملٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه ليحيى المكيّ ثقيل أوّل من رواية عليّ بن يحيى. وفيه رمل يقال: إنه لابن جامع، ويقال: بل لحن ابن جامع خفيف رمل أيضاً.

خطب سلمى إلى أبيها وهو سكران فرده فسبه فقال شعراً:

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني عبدالله بن عمرو قال:

لقي سعيد بن خالد الوليد بن يزيد وهو مَمِلٌ؛ فقال له: يا أبا عثمان، / أتَرُدُّني على[1] سلمى! وكأني بك لو ١١٨/٦ قد وَلِيتُ الخلافة خطبتَني فلم أجِبْك؛ وإن تزوّجتُها حينئذ فهي طالق ثلاثاً. فقال له سعيد: إن المرء يجعل كريمته عند مثلك لحقيقٌ بأكثر مما قلت؛ فأمضّه الوليد وشتمه وتسامعا وافترقا. وبلغ الوليدَ أنّ سلمى جزِعت لِما جرى وبكتْ وسبّت الوليد ونالت منه؛ فقال:

عتبت سلمى علينا سفاها ... أن هجوتُ اليوم فيها أباها

/ وذكر الأبيات. وقال أيضاً في ذلك: [٣٥/٧]

صوت

قِفَا يا صاحبيّ فسائِلاها ... على الدُّور[2] التي بَلِيتْ سَفَاها[3]

دعتك صبابةٌ ودعاك شوق ... وأخضل دمعُ عينك مأْقِياها[4]

وقالت عند هجوتنا[5] أباها ... أردتَ الصُّرمَ فانتَدِه انتِداها[6]

أردتَ بعادَنا بهجاء شيخي ... وعندك خُلّةٌ تبغي هواها

فإن رضيتْ فذاك وإن تمادتْ ... فهَبْها خُطّةً بلغت مَداها

ـ غنّاه مالك بن أبي السَّمْح خفيفَ رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وللهُذَلي فيه ثاني ثقيل بالوسطى عن يونس والهشاميّ؛ وذكر حبش: أنّ الثقيل الثاني لإسحاق ـ يعني بقوله:

* أردتَ بعادنا بهجاء شيخي *

أنه كان هجا سعيد بن خالد، فقال:

ومن يك مفتاحاً لخير يريده ... فإنك قُفْلٌ يا سعيد بن خالد

قال المدائنيّ: لمّا غضِبتْ سلمى من هجائه أباها قال يعتذر إليه بقوله:

---

(١) كذا في جميع الأصول. ولعله: «أتردّني عن سلمى».

(٢) في حـ: «على الدار».

(٣) السفا: التراب، والسفاة: الكبة منه.

(٤) مأقي العين: طرفها مما يلي الأنف وهو مجرى الدمع من العين. ولعله جاء على لغة من يلزم المثنى الألف في كل أحواله.

(٥) كذا في س. وفي سائر النسخ: «هجرتنا» بالراء، وهو تحريف.

(٦) انتده انتداها: أي ازدجر ازدجاراً. ونده ندهاً: زجره ورده وطرده بالصياح.

ألا أبلِغْ أبا عثما ... ن عِذْرةَ مُعْتِبٍ أسِفا
فلستُ كمن يودّك بالـ ... لسان ويُكثر الحَلِفا
[٣٦/٧] / عتَبتَ عليّ في أشيا ... ء كانت بيننا سَرَفا
فلا تُشمِتْ بي الأعدا ... ءَ والجيرانَ ملتهِفا
تودّ لَوَ أنّني لحمٌ ... رأته الطير فاختُطِفا
ولا ترفعْ به رأساً[1] ... عفا الرحمن ما سَلَفا

ومنها وهو من سخيف شعره:

صوت

خبّروني أن سلمى ... خرجتْ يوم المُصَلَّى
فإذا طيرٌ مليحٌ ... فوق غصنٍ يتفلّى
قلتُ من يعرف سلمى ... قال ها ثم تعلّى
قلت يا طير ادنُ منّي ... قال ها ثم تدلّى
قلت هل أبصرتَ سلمى ... قال لا ثم تولّى
فنكا[2] في القلب كَلْماً ... باطناً ثم تعلّى

119/6 / فيه ثقيل أوّل بالبنصر مطلق، ذكر الهشاميّ أنه لأبي كامل ولعمر الوادي، وذكر حبش أنه لدَحْمان.

ومنها:

صوت

اسقِني يابن سالم قد أنارا ... كوكبُ الصبح وانجلى واستنارا
اسقِني من سُلاف ريق سليمى ... واسق هذا النديمَ كأساً عُقارا

[٣٧/٧] / غنّاه ابن قدح[3] ثانيَ ثقيل بالوسطى من رواية حبش.

سأل المأمون ندماءه عن شعر يدل على أنه لملك ثم قال لهم: إنه شعر الوليد:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي عُبيد الله قال حدّثني أبي:

---

(١) يريد: لا تذكره ولا تعلنه.

(٢) نكا مسهل نكأ. ونكأ القرحة (من باب فتح): قشرها قبل أن تبرأ فنديت. والكلم: الجرح.

(٣) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٥٠ من الجزء الثاني من «الأغاني» طبع دار الكتب المصرية.

أنّ المأمون قال لمن حضره من جلسائه: أنشدوني بيتاً لملك يدلّ البيتُ وإن لم يُعرف قائلُه أنه شعر مِلِكٍ؛ فأنشده بعضهم قولَ امرىء القيس:

أمِن أجلِ أعرابيّةٍ حلّ أهلُها ... جَنُوبَ المَلاَ[1] عيناكَ تَبْتَدِرانِ

قال: وما في هذا مما يدلّ على مُلْكه! قد يجوز أن يقول هذا سُوقةٌ من أهل الحَضَر، فكأنه يؤنّب نفسه على التعلّق بأعرابيّة؛ ثم قال: الشعر الذي يدُلّ على أن قائله مَلِكٌ قولُ الوليد:

اسقِني من سُلاف ريق سليمى ... واسق هذا النديمَ كأساً عقارا

أمَا ترى إلى إشارته في قوله هذا النديم وأنها إشارة ملك. ومثل قوله:

لِيَ المحضُ من ودّهم ... ويغمُرهم نائلي

وهذا قول من يقدِر بالمُلْك على طَوِيّات الرجال، يبذل[2] المعروف لهم ويُمكنه استخلاصُها لنفسه.

وفي هذا البيت مع أبيات قبله غناءٌ وهو قوله:

صوت

سقَيتُ أبا كاملِ ... من الأصفر البابلي
وسقَّيتُها معبداً ... وكلَّ فتى بازل[3]
/ لِيَ المحضُ من ودّهم ... ويغمُرهم نائلي [٣٨/٧]
فما لامني فيهمُ ... سوى حاسدٍ جاهل

غنّاه أبو كامل ثقيلاً أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

ومنها وهو من مُلَح[4] شعره:

صوت

أراني اللّهُ يا سلمى حياتي ... وفي يوم الحساب كما أراك
ألاَ تَجزِين مَن تيّمتِ عصراً ... ومن لو تطلبين لقد قضاك
ومَنْ لو مُتُّ مات ولا تموتي ... ولو أنسِي[5] له أجلٌ بكاك
ومَنْ حقًّا لَوُ اعطِي ما تمنّى ... من الدنيا العريضة ما عداك

---

(١) الملا: موضع.

(٢) في ب، س، م: «يبذل».

(٣) البازل: الكامل في عقله وتجربته. قال في «اللسان»: «وقد قالوا: رجل بازل على التشبيه بالبعير. وربما قالوا ذلك يعنون به كما له في عقله وتجربته». والبازل من الإبل: الذي استكمل الثامنة وطعن في التاسعة وفطر نابه. وليس بعد البازل اسم.

(٤) كذا في أكثر الأصول. وفي س: «أملح». وفي حـ: «جيد».

(٥) أنسأ الله أجله: أخره.

ومَنْ لو قلتِ مُتْ فأطاق موتاً إذاً ذاق المماتَ وما عصاك
أثيبي عاشقاً كَلِفاً مُعنًّى إذا خدِرت له رِجلٌ دعاك

كانت العرب تقول: إن الإنسان إذا خدِرتْ قدمه دعا باسم أحبِّ الناس إليه فسكنتْ. في الخبر أن رِجْل عبدالله بن عمر خدِرتْ؛ فقيل له: ادع باسم أحبِّ الناس إليك؛ فقال: / يا رسول الله، صلى الله على رسول الله وعلى[1] آله وسلم. ذكر يونس أنّ في هذه الأبيات لحناً لسِنَان الكاتب، وذكرت دَنَانِيرُ أنه لحكم ولم تجنّسه[2].

١٢٠/٦

[٣٩/٧] / ومنها:

صوت

وَيْحَ سَلْمى لو تَراني لعَنَاها ما عَناني
مُتلِفاً في اللهو مالي عاشقاً حُورَ القِيانِ
إنما أحزن قلبي قولُ سلمى إذ أتاني
ولقد كنتُ زماناً خاليَ الذَّرْع لشاني
شاق قلبي وعناني حبُّ سلمى وبراني
ولَكَمْ لام نصيحٌ في سليمى ونهاني

غنّته فَريدة خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه ثقيل أوّل ينسب إلى معبد؛ وهو فيما يذكُر إسحاق يُشْبه غناءه وليس تُعرف صحّتُه له، وذكر كَثير الكبير أنه له، وذكر الهشاميّ أنه لابن المكيّ. وفيه لحَكَم هَزَجٌ صحيح.

[٤٠/٧] / ومنها:

صوت

بلِّغا عنّي سليمى وسلاها ليَ عمّا
فعلتْ في شأن صبٍّ دَنِفٍ أُشعِرَهَمّا
ولقد قلت لسلمى إذ قتلتُ البين علما
أنتِ همّي يا سليمى قد قضاه الربُّ حتما
نزلت في القلب قَسْراً منزلا قد كان يُحمى

غنّاه حَكَمٌ خفيفَ ثقيلٍ. ولعمر الوادي فيه خفيفُ رمل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

ومنها:

(١) في «اللسان» (مادة خدر): «وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه خدرت رجله، فقيل له: ما لرجلك؟ قال: اجتمع عصبها؛ قيل: اذكر أحب الناس إليك؛ قال: يا محمد فبسطها».

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «ولم يجنسها»، وهو تحريف.

صوت

يـا سُلَيْمَـى يـا سليمـى كنـتِ للقلـب عـذابـا
يـا سليمـى ابنـةَ عمّـي بـرَدَ الليـلُ وطـابـا
أيُّمـا واشٍ وشَـى بـي فـاملئي فـاهُ تـرابـا
ريقُهـا فـي الصبـح مسـك بـاشَـر العـذبَ الـرُّضـابـا

غنّاه عمر الوادي هَزَجاً بالبنصر عن الهشاميّ، وذكر ابن المكيّ أنّه لمعان[1]. وفي كتاب إبراهيم أنه لعَطَرّد.

ومنها:

صوت

أسَلْمَـى تلـك حُيِّيـتِ قِفِـي[2] نُخْبِـركِ إن شِيـت
وقِيلِـي سـاعـةً نَشْـكُ إليـك الحـبَّ أو بِيتِـي
فمـا صهبـاءُ لـم تُكْـسَ قَـذًى مـن خمـر بيـروت
ثَـوَتْ فـي الـدَّنّ أعـوامـا خَتِيمـاً عنـد حـانـوت

غنّاه عمر الوادي ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

١٢١/٦

/ صوت

يـا مَـن لقلـب فـي الهـوى مُتشعَّـبِ بـل مَـنْ لقلـب بـالحبيـب عميـدِ
سَلْمَـى هـواه ليـس يعـرف غيـرَهـا دون الطّـريـف ودون كـلِّ تليـد
/ إن القـرابـة والسعـادة ألّفـا بيـن الـوليـد وبيـن بنـت سعيـد
يـا قلـب كـم كلِـف الفـؤادُ بغـادةٍ مَمْكـورةٍ ريّـا العظـام خَـريـد

[٤١/٧]

غنّاه عمر الوادي رملاً بالبنصر عن عمرو.

ومنها:

(١) هكذا أثبتناه كما مرّ في (ج ٢ ص ٦٨ من هذه الطبعة) نقلاً عن ب، س، حـ. وقد ورد هنا في أ،ء، م: «يمان». وفي ب، س، حـ: «مان».
(٢) في الأصول: «قفا» وهو تحريف.

صوت

قــد تمنَّـــى معشـــرٌ إذا أطـــرِبـــوا ـــن عُقَـــار وسَـــوَامٍ[1] وذَهَــبْ
ثـــم قـــالـــوا لـــي تَمَـــنَّ واستمِـــعْ كيـــف ننحـــو فـــي الأمـــانـــي والطلـــبْ
فتمنَّيـــــتُ سليمـــــى إنهـــــا بنـــت عمّـــي مـــن لَهَـــامِيـــم[2] العـــربْ

فيه للهذليّ خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو. وذكر الهشاميّ أن هذا الخفيف الثقيل لخالد صامَةَ[3]. وذكر ابن المكيّ أن فيه لمالك ثاني ثقيل بالوسطى.

ومنها:

صوت

هـــــل إلـــــى أمّ سعيـــــدِ مـــــن رســـــول أو سبيـــــلِ
نـــاصـــحٍ يُخبـــر أنّـــي حـــافـــظٌ وُدَّ خليـــلِ
يَـــبـــذُل الـــودَّ لغيـــري وأُكـــافِـــي بـــالجميـــل
لســـتُ أرضـــى لخليلـــي مـــن وصـــالـــي بـــالقليـــل

غنّاه عمر الوادي هزجاً خفيفاً بالسبّابة في مجرى الوسطى.

[٤٢/٧] / ومنها:

صوت

طـــاف مـــن سلمـــى خيـــالٌ بعـــد مـــا نِمـــتُ فهـــاجـــا
قلـــتُ عُـــجْ نحـــوي أُســـائِلْـ ـــك عـــن الحـــبّ فعـــاجـــا
يـــا خليلـــي يـــا نـــديمـــي قـــم فـــأنْفُـــثْ[4] لـــي ســـراجـــا
بفـــلاةٍ ليـــس تُـــرعَـــى أنبَتَـــتْ شِيحـــاً وحـــاجـــا[5]

غنّاه عمر الوادي ثانيَ ثقيل بالوسطى عن عمرو. ولابن سريج فيه خفيفُ رمل بالوسطى عن حَبَش. ولأبي سلمى المدنيّ ثقيل أوّل عن ابن خُرْدَاذْبه.

ومنها:

---

(١) السوام: كل ما رعى من المال في الفلوات.
(٢) اللهاميم: جمع لهموم، وهو الجواد من الناس والخيل.
(٣) كذا في «الأغاني» (ج ٨ ص ١٦١ و ١٦٢ وج ٢١ ص ١٧٠ و ١٧١ طبع بولاق، و «الكامل» للمبرد ج ١ ص ٣٨٦ طبع أوروبا). وفي ب، س في هذا الموضع: «خاصة» بالخاء والصاد. وفي سائر الأصول: «خامة» بالخاء والميم، وهما تحريف.
(٤) النفث: النفخ. ولعله قطعت همزة الوصل فيه للضرورة، إذ لم يرد في معاجم اللغة في مادة نفث إلا الثلاثي.
(٥) الحاج: نبت من الحمض.

صوت

أُمَّ سَلاَّمٍ أثيبي عاشقاً ... يعلمُ اللهُ يقيناً ربُّه

أنكم من عَيْشِه في نفسه ... يا سليمى فاعلَميه حَسْبُه

فارحميه إنه يَهْذِي بكم ... هائمٌ صبٌّ قَدَ أوْدَى قلبه

أنتِ لو كنتَ له راحمةً ... لم يُكَدَّر يا سليمى شِرْبُهُ

غناه حَكَمٌ رملاً بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أن فيه لابن سريج / رملاً بالوسطى. [١٢٢/٦]

ومنها:

صوت

ربّ بيتٍ كأنه متن سهم ... سوف نأتيه من قُرى بيروتِ

من بلاد ليست لنا ببلاد ... كلما جئت نحوها حُييتِ

/ أمَّ سلاّمَ لا بَرِحْتِ بخير ... ثم لا زلتِ جنّتي ما حَييتِ [٤٣/٧]

طرباً نحوكم وتَوْقاً وشوقاً ... لادّكارِيكُمُ[1] وطيب المبيتِ

حيثما كنتِ من بلاد وسرتم ... فوقاك الإله ما قد خَشِيتِ

في البيت الأوّل والثاني لابن عائشة ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن الهشاميّ، وذكر غيره[2] أنه لإبراهيم. وفي الثالث وما بعده والثاني لابن عائشة أيضاً رمل بالوسطى، ولابن سريج خفيفُ رمل بالبنصر. وقيل: إن الرّمل لعمر الوادي، وهو أن يكون له أشبه.

ومنها:

صوت

طَرَقَتْني وصِحابي هُجُوعٌ ... ظبيةٌ أدماءُ مثلُ الهلالِ

مثلُ قرن الشمس لما تبدّت ... واستقلّت في رؤوس[3] الجبال

تقطع الأهوالَ نحوي وكانت ... عندنا سلمى ألُوفَ الحِجال

كم أجازت نحوَنا من بلاد ... وَخْشةٍ قَتّالةٍ للرجال

(١) في ب، س، حـ: «لادّكاربكم» بالباء الموحدة.

(٢) كذا في ب، س، حـ، وفي سائر النسخ: «بجير» ولم نعثر على هذا الاسم في رواة الألحان.

(٣) كذا في ب، س. وفي سائر النسخ: «فوق روس».

لابن محرز فيه ثقيل أوّل مطلَق في مجرى الوسطى عن إسحاق في الثاني والثالث. ولابن سريج في الأوّل وما بعده خفيفُ ثقيل بالوسطى عن عمرو. وفيه لحن لابن عائشة ذكر الهشاميّ أنه رمل بالوسطى. وفيه خفيف رملٍ يُنسب إلى ابن سريج وعمر الوادي.

[٤٤/٧] / ومنها:

صوت

أنــا الــوليــدُ الإمــامُ مفتخِــراً ... أنْعِــم بــالــي وأتْبَــع الغَــزَلا

أهــوَى سُلَيمــى وهــي تصرِمنــي ... وليــس حَقّــاً جَفــاء مــن وصــلا

أسحَــب بُــرْدى إلــى منــازلهــا ... ولا أبــالــي مقــالَ مــن عــذَلا

غنّى فيه أبو كامل رملاً بالبنصر. وغنّى عمر الوادي فيه خفيفَ رملٍ بالوسطى، ويقال إن هذا اللحن للوليد.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال:

قال الوليد على لسان سلمى:

صوت

اقْــرَ منّــي علــى الــوليــد الســلامــا ... عــددَ النجــم قــلّ ذا للــوليــدِ

حســداً مــا حسَــدتُ أختــي عليــه ... ربُّمــا بيننــا وبيــن سعيــد

غنّاه الهذليّ خفيفَ ثقيل أوّلَ بالوسطى عن ابن المكيّ.

غضب على جاريته صدوف ثم صالحها لشعر رجل من قريش:

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا خالد بن النَّضْر القُرَشيّ بالبصرة قال حدّثنا أبو حاتم السِّجِسْتانيّ قال حدّثنا العُتْبيّ قال:

كانت للوليد بن يزيد جارية يقال لها صَدُوف؛ فغَاضَبها، ثم لم يُطِعه قلبه فجعل يتسبّب لصلحها، فدخل عليه رجل قرشيّ من أهل المدينة فكلّمه في حاجة وقد عرف خبَره، فبَرِم به؛ فأنشده:

١٢٣/٦ / أعَتَبْــتَ أن عتبــتْ عليــك صَــدُوفُ ... وعتــابُ مثِلــك مثلَهــا تشــريــف

[٤٥/٧] / لا تَقعُــدَنّ تلــوم نفســك دائمــاً ... فيهــا وأنــت بحبّهــا مشغــوف

إن القَطيعــة لا يقــوم لمثلهــا ... إلا القــويّ، ومــن يحــبّ ضعيــف

الحــبّ أملَــكُ بــالفتــى مــن نفســه ... والــذلّ فيــه مَسْلَــك مــألــوف

قال: فضحِك وجعل ذلك سبباً لصلحها، وأمر بقضاء حوائج القرشيّ كلّها.

استقدم حماداً الراوية ليسأله عن شعر وأجازه:

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال قال حمّاد الرّاوِيةُ:

استدعاني الوليد بن يزيد وأمر لي بألفين لنفقتي وألفين لعيالي، فقدِمتُ عليه. فلما دخلتُ داره قال لي الخدم: أميرُ المؤمنين من خلف الستارة الحمراء، فسلّمت بالخلافة؛ فقال لي: يا حمّاد؛ قلت: لَبَّيْك يا أمير المؤمنين؛ قال: «ثم ثاروا»؛ فلم أدر ما يَعْني فقال: وَيْحَك يا حَمّاد! «ثم ثاروا»؛ فقلتُ في نفسي: راوِية أهل العراق لا يدري عمّا يُسأل! ثم انتبهتُ فقلت:

ثم ثاروا إلى الصَّبُوح فقامت ... قَيْنةٌ في يمينها إبريقُ

قدّمَتْه على عُقَار كعين الـ ... ـدّيك صفّى سُلافَها الرّاوُوق

ثم فُضّ الخِتامُ عن حاجب[1] الدّ ... نّ وقامت لَدَى اليهوديّ سُوق

فسباها منه أشمُّ عزيز ... أريحيٌّ غذاه عيش رقيق

ـ الشعر لعديّ بن زيد. والغناء لحُنَين خفيف ثقيل أوّل بالبنصر. وفيه لمالك خفيف رمل. ولعبدالله بن العباس الرّبيعيّ رمل، كل ذلك عن الهشاميّ ـ قال: فإذا جارية قد أخرجتْ كفًّا لطيفة من تحت الستر في يدها قدح، والله ما أدري / أيّهما أحسن الكفُّ أم القدح؛ فقال: رُدّيه فما أنصفناه! تغدّينا ولم نُغَدّه! فأُتِيتُ بالغداء، وحضر أبو كامل [٦/٧] مولاه فغنّاه:

صوت

أدِرِ الكأسَ يميناً ... لا تُدِرْها ليَسارِ

اسْقِ هذا ثم هذا ... صاحبَ العُود النُّضارِ

من كُمَيْت عتّقوها ... منذُ دهر في جِرارِ

ختَموها بالأفاويـ ... ـه[2] وكافورٍ وقارِ

فلقد أيقنت أنّي ... غيرُ مبعوثٍ لنارِ

سأروض الناسَ حتى ... يركبوا أيْرَ[3] الحمار

وذَرُوا من يطلب الجـ ... ـنة يَسعى لِتَبارِ[4]

ـ فيه هزجانِ بالوسطى والبنصر لعمر الوادي وأبي كامل ـ فطرِب وبرَز إلينا وعليه غِلالة مورَّدةٌ، وشرب حتى سكر. فأقمت عنده مدّة ثم أذِن بالانصراف؛ وكتب لي إلى عامله بالعراق بعشرة آلاف درهم.

حكايات تروى عن تهتكه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنيّ قال:

لما ولِي الوليدُ بن يزيد لَهِج بالغِناء والشَّراب والصيد، وحَمل المغنّين من المدينة وغيرها إليه وأرسل إلى

---

(١) في ب، س، م: «صاحب» وهو تحريف.

(٢) الأفاويه: ما يعالج به الطيب وهي أيضاً ما أعدّ للطيب من الرياحين.

(٣) في أ، ء: «دين الحمار».

(٤) التبار: الهلاك.

١٢٤/٦ أشعب فجاء[1] به، فألبَسه سراويلَ من جلد قرد له ذَنب، وقال / له: ارقُصْ وغنّني شعراً يُعجبني؛ فإن فعلتَ فلك ألفُ درهم؛ فغنّاه فأعجبه فأعطاه ألف درهم.

[٤٧/٧] / ودخل إليه يوماً، فلما رآه الوليد كشف عن أيْره وهو مُنعِظٌ ـ قال أشعب: فرأيتُه كأنه مِزْمار آبَنُوس مدهون ـ فقال لي: أرأيتَ مثلَه قطّ؟ قلت: لا يا سيّدي؛ قال: فاسجُدْ له، فسجدت ثلاثاً؛ فقال: ما هذا؟ قلت: واحدةً لأيرك وثِنْتين لخُصْيتيك. قال: فضحك وأمر لي بجائزة.

قال: وتكلم بعضُ جلسائه والمغنّية تغنّي، فكرِه ذلك وأضجَره؛ فقال لبعض جلسائه: قُمْ فَنِكْهُ، فقام فناكه والناس حضورٌ وهو يضحك.

وذكرت جاريةٌ أنه واقعها يوماً وهو سكرانُ؛ فلما تنحّى عنها آذنه المؤذّنُ بالصلاة، فحلف ألاّ يصلّيَ بالناس غيرُها؛ فخرجت متلثّمةً فصلّت بالناس.

قال: ونزل على غدير ماء فاستحسنه. فلما سكِر حلف ألاّ يبرح حتى يشربَ ذلك الغدير كلَّه ونام، فأمر العلاءُ بن البُنْدار بالقِرَب والرَّوَايا فأُحضرت، فجعل ينزَحه ويصبّه على الأرض والكُثُبِ التي حولهم حتى لم يبق فيه شيء؛ فلما أصبح الوليد رآه قد نشِف فطرِب وقال: أنا أبو العباس! ارتحِلوا. فارتحل الناس.

نسخت من كتاب الحسين بن فهم قال النَّضْر بن حديد حدّثني ابن أبي جَنَاح قال أخبرني عمر بن جَبَلة:

أنّ الوليد بن يزيد بات عند امرأة وعدتْه المبيتَ؛ فقال حين انصرف:

قامت إليّ بتقبيلٍ تعانِقني ... رَيَّا العظامِ كأن المسك في فِيها
أُدْخُل فديتُك لا يشعُرْ بنا أحدٌ ... نفسي لنفسك من داء تُفَدِّيها
بتنا كذلك لا نومٌ على سُرُرٍ ... من شدّة الوجد تُدْنيني وأُدنِيها
[٤٨/٧] / حتى إذا ما بدا الخَيْطان[2] قلت لها ... حان الفِراقُ فكاد الحزن يُشجيها
ثم انصرفتُ ولم يشعر بنا أحدٌ ... واللّهُ عنّي بحسن الفعل يَجْزِيها

مر بنسوة من بني كلب استسقاهن وقال فيهن شعراً:

وحدّثني النَّضْر بن حَديد قال حدّثنا هشام بن الكلبيّ عن خالد بن سعيد قال:

مرّ الوليد بن يزيد وهو متصيّدٌ بنسوة من بني كلب من بني المِنْجاب، فوقف عليهن واستسقاهنّ وحدّثهن وأمر لهنّ بصلة، ثم مضى وهو يقول:

ولقد مررتُ بنِسْوة أعشيْنَني ... حُورِ المدامِع من بني المِنْجابِ
فيهنّ خَرْعبةٌ[3] مليحٌ دلُّها ... غَرْثَى الوِشاح دقيقة الأنيابِ

(١) كذا في جميع النسخ. ولعله: «فجيء به».
(٢) الخيطان: يعني بهما الخيط الأبيض والخيط الأسود من الفجر. قال الله تعالى: ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾. وقد فسرهما ﷺ فقال: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار».
(٣) الخرعبة: اللينة الرخصة الحسنة الخلق.

زَيـنُ الحـواضـر مـا ثَـوَتْ فـي حَضْـرهـا ... وتَـزيـن بـاديَهـا مـن الأعـراب

أطلق غزالاً صاده لشبهه سلمى:

قال النَّضر وحدّثني ابن الكلبيّ عن أبيه:

أن الوليد خرج يتصيّد ذات يوم، فصادت كلابه غزالاً، فأُتِي به فقال: خَلُّوه[1]، فما رأيت أشبهَ منه جِيداً وعينين بسَلْمَى. ثم أنشأ يقول:

ولقـد صِـدْنـا غـزالاً سـانحـاً ... قـد أردنـا ذبحَـه لمـا سَنَـحْ

فـإذا شبْهُـك مـا نُنكِـره ... حيـن أزجـى[2] طَـرْفَـه ثـم لَمَـح

فتـركنـاه ولـولا حبُّكـم ... فـاعلمـي ذاك لقـد كـان انـذبـح

أنـتَ يـا ظبـيُ طليـقٌ آمِـن ... فـاغـدُ فـي الغِـزْلانِ مسـروراً وَرُحْ

بعث إلى شراعة بن الزندبوذ وماجنه:

نسخت من كتاب الحسين بن فهم قال أخبرني عمرو عن أبيه عن عمرو بن واقد الدمشقيّ / قال: ١٢٥/٦

/ بعث الوليد بن يزيد إلى شُرَاعة[3] بن الزَّنْدَبُوذ، فلما قدم عليه قال: يا شُرَاعة، إني لم أستحضِرك لأسألك [٧/٤٩] عن العلم ولا لأستفتيَك في الفقه ولا لتحدّثني ولا لتقرئني القرآن؛ قال: لو سألتني عن هذا لوجدتني فيه حماراً. قال: فكيف علمُك بالفتوّة؟ قال: ابنُ بَجْدَتها، وعلى الخبير بها سقطت، فسَلْ عما شئت. قال: فكيف علمك بالأَشرِبة؟ قال: ليسألني أمير المؤمنين عما أحبّ. قال: ما قولُك في الماء؟ قال: هو الحياة، ويَشْرَكني فيه الحمار. قال: فاللّبن؟ قال: ما رأيته قطّ إلا ذكرت أميّ فاستحييتُ. قال: فالخمر؟ قال: تلك السارّة البارّة[4] وشراب أهل الجنة. قال: لله درّك! فأيّ شيء أحسن ما يُشرب عليه؟ قال: عجبتُ لمن قدَر أن يشرب على وجه السماء في كِنّ من الحرّ والقُرّ كيف يختار عليها شيئاً!.

الوليد وحادثة المصحف:

قال وأخبرنا عمرو عن أبيه عن يحيى بن سُليم قال:

دعا الوليد بن يزيد ذات ليلة بمصحف؛ فلما فتحه وافَق ورقةً فيها: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ. مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾، فقال: أَسْجعاً سَجْعاً! علّقوه؛ ثم أخذ القوس والنَّبل فرماه حتى مزّقه؛ ثم قال:

أتُـوعِـد كـلَّ جَبَّـار عنيـدِ ... فهـا أنـا ذاك جبـار عنيـدُ

إذا لاقيـتَ ربَّـك يـوم حشـر ... فقـل[5] لله مـزّقنـي الـوليـد

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «حلوه» بالحاء المهملة، وهو تصحيف.

(٢) لعلها «أرخى» بالخاء المعجمة، فصحفها الناسخ.

(٣) كان من المجان الندماء، من أصحاب والبة بن الحباب ومطيع بن زياد وحماد عجرد. (انظر ما كتب عنه في «الأغاني» ج ١٠ ص ١٣٥، ج ١٢ ص ٩٦ و ١٠٦، ج ١٣ ص ٧٩ و ١٣٤ طبع بولاق).

(٤) في ب، س، حـ: «الباردة».

(٥) في ء: «فقل يا رب مزقني» وفي م: «فقل يا رب خرقني». وفي أ، حـ: «فقل لله خرقني».

قال: فما لبِث بعد ذلك إلا يسيراً حتى قتل.

[٧/٥٠] / غضب على جارية أمرها بالغناء في شعر لم تعرفه:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني معاوية بن بكر عن يعقوب بن عَيّاش المَرْوزيّ (من أهل ذي[1] المَرْوة) أن أباه حمل عدّةَ جَوار إلى الوليد بن يزيد؛ فدخل إليه وعنده أخوه عبد الجبار وكان حسن الوجه والشَّعَرة وفيّها؛ فأمر الوليد جاريةً منهنّ أن تغنّي:

لـو كنـتَ مـن هـاشـم أو مـن بنـي أسـد ... أو عبـد شمـس أوَ أصحـاب اللّـوا الصِّيـدِ

وأمرها أخوه أن تغنّي:

أتعجَـبُ أن طـرِبـتُ لصـوت حـادِ ... حـدا بُـزْلاً يَسِـرْنَ ببطـن وادِ

فغنّت ما أمرها به الغمر[2]؛ فغضب الوليد واحمرّ وجهه، وظن أنها فعلت ذلك ميلاً إلى أخيه. وعرفت الشرّ في وجهه، فاندفعتْ فغنّت:

صوت

أيهـا العـاتـبُ الـذي خـاف هجـري ... وبعـادي ومـا عَمَـدْتُ[3] لـذاكـا

أتُـرَى أنّنـي بغيـرك صـبٌّ ... جعـل الله مـن تظـنّ فـداكـا

أنـت كنـت الملـولَ فـي غيـر شـيء ... بئـس مـا قلـت ليـس ذاك كـذاكـا

ولَـوَ انّ الـذي عتبـتَ عليـه ... خُيِّـر النـاسَ واحـداً مـا عـداكـا

فـارْضَ عنّـي جُعلـتُ نعليـك إنّـي ... والعظيـم الجليـل أهـوى رضـاكـا

[٧/٥١] / ـ الشعر لعمر[4]. والغناء لمعبد من روايتي يونس وإسحاق، ولحنُه من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وذكر حماد في أخبار ابن عائشة أن له فيه لحناً ـ قال: فسُرّي عن الوليد وقال لها: ما منعك أن تغنّي ما دعوتك إليه؟ قالت: لم أكن أُحْسِنه، وكنتُ أحسن الصوت / الذي سألتنيه، أخذتُه من ابن عائشة؛ فلما تبيّنتُ غضبَك غنّيت هذا الصوت وكنت أخذته من معبد. تعني الذي اعتذرت به إليه. [١٢٦/٦]

---

(١) ذو المروة: قرية بوادي القرى.

(٢) في هذا الخبر الذي ساقه أبو الفرج تباين؛ فقد ذكر أن عبد الجبار هو الذي أمر الجارية بالغناء ثم قال بعد ذلك: «فغنت ما أمرها به الغمر» والغمر من أولاد يزيد بن عبد الملك وأخو الوليد. ولم نقف على أسماء أولاد يزيد كلهم. غير أن ابن قتيبة في «المعارف» و «صاحب عقد الجمان» وغيرهما ذكروا أن ليزيد ثمانية ذكور ولم يسموهم. فالغالب أن في الخبر تحريفاً في أحد الاسمين لم تتبين صوابه لخلو المصادر التاريخية والأدبية التي بين أيدينا من هذا الخبر.

(٣) في ب، س: «عهدت»، وهو تحريف.

(٤) وردت هذه الأبيات في ديوانه (ص ١٦٢ طبع أوروبا) باختلاف عما هنا.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

لو كنتَ[1] من هاشم أو من بني أسد ... أو عبد شمس أوَ أصحاب اللِّوا الصِّيدِ[2]

أو من بني نوفل أو آل مُطّلب ... أو من بني جُمَحَ الخُضْرِ الجَلاَعِيدِ[3]

أو من بني زُهْرةَ[4] الأبطالِ قد عُرِفوا ... لله دَرُّكَ لم تَهْمُمْ بتهديد

الشعر لحسّان بن ثابت، يقوله لمُسافع بن عِياض أحدِ بني تَيم بن مُرّة، وخبرُه يذكر بعد هذا. والغناء لابن سريج خفيف رمل بالخنصر[5]، وقيل: إنه لمالك.

/ ومنها:

[٥٢/٧]

صوت

أتعجَب أن طَرِبتُ لصوت حادِ ... حدا بُزْلاً يَسِرْنَ ببطن وادِ

فلا تعجَبْ فإن الحبّ أمسى ... لبُثْنة في السّواد من الفؤاد

الشعر لجميل. والغناء لابن عائشة رمل بالبنصر.

غنته جارية بشعر المخزومي فطرب وأمر بشرائها:

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال:

عُرِضتْ على الوليد بن يزيد جاريةٌ مغنيّة؛ فقال لها: غنِّي؛ فغنّتْ:

صوت

لولا الذي حُمِّلتُ من حُبّكم ... لكان من إظهاره مَخْرجُ

أو مذهبٌ في الأرض ذو فسحةٍ ... أجَلْ ومن حَجّتْ له مَذْحِجُ

لكن سباني منهمُ شادنٌ ... مربَّبٌ بينهمُ أدْعَجُ

---

(١) وردت هذه القصيدة في «ديوانه» و «الكامل» و «المبرد» (ج ١ ص ١٤١) باختلاف عما هنا.

(٢) هاشم: يريد به هاشم بن عبد مناف بن قصيّ. وبنو أسد هم بنو أسد بن عبد العزي بن قصيّ. وعبد شمس هو ابن عبد مناف بن قصيّ. وأصحاب اللواء: بنو عبد الدار بن قصيّ. والصيد: جمع أصيد وهو الملك أو من هو رافع رأسه كبراً.

(٣) بنو نوفل هم بنو نوفل بن عبد مناف بن قصيّ. وآل مطلب، هم أبناء المطلب بن عبد مناف بن قصيّ. وبنو جمح هم بنو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي. والخضر فيه قولان: أحدهما أنه يريد سواد جلودهم كما قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

وأنا الأخضر من يعرفني ... أخضر الجلدة في بيت العرب

والقول الثاني أنه شبههم في جودهم بالبحور. والجلاعيد: الشداد الصلاب، وأحدهم جلعد، وزاد الياء للحاجة.

(٤) بنو زهرة: أبناء زهرة بن كلاب بن مرة. (انظر «الكامل» ص ١٤٢ طبع أوروبا في شرح هذه الأبيات).

(٥) في أ، ء، م: «بالبنصر».

أغـــرُّ ممكـــورٌ هَضِيـــمُ الحَشَـــى قـــد ضـــاق عنـــه الحَجْـــلِ والـــدُّمْلُـــج

فقال لها الوليد: لمن هذا الشعر؟ قالت: للوليد بن يزيد المَخْزوميّ. قال: فمِمَّن أخذتِ الغناء؟ قالت: من حُنَيْن. فقال: أعِيدِيه، فأعادته فأجادت؛ فطرِب الوليد ونعر[1] وقال: أحسنتِ وأبي وجمعتِ كلّ ما يُحتاج إليه في غنائك، وأمر بابتياعها، وحَظِيتْ عنده.

غنّى في هذا الصوت ابن سريج ولحنُه رمل بالبنصر. وغنّى فيه إسحاق فيما ذكر الهشاميّ خفيفَ ثقيلٍ.

[٥٣/٧] / وممّا يغنّى به من هذه القصيدة:

صوت

قـــد صـــرّح القـــوم ومـــا لَجْلَجُـــوا لَجُّـــوا علينـــا ليـــت لـــم يَلْجَجُـــوا

بـــاتـــوا وفيهـــم كـــالمَهَـــا طَفْلَـــةٌ قـــد زانهـــا الخلخـــال والـــدُّمْلُـــج

غنّاه صباح[2] الخَيّاط خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر. وغنّى فيه ابن أبي الكَنّات خفيفَ ثقيل بالوسطى.

حسان بن ثابت وهجوه مسافع بن عياض:

فأمّا خبر الشعر الذي قاله حَسّان بن ثابت لمُسَافِع بن عِيَاض أحدِ بني تَيْم بن مُرَّة، فأخبرني به الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا عثمان بن عبد الرحمن:

أنّ عبيد[3] الله بن مَعْمَر وعبدالله[4] بن عامر بن كُرَيْز اشتريا من عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقيقاً ممّن سُبِي، ففضل عليهما ثمانون ألف درهم؛ فأمر بهما عمر أن يُلْزَما[5]. فمرّ / بهما طلحة[6] بن عُبيد الله وهو يريد الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ / فقال: ما لابن مَعْمَرٍ يُلاَزَم؟ فأُخبر خبرَه؛ فأمر له بالأربعين ألفاً[7] التي عليه تُقضى عنه. فقال ابن معمر لابن عامر: إنها إن قُضيتْ عنّي بقِيتَ مُلاَزَماً، وإن قضيتُ عنك لم يتركني طلحة حتى يقضيَ عنّي؛ فدفع إليه الأربعين ألفا[7] درهم فقضاها ابن عامر عن نفسه وخُلِّيت سبيلُه. فمرّ طلحة منصرفاً من

١٢٧/٦ [٥٤/٧]

(١) نعر: صوّت بخيشومه وهو كناية عن الطرب والاستحسان.

(٢) في حـ «صياح» بالياء المثناة من تحت.

(٣) هو عُبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو القرشيّ التيميّ، اختلف في صحبته، قيل: إنه صحب النبيّ ﷺ وكان من أحدث أصحابه سناً، وقيل: إنه لا يطلق على مثله أنه صحب النبيّ ﷺ وهو غلام. واستشهد باصطخر مع ابن عامر وهو ابن أربعين سنة وكان على مقدمة الجيش. (راجع «أسد الغابة في معرفة الصحابة» ج ٣ ص ٣٤٥ طبع بولاق).

(٤) هو عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة القرشي العبشمي ابن خال عثمان بن عفان. ولد على عهد رسول الله ﷺ. وكان كريماً ميمون النقيبة. واستعمله عثمان على البصرة سنة تسع وعشرين وهو ابن خمس وعشرين سنة، فافتتح خراسان كلها وأطراف فارس وسجستان وكرمان. وكان أحد الأجواد الممدّحين توفي سنة سبع وخمسين أو ثمان وخمسين. (راجع «أسد الغابة» ج ٣ ص ١٩١ طبع بولاق).

(٥) لزم الغريم ولازمه: تعلق به.

(٦) هو طلحة بن عُبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشيّ التيميّ، يعرف بطلحة الخير وطلحة الفياض. وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، شهد أحداً وما بعدها وبايع بيعة الرضوان وأبلى يوم أحد بلاء عظيماً ووقى رسول الله ﷺ بنفسه. قتل يوم الجمل لعشر خلون من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين، وكان عمره ستين أو اثنتين وستين أو أربعاً وستين سنة. (راجع «أسد الغابة» ج ٣ ص ٥٩).

(٧) في الأصول: «الألف» بالألف واللام.

الصلاة فوجد ابنَ معمر يلازَم فقال: ما لابن معمر؟ ألم آمُرْ بالقضاء عنه! فأُخبر بما صنع؛ فقال: أمّا ابن معمر فعلم أنّ له ابن عم لا يُسْلِمه، احمِلوا عنه أربعين ألف درهم فاقضوها عنه، ففعلوا وخُلِّي سبيلُه. فقال حَسَّان بن ثابت لمُسافع بن عِيَاض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة:

يـا آلَ تَيْـم ألاَ تَنْهَـوْن جـاهلَكـم ... قبـل القِـذاف بصُـمٍّ كـالجـلاميـدِ

فنَهْنِهُـوه[1] فـإنّـي غيـرُ تـارككـم ... إن عـاد مـا اهتـزّ مـاءٌ فـي ثَـرَى عـودِ

لـو كنـتَ مـن هـاشـم أو مـن بنـي أسـد ... أو عبـد شمـس أوَ أصحـاب اللِّـوا الصِّيـد

أو مـن بنـي نـوفـل أو آل مُطَّلِـبٍ ... أو مـن بنـي جُمَـحَ الخُضْـرِ الجَـلاَعيـد

أو مـن بنـي زُهْـرةَ الأبطـال قـد عُـرِفـوا ... لله دَرُّك لـم تَهْمُـمْ بتهـديـد

أو فـي الـذُّؤابـة مـن تَيْـم إذا انتَسبـوا ... أو مـن بنـي الحـارث البيـض الأمـاجيـد

لكـن سـأصـرفهـا عنكـم وأعـدِلُهـا ... لطلحـةَ بـن عُبيـد الله ذي الجـود

رجع الخبر إلى سِياقة أخبار الوليد:

الوليد بن يزيد وأبو الأقرع الشاعر:

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنا عبدالله بن عمرو قال قال الهَيْثم حدّثني ابن عَيّاش قال:

/ دخل أبو[2] الأقرع على الوليد بن يزيد؛ فقال له: أنشِدْني قولَك في الخمر؛ فأنشده قولَه: [٧/ ٥٥]

كُمَيْـتٌ إذا شُجّـتْ وفـي الكـأس وَرْدةٌ ... لهـا فـي عظـام الشـاربيـن دبيـبُ

تُـرِيـك القَـذَى مـن دونهـا وهـي دونَـه ... لـوجـه أخيهـا فـي الإنـاء قُطُـوبُ

فقال الوليد: شربتَها يا أبا الأقرع وربِّ الكعبة! فقال: يا أمير المؤمنين، لئن كان نَعْتي لها رابك لقد رابني معرفتُك بها.

رأى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب بن عبد الرحمن فأعجبته:

أخبرني الحسن قال حدّثني ابن مَهْرويه قال حدّثني عبدالله بن عمرو قال قال المدائنيّ:

نظر الوليد بن يزيد إلى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب بن عبد الرحمن بن عَوْف وقد مرّوا بين يديها بالشمع ليلاً؛ فلما رآها أعجبته وراعه جمالُها وحسنها؛ فسأل عنها فقيل له: إن لها زوجاً؛ فأنشأ يقول:

---

(١) نهنهوه: ازجروه وكفوه.

(٢) كذا فيما سيأتي من «الأغاني» في الكلام على ترجمته (ج ١٢ ص ٢٥ طبع بولاق). وهو عبدالله بن الحجاج بن محصن بن جندب، شاعر فاتك شجاع من معدودي فرسان مضر. خرج على عبد الملك بن مروان مع عمرو بن سعيد الأشدق ثم استأمن من عبد الملك فأمنه. وفي جميع النسخ هنا: «ابن الأقرع».

صوت

إنمـــا هـــاج لقلبـــي ... شَجْـــوَه بعـــد المَشيـــبِ
نظـــرةٌ قـــد وقَـــرَتْ فـــي الـ ... ـقلـــب مـــن أمّ حبيـــب
فـــإذا مـــا ذقـــتُ فـــاهـــا ... ذقـــت عـــذبـــاً ذا غَـــروب[1]
خـــالـــط الـــراح بمســـك ... خـــالـــصٍ غيـــر مشـــوب

[٧/٥٦] [١٢٨ / ٦] / غنّاه ابن محرز خفيفَ رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ؛ وذكر عمرو بن بانة أنه للأبجر، وهو الصحيح.

الوليد بن يزيد في آخر دولته:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرَانيّ عن النَّضْر بن عمرو عن العُتْبيّ قال:

لمّا ظهرت المُسوِّدَةُ[2] بخُرَاسان كتب نصر بن سَيّار إلى الوليد[3] يستمدّه، فتشاغَل عنه؛ فكتب إليه كتاباً وكتب في أسفله يقول:

أرى خَلَـــلَ الـــرَّمـــاد وَمِيـــضَ جمـــرٍ ... وأحْـــرِ بـــأن يكـــون لـــه ضِـــرامُ
فـــإن النـــار بـــالعـــوديـــن تُـــذْكَـــى ... وإنّ الحـــرب مبـــدؤهـــا الكـــلام
فقلـــتُ مـــن التعجّـــب ليـــت شعـــري ... أأيقـــاظٌ أميّـــةُ أم نِيـــامُ

فكتب إليه الوليد: قد أقطعتُك خراسانَ، فاعمل لنفسك أودَعْ، فإني مشغول عنك بابن سريج ومعبد والغريض.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابنُ مهرويه قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد عن ابن الصبّاح عن ابن الكلبيّ عن حَمّاد الراوية قال:

دخلت يوماً على الوليد وكان آخرَ يوم لقِيتُه فيه، فاستنشدني فأنشدتُه كلَّ ضرب من شعر أهل الجاهليّة والإسلام؛ فما هَشّ لشيء منه حتى أخذتُ في السُّخف فأنشدته لعَمّار[4] ذي مجنبذاً[5]:

[٧/٥٧] / أشتهـــي مِنْـــكِ منـــك منـ ... ـــك مكـــانـــاً مُجَنْبَـــذا[6]

---

(١) الغروب: جمع غرب وهو كثرة ريق الفم وبلله. وغروب الأسنان: مناقع ريقها، وقيل: أطرافها وحدتها وماؤها. قال عنترة:

إذ تستبيـــك بـــذي غـــروب واضـــحٍ ... عـــذب مقبلـــه لـــذيـــذ المطعـــم

(٢) المسوّدة: المراد بهم دعاة بني العباس. وكان السواد شعاراً للعباسيين وشيعتهم.

(٣) الذي في «مروج الذهب» (ج ٢ ص ١٥٩ طبع بولاق) و «ابن الأثير» (ج ٥ ص ٢٧٨ طبع أوروبا) وسائر كتب التاريخ أن نصر بن سيار إنما بعث بهذا الشعر إلى مروان بن محمد الجعدي آخر ملوك بني أمية.

(٤) كذا في حـ، ب مصححة بقلم المرحوم الشنقيطي وهو الموافق لما سيأتي في «الأغاني» (ج ٢٠ ص ١٧٤ طبع بولاق) في ترجمته وهو عمار بن عمرو بن عبد الأكبر يلقب ذا كنار. كان شاعراً ماجناً خميراً معاقراً للشراب وقد حدّ فيه مراراً، وكان يقول شعراً طريفاً يضحك من أكثره جم السخف. وهو صديق حماد الراوية. وقد نشأ في دولة بني أمية. وفي سائر النسخ: «عمار بن ذي كناز». والظاهر أن لفظة «ابن مقحمة من الناسخ.

(٥) وردت هذه الكلمة هكذا في الأصول ولا معنى لها.

(٦) في ب، س، حـ: «يجنب ذا»، وهو تحريف. والمجنبذ: المرتفع.

فـــأجَـــا[١] فيـــه فيـــه فيــ ـــــه بـــــأيْــــر كمثــــل ذا
ليــت أيْـــري وحِـــرَك يــو مـــاً جميعـــاً تجـــابَـــذَا[٢]
فـــأخــــذ ذا بشعــــر ذا وأخــــذ ذا بقعــــر ذا

فضحك حتى استلقى وطرب، ودعا بالشراب فشرب؛ وجعل يَستعيدني الأبياتَ فأعيدها حتى سكِر وأمر لي بجائزة؛ فعلمتُ أن أمره قد أدبر. ثم أُدخلتُ على أبي مُسْلم فاستنشدني فأنشدتُه، قولَ الأفْوَه[٣]:

* لنا معاشرُ لم يبنوا لقومهمُ *

فلما بلغت إلى قوله:

تُهـدَى الأمـورُ بـأهـل الـرشـد مـا صَلَحَـتْ وإن تـــولّـــت فبـــالأشـــرار تَنقـــادُ

قال: أنا ذلك الذي تنقاد به الناس؛ فأيقنت حينئذ أنّ أمره مُقْبِل.

خطب يوماً خطبة الجمعة بشعر:

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال: وجدت في كتاب[٤] عن عُبيد الله بن سعيد الزُّهْرِيّ عن عمر عن أبيه قال:

خرج الوليد بن يزيد وكان مع أصحابه على شراب؛ فقيل له: إن اليوم الجمعة؛ فقال: والله لأخطبنّهم اليوم بشعر؛ فصعِد المنبرَ فخطب فقال:

الحمـــــد لله ولـــــيّ الحمـــــد أحمَـــدُه فـــي يُسْـــرنـــا والجَهْـــدِ
وهـــو الـــذي فـــي الكـــرب أستعيـــنُ وهـــو الـــذي ليـــس لـــه قـــريـــنُ
/ أشهـــد فـــي الـــدنيـــا ومـــا ســـواهـــا أن لا إلَـــه غيـــره إلَهـــاً [٥٨/٧]
مـــا إن لـــه فـــي خَلْقـــه شَـــريـــكُ قـــد خضَعـــتْ لملكـــه الملـــوك
أشهـــد أن الـــدّيـــن ديـــنُ أحمـــدِ فليـــس مـــن خـــالَفـــه بمهتـــدِي
وأنّـــــه رســـــول ربّ العـــــرشِ القـــادرِ الفـــردِ الشـــديـــدِ البطـــشِ
أرسلـــه فـــي خَلْقـــه نـــذيـــراً وبـــالكتـــاب واعظـــاً بشيـــراً
/ ليُظهِـــرَ اللَّـــهُ بـــذاك الـــدِّينـــا وقـــد جُعِلْنـــا قبـــلُ مُشـــركينـــا ١٢٩/٦
مـــن يُطِـــع اللَّـــهَ فقـــد أصـــابـــا أو يَعْصِـــه أو الـــرســـولَ خـــابـــا
ثـــم القُـــرانُ والهـــدى السبيـــلُ قـــد بقِيـــا لمّـــا مضـــى الـــرســـولُ

---

(١) أجا سهل أجأ: والوجء: اللكز.
(٢) في حـ وفيما سيأتي في ترجمته: «تآخذا».
(٣) هو الأفوه الأودي واسمه صلاة بن عمرو من مذحج ويكنى أبا ربيعة. وقد وردت هذه القصيدة في ديوانه (نسخة ضمن مجموعة مخطوطة بقلم الشيخ الشنقيطي محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٢ أدب ش) ومطلعها فيه وفي «الأغاني» (ج ١١ ص ٤٤ طبع بولاق) يختلف عما هنا.
(٤) في حـ: «كتاب عُبيد الله بن سعيد».

كـــأنّـــه لمـــا بقـــي لـــديكُـــم حـــيٌّ صحيـــحٌ لا يـــزال فيكـــم
إنّكُـــم مـــن بعـــدُ إن تَـــزِلُّـــوا عـــن قصـــده أو نَهجِـــه تَضِلُّـــوا
لا تَتْـــركـــنْ نصحـــي فـــإنّـــي نـــاصـــحُ إنّ الطـــريـــق فـــاعلمـــنّ واضـــحُ
مـــن يتّـــقِ الله يَجِـــد غِـــبَّ التّقـــى يـــوم الحســـاب صـــائـــراً إلـــى الهـــدى
إن التُّقـــى أفضـــلُ شـــيءٍ فـــي العمـــل أرَى جِمـــاعَ البِـــرّ فيـــه قـــد دخـــلْ
خـــافـــوا الجحيـــمَ إخـــوتـــي لعلّكـــم يـــومَ اللقـــاء تعـــرِفـــوا مـــا ســـرَّكُـــمْ
قـــد قيـــل فـــي الأمثـــال لـــو علمتُـــم فـــانتفِعـــوا بـــذاك إن عَقَلتُـــم
مـــا يـــزرع الـــزارعُ يـــومـــاً يحصـــدُهْ ومـــا يقـــدِّم مـــن صـــلاح يحَمَـــدُهْ
فـــاستغفِـــروا ربَّكُـــم وتـــوبـــوا فـــالمـــوتُ منكـــم فـــاعلمـــوا قـــريـــبُ

ثم نزل.

الوليد بن يزيد والوليد البندار:

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني عليّ بن محمد النّوْفليّ عن أبيه عن الوليد البُنْدار[1] قال:

[٥٩/٧] / حجَجتُ مع الوليد بن يزيد؛ فقلت له لما أراد أن يخطبَ الناسَ: أيها الأمير، إن اليوم يومٌ يشهَدُه الناسُ من جميع الآفاق، وأريد أن تشرّفني بشيء. قال: وما هو؟ قلتُ: إذا علوتَ المنبر دعوتَ بي فيتحدّث الناس بذلك وبأنك أسْرَرْتَ إليّ شيئاً؛ فقال: أفعلُ. فلما جلس على المنبر قال: الوليد البُنْدار؛ فقمتُ إليه؛ فقال: ادْنُ منّي فدنوتُ؛ فأخذ بأُذُني ثم قال: البُندار ولدُ زنا، والوليدُ ولدُ زنا، وكلُّ من ترى حولنا ولدُ زِنا، أفهمتَ؟ قلتُ: نعم؛ قال: انزل الآن، فنزلتُ.

نادرة له مع أشعب:

أخبرني محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عَدِيّ عن أشْعَب قال:

دخلتُ على الوليد بن يزيد الخاسر وقد تناول نبيذاً، فقال لي: تَمَنّ؛ فقلت: يتمنّى أميرُ المؤمنين ثم أتمنّى؛ قال: فإنّما أردتَ أن تَغلِبَني، فإني لأتمنّى ضعف ما تتمنّى به كائنا ما كان؛ قلت: فإني أتمنّى كِفْلَيْن[2] من العذاب؛ فضحك ثم قال: إذاً نوفّرهما عليك. ثم قال لي: ما أشياءُ تبلُغُني عنك؟ قلتُ: يكذبون عليّ. قال: متى عهدُك بالأصمّ؟ قلتُ: لا عهدَ لي به. فأخرج أيرَه كأنه نايٌ مدهون، فسجدتُ له ثلاث سجدات؛ فقال: وَيْلَك إنما يسجُد الناسُ سَجدةً واحدةً؛ فقلت: واحدةً للأصمّ واثنتين لخُصْيتيك.

(١) البندار: الخازن.

(٢) الكفل: النصيب.

كان يغالي بالجوهر:

أخبرنا محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثنا محمد بن عليّ بن حمزة قال حدّثني عبد الصمد بن موسى الهاشميّ قال:

إنما أغْلَى الجوهرَ بنو أميّة؛ ولقد كان الوليد بن يزيد يلبَس منه العقودَ ويغيّرها في اليوم مراراً كما تُغيَّر الثياب شغفاً؛ فكان يجمعه من كلّ وجه ويُغَالِي به.

/ **برز للناس راكباً فرساً وهو متهتك:** [٧/ ٦٠].

قال: وكان يوماً داره على فرس له وجاريةٌ تضرِب بطبل قدّامَه؛ فأخذه منها ووضعه على رقبته، ونفَر الفرسُ من صوت الطبل فخرج به على أصحابه في هذه الهيئة، وكان خليعاً.

قدم المدينة وبعث لابن يسار بخمر:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الخرّاز عن المدائنيّ عن جُوَيرية بن أسماء قال:

قدِم / الوليد بن يزيد المدينةَ؛ فقلت لإسماعيل بن يَسار: أحْذِنا[١] ممّا أعطاك الله؛ فقال: هَلُمّ أُقاسمْك إن قبلتَ، بعَث إليّ براويةٍ[٢] من خمر. ١٣٠/٦

مر بإسكار حاجبه وكان لا يشرب:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني عمّي مُصعَب قال حدّثني رجل قال:

كان الوليد بن يزيد إذا أصبح يومَ الاثنين تغدّى وشرِب رِطْلين ثم جلس للناس. قال: فحدّثني عمر الوادي قال: دخلتُ عليه وعنده أصحابُه وقد تغدّى وهو يشرب؛ فقال لي: اشرب فشرِبت، وطرب، وغنّى صوتاً واحداً وأخذ دَفّافة فدفف بها، فأخذ كلُّ واحد منا دفافة فدفف[٣] بها، وقام وقمنا حتى بلغنا إلى الحاجب؛ فلما رآنا الحاجب صاح بالناس: الحُرَم الحُرَم؛ اخرُجوا. ودخل الحاجب فقال: جعلني اللّهُ فداءَك، اليومَ يحضُر فيه الناس؛ فقال له: اجلس واشرب؛ فقال: إنما أنا حاجب فلا تحمِلْني على الشّراب فما شربته قطّ؛ قال: اجلس فاشرب، فامتنع؛ فما[٤] فارقناه حتى صببنا في حلقه بالقِمَع وقام وهو سكران.

قيل إنه افترع بنتاً له وكذب ذلك أبو الفرج:

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني يعقوب بن شَريك قال حدّثني عمّي علي بن عمرو قَرْقارة قال حدّثني أُنَيْف بن هشام بن الكلبيّ ومات قبل أبيه قال حدّثني أبي قال:

/ خرج الوليد بن يزيد من مقصورةٍ له إلى مقصورةٍ؛ فإذا هو ببنت له معها حاضِنتُها، فوثب عليها فافترعها؛ [٧/ ٦١] فقالت له الحاضِنة: إنها المجوسيّة؛ قال: اسكتي! ثم قال:

---

(١) أحذى الرجل: أعطاه مما أصابه.

(٢) الراوية: المزادة (القربة).

(٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «يدفف».

(٤) في ب، س: «لما» وهو تحريف.

مــــن راقــــب النــــاسَ مــــات غمَّــــا وفــــاز بـــــاللــــذَّة الجَســــورُ

وأحسب أنا أنّ هذا الخبر باطلٌ؛ لأنّ هذا الشعر لسَلْم الخاسر، ولم يُدرك زمن الوليد.

تمنى غلاء الخمر وعزة النساء لئلا يبتذلا:

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال أخبرني مَسْلَمة بن سَلْم الكاتب قال:

قال الوليد بن يزيد: ودِدْتُ أنّ كل كأس تشرب من خمر بدينار، وأن كلّ حِرٍ في جبهة أسد، فلا يَشرب إلا سخيّ، ولا ينكِح إلا شجاعٌ.

شرب شرب الفرس سبعة أسابيع:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مصعب قال: سمعت رجلاً يحدّث أبي بالكوفة قال:

أرسلت إلى الوليد جَفْنةٌ مملوءةٌ قواريرَ فِرْعَوْنيّة لم يُرَ[1] مثلُها قطّ. فلما أمسينا صبَبْنا فيها الشراب في ليلة أربعَ عشرةَ، حتى إذا استوى القمر على رؤوسنا وصار في الجفنة قال الوليد: في أيّ منزلةِ القمرُ الليلةَ؟ فقال بعضهم: في الحَمَل، وقال بعضهم: في منزلة كذا وكذا من منازل القمر؛ فقال بعض جلسائه: القمرُ في الجفنة؛ قال: قاتَلك الله! أصبتَ ما في نفسي! لتَشْرِبنّ الهفتجنّة[2]. فقال مصعب: فسأل أبي عن الهفتجنّة فقال: شُرْب كانت الفرس تشربه سبعةَ أسابيع. فشرب تسعةً وأربعين يوماً.

[٦٢/٧] / غناه المغنون فطرب واعترض على شعر لابن أذينة:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبدالله الزُّهريّ عن عبدالله بن عِمْران بن أبي فَرْوة قال أخبرني خالد صامة المغنّي وكان من أحسن الناس غناءً على عودٍ، قال:

بعث إليّ الوليد بن يزيد، فقدِمتُ عليه، فوجدتُ عنده معبداً ومالكاً والهُذَليّ وعمر الوادي وأبا كامل؛ فغنّى القوم ونحن في مجلس يا لَه من مجلس! وغلامٌ للوليد يقال له سَبْرة يَسقي القومَ الطِّلاءَ، إذ جاءت نَوْبةُ الغناء إليّ، ١٣١/٦ فأخذتُ / عودي فغنّيت بأبيات قالها عُروة بن أُذينة يرثي أخاه بكراً:

صوت

سَــرَى همّــي وهــمُّ المــرء يَســري وغــار النجــمُ إلا قِيــدَ[3] فِتْــرِ

أُرَاقــب فــي المَجَــرّة كــلّ نجــم تعــرّض فــي المجــرّة كيــف يَجــري

---

(١) في ب، س: «لم أرَ».

(٢) وردت هذه الكلمة محرّفة في الأصول وصوابها ما أثبتناه وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين «هفت» ومعناها سبعة و «جنة» ومعناها مرح.

(٣) في م، ء، حـ: «قيس شبر». والقاد والقيد والقاس والقيس، كل ذلك القدر.

بحُــزْن مــا أزال لــه مُــديمــاً كـأنّ القلـب أُسعـر حـرَّ جمـر
علـى بكـر أخـي ولّـى حميـداً وأيُّ العيـش يحسُـن بعـد بكـر

ـ غنّاه ابن سريج ثانيَ ثقيل بالوسطى. وغنّى فيه ابن عَبّاد الكاتب ولحنه رمل بالوسطى عن الهشاميّ ـ قال خالد: فقال لي الوليد: أعِدْ يا صَامُ فأعدتُ؛ فقال: من يقوله ويحك؟ قلتُ: ابن أذينة؛ قال: هذا والله العيش الذي نحن فيه على رغم أنفه، لقد تحَجَّر[1] واسعاً. قال عبد الرحمن بن عبدالله قال عبدالله بن أبي فَرْوة: وأنشدها ابنُ أذينة ابنَ أبي عتيق؛ فضحك ابن أبي عتيق وقال: كلّ العيش يحسُن حتى الخبز والزيت؛ فحلَف ابن أذينة لا يكلّمه أبداً؛ فمات ابن أبي عَتيق وابنُ أذينة مهاجِرٌ له.

/ أنشدت سكينة بنت الحسين شعر ابن أذينة فاعترضت عليه: [٧/٦٣]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال: بلغني أن سكينة بنت الحسين رضي الله عنها أُنْشِدَتْ، وأخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير عن مصعب قال: أُنشدت سكينةُ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن عبّاد عن أبيه عن أبي يحيى العِباديّ:

أنّ سكينة أنشدت أبياتَ عروة بن أذينة في أخيه بكر؛ فلما انتهت إلى قوله:

علـى بكـر أخـي ولّـى حميـداً وأيُّ العيـش يحسُـن بعـد بكـر

قالت سكينة: ومن أخوه بكر! أليس الدَّحْداحَ[2] الأُسَيِّدَ القصير الذي كان يمرّ بنا صباحاً ومساء؟ قالوا: نعم؛ قالت: كلّ العيش والله يصلح ويحسن بعد بكر حتى الخبز والزيت.

سبق سليمان بن عبد الملك بين المغنين ببدرة فأخذها ابن سريج:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ عن إسحاق قال:

قدِم سليمان بن عبد الملك المدينةَ، فجمع المغنّين وسَبَّق[3] بينهم ببَدْرة، وقال: أيّكم كان أحسن غناءً فهي له؛ فاجتمعوا. فبلغ الخبرُ ابنَ سريج، فجاء وقد أُغلِق الباب؛ فقال للحاجب: استأذِن لي؛ قال: لا يُمكن وقد أُغلق الباب، ولو كنتَ جئت قبل أن يُغلَق الباب لاستأذنتُ لك. قال: فدعني أغنّ من شقّ الباب؛ قال نعم. فسكتَ حتى فرغ جميعُ المغنّين من غنائهم ثم اندفع فغنّى:

* سرى همّي وهمُّ المرء يسري *

فنظر المغنّون بعضُهم إلى بعض وعرفوه؛ فلما فرغ قال سليمان: أحسن والله! هذا والله أحسنُ منكم غناءً، أُخرج يا غلام إليه بالبَدْرة، فأخرجها إليه.

---

(١) تحجر واسعاً: ضيقه.
(٢) الدحداح: القصير الغليظ البطن. والأسيد: تصغير الأسود.
(٣) يقال: سبق البدرة بين الشعراء، من غلب أصحابه أخذها، أي جعلها سبقاً بينهم (انظر «أساس البلاغة» و «شرح القاموس» مادة سبق. وفي س: «سابق».

[٧/٦٤] / الوليد بن يزيد وفرسه السندي:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن ابن جُعْدُبَة:

أنّ رجلاً أهدى إلى هشام بن عبد الملك خيلاً، فكان فيها فرس مَرْبُوعٌ[١] قريبُ الرِّكاب؛ فعرف الوليد منه ما لم يعرف هشام، فنَهر الرجلَ وشتَمه وقال. أتَجيء بمثل هذا إلى أمير المؤمنين! رُدّوه عليه، فردّوه. فلما خرج وجّه إليه بثلاثين ألف درهم وأخذه منه؛ فهو فرسه الذي يسمّيه السِّنْديّ.

فأخبرني بعض أصحابي أن الوليد خرج يوماً يتصيّد وحده؛ فانتدَب إليه مولًى لهشام يريد الفتك به. فلما بَصُر به الوليد حاوَله فقهره بفرسه الذي كان / تحته فقتله. وقال في ذلك: ١٣٢/٦

ألـم تَـرَ أنّـي بيـن مـا أنـا آمـنٌ ... يَخُـبّ بـي السِّنْـديّ قفـراً فَيـافِيَـا

تطلّعـتُ مـن غَـوْرٍ فـأبصـرتُ فـارسـاً ... فـأوجسـتُ منـه خِيفـةً أن يـرانيـا

ولمـا بـدا لـي أنمـا هـو فـارس ... وقفـتُ لـه حتـى أتـى فـرمـانيـا

رمـانـي ثـلاثـاً ثـم إنّـي طعنتُـه ... فـروَّيْـتُ منـه صَعْـدتـي وسِنـانيـا

غنّاه أبو كامل لحناً من الماخُوريّ بالبنصر. ولإبراهيم فيه ثقيل أوّل، وقيل: إن له فيه ماخُوريًّا آخر. وفيه لعمر الوادي ثاني ثقيل. ولمالك رَمَلٌ من رواية الهشاميّ.

قال: وقال الوليد أيضاً في فرسه السِّنْديّ:

قـد أغتـدِي بـذي سَبِيـبٍ هَيْكَـلِ[٢] ... مُشَـرَّب[٣] مثـلِ الغـرابِ أرْجَـلِ[٤]

[٧/٦٥] / أعـددتـه لحَلَبـاتِ الأحـولِ ... وكـلِّ نَقْـعٍ ثـائـرٍ لجَحْفَـلِ

* وكلِّ خَطْبٍ ذي شؤونٍ مُعْضِلِ *

فقال هشام: لكنّا أعددنا له ما يسوءه، نخلَعه ونُقْصِيه، فيكون مهاناً مدحوراً مُطَّرَحاً.

ماتت سلمى بعد زفافها بسبعة أيام فرثاها:

نسخت من كتاب أحمد بن أبي طاهر حدّثني أبو الحسن[٥] العَقِيليّ:

أنّ الوليد لمّا ولي الخلافةَ خطَب سَلْمَى التي كان يَنْسُب بها، فزُوِّجها لمّا مضى صدرٌ من خلافته؛ فقامت عنده سبعةَ أيام فماتت؛ فقال يرثيها:

يـا سلـم كنـتِ كجنّـةٍ قـد أطْعَمـتْ[٦] ... أفنـانُهـا دانٍ جَنـاهـا مُـوَضَّـع[٧]

(١) المربوع: الوسيط القامة.
(٢) الهيكل من الخيل: الكثيف العبل اللين، وهو أيضاً الطويل علواً وعدواً.
(٣) المشرب: الممزوج لونه بحمرة.
(٤) الأرجل من الخيل: الذي في إحدى رجليه بياض. والرجل مكروه في الخيل إلا أن يكون به وضح غيره. (عن «اللسان» مادة رجل).
(٥) في ب، س، حـ: «أبو الحسين»، وهو تحريف.
(٦) أطعمت الشجرة: أثمرت.
(٧) الموضع: المنضد.

أربابُها شَفَقاً[1] عليها نومُهم ... تحليل موضعها ولمّا يَهْجَعوا

حتى إذا فسح الربيعُ ظنونَهم ... نثر الخريفُ ثمارَها فتصدّعوا

أمر وهو سكران بقتل نديمه القاسم ثم ندم ورثاه:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي العالِية، وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن سَعيد عن الزُّبَير بن بَكّار عن عمّه:

أنّ الوليد بن يزيد لمّا انهمك على شربه ولذّاته ورفَض الآخرةَ وراء ظهره وأقبل على القَصْف والعسف مع المغنّين مثل مالك ومعبد وابن عائشة وذويهم، كان نديمُه القاسمَ بن الطويل العباديّ، وكان أديباً ظريفاً شاعراً، فكان لا يصبر عنه؛ فغنّاه معبد ذات يوم شعر عديّ:

صوت

بكَر العاذلون في وَضَح الصبـ ... ـح يقولون لي ألا تَستفيقُ

لست أدري وقد جفاني خليلي ... أعدوٌّ يلومني أم صديق

/ ثم قالوا ألا اصْبَحونا فقامت ... قينةٌ في يمينها إبريق [٦٦/٧]

قدّمتْه على عُقار كعين الـ ... ـدّيك صَفّى سُلافَها الرّاووق

ـ فيه لمعبد ثقيل ويقال إنه لحُنَين. وفيه لمالك خفيف رمل. وفيه لعبدالله بن العباس رَمَلٌ كلُّ ذلك عن الهشاميّ ـ قال: فاستحسنه الوليد وأُعجِب به وطرب عليه وجعل يشرب إلى أن غلَب عليه السكر فنام في موضعه، فانصرف ابن الطويل. فلما أفاق الوليد سأل عنه، / فعُرِّف حين انصرافه؛ فغضب وقال وهو سكران لغلام كان واقفاً على رأسه يقال له سَبْرة: ائتني برأسه، فمضى الغلام حتى ضرب عنقَه وأتاه برأسه فجعله في طَسْت بين يديه؛ فلما رآه أنكره وسأل عن الخبر فعُرِّفَه، فاسترجَع وندم على ما فرط منه، وجعل يقلِّب الرأس بيده. ثم قال يرثيه: [١٣٣/٦]

صوت

عَيْنَيَّ للحَدَث الجليل ... جُودَا بأربعةٍ[2] هُمُول

جودا بدمع[3] إنّه ... يشفي الفؤادَ من الغَليل

لله قبرٌ ضُمِّنت ... فيه عظامُ ابن الطويل

ماذا تضمّن إذ ثَوَى ... فيه من اللّبّ الأصيل

---

(١) شفقاً: خوفاً.

(٢) الأربعة يعني بها اللحاظين والموقين فإن الدمع يجري من الموقين فإذا غلب وكثر جري من اللحاظين أيضاً. قال المتنبي:

كأن الصبح يطردها فتجري ... مدامعها بأربعة سجام

(انظر «شرح التبيان» للعكبري على «ديوان أبي الطيب» ج ٢ ص ٤١٤ طبع بولاق).

(٣) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «بدمعي».

قـــد كنـــتُ آوِي مـــن هـــوا ك إلـــى ذَرى كَهْـــفٍ ظَليـــل

أصبحـــتُ بعـــدك واحـــداً فـــرداً بمَـــدْرَجـــة السيـــول

[٦٧/٧] / - غنّاه الغَريض ثانيَ ثقيل بالوسطى عن عمرو. وغنّى فيه سُلَيم لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر عن الهشاميّ، وذكر غيره أن لحن الغريض لدَحْمان، وذكر حبشٌ أنّه لأبي كامل، وذكر غيرُه أن[1] لحن الغريض لدَحمان - قال: ثم دخل إلى جواريه فقال: والله ما أبالي متى جاءني الموت بعد الخليل ابن الطويل. فيقال: إنه لم يَعِشْ بعده إلا مُدَيدةً حتى قُتل. والله أعلم.

أجاز حماداً الراوية لطربه لشعر أنشده إياه:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال رَوى الهيثم بن عديّ عن ابن عَيَّاش عن حَمّاد الراوية قال:

دعاني الوليد يوماً من الأيام في السَّحَر والقمر طالعٌ وعنده جماعةٌ من ندمائه وقد اصطبح؛ فقال: أنشدني في النَّسيب؛ فأنشدته أشعاراً كثيرة، فلم يَهَشّ لشيء منها، حتى أنشدته قولَ عمّار ذي كناز[2]:

اصْبَـــحِ[3] القَـــومَ قهـــوةً فـــي الأبـــاريـــق تُحْتَـــذَى

مـــن كُمَيـــت مُـــدامـــةٍ حَبَّـــذا تلـــك حبَّـــذا

فطرب. ثم رفع رأسَه إلى خادم وكان قائماً كأنه الشمس، فأومأ إليه فكشف سِتْراً خلفَ ظهره، فطلع منه أربعون وصيفاً ووصيفةً كأنهم اللؤلؤ المنثور في أيديهم الأباريقُ والمناديل؛ فقال: أَسْقُوهم، فما بَقِي أحد إلا أُسْقِي، وأنا في خلال ذلك أُنشِده الشعر؛ فما زال يشرب ويسقى إلى طلوع الفجر. ثم لم نخرج عن حضرته / حتى [٦٨/٧] حَملنا الفرّاشون في البُسُط فألقَوْنا في دار الضيافة، فما أفَقْنا حتى طلعت الشمس. قال حمّاد: ثم أحضرني فخلَع عليّ خِلعاً من فاخر ثيابه وأمر لي بعشرة آلاف درهم وحمَلني على فرس.

خاصم وكيله الجعفريّ في أرض لدى هشام فلم ينصفه فقال هو شعراً:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المَدائنيّ عن أبي بكر الهُذَليّ قال:

كان بين الحَكَم بن الزُّبَير أخي أبي بكر بن كلاب وبين بكر بن نَوْفل أحدِ بني جعفر بن كلاب شيءٌ في وَكالة للوليد بن يزيد يخاصم الجعفريّ في الرَّحبة[4] من أرض دمشق، وكان الجعفريُّ قد استولى عليها فقطع شَفْرَه الأعلى، فاستعدى عليه هشاماً فلم يُعْدِه؛ فقال الوليد في ذلك:

---

(١) يلاحظ أن هذه الجملة مكررة في أكثر الأصول وقد جاءت في ء هكذا:
«... بالبنصر عن الهشامي وذكر غيره أن لحن الغريض لدحمان ثم دخل إلى جواريه... إلخ».

(٢) في الأصول «قول عدي بن زيد» وهو خطأ، فإن هذه الأبيات من القصيدة الذالية السالفة الواردة في أخبار الوليد والمنسوبة لعمار ذي كناز. وقد جاءت هذه القصة في «الأغاني» (ج ٢٠ ص ١٧٩ ـ ١٨٠ طبع بولاق) في ترجمة عمار هذا ونسب الشعر فيها له.

(٣) صبحت فلاناً: ناولته صبوحاً من لبن أو خمر.

(٤) رحبة دمشق: قرية بينها وبين دمشق ميل.

صوت

١٣٤/٦

/ أيَا حَكَمُ المَتْبولُ[1] لو كنتَ تَعْتَزي[2] إلى أُسرةٍ ليسوا بسُود زعانفِ

لأيقنتَ قد أدركتَ وتُرَكَ عَنْوةً بلا حُكْم قاضٍ بل بضرب السوالفِ

ـ غنّاه الهُذَليّ ثقيلاً أوّل عن الهشاميّ ويونس ـ قال: فلما استُخلِف الوليد بعث إلى بكر بن نوفل الجَعْفريّ[3] فقال: ألا[4] تعطي حَكَمَ بن الزُّبَير حقَّه! قال: لا؛ فأمر به فشُترتْ[5] عينهُ. ثم قال:

يا ربّ أمرٍ ذي شؤون جَحْفلٍ[6] قاسيتُ فيه جَلَباتِ[7] الأخْوَلِ

[٦٩/٧]

/ مات ابنه مؤمن ونعاه إليه سنان الكاتب وهو سكران فرثاه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال:

خرج الوليد إلى متصيَّد له فأقام به، ومات له ابن يقال له مؤمن بن الوليد، فلم يقدر أحدُ أن يَنعاه إليه، حتى ثَمِل فنعاه إليه سِنانُ الكاتب وكان مغنّياً؛ فقال الوليد ـ وفي هذا الشعر غناء من الأصوات التي أختيرت للواثق والرشيد قبله ـ:

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

أتاني سِنَانٌ بالوَدَاع لمؤمنٍ فقلتُ له إنّي إلى الله راجعُ

ألاَ أيّها الحاثي[8] عليه ترابَه هُبِلْتَ وشَلَّتْ من يديك الأصابع

يقولون لا تجزَعْ وأظهِرْ جَلادةً فكيفَ بما تُخْنَى عليه الأضالع

عروضُه من الطويل. غنّاه سِنان الكاتب، ولحنُه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لأبي كامل خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو. وقيل: إن فيه لحناً لعبدالله بن يونس صاحب أَيْلَة.

كتب له مؤدبه يزيد شعراً ينصحه فرد عليه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني عَقيل بن عمرو قال:

---

(١) المتبول: المصاب بتبل وهو الذحل والعداوة.

(٢) تعتزي: تنتسب.

(٣) كذا في ب مصححة بقلم المرحوم الشنقيطي وهو الموافق لسياق القصة. وفي الأصول «إلى بكر بن الجعدي» وهو تحريف.

(٤) كذا في ب مصححة بقلم المرحوم الشنقيطي. وفي الأصول: «لا تعطي» بدون ألف وهو خطأ.

(٥) شتر عينه: شقها وقلب جفنها.

(٦) الجحفل: العظيم.

(٧) كذا في حـ. والجلبات: الشدائد. وفي سائر الأصول: «حلبات» بالحاء المهملة وهو تصحيف.

(٨) حثا التراب عليه وفي وجهه يحثوه: قبضه ورماه.

قال يزيد بن أبي مُساحِق[1] السُّلَميّ مؤدِّب الوليد شعراً وبعث به إلى النَّوَار جارية الوليد، فغنّته به، وهو:

مَضَـى الخلفـاءُ بـالأمـر الحميـدِ وأصبحـت المـذَمَّـةُ للـوليـدِ
تشـاغَـل عـن رعيَّتـه بلهـو وخـالـف فعـلَ ذي الـرأي الـرشيـدِ

[٧/ ٧٠] / فكتب إليه الوليد:

ليـت حظِّـي اليـومَ مـن كـلّ مَعـاشٍ لـي وزاد
قهـوةٌ أبـذُل فيهـا طـارفـي ثـم تِـلادي
فيَظَـلّ القلـب منهـا هـائمـاً فـي كـلّ واد
إن فـي ذاك صـلاحـي وفـلاحـي ورشـادي

نهى بني أمية عن الغناء وقال إنه رقية الزنا:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إبراهيم بن الوليد الحِمْصيّ قال حدّثنا هارون بن الحسن العَنْبريّ قال:

قال الوليد بن يزيد: يا بني أميّة، إياكم والغناءَ فإنّه يَنقُص الحياءَ ويَزيد في الشهوة ويهدِم المروءةَ ويَنُوب على الخمر ويفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم لا بدّ فاعلين، فجنِّبوه النساء فإنّ الغناء رُقْيةُ الزّنا. وإني لأقول ذلك فيه على أنه / أحبُّ إليّ من كل لذّة وأشهى إليّ من الماء البارد إلى ذي الغُلّة، ولكن الحقُّ أحقُّ أن يقال. [١٣٥/٦]

قال له بعض مواليه إن الناس أنكروا عليك البيعة لابنيك فأجابه وقال شعراً:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال حدّثني بعضُ موالي الوليد قال:

دخلت إليه وقد عقد لابنيه بعده وقدّم عثمان؛ فقلت له: يا أمير المؤمنين، أقول قولَ الموثوقِ بنصيحته أو يَسَعُني السكوت؟ قال: بل قُلْ قول الموثوق به؛ فقلت: إن الناس قد أنكروا ما فعلتَ وقالوا: يُبايع لمن لم يَحْتلِمْ؛ وقد سمعتُ ما أكره فيك؛ فقال: عَضُّوا ببظور أمهاتكم، أفأُدْخِل بيني وبين ابني غيري؛ فيَلْقَى منه كما لَقِيتُ من الأحول بعد أبي! ثم أنشأ يقول:

صوت

سَـرَى طيـفُ ذا الظبـي بـالعـاقِـدا ن ليـلاً فهيَّـج قلبـاً عميـدا
وأرّق عينـي علـى غِـرّة فبـاتـت بحـزنٍ تقـاسـى السُّهـودا
[٧/ ٧١] / نـؤمـل عثمـان بعـد الـولـيـ ـد للعهـد فينـا ونـرجـو سعيـدا[2]

---

(١) في حـ: (يزيد بن مساحق).

(٢) كذا في الأصول. ورواية هذا البيت في «الطبري» (ق ٢ ص ١٧٥٦):

نـؤمـل عثمـان بعـد الـولـيـ ـد للعهـد فينـا ونـرجـو يـزيـدا

وفي هامشه رواية أخرى وهي:

كمـــا كـــان إذ كـــان فـــي دهـــره يـــزيـــدُ يـــرجّـــي لتلـــك الـــوليـــدا
علـــى أنهـــا شَسَعَـــتْ[1] شَسْعَـــةً فنحـــن نـــرجّـــي لهـــا أن تعـــودا
فـــإن هـــي عـــادت فعـــاصِ[2] القـــريـ ـــبَ منهـــا لتـــؤيِـــسَ منهـــا البعيـــدا

ـ غنّاه أبو كامل ثانيَ ثقيل بالبنصر من أصوات قليلة الأشباه. وذكر عمرو بن بانة أن فيه لعمر الوادي لحناً من الماخوريّ بالوسطى. وذكر الهشاميّ أن فيه خفيفَ رمل لحَكَم، وذكرت دنانيرُ عن حكم أنه لعمر الوادي، وذكر حبش أن الثقيل الثاني لمالك وأن فيه لفَضْل النجّار رَمَلاً بالبنصر ـ أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد عن الزُّبَير بن بكّار قال: هو:

* سرى طيفُ ظبيٍ بأعلى الغُوَيْر *

ولكن هذا تصحيف سليمان السَّوَادي أو قال: خُلَيد.

حبس يزيد الناقص وليي عهد الوليد وقتلهما:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال:

كان الوليد قد بايع لابنيه الحَكَم وعثمان، وهو أوّل من بايع لابن سُرِّيّةٍ أَمَةٍ، ولم يكونوا يفعلون ذلك، وأخذهما يزيد بن الوليد الناقص، فحبَسهما ثم قتلهما؛ وفيهما يقول ابنُ أبي عَقِب:

/ إذا قُتِـــل الخَلْـــف المُـــدِيـــمُ لسُكـــره بقَفْـــر مـــن البَخْـــراء[3] أُسِّـــس فـــي الـــرّمـــلِ [٧/ ٧٢]
وسِيـــق بـــلا جُـــرْم إلـــى الحَتْـــف والـــرَّدَى بُنَيّـــاه حتـــى يُـــذبحـــا مَـــذْبـــحَ السَّخْـــل
فـــويـــلٌ بنـــي مـــروان مـــاذا أصـــابهـــم بـــأيـــدي بنـــي العبـــاس بـــالأَسْـــر والقتـــل

تبع الكلبي الزنديق على قوله في ماني وردّه العلاء البندار:

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني علي بن محمد النَّوْفليّ قال حدّثني أبي عن العَلاء البندار قال:

كان الوليد زِنديقاً، وكان رجل من كَلْب يقول بمقالته مقالةِ الثَّنَوِيّة[4]؛ فدخلت على الوليد يوماً وذلك الكلبيُّ عنده، وإذا بينهما سَفَطٌ قد رُفع رأسه عنه فإذا ما يبدو لي منه حريرٌ أخضرُ؛ فقال: ادْنُ يا عَلاء فدنوتُ، فرفع الحريرةَ فإذا في السَّفَط صورة إنسان وإذا الزئبقُ والنوشادِر قد جُعلا في جفنه فجفنُه يَطْرِف كأنه يتحرّك؛ فقال: يا عَلاء، هذا مانِي[5]، لم يَبْتَعِثِ اللَّهُ نبيًّا قبله ولا يبتعثُ نبيًّا بعده. فقلت: يا أمير المؤمنين، اتّق الله / ولا يَغُرّنّك ١٣٦/٩

= نـــؤمـــل عثمـــان بعـــد الـــوليـ ـــد أو حكمـــاً ثـــم نـــرجـــو سعيـــدا
ولم نجد في كتب التاريخ ما يدل على أن للوليد ابناً يسمى سعيداً.

(١) شسعت: بعدت.

(٢) عاص القريب، يريد جاف القريب ولا تدنه من الخلافة بتوليتك إياه العهد. ورواية الطبري:
فـــإن هـــي عـــادت فـــأوص القـــريـ ـــب عنهـــا ليـــؤيـــس منهـــا البعيـــدا

(٣) البخراء: أرض بالشام سميت بذلك لعفونة في تربتها ونتنها.

(٤) الثنوية: أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان. (انظر «الملل والنحل» للشهرستاني ص ١٨٨).

(٥) هو ماني بن فاتك الحكيم، ظهر في زمان سابور بن أردشير وقتله بهرام بن هرمز بن سابور وذلك بعد عيسى عليه السلام. اتخذ ديناً بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوّة المسيح عليه السلام ولا يقول بنبوّة موسى عليه السلام. (عن «الملل والنحل»).

هذا الذي ترى عن دينك. فقال له الكلبي: يا أمير المؤمنين، ألم أَقُلْ لك: إن العلاء لا يَحتمل هذا الحديث. قال العلاء: ومكثتُ أياماً، ثم جلست مع الوليد على بناء كان بناه في عسكره يُشرف به والكلبيّ عنده، إذ نزل من عنده وقد كان الولدُ حمَله على بِرذَوْن هِمْلاج [(١)] أشقرَ من أفْرَه ما سُخِّر، فخرج على بِرْذَوْنه ذلك فمضى به في الصحراء حتى غاب عن العسكر؛ فما شعَر إلاّ وأعرابٌ قد جاءوا به يحملونه منفسِخةً عنقُه ميّتاً / وبِرذَوْنُه يُقاد حتى أسلموه. [٧/٧٣] فبلغني ذلك، فخرجت متعمِّداً حتى أتيتُ أولئك الأعرابَ، وقد كانت لهم أبياتٌ بالقرب منه في أرض البَخْراء لا حجرَ فيها ولا مَدَر، فقلت لهم: كيف كانت قصّةُ هذا الرجل؟ قالوا: أقبل علينا على بِرْذَوْن، فوالله لكأنه دُهْنٌ يسيل على صَفَاةٍ من فَراهته، فعجِبنا لذلك؛ إذ انقضّ رجلٌ من السماء عليه ثيابٌ بيض فأخذ بضَبْعَيْه [(٢)] فاحتمله ثم نكَسه وضرب برأسه الأرضَ فدَقّ عنقَه ثم غاب عن عيوننا؛ فاحتملناه فجئنا به.

قصة الخارجين عليه ومقتله:

وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الخَرّاز عن المدائنيّ قال:

لما أكثر الوليد بن يزيد التهتّكَ وانهمك في اللذّات وشُرْب الخمر وبسَطَ المكروهَ على ولَد هشام والوليد وأفرط في أمره وغيِّه، ملّ الناسُ أيامَه وكرِهوه. وكان قد عقَد لابنيه بعده ولم يكونا بلَغا؛ فمشى الناسُ بعضُهم إلى بعض في خَلْعه، وكان أقواهم في ذلك يزيدَ الناقصَ بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، فمشى إلى أخيه العباس - وكان امرأً صدقٍ ولم يكن في بني أميّة مثلُه، كان يتشبّه بعمر بن عبد العزيز - فشكا إليه ما يَجري على الناس من الوليد؛ فقال له: يا أخي، إن الناس قد ملّوا بني مروان، وإنّ مَشْي بعضِكم في أمر [(٣)] بعض أُكِلْتم، ولله أجَلٌ لا بدّ أن يَبْلُغه فانتظِرْه. فخرج من عنده ومشى إلى غيره، فبايعه جماعةٌ من اليَمانيَةِ الوجوه؛ فعاد إلى أخيه ومعه مولًى له وأعاد عليه القولَ وعرّض له بأنه قد دُعِي إلى الخلافة؛ فقال له: والله لولا أني لا آمَنُه عليك من تحامُله لوجّهتُ بك إليه مشدوداً؛ فنشدتُك الله ألاّ تَسعى في شيء من هذا. فانصرف / من عنده وجعل يدعو الناسَ إلى نفسه. وبلغ [٧/٧٤] الوليدَ ذلك فقال يذكر قومَه ومَشْيَ بعضهم إلى بعض في خلعه:

صـوت

سَـــلِّ هـــمَّ النفـــس عنهـــا	بِعَلَنْـــــــداةٍ [(٤)] عَـــــلاَةِ
تتّقـــــي الأرضَ وتَهـــــوِي	بخِفَـــــاف مُـــــذمَجَـــــات
ذاك أمْ مـــــا بـــــال قـــــومي	كسَـــــروا سِـــــنَّ قَنَـــــاتـــــي
واستخفّـــــوا بـــــي وصـــــاروا	كقـــــرودٍ خـــــاسئـــــاتِ

(١) الهملاج: الحسن السير في سرعة وبخترة.

(٢) الضبع: العضد والإبط، يقال: أخذ بضبعيه أي بعضديه.

(٣) في ب، س، حـ: «في أثر».

(٤) العلنداة: الناقة الضخمة الطويلة. وناقة علاة الخلق أي طويلة جسيمة.

الشعر للوليد بن يزيد بن عبد الملك. والغناءُ لأبي كامل غُزَيِّل الدِّمَشْقيّ ماخُورِيّ بالبنصر. وفي هذه القصيدة يقول الوليد بن يزيد:

أصبـــح اليـــومَ وليـــدٌ هـــائمـــاً بـــالفَتَيـــاتِ
/ عنـــده راح وإبـــريـ ـــقٌ وكـــأسٌ بـــالفَـــلاة
ابعثـــوا خيـــلاً لخيـــل ورُمـــاةً لـــرُمـــاةِ

وأخبرني بالسبب في مقتله الحسن بن عليّ قال أخبرنا أحمد بن الحارث قال حدّثني المدائنيّ عن جُوَيرية بن أسماء، وأخبرني به ابنُ أبي الأزهر عن حَمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن جُويرِية بن أسماء قال: قال ابن[1] بشر بن الوليد بن عبد الملك:

لمّا أظهر الوليد بن يزيد أمره وأدمن على اللهو والصيد واحتجب عن الناس ووالَى بين الشرب وانهمك في اللذّات، سئمه[2] الناس ووعَظه من أشفق عليه من / أهله؛ فلما لم يُقلِع دَبُّوا في خَلْعه. فدخل أبي بشر بن الوليد [٧/٧٥] على عمّي العباس بن الوليد وأنا معه، فجعل يكلّم عمّي في أن يخلع الوليدَ بن يزيد ومعه عمي يزيدُ بن الوليد، فكان العبّاسُ يَنْهاه وأبي يردّ عليه؛ فكنت أفرح وأقول في نفسي: أرى أبي يجترىء أن يكلّم عمّي ويردّ عليه؛ فقال العباس: يا بني مروان، أظن أن الله قد أذِن في هلاككم. ثم قال العباس:

إنـــي أُعِيـــذُكُـــم بـــالله مـــن فِتَـــنٍ مثـــلِ الجبـــال تَســـامَـــى ثـــم تنـــدفـــعُ
إنّ البـــريّـــة قـــد ملّـــت سيـــاسَتَكُـــم فـــاستَمسِكـــوا بعمـــود الـــدّيـــن وارتَـــدِعـــوا
لا تُلحِمُـــنّ[3] ذئـــابَ النـــاس أنْفُسَكـــم إنّ الـــذئـــاب إذا مـــا أُلحِمَـــتْ رَتَعـــوا
لا تَبْقُـــرُنّ بـــأيـــديكـــم بطـــونكـــمُ فَثَـــمَّ لا فِـــدْيَـــةٌ تُغْنِـــي ولا جَـــزَع[4]

قال المدائنيّ عن رجاله: فلما استجمع ليزيد أمرُه وهو مُتَبَدٍّ أقبل إلى دمشق، وبين مكانه الذي كان مُتَبدِّياً فيه وبين دمشق أربعُ ليالٍ، فأقبل إلى دمشق متنكِّراً في سبعة أنفس على حُمُر وقد بايع له أكثرُ أهلِ دمشق وبايع له أكثرُ أهلِ المِزَّة. فقال مولًى لعَبّاد بن زِيَاد: إني لَبِجَرُودَ ـ وبين جَرُودَ ودمشق مرحلةٌ ـ إذ طلع علينا سبعةٌ مُعْتَمُّون[5] على حُمُر فنزلوا، وفيهم رجل طويل جسيم، فرمَى بنفسه فنام وألقَوا عليه ثوباً، وقالوا لي: هل عندك شيء نَشتريه من طعام؟ فقلت: أمّا بيعٌ فلا، وعندي من قِرَاكم ما يُشْبِعكم؛ فقالوا: فعجِّله؛ فذبحتُ لهم دَجاجاً وفِراخاً وأتيتُهم بما حضر من عسل وسمن وشَوَانِيز[6]، وقلت: أيقظوا صاحبَكم / للغداء؛ فقالوا: هو محمومٌ لا يأكل؛ فسفَروا للغداء [٧/٧٦]

---

(١) كذا في أ، ء، م وهو الصواب كما سيأتي. وفي ب، س، حـ: «قال قال أبي بشر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك»، وهو خطأ.

(٢) في الأصول: «شتمه».

(٣) ألحمت القوم: أطعمتهم اللحم.

(٤) في الأصول: «جذع» بالذال المعجمة. والتصويب عن «الطبري». وقد جاء فيه الشطر هكذا:

* فثم لا حسرة تغني ولا جزع *

(٥) في جميع الأصول: «معتمين». . .

(٦) الشوانيز: التوابل.

فعرَفتُ بعضَهم، وسفَر النائم فإذا هو يزيد بن الوليد، فعرَفته فلم يكلمني. ومضَوْا ليدخلوا دمشق ليلاً في نفر من أصحابه مُشاةٍ إلى معاوية بن مَصَاد[1] وهو بالمِزَّة ـ وبينها وبين دمشق مِيل ـ فأصابهم مطر شديد، فأتوْا منزلَ معاوية فضربوا بابَه وقالوا: يزيد بن الوليد؛ فقال له معاويةُ: الفِراشَ، ادخل أصلحك اللّهُ؛ قال: في رجلي طين وأكره أن أفسدَ عليك بساطَك؛ فقال: ما تُرِيدني[2] عليه أفْسَدُ. فمشى على البِساط وجلس على الفراش، ثم كلّم معاويةَ فبايَعه. وخرج إلى دمشق فنزل دارَ ثابت بن سليمانَ الخَشَنِيّ[3] مستخفياً، وعلى دمشق عبدُ الملك بن محمد بن الحَجّاج بن يوسف، فخاف عبدُ الملك الوَباءَ فخرج فنزل قَطَناً[4]، واستخلف ابنَه على دمشق وعلى شُرْطته أبو العاج كَثِيرُ بن عبدالله السُّلَميّ. وتَمّ ليزيد أمرُه فأجمع على الظهور. وقيل لعامل دمشق: إنّ يزيد خارجٌ فلم يصدّق.

[١٣٨/٦] وأرسل يزيدُ / إلى أصحابه بين المغرب والعِشاء في ليلة الجمعة من جُمادَى الآخرة سنةَ سبع[5] وعشرين ومائة، فكمَنوا في مِيضَأةٍ عند باب الفَراديس[6]؛ حتى إذا أذَّنوا العَتَمَةَ دخلوا المسجد مع الناس فصلَّوْا. وللمسجد حَرَسٌ قد وُكِّلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل؛ فإذا خرج الناسُ خرج الحرسُ وأغلق صاحبُ المسجد الأبوابَ، ودخل [٧٧/٧] الدارَ من باب المقصورة فيَدْفعُ المفاتيحَ إلى من يحفظها / ويخرُج. فلما صلّى الناسُ العَتَمَةَ صاح الحرسُ بالناس فخرجوا، وتَباطأ أصحاب يزيد الناقص، فجعلوا يخرجونهم من باب ويَدخلون من باب، حتى لم يَبْق في المسجد إلا الحرسُ وأصحابُ يزيد، فأخذوا الحرس. ومضى [يزيد بن][7] عَنْبَسَةَ [السَّكْسَكِيّ][7] إلى يزيد فأخبره وأخذ بيده وقال: قُمْ يا أمير المؤمنين وأبْشِرْ بعون الله ونصره؛ فأقبل وأقبلنا ونحن اثنا عشر رجلاً. فلما كنّا عند سوق القمح لَقِيهم فيها مائتا رجل من أصحابهم، فمضَوْا حتى دخلوا المسجدَ وأتوْا بابَ المقصورة، وقالوا: نحن رسل الوليد، ففتح لهم خادمٌ البابَ، ودخلوا فأخذوا الخادم، وإذا أبو العاج سكران فأخذوه وأخذوا خُزّان البيت[8] وصاحبَ البريد؛ وأرسل إلى كلّ من كان يحذَرُه فأخذه. وأرسل من ليلته إلى محمد بن عُبيدة مولى سعيد بن العاص وهو على بَعْلَبَكّ، وإلى عبد الملك بن محمد بن الحَجّاج فأخذهما. وبعث أصحابَه إلى الخَشَبِيّة[9] فأتَوْه؛ وقال للبَوّابين: لا تفتحوا الأبواب غُدْوةً إلّا لمن أخبركم بشِعار كذا وكذا. قال: فتركوا الأبواب في السلاسل. وكان في المسجد سلاح كثير قدِم به سليمانُ بن هشام من الجزيرة، فلم يكن الخُزّان قبضوه، فأصابوا سلاحاً كثيراً فأخذوه وأصبحوا، وجاء[10] أهلُ المِزّة مع حُرَيْث بن أبي الجَهْم. فما انتصف النهارُ حتى بايع الناسُ يزيدَ وهو يتمثّل قولَ النابغة:

---

(١) كذا في «الطبري» (ق ٢ ص ١٧٨٩ طبع أوروبا). وفي الأصول: «معاوية بن معاذ». وهو سيد أهل المزة وقد كان أهل المزة بايعوا يزيد إلا معاوية هذا.

(٢) في الأصول: «ما تريد بي أفسد عليه». وعبارة «الطبري»: «الذي تريدني عليه أفسد».

(٣) في «الطبري» ق ٢ ص ٨٣٩، ١٧٨٩: «ثابت بن سليمان بن سعد الخشني».

(٤) في الأصول: «قنطاً» بتقديم النون على الطاء. والتصويب عن «الطبري».

(٥) الصواب سنة ست وعشرين ومائة، كما في كتب التاريخ.

(٦) باب الفراديس: باب من أبواب دمشق. قال ابن قيس الرقيات:

أقفـــرت منهـــم الفـــراديـــس والغـــو   طـــة ذات القـــرى وذات الظـــلال

(٧) التكملة عن «الطبري» وعن الأصول فيما سيأتي.

(٨) يريد بيت المال.

(٩) الخشبية سيذكر المؤلف بعد قليل أنهم أصحاب المختار بن أبي عبيد.

(١٠) عبارة «الطبري»: «وجاء أهل المزة وابن عصام... إلخ».

إذا استُنـزِلـوا عنهـنّ للطعـن أرْقَلـوا إلـى المـوت إرقـالَ الجمـال المَصـاعـبِ

فجعل أصحابُه يتعجّبون ويقولون: انظروا إلى هذا! كان قُبَيْلَ [الصبح][1] يسبّح وهو الآن يُنشد الشعر.

قال[2]: وأمر يزيدُ عبدَ العزيز بن الحَجّاج بن عبد الملك بن / مَرْوان فوقف بباب الجابية فنادَى: [من كان له عطاءٌ [٧٨/٧] فلْيأتِ إلى عطائه، ومن لم يكن له عَطاء فله ألف درهم مَعُونةً][3]؛ فبايع له الناسُ وأمَر بالعطاء. قال: ونَدَب يزيدُ بن الوليد الناسَ إلى قتال الوليد بن يزيد مع عبد العزيز، وقال: من انتَدب معه فله ألفانِ، فانتَدب ألفا رجلٍ؛ فأعطاهم وقال: موعدُكم ذَنَبَةُ[4]؛ فوافى ذَنَبَةَ ألف ومائتا رجل؛ فقال: ميعادُكم مَصْنعةٌ بالبَرّيّة وهي لبنى عبد العزيز بن الوليد؛ فوافاه ثَمانُمائة رجل، فسار فوافاهم ثَقَلُ[5] الوليد فأخذوه ومع عبد العزيز فُرسانٌ منهم منصور بن جمهور ويعقوب بن عبد الرحمن السُّلَمِيّ والأصْبَغُ بن ذُؤَالةَ وشَبيبُ بن أبي مالك الغَسّانيّ وحُمَيْد بن نصر اللَّخْميّ، فأقبلوا فنزلوا قريباً من الوليد. فقال الوليد: أخرجوا لي سريراً فأخرجوه فصعِد عليه. وأتاه خبرُ العباس بن الوليد: إنّي أجيئك. وأُتِي الوليدُ بفرسين الذائد[6] والسِّنْديّ؛ وقال: أعليّ يَتواثَبُ الرجال وأنا أثِبُ على الأسد وأتخصّر[7] الأفاعي!. وهم ينتظرون العباس أن يأتيَهم ولم يكن بينهم كبيرُ قتالٍ، فقُتل / عثمان[8] الخَشَبيّ، وكان ١٣٩/٦ من أولاد الخَشَبيّة الذين كانوا مع المختارِ[9]. وبلغ عبدَ العزيز بن الحَجّاج أن العباس بن الوليد يأتي الوليدَ، فأرسل منصورَ بن جُمْهور في جَريدة[9] خيل وقال: إنكم تَلْقَوْن العباس بن الوليد ومعه بنوه في الشِّعْب فخُذُوه. وخرج منصور / في تلك الخيل وتقدّموا إلى الشِّعْب، وإذا العباسُ ومعه ثلاثون[10] قد تقدّموا أصحابَه؛ فقال له: اعْدِل إلى [٧٩/٧] عبد العزيز، فشتَمهم؛ فقال له منصور: والله لئن تقدّمتَ لأُنْفِذَنّ حَصِينَك[11] بالرّمح؛ فقال: إنا لله! فأقبلوا به يسوقونه إلى عبد العزيز. فقال له عبد العزيز: بايِعْ ليزيدَ؛ فبايَعَ ووقف؛ ونصبوا[12] رايةً وقالوا: هذا العباس قد بايَعَ. ونادى منادي عبد العزيز: من لَحِق بالعباس بن الوليد فهو آمِنٌ؛ فقال العباس: إنا لله! خُدْعَةٌ من خُدَع الشيطان! هلك والله بنو مروان!. فتفرّق الناس عن الوليد وأتَوا العباسَ. وظاهَر الوليدُ في درعين وقاتلهم. وقال الوليد: من جاء برأس فله خمسمائة درهم، فجاء جماعةٌ بعِدّة رؤوس، فقال: اكتبوا أسماءهم؛ فقال له رجل من

---

(١) التكملة عن «الطبري» (ق ٢ ص ١٧٩١ طبع أوروبا).

(٢) في أ، ء، م: «قالوا».

(٣) هذه العبارة التي بين قوسين عبارة «الطبري». وفي الأصول: «ألا من كان له عطاء فله أربعون ديناراً في العطاء ومعونة ألف درهم فبايعه... إلخ».

(٤) كذا في «الطبري». وهي موضع بعينه من أعمال دمشق. وفي الأصول: «دنية» وهو تصحيف.

(٥) الثقل: المتاع.

(٦) في الأصول: «الزايد». والتصويب عن «نسب الخيل» لهشام بن محمد الكلبي (ص ٤٤) طبع ليدن و «شرح القاموس» مادة «ذود».

(٧) كذا في «الطبري». وتخصر: أخذ المخصرة (العصا) بيده وأمسكها. وفي الأصول: «وأعض».

(٨) كذا في «الطبري» (قسم ٢ ص ١٧٩٨، ١٨٠٤). وكان من أصحاب الوليد بن يزيد. وفي الأصول: «يزيد بن عثمان الخشبي» وهو خطأ.

(٩) يريد المختار بن أبي عبيد. خرج بالكوفة سنة ست وستين مطالباً بدم الحسين رضي الله عنه وأهل بيته وذلك في سلطان ابن الزبير وأخرج عن الكوفة عبدالله بن مطيع عامل ابن الزبير، ثم قتله مصعب بن الزبير.

(١٠) كذا في أ، ء، م. وفي ب، س، حـ: «ومعه بنوه». وعبارة الطبري: «في ثلاثين من بنيه».

(١١) كذا في «الطبري»، وقال: «يعني درعك». وفي الأصول: «خصيتيك»، وهو تحريف.

(١٢) كذا في «الطبري». وفي الأصول: «ونصب».

مواليه: ليس هذا يا أمير المؤمنين يوماً يعامَل فيه بالنَّسيئة. وناداهم رجالٌ: اُقتلُوا اللُّوطِيَّ قِتلةَ قوم لوط، فرمَوْه بالحجارة. فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وقال:

صوت

دَعُــوا لــي سُلَيْمَــى والطِّــلاَء وقَيْنَــةً[1]	وكــأســاً ألا حَسْبِــي بــذلــك مــالا
إذا مــا صفــا عيــش بــرَمْلَــةِ عــالِــجٍ[2]	وعــانقــتُ سلمــى لا أُريــد بِــدالا
خــذوا مُلْكَكــم لاثبّــت الله ملككــم	ثبــاتــاً يســاوي مــا حَيِيــتُ عِقــالا
وخَلُّــوا عِنــانــي قبــل عَيْــرٍ ومــا جَــرَى[3]	ولا تَحْسُــدونــي أن أمــوت هُــزالا

[٧/ ٨٠] / ـ غنّاه عمرُ الوادي رملاً بالوسطى عن حَبَش ـ ثم قال لعمر الوادي: يا جامع لذتي، غنِّني بهذا الشعر. وقد أحاط الجندُ بالقصر؛ فقال لهم الوليد من وراء الباب: أمَا فيكم رجل شريف له حسب وحياءٌ أكلِّمه؟! فقال له يزيد بن عَنْبَسَةَ السَّكْسَكِيّ: كلِّمني؛ فقال له الوليد: يا أخا السَّكَاسِك، ما تنقِمُون منّي؟ ألم أَزِد في أعْطياتكم وأعْطيةِ فقرائكم وأخدَمْتُ زَمْناكم ودفعتُ عنكم المؤنَ؟! فقال: ما نَنْقِمُ عليك في أنفسنا شيئاً، ولكن نَنْقِمُ عليك انتهاكَ ما حرّم الله وشُرْبَ الخمور ونكاحَ أمهات أولاد أبيك واستخفافَك بأمر الله. قال: حَسْبُك يا أخا السَّكَاسِك! فلعمري لقد أغرقتَ[4] فأكثرتَ، وإنّ فيما أحلّ الله لسَعَةً عمّا[5] ذكرتَ. ورجَع إلى الدار فجلس وأخذ المصحف وقال: يومٌ كيوم[6] عثمان، ونشر المصحفَ يقرأ؛ فعَلَوُا الحائطَ؛ فكان أوّلُ من علا الحائطَ يزيدَ بن عنبسة، فنزل وسيفُ الوليد إلى جنبه؛ فقال له يزيد: نَحِّ سيفَك، فقال الوليد: لو أردتُ السيفَ لكانت لي ولك حالةٌ غيرُ هذه. فأخذ بيده وهو يريد أن يُدْخِله بيتاً[7] ويُؤامِرَ فيه، فنزل من الحائط عشرة فيهم منصورُ بن جُمْهور وعبد الرحمن وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسَّرِيّ بن زِياد بن أبي كَبْشة، فضربه عبد الرحمن السُّلَميّ[8] علىٰ رأسه ضربةً وضربه السَّرِيّ بن زِياد على وجهه، وجَرُّوه بين خمسة ليُخرجوه؛ فصاحت امرأةٌ كانتِ معه في الدار فكفّوا عنه فلم يُخرجوه، واحتزّ رأسَه

---

(١) كذا في أ،و. وفي سائر الأصول: «وفتية» وهو تحريف.

(٢) عالج: رملة بالبادية. وقال أبو عُبيد الله السكوني: عالج رمال بين فيد والقريات ينزلها بنو بحتر من طيء، وهي متصلة بالثعلبية على طريق مكة لا ماء بها.

(٣) قبل عير وما جرى، قال أبو عبيد: إذا أخبر الرجل بالخبر من غير استحقاق ولا ذكر كان لذلك قيل: فعل كذا وكذا قبل عير وما جرى. قالوا: خص العير لأنه أحذر ما يقنص، وإذا كان كذلك كان أسرع جرياً من غيره، فضرب به المثل في السرعة. وقيل العير وإنسان العين، فإذا قيل: جاء قبل عير وما جرى فمعناه قبل لحظة العين. (راجع «مجمع الأمثال للميداني» ج ٢ ص ٣٦ طبع بولاق و «لسان العرب» مادة عير).

(٤) أي تجاوزت الحدّ في القول وبالغت فيه.

(٥) في الأصول «فيما» والتصويب عن «الطبري».

(٦) يريد عثمان بن عفان رضي الله عنه فإنه لما قتل كان يقرأ في المصحف وجرى دمه عليه.

(٧) في ب، س: «بيتنا» وهو تحريف.

(٨) عبارة «الطبري»: «فنزل من الحائط عشرة منصور بن جمهور وحبال بن عمرو الكلبي وعبد الرحمن بن عجلان مولى يزيد بن عبد الملك وحميد بن نصر اللخمي والسري بن زياد بن أبي كبشة وعبد السلام اللخمي فضربه عبد السلام على رأسه وضربه السري على وجهه وجروه... إلخ».

أبو عِلَاقة القُضَاعيّ / وخاط الضربةَ / التي في وجهه بالعَقَب[1]، وقُدِم بالرأس على يزيد، قَدِم به رَوْح بن مُقْبِل، [٧/ ٨١] وقال: أبْشِر يا أمير المؤمنين بقتل الفاسق، فاستتمّ الأمرُ له وأحسن صِلتَه. ثم كان من خلع يزيد بعد ذلك ما ليس ١٤٠/٦ هذا موضعَ ذكره.

قال: ولما قُتل الوليد بن يزيد جعل أبو مِحْجَن مولى خالد القَسْرِيّ يُدخل سيفه في است الوليد وهو مقتول. فقال الأَصْبَغ بن ذُؤَالة الكلبيّ في قتل الوليد وأخذهم ابنيه:

مَــن مُبْلِــغٌ قيســاً وخِنْــدِفَ كلَّهــا ... وســاداتِهــم مــن عبــد شمــس وهــاشــم

قتلنــا أميــرَ المــؤمنيــن بخــالــد[2] ... وبِعْنــا ولِــيّ عهــدِه بــالــدراهــم

وقال أبو مِحْجَن مولى خالد:

لــو شــاهــدوا حــدَّ سيفــي حيــن أدخلــه ... فــي اسْــتِ الــوليــد لمــاتــوا عنــده كَمَــدا

كان عمر الوادي يغنيه حين قتل:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن هشام بن الكَلْبيّ عن جرير قال:

قال لي عمر الوادي: كنت أغنّي الوليدَ أقول:

صوت

كَــذَبَتْــكَ نفسُــك أم رأيــتَ بــواسِــطٍ ... غَلَــسَ[3] الظــلامِ مــن الــرَّبــابِ خيــالا

قال: فما أتممتُ الصوت حتى رأيتُ رأسَه قد فارق بدنَه ورأيتُه يتشحّط في دمه. يقال: إن اللحن في هذا الشعر لعمر الوادي، ويقال: لابن جامع.

/ **أخذ يزيد الحكم وعثمان ولي عهد الوليد وحبسهما وشتمهما:** [٧/ ٨٢]

قالوا: وكان عثمان والحَكَم ابنا الوليد قد بايَعَهما بالعهد بعده، فتغيّبا فأخذهما يزيد بعد ذلك فحبَسهما في الخَضْراء[4] ودخل عليهما يزيدُ الأفقَمُ بن هشام فجعل يشتُم أباهما الوليدَ وكان قد ضرَبه وحلَقه[5]، فبكى الحَكَم، فقال عثمان أخوه: اسكت يا أخي؛ وأقبل على يزيد فقال: أتشتُم أبي! قال: نعم؛ قال: لكني لا أشتُم عمّي هشاماً، والله لو كنتَ من بني مروان ما شتمتَ أحداً منهم، فانظر إلى وجهك فإن كنتَ رأيت حَكَميًّا[6] يُشْبهك أوله مثلُ وجهك فأنت منهم، لا والله ما في الأرض حَكَمِيّ يشبهك.

---

(١) العقب: العصب الذي تعمل منه الأوتار.

(٢) هو خالد بن عبدالله القسري، وقد كان الوليد سلمه ليوسف بن عمر فبسط عليه العذاب حتى قتله (راجع تفصيل مقتله في «الطبري» قسم ٢ ص ١٨١٢ وما بعدها).

(٣) كذا في ب، س و «اللسان» مادة غلس. وفي سائر النسخ: «وسط الظلام». والبيت للأخطل.

(٤) الخضراء: موضع باليمامة، وهي أيضاً حصن باليمن كما في ياقوت، ولعلها أيضاً موضع بالشام لم تذكره معاجم البلدان.

(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «وخلعه» وهو تحريف.

(٦) يعني من ينسب إلى الحكم بن أبي العاص والد مروان رأس هذه الأسرة.

ندم أيوب السختياني لمقتله تخوّفاً من الفتنة:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المَدَائنيّ عن مَسْلمة بن مُحارِب قال:

لما قُتل الوليدُ قال أيّوب[١] السَّخْتِيانيّ: ليت القوم تركوا لنا خليفتنا لم يقتلوه. قال: وإنما قال ذلك تخوّفاً من الفتنة.

لعن الرشيد قاتليه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ:

أن ابناً للغَمْر بن يزيد بن عبد الملك دخل على الرشيد، فقال: ممَّن أنت؟ قال: من قريش، قال: من أيّها؟ فأمسكَ قال: قُلْ وأنت آمن، ولو أنك مَرْوانيّ، قال: أنا ابن الغَمْر بن يزيد. قال: رحم الله عمّك ولعن يزيدَ الناقص وقَتَلَةَ عمّك جميعاً، فإنهم قتلوا خليفةً مُجْمَعاً عليه، ارفع إليّ حوائجَك، فقضاها.

[٨٣/٧] / رمي عند المهدي بالزندقة فدافع عنه:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولِيّ قال حدّثنا الغَلاَبِيّ قال حدّثنا العَلاَء[٢] بن سُوَيْد المِنْقَرِيّ قال:

ذكر ليلةً المهديُّ أميرُ المؤمنين الوليدَ بن يزيد فقال: كان ظريفاً أديباً. فقال له شَبيب بن شَيْبة: يا أمير المؤمنين إن رأيت ألاّ تُجرِيَ ذكْرَه على سمعك ولسانك فافعلْ فإنه كان زنديقاً؛ فقال: اسكت، فما كان الله ليضع خلافته عند من يكفر به. هكذا رواه الصُّوليّ.

دافع عنه ابن علاثة الفقيه لدى المهدي:

وقد أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز إجازةً قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال أخبرنا عَقيل[٣] بن عمرو قال أخبرني شَبيب بن شَيْبة عن أبيه قال: كنّا جلوساً عند / المهديّ فذكروا الوليد بن يزيد، فقال المهديّ: أحسَبه كان زنديقاً، فقام ابن عُلاَثة الفقيه فقال: يا أمير المؤمنين، اللَّهُ عزّ وجلّ أعظمُ من أن يولّي خلافةَ النبوة وأمرَ الأمّة من لا يؤمن بالله، لقد أخبرني من كان يشهده في ملاعبه وشربه عنه بمروءة في طهارته وصَلاته، وحدّثني أنه كان إذا حضرت الصلاة يطرح ثياباً كانت عليه من مُطيَّبةٍ ومصبَّغةٍ ثم يتوضأ فيُحسن الوضوء ويُؤْتَى بثيابٍ بِيضٍ نظافٍ من ثياب الخلافة فيصلّي فيها أحسن صلاة بأحسن قراءة وأحسن سكوت وسكون وركوع وسجود، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب التي كانت عليه قبل ذلك، ثم يعود إلى شربه ولهوه؛ أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله! فقال له المهديّ: صدقت بارك الله عليك يابنَ عُلاَثة.

[١٤١/٦]

وفي جملة المائة الصوت المختارة عدّةُ أصواتٍ من شعر الوليد نذكرها هاهنا مع أخباره، والله أعلم.

(١) هو أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني العنزي أبو بكر البصري الفقيه أحد الأئمة الأعلام مات سنة ١٣١ هـ.
(٢) في حـ: «العلاء بن أبي سويد» ولم نقف عليه في المراجع التي بين أيدينا.
(٣) كذا فيما مر قريباً ص ٦٩ من هذا الجزء وفي جميع الأصول هنا: «عقيل عن عمرو».

[٧/ ٨٤]

/ صوت

من المائة المختارة

أُمَّ سَلاَّمَ ما ذكرتُكِ إلاّ شَرِقَتْ بالدموع منّي المآقي
أُمَّ سَلاَّمَ ذِكْرُكُمْ حيث كنتم أنتِ دائي وفي لسانكِ راقي
ما لقلبي يَجُول بين التَّراقي مُسْتَخِفًّا يَتُوق كلَّ مَتَاق
حَذَراً أن تَبِين دارُ سُلَيْمَى أو يصيحَ الداعي لها بفِراق

غنّاه عمر الوادي، ولحنُه المختارُ خفيف رملٍ مطلَقٌ في مجرى البنصر. وذكر عمرو بن بانة أنّ لسَلاّمةِ القَسّ فيه خفيفَ رملٍ بالوسطى، ولعلّه بمعنى هذا. ومن الناس من يروى هذه الأبيات لعبد الرحمن بن أبي عَمّار الجُشَمِيّ في سَلاّمةِ القَسّ، وليس ذلك له، هو للوليد صحيح، وهو كثيراً ما يذكر سَلْمى هذه في شعره بأُمّ سَلاّم وبسَلْمى، لأنه لم يكن يتصنّع في شعره ولا يُبالِي بما يقوله منه. ومن ذلك قوله فيها:

صوت

أُمَّ سَلاَّمَ لو لقِيتِ من الوجـ ـدِ عَشِيرَ الذي لَقِيتُ كفاكِ
فأثِيبِي بالوصل صَبًّا عميداً وشفيقاً شجاه ما قد شجاكِ

غنّاه مالكٌ خفيفَ رمل بالبنصر عن الهشاميّ.

[٧/ ٨٥] # / ذكر أخبار عمر الوادي ونسبه

نسبه وإعجاب الوليد به:

هو عمر بن داود بن زَاذَان. وجَدُّه زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عَفّان. وكان عمر مهندساً. وأخذ الغناء عنه حَكَمٌ وذووه من أهل وادي القُرَى. وكان قدِم إلى الحَرَم فأخذ من غناء أهله فحذِق وصنَع فأجاد وأتقن. وكان طيّبَ الصوت شجيَّه مُطرِباً. وكان أوّلَ من غنّى من أهل وادي القُرَى؛ واتصل بالوليد بن يزيد في أيام إمارته فتقدّم عنده جدّاً، وكان يسمِّيه جامع لَذّاتي[1] ومُحْيِي طربي. وقُتل الوليد وهو يغنّيه، وكان آخرَ عهده به من الناس. وفي عمر يقول الوليد بن يزيد وفيه غناء:

صوت

[١٤٢/ ٦] / إنّني فكّرتُ في عمرٍ ... حين قال القولَ فاختلجا

إنّه للمُستنِير به ... قمرٌ قد طمّس السُّرُجا

ويغنّي الشعر يَنْظِمُه ... سيّدُ القوم الذي فلَجا

أكمَل الواديُّ صنعتَه ... في لُباب الشعر فاندمجا

الشعر للوليد بن يزيد. والغناءُ لعمر الوادي هَزَج خفيفٌ بالبنصر في مَجْراها.

كان الوليد يقدّمه على المغنين:

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان عمر الوادي يجتمع مع معبد ومالكٍ وغيرهما من المغنّين عند الوليد بن يزيد، فلا يمنعه حضورُهم من تقديمه والإصغاءِ إليه والاختصاصِ له. وبلغني أنه كان / لا يضرِب وإنما كان مرتَجِلاً، وكان الوليد يسمِّيه جامعَ [٧/ ٨٦] لذّاتي. قال: وبلغني أن حَكما الواديّ وغيرَه من مُغَنّي وادي القُرى أخذوا عنه الغناء وانتحلوا أكثرَ أغانيه.

غضب الوليد على أبي رقية فاسترضاه عنه:

قال إسحاق وحدّثني عبد السلام بن الرَّبيع:

أنّ الوليد بن يزيد كان يوماً جالساً وعنده عمر الوادي وأبو رُقَيّة، وكان ضعيفَ العقل وكان يُمسك المصحفَ على أُمّ الوليد؛ فقال الوليد لعمر الوادي وقد غنّاه صوتاً: أحسنتَ والله، أنت جامع لذّاتي، وأبو رقيّة مضطجِعٌ وهم

---

(١) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «اللذتي» بالأفراد. وقد وردت هذه الكلمة بعد ذلك مختلفة في المواضع التي ذكرت فيها.

يحسَبونه نائماً، فرفع رأسه إلى الوليد فقال له: وأنا جامع لذّات أمّك؛ فغضب الوليد وهَمّ به؛ فقال له عمر الوادي: جعلني الله فِداك! ما يَعْقِل أبو رقيّة وهو صاح، فكيف يعقل وهو سكران! فأمسك عنه.

سمع غناء من راع أخذه عنه ومدحه:

قال إسحاق: وحُدِّثتُ عن عمر الوادي قال: بينا أنا أسير ليلة بين العَرْج[1] والسُّقْيا سمعت إنساناً يغنّي غناءً لم أسمع قطُّ أحسنَ منه وهو:

صوت

وكنتُ إذا ما جئتُ سُعْدَى بأرضها ... أرى الأرضَ تُطْوَى لي ويدنو بعيدُها

من الخَفِراتِ البِيضِ وَدّ جليسُها ... إذا ما انقضتْ أُحدوثةٌ لو تُعيدها

فكِدت أسقط عن راحلتي طرباً؛ فقلت: والله لألتمسنّ الوصولَ إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضوٍ من أعضائي حتى هبَطتُ من الشَّرَف[2]، فإذا أنا برجل يرعى غنماً وإذا هو صاحب الصوت، فأعلمتُه الذي أقْصَدني إليه وسألتُه إعادتَه عليّ؛ فقال: والله لو كان عندي قِرًى ما فعلتُ، ولكني أجعله قِراك، فربما ترنّمتُ به / وأنا جائعٌ [٨٧/٧] فأشبَع، وكسلانُ فأَنْشَط ومستوحِشٌ فآنَسُ؛ فأعاده عليّ مراراً حتى أخذته، فوالله ما كان لي كلام غيرُه حتى دخلت المدينة، ولقد وجدتهُ كما قال. حدّثني بهذا الخبر الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثني الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني المؤمّل بن طالوت الواديّ قال حدّثني مَكِين العُذْريّ قال: سمعت عمر الواديّ يقول: بينا أنا أسير بين الرَّوْحاء[3] والعَرْج، ثم ذكر مثله، وقال فيه: فربما ترنّمتُ به وأنا غَرْثانُ فيُشبِعني، ومستوحِشٌ فيؤنِسني، وكسلانُ فينشِّطني. قال: فما كان زادي حتى ولَجْتُ المدينةَ غيره[4]، وجرَّبْتُ ما وصفه الراعي فيه فوجدته كما قال.

نسبة هذا الصوت

١٤٣/٦

/ صوت

لقد هَجَرتْ سُعْدَى وطال صدودُها ... وعاوَدَ عَيْنَي دمعُها وسهودُها

وكنتُ إذا ما زرتُ سُعْدَى بأرضها ... أرى الأرضَ تُطْوَى لي ويدنو بعيدُها

منعَّمَةٌ لم تَلْقَ بؤسَ مَعيشةٍ ... هي الخُلْد في الدنيا لمن يَستفيدُها

هي الخلدُ ما دامتْ لأهلك جارةً ... وهل دام في الدنيا لنفس خلودُها

الشعر لكثيّر. والغناءُ لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ مطلَق بالبنصر عن يحيى المكيّ. وذكر الهشاميُّ أنّ فيه ليزيدِ

---

(١) العرج: عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج تذكر مع السقيا.

(٢) الشرف: المكان العالي.

(٣) الروحاء: موضع بين مكة والمدينة، أوّل من سماها بذلك تبع، قال ابن الكلبيّ: لما رجع تبع من قتال أهل المدينة يريد مكة نزل بالروحاء فأقام بها وأراح فسماها الروحاء، وقيل فيها غير ذلك. (انظر ياقوت في الكلام عليها).

(٤) في أ، ء، م: «غيرهما».

حَوْراء ثانيَ ثقيل. وفيه خفيفُ رَمَل يُنْسَب إلى عمر الوادي، وهو بعضُ هذا اللحن الذي حكاه عن الراعي ولا أعلم لمن هو. وهذه الأبياتُ من قصيدةٍ لكثيِّر سائرُها في الغزل وهي من جيّد غَزَله ومختارِه. وتمامُ الأبيات بعد ما مضى منها:

[٨٨/٧] / فتلـــك التـــي أصفيتُهـــا بمـــودّتـــي وليـــداً ولمّـــا يَسْتَبِـــنْ لـــي نهـــودُهـــا

وقـــد قتلـــتْ نفســـاً بغيـــر جَـــريـــرة وليـــس لهـــا عَقْـــل[١] ولا مـــن يُقِيـــدُهـــا

فكيـــف يَـــودّ القلـــبُ مـــن لا يـــودّه بلـــى قـــد تُـــريـــد النفسُ مـــن لا يُـــريـــدهـــا

ألا ليـــت شِعـــري بعـــدنـــا هـــل تغيَّـــرتْ عـــن العهـــد أم أمســـت كعهـــدي عهـــودُهـــا

إذا ذكـــرتْهـــا النفسُ جُنّـــتْ بـــذكـــرهـــا وريعَـــتْ وحَنّـــتْ واستُخِـــفّ جَلِيـــدهـــا

فلـــو كـــان مـــا بـــي بـــالجبـــال لهَـــدّهـــا وإن كـــان فـــي الـــدنيـــا شـــديـــداً هُـــدُودُهـــا

ولســـتُ وإن أُوعِـــدْتُ فيهـــا بمُنْتَـــهٍ وإن أُوقِـــدَتْ نـــارٌ فشَـــبّ وَقُـــودهـــا

أَبِيـــتُ نجيّـــاً للهمـــوم مُسَهَّـــداً إذا أُوقـــدتْ نحـــوي بليـــل وَقُـــودهـــا[٢]

فـــأصبحـــتُ ذا نفسيـــن نفـــس مـــريضـــة مـــن اليـــأس مـــا ينفـــكّ هـــمٌّ يعـــودُهـــا

ونفـــس إذا مـــا كنـــتُ وحـــدي تقطّعـــتْ كمـــا انسَـــلّ مـــن ذات النِّظـــام فـــريـــدُهـــا

فلـــم تُبْـــدِ[٣] لـــي يـــأســـاً ففـــي اليـــأس راحـــة ولـــم تُبْـــدِ لـــي جُـــوداً فينفـــع جـــودُهـــا

أخذ من الوليد خاتم ياقوت بصوت اقترحه عليه:

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَبَاية قال:

قال عمر الوادي: خرج إليّ الوليد بن يزيد يوماً وفي يده خاتم ياقوتٍ أحمر قد كاد البيت يلتمع من شُعَاعه؛ فقال لي: يا جامع لذّتي، أتحِبّ أن أهَبَه لك؟ قلت: نعم والله يا مولاي؛ فقال: غنّ في هذه الأبيات التي أنْشِدك فيها واجْهَدْ نفسَك، فإن أصبتَ إرادتي وهبتُه لك؛ فقلت: أجتهد وأرجو التوفيق.

[٨٩/٧]

/ صوت

ألا يُسلِيـــكَ عـــن سَلْمَـــى قَتِيـــرُ[٤] الشَّيْـــب والحِلْـــمُ

وأنّ الشـــكّ ملتبِـــسٌ فـــلا وصـــلٌ ولا صُـــرْمُ

فـــلا والله ربِّ النـــا س مـــالـــك عنـــدنـــا ظُلْـــمُ

(١) العقل: الدية. وأقاد القاتل بالقتيل: قتله به.

(٢) كذا بالأصول ولعله: «إذا أوفدت... وفودها»، بالفاء في الكلمتين.

(٣) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «تبذلي»، بالذال المعجمة.

(٤) القتير: أول ما يظهر من الشيب.

وكيــــف بظلـــم جــاريـــةٍ ومنهـــا اللّيـــن[١] والــرُّحْــمُ

فخلوتُ في بعض المجالس، فما زلتُ أُديره حتى استقام، ثم خرجتُ إليه وعلى رأسه وصيفةٌ، بيدها كأس وهو يروم [أن][٢] يشربها[٣] فلا يقدِر خُمَاراً؛ فقال: ما صنعتَ؟ فقلتُ: فرَغْتُ ممّا أمرتَني به؛ / وغنّيتُه، فصاح: ١٤٤/٦ أحسنتَ والله! ووثَب قائماً على رجليه وأخذ الكأس واستدناني فوضع يده اليسرى عليّ متكئاً والكأس في يده اليمنى؛ ثم قال لي: أعِدْ بأبي أنت وأمّي! فأعدتُه عليه فشرب ودعا بثانية[٤] وثالثة ورابعة وهو على حاله يشرب قائماً حتى كاد أن يسقط تعباً؛ ثم جلس ونزع الخاتم والحُلّة التي كانت عليه، فقال: والله العظيم لا تبرح هكذا حتى أسْكَر؛ فما زلت أُعيده عليه ويشرب حتى مال على جنبه سكراً فنام.

سبق عبد المطلب بن عبدالله بينه وبين أشعب وأبي رقية في وجز:

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن غُرَيْر[٥] بن طَلْحة الأرْقَمي عن أبي الحَكَم عبد المطلب بن عبدالله بن يزيد بن عبد الملك قال: والله إني لبِٱلعَقِيق في قصر القاسم بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفّان وعندي أشْعَبُ وعمر الوادي / وأبو رقيّة، إذ دعوتُ بدينار فوضعتُه بين يَدَيّ وسبّقْتُهُمُوه في رَجَزٍ [٧/ ٩٠] فكان أوّلَ من خسَقَ عمرُ الوادي[٦] فقال:

أنـــــا ابـــن زَاذَانْ أنـــا ابـــن داود أنـــا ابــن مــولــى عمــرو بــن عثمــان[٧]

ثم خسَق أبو رقيّة فقال:

أنـــا ابـــن أوّل أعجمـــــي أنـــا ابـــن عـــامـــر القـــاري

تقدّم في مسجد رسول الله ﷺ. ثم خسَق أشعبُ فقال:

أنـــا ابــــن أمّ الخلنـــــداج أنـــا ابــن المحــرِّشــة بيـــن أزواج

النبيّ ﷺ. قال أبو الحَكَم: فقلت له: أي أخزاك الله، هل سمعتَ أحداً قطُّ فَخر بهذا! فقال: وهل فخر أحدٌ بمثل فخري! لولا أن أمّي كانت عندهنّ ثقةً ما قَبِلْنَ منها حتى يغضَب بعضُهنّ على بعض.

---

(١) كذا في حـ و «اللسان» (مادة رحم). وقد وردت في سائر الأصول محرّفة. والرحم: العطف والرحمة.

(٢) ليست بالأصول.

(٣) في الأصول: «يشربه»، والكأس مؤنثة.

(٤) في الأصول: «بثان وثالث ورابع».

(٥) كذا في و «شرح القاموس» وفيما تقدم من «الأغاني» (ج ٣ ص ٣٤٨ من هذه الطبعة). وفي سائر الأصول: «عزيز»، وهو تصحيف.

(٦) الخسق: الرمي بالسهم. وقد وردت هذه الكلمة على وجه الاستعارة لمقام الرهان الوارد في هذه القصة.

(٧) هذه الأرجاز الثلاثة ليست متزنة اتزاناً عروضياً. ولعله كلام يقصد به إلى الهزل والمزاح أكثر مما يقصد به إلى الجد. لأن أشعب لم يعرف عنه أنه كان شاعراً بل كان مزاحاً صاحب نوادر، وأبو رقية رجل ضعيف العقل، وعمر مغن وليس بشاعر.

[٧/ ٩١]

/ أخبار أبي كامل

كان مغنياً محسناً مضحكاً:

اسمُه الغُزَيِّل، وهو مولى الوليد بن يزيد، وقيل: بل كان مولى أبيه، وقيل: بل كان أبوه مولى عبد الملك. وكان مغنّياً محسناً وطيِّباً مضحكاً. ولم أسمع له بخبر بعد أيام بني أميّة؛ ولعلّه مات في أيامهم أو قُتل معهم.

غنى الوليد وأطربه فخلع عليه قلنسيته:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنيّ: أن أبا كامل غنّى الوليدَ بن يزيد ذات يوم فقال:

صوت

نـــام مـــن كـــان خليًّـــا مِـــن أَلَـــمْ ... وبـــدائـــي بـــتُّ ليلِـــي لـــم أنَـــمْ
أرقُـــب الصبـــحَ كـــأنـــي مُسْنَـــدٌ ... فـــي أكـــفّ القـــوم تَغْشـــانـــي الظُّلَـــمْ
إنّ سلمـــى ولنـــا مـــن حبّهـــا ... دَيْـــدَنٌ فـــي القلـــب مـــا اخضَـــرّ السَّلَـــمْ
قـــد سَبَتْنـــي بشَتيـــتٍ نَبْتُـــه ... وثنـــايـــا لـــم يَعِبْهـــنّ قَضَـــمْ [١]

قال فطرِب الوليد وخلَع عليه قَلَنْسِيةَ وَشْيٍ [٢] مُذْهَبة كانت على رأسه. فكان أبو كامل يصونها ولا يلبَسها إلا من عيد إلى عيد ويمسَحها بكُمه ويرفعها ويبكي ويقول: إنما أرفعها لأنّي أجِدُ منها ريح سيّدي (يعني الوليد).

الغِناء في هذا الصوت هَزَج بالوسطى، نسبه عمرو بن بانة إلى عمر الوادي، ونسبه غيرُه إلى أبي كامل، وزعَم آخرون أنه لحَكَم، هكذا نسبه ابنُ المكيّ إلى حكم وزعم أنّه بالبنصر.

[٧/ ٩٢] ١٤٥ ٦

/ أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة / قال حدّثني الأصمعيّ عن صفوان بن الوليد المُعَيْطِيّ قال:

غنّى أبو كامل ذات يوم الوليدَ بن يزيد في لحنٍ لابن عائشة، وهو:

جنَّبـــانـــي أذاةَ كـــلِّ لئيـــم ... إنّـــه مـــا علمـــتُ شـــرُّ نـــديـــم

---

(١) القضم: انصداع في السن، وقيل: تكسر وتثلم في أطراف الأسنان.

(٢) كذا في أ، م، ء. وفي سائر الأصول: «وخلع عليه حتى قلنسية وشي إلخ».

للوليد فيه أشعار كثيرة:

فخلَع عليه ثيابَه كلَّها حتى قَلَنْسِيَتَه. ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدّمه؛ وزاد فيه أنه أوصى أن تُجعل في أكفانه. وللوليد في أبي كامل أشعار كثيرة. فمنها ممّا يغنّى به:

صوت

سقَيْتُ أبا كامِل مِن الأصفر البابِلِي
وسقَّيْتُها معبداً وكلَّ فتًى فاضل

وقال أيضاً فيه:

وزِقٌّ وافر الجنبين مثل الجمل البازلْ
به رُحتُ إلى صَحْبي ونَدمانِي أبي كاملْ
شربناه وقد بِتْنا بأعلى الدَّيْر بالساحِلْ
ولم نَقْبَل من الواشي قبول الجاهل الخاطلْ

الغناءُ لأبي كامل خفيفُ رملٍ بالوسطى. وذكر الهشاميّ أنه ليحيى المكي وأنه نُحِلَه أبو كامل. وذكر أن لعمر الواديّ أو لحَكَمٍ فيه رَمَلاً بالوسطى وهو القائم.

وأخبرني أبو الحسن محمد بن إبراهيم قريش رحمه الله أنّ لِيَنْشُو فيه خفيفَ رملٍ.

/ ومنها في قول الوليد: [٩٣/٧]

صوت

سَقَيْتُ أبا كامِلِ من الأصفر البابلي
وسقّيتُها معبداً وكلّ فتًى فاضل
لِيَ المحضُ من ودّهم ويَغْمُرهم نائلي
وما لامني فيهمُ سوى حاسدٍ جاهل

فيه هَزَجٌ يُنسب إلى أبي كامل وإلى حكم. وفيه لِيَنْشُو ثقيلٌ أوّل. أخبرني بذلك قريشٌ ووجه الرُّزّة جميعاً.

كان المعتضد يمدح شعر الوليد ويقول: فيه شمائل الملوك:

وأخبرني قريش عن أحمد بن أبي العلاء قال:

كان للمعتضد عليّ صوتانِ من شعر الوليد، أحدهما:

سقَيْتُ أبا كامِلِ من الأصفر البابلي

والآخر:

إن في الكأس لمسكاً أو بكَفّيْ من سقاني

وكان يُعْجَب بهما ويقول لجلسائه: أمَا ترَوْن شمائل الملوك في شعره! ما أبْيَنها[١]:

لـــيَ المَحْـــضُ مـــن ودّهـــم ويغمُـــرهـــم نـــائلـــي

وحين يقول:

كلّـــلانـــي تـــوَّجـــانـــي وبشعـــري غنّيـــانـــي

وقد نُسِب إلى الوليد بن يزيد في هذه المائة الصوت المختارة شعرُ صوتين؛ لأن ذكر سُلَيْمى في أحدهما، ولأن الصنعة في الآخر لأبي كامل[٢]؛ فذكرتُ من ذلك هاهنا صوتين، أحدهما[٣]:

[٩٤/٧] ١٤٦ / ٦

صوت

من المائة المختارة

سُلَيْمـــى تلـــك فـــي العِيـــرِ[٤] قِفـــي نُخْبِـــرْكِ أو سيـــري

إذا مـــا أنـــتِ لـــم تَـــرْثِـــي لصَـــبِّ القلـــب مغمـــورِ

فلمـــا أن دنـــا الصبـــحُ بـــأصـــواتِ العصـــافيـــر

خـــرجنـــا نَتْبَـــع الشمـــسَ عيـــونـــاً كـــالقَـــواريـــر

وفينـــا شـــادنٌ أحْـــوَرُ مـــن حُـــور اليَعَـــافِيـــر[٥]

الشعر ليزيد بن ضَبّة. والغناء في اللحن المختار لإسماعيل بن الهِرْبذ، ولحنه رَمَلٌ مطلَق في مجرى الوسطى. هكذا ذكر إسحاق في كتاب شجا لابن الهربذ؛ وذكَر في موضع آخر أن فيه لحناً لابن زُرْزُور الطائفي رملاً آخر بالسبّابة في مجرى البنصر. وذكر إبراهيم أنّ فيه لحناً لأبي كامل ولم يجنّسه. وذكر حبش أن فيه لعَطَرَّد هَزَجاً بالوسطى.

---

(١) الكلام هنا ناقص ولعله: «ما أبينها في قوله أو حين يقول... إلخ».

(٢) أبو كامل كان مغني الوليد.

(٣) ذكر المؤلف الصوت الآخر في أخبار إسماعيل بن الهربذ وهو:

امـــدح الكـــأس ومـــن أعملهـــا واهـــج قـــومـــاً قتلـــونـــا بـــالعطـــش

إنمـــا الكـــأس ربيـــع بـــاكـــر فـــإذا مـــا غـــاب عنـــا لـــم نعـــش

(٤) العير: القافلة.

(٥) اليعافير: الظباء، واحدها يعفور.

/ أخبار يزيد بن ضَبّة ونسبه

[٩٥/٧]

نسبه وولاؤه وانقطاعه إلى الوليد بن يزيد:

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيْثم قال حدّثني أحمد بن الهَيْثم عن الحسن بن إبراهيم بن سَعْدان عن عبد العظيم بن عبدالله بن يَزيد بن ضَبّة الثَّقَفيّ قال:

كان جدّي يزيد بن ضَبّة مولًى لثقيف. واسم أبيه مِقْسم؛ وضَبّةُ أمّه غلَبَتْ على نسبه؛ لأن أباه مات وخلّفه صغيراً، فكانت أمّه تحضُن أولاد المُغِيرة بن شُعْبة ثم أولاد ابنه عُرْوة بن المغيرة، فكان جَدّي يُنسب إليها لشهرتها. قال: وولاؤه لبني مالك بن حُطَيْط ثم لبني عامر بن يَسَار. قال عبد العظيم: وكان جدّي يزيد بن ضَبّة منقطعاً إلى الوليد بن يزيد في حياة أبيه متصلاً به لا يفارقه.

أراد أن يهنىء هشاماً بالخلافة فردّه لانقطاعه للوليد وشعره في ذلك

فلما أفضت الخلافة إلى هشام أتاه جدّي مهنّئاً بالخلافة. فلما استقرّ به المجلس ووصلت إليه الوفود وقامت الخطباء تُثني عليه والشعراء تمدحه، مثَل جدّي بين السِّماطين فاستأذنه في الإنشاد، فلم يأذَن له، وقال: عليك بالوليد فامدحه وأنشِدْه، وأمَر بإخراجه. وبلغ الوليدَ خبرُه، فبعث إليه بخمسمائة دينار، وقال له: لو أَمِنتُ عليك هشاماً لما فارقتَني، ولكن اخرج إلى الطائف، وعليك بمالي هناك؛ فقد سوّغتُك جميعَ غلّته، ومهما احتجتَ[1] إليّ من شيء بعد ذلك فالتمِسْه منّي. فخرج إلى الطائف، وقال يذكر ما فعله هشام به:

أرَى سلمى تَصُدّ وما صَدَدْنا ... وغيرَ صدودِها كنّا أرَدْنا

لقد بخِلتْ بنائلها علينا ... ولو جادت بنائلها حَمِدنا

وقد ضنّت بما وعدتْ وأمستْ ... تغيَّر عهدَها عمّا عَهِدنا

/ ولو علمتْ بما لاقيتُ سلمى ... فتُخبرني وتعلم ما وجدنا

[٩٦/٧]

تُلِمّ على تنائي الدار منّا ... فيُسهرنا الخيال إذا رقَدْنا

ألم تَرَ أنّنا لمّا وَلِينا ... أموراً خُرِّقت فوهَتْ سَدَدنا

رأينا الفَتْقَ حين وهَى عليهم ... وكم من مثله صَدْعٍ رَفَأْنا

/ إذا هاب الكريهةَ من يَلِيها ... وأعظَمها الهَيُوبُ لها عَمَدنا

١٤٧/٦

(١) في ب، س، حـ: «إليه».

وجبّارٍ تركناه كَلِيلاً وقائدِ فتنةٍ طاغٍ أزَلْنا
فلا تنسَوْا مواطِنَنا فإنّا إذا ما عاد أهل الجُرم عُدْنا
وما هِيضتْ مَكاسِرُ من جبَرْنا ولا جُبِرتْ مصيبةُ من هدَدْنا
ألا من مُبلِغٌ عنّي هشاماً فما منّا البَلاءُ ولا بَعُدْنا
وما كنّا إلى الخلفاء نُفضِي ولا كنّا نؤخَّر إن شَهِدنا
ألم يك بالبلاء لنا جَزاءٌ فنُجزَى بالمحاسن أم حُسِدنا
وقد كان الملوك يرون حقّاً لوافِدنا فنُكْرَمُ إن وفَدْنَا
ولِينا الناسَ أزماناً طِوالاً وسُسْناهم ودُسْناهم وقُدْنا
ألم تَرَ من ولَدْنا كيف أشبَى[(١)] وأشبَيْنا وما بهمُ قعَدْنا
نكون لمن ولدْناه سماءً إذا شِيمتْ مَخَايِلُنا رعَدنا
وكان أبوك قد أسدى إلينا جسيمةَ أمره وبه سَعِدنا
كذلك أوّلُ الخلفاء كانوا بنا جَدّوا كما بهم جدَدْنا
هُمُ آباؤنا وهُمُ بنونا لنا جُبِلوا كما لهمُ جُبِلنا
ونكْوِي بالعداوة مَن بَغانا ونُسْعِد بالمودّة من وَدِدْنا
/ نرى حقّاً لسائلنا علينا فنحبوه ونُجزِل إن وعَدنا [٧/ ٩٧]
ونضمَن جارَنا ونراه منّا فنَرفِدُه فنُجزل إن رفَدْنا
وما نعتدّ دون المجد مالاً إذا يُغلَى بمكرُمةٍ أفَدْنا
وأتلَدُ مجدِنا أنّا كِرامٌ بحدّ المَشْرَفِيّة عنه ذُدْنا

هنأ الوليد بالخلافة فأعطاه لكل بيت ألف درهم:

قال: فلم يزل مقيماً بالطائف إلى أن ولِي الوليدُ بن يزيد الخلافةَ، فوفَد إليه. فلما دخل عليه والناسُ بين يديه جلوس ووقوف على مراتبهم هنّأه بالخلافة؛ فأدناه الوليد وضمّه إليه، وقبّل يزيدُ بن ضَبّة رجليه والأرضَ بين يديه؛ فقال الوليد لأصحابه: هذا طريدُ الأحول لصُحْبته إيّاي وانقطاعِه إليّ. فاستأذنه يزيد في الإنشاد وقال له: يا أمير المؤمنين، هذا اليومُ الذي نهاني عمُّك هشام عن الإنشاد فيه قد بلغتُه بعد يأس، والحمد لله على ذلك. فأذِن له، فأنشده:

سُلَيْمى تلك في العِيرِ قِفي أسألْك أو سيري

---

(١) أشبى الرجل: ولد له ولد ذكي. قال ذو الإصبع العدواني:
وهم إن ولدوا أشبَوا بسرّ الحسب المحض

إذا ما بنتِ لم تأوِي ... لصَبّ القلبِ مَغْمور

وقد بانت ولم تَعْهَد ... مهاةٌ في مَهاً حُورِ

وفي الآلِ[1] حُمُولُ الحـ ... ـيّ تُزْهَى كالقَرَاقِير[2]

يُواريها وتبدو منـ ... ـه آلٌ[3] كالسَّمَادير[4]

/ وتطفو حين تطفو فيـ ... ـه كالنَّخلِ المَوَاقِير[5] [٧/٩٨]

لقد لاقيتُ من سَلْمَى ... تباريحَ التَّناكِيرِ[6]

/ دعتْ عيني لها قلبي ... وأسبابُ المقادير ١٤٨/٦

وما إنْ مَنْ به شيبٌ ... إذا يصبو بمعذور

لسلمى رسمُ أطلالٍ ... عفَتْها الرِّيحُ بالمُور[7]

خَرِيقٌ[8] تنخُلُ التُّربَ ... بأذيالِ الأعاصير

فأوْحِشْ إذ نأتْ سلمى ... بتلك الدُّور من دُور

سأرمي قانصاتِ البِيـ ... ـد إن عِشْتُ بعُسْبور[9]

من العِيسِ شَجَوْجاةٍ[10] ... طَواها النِّسْعُ بالكُور

إذا ما حَقَبٌ[11] منها ... قرَنَّاه بتَصْدِير

زجرْنا العِيسَ فارقَدّتْ[12] ... بإعصافٍ وتَشْمير

(١) الآل هنا: السراب، وقيل: الآل هو الذي يكون ضحى كالماء بين السماء والأرض يرفع الشخوص ويزهاها. فأما السراب فهو الذي يكون نصف النهار لاطئاً بالأرض كأنه ماء جار. فالآل من الضحى إلى زوال الشمس والسراب بعد الزوال إلى العصر.

(٢) كذا في أ، هـ، م، وكذلك صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطي بنسخته. والقراقير: السفن العظيمة أو الطويلة. وفي ب، س، حـ: «كالقوارير».

(٣) الآل هنا: الشخوص التي تظهر في الآل (بالمعنى السابق).

(٤) كذا في أكثر النسخ. والسمادير: الأشياء التي تتراءى للإنسان من ضعف بصره عند السكر من الشراب وغشي النعاس والدوار. قال الكميت:

ولما رأيت المقربات مذالة ... وأنكرت إلا بالسمادير آلها

وفي ب، س: «كالشماذير» بالشين والذال المعجمتين، وهو تصحيف.

(٥) المواقير: جمع ميقار. والنخلة الميقار كالموقرة: التي عليها حمل ثقيل.

(٦) التباريح: الشدائد. وهو من الجموع التي لا مفرد لها. والتناكير: الأمور المنكرة.

(٧) المور: الغبار المتردّد. وهو أيضاً تراب تثيره الريح.

(٨) الخريق: الريح الشديدة الهبوب.

(٩) العسبور: الناقة الشديدة.

(١٠) الشجوجاة: الطويلة جداً. وقيل: الطويلة الرجلين. وقيل: الطويلة الظهر. والنسع: سير مفتول يشدّ به الرحل. والكور: الرحل.

(١١) الحقب: حبل يشدّ به الرحل في بطن البعير مما يلي ثيله (وعاء قضيب البعير) لئلا يؤذيه التصدير أو يجتذبه التصدير فيقدّمه. والتصدير: الحزام، وهو في صدر البعير، والحقب عند الثيل.

(١٢) الارقداد: سرعة السير. وفي ب، س: «فارتدت» وهو تصحيف. والإعصاف: الإسراع في السير. والتشمير: الجدّ في الأمر والاجتهاد فيه.

تُقاسِيها على أَيْنٍ ... بإدلاجٍ[1] وتَهْجيرِ

[٩٩/٧] / إذا ما اعصَوْصَبَ[2] الآلُ ... ومال الظِّلُّ بالقُورِ

وراحت تتّقي الشمسَ ... مطايا القوم كالعُورِ

إلى أن يُفْضِح[3] الصبحُ ... بأصوات العصافيرِ

لِتَعْتامَ[4] الوليدَ القَرْ ... مَ أهلَ الجود والخِيرِ

كريمٌ يَهَبُ البُزْلَ ... مع الخُورِ[5] الجَراجيرِ

تُراعِي حين تُزْجيها ... هَوِيًّا[6] كالمزاميرِ

كما جاوبَتِ النِّيبُ ... رِبَاعَ[7] الخُلُجِ الخُورِ

ويُعطي الذهبَ الأحمـ ... ـرَ وَزْناً بالقناطيرِ

بلَوْناه فأحمدنا ... ه في عُسْرٍ وميسورِ

كريمُ العُود والعُنْصـ ... ـرِ غَمْرٌ غير منزورِ

له السَّبْق إلى الغايا ... ت في ضَمّ المَضاميرِ

إمامٌ يُوضِح الحقَّ ... له نورٌ على نورِ

مقالٌ من أخي ودٍّ ... بحفظ الصدق مأثورِ

بإحكام وإخلاص ... وتفهيم وتَحْبيرِ

قال: فأمر الوليدُ بأن تُعَدّ أبيات القصيدة ويُعطَى لكل بيت ألفَ درهم؛ فعُدَّتْ فكانت خمسين بيتاً فأُعْطِيَ خمسين ألفاً. فكان أوّلَ خليفة عَدّ أبياتَ الشعر / وأعطى على عددها لكل بيت ألف درهم؛ ثم لم يفعل ذلك إلاّ هارون الرشيد، فإنه بلغه خبر جدّي مع الوليد فأعطى مروانَ بن أبي حَفْصة ومنصوراً النَّمَرِيّ لمّا مدحاه وهَجَوا آلَ أبي طالب لكل بيت ألفَ درهم. [١٠٠/٧]

أمره الوليد بمدح فرسه السندي وكانا قد خرجا إلى الصيد:

قال عبد العظيم وحدّثني أبي وجماعةٌ من أصحاب الوليد:

أنّ الوليد خرج إلى الصيد ومعه جَدّي يزيد بن ضَبّة، فاصطاد على فرسه السِّنْديّ صيداً حسناً، ولحِق عليه

---

(١) الإدلاج: السير في الليل. والتهجير: السير في الهاجرة.

(٢) اعصوصب: اشتد. والآل: السراب. والقور: جمع قارة وهي الجبيل المنقطع عن الجبال أو الصخرة العظيمة.

(٣) أفضح الصبح: بدا. وفي حـ: «يفصح» بالصاد المهملة.

(٤) اعتام: اختار واصطفى. يريد: تقصد إليه مختارة له.

(٥) الخور: النوق الغزيرة اللبن. والجراجير: الكرام من الإبل.

(٦) الهويّ: الدويّ في الأذن.

(٧) الرباع: جمع ربع (بضم ففتح) وهو ما ولد من الإبل في أول النتاج. والخلوج: الناقة الكثيرة اللبن التي تحنّ إلى ولدها.

حماراً فصرَعه؛ فقال لجدّي: صِفْ فرسي هذا وصيدَنا اليوم؛ فقال في ذلك:

١٤٩/٦

/ وأخْـــوَى سَلِـــسُ الـــمَـــرْسِـــن مثـــلُ الصَّـــدَع الشَّغْـــبِ[1]

سمـــا فـــوق مُنِيفَـــاتٍ طـــوالٍ كـــالقَنَـــا سُلْـــبِ[2]

طـــويـــلُ الســـاق عُنْجُـــوجٌ أشـــقُّ أصمـــعُ الكَعْـــبِ[3]

علـــى لأمٍ أصـــمَّ مُضَمَّـــرِ الأشْعَـــرِ كـــالقَعْـــبِ[4]

تَـــرى بيـــن حَـــوامِيـــهِ نُسُـــوراً كنَـــوَى القَسْـــبِ[5]

مُعَـــالًـــى شَنِـــجُ الأنْســـاءِ ســـامٍ جُـــرْشُـــعُ الجَنْـــبِ[6]

[١٠١/٧]

/ طَـــوَى بيـــن الشَّـــراسِيـــفِ إلـــى المَنْقَـــبِ فـــالقُنْـــبِ[7]

يغـــوص الملحـــمَ القـــائِـــمَ ذو حَـــدٍّ وذو شَغْـــبِ

عَتِيـــدُ الشَّـــدِّ والتَّقْـــريـــبِ والإحْضـــارِ والعَقْـــبِ[8]

صليـــبُ الأُذْنِ والكـــاهـــلِ والمَـــوْقِـــفِ والعَجْـــبِ[9]

عـــريـــضُ الخـــدِّ والجَبْهـــةِ والبِـــرْكَـــةِ والهُلْـــبِ[10]

إذا مـــا خَثَّـــه حـــاثٌ يُبـــارِي الـــريـــحَ فـــي غَـــرْبِ[11]

---

(١) المرسن: الأنف. والصدع: الفتيّ الشاب القويّ من الأوعال والظباء. والشعب (بالتحريك): تباعد ما بين القرنين فهو وصف بالمصدر. وسكن للضرور.

(٢) الرمح السلب (ككتف): الطويل والجمع سلب (بضمتين). قال الشاعر:

ومـــن ربـــط الجحـــاش فـــان فينـــا قنـــا سلبـــاً وأفـــراســـاً حســـانـــا

ويجوز فيه التخفيف بتسكين عينه كما هنا.

(٣) العنجوج: الرائع من الخيل. والأشق: الطويل. والصمع في الكعوب: لطافتها واستواؤها.

(٤) اللام: الشديد من كل شيء، ومن الحوافر: أشدّها. يريد: على حافر شديد صلب. والأشعر: ما استدار بالحافر من منتهى الجلد حيث تنبت الشعيرات حول الحافر. والقعب: القدح الصغير يشبه به الحافر.

(٥) الحوامي: ميامن الفرس ومياسره. والنسر: لحمة صلبة في باطن الحافر كأنها حصاة أو نواة. والقسب: تمر يابس يتفتت في الفم صلب النواة.

(٦) الأنساء: جمع نسا وهو عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمرّ بالعرقوب حتى يبلغ الحافر. وفرس شنج النسا: متقبضه، وهو مدح له. وجرشع الجنب: منتفخه.

(٧) الشراسيف: أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن. والمنقب (كمقعد): الموضع الذي ينقبه البيطار من بطن الدابة. والقنب: جراب قضيب الدابة.

(٨) يقال: فرس عتيد: شديد الخلق معدّ للجري. والتقريب: ضرب من العدو، وهو أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً وهو دون الإحضار. والعقب: الجري يجيء بعد الجري الأوّل.

(٩) الموقفان من الفرس: نقرتا الخاصرة على رأس الكلية. والعجب: أصل الذنب عند رأس العصعص.

(١٠) البركة: الصدر. والهلب: شعر الذنب. وفي الأصول: «اللهب» وهو تحريف.

(١١) غرب الفرس: حدّته ونشاطه.

وإن وجَّهْـتَه أسْـر ... ع كالخُذْرُوفِ[١] في الثُّقَب
وقَفَّاهُنَّ كالأجْدَ ... ل لما انضمَّ للضَّرْب
ووالى الطعنَ يَختار ... جَوَاشِنَ[٢] بُدَّنٍ قُبِّ
تَرَى كُلَّ مُدِلٍّ[٣] قا ... ئماً يَلْهَثُ كالكلب
كأن الماء في الأعطا ... ف منه قِطَعُ العُطْب[٤]
كأن الدَّمَ في النَّحر ... قَذَالٌ عُلَّ بالخَضْب
يَزِينُ الدارَ موقوفاً ... ويَشْفِي قَرَمَ[٥] الرَّكْب

[١٠٢/٧] / قال: فقال له الوليد: أحسنت يا يزيد الوصفَ وأجدته، فاجعل لقصيدتك تشبيباً وأَعْطِه الغُرَيِّلَ وعمر الوادي حتى يغنيًا فيه؛ فقال:

صوت

إلى هندٍ صبا قلبي ... وهندٌ مثلُها يُصْبِي
وهندٌ غادةٌ غَيْدا ... ءُ من جُرْثومةٍ[٦] غُلْب
وما إنْ وجَدَ الناسُ ... من الأدواء كالحبّ
لقد لَجَّ بها الإعرا ... ضُ والهجرُ بلا ذنب
ولمّا أقْضِ من هندٍ ... ومن جاراتها نَحْبي[٧]
أرى وجدي بهندٍ دا ... ئماً يَزداد عن غِبّ[٨]
وقد أطْوَلْتُ[٩] إعراضاً ... وما بغضُهُمُ طِبِّي[١٠]
ولكن رِقْبَةُ[١١] الأعـ ... ـيُنُ قد تحجُز ذا اللُّبّ

---

(١) الخذروف: شيء يدوّره الصبيّ بخيط في يده فيسمع له دويّ.
(٢) الجواشن: الصدور.
(٣) المدل: الجريء.
(٤) العطب: القطن.
(٥) القرم: الشهوة إلى اللحم. وفي ب، س: «قدم» بالدال المهملة، وهو تحريف.
(٦) الجرثومة: الأصل. والغلب: جمع أغلب، وهو في الأصل الغليظ الرقبة، وهم يصفون السادة أبداً بغلظ الرقبة وطولها.
(٧) النحب: الحاجة.
(٨) الغب: قلة الزيارة.
(٩) أطول كأطال، أنشد سيبويه:

صددتِ فأطولتِ الصدود وقلما ... وصال على طول الصدود يدوم

(١٠) الطب هنا: الشأن والعادة.
(١١) كذا في ء، أ. وفي سائر الأصول: «رقية» بالياء المثناة، وهو تصحيف.

ورَغـــمُ[(١)] الكـــاشـــح الـــراغـــــــم فيهـــا أَيْسَـــرُ الخَطْـــبِ

/ قال: ودفَع هذه الأبيات إلى المغنّين فغنّوْه فيها.

١٥٠
٦

/ كان فصيحاً يطلب الحوشيّ من الشعر:

[١٠٣/٧]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِيّ قال حدّثنا الرِّيَاشيّ عن الأصمعيّ، وحدّثني به محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعيّ قال:

كان يزيد بن ضَبّة مولى ثَقيف، ولكنّه كان فصيحاً، وقد أدركتُه بالطائف، وقد كان يَطلب القوافيَ المعتاصةَ والحُوشِيّ من الشعر.

قال أهل الطائف إن له ألف قصيدة انتحلتها شعراء العرب:

قال أبو حاتم في خبره خاصّة وحدّثني غسّان بن عبدالله بن عبد الوهاب الثقفيّ عن جماعة من مشايخ الطائفيّين وعلمائهم قالوا: قال يزيد بن ضبّة ألفَ قصيدة، فاقتسمتها شعراء العرب وانتحلتها، فدخلتْ في أشعارها.



(١) في أ، ء، م: «زعم» بالزاي والعين المهملة.

[١٠٤/٧] / أخبار إسماعيل بن الهِرْبِذ

ولاؤه، وقد غنى الوليد وعمر إلى آخر أيام الرشيد:

إسماعيل بن الهِرْبِذ مكيٌّ مولًى لآل الزُّبَير بن العَوّام، وقيل: بل هو مولى بني كِنانة. أدرك آخرَ أيام بني أميّة وغنّى للوليد بن يزيد، وعُمِّر إلى آخر أيام الرشيد.

قدم على الرشيد وعنده بعض كبار المغنين فأطربه دونهم:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه عن عبدالله بن أبي سعد عن محمد بن عبدالله بن مالك الخُزَاعيّ عن أبيه:

أن إسماعيل بن الهِرْبِذ قدِم على الرشيد من مكة، فدخل إليه وعنده ابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وفُلَيح وغيرُهم والرشيد يومئذ خاثِرٌ[١] به خُمَار شديد؛ فغنّى ابنُ جامع ثم فُلَيح ثم إبراهيم ثم إسحاق، فما حرّكه أحد منهم ولا أطربه؛ فاندفع ابن الهِرْبِذ يغنّي، فعَجِبوا من إقدامه في تلك الحال على الرشيد، فغنّى:

صوت

يـــا راكـــبَ العيـــس التـــي	وفـــدتْ مـــن البلـــد الحَـــرَامِ
قُـــل لـــلإمـــام ابـــن الإمـــا	م أخـــي الإمـــام أبـــي الإمـــام
زيـــنِ البـــريّـــة إذ بـــدا	فيهـــم كمصبـــاح الظـــلام
جعـــل الإلـــهُ الـــهِـــرْبِـــذيَّ فِـــداك مـــن بيـــن الأنـــام	

- الغناء لابن الهِرْبِذ رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو - قال فكاد الرشيد يرقص، واستخفّه الطرب حتى ضرب بيديه ورجليه، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن لهذا الصوت حديثاً، فإن أذِن مولاي حدّثته به؛ فقال: حدِّث. قال: كنت مملوكاً لرجل من ولد الزُّبير، فدَفَع إليّ درهمين أبتاع / [١٠٥/٧] له بهما لحماً، فرُحْتُ فلقيتُ جاريةً على رأسها جَرّةٌ مملوءةٌ من ماء العَقيق[٢] وهي تغنّي هذا اللحنَ في شعر غير هذا الشعر على وزنه ورويِّه؛ فسألتها أن تُعلِّمَنيه؛ فقالت: لا وحقِّ القبرِ[٣] إلّا بدرهمين؛ فدفعتُ إليها الدرهمين وعلّمَتْنيه؛ فرجَعت إلى مولاي

(١) خثرت نفسه: غثت واختلطت.

(٢) العقيق: واد بناحية المدينة فيه عيون ونخيل.

(٣) تريد قبر رسول الله ﷺ.

بغير لحم فضربني ضرباً مبرِّحاً شُغِلتُ معه بنفسي فأُنسِيتُ الصوت. ثم دفع إليّ درهمين آخرين بعد أيام أبتاع له بهما لحماً؛ فلقِيَتْني الجاريةُ فسألتُها أن تُعيد الصوتَ عليّ؛ فقالت: لا والله إلا بدرهمين؛ فدفعتُهما إليها وأعادته عليّ مراراً حتى أخذتُه. فلما رجَعتُ إلى مولاي أيضاً ولا لحمَ معي قال: ما القصّة في هذين الدرهمين؟ فصدَقْتُه القصّةَ وأعَدْتُ / عليه الصوت، فقبّل بين عينيّ وأعتقني. فرحلتُ[1] إليك بهذا الصوت، وقد جعلتُ ذلك اللحن في هذا الشعر؛ فقال: دَع الأوّلَ وتَناسَه، وأقِمْ على الغناء بهذا اللحن في هذا الشعر؛ فأمّا مولاك فسأدفع إليه بدل كلّ درهم ألفَ دينار؛ ثم أمر له بذلك فحُمِل إليه.

١٥١/٦

شعر نسب للوليد وليس له:

وممّا نُسب إلى الوليد بن يزيد من الشعر وليس له:

صوت

من المائة المختارة

امْـــدَحِ الكَـــأسَ ومَـــن أعْمَلَهـــا ... واهْـــجُ قَـــومـــاً قتلـــونـــا بـــالعطَـــشْ

إنمـــا الكـــأس ربيـــعٌ بـــاكـــرٌ ... فـــإذا مـــا غـــاب عنّـــا لـــم نَعِـــشْ

الشعر لنابغة بني شَيْبان. والغناء لأبي كامل، ولحنُه المختار من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى، وهو الذي تسمّيه الناسُ اليومَ الماخوريّ. وفيه لأبي كامل أيضاً خفيفُ رمل بالبنصر عن عمرو. وذكر الهشاميّ أن فيه لمالك لحناً من الثقيل الأوّل بالوسطى، ولعمر الوادي ثاني ثقيل بالبنصر.

---

(١) في أ، ء، م: «فرحت».

[١٠٦/٧]

/ نسب نابغة بني شيبان

نسبه، وهو شاعر بدويّ أموي:

النابغة اسمه عبدالله بن المُخَارِق بن سُلَيْم بن حصرة[١] بن قَيْس بن سِنَان بن حَمّاد بن حارثة[٢] بن عمرو بن أبي رَبِيعة بن ذُهْل بن شَيْبان بن ثَعْلبةَ بن عُكَابة بن صَعْبِ بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أَقْصَى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة بن أسد بن رَبيعة بن نِزار. شاعرٌ بدويّ من شعراء الدولة الأُمويّة. وكان يفِد إلى الشأم إلى خلفاء بني أميّة فيمدحهم ويُجْزلون عطاءه. وكان فيما أرى[٣] نَصْرانيّاً لأنّي وجدته في شعره يَحلِف بالإنجيل والرُّهْبان وبالأيمان التي يحلِف بها النّصارى. ومدَح عبدَ الملك بن مروان ومَنْ بعده مِنْ ولَده؛ وله في الوليد مدائحُ كثيرة.

مدح عبد الملك لما هم بخلع أخيه وتولية ابنه للعهد:

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن سعد الكُرَانيّ قال حدّثني العُمَريّ عن العُتْبيّ قال:

لما همّ عبد الملك بخلع عبد العزيز أخيه وتَوْلِيةِ الوليدِ ابنِه العهدَ، كان[٤] نابغة بني شيبان منقطِعاً إلى عبد الملك مَدّاحاً له؛ فدخل إليه في يوم حَفْلٍ والناسُ حواليه وولدُه قُدّامَه، فمَثَل بين يديه وأنشده قوله:

[١٠٧/٧]

/ أشتقـتَ[٥] وانهـلّ دمـعُ عينـك أنْ ... أضحـى قِفـاراً مـن أهلـه طَلَـحُ[٦]

حتى انتهى إلى قوله:

أَزَحْـتَ عنّـا آلَ الـزبيـر ولـو ... كـانـوا هُـمُ المـالكيـن مـا صَلَحـوا

إن تَلْـقَ بَلْـوَى فـأنـت مُصْطَبِـرٌ ... وإن تُـلاقِ النُّعْمَـى فـلا فـرح

---

(١) كذا في «شرح القاموس» (مادة نبغ) في الكلام على نسب النابغة، و«تجريد الأغاني» في ترجمته، وقد ورد فيه مضبوطاً بالقلم بضم الحاء. وفي جميع الأصول: «حضيرة» بالحاء المهملة والضاد المعجمة. وفي ديوانه المخطوط بخط الأستاذ الشنقيطي: «خصيرة» بالخاء المعجمة والصاد المهملة.

(٢) كذا في «تجريد الأغاني» و «شرح القاموس» وديوانه. وفي الأصول: «جارية».

(٣) هذا ما رآه أبو الفرج. وقد ورد في ديوانه ما يدل على أنه كان مسلماً؛ فمن ذلك قوله في قصيدته الرائية (ص ١٧ طبع دار الكتب المصرية):

وتعجبنـي اللـذات ثـم يعـوجنـي ... ويستـرنـي عنهـا مـن الله سـاتـر

ويـزجـرنـي الإسـلام والشيـب والتقـي ... وفـي الشيـب والإسـلام للمـرء زاجـر

ويتجلى الروح الإسلامي في كثير من شعره المذكور في ديوانه.

(٤) في الأصول: «وكان».

(٥) قد وردت هذه القصيدة باختلاف عما هنا في ديوانه المطبوع بدار الكتب المصرية، فأثبتنا من الديوان ما رأيناه صواباً دون ما في الأصول وأغفلنا ما عدا ذلك.

(٦) طلح وذو طلح: موضع دون الطائف لبني محرز، وقيل: موضع في بلاد بني يربوع.

تـرمـي بعينـيْ أقْنَـى علـى شَـرَف ... لـم يـؤذه عـائـرٌ ولا لَحَـحُ[١]

آلُ أبـي العـاص آلُ مَـأْثُـرةٍ ... غُـرٌّ عِتـاقٌ بـالخيـر قـد نفَحـوا

خيـرُ قـريـشٍ وهـم أفـاضلُهـا ... فـي الجِـدِّ جِـدٌّ وإن هُـمُ مَـزَحـوا

أرْحَبُهـا أذْرُعـاً وأصبَـرُهـا ... أنتم إذا القـوم فـي الـوَغَـى كلَحـوا[٢]

/ أمّـا قـريـشٌ فـأنـتَ وارثُهـا ... تكُـفّ مـن صعبهـم إذا طمَحـوا

[١٥٢/٦]

حفِظْـتَ مـا ضَيّعـوا وزَنْـدَهـم ... أورَيْـتَ إذ أصلـدوا[٣] وقـد قـدحـوا

آليـتُ جَهْـداً ـ وصـادقٌ قسمـي ـ ... بـربُ عبـدٍ تَجُنُّـه الكُـرُحُ[٤]

يَظَـلّ يتلـو الإنجيـلَ يـدرُسـه ... مـن خَشْيـة الله قلبُـه طَفِـحُ[٥]

/ لابنُـك أولَـى بمُلـك والـده ... ونجـم مـن قـد عصـاك مُطَّـرح

[١٠٨/٧]

داود عَـدْلٌ فـاحكـم بسيـرتـه ... ثـم ابـنُ حَـرْب فـإنّهـم نصَحـوا

وهـم خيـارٌ فـاعمـل بسنّتهـم ... واحْـيَ بخيـر واكْـدَحْ كمـا كـدَحـوا

قال: فتبسم عبد الملك ولم يتكلم في ذلك بإنذار[٦] ولا دفع؛ فعلم الناس أنّ رأيه خلعُ عبد العزيز. وبلغ ذلك من قول النابغة عبدَ العزيز، فقال[٧]: لقد أدخل ابنُ النصرانيّة نفسه مُدْخَلاً ضيّقاً فأوردها مورداً خطراً؛ وبالله عليّ لئن ظفِرتُ به لأخضِبنّ قدمَه بدمه.

هنأ يزيد بن عبد الملك بالفتح بعد قتل يزيد بن المهلب:

وقال أبو عمرو الشَّيْبانيّ: لما قُتل يزيد بن المهلّب دخل النابغة الشَّيْبانيّ على يزيد بن عبد الملك بن مروان، فأنشده قولَه في تهنئته بالفتح:

ألاَ طـال التنظُّـر والثَّـوَاءُ ... وجـاء الصيـف وانكشـف الغِطـاءُ

وليـس يُقيـم ذو شَجَـنٍ مُقِيـمٍ ... ولا يَمْضِـي إذا ابتُغِـي المَضَـاءُ

---

(١) كذا ورد هذا البيت في ديوانه. والأقنى: الصقر، سمي بذلك لقنا أنفه أي ارتفاع أعلاه واحدداب وسطه وسبوغ طرفه. والعائر: الرمد. واللحح: لصوق الأجفان بالرمص وهو وسخ أبيض جامد يلصق بالجفون. وفي الأصول:

تـرمـي بعينـي أروى علـى شـرف ... لـم يـوده عـائـر ولا لمحـوا

والأروى: أنثى الوعول. ولم يظهر لنا فيه معنى واضح، فآثرنا رواية الديوان.

(٢) كلحوا: كشروا في عبوس.

(٣) كذا في ديوانه. وأصلد الزند: قدحه ولم يور. وفي الأصول: «إن صلدوا وإن قدحوا».

(٤) كذا ورد هذا الشطر في ديوانه. والكرح والأكيراح: بيوت صغار بأرض الكوفة تسكنها الرهبان. وفي الأصول: «الرب عبدالله ينتصحوا».

(٥) رواية ديوانه: «قفح» بالقاف والفاء. وفسره الشنقيطي بقوله: «قفح: وجع».

(٦) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «باقدار»، وهو تحريف.

(٧) في الأصول: «وقال».

طَوالَ الدهرِ إلاّ في كتابِ ومقدارٍ يُوافِقه القضاءُ

فما يُعطَى الحريصُ غنًى لحِرْصٍ وقد يَنْمِي لذي الجود الثَّرَاء

وكلُّ شديدةٍ نزلتْ بحيٍّ سيتبعُها إذا انتهت الرَّخَاء

يقول فيها:

أؤمُّ فتًى من الأعياص مَلْكاً أغرَّ كأن غُرّته ضِياء

لأُسْمِعه غريبَ الشعر مدحاً وأُثْنِي حيث يتَّصِل الثناء

يزيد الخيرِ فهو يزيد خيراً وينمِي كلّما ابْتُغِي النَّمَاء

فضَضتَ كتائبَ «الأزديّ» فَضًّا بكبشك حين لَفَّهما اللقاء

[١٠٩/٧] / سَمكْتَ[1] المُلْكَ مقتبَلاً جديداً كما سُمِكَتْ على الأرض السماء

نرجِّي أن تدوم لنا إماماً وفي مُلْك الوليد لنا رجاءُ

«هشامٌ» و «الوليد»[2] وكلُّ نفسٍ تُريد لك الفناء لك الفِداء

وهي قصيدة طويلة، فأمر له بمائة ناقة من نَعَم كَلْب وأن تُوقَر له بُرًّا وزَبيباً، وكساه وأجزل صلته.

وفد على هشام مادحاً فطرده لغلوّه في مدح يزيد:

قال: ووفَد إلى هشام لمّا وَلِي الخلافة؛ فلمّا رآه قال له: يا ماصَّ ما أبْقتِ المَوَاسِي من بَظْر أمّه! ألستَ القائلَ:

هشامٌ والوليدُ وكلُّ نفسٍ تسريد لك الفناءَ لك الفِداء

أخرِجوه عنّي! والله لا يَرْزَؤُني[3] شيئاً أبداً وحَرمه. ولم يزل طولَ أيامه طريداً؛ حتى ولي الوليدُ بن يزيد؛ فوفد إليه ومدحه مدائح كثيرة، فأجزل صلته.

شعره في صفة الخمر ومدحها:

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني عُبيد الله بن محمد الكُوفيّ عن ١٥٣/٦ العُمَريّ / الخَصّاف عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية أنه أنشده لنابغة بني شَيْبان:

أيها[4] الساقي سقتْك مُزْنَةٌ من رَبِيعٍ[5] ذي أهاضيبَ وطَشّ

امدح الكأس ومن أعملها واهْجُ قوماً قتلونا بالعطش

---

(١) سمك الشيء: رفعه.

(٢) كذا في الأصول وديوانه. ولم تتبين من المقصود بالوليد! الوليد بن عبد الملك وقد مات قبل يزيد هذا أم الوليد بن يزيد وهو ابن الممدوح وقد أسلف مدحه في البيت السابق!.

(٣) لا يرزؤني شيئاً: لا يصيب مني شيئاً.

(٤) قد وردت هذه القصيدة في ديوانه ببعض اختلاف عما هنا.

(٥) الربيع: المطر في أوّل فصل الربيع. والأهاضيب: حلبات القطر بعد القطر. والطش: المطر الضعيف.

إنمـــا الكـــأسُ ربيـــعٌ بـــاكـــرٌ فـــإذا مـــا غـــاب عنّـــا لـــم نَعِـــشْ

/ وكـــأنّ الشَّـــرْبَ قـــوم مُـــوِّتـــوا مـــن يَقُـــمْ منهـــم لأمـــر يَـــرْتَعِـــش [١١٠/٧]

خُـــرُس الألسُـــن ممّـــا نـــالهـــم بيـــن مصـــروع وصـــاحٍ منتعـــش

مـــن حُمَيّـــا[1] قَـــرْقَـــفٍ حُصِّيَّـــةٍ قهـــوةٍ حَـــوْليّـــةٍ لـــم تُمْتَحَـــشْ

ينفـــع المـــزكـــوم منهـــا ريحُهـــا ثـــم تَنفـــى داءه إن لـــم تُنـــشّ[2]

كـــلّ مـــن يشـــربهـــا يـــألفُهـــا يُنفـــق الأمـــوالَ فيهـــا كـــلُّ هَـــشّ

استنشده الوليد شعراً فأنشده في الفخر بقومه فعاتبه ووصله:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الجُمَحِيّ ـ قال ابن أبي الأزهر: وهو محمد بن سَلاّم ـ:

غنَّى أبو كامل مولى الوليد بن يزيد يوماً بحضرة الوليد بن يزيد:

امـــدَحِ الكـــأسَ ومـــن أعملهـــا واهْـــجُ قـــومـــاً قتلـــونـــا بـــالعطـــشْ

فسأل عن قائل هذا الشعر فقيل: نابغة بني شيبان؛ فأمر بإحضاره فأُحضِر؛ فاستنشده القصيدةَ فأنشده إياها؛ وظنّ أن فيها مدحاً له فإذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم؛ فقال له الوليد: لو سَعِد جَدُّك لكانت مديحاً فينا لا في بني شَيْبان، ولسنا نُخْليك على ذلك من حظّ؛ ووصله وانصرف. وأوّل هذه القصيدة قوله:

خَـــلَّ[3] قلبـــي مـــن سُلَيمـــى نبلُهـــا إذ رمتنـــي بسهـــام لـــم تَطِـــشْ

طَفْلَـــةٌ[4] الأعطـــاف رُؤْدٌ دُميـــةٌ وشَـــوَاهـــا بَخْتَـــرِيّ لـــم يُحَـــشْ

/ وكـــأنّ الـــدُّرّ فـــي أخـــراصهـــا[5] بَيْـــضُ كَحْـــلاء أقـــرّتـــه بعُـــشّ [١١١/٧]

ولهـــا عينـــا مَهـــاةٍ[6] فـــي مهـــاً تَـــرْتعِـــي نبـــتَ خُـــزَامَـــى ونَتَـــشْ

حُـــرّةُ الـــوجـــه رخيـــمٌ صـــوتُهـــا رُطَـــبٌ تَجْنيـــه كـــفُّ المُنْتقِـــش[7]

---

(١) الحميا: دبيب الشراب. والقرقف: الخمر، سميت بذلك لأنها تصيب شاربها بقرقفة أي رعدة. والحصية: نسبة إلى الحص وهو الزعفران. قال عمرو بن كلثوم:

مشعشعـــة كـــأن الحـــص فيهـــا إذا مـــا المـــاء خـــالطهـــا سخينـــا

والحولية: التي مضى عليها حول. ولم تمتحش: لم تحرق. يريد: لم تصبها النار.

(٢) لم تنش: من النشوة أي لم تسكر.

(٣) خل: نفذ وثقب.

(٤) الطفلة: الناعمة. والرؤد: الشابة الحسنة. والدمية: التمثال من رخام. والشوي: الأطراف. ولم يحش: لم يعق بالإحاطة عليه كما يحوش الصائد الصيد بحبالته.

(٥) الأخراص: جمع خرص وهو القرط. والكحلاء: طائر.

(٦) المهاة: البقرة الوحشية. والخزامى: نبات طيب الريح. والنتش (بالتحريك): أوّل ما يبدو من النبات على وجه الأرض وفي ب وس وحـ: «وتقش» بالقاف وفي باقي الأصول: «وتعش» بالعين المهملة، والتصويب عن الديوان.

(٧) انتقش: تخير.

وهي في الليل إذا ما عُونِقَتْ ... مُنْيَةُ البعل وهمُّ المُفْتَرِش

وفيها يقول مفتخراً:

وبنو شَيْبان حولي عُصَبٌ ... منهم غُلْبٌ[1] وليست بالقَمِشْ

وَرِدوا المجدَ وكانوا أهلَه ... فسَرَوْا والجودُ عافٍ[2] لم يَنِش

وتَرَى الجُرْدَ لدى أبياتهم ... أرِنَاتٍ[3] بين صَلْصال وجُشّ

ليس في الألوان منها هُجْنَةٌ[4] ... وَضَحُ البُلْقِ ولا عيبُ البَرَش

فبها يَحْوُون أموالَ العِدَا ... ويَصيدون عليها كلَّ وحش

/ دَمِيَتْ أكفالُها[5] من طعنهم ... بالرُّدَيْنِيّات[6] والخيلِ النُّجُش

[٧/١١٢]

نُنْهِل الخَطِّيَّ[7] من أعدائنا ... ثم نَفْرِي الهامَ إن لم نَفْتَرِشْ

فإذا العِيسُ من المحل غَدَتْ ... وهي في أعينها[8] مثلُ العَمَش

/ حُشَّرَ الأوبار مما لَقِيَتْ ... من سَحاب حاد عنها لم يُرِشّ[9]

١٥٤ / ٦

خُسَّفَ[10] الأعيسن تَرْعَى جُوفَةً[11] ... هَمَدتْ أوبارُها لم تَنْتَفِش

نَنْعَشُ العافي ومن لاذ بنا[12] ... بسِجال الخير من أيْدٍ[13] نُعُش

ذاك قولي وثنائي وهُمُ ... أهلُ وُدّي خالصاً في غير غِشّ

فسَلُوا شَيْبانَ إن فارقتُهم ... يوم يمشون إلى قبري بنعش

(١) الغلب: جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة. والقمش (بالسكون ونقلت حركة الأخير ها هنا إلى الساكن قبله للوقف): زعانف الناس وأرذالهم.

(٢) العافي: الوافي. ولم ينش: لم ينضب.

(٣) كذا في «ديوانه»، والأرنات: النشيطات. وفي الأصول: «كرباب». والصلصال: الحمار المصوّت. وجش: جمع أجش وهو الغليظ الصوت. ورواية هذا البيت والذي بعده في «ديوانه»:

وترى الخيل لدى أبياتهم ... كل جرداء وساجيّ همش

ليس في الألوان منها هجنة ... بلق الغشر ولا عيب برش

يتجاذبن صهيلاً في الدجى ... أرنات بين صلصال وجش

(٤) الهجنة: العيب. والبرش: البرص.

(٥) في ب، س: «أكفانهم». وفي سائر الأصول: «أكفالهم». والتصويب عن «ديوانه».

(٦) الردينيات: الرماح نسبة إلى «ردينة» وهي امرأة كانت تقوّمها. والنجش: المستثارة المسرعة.

(٧) الخطيّ: الرمح نسبة إلى الخط وهي مرفأ للسفن بالبحرين. ونفري: نشق. والهام: جمع هامة وهي الرأس. ونفترش: نصرع.

(٨) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «وأعيننا» وهو تحريف.

(٩) أرشت السماء: جاءت بالمطر.

(١٠) خسف الأعين: غائرتها.

(١١) كذا في «الديوان». والجوفة: النبتة الفارغة الجوف. وفي الأصول: «جدبة».

(١٢) في ب، س: «ومن لازمنا».

(١٣) أيد نعش: تنتعش لفعل الكرم والخير.

هـل غَشِينـا مَحْـرَمـاً فـي قـومنـا أو جَـزَينـا جـازيـاً فُحْشـاً بفُحْـش

بعض شعره الذي غني به:

ومما يغنّي فيه من شعر نابغة بني شيبان:

صوت

ذَرَفَـتْ عينـي دمـوعـاً مـن رسـوم بحَفيـرِ[1]

مُـوحِشـاتٍ طـامسـاتٍ مثـلِ آيـاتِ الـزَّبُـور

/ وزِقَـاقٍ مُتْـرَعـاتٍ مـن سُـلافـاتِ العَصِيـرِ[2]

مُجْلَخِـدّات[3] مِـلاءٍ بطْنُـوهـنّ[4] بقِيـر

فـإذا صـارت إليهـم صُيِّـرتْ خيـرَ مَصيـرِ[5]

مـن شبـابٍ وكُهـولٍ حكمّـوا كـأسَ المُـديـر

كـم تـرى فيهـم نـديمـاً مـن رئيـس وأميـر

[١١٣/٧]

ذكر يونس أنّ فيه لمالك لحناً ولابن عائشة آخر، ولم يذكر طريقتهما؛ وفيه خفيفُ رملٍ معروف لا أدري لحن أيّهما هو.

صوت

من المائة المختارة

يـا عَمْـرُ حُـمّ فِـراقُكـم عَمْـرا وعَـزَمْـتِ منّـا النـأيَ والهجـرا

إحـدى بنـي أَوْدٍ[6] كَلِفـتُ بهـا حَمَلَـت بـلا تِـرَةٍ لنـا وِتْـرا

---

(١) حفير: موضع بين مكة والمدينة، وعن ابن دريد: بين مكة والبصرة. وموضع بنجد، واسم لكثير من المواضع.

(٢) رواية هذا البيت في «ديوانه»:

فـي زقـاق كـل حجليـ ـن أضـرًا ببعيـر

والحجل: السقاء العظيم.

(٣) مجلخدات: مستلقيات. وفي الأصول: «ملحدات وملاء» وهو تحريف.

(٤) كذا في «الديوان». وفي ب، س، حـ: «طينوهن» بالنون. وفي سائر النسخ: «طيوهن» بالباء الموحدة. والقير: الزفت.

(٥) رواية هذا البيت والذي بعده في «ديوانه»:

فـإذا صـرت إليهـم صـرت فـي خيـر مصيـر

عنـد شبـان وشيـب أعملـوا كـأس المـديـر

(٦) بنو أود: قبيلة.

وتَــــرى لهـــــا دَلاًّ إذا نطقـــــتْ تـــركـــت بنـــاتِ فـــؤاده صُغْـــرا[١]
كتســاقــط الـــرُّطَـــبِ الـــجَــنِـــيِّ مـــن الأفـــنـــــان لا بَثْـــراً[٢] ولا نَـــزْرا

الشعر لأبي دَهْبَل الجُمَحِيّ. والغناء لفَزَار المَكّي، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن الهشاميّ.



(١) صعراً: مائلة.
(٢) كذا في حـ. والبثر: الكثير. وفي سائر الأصول: «بتراً» بالتاء المثناة من فوق، وهو تصحيف.

/ أخبار أبي دَهْبَل ونسبه [١١٤/٧]

نسبه:

نسبه ـ فيما ذكر الزُّبَير بن بكّار وغيره ـ وَهْب بن زَمْعة بن أُسَيْد بن أُحَيْحَةَ بن خَلَف بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤيّ بن غالب. ولخلف بن وَهْب يقول عبدالله بن الزِّبَعْرَي أو غيرُه:

خَلَفُ بنُ وَهْبٍ كلَّ آخرِ ليلةٍ ... أبداً يكثِّرُ أهلَه بعيالِ

سَقْياً لوَهْبٍ كَهْلِها ووليدِها ... ما دام في أبياتها الذيّال[١]

/ نعم الشبابُ شبابُهُم وكهولُهم ... صُيّابةٌ[٢] ليسوا من الجُهّالِ ١٥٥/٦

أمه امرأة من هذيل:

وأمّ أبي دَهْبل امرأة من هُذَيل. وإياها يَعْنِي بقوله:

أنا ابنُ الفروعِ الكرامِ التي ... هُذَيلٌ لأبياتها سائِلَهْ[٣]

هُمُ ولدوني وأشبهتُهم ... كما تُشْبِه الليلةُ القابلَهْ

واسمها، فيما ذكر ابن الأعرابيّ، هذيلة[٤] بنت سَلَمة.

كان شاعراً جميلاً عفيفاً:

قال المدائنيّ: كان أبو دهبل رجلاً جميلاً شاعراً، وكانت له جُمّة يُرسلها فتضرِب مَنْكِبيه، وكان عفيفاً، وقال الشعر في آخر خلافة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ومدَح[٥] معاويةَ، وعبدَالله بن الزُّبَير، وقد كان ابنُ الزبير ولّاه بعضَ أعمال اليمن.

/ سأل قوم راهباً عن أشعر الناس فأشار إليه: [١١٥/٧]

حدّثنا محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثنا العُمَريّ عن الكَلْبيّ عن أبي مِسْكين،

---

(١) كذا ورد هذا البيت في الأصول.

(٢) الصيابة: الخيار من كل شيء.

(٣) في ب، س، حـ «سابله» بالباء الموحدة.

(٤) في «تجريد الأغاني»: «هزيلة» بالزاي، والعرب سموا «هزيلة» بالزاي دون «هذيلة» بالذال.

(٥) في «تجريد الأغاني»: «... ومدح معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك (صوابه عبدالله) بن جعفر بن أبي طالب. وولاه ابن الزبير الخ...».

وأخبرني به محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثني أحمد بن الهيْثم بن فِراس قال حدّثني العباس بن هشام عن أبيه عن أبي مِسْكين:

أنّ قوماً مَرّوا براهب، فقالوا له: يا راهب، مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: مكانكم حتى أنظرَ في كتاب عندي، فنظر في رَقّ له عَتيق ثم قال: وَهْبٌ من وَهْبين، من جُمَح أو جُمَحين.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا عليّ بن صالح عن عبدالله بن عُرْوة قال: قال أبو دَهْبل يفخَر بقومه:

قومي بنو جُمَح قوم إذا انحدرَتْ ... شَهْباءُ تُبصر في حافاتها الزَّغَفا[1]
أهلُ الخلافة والمُوفُون إن وعَدوا ... والشاهِدو الروع لا عُزْلاً ولا كُشُفا[2]

قال الزبير وأنشدني عمّي قال أنشدني مصعَب لأبي دَهْبل يفخَر بقومه بقوله:

أنا أبو دهبلَ وَهْبٌ لِوَهَبْ ... من جُمَحٍ في العز منها والحَسَبْ
والأُسرةِ الخَضْراء والعِيصِ[3] الأَشِبْ ... ومن هُذَيل والذي عالي النَّسَبْ
أورثني المجدَ أبٌ من بعد أبْ ... رمحي رُدَيْنيّ وسيفي المستلِبْ
وبَيْضتي قَوْنَسُها من الذَّهَبْ ... دِرْعي دِلاصٌ سَرْدُها سردٌ عَجَبْ[4]
/ والقوس فَجّاءُ لها نَبْلٌ ذَرِبْ ... محشورةٌ أُحْكِم منهن القُطَبْ[5] [١١٦/]
* ليوم هَيْجاءَ أُعِدّتْ للرَّهَبْ *

كان يهوى امرأة من قومه فكادوا له عندها فهجرته:

أخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثنا محمد بن زُهَير قال حدّثنا المدائنيّ:

أنّ أبا دهبل كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها عَمْرة، وكانت امرأةً جَزْلة[6] يجتمع إليها الرجال للمحادثة[7] وإنشادِ الشعر والأخبار، وكان أبو دهبل لا يُفارق مجلسَها مع كل من يجتمع إليها، وكانت هي أيضاً مُحِبّة له. وكان أبو دهبل رجلاً سيّداً من أشراف بُني جَمح، وكان يحمل الحَمَلات[8] ويُعطي الفقراء ويَقْري الضيف. وزعمتْ بنو جمح أنه تزوّج عمرةَ هذه بعد ذلك، وزعم غيرُهم أنه لم يصل إليها. وكانت عمرة تُوصِيه بحفظ ما بينهما وكتمانه، فضمِن لها ذلك واتصل ما بينهما. فوقفت عليه زوجتُه فدسّتْ إلى عمرة امرأةً داهيةً من عجائز أهلها؛ فجاءتها فحادثتها

(١) الشهباء: الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح. والزغف: الدروع.
(٢) الروع: الحرب. والعزل: جمع أعزل وهو من لا سلاح معه. والأكشف: من لا ترس معه في الحرب، وقيل: من ينهزم فيها.
(٣) العيص: الأصل. والأشب: الملتف.
(٤) البيضة: ضرب من الدروع يتقى بها. وقونسها: أعلاها، وقيل: مقدّمها. ودرع دلاص: لينة ملساء براقة.
(٥) قوس فجاء: ارتفعت سيتها فبان وترها عن معجسها (المعجس: مقبض القوس). والقطب: النصال.
(٦) الجزلة: الأصيلة الرأي.
(٧) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «من الحادثة»، وهو تحريف.
(٨) الحمالة (بفتح الحاء): الدية والغرامة التي يحملها قوم عن قوم.

طويلاً ثم قالت لها في عُرْض حديثها: إني لأَعْجَبُ لك كيف لا تتزوّجين / أبا دهبل مع ما بينكما! قالت: وأيُّ شيء ١٥٦/٦ يكون بيني وبين أبي دهبل! قال: فتضاحكت وقالت: أتستُرين عنّي شيئاً قد تحدّثتْ به أشراف قريش في مجالسها وسُوقةُ أهل الحجاز في أسواقها والسُّقاةُ في مواردها! فما يتدافع اثنان أنه يهواكِ وتَهْوَينه؛ فوثَبتْ عن مجلسها فاحتجبتْ ومنعت كلّ من كان يجالسها من المصير إليها. وجاء أبو دهبل على عادته فحجَبته وأرسلت إليه بما كره. ففي ذلك يقول:

[١١٧/٧]

/ صـوت

تطـاوَلَ هــذا الليــل مـا يتبلّــجُ ... وأعيَـتْ غَـوَاشِـي عَبْـرتـي مـا تَفَـرّجُ

وبـتُّ كئيبـاً مـا أنـام كـأنمـا ... خِـلالَ ضلـوعـي جمـرةٌ تتـوهّـجُ

فطـوْراً أُمَنّـي النفـسَ مـن عَمْـرة المُنَـى ... وطـوراً إذا مـا لَـجّ بـي الحـزنُ أَنْشِـجُ[1]

لقـد قطـع الـواشـون مـا كـان بيننـا ... ونحـن إلـى أن يُـوصَـل الحبـلُ أحـوجُ

ـ الغناء في البيت الأوّل وبعده بيت في آخر القصيدة:

أُخَطِّـط فـي ظهـر الحصيـر كـأنّنـي ... أسيـرٌ يَخـاف القتـلَ ولهـان مُلْفَـجُ[2]

لمعبد ثقيلٌ أوّل بالوسطى. وذكر حَمّاد عن أبيه في أخبار مالك أنه لحائد بن جَرْهَد وأنّ مالكاً أخذه عنه فنسَبه الناس إليه، فكان إذا غنّاه وسُئل عنه يقول: هذا والله لحائد بن جَرْهَد لا لِي. وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثقيل بالوسطى عن حَبَش. وفي «لقد قطع الواشون» وقبله «فطوراً أُمَنّي النفس» لمالك ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لمعبد خفيفُ ثقيل بالوسطى عن حبش ـ.

رأوا غِـرّةً فـاستقبلـوهـا بـألْبِهـم[3] ... فـراحـوا على مـا لا نُحِـبّ[4] وأدْلجـوا

وكـانـوا أُنـاسـاً كنـتُ آمَـنُ غَيْبَهـم ... فلـم يَنْهَهـم حلمـي ولـم يتحـرّجـوا

/ فليـت كـوانِينـاً[5] مِـنَ أهلـي وأهلهـا ... بـأجمعهـم فـي قعـر دِجْلـة لَجّجُـوا[6]

[١١٨/٧]

هـمُ منعـونـا مـا نحـبّ وأوقـدوا ... علينـا وشَبّـوا نـار صُـرم تَـأجّـج

ولـو تـركـونـا لا هَـدَى اللّـهُ سعيَهـم ... ولـم يُلْحِمـوا قـولاً مـن الشـرّ يُنْسَـج

---

(١) النشيج: صوت معه توجع وبكاء.

(٢) كذا صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطي في نسخته وهو المتفق مع تفسير المؤلف للكلمة فيما يأتي. وفي الأصول: «مفلج» بتقديم الفاء على اللام وهو تحريف.

(٣) بألبهم (بالفتح): بجمعهم. والألب أيضاً (بالفتح والكسر): القوم يجتمعون على عداوة إنسان، يقال: هم ألب عليه، ومنه:

النـاس ألـب علينـا فيـك ليـس لنـا ... إلا السيـوف وأطـراف القنـا وزر

(٤) كذا في الشعر والشعراء ونسخة الشنقيطي مصححة بخطه. وفي ب، حـ، س: «على ما لا يحب». وفي سائر الأصول: «على ما لم يحب».

(٥) الكوانين: الثقلاء، وقيل: الكانون: الذي يجلس حتى يتحصى الأخبار والأحاديث لينقلها. وفي ب، س: «كواثنا» وهو تحريف.

(٦) لججوا: وقعوا في اللجة.

لأوشك صرفُ الدهر يفرِّق بيننا ... ولا يَستقيم الدّهر والدهرُ أعوج
عسى كُربةٌ أمسيت فيها مقيمةٌ ... يكون لنا منها نجاةٌ ومَخْرج
فيُكْبَتَ أعداءٌ ويَجْذَل آلِفٌ ... له كَبِدٌ من لوعة الحبّ تُلْعَج
وقلت لعَبّاد وجاء كتابُها ... لهذا وربِّي كانت العين تَخلُج
وإنّي لمحزونٌ عشيّةَ زرتُها ... وكنتُ إذا ما جئتُها لا أُعرِّج
أخطُّ في ظهر الحصير كأنني ... أسيرٌ يخاف القتل وَلْهان مُلْفَج

الملفج: الفقير[1] المحتاج.

وأشفَقَ قلبي من فراق خليلةٍ ... لها نَسبٌ في فرع فِهرٍ متوَّج
وكفٌّ كهُدّاب الدِّمَقْس لطيفةٌ ... بها دَوْسُ[2] حِنّاء حديثٌ مُضرَّج[3]
/ يَجُول وشاحاها ويَغْتَصّ[4] حَجْلها ... ويَشْبَع منها وَقْفُ[5] عاجٍ ودُمْلُج
فلما التقينا لَجْلَجَتْ في حديثها ... ومن آية الصُّرم الحديثُ المُلَجْلَجُ

١٥٧ / ٦

/ شعره في عمرة: [١١٩/٧]

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال أنشدني عمّي ومحمد بن الضحّاك عن أبيه محمد بن خَشْرم ومن شئتَ من قريش لأبي دهبل في عَمْرة:

يا عَمْرَ حُمَّ فراقُكم عمرا ... وعزَمْتِ منّا النأيَ والهجرا
يا عمر شيخُك وهو ذو كرم ... يَحمي الذِّمار ويُكرم الصِّهرا
إن كان هذا السحرُ منك فلا ... تُرعِي[6] عليّ وجدّدي السِّحرا
إحدى بني أَوْد كلِفتُ بها ... حَملتْ بلا وِتْر لنا وِترا
وتَرى لها دَلاًّ إذا نطقتْ ... تركتْ بناتِ فؤاده صُعْرا
كتساقُطِ الرُّطَب الجَنِيّ من الـ ... أفنان لا بَثْرا ولا نَزْرا
أقسمتُ ما أحببتُ حبّكم ... لا ثَيِّباً خُلقتْ ولا بِكْرا

(١) من ألفج فهو ملفج (بفتح الفاء وهو نادر كأحصن وأسهب فهو محصن ومسهب بالفتح فيهما): إذا أفلس. والملفج أيضاً: اللاصق بالأرض من كرب أو حاجة، والذاهب الفؤاد فرقاً. وقد يكون هذا المعنى الأخير أنسب بالسياق.

(٢) الدوس: المراد به هنا التزيين والترتيب.

(٣) مضرج: مصبوغ. وفي س: «مدرج» بالدال المهملة، وهو تحريف.

(٤) كذا في حـ ونسخة الشنقيطي مصححة بقلمه. ويغتص: يمتلىء. وفي سائر الأصول: «يفتض» بالفاء والضاد المعجمة، وهو تصحيف.

(٥) الوقف: سوار من عاج. وفي ب، س: «وفق» بتقديم الفاء على القاف، وهو تصحيف.

(٦) الإرعاء: الإبقاء على أخيك؛ هكذا ذكره «اللسان» واستشهد بهذا البيت.

ومقــالــةٌ فيكــم عــرَكْــتُ بهــا جَنْبــي[١] أُريـــد بهـــا لـــك العـــذرا
ومُـــريـــد ســـرّكـــم عـــدَلْـــتُ بـــه فيمـــا يحـــاول مَعْـــدِلاً وَعْـــرا
قـــالـــت يُقيـــم بنـــا لنَجْـــزِيَـــه يـــومـــاً فَخَيَّـــم عنـــدهـــا شهـــرا
مـــا إن أُقيـــم لحـــاجـــةٍ عـــرَضَـــتْ إلاّ لأُبْلِـــــيَ فيكـــــمُ العـــذرا

قالوا: وفيها يقول:

صوت

يلـــومـــونَنـــي فـــي غيـــر ذنـــب جنيتُـــه وغيـــريَ فـــي الـــذنـــب الـــذي كـــان ألـــومُ
أمِنّـــا أُنـــاســـاً كنـــتِ تـــأتمِنِينَهـــم فـــزادوا علينـــا فـــي الحـــديـــث وأوهمـــوا[٢]
وقـــالـــوا لنـــا مـــا لـــم يُقَـــلْ ثـــم كثّـــروا علينـــا وبـــاحـــوا بـــالـــذي كنـــت أكتُـــمُ

/ ـ غنّى في هذه الأبيات أبو كامل مولى الوليد رملاً بالبنصر ـ. [١٢٠/٧]

وقـــد مُنِحـــتْ عينـــي القَـــذَى لفـــراقهـــم وعـــاد لهـــا تَهْتَـــانُهـــا فهـــي تَسْجُـــمُ
وصـــافيـــتُ نِسْـــوانـــاً فلـــم أر فيهـــمُ هـــوايَ ولا الـــوُدَّ الـــذي كنـــتُ أعلـــم
أليـــس عظيمـــاً أن نكـــون ببلـــدة كـــلانـــا بهـــا ثـــاوٍ ولا نتكلّـــم

سمع أبو السائب المخزومي شعره فطرب:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني أبو غَسّان قال:

سمع أبو السائب المخزوميّ رجلاً ينشد قول أبي دهبل:

أليـــس عجيبـــاً أن نكـــون ببلـــدة كـــلانـــا بهـــا ثـــاوٍ ولا نتكلـــم

فقال [له][٣] أبو السائب: قف يا حبيبي فوقف؛ فصاح بجارية: يا سلامة اخرجي فخرجت؛ فقال له: أعِدْ بأبي أنتَ البيت فأعاده؛ فقال: بلى والله إنه لعجيبٌ عظيم وإلا فسلامة حرّة لوجه الله! اذهب فدَيْتُك مُصَاحَباً. ثم دخل ودخلت الجاريةُ تقول له: ما لَقِيتُ منك! لا تزال تقطعني عن شغلي فيما لا ينفعك ولا ينفعني!.

قصة لشاب خاطبته عشيقته بشعر أبي دهبل:

وحدّثني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال: كنّا نختلف إلى أبي العباس المبرّد ونحن أحداثٌ نكتب عن الرُّواة ما يروُونه من الآداب والأخبار، وكان يصحبنا فتًى من أحسن الناس وجهاً وأنظفِهم ثوباً وأجملِهم زِيًّا ولا نعرف / باطنَ أمره؛ فانصرفنا يوماً من مجلس أبي العباس المبرّد وجلسنا في مجلس نتقابل بما كتبناه ونصحّح المجلسَ الذي [١٥٨/٦]

(١) يقال: عركت ذنبه بجنبي إذا احتملته. قال:
إذا أنـــت لـــم تعـــرك بجنبـــك بعـــض مـــا يســـوء مـــن الأدنـــى جفـــاك الأبـــاعـــد
(٢) أوهموا: نقصوا.
(٣) زيادة عن حـ.

شهِدناه؛ فإذا بجارية قد اطّلعَتْ فطرحتْ في حِجْر الفتى رقعةً ما رأيتُ أحسن من شكلها مختومةً بعنبر؛ فقرأها منفرِداً بها ثم أجاب عنها ورمى بها إلى الجارية. فلم نَلْبَثْ أن خرج خادم من الدار في يده كَرِش[1]، فدخل إلينا فصفع / الفتى به حتى رحِمناه وخلّصناه من يده وقمنا أسوأ الناس حالاً. فلما تباعَدْنا سألناه عن الرقعة، فإذا فيها مكتوب: [١٢١/٧]

كفى حَزَناً أنّا جميعاً ببلدةٍ كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلّم

فقلنا له: هذا ابتداءٌ ظريف، فبأيّ شيء أجبْتَ أنت؟ قال: هذا صوت سمعتُه يُغنَّى فيه، فلمّا قرأته في الرقعة أجبتُ عنه بصوت مثله. فسألناه ما هو؟ فقال: كتبتُ في الجواب:

* أراعك بالخَابُور[2] نُوقٌ وأجمال *

فقلنا له: ما وفّاك القومُ حقك قط، وقد كان ينبغي أن يُدْخلونا معك في القصّة لدخولك في جُملتنا، ولكنّا نحن نُوَفّيك حقّك؛ ثم تناولناه فصفعناه حتى لم يَدْرِ أيّ طريق يأخذ؛ وكان آخر عهده بالاجتماع معنا.

رجع الخبر إلى سياقة أخبار أبي دهبل

أبو دهبل وعاتكة بنت معاوية:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرَانيّ قال حدّثني العُمَريّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ قال حدّثنا صالح بن حَسّان قال، وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثني محمد بن عمر قال حدّثني محمد بن السَّرِيّ قال حدّثنا هشام بن الكَلْبيّ عن أبيه، يزيد أحدُهما على الآخر في خبره، واللفظُ لصالح بن حسان وخبرُه أتمّ، قال:

حجّتْ عاتِكةُ بنت معاوية بن أبي سفيان، فنزلت من مكة بذي طُوًى. فبينا هي ذات يوم جالسة وقد اشتد الحرّ وانقطع الطريق، وذلك في وقت الهاجرة، إذ / أمرتْ جواريَها فرفعن السِّترَ وهي جالسةٌ في مجلسها عليها شُفُوفٌ لها تنظر إلى الطريق، إذ مرّ بها أبو دهبل الجمحيّ، وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظراً؛ فوقف طويلاً ينظر إليها وإلى جمالها وهي غافلة عنه؛ فلمّا فطِنت له ستَرَتْ وجهها وأمرت بطرح السّتر وشتَمتْه. فقال أبو دهبل: [١٢٢/٧]

إنّي دعاني الحَيْن فاقتادني حتى رأيتُ الظبي بالبابِ

يا حسنَه إذ سبّني مُدْبِراً مستتِراً عنّي بجِلْبابِ

سبحان من وقّفها حسرةً صُبّت على القلب بأوصابِ

يذود عنها إن تطلّبتُها أبٌ لها ليس بوهّابِ

أحلّها قصراً منيعَ الذُّرَى يُحْمَى بأبواب وحُجّابِ

قال: وأنشد أبو دهبل هذه الأبيات بعضَ إخوانه، فشاعت بمكّة وشُهرتْ وغنّى فيها المُغنّونَ، حتى سمعتها

(١) الكرش: لعله هنا وعاء الطيب.

(٢) الخابور: اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة، ولاية واسعة وبلدان جمة غلب عليها اسمه، فنسبت إليه. كذا ذكره ياقوت واستشهد بهذا الشطر ونسب الشعر للأخطل.

عاتكةُ إنشاداً وغناءً؛ فضحكت وأعجبتها وبعثتْ إليه بكُسوةٍ، وجَرَتِ الرسل بينهما. فلما صدَرت عن مكة خرج معها إلى الشأم ونزل قريباً منها، فكانت تَعَاهَدُه بالبرّ / واللُّطَفِ[1] حتى وردتْ دمشقَ وورد معها، فانقطعتْ عن لقائه وبَعُد من أن يراها، ومرِض بدمشق مرضاً طويلاً. فقال في ذلك: ١٥٩/٦

طـال ليلـي وبِـتّ كـالمحـزون ... ومَلِلْـتُ الثَّـواءَ فـي جَيْـرون[2]

وأطلْـتُ المُقـام بـالشـأم حتـى ... ظـنّ أهلـي مُـرَجِّمَـاتِ الظّنـون

فبكَـتْ خشيـةَ التفـرّق جُمْـلٌ ... كبكـاء القـريـن إثْـرَ القـريـن

/ وهـي زهـراءُ مثـلُ لـؤلـؤة الـغـوّاصِ مِيـزتْ مـن جـوهـر مكنـون [٧/١٢٣]

وإذا مـا نسبْتَهـا لـم تَجِـدْهـا ... فـي سَنـاء مـن المكـارم دون

ثـم خـاصـرتُهـا إلـى القُبّـة الخَضْـ ... ـراءِ تمشـي فـي مَـرْمَـرٍ مَسْنـون[3]

قُبّـةٌ مـن مَـراجـلٍ[4] ضـربـوهـا ... عنـد بَـرْد الشتـاء فـي قَيْطـون

عـن يَسـاري إذا دخلـتُ مـن البـا ... ب وإن كنـتُ خـارجـاً عـن يمينـي

ولقـد قلـتُ إذ تطـاول سُقْمـي ... وتَقَلّبْـتُ ليلتـي فـي فنـون

ليـت شعـري أمِنْ هـوًى طـار نـومـي ... أم بَـرانـي البـاري قصيـرَ الجفـون

قال: وشاع هذا الشعر حتى بلغ معاويةَ فأمسك عنه؛ حتى إذا كان في يوم الجمعة دخل عليه الناسُ وفيهم أبو دهبل؛ فقال معاوية لحاجبه: إذا أراد أبو دهبل الخروجَ فامنعه واردُده إليّ؛ وجعل الناس يسلّمون وينصرفون، فقام أبو دهبل لينصرفَ؛ فناداه معاوية: يا أبا دهبل إليّ؛ فلما دنا إليه أجلسه حتى خلا به، ثم قال له: ما كنتُ ظننتُ أنّ في قريش أشعر منك حيث تقول:

ولقـد قلـت إذ تطـاول سُقْمِـي ... وتقلّبـتُ ليلتـي فـي فنـون

ليـت شعـري أمـن هـوًى طـار نـومـي ... أم بـرانـي البـاري قصيـرَ الجفـون

غير أنّك قلتَ:

وهـي زهـراءُ مثـل لـؤلـؤة الـغـوّاصِ مِيـزتْ مـن جـوهـر مكنـون

وإذا مـا نسبْتَهـا لـم تَجِـدْهـا ... فـي سَنـاء مـن المكـارم دُون

ووالله إنّ فتاةً أبوها معاويةُ وجَدُّها أبو سفيان وجدّتها هند بنت عُتْبة لكما ذكرتَ؛ وأيَّ شيء زدتَ في قَدْرها! ولقد أسأتَ في قولك:

---

(١) اللطف: الهدايا.

(٢) جاء في «الأغاني» (ج ١٣ ص ١٤٩ طبع بولاق) أن قائل هذا الشعر هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في أخت معاوية. وجاء هذا الشعر في «الكامل» للمبرد منسوباً لأبي دهبل. ثم قال بعد ذلك: وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حسان. ثم ساق خبر هذا الشعر في قصة تخالف قصة «الأغاني»، فانظره (ص ١٦٨ طبع أوروبا). وجيرون: حصن بدمشق، وقيل: هي دمشق نفسها.

(٣) المسنون: المصبوب على استواء.

(٤) المراجل: ثياب من ثياب اليمن. والقيطون: البيت في جوف البيت.

[١٢٤/٧] / ثم خاصرتُها إلى القبّة الخضـ ـراء تَمشي في مرمر مَسْنون

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما قلتُ هذا، وإنما قيل على لساني. فقال له: أمّا من جهتي فلا خوف عليك، لأنّي أعلم صيانةَ ابنتي نفسَها، وأعرف أنّ فتيان الشعر لم يتركوا أن يقولوا النسيب في كلّ من جاز أن يقولوه فيه وكلّ من لم يَجُز، وإنما أكره لك جِوارَ يزيد، وأخاف عليك وَثَباته، فإن له سَوْرةَ الشباب وأَنَفَةَ الملوك. وإنما أراد معاويةُ أن يهرُبَ أبو دهبل فتنقضي المقالةُ عن ابنته؛ فحذِر أبو دهبل فخرج إلى مكة هارباً على وجهه، فكان يكاتب عاتكةَ. فبينا معاويةُ ذات يوم في مجلسه إذ جاءه خَصِيّ له فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد سقَط إلى عاتكة اليوم كتاب، فلمّا قرأته بكَت ثم أخذته فوضعته تحت مُصَلّاها، وما زالت خاثرةَ / النفس منذ اليوم. فقال له: اذهب فالطُفْ لهذا الكتاب حتى تأتيني به. فانطلق الخَصِيّ، فلم يزل يَلْطُف حتى أصاب منها غِرّةً فأخذ الكتابَ وأقبل به إلى معاوية، فإذا فيه:

أعاتِكُ هلّا إذ بخِلْتِ فلا تَرَىٰ ... لذي صَبْوة زُلْفَى لديك ولا حَقّا[١]

رَدَدْتِ فؤاداً قد تولّى به الهوى ... وسكّنتِ عيناً لا تَمَلّ ولا تَرْقا[٢]

ولكن خلعتِ القلبَ بالوعد والمُنى ... ولم أرَ يوماً منك جُودا ولا صدقا

أتنسَين أيّامي برَبْعك مُدْنَفاً ... صريعاً[٣] بأرض الشام ذا سَقَم مُلْقَى

وليس صديقٌ يُرتضَى لوصيّةٍ ... وأدعو لدائي بالشَّراب فما أُسقَى

وأكبرُ همّي أن أرى لك مُرسَلاً ... فطولَ نهاري جالسٌ أرْقُبُ الطُّرقا

فواكبِدي إذ ليس لي منك مجلسٌ ... فأشكو الذي بي من هواك وما أَلْقَى

رأيتُك تزدادين للصّبّ غِلظةً ... ويزداد قلبي كلَّ يوم لكم عشقا

[١٢٥/٧] / قال: فلما قرأ معاوية هذا الشعر بعث إلى يزيد بن معاوية، فأتاه فدخل عليه فوجد معاوية مطرقاً، فقال: يا أمير المؤمنين، ما هذا الأمرُ الذي شجاك؟ قال: أمر أمْرَضَني وأقلقني منذ اليوم، وما أدري ما أعمَل في شأنه. قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا الفاسق أبو دَهْبل كتب بهذه الأبيات إلى أختك عاتكة، فلم تزل باكيةً منذ اليوم، وقد أفسدها، فما ترى فيه؟ فقال: الله إن الرأي لهيّنٌ. قال: وما هو؟ قال: عبدٌ من عبيدك يكمُن له في أزِقّة مكة فيُريحنا منه. قال معاوية: أُفٍّ لك! والله إنّ امرأً يُريد بك ما يُريد ويسمو بك إلى ما يسمو لغيرُ ذي رأي، وأنتَ قد ضاق ذَرْعُك بكلمة وقَصُر فيها باعك حتى أردتَ أن تقتل رجلاً من قريش! أو ما تعلم أنك إذا فعلتَ ذلك صدّقتَ قولَه وجعلتنا أُحدوثةً أبداً! قال: يا أمير المؤمنين، إنه قال قصيدة أخرى تَناشَدَها أهل مكة وسارت حتى بلغتني وأوجعتني وحملتني على ما أشرتُ به فيه. قال: وما هي؟ قال قال[٤]:

ألَا لا تَقُلْ مهلاً فقد ذهب المَهْلُ ... وما كلُّ من يَلْحَى محبّاً له عقل

---

(١) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «ولا رقا».

(٢) لا ترقا: لا يجف دمعها.

(٣) في أ، ء، م: «مريضاً».

(٤) هذه الكلمة ساقطة في ب، س.

لقد كان في حوليْن حالاً ولم أزُرْ ... هواي وإن خُوِّفتُ عن حبها شغل
حمَى الملكُ الجبّار عنّي لقاءَها ... فمن دونها تُخْشَى المتالِفُ والقتل
فلا خيرَ في حبٍّ يُخاف وبالُه ... ولا في حبيبٍ لا يكون له وصل
فواكبِدي إنّي شُهِرتُ بحبّها ... ولم يك فيما بيننا ساعةً بَذْلُ
ويا عجباً إنّي أُكاتم حبَّها ... وقد شاع حتى قُطّعت دونها السُّبْلُ

قال: فقال معاوية: قد والله رفّهتَ عنّي، فما كنتُ آمَنُ أنه قد وصل إليها؛ فأمّا الآن وهو يشكو أنّه لم يكن بينهما وصل ولا بذلٌ فالخطبُ فيه يسير، قُمْ عنّي؛ / فقام يزيد فانصرف. وحجّ معاويةُ في تلك السنة؛ فلما انقضت [١٢٦/٧] أيام الحجّ كتب أسماء وجوه قريش وأشرافِهم وشعرائِهم وكتب فيهم اسم أبي دهبل، ثم دعا بهم ففرّق في جميعهم صِلاتٍ سنيّةً وأجازهم جوائز كثيرةً. فلما قبض أبو دَهْبل جائزته وقام لينصرفَ دعا به معاويةُ فرجَع إليه؛ فقال له: / يا أبا دهبل، مالي رأيتُ أبا خالد يزيدَ ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً في قَوارصَ[١] تأتيه عنك وشعرٍ لا تزال قد ١٦١/٦ نطقتَ به وأنفذتَه إلى خُصَمائنا وموالينا، لا تَعْرِضْ لأبي خالد. فجعل يعتذِر إليه ويحلِف له أنّه مكذوبٌ عليه. فقال له معاويةُ: لا بأس عليك، وما يضرّك ذلك عندنا؛ هل تأهّلتَ؟ قال: لا. قال: فأيّ بنات عمّك أحبّ إليك؟ قال: فلانة؛ قال: قد زوّجتُكها وأصدقتُها ألفي دينار وأمرتُ لك بألف دينار. فلما قبضها قال: إن رأي أمير المؤمنين أن يعفو لي عمّا مضى! فإن نطقتُ ببيت في معنى ما سبَق منّي فقد أبحتُ به دمي وفلانةُ التي زوّجتَنيها طالقٌ البتّةَ. فسُرّ بذلك معاويةُ وضمِن له رضا يزيد عنه ووعده بإدرار ما وصله به في كل سنة؛ وانصرف إلى دمشق. ولم يَحْجُجْ معاويةُ في تلك السنة إلا من أجل أبي دهبل.

قصته مع شامية تزوّجها وشعره فيها:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مصعب قال حدّثني إبراهيم بن عبدالله قال:

خرج أبو دهبل يريد الغزو، وكان رجلاً صالحاً وكان جميلاً. فلما كان بجَيْرون جاءته امرأةٌ فأعطته كتاباً فقالت: اقرأ لي هذا الكتاب فقرأه لها، ثم ذهبتْ فدخلت قصراً ثم خرجتْ إليه فقالت: لو بلغتَ[٢] القصر فقرأتَ الكتاب على امرأة كان لك / فيه أجرٌ إن شاء الله، فإنه من غائب لها يَعْنيها أمرُه؛ فبلغ معها القصر؛ فلما دخلا إذا [١٢٧/٧] فيه جَوارٍ كثيرة، فأغلقن القصرَ عليه، وإذا فيه امرأة وضيئة، فدعَتْه إلى نفسها فأبَى، فأمرتْ به فحُبس في بيت في القصر وأُطْعِم وسُقِي قليلاً قليلاً حتى ضَعُف وكاد يموت، ثم دعَتْه إلى نفسها فقال: لا يكون ذلك أبداً، ولكنّي أتزوّجُك؛ قالت: نعم، فتزوّجها؛ فأمرتْ به فأُحْسِن إليه حتى رجَعتْ إليه نفسُه، فأقام معها زماناً طويلاً لا تَدعُه يخرج، حتى يَئس منه أهلُه وولدُه، وتزوّج بنوه وبناتُه واقتسموا ماله، وأقامت زوجتُه تبكي عليه حتى عَمِشتْ ولم تقاسمهم مالَه. ثم إنه قال لامرأته: إنك قد أثِمْتِ فيّ وفي ولدي وأهلي؛ فأْذَني لي أطالِعهم وأعود إليك؛ فأخذتْ

---
(١) كذا في س و «تجريد الأغاني». والقوارص: الكلم التي تؤلم وتنغص. وفي سائر الأصول «قواريض» بالضاد المعجمة.
(٢) في الأصول: «تبلغت».

عليه أيماناً ألّا يقيم إلا سنةً حتى يعود إليها. فخرج من عندها يجرّ الدنيا[1] حتى قدِم على أهله، فرأى حالَ زوجته وما صار إليه ولدُه، وجاء إليه ولدُه؛ فقال لهم: لا والله ما بيني وبينكم عمل، أنتم قد ورِثتموني وأنا حيّ فهو حظّكم؛ والله لا يَشْرَك زوجتي فيما قَدِمتُ به أحد؛ ثم قال لها: شأنَك به فهو لك كلّه. وقال في الشاميّة:

صاحِ حيِّ الإلٰهُ حيّاً ودُوراً عند أصل القناة من جَيْرون
عن يَساري إذا دخلتُ من البا ب وإن كنتُ خارجاً عن يميني
فبذاك اغتربتُ في الشأم حتى ظنّ أهلي مُرَجّماتِ الظنون
وهي زهراءُ مثلُ لؤلؤة الغـوّاص مِيزتْ من جوهرٍ مكنون
وإذا ما نسبتَها لم تَجِدْها في سَناء من المكارم دونِ
تجعل المسك واليَلَنْجُوجَ[2] والنـدّ صِلاءً لها على الكانون
[١٢٨/٧] / ثم ماشيتُها إلى القبّة الخضـراء تمشي في مَرْمَرٍ مَسْنون
وقبابٍ قد أُسْرِجَتْ وبيوت نُظِّمَتْ بالرَّيْحان والزَّرَجُونِ[3]
١٦٢/٦ / قبّة من مراجل ضربوها عند حدّ الشتاء في قَيْطون
ثم فارقتُها على خير ما كا ن قرينٌ مُفارِقٌ لقرين
فبكتْ خَشيةَ التفرّق للبيـن بكاءَ الحزين إثْرَ الحزين
واسألي عن تذكّري واطمئني لأناسي إذا هُمُ عذلوني

فلما حلّ الأجلُ أراد الخروج إليها، فجاءه موتها فأقام.

وفد على ابن الأزرق فجفاه فذمه ثم مدحه لما أكرمه:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مصعب قال:

وفد أبو دهبل الجُمَحيّ على ابن الأزرق عبدالله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وكان يقال له ابن الأزرق والهِبْرِزِيّ[4]، وكان عاملاً لعبدالله بن الزبير على اليمن؛ فأنكره ورأى منه جفوةً، فمضى إلى عمارة بن عمرو بن حزم، وهو عامل لعبدالله بن الزبير على حَضْرَمَوْت، فقال يمدحه ويعرِّض بابن الأزرق:

يا رَبَّ حيٍّ بخير ما حيَّيتَ إنساناً عمارَهْ
أعطي فأسْنى ولم يَكُ من عطيّته الصَّغاره[5]

---

(١) يريد: خرج بخير كثير.
(٢) اليلنجوج: عود البخور. والند كذلك: عود يتبخر به، وقيل: هو العنبر.
(٣) الزرجون: قضبان الكرم.
(٤) الهبرزي: الأسوار من أساورة الفرس. وهو أيضاً الدينار الجديد، والأسد، والجميل الوسيم من كل شيء.
(٥) الصغارة والصغر: خلاف العظم.

ومـــن العطيّـــة مـــا تُـــرى جَـــذْمـــاءَ ليـــس لهـــا نَـــزَاره[1]

/ حجـــراً تقلُّبـــه وهـــل تُعْطِـــي علـــى المـــدح الحجـــارهْ [١٢٩/٧]

كـــالبغـــل يُحمـــد قـــائمـــاً وتَـــذُمّ مِشْيَتَـــه المُصَـــارَه[2]

ثم رجع من عند عمارة بن عمرو بن حزم فقدِم؛ فقال له حُنَيْن مولى ابن الأزرق في السرّ: أرى أنك عَجِلتَ على ابن عمك وهو أجودُ الناس وأكرمُهم، فعُدْ إليه فإنه غيرُ تاركك، واعلم أنَّا نخاف أن يكون قد عُزِل فلازِمْه ولا يفقدك؛ فإني أخاف أن ينساك؛ ففعل وأعطاه وأرضاه. فقال في ذلك:

يـــا حُـــنَ إنّـــي لِمَـــا حـــدّثتنـــي أُصُـــلاً مُـــرَنَّـــح مـــن صميـــم الـــوجـــد معمـــودُ

نخـــاف عـــزلَ امـــرىء كنّـــا نعيـــش بـــه معـــروفُـــه إن طلبنـــا الجـــودَ مـــوجـــودُ

اعلـــم بـــأنّـــي لمـــن عـــاديـــتَ مُضْطَغِـــنٌ ضَبًّـــا[3] وأنّـــي عليـــك اليـــوم محســـود

وأنَّ شكـــرَكَ عنـــدي لا انقضـــاءَ لـــه مـــا دام بـــالهَضْـــب مـــن لُبْنـــان جُلْمـــود

أنـــتَ الممـــدَّح والمُغْلِـــي بـــه ثمنـــاً إذ لا تُمَـــدَّح صُـــمُّ الجنـــدل السُّـــودُ

إنْ تَغْـــدُ مـــن مَنْقَلَـــيْ[4] نَجْـــرانَ مُـــرْتحِـــلا يَـــرْحَـــلْ مـــن اليمـــن المعـــروفُ والجـــودُ

مـــا زلـــتَ فـــي دَفَعـــات الخيـــر تفعلهـــا لَمّـــا اعتـــرى النـــاسَ لأْوَاءٌ[5] ومجهـــود

حتـــى الـــذي بيـــن عُسْفـــانٍ إلـــى عَـــدَنٍ لَحْـــبٌ لمـــن يطلـــب المعـــروفَ أُخْـــدود[6]

قال: وأنشدنيها محمد بن الضحّاك بن عثمان قال سمعتُها من أبي.

[١٣٠/٧] / حديثه عن نظم بيت من شعره:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال أخبرني الزبير بن بكّار، وحدّثني حمزة بن عُتْبة قال:

قال أبو دهبل الجُمَحيّ: لما قلت أبياتي التي قلت فيها:

اعْلَـــم بـــأنّـــي لمـــن عـــاديـــتَ مُضْطَغِـــنٌ ضَبًّـــا وأنّـــي عليـــك اليـــوم محســـود

/ قلتُ فيها نصف بيت * وأنّ شكرك عندي لا انقضاءَ له * ثم أُرْتِجَ عليّ، فأقمتُ حولين لا أقعُ على تمامه، ١٦٣/٦ حتى سمعتُ رجلاً من الحاجّ في الموسم يذكر لبنان، فقلت: ما لُبنان؟ فقال: جبل بالشأم؛ فأتممتُ نصف البيت:

* ما دام بالهَضْب من لبنان جُلْمودُ *

---

(١) الجذماء: المقطوعة. والنزارة: القلة أي ليس فيها قليل ولا كثير.

(٢) مصر الفرس كعنى: استخرج جريه. والمصارة (بالضم): الموضع تمصر فيه الخيل. يريد أن ابن الأزرق يحسن في العين ويذم إذا جرب في الكرم، كالبغل يروق شكله وتنكره حلبات الخيل.

(٣) الضب: الحقد والغيظ.

(٤) المنقل: الطريق في الجبل.

(٥) اللأواء: الشدة والضيق.

(٦) اللحب: الواضح. والأخدود: الشق في الأرض.

فضل إبراهيم بن هشام شعره على شعر نصيب:

قال الزبير وحدّثني محمد بن حَبَش المخزوميّ قال:

دخل نُصَيْبٌ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة فأنشده قصيدةً مدحه فيها؛ فقال إبراهيم بن هشام: ما هذا بشيء، أين هذا من قول أبي دهبل لصاحبنا ابن الأزرق حيث قال:

إن تَغْدُ من مَنْقَلَيْ نَجْرانَ مرتحِلا يَبِنْ من اليمن المعروفُ والجودُ

فغضِب نُصَيْبٌ فحَمِي فنزع عمامتَه وطرَحها وبرَك عليها؛ ثم قال: إن تأتونا برجال مثل ابن الأزرق نأتِكم بمديح أجود من مديح أبي دهبل.

قال الزبير وحدّثني عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد العزيز الزّهريّ قال حدّثني إسماعيل بن يعقوب بن مُجَمِّع التَّيْميّ قال:

كان إبراهيم بن هشام جبّاراً وكان يُقيم بلا إذنٍ إذ كان على المدينة الأشهَر. فإذا أذِن للناس أذِن معهم لشاعر، فيُنشد قصيدةَ مديح لهشام بن عبد الملك وقصيدةَ مديح لإبراهيم بن هشام. فأذِن لهم يوماً، وكان الشاعرُ الذي أذِن له معهم / نُصَيْباً وعليه جُبَّةُ وَشْيٍ؛ فاستأذنه في الإنشاد فأذِن له؛ فأنشده قصيدةً لهشام بن عبد الملك ثم قطعها [١٣١/٧] وأنشد قصيدة مديح لإبراهيم بن هشام، وقصيدةُ هشام أشعرُ، فأراد الناسُ مُمَالحةَ نُصَيْب فقالوا: ما أحسنَ هذا يا أبا مِحْجَن! أعِدْ هذا البيت. فقال إبراهيم: أكثرتم، إنه لشاعرٌ، وأشعرُ منه الذي يقول في ابن الأزرق:

إن تُمسِ من مَنْقَلَيْ نَجْران مرتَحِلاً يَبِن من اليمن المعروفُ والجودُ

ما زلتَ في دَفَعات الخير تفعلها لما اعترى الناسَ لأْواءٌ ومجهود

وحَمِي نصيبٌ فقال: إنّا والله ما نصنع المديحَ إلا على قَدْر الرجال، كما يكون الرجلُ يُمدح. فعمّ الناسَ الضَحِكُ وحَلُم عنه، وقال الحاجب: ارتفعوا، فلما صاروا في السَّقيفة ضَحِكوا وقالوا: أرأيتم مثلَ شجاعة هذا الأسود على هذا الجبّار! وحَلُم من غير حلم.

مدح ابن الأزرق بعد عزله وذم إبراهيم بن سعد:

قال الزبير وحدّثني عمّي مصعب قال:

خرج أبو دهبل يريد ابن الأزرق فلَقِيه معزولاً، فشقّ ذلك عليه واسترجَع، فقال له ابن الأزرق: هوّن عليك! لم يَفُتْك شيءٌ، فأعطاه مائتي دينار[1]. فقال في ذلك أبو دهبل:

أعطى أميراً ومنزوعاً وما نَزَعَتْ عنه المكارمُ تَغْشاه وما نَزَعا

وحدّثني محمد بن الضحّاك مثلَ ذلك وأنشدني البيت.

وأخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثني أبو تَوْبة صالح بن محمد بن دُرّاج قال حدّثنا أبو عمرو الشَّيْبانيّ قال:

---

(١) كذا في أ، ء، وفي باقي الأصول: «مائتي ألف دينار».

/ ولّى عبدُالله بن الزبير ابناً لسعد بن أبي وقّاص يقال له إبراهيم مكانَ الثَّبْت بن عبد الرحمن بن الوليد الذي [١٣٢/٧] يقال له ابن الأزرق، فخرج حتى نزل بزَبِيد[١]، فقال لابن الأزرق: هَلُمّ حسابَك؛ فقال: مالك عندي حساب ولا بيني وبينك عملٌ، وخرج متوجِّهاً / إلى مكة. فاستأذنه أبو دهبل في صحبة الوَقّاصيّ فأذن له فرجع معه، حتى إذا [١٦٤/٦] دخلوا صنعاء لَقِيَهم بَحِير[٢] بن رَيْسان في نفرٍ كثير من الفُرْس وغيرِهم، ومضى ابنُ الأزرق ومعه ما احتمله من أموال اليمن؛ فسار يوماً ثم نزل فضرب رِواقَه ودعا الناسَ فأعطاهم ذلك المالَ حتى لم يَبْقَ منه درهم. فقال أبو دهبل:

أعطى أميراً ومنزوعاً وما نَزَعَتْ ... عنه المكارمُ تَغْشاه وما نَزَعا

وأقام أبو دهبل مع الوَقّاصِيّ، فلم يَصنع به خيراً. فقال أبو دهبل:

ماذا رُزِئْنا غَداةَ الخَلّ[٣] من رِمَعٍ[٤] ... عند التفرّق من خِيمٍ ومن كَرَمِ

ظلّ لنا واقفاً يُعطي فأكثر ما ... سمّى وقال لنا في قولِه نِعِمِ

- نعم حرف موقوف فإذا حُرِّك أُجْرِيَتْ حركتُه إلى الخَفْض لأنه أولى بالساكن -:

ثم انتحى غيرَ مذمومٍ وأعيُنُنا ... لما تولّى بدمعٍ واكفٍ سَجِمِ[٥]

تَحْمِلُه الناقةُ الأدْماءُ مُعْتَجِراً ... بالبُرد كالبدر جَلّى ليلةَ الظُّلَمِ

وكيف أنساك لا أيديك واحدةٌ ... عندي ولا بالذي أوليتَ من قِدَمِ

/ حتى لقينا بَحِيراً عند مَقْدَمِنا ... في موكب كضِباع الجِزْع[٦] مُرْتَكِمِ [١٣٣/٧]

لما رأيتُ مُقامي عند بابهمُ ... وَدِدْتُ أنّي بذاك الباب لم أُقِمِ

بحير بن ريسان وشعره فيه:

وبحير بن ريسان الذي يقول فيه أبو دهبل:

---

(١) زبيد (بفتح أوله وكسر ثانيه): اسم واد به مدينة يقال لها الحصيب، ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف إلا به. وهي مدينة مشهورة باليمن. (عن «معجم البلدان» لياقوت).

(٢) كذا في «شرح القاموس» (مادة بحر) وهو بحير بن ريسان الحميري كان عاملاً ليزيد بن معاوية على اليمن (انظر «الطبري» ق ٢ ص ٢٧٧، ٦٠١، ٢١٤٧). وياقوت في الكلام على الجند، وفي ب، س، حـ: «بجير بن ريسان» بالجيم. وفي أ و ء وم: «بحير بن يسار» بالحاء. وكلاهما تحريف.

(٣) الخل: موضع باليمن في وادي رمع.

(٤) كذا في نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بخطه و«اللسان» (مادة رمع) و«معجم البلدان»، وقد ذكر البيت في كليهما. ورمع: موضع باليمن، وقيل: هو جبل باليمن. وفي الأصول: «زمع» بالزاي، وهو تصحيف. والخيم: الأصل.

(٥) السجم: السائل.

(٦) الجزع: منعطف الوادي، وقيل: هو رمل لا نبات فيه. وارتكم الشيء: اجتمع.

صـوت

بحِير بن ريسان الذي سكن الجَنَدْ[1] ... يقول له الناسُ الجوادُ ومن وَلَدْ

له نفحاتٌ حين يُذكر فضلُه ... كسيل ربيع في ضَحَاضِحَةِ السَّنَدْ[2]

في هذين البيتين هزج بالبنصر ذكر عمرو بن بانة أنه ليمان، وذكر الهشاميّ أنّه لابن جامع.

مدائحه في ابن الأزرق:

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ قال:

كان ابن الزبير بعث عبدالله بن عبد الرحمن على بعض أعمال اليمن، فمدّ يدَه إلى أموالها وأعطى أعطيةً سنيّة وبثّ في قريش منها أشياء جزيلةً فأثنَتْ عليه قريش ووفدوا إليه فأسْنَى لهم العطايا. وبلغ ذلك عبدالله بن الزبير فحسّده وعزَله بإبراهيم بن سعد بن أبي وَقّاص. فلما قدِم عليه أراد أن يحاسبَه، فقال له: مالك عندي حساب ولا بيني وبينك عمل، وقدِم مكةَ؛ فخافت قريشٌ ابنَ الزبير عليه أن يفتّشه أو يَكشِفَه فلبست السلاح وخرجت إليه لتمنعه؛ فلما لَقِيَهم نزلتْ إليه قريشٌ فسلّمتْ عليه وبسطَتْ له أرْدِيتَها وتلقّتْه إماؤهم وولائدهم بمجامر الألُوّة[3] [٧/١٣٤] والعود المَنْدَليّ يبخُّرون بين يديه حتى انتهى إلى المسجد وطاف بالبيت، ثم جاء إلى ابن الزبير فسلّم عليه / وهم معه مُطِيفون به. فعلم ابن الزبير أنّه لا سبيل له إليه فما عرَض ولا صرّح له بشيء. ومَضى إلى منزله. فقال أبو دهبل:

فمن يك شان العزلُ أو هدّ ركنَه ... لأعدائه يوماً فما شانكَ العزلُ

وما أصبحتْ من نعمة مُستفادةٍ ... ولا رَحِمٍ إلا عليها لك الفضلُ

١٦٥/٦ / وقال أبو دهبل أيضاً فيه ـ أخبرني بذلك ابن المَرْزُبان عن أبي تَوْبة عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ؛ وأخبرني به الحرميّ عن الزبير عن عمّه ـ:

عُقِم النساءُ فلم يَلِدْنَ شبيهَه ... إن النساء بمثله عُقْمُ

متهلِّلٌ بنَعَمْ بلا مُتَباعِدٌ ... سِيّانِ منه الوفر والعُدْمُ

نَزْرُ الكلام من الحياء تخاله ... ضَمِناً[4] وليس بجسمه سُقْمُ

وفد على سليمان بن عبد الملك فلم يحسن وفادته ثم رضي عنه:

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثنا أبو توبة عن أبي عمرو قال:

قال أبو دهبل يمدح ابن الأزرق:

بأبي وأمّي غيرَ قول الباطلِ ... الكاملُ ابن الكامل ابن الكاملِ

---

(١) الجند: موضع باليمن، وهو أجود كورها.

(٢) الضحضاح: الماء القليل يكون في الغدير وغيره. والسند: ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح.

(٣) الألوّة: العود يتبخر به.

(٤) الضمن: المريض.

والحازمُ الأمرِ الكريمُ برأيه ... والواصلُ الأرحامِ وابنُ الواصلِ

جمعَ الرياسةَ والسماحَ كليهما ... جَمْعَ الجَفِير[١] قِداحَ نبلِ النابلِ

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثني محمد بن عمر قال حدّثني سليمان بن عَبّاد قال حدّثني أبو جعفر الشُّوَيْفِعِي (رجل من أهل مكة) قال:

قدِم سليمان بن عبد الملك مكة في حرّ شديد، فكان يُنَقَّلُ سريره بفِناء الكعبة وأعطى الناسَ العطاء. فلما بلغ بني جُمَح نُودي بأبي دهبل، فقال سليمان: أين / أبو دهبل الشاعر؟ عليّ به؛ فأُتِيَ به؛ فقال سليمان: أنت أبو دهبل [١٣٥/٧] الشاعر؟ قال: نعم؛ قال: فأنت القائل:

فِتنةٌ يُشْعلها وُرّادُها ... حطبَ النارِ فدعها تَشْتَعِلْ

فإذا ما كان أمنٌ فَأْتِهِمْ ... وإذا ما كان خوفٌ فاعتزل

قال: نعم. قال: وأنت القائل:

يدعون مروانَ كيما يَستجيبَ لهم ... وعند مروان خار[٢] القومُ أو رقدوا

قد كان في قوم موسى قبلهم جَسَد[٣] ... عجلٌ إذا خار فيهم خَوْرةً سجدوا

قال: نعم. قال: أنت القائل هذا ثم تطلب ما عندنا، لا والله ولا كرامةَ! فقال: يا أمير المؤمنين، إن قوماً فُتِنوا فكافحوكم بأسيافهم وأجلَبوا عليكم بخيلهم ورَجْلهم ثم أدالكم اللّهُ منهم فعفوتم عنهم، وإنما فُتِنْتُ فقلت بلساني، فلِمَ لا يُعْفَى عنّي! فقال سليمان: قد عفونا عنك وأقطعه قطيعةً بحاذان[٤] باليمن. فقيل لسليمان: كيف أقطعتَه هذه القطيعةَ! قال: أردتُ أن أُميتَه وأُميتَ ذِكرَه بها.

أبو دهبل وعمرة محبوبته:

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا المدائنيّ عن جماعة من الرّواة:

أن أبا دهبل كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها عَمْرة وكانت امرأةً جَزْلةً يجتمع الرجال عندها لإنشاد الشعر والمحادثة، وكان أبو دهبل لا يُفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها، وكانت هي أيضاً محبّةً له. وكان أبو دهبل من أشراف بني جُمَح، / وكان يحمل الحَمَالة وكان مُسوَّداً؛ وزعمتْ بنو جمح أنه تزوّجها بعد، وزعم غيرُهم من [١٣٦/٧] الرّواة أنه لم يَصل إليها ولم يَجْر بينهما حلال ولا حرام. قال: وكانت عمرة تتقدّم / إلى[٥] أبي دهبل في حفظ ما $\frac{١٦٦}{٦}$ بينهما وكتمانه، فضمن ذلك لها. فجاء نسوةٌ كنّ يتحدّثن إليها فذكرن لها شيئاً من أبي دهبل وقُلْنَ: قد علِق امرأةً؛ قالت: وما ذاك؟ قلن: ذكر أنه عاشق لكِ وأنّكِ عاشقة له. فرفعتْ مجلسَها ومُجالسةَ الرجال ظاهرةً وضربتْ حجاباً

---

(١) الجفير: جعبة السهام.

(٢) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «حار» بالحاء المهملة.

(٣) الجسد: الذي لا يعقل. ولا يميز قال الله تعالى: ﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار﴾.

(٤) كذا في جميع الأصول ولم نعثر عليها في «كتب البلدان» فلعلها محرّفة عن «جازان» بالجيم والزاي وهي موضع في طريق حاج صنعاء.

(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «على» وهو تحريف.

بينهم وبينها، وكتبتْ إلى أبي دهبل تَعْذُلِه وتخبره بما بلغها من سوء صَنيعه. فعند ذلك يقول:

تطاوَلَ هذا الليل ما يتبلّج ... وأعْيَتْ غواشي عَبْرتي ما تَفَرّجُ
وبتُّ كئيباً ما أنام كأنما ... خلالَ ضلوعي جمرةٌ تتوهّجُ
فطوراً أُمنّي النفسَ من عَمْرةَ المنى ... وطوراً إذا ما لَجّ بي الحزن أَنْشِجُ
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ... ونحن إلى أن يُوصل الحبلُ أحوجُ
رأوْا غِرّةً فاستقبلوها بألْبهم ... فراحوا على ما لا نُحبّ وأدلجوا
وكانوا أُناساً كنتُ آمَنُ غيبَهم ... فلم يَنْهَهم حلم ولم يتحرّجوا
همُ منعونا ما نحبُّ وأوقدوا ... علينا وشبُّوا نار صُرْم تَأجّج
ولو تركونا لا هَدَى اللّهُ سعيَهم ... ولم يُلْحِموا قولاً من الشر يُنْسَج
لأوشك صرفُ الدهر يفرُق بيننا ... وهل يَستقيم الدّهرُ والدهرُ أعوجُ
عسى كربةٌ أمسيتِ فيها مقيمةً ... يكون لنا منها نجاة ومَخْرجُ
فيُكْبَت أعداءٌ ويَجْذَل آلِفٌ ... له كبد من لوعة الحب تَنْضَج
وقلتُ لعَبّادٍ وجاء كتابُها ... لهذا وربّي كانت العين تخلُج
وخطّطتُ في ظهر الحَصير كأنّني ... أسيرٌ يَخاف القتلَ ولْهان مُلْفج
/ فلما التقينا لَجْلَجَتْ في حديثها ... ومن آية الصُّرم الحديثُ المُلَجْلَج [١٣٧/٧]
وإنّي لمحجوبٌ عشيّةَ زرتُها ... وكنتُ إذا ما جئتُها لا أُعرَّج
وأعيا عليّ القولُ والقولُ واسعٌ ... وفي القول مُسْتَنٌّ[1] كثيرٌ ومَخرَجُ

أبو السائب المخزومي وأبو جندب الهذلي تغنيهما جارية بشعر أبي دهبل:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير بن بكّار قال حدّثني خالد بن بكر الصوّاف قال:

أتيتُ ابنَ أبي العراقيب فسألتُه أن يُدْخِلني على جارية مغنّية لم يَر أحدٌ مثلَها قط؛ فقال لي: إنّ في البيت والله شيخين كريمين عليّ، لا أدري ما يوافقهما من دخول أحد عليهما، فلو أقمتَ حتى أطّلعَ رأيَهما في ذلك، فدخل ثم خرج إليّ فقال: ادخل فدخلتُ، فإذا أبو السائب المخزوميّ وأبو جُنْدَب الهُذَليّ؛ وخرجتْ علينا الجاريةُ قاطبةً عابسةً؛ فلما وُضع العودُ في حجرها اندفعتْ تغنّي وتقول:

عسى كربةٌ أمسيتِ فيها مقيمةً ... يكون لنا منها نَجاة ومَخْرَجُ
وإنّي لمحجوبٌ غداةَ أزورها ... وكنتُ إذا ما زرتُها لا أُعرِّج

(١) المستن: الطريق المسلوك.

قال: ثم بكت؛ فوثبا عليه جميعاً فقالا له: لعلك أربْتها[1] بشيء، عليك وعلينا إن لم تَقُمْ إليها حتى تقبّل رأسَها وتترضّاها، فقعل.

١٦٧/٦

/ نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء

صوت

تطاوَلَ هذا الليلُ ما يتبلّج ... وأعْيَتْ غواشي عَبْرتي ما تَفَرَّج

أُخطِّط في ظهر الحصير كأنّني ... أسيرٌ يَخاف القتلَ وَلْهانُ مُلْقَج

/ الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو. وفيه لحن لمالك ذكره حماد عن أبيه في أخبار مالك ولم يُجنّسه. وحُكِي أن مالكاً كان إذا سُئل عنه يذكر أنه أخذه من حائد بن جَرْهَد فقوّمه وأصلحه. وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثقيل بالوسطى عن حَبَش والهشاميّ. [١٣٨/٧

صوت

لقد قطع الواشون ما كان بيننا ... ونحن إلى أن يُوصَل الحبلُ أحوجُ

فطوراً أُمنّي النفسَ من عَمْرةَ المنى ... وطوراً إذا ما لَجَّ بي الهمّ أَنْشِج

الغناء لمالك ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر حبش أن فيه لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى.

شعره في رثاء الحسين بن علي:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مُصْعَب قال:

قال أبو دهبل في قتل الحسين بن عليّ صلوات الله عليه وزكواتهُ:

تَبِيتُ سُكارَى من أميّة نُوَّماً ... وبالطَّفّ قتلى ما يَنام حَميمُها

وما أفسد الإسلامَ إلا عصابةٌ ... تأمّر نَوْكاها ودام نعيمُها

فصارت قناةُ الدّين في كفّ ظالمٍ ... إذا اعوجّ منها جانب لا يُقيمها

قصيدته الدالية:

قال الزبير وحدّثني يحيى بن مِقْداد بن عِمْران بن يعقوب الزَّمْعي قال حدّثني عمّي موسى بن يعقوب قال أنشدني أبو دهبل قصيدته التي يقول فيها:

سقى اللّهُ جَازاناً فمن حلَّ وَلْيَه ... فكلَّ فَسِيلٍ من سَهام وسُرْدُدِ[2]

---

(١) أربتها: أقلقتها وأزعجتها.

(٢) كذا في «شرح القاموس» مادة سرد. وجازان: موضع في طريق حاج صنعاء. والولي: القرب، يقال: داره ولي داري أي قربها. وسهام: اسم موضع باليمامة كانت به وقعة أيام أبي بكر بين ثمامة بن أثال ومسيلمة الكذاب. وسردد: واد مشهور متسع بتهامة =

[١٣٩/٧] / ومحصولَـه الـدارَ التـي خيَّمَـتْ بهـا سقـاهـا فـأرْوى كـلُّ ربـع وفَـدْفـدِ[١]

فـأنـتِ التـي كلّفتِنـي البِـرْكَ[٢] شـاتيـاً وأوْرَدْتِنِيـه فـانظـري أيّ[٣] مَـوْرِدِ

صوت

فـوانَـدَمـي أن[٤] لـم أعُـج إذ تقـول لـي تقـدَّمْ فشيِّعنـا إلـى ضَحـوة الغَـد

تكـن سكنـاً أو تقـدُر العيـن أنهـا ستبكـي مـراراً فـآسَـلُ مـن بعـد واحْمَـدِ[٥]

فـأصبحـتُ ممّـا كـان بينـي وبينهـا سـوى ذكـرهـا كـالقـابـض المـاء بـاليـدِ

ـ الغناء لابن سريج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لبَذْل الكبير رملٌ عن الهشاميّ:

لعلّـك أن تلقـى محبّـاً فتشتفـي بـرؤيـة رِيـم بَضَّـةِ المُتَجَـرَّدِ

بـلاد العـدا لـم تـأتهـا غيـرَ أنهـا بهـا هـمُّ نفسـي مـن تَهـامٍ ومُنْجِـدِ[٦]

ومـا جعلـت مـا بيـن مكـة نـاقتـي إلـى البِـرْك إلاّ نـومـةَ المتهجِّـد

وكـانـت قُبَيـلَ الصبـح تَنْبِـذ رحلَهـا بـدُومـة[٧] مـن لَغْـط القَطَـا المتبـدِّدِ

[١٤٠/٧] [١٦٨/٦] / قال فقلت: يا عمّي[٨] فما يمنعك أن تكتري دابةً بدرهمين فتشيِّعها وتصبحُ معك؛ فضحك / وقال: نفَع الله بك يابن أخي، أما علمتَ أن النَدم توبةٌ، وعمّك كان أشغل مما تحسب.

أنشد أبو السائب شعراً له فتهكم به:

قال الزبير وحدّثني عمّي مصعب بن عبدالله قال:

أنشد رجل أبا السائب المخزوميّ قصيدةَ أبي دهبل:

سقـى الله جـازانـاً فمـن حـلّ وَلْيَـه فكـلَّ فسيـلٍ مـن سَهـام وسُـرْدُدِ

فلما بلغ قولَه:

= اليمن مشتمل على قرى ومدن وضياع. وقد جاء هذا البيت محرّفاً في الأصول هكذا:

سقـى الله جـاراً بـاثنـاً حـل وليـه بكـل سبيـل مـن سنسـام وسـردد

(١) الفدفد: الفلاة، وقيل: الأرض الغليظة ذات الحصى، أو المكان المرتفع.

(٢) البرك: ناحية باليمن وهو نصف الطريق بين حلي ومكة. وقد أورد صاحب «اللسان» هذا البيت مستشهداً به على البرك الذي هو مستنقع الماء وقد آثرنا ما فسرناه به لورود اسم هذا الموضع أكثر من مرة فيما سيأتي، وقد ذكر جلياً في قوله:

ومـا جعلـت مـا بيـن مكـة نـاقتـي إلـى البـرك إلا نـومـة المتهجـد

(٣) كذا في «اللسان». وفي الأصول: «أين». (٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «إذ».

(٥) كذا في حـ. وفي ب، س: «واجهد» وفي سائر النسخ: «واجمد» بالجيم والميم.

(٦) التهام: المنسوب إلى تهامة، قال الجوهري: النسبة إلى تهامة تهاميّ وتهام، إذا فتحت التاء لم تشدّد كما قالوا: يمان وشآم إلا أن الألف في تهام من لفظها والألف في يمان وشآم عوض عن ياء النسب. والمنجد: المنسوب إلى نجد.

(٧) كذا في «معجم ما استعجم» ودومة (بضم الدال) هي دومة الجندل وهي ما بين برك الغماد ومكة، وقد نسب صاحبه هذين البيتين الأخيرين للأحوص. وقد ورد في الأصول محرفاً.

(٨) في الأصول: «يا عمرو». وهو ينافي سياق الكلام.

فـوانـدمـي أن[1] لـم أعُـجْ إذ تقـول لـي تقـدّم فشيِّعنـا إلـى ضحـوة الغـد

قال أبو السائب: ما صنع شيئاً! ألا اكترى حماراً بدرهمين فشيّعهم ولم يقل «فواندمي» أو اعتذر! وإني أظنّ أنه قد كان له عذرٌ. قال: وما هو؟ قال: أظنه كان مثلي لا يجد شيئاً.

قصيدته الميمية:

فقال الزبير وحدّثني ابنُ مِقْداد قال حدّثني عمّي موسى بن يعقوب قال أنشدني أبو دَهْبل قولَه:

صوت

ألاَ عَلِـقَ القلـبُ المتيَّـمُ كُلْثُمـا لَجَـاجـاً ولـم يَلْـزَم مـن الحبّ مَلْـزَمـا

خـرجـتُ بهـا مـن بطـن مكـة بعـدمـا أصـات المنـادي بـالصـلاة فـأعْتمـا[2]

فمـا نـام مـن راعٍ ولا ارتـدّ سـامـرٌ مـن الحيّ حتـى جـاوزتْ بـي يَلَمْلَمَـا[3]

/ ومـرّتْ ببطـن اللّيـثِ[4] تَهْـوِي كـأنمـا تُبـادِر بـالإدلاج نَهْبـاً مقسّمـا ١٤١/٧]

ـ غنّى في هذه الأبيات ابنُ سريج خفيفَ رمل بالبنصر عن الهشاميّ. قال: وفيه هزجٌ يمانٍ بالوسطى، وذكر عمرو بن بانة أن خفيفَ الثقيل هو اليمانيّ. وفيه لِفيل مولى العَبَلات رَمَلٌ صحيح عن حمّاد عن أبيه عن الهشاميّ. وقال الهشامي: فيه لَحَكم ثقيلٌ أوّلُ. وذكر أبو أيّوب المَدِينيّ في أغاني ابن جامع أنّ فيه لحناً ولم يجنّسه ـ:

وجـازَتْ[5] علـى البَـزْوِ والليـلُ كـاسـرٌ جنـاحَيْـن بـالبَـزْواء وَرْداً وأدْهَمَـا

فمـا ذَرّ قَـرنُ الشمـس حتـى تبيّنَـتْ بعُلَيْـبَ[6] نخـلاً مشـرفـاً أو مخيَّمـا

ومـرّت علـى أشطـان رَوْنـق[7] بـالضّحـى فمـا خَـزَّرت[8] للمـاء عينـاً ولا فمـا

ومـا شـرِبـتْ حتـى ثنيـتُ زمـامَهـا وخِفْـتُ عليهـا أن تَخِـرّ وتُكْلمـا

فقلـتُ لهـا قـد بنـتِ غيـرَ ذميمـةٍ وأصبـح وادي البِـرْك غَيْثـاً مُـدَيَّمـا[9]

---

(١) انظر الحاشية الرابعة ص ١٣٩ من هذا الجزء.

(٢) أعتم: دخل في العتمة.

(٣) يلملم: موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن.

(٤) كذا في نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه وياقوت في الكلام على «برك والليث». والليث (بالكسر): موضع بالحجاز بين السرّين (بكسر السين والراء المشدّدة مكسورة) ومكة. وفي الأصول: «بطن البيت» وهو تحريف.

(٥) كذا في ياقوت وهو معطوف على ما قبله. وفي الأصول) «أجازت» والبزواء: موضع في طريق مكة قرب الجحفة.

(٦) عليب: واد بتهامة كذا ذكره ياقوت، وقال: قول أبي دهبل يدل على أنه واد فيه نخل والنخل لا ينبت في رؤوس الجبال ثم ساق الأبيات.

(٧) في حـ: «أشطان زرقة» وفي ياقوت: «أشطان روقة». ولم نقف عليها.

(٨) الخزر بالتحريك: ضيق العين وصغرها أو هو النظر الذي كأنه في أحد الشقين. يقال: خزرت عينه (من باب فرح) وخزرها هو. وفي حـ: «جرزت» وفي باقي الأصول: «جزرت». وظاهر أن كليهما تصحيف.

(٩) كذا في ياقوت. وفي الأصول: «عينا مرنما».

قال: فقلتُ له: ما كنتَ إلاّ على الريح؛ فقال: يابن أخي، إن عمَّك كان إذا همّ فعل، وهي الحاجةُ[1]. أمَا سمعتَ قولَ أخي[2] بني مُرّة:

[٧/١٤٢] / إذا أقبلتْ قلتَ مشحونةٌ — أطاعتْ[3] لها الرّيحُ قِلعاً جَفُولا

وإن أدبرتْ قلتَ مذعورةٌ — من الرُّبْد[4] تتبع هَيْقاً ذَمُولا[5]

وإن أعرضتْ خال فيها البصيـ — ـر مالا تكلّفه أن يَميلا

يدا سُرُحٍ مائلٍ ضَبْعُها — تسوم وتُقْدم رجلاً زَحُولا[6]

فمرّتْ على خُشُب غُدْوةً — ومرّتْ فُوَيق أُرَيْكٍ[7] أصِيلا

تخبّط بالليل حُزّانَه[8] — كَخَبْطِ القويّ العزيزِ الذليلا

استحسن ريان السوّاق شعره وقال ليس بعده شيء:

١٦٩/٦ وأخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني جعفر بن الحسن اللّهبيّ قال: أنشدت / رَيّان[9] السوّاق قولَ أبي دهبل:

أليس عجيباً أن نكون ببلدة — كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلّمُ

ولا تَصْرِميني أن تَرَيْني أحبّكم — أبوء بذنبٍ إنّني أنا أظْلمُ

فقال: أحسن، أحسن اللّهُ إليه؛ ما بعد هذا شيءٌ.

وفي هذه القصيدة يقول:

صوت

أمِنّا أُناساً كنتِ قد تأمَنِينَهم — فزادوا علينا في الحديث وأوْهَموا[10]

[٧/١٤٣] / وقالوا لنا ما لم يُقَل ثم كثّروا — علينا وباحوا بالذي كنتُ أكتمُ

---

(١) في الأصول: «الحجاجة»، وقد صحح الأستاذ الشنقيطي هذه الكلمة هكذا: «العجاجة» ولم نتبين المقصود منها فآثرنا ما وضعناه لتلاؤمه والسياق.

(٢) هو بشامة بن الغدير وقد عدّه ابن سلام في كتابه «طبقات الشعراء» في الطبقة الثامنة من الشعراء الإسلاميين وذكر له شعراً (انظر «نهاية الأرب» ص ١١٥ «السفر العاشر» طبع دار الكتب المصرية).

(٣) كذا في ياقوت في الكلام على أريك و «نهاية الأرب». وفي الأصول: «أقلت».

(٤) كذا في «نهاية الأرب». والربد: النعام، من الربدة وهي لون بين السواد والغبرة. وفي حـ: «الربع». وفي سائر الأصول: «الريح»، وهو خطأ.

(٥) الهيق: الظليم. والذمول: السريع.

(٦) السرح من الإبل: السريعة المشي. والضبع: وسط العضد بلحمه وقيل: العضد كلها وقيل: الإبط. وتسوم: تمرّ مسرعة.

(٧) أريك: واد في بلاد بني مرّة.

(٨) حزان (بضم الحاء وكسرها): جمع خريز، وهو ما غلظ وصلب من الأرض مع إشراف قليل.

(٩) كذا في جميع الأصول وقد ورد في «ج ٤ ص ٤١٥» من «الأغاني» طبع دار الكتب المصرية اختلاف فيه فانظره.

(١٠) أوهموا: أسقطوا وحذفوا.

لقد كُحِلتْ عيني القَذَى لفراقكم ... وعاودها تَهْتانها فهي تَسْجُم
وأنكرتُ طيبَ العيش مني وكُدِّرتْ ... عليّ حياتي والهوى متقسَّم

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن زُرْزور الطائفيّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه خفيفا رملٍ أحدُهما بالوسطى لمتيَّم والآخر بالبنصر لعَريب.

حديث القاسم ابن المعتمر مع أبي السائب عن شعره:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير قال حدّثني عمّي قال حدّثني القاسِمَ بن المعتِمر الزُّهْريّ قال: قلتُ لأبي السائب المخزوميّ: يا أبا السائب، أمَا أحسن أبو دهبل حيث يقول:

صوت

أأَتْرُكُ ليلى ليس بيني وبينها ... سوى ليلةٍ إنّي إذاً لصبورُ
هَبُوني امرأً منكم أضَلّ بعيرَه ... له ذمّة إن الذِّمام كبيرُ
ولَلصّاحبُ المتروكُ أفضلُ ذمّةً ... على صاحبٍ من أن يَضِلّ بعيرُ

قال: فقال لي: وبأبي أنت! كنتُ والله لا أحبّك وتَثْقُل عليّ، فأنا الآن أُحبّك وتخِفّ عليّ.

وفي هذه الأبيات غناءٌ لابن سريج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لعَلّويه رملٌ بالوسطى من جامع أغانِيه. وفيه للمازنيّ خفيفُ ثقيلٍ آخر من رواية الهشاميّ وذُكاء وغيرِهما. وأوّلُ هذا الصوت بيت لم يُذكر في الخبر، وهو:

عفا اللَّهُ عن ليلى الغَداةَ فإنها ... إذا وَلِيَتْ حُكْماً عليّ تجور

/ **توعد عبدالله بن صفوان عمه أبا ريحانة فقال هو شعراً:** [١٤٤/٧]

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزبير قال حدّثني عمّي مصعب ومحمد بن الضحّاك عن أبيه:

أن أبا رَيْحانة عمَّ أبي دهبل كان شديدَ الخلاف على عبدالله بن الزبير، فتوعّده عبدالله[١] بن صفوان، فلحِق بعبد الملك بن مروان، فاستمدّه الحَجّاجُ فأمدّه عبد الملك بطارق مولى عثمان في أربعة آلاف؛ فأشرف أبو رَيْحانة على أبي قُبَيْس فصاح أبو ريحانة: أليس قد أخزاكم الله يأهل مكة! فقال له ابن أبي عتيق: بلى والله قد أخزانا الله. فقال له ابن الزبير: مهلاً يابنَ أخي! فقال: قلنا لك ائذَنْ لنا فيهم وهم قليل فأبيتَ حتى صاروا إلى ما ترى من الكَثْرة. قال: وقال أبو دهبل في وعيد عبدالله بن صفوان عمَّه أبا ريحانة ـ واسمه عليّ بن أسيد بن أُحَيْحَة ـ:

ولا تُوعِد لتقتله عليّا ... فإن وعيده كلاًّ وَبِيلُ
ونحن ببطن مكّة إذ تَداعى ... لرهطك من بني عمرو رَعِيلُ[٢]

---

(١) كان من رجالات عبدالله بن الزبير وحضر معه مشاهده. قتله الحجاج وأرسل برأسه مع رأس ابن الزبير إلى عبد الملك بن مروان. (انظر الطبري ق ٢ ص ٢٢٤، ٢٢٥، ٥٣٠، ٨٤٩، ٨٥٢).

(٢) الرعيل: كل قطعة متقدّمة من خيل ورجال.

[١٧٠/٦]

/ أُولُو الجمعِ المقدّم حين ثابوا ... إليك ومن يودّعهم قليلُ
فلما أن تفانَيْنَا وأوْدَى[١] ... بثروتنا الترحّلُ والرحيلُ
جعلتَ لحومَنا غرضاً كأنا ... لتهلكنا عروبَةُ أو سَلُولُ

رثى ابن الأزرق وأوصى أن يدفن بجانبه:

أخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ قال:

مات ابنُ الأزرق وأبو دهبل حيّ فدُفن بعُلَيْب، فلما احتُضِر أبو دهبل أيضاً أوصى أن يُدفن عنده. وفيه يقول أبو دهبل يرثيه ـ عن أبي عمرو الشيبانيّ ـ:

[١٤٥/٧]

/ لقد غال هذا اللحدُ من بطن عُلَيْبٍ ... فتًى كان من أهل الندى والتكرّمِ
فتًى كان فيما ناب يوماً هو الفتى ... ونعم الفتى للطارق المتيمِّم
أألحقَّ أني لا أزال على منًى ... إذا صدَر الحُجّاجُ عن كلّ مَوْسِمِ
سقى اللّهُ أرضاً أنت ساكنُ قبرها ... سِجَال الغَوَادِي من سَحِيلٍ[٢] ومُبْرَمِ

خرج إلى مصر لطلب ميراث ثم عاد وقال شعراً:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير قال حدّثني عمّي قال حدّثني إبراهيم بن أبي عبدالله قال:

وقع لأبي دهبل مِيراثٌ بمصر فخرج يُريده، ثم رجع من الطريق فقال:

اسْلَمي أمَّ دهبلٍ بعد هَجْرٍ ... وتقَضٍّ من الزمان وعُمْرِ
واذكري كَرّيَ المطيَّ إليكم ... بعد ما قد توجّهتُ نحو مصر
لا تخالي أنّي نسيتُكِ لمّا ... حال بِيشٌ[٣] ومن به خلف ظهري
إن تكوني أنت المقدّم قبلي ... وأُطِعْ يَثْوِ عند قبرك قبري

قال إبراهيم: فوقفتُ على قبره إلى جانب قبرها بعُلَيْبٍ.

صوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

ألا أيها الشادنُ الأكحلُ ... إلى كم تقول ولا تفعلُ
إلى كم تجود بما لا نريـ ... ـد منك وتمنع ما نَسألُ

الشعر للحسين بن الضحّاك. والغناء لأبي زَكّارٍ الأعمى، ولحنُه المختار هَزَجٌ بالبنصر.

---

(١) في ب، س: «وأورى بنزوتنا» وفي ء وم: «وأودوا بنزوتنا» وفي سائر الأصول: «وأوروا بنزوتنا» وهو تحريف.
(٢) السحيل: الخيط غير المفتول. والمبرم: المفتول. وهذا كناية عن التعميم، أي سقاها الله سجال الغوادي قليلها وكثيرها.
(٣) بيش (بكسر أوّله): من بلاد اليمن قرب دهلك. قال ياقوت في «معجم البلدان» بعد أن ذكر شعر أبي دهبل هذا: «وهذا الشعر يدل على أن بيشا موضع بين مكة ومصر، أو تكون صاحبته المذكورة كانت باليمن...».

/ أخبار حسين بن الضّحّاك ونسبه [١٤٦/٧]

منشؤه وشعره:

الحسين بن الضحّاك باهليٌّ صَلِيبةٌ[١]، فيما ذكر محمد بن داود بن الجَرّاح؛ والصحيح أنه مولى لباهِلة. وهو بَصريّ المولد والمَنْشأ، من شعراء الدولة العباسيّة، وأحد ندماء الخلفاء من بني هاشم. ويقال: إنه أوّلُ من جالس منهم محمدُ الأمين. شاعرٌ أديبٌ ظريف مطبوعٌ حسنُ التصرّف في الشعر حلو المَذْهب، لشعره قبول ورونق صافٍ. وكان أبو نُواس يأخذ معانيَه في الخمر فيُغير عليها. وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسَبه الناس إلى أبي نواس. وله معانٍ في صفتها أبدع فيها وسَبق إليها، فاستعارها أبو نواس، وأخبارُهما في هذا المعنى وغيرِه تُذكر في أماكنها. وكان يلقّب الخليعَ والأشقرَ، وهاجى مُسْلِمَ بن الوليد فانتصف منه. وله غزل كثير جيّد. وهو[٢] من المطبوعين الذين تخلو أشعارُهم ومذاهبهم جملةً من / التكلّف. وعُمِّرَ عمراً طويلاً حتى قارب المائة السنة، ومات في خلافة المُستعين أو المنتصر. ١٧١/٦

وحدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال:

كان حسين بن الضحّاك بن ياسِر مولًى لباهلة، وأصلُه من خُراسان؛ فكان ربما اعترف بهذا الولاء وربما جَحَده، وكان يلقّب بالأشقر، وهو ومحمد بن حازم الباهليّ ابنا خالة.

وحدّثني الصُّوليّ عن إبراهيم بن المعلّى الباهليّ: أنه سأله عن نسب حسين بن الضحّاك فقال: هو حسين بن الضحّاك بن ياسر، من موالي سليمان بن ربيعة الباهليّ. قال الصوليّ: وسألتُ الطيّبَ بن محمد الباهليّ عنه فقال لي: هو الحسين / بن الضحّاك بن فلان بن فلان بن ياسر، قديم الولاء، ودارُه في بني مُجاشع وفيها وُلِد الحسين، أرانِيها صاحبُنا سعيد بن مسلم. [١٤٧/٧]

قال قصيدته الخمرية فاستحسنها أبو نواس ونسبت إليه:

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طَلْحة الكاتب ومحمد بن يحيى الصُّوليّ قالا: حدّثنا المُغيرة بن محمد المهلّبيّ قال حدّثنا حسين بن الضحّاك قال: أنشدتُ أبا نواس لمّا حَجَجْت قصيدتي التي قلتُها في الخمر وهي:

بُـدِّلْـتَ مِـن نَفَحـاتِ الـوردِ بـالآءِ[٣] ... ومِـن صَبُـوحِـكَ دَرَّ الإبْـلِ والشّـاءِ

فلما انتهيتُ منها إلى قولي:

---

(١) صليبة: خالص النسب.

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «وهذا...».

(٣) في الأصول: «باللاء». والتصويب عن المرحوم الشيخ الشنقيطي في نسخته. والآء: شجر الدفلى (نبت مر زهره كالورد الأحمر).

حتى إذا أُسْنِدَتْ في البيت واحْتُضِرتْ ... عند الصَّبوح ببسّامين أكْفاءِ
فُضَّتْ خواتمُها في نَعْت واصفها ... عن مثل رَقْرَاقَةٍ[1] في جفن مَرْهاءِ[2]

قال: فصَعِقَ صعقةً أفزعني، وقال: أحسنتَ والله يا أشقر! فقلتُ: ويلك يا حسن! إنك أفزعتني والله! فقال: بلى والله أفزعتَني ورُعْتَني، هذا معنى من المعاني التي كان فكري لا بدّ أن ينتهي إليها أو أغوص عليها وأقولَها فسبقْتَني إليه واختلسته منّي، وستعلم لمن يُروَى أَلِي أم لك؛ فكان والله كما قال، سمعتُ من لا يعلم يَرويها له.

أخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني محمد بن عبدالله مولى بني هاشم أبو جعفر قال:

سمعت الحسينَ بن الضحّاك يقول: لما قلت قصيدتي:

* بُدِّلْتَ من نفحات الورد بالآء *

[٧/١٤٨] / أنشدتُها أبا نواس؛ فقال: ستعلم لمن يَرويها الناسُ أَلِي أم لك؛ فكان الأمرُ كما قال، رأيتُها في دفاتر الناس في أوّل أشعاره.

أخبرني جعفر بن قُدامة عن أحمد بن أبي طاهر عن أحمد بن صالح عن الحسين بن الضحّاك، فذكر نحواً منه.

ذكر للمأمون فحجبه لشعره في الأمين وذهب للبصرة:

أخبرني الصّوليّ قال حدّثني عبدالله بن محمد الفارسيّ عن ثُمامة بن أشرس، قال الصوليّ وحدّثنيه عَوْن بن محمد عن عبدالله بن العباس بن الفضل بن الرّبيع قال:

لمّا قدِم المأمونُ من خُراسان وصار إلى بغداد، أمر بأن يُسمّى له قومٌ من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه، فذُكر له جماعةٌ فيهم الحسين بن الضحّاك، وكان من جلساء محمد المخلوع؛ فقرأ أسماءَهم حتى بلغَ إلى اسم حسين، فقال: أليس هو الذي يقول في محمد:

هلاّ بَقِيتَ لسَدّ فاقَتِنا ... أبداً وكان لغيرك التَّلَفُ
فلقد خلَفتَ خلائفاً سلَفوا ... ولَسَوْفَ يُعْوِز بعدك الخَلَفُ

[١٧٢/٦] لا حاجةَ لي فيه، والله لا يراني أبداً إلا في الطريق. ولم يعاقب الحسين على ما كان من هِجائه / له وتعريضِه به. قال: وانحدر حسينٌ إلى البصرة فأقام بها طولَ أيام المأمون.

أخبرني عمّي والكوكبيّ بهذا قالا حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثنا عبدالله بن الحارث المَرْوَزيّ عن إبراهيم بن عبدالله ابن أخي السِّنديّ بن شاهك، فذكر مثلَه سواء.

أنشد المأمون مدحه فيه فلم يرض عنه:

قال ابن أبي طاهر فحدّثني محمد بن عبدالله صاحب المراكب قال أخبرني أبي عن صالح بن الرشيد قال:

---

(١) الرقراقة: الدمعة التي تترقرق (تتحرّك) في العين ولا تسيل.
(٢) المرهاء: المرأة التي لم تكتحل.

/ دخلتُ يوماً على المأمون ومعي بيتان للحسين بن الضحّاك، فقلت: يا أمير المؤمنين، أُحبّ أن تسمع مني [١٤٩/٧] بيتين؛ فقال: أنشِدْهما فأنشدتُه:

حَمِدنا اللَّهَ شكراً إذ حبانا ... بنصرك يا أمير المؤمنينا
فأنت خليفةُ الرحمن حقّاً ... جمعتَ سماحةً وجمعتَ دِينا

فقال: لمن هذان البيتان يا صالح؟ فقلتُ: لعبدك يا أمير المؤمنين حسين بن الضحّاك؛ قال: قد أحسن. فقلتُ: وله يا أمير المؤمنين أجودُ من هذا؛ فقال: وما هو؟ فأنشدتُه قوله:

صوت

أَيَبْخَلُ فَرْدُ الحسن فَرْدُ صفاتِه ... عليَّ وقد أفردتُه بهوًى فَرْدِ
رأى اللَّهُ عبدَ الله خيرَ عباده ... فملّكه واللَّهُ أعلمُ بالعبد

قال: فأطرق ساعة ثم قال: ما تَطِيبُ نفسي له بخير بعدما قال في أخي محمد وقال.

قال أبو الفرج: وهذه الأبيات تُروى لابن البوّاب، وستُذكر في أبوابه إن شاء اللَّهُ تعالى، وعلى أن الذي رواها غلِط في روايته غلَطاً بيّناً، لأنها مشهورةٌ من شعر حسين بن الضحّاك. وقد رُوي أيضاً في أخباره أنه دفعها إلى ابن البوّاب فأوصلها إلى ابن المأمون، وكان له صديقاً. ولعلّ الغَلَط وقع من هذه الجهة.

الغناء في الأبيات المذكورةِ المنسوبةِ إلى حسين بن الضحّاك وإلى ابن البوّاب الدّاليّة لإبراهيم بن المهديّ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر. وفيها لعُبيد الله بن موسى الطائفيّ رملٌ بالبنصر.

أمر المأمون عمرو بن بانة بالغناء في شعره في الأمين:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا أحمد بن يزيد المهلّبيّ عن أبيه عن عمرو بن بانة أنّهم كانوا عند صالح بن الرشيد، فقال: لستَ تطرَح على جَواريّ وغلماني / ما أستجيده! فقال له: ويلك! ما أبغضك ابعث إلى [١٥٠/٧] منزلي فجِيءْ بالدفاتر واخترْ منها ما شئتَ حتى أُلقيَه عليهم؛ فبعث إلى منزلي فجِيء إليه بدفاترِ الغِناء فأخذ منها دفتراً ليتخيّر ممّا فيه، فمرّ به شعر الحسين بن الضحّاك يرثي الأمينَ ويهجو المأمون وهو:

أَطِلْ حَزَناً وابْكِ الإمامَ محمداً ... بحزنٍ وإن خِفتَ الحُسامَ المهنّدا
فلا تَمّتِ الأشياءُ بعد محمدٍ ... ولا زال شملُ الملك منها مُبَدَّدا
ولا فرِح المأمونُ بالملك بعده ... ولا زال في الدنيا طريداً مشرَّدا

فقال لي صالح: أنت تعلم أنّ المأمون يَجيء إليّ في كل ساعة، فإذا قرأ هذا ما تُراه يكون فاعلاً! ثم دعا بسِكّين فجعل يحُكُّه؛ وصعِد المأمونُ من الدَّرَجَة ورمى صالح الدفترَ. فقال المأمون: يا غلام الدفترَ، فأُتِي به، فنظرَ فيه ووقف على الحَكّ فقال: إن قلت لكم: ما كنتم[١] / فيه تَصْدُقُوني؟ قلنا: نعم. قال: ينبغي أن يكون أخي قال ١٧٣/٦ لك: ابعث فجِيءْ بدفاترك ليتخيّر ما تطرح، فوقف على هذا الشعر فكرِه أن أراه فأمر بحكّه؛ قلنا: كذا كان. فقال:

(١) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «ما كان فيه».

غنّه يا عمرو؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، الشعر لحسين بن الضحّاك والغناء لسعيد بن جابر؛ فقال: وما يكون! غنّه فغنّيتُه؛ فقال: ارْدُدْه فرددتُه ثلاث مرات؛ فأمر لي بثلاثين ألف درهم، وقال: حتى تعلم أنه لم يَضْرُرْك عندي.

قال: وسعيد بن جابر الذي يقول فيه حسين بن الضحّاك، وكان نديمه وصديقَه:

* يا سَعيد وأين منّي سعيد *

مراثيه في الأمين:

ولحسين بن الضحّاك في محمد الأمين مَراثٍ كثيرةٌ جياد، وكان كثيرَ التحقّق[1] به والمُوالاةِ له لكثرة أفضاله عليه ومَيْلِه إليه وتقديمه إيّاه. وبلغ من جَزعه عليه أنّه / خُولِط؛ فكان يُنكر قتلَه لمّا بلغه ويدفعه ويقول: إنه مُستَتِر [١٥١/٧] وإنه قد وقف على تفرّق دُعاته في الأمصار يدعون إلى مُراجَعة أمره والوفاء ببَيعته ضنًّا به وشفقةً عليه. ومن جيّد مراثيه إياه قولُه:

صوت

سـألـونـا أن كيـف نحـن فقلنـا ... مَـنْ هَـوَى نجمُـه فكيـف يكـونُ

نحـن قـوم أصابنـا حَـدَثُ الـدهـ ... ـر فظَلْنـا لـرَيْبـه نَستكيـن

نتمنّـى مـن الأميـن إيـابـاً ... لَهْـفَ نفسـي وأيـن منّـي الأميـن

في هذه الأبيات لسعيد بن جابر ثاني ثقيل بالوسطى. وفيها لعَريبَ خفيف ثقيلٍ.

ومن جيّد قوله في مراثيه إيّاه:

أعـزّي يـا محمـد عنـك نفسـي ... مَعـاذَ الله والأيـدي الجِسـامِ

فهـلاّ مـات قـوم لـم يموتـوا ... ودُوفـع عنـك لـي يـوم الحِمـامِ

كـأن المـوتَ صـادف منـك غُنْمـاً ... أو استشفـى بقُـربـك مـن سَقـام

أعجب المأمون ببيت من شعره وأجازه عليه بثلاثين ألف درهم:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا عليّ بن محمد النّوْفليّ قال قال لي محمد بن عبّاد: قال لي المأمون وقد قدِمت من البصرة: كيف ظريف شعرائكم وواحد مِصْركم؟ قلتُ: ما أعرفه؛ قال: ذاك الحسين بن الضحّاك، أشعرُ شعرائكم وأظرفُ ظرفائكم. أليس هو الذي يقول:

رأى اللّـهُ عبـدَ الله خيـرَ عبـاده ... فملّكـه والله أعلـم بـالعبـد

قال: ثم قال لي المأمون: ما قال فيّ أحد من شعراء زماننا بيتاً أبلغَ من بيته هذا؛ فاكتب إليه فاستَقْدِمْه؛ وكان حسين عليلاً وكان يَخاف بوادرَ المأمون لما / فَرط منه؛ فقلت للمأمون: إنه عليل يا أمير المؤمنين، علّتُه تمنعه من [١٥٢/٧] الحركة والسفر. قال: فَخُذْ كتاباً إلى عامل خراجكم بالبصرة حتى يُعطيَه ثلاثين ألف درهم؛ فأخذتُ الكتاب بذلك وأنفذتُه إليه فقبض المال.

(١) كذا في جميع الأصول ولعلها «التعلق».

قال محمد بن يزيد الأزدي هو أشعر المحدثين:

حدّثنا عليّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال سمعتُ أبا العباس محمد بن يزيدالأزديّ يقول: حسين بن الضحّاك أشعر المُحْدَثين حيث يقول:

أيُّ ديباجةِ حُسْنِ ... هيّجتْ لوعة حزني

/ إذ رماني القمر الزا ... هر عن فَترة جفن ١٧٤/٦

بأبي شمسُ نهارٍ ... برزَتْ في يوم دَجْن

قرّبتني بالمنى حـ ... ـتى إذا ما أخلفَتْني

تركتني بين ميعا ... د وخُلْفٍ وتَجَنّي

ما أراني[1] لي من الصبـ ... ـوة إلاّ حسنُ ظنّي

إنما دامت على الغد ... رِ لِمَا تعرف منّي

أستعيذ اللّه من إعـ ... ـراض من أغرض عنّي

استقدمه المعتصم من البصرة ومدحه فأجازه:

أخبرني عليّ بن العباس قال حدّثني سَوَادةُ بن الفَيْض المخزوميّ قال حدّثني أبو الفيض بن سوادة عن جدّي قال:

لمّا وَلِي المعتصمُ الخلافةَ سألني عن حسين بن الضحّاك، فأخبرتُه بإقامته بالبصرة لانحراف المأمون عنه؛ فأمر بمكاتبته بالقدوم عليه فقدِم. فلما دخل وسلّم استأذن في الإنشاد فأذِن له؛ فأنشده قولَه:

هلاّ سألت تلدُّذَ[2] المُشتاقِ ... وَمَنَنْتَ قبل فراقه بتَلاقِ

/ إنّ الرقيب ليَسْتريب تنفُّساً ... صُعُداً إليك وظاهرَ الإقلاق [٧/١٥٣]

ولئن أرَبْتُ[3] لقد نظرتُ بمقلةٍ ... عبْري عليك سخينةِ الآماق

نفسي الفِداءُ لخائفٍ مترقِّب ... جعل الوَداعَ إشارةً بعِناق

إذ لا جوابَ لمُفْحَمٍ متحيّرٍ ... إلا الدموعُ تُصان بالإطراق

حتى انتهى إلى قوله:

خيرُ الوُفود مبشّرٌ بخلافةٍ ... خَصّتْ ببهجتها أبا إسحاق

وَافتْه في الشهر الحرام سليمةً ... من كلّ مُشْكلة وكلّ شِقاق

أعطتْه صفقتَها الضمائرُ طاعةً ... قبل الأكُفّ بأوكد الميثاق

---

(١) في بعض الأصول: «ما أرى لي...»، وهو تحريف.

(٢) كذا في الأصول. ولعله «تلدد» بالدال المهملة وهو الحيرة والدهش.

(٣) أراب الرجل: كان ذا ريبة.

سكـن الأنـامُ إلـى إمـام سـلامـةٍ عـفّ الضمير مهـذّبِ الأخـلاق

فحمـى رعيّتـه ودافـع دونهـا وأجـار مُمْلِقَهـا مـن الإمـلاق

حتى أتمّها. فقال له المعتصم: أُدْن منّي فدنا منه؛ فملأ فَمه جوهراً من جوهر كان بين يديه، ثم أمره بأن يخرجه من فيه فأخرجه، وأمر بأن يُنْظَمَ ويُدفعَ إليه ويخرج إلى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فعلَه. فكان أحسنَ ما مُدح به يومئذ.

وممّا قدّمه أهلُ العلم على سائر ما قالته الشعراء قولُ حسين بن الضحّاك حيث قال:

قـل لـلأُلـى صـرَفـوا الـوجـوه عـن الـهـدى متعسّفيـن تعسّـفَ المُـرّاقَ

إنـي أحـذّركـم بـسـوادرَ ضَيْغَـمٍ دَرِبٍ بحَطْـم مَـوَائِـل الأعنـاق

متـأهـبٍ لا يستفِـزّ جَنـانَـه زَجِـلُ الـرُّعُـود ولامـعُ الإبـراق

[٧/١٥٤] / لـم يَبْـق مـن متعرّمين[١] تـوثّبـوا بـالشـأم غيـرُ جمـاجـم أفـلاقِ

مـن بيـن مُنْجَـدِل تمُـجّ عـروقُـه عَلَـقَ[٢] الأخـادع أو أسيـرٍ وَثـاقِ

$\frac{١٧٥}{٦}$ / وثَنـى الخيـولَ إلـى معـاقـل قيصـرٍ تختـال بيـن أحـزّةٍ[٣] ورقـاق

يحمِلـن كـلَّ مُشمّـرٍ مُتَغَشِّـمٍ ليـثٍ هِـزَبْـرٍ أهْـرَتَ الأشـداق[٤]

حتـى إذا أمَّ الحصـونَ مُنـازِلاً والمـوتُ بيـن تـرائـبٍ وتَـراقِ[٥]

هَـرّت بطـارقُهـا هـريـرَ قَسـاوِرٍ بُـدِهَـتْ بـأكْـرَهِ منظـرٍ ومَـذَاقِ[٦]

ثـم استكـانـت للحصـار ملـوكُهـا ذُلاً ونـاط حلـوقَهـا بخِنـاق[٧]

هـرَبـتْ وأسلمـتِ الصليـبَ عشيّـةً لـم يَبْـق غيـرُ حُشَـاشَـة الأرمـاق

قال: فأمر له المعتصم لكل بيت بألف درهم، وقال له: أنت تعلم يا حسين أنّ هذا أكثر ما مدحني به مادحٌ في دولتنا. فقبّل الأرض بين يديه وشكره وحمل المال معه.

(١) كذا في «تجريد الأغاني». والمتعرّمون: ذوو العرمة وهي الشراسة والحدّة في الخلق. وفي الأصول: «متعزمين» بالزاي وهو تصحيف.

(٢) العلق: الدم. والأخادع: عروق في العنق.

(٣) كذا في حـ. والأحزة: جمع حزيز وهو الغليظ من الأرض. والرقاق: المستوية اللينة منها وفي سائر الأصول: «أجرة ودقاق» بالجيم والراء في الأولى والدال المهملة في الثانية.

(٤) المتغشم: الغضوب. وهرت الأشداق: سعتها. والأسود توصف بذلك.

(٥) الترائب: عظام الصدور وفوقها التراقي، مفرده ترقوة.

(٦) هرّت: صوّتت. والقساور: الشجعان والأعزة والأشداء من الرجال، واحده قسورة. وبدهت: بغتت.

(٧) الخناق: ما يختنق به من حبل أو وتر ونحوه.

أعجب الرياشي لبيتين له في الخمر:

حدّثني عليّ قال حدّثني عثمان بن عمر الآجُرّي قال: سمعت الرِّيَاشيّ ينشد هذين البيتين ويستحسنهما ويستظرفهما جدّاً وهما:

إذا مــا المــاءُ أمكنني ... وصفــوُ سُلافــةِ العِنَــبِ

صببــتُ الفضّــةَ البيضــا ... ءَ فــوق قُــرَاضــةِ الــذهــب

/ فقلت له: من يقولهما يا أبا الفضل؟ قال: أرقّ الناس طبعاً وأكثرهم مُلَحاً وأكملُهم ظَرْفاً حسين بن الضحّاك. [٧/١٥٥]

أخذ أبو نواس معنى له في الخمر فأجاده:

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثني أبي عن حسين بن الضحّاك قال: أنشدتُ أبا نُواس قصيدتي:

وشــاطِــريّ[١] اللســان مختلِــق التكـ ... ـريــه شــاب المُجُــونَ بــالنُّسُــك

حتى بلغتُ إلى قولي[٢]:

كــأنمــا[٣] نُصْــبَ كــأســه قمــرٌ ... يكــرَعُ فــي بعــض أنْجُــم الفلــك

قال: فأنشدني أبو نواس بعد أيام لنفسه:

إذا عَــبّ فيهــا شــاربُ القــومِ خِلتَــه ... يُقبِّــل فــي داجٍ مــن الليــل كــوكبــا

قال: فقلت له: يا أبا عليّ هذه مُصَالَتةٌ[٤]. فقال لي: أتظن أنه يُروي لك في الخمر معنى جيّد وأنا حيّ!. أخبرني به جعفر بن قُدَامة عن عليّ بن محمد بن نصر عن أحمد بن حمدون عن حسين بن الضحّاك فذكر مثله.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال:

أنشدتُ إبراهيم بن المدبّر قولَ حسين بن الضحّاك:

كــأنمــا نُصْــبَ كــأسِــه قمــرٌ ... حــاســده[٥] بعــض أنْجُــم الفلــك

/ حتــى إذا رنّحتْــه ســوْرتهــا ... وأبــدلتْــه السكــونَ بــالحَــرَك [٧/١٥٦]

كشفــــتُ عـــن وَرْدة مسنَّمــة ... فــي ليــن صِينيّــة مــن الفَلَــك[٦]

فقال لي إبراهيم بن المدبّر: إن الحسين كان يزعم أن أبا نواس سرَق منه هذا المعنى حين يقول: * يقبّل في

---

(١) شاطريّ: نسبة إلى الشاطر وهو الذي أعيا أهله ومؤدبه خبثاً. وكان هذا الاسم يطلق في الدولة العباسية على أهل البطالة والفساد.

(٢) كذا في حـ وفي سائر الأصول: «إلى قوله» وهو تحريف.

(٣) كذا في «تجريد الأغاني» وفي الأصول: «تخالها نصب كأسه قمراً».

(٤) كذا في «تجريد الأغاني». والمصالتة عند الشعراء هي أن يأخذ الشاعر بيتاً لغيره لفظاً ومعنى، وهي من أقبح السرقات الشعرية، من الصلت بمعنى اللص (عن أقرب الموارد مادّة صلت) وفي الأصول: «مصالبة» بالباء وهو تصحيف.

(٥) كذا في الأصول هنا، وهو غير واضح. وقد تقدم هذا البيت منذ أسطر برواية أخرى واضحة.

(٦) الصينية: الإناء المعروف. والفلك: التل من الرمل. وكثيراً ما تشبه العجيزة في الضخامة واللين بكثيب الرمل.

داج من الليل كوكبا * فإن كان سرَقه منه فهو أحقُّ به لأنه قد برّز عليه، وإن كان حسين سرقه منه فقد قصّر عنه.

مدح الواثق حين ولي الخلافة فأجازه:

أخبرني محمد بن يحيى الخُرَاسانيّ قال حدّثني محمد بن مُخَارِق قال:

١٧٦/٦ لمّا بُويع الواثقُ بالخلافة ودخل[1] عليه الحسين بن الضحّاك فأنشده / قصيدتَه التي أوّلها:

صوت

ألم يَرُعِ الإسلامَ موتُ نصيرِه ... بَلَى حَقّ أن يرتاع من مات ناصرُهْ

سيُسْلِيك عمّا فات دولةُ مُفْضِلٍ ... أوائلُه محمودةٌ وأواخرُهْ

ثنى الله عِطْفَيْه وألّف شخصَه ... على البِرّ مُذ شُدّت عليه مآزِرُه

يَصَبُّ[2] ببَذْلِ المال حتى كأنما ... يرى بذلَه للمال نَهْباً يُبادرُه

وما قدّم الرحمنُ إلاّ مقدَّماً ... مواردُه محمودةٌ ومصادرُه

فقال الواثق: إن كان الحسين لَينطِق عن حسن طويّة ويمدح بخُلوص نيّة. ثم أمر بأن يُعطَى لكل بيت قاله من هذه القصيدة ألفَ درهم. فأعجبته الأبيات، حتى أمر فصُنعت فيها عدّة ألحان، منها لعَرِيبَ في طريقة الثقيل الأوّل.

[١٥٧/٧] / سرق شعراً له في الواثق من شعر أبي العتاهية في الرشيد:

وأخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني عَوْن بن محمد قال حدّثني محمد بن عمرو الرومي قال.

لمّا ولي الواثقُ الخلافة أنشده حسين بن الضحّاك قصيدةً منها:

سيُسْلِيك عمّا فات دولةُ مُفْضِلٍ ... أوائلُه محمودةٌ وأواخرُهْ

وما قدّم الرحمنُ إلاّ مقدَّما ... مواردُه محمودةٌ ومصادرُهْ

قال: فأنشدتُ إسحاقَ الموصليّ هذا الشعر؛ فقال لي: نقل حسين كلامَ أبي العتاهيَة في الرشيد حتى جاء بألفاظه بعينها حيث يقول:

جَرَى لك من هارونَ بالسعد طائرُه ... إمامُ اعتزام لا تُخاف بوادرُهْ

إمامٌ له رأيٌ حميدٌ ورحمةٌ ... مواردُه محمودةٌ ومصادرُه

قال: فعجبت من رواية إسحاق شعرَ المُحدَثين، وإنما كان يروى للأوائل ويتعصّب على المحدَثين وعلى أبي العتاهية خاصّةً.

في هذين الشعرين أغاني نسبتها:

---

(١) كذا في الأصول ولعله «دخل» من غير الواو.

(٢) كذا في ء، حـ وصب بالشيء: كلف به وولع. وفي سائر الأصول: «يصيب» وهو تحريف.

صوت

جرى لك من هارون بالسعد طائرهُ ... إمامُ اعتزامٍ لا تُخاف بوادرُهْ
إمامٌ له رأي حميدٌ ورحمةٌ ... مواردُه محمودة ومصادره
هو الملكُ المجبولُ نفساً على التقى ... مُسَلَّمةٌ من كل سوء عساكره
لِتُغْمَدْ سيوفُ الحرب فاللَّهُ وحده ... وليُّ أميرِ المؤمنين وناصرُهُ

الشعرُ لأبي العتاهية، على ما ذكره الصُّوليّ. وقد وجدتُ هذه القصيدة بعينها في بعض النسخ لسَلْمٍ الخاسِر. والغناء لإبراهيم، وله فيه لحنان خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو وثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ.

صوت [١٥٨/٧]

سَيُسْلِيكَ عمّا فات دولةُ مُفْضِلٍ ... أوائلُه محمودةٌ وأواخرُهْ
ثنى الله عِطْفَيْه وألّف شخصه ... على البِرّ مُذ شُدّت عليه مآزِرُه

الشعر لحسين بن الضحّاك. والغناء لعَريبَ ثقيل أوّل مطلق. وفيه لقَلَم[1] الصالحيّة خفيفُ / رمل، وهو ١٧٧/٦ أغرب اللحنين ولحنُ عَريبَ المشهور.

مدح الواثق وهو في الصيد فأجازه:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني محمد[2] بن يحيى قال حدّثني عليّ بن الصبّاح قال حدّثني عليّ بن صالح كاتب الحسن بن رَجاء قال حدّثني إبراهيم بن الحسن بن سهل قال:

كنّا مع الواثِق بالقَاطُولِ[3] وهو يتصيّد؛ فصاد صيداً حسناً وهو في الزّوّ[4] من الإوَزّ والدُّرّاج وطيرِ الماء وغير ذلك؛ ثم رجع فتغدّى، ودعا بالجلساء والمغنّين وطرِب، وقال: من يُنشدنا؟ فقام الحسين بن الضحّاك فأنشده:

سقى اللَّهُ بالقاطُول مَسْرَحَ طرفكما ... وخَصّ بسُقْياه مناكبَ قصرِكا

حتى انتهى إلى قوله:

تَخَيَّن للدُّرّاج في جَنَباته ... وللغُرّ آجالٌ قُدِرْن بكفّكا

(١) هي قلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب إحدى المغنيات المحسنات المتقدمات وترجمتها مذكورة في (ج ١٢ ص ١١٥ من هذا الكتاب طبع بولاق) وورد ذكرها في «تاريخ الطبري» (ص ١٣٦٦ من القسم الثالث طبع أوروبا). وورد هذا الاسم في جميع الأصول هكذا: «العلمز» وظاهر تحريفه.

(٢) كذا في الأصول. ويظهر أن هذا الاسم مكرر من النساخ لأن المؤلف تكررت روايته عن محمد بن يحيى الصولي. والصولي يروي عن علي بن الصباح، وقد مر مثل هذا السند في الجزء الرابع من هذا الكتاب (ص ٥٤).

(٣) القاطول: اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة، حفره الرشيد وبنى على فوهته قصراً سماه أبا الجند.

(٤) الزوّ: نوع من السفن كان منتشراً في العصر العباسي. ونحن نقتطف بعض عبارات من الطبري لإثبات ذلك، فقد جاء في صفحة (٦٨٢ ق ٣) قال السندي بن شاهك بعد كلام طويل: حدّثني العباس بن الفضل بن الربيع قال: جلس الرشيد في الزوّ في الفرات ينتظرك. ثم ساق بعد كلام كثير: فأرسل إليّ الرشيد فصرت إليه ووقفت ساعة بين يديه؛ فقال لمن كان عنده من الخدم: قوموا فقاموا فلم يبق إلا العباس. ثم قال العباس: اخرج ومر برفع التخاتج (الأخشاب) المطروحة على الزوّ ففعل ذلك.

[٧/١٥٩] / حُتُوفاً إذا وجَّهْتَهنّ قواضِباً عِجَالاً إذا أغريتهنّ بزجركا

أبحتَ حَمَاماً مُصْعِداً ومُصوِّباً وما رِمْتَ[1] في حاليك مجلسَ لهوكا

تصرّفُ فيه بين ناي ومُسْمِعٍ ومشمولةٍ[2] من كفّ ظبي لسَقْيِكا

قضيتَ لُبَاناتٍ وأنت مخيِّمٌ مُريحٌ وإن شَطَّتْ مسافةُ عَزْمكا

وما نال طِيبَ العيش إلاّ مُوَدَّعٌ[3] وما طاب عيشٌ نال مجهودَ كدّكا

فقال الواثق: ما يعدِل الراحةَ ولذّةَ الدَّعَة شيء. فلما انتهى إلى قوله:

خُلِقتَ أمينَ الله للخَلْق عصمةً وأمْناً فكلٌّ في ذَرَاك وظِلّكا

وثِقتَ بمن سمّاك بالغيب واثقاً وثَبّتَ بالتأييد أركانَ مُلْككا

فأعطاك مُعْطيك الخلافةَ شكرَها وأسْعد بالتقوى سريرةَ قلبكا

وزادك من أعمارنا، غيرَ مِنَّةٍ عليك بها، أضعافَ أضعافِ عمركا

ولا زالت الأقدارُ في كلّ حالةٍ عُداةً لمن عاداك سِلْماً لسلمكا

إذا كنتُ من جَدْواك في كلّ نعمةٍ فلا كنتُ إن لم أفْنِ عمري بشكركا

فطرِب الواثق فضرب الأرض بمِخْصَرةٍ كانت في يده، وقال: لله درّك يا حسين! ما أقرب قلبَك من لسانك! فقال: يا أمير المؤمنين، جودُك يُنطِق المُفْحَمَ بالشعر والجاحدَ بالشكر. فقال له: لن تنصرف إلاّ مسروراً؛ ثم أمر له بخمسين ألف درهم.

رغب الواثق في الشراب في يوم غيم:

حدّثنا عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة قال حدّثنا أبو العبّاس الرِّيَاشيّ قال حدّثنا الحسين بن الضحّاك قال:

دخلت على الواثق ذات يوم وفي السماء لَطْخ[4] غيم، فقال لي: ما الرأي عندك في هذا اليوم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، ما حكَم به وأشار إليه قبلي أحمد بن يوسف؛ فإنه أشار بصواب لا يردّ وجعله في شعرٍ لا يُعارَض. فقال: وما قال؟ فقلت قال:

[٧/١٦٠] / أرى غيماً تؤلّفه جَنُوبٌ وأحسَبه سيأتينا بهَطْلِ

فعينُ الرأي أن تدعو بِرطلٍ فتشربه وتدعو لي بِرطلِ

فقال: أصبتما؛ ودعا بالطّعام وبالشراب والمغنّين والجلساء واصطبحنا.

(١) رام المكان: زال عنه وفارقه.

(٢) المشمولة: الخمر الباردة.

(٣) المودع: المرفه.

(٤) لطخ غيم: قليل غيم.

وصف ليلة لهو قضاها الواثق:

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدّثني الحسين بن عُلْوان قال حدّثني العبّاس بن عُبيد الله الكاتب قال:

/ كان حسين بن الضحّاك ليلةً عند الواثق وقد شربوا إلى أن مضى ثُلُثٌ من الليل، فأمر بأن يبيتَ مكانَه. فلما أصبح خرج إلى الندماء وهم مقيمون، فقال لحسين: هل وصفتَ ليلتنا الماضية وطيبَها؟ فقال: لم يمضِ شيء وأنا أقول الساعة؛ وفكّر هنيهةً ثم قال: ١٧٨/٦

حَثَّتْ[1] صَبُوحي فكاهةُ اللاّهي وطاب يومي بقرب أشباهي

فاسْتَثِرِ اللهوَ من مكامنه من قبل يومٍ منغِّصٍ ناهي[2]

بابنة كَرْمٍ من كفّ مُنْتَطِقٍ[3] مُؤزَّر بالمُجون تَيّاه

يَسقيك من طرفه ومن يده سقيَ لطيفٍ مجرِّب داهي

كأساً فكأساً كأنّ شاربها حيرانُ بين الذُّكور والساهي

قال: فأمر الواثق بردّ مجلسه كهيئته، واصطبح يومه ذلك معهم؛ وقال: نحقّق قولك يا حسين ونقضي لك كلَّ أَرَب وحاجة.

شعره في جارية للواثق غضبت عليه:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولِيّ قال حدّثني محمد بن مُغِيرة المهلَّبي قال حدّثنا حُسين بن الضحّاك قال:

/ كانت لي نَوْبةٌ في دار الواثق أحضرُها جَلَس أو لم يجلس. فبينا أنا نائم ذاتَ ليلةٍ في حجرتي، إذ جاء خادم من خَدَم الحُرَم فقال: قُمْ فإن أمير المؤمنين يدعوك. فقلت له: وما الخبر؟ قال: كان نائماً وإلى جَنبه حَظِيَّةٌ له فقام وهو يظنّها نائمةً، فألمّ بجارية له أخرى ولم تكن ليلةَ نوبتها وعاد إلى فراشه؛ فغضِبتْ حَظِيَّتُه وتركته حتى نام، ثم قامت ودخلت حجرتَها؛ فانتبه وهو يرى أنها عنده فلم يجدها، فقال: اخْتُلِسَتْ عزيزتي، ويحكم أين هي! فأُخبِر أنها قامت غَضْبَى ومضت إلى حجرتها، فدعا بك. فقلت في طريقي: ١٦١/٧

غضِبَتْ أنْ زُرْتُ أخرى خِلْسةً فلها العُتْبَى لدينا والرِّضا

يا فَدَتْكِ النفسُ كانت هفوةً فاغفِريها واصفَحي عمّا مضى

واتركي العذلَ على من قاله وانسُبي جَوْري إلى حكم القضا

فلقد نَبَّهتِني من رَقْدتي وعلى قلبي كنيرانِ الغَضَا

قال: فلما جئتُه خبّرني القصّة وقال لي: قُلْ في هذا شيئاً؛ ففكّرتُ هنيهةً كأني أقول شعراً ثم أنشدتُه الأبيات. فقال: أحسنتَ وحياتي! أعِدْها يا حسين؛ فأعدتُها عليه حتى حفِظها، وأمر لي بخمسمائة دينار، وقام فمضى إلى الجارية وخرجتُ أنا إلى حجرتي.

---

(١) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «حيث» وهو تصحيف.

(٢) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «لاهي» وهو تحريف.

(٣) المنتطق: اللابس المنطقة وهي كل ما شددت به وسطك.

رأى الواثق جارية له في النوم وأمره بأن يقول شعراً في ذلك:

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طَلْحة قال حدّثني الغَلاَبِيّ قال حدّثني مهديّ بن سابِق قال قال لي حسين بن الضحّاك:

كان الواثق يتحظّى جاريةً له فماتت فجزع عليها وترك الشرب أياماً ثم سَلاَها وعاد إلى حاله؛ فدعاني ليلة فقال لي: يا حسين، رأيتُ فلانة في النوم؛ فليت نومي كان طال قليلاً لأتمتّع بلقائها؛ فقل في هذا شيئاً. فقلت:

[١٦٢/٧] / ليتَ عينَ الدهر عنّا غَفَلتْ ورقيبَ الليل عنّا رَقَدا

وأقام النومُ في مُدّته كالذي كان وكنّا أبدا

بأبي زَوْرٌ[1] تَلَفّتُّ له فتنفّستُ إليه الصُّعَدا

[١٧٩/٦] / بينما أُضحِكُ مسروراً به إذ تقطَّعتُ عليه كَمَدا

قال: فقال لي الواثق: أحسنتَ! ولكنّك وصفتَ رقيبَ الليل فشكوتَه ولا ذنب للّيل وإنما رأيتُ الرؤيا نهاراً. ثم عاد إلى منامه فرقَد.

سرق منه أبو نواس معنى في الخمر:

أخبرني جَحْظة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجّم قال حدّثني حسين بن الضحّاك، وأخبرني به جعفر بن قُدامة عن عليّ بن يحيى عن حسين بن الضحّاك قال:

لقيني أبو نُواس ذات يوم عند باب أم جعفر من الجانب الغربيّ، فأنشدته:

أخَوَيَّ حيّ[2] على الصَّبوح صباحاً هُبّا ولا تَعِدا الصباحَ رَواحا

هذا الشَّمِيط[3] كأنه متحيّر في الأفْق سُدّ طريقُه فألاحا

ما تأمرانِ بسَكْرة قَرَوِيّة قَرَنتْ إلى درك النجاح نجاحا

هكذا قال جَحْظة. والذي أحفظه:

* ما تأمران بقهوة قَرَوِيّة *

قال: فلما كان بعد أيام لقيني في ذلك الموضع فأنشدني يقول:

ذكر الصَّبُوحَ بسُحْرة فارتاحا وأمَلّه ديكُ الصَّباح صِياحا

فقلت له: حسنٌ يابن الزانية! أفعلتها! فقال: دع هذا عنك، فوالله لا قلتَ في الخمر شيئاً أبداً وأنا حيٌّ إلاّ نُسِب لي.

(١) الزور: الخيال يرى في النوم.

(٢) حيّ: مثقلة يندب بها ويدعى بها يقال: حي على الصلاة، أي هلموا.

(٣) الشميط: الصبح. وفي جميع الأصول: «الشحيط» بالحاء المهملة، وهو تحريف.

[١٦٣/٧] / شرب عند إبراهيم بن المهدي فعربد عليه فقال شعراً:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن سعيد قال حدّثني أبو أمامة الباهليّ عن الحسين بن الضحّاك، قال محمد بن يحيى وحدّثني المغيرة بن محمد المهلّبيّ:

أنّ الحسين بن الضحّاك شرب يوماً عند إبراهيم بن المهديّ، فجرت بينهما مُلاحاةٌ في أمر الدِّين والمذهب؛ فدعا له إبراهيمُ بِنطْع وسيف وقد أخذ منه الشّرابُ؛ فانصرف وهو غضبان. فكتب إليه إبراهيم يعتذر إليه ويسأله أن يجيئه. فكتب إليه:

نـديمـي غيـرُ منسـوب ... إلـى شـيء مـن الحَيْـفِ
سقـانـي مثـلَ مـا يشـر ... ب فعـلَ الضَّيـفِ بـالضيـفِ
فلمـا دارت الكـأسُ ... دعـا بـالنِّطْـع والسيـف
كـذا مـن يشـرب الخمـر ... مـع التِّنِّيـنِ فـي الصيـف

قال: ولم يعد إلى منادمته مدّة. ثم إن إبراهيم تحمّل[1] عليه ووصله فعاد إلى منادمته.

نشأ هو وأبو نواس بالبصرة ثم رحل إلى بغداد واتصل بالأمين:

حدّثني عمّي قال حدّثني ميمون بن هارون قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال:

كنت أنا وأبو نواس تِرْبين، نشأنا في مكان واحد وتأدّبنا بالبصرة، وكنّا نحضُر مجالسَ الأدباء متصاحبَيْن، ثم خرج قبلي عن البصرة وأقام مدّة، واتّصل بي ما آل إليه أمرُه، وبلغني إيثارُ السلطان وخاصّتِه له؛ فخرجتُ عن البصرة إلى بغداد ولَقِيتُ الناس ومدحتُهم وأخذتُ جوائزَهم وعُدِدْتُ في الشعراء، وهذا كلُّه في أيام الرشيد، إلاّ أنّي لم أصلْ إليه واتّصلتُ بابنه صالح فكنتُ في خدمته. فغُنِّي يوماً بهذا الصوت:

ألان زُمّ[2] أجمـالٌ وفـارق جيـرةٌ ... وصـاح غـرابُ البيـن أنـت حـزيـنُ

[١٦٤/٧] / فقال لي صالح: قل أنت في هذا المعنى شيئاً؛ فقلت:

ألانَ دَبّ حُسّـادٌ ومـلّ حبيـب ... وأورق عـودُ الهجـر أنـت حبيـبُ[3]
/ لِيَبْلُـغْ بنـا هجـرُ الحبيـب مـرامَـه ... هـلِ الحـبُّ إلاّ عَبْـرةٌ ونحيـب
كـأنـك لـم تسمـع بفـرقـة أُلْفَـةٍ ... وغَيْبَـةِ وصـل لا تـراه يـؤوب

[١٨٠/٦]

فأمر بأن يُغَنّى فيه. واتّصلتُ بمحمد[4] ابن زُبيدة في أيام أبيه وخدمتُه، ثم اتّصلَتْ خدمتي له في أيام خلافته.

(١) كذا في «تجريد الأغاني» أي استشفع إليه وترضاه. وفي الأصول: «تحامل عليه» وهو تحريف.
(٢) زمّ البعير: خطمه وعلق عليه الزمام.
(٣) كذا في الأصول. ولعله: «أنت كئيب».
(٤) هو محمد الأمين الخليفة العباسي. وزبيدة أمه وهي بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور.

جفاه صالح بن الرشيد فترضاه بشعر فرضي عنه:

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني أبو العَيْناء عن الحسين بن الضحّاك قال: كنتُ يوماً عند صالح بن الرشيد، فجرى بيننا كلامٌ على النّبيذ وقد أخذ منّي الشّرابُ مأخَذاً[1] قويًا، فرَددْتُ عليه ردًّا أنكره وتأوّله على غير ما أردتُ، فهاجَرني؛ فكتبتُ إليه:

صوت

يـابـنَ الإمـام تـركتنـي هَمَـلا أبكـي الحيـاةَ وأنـدُب الأمـلا

مـا بَـالُ عينِـك حيـن تلحَظُنـي مـا إنْ تُقِـلُّ جُفُـونَهـا ثِقَـلا

لـو كـان لـي ذنـبٌ لبُخـتُ بـه كـي لا يقـال هجـرتَنـي مَلَـلا

إن كنـتُ أعـرف زَلَّـةً سلَفَـتْ فـرأيـتُ مِيتَـةَ واحـدى عجـلا[2]

ـ فيه خفيفُ ثقيل يُنسب إلى عبدالله بن العَلاَء وإلى عبدالله بن العبّاس الرَّبيعيّ ـ قال: فكتب إليّ: قد تلافى لسانُك بشعرك، ما جناه في وقت / سكرك. وقد رَضِيتُ عنك رِضاً صحيحاً، فصِرْ إليّ على أتمّ نشاطِك، وأكمل بِساطك. فعُدْتُ إلى خدمته فما سكِرتُ عنده بعدها. قال: وكانت في حسين عربدةٌ. [٧/١٦٥]

أنشد ابن البوّاب شعره للمأمون وشفع له فجفاه المأمون أولاً ثم وصله:

وأخبرني ببعضه محمد بن مزيد بن أبي الأزهر ومحمد بن خَلَف بن المَرْزُبان، وألفاظهما تزيد وتنقص. وأخبرني ببعضه محمد بن خَلَف وَكيع عن آخره وقصّةِ وصولِه إلى المأمون ولم يذكر ما قبل ذلك. قال: وحدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه ـ ولم يقل وَكيع: عن أبيه ـ واللفظ في الخبر لابن أبي الأزهر وحديثُه أتمّ، قال:

كنت بين يدي المأمون واقفاً، فأدخل إليه ابنُ البوّاب رقعةً فيها أبيات وقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذَن لي في إنشادها؛ فظنّها له فقال: هاتِ؛ فأنشده:

أجِـرْنـي فـإنّـي قـد ظَمِئْـتُ إلـى الـوعـد متـى تُنجـزُ الـوعـدَ المـؤكَّـدَ بـالعهـد

أُعِيـذُك مـن خُلْـف الملـوك وقـد بـدا[3] تقطُّـعُ أنفـاسـي عليـك مـن الـوجـد

أيَبْخَـلُ فَـرْدُ الحسـن عنّـي بنـائـلٍ قليـلٍ وقـد أفـردتُـه بهـوًى فـردِ

إلى أن بلغ إلى قوله:

رأى اللّـهُ عبـدَ الله خيـرَ عبـاده فملّكـه والله أعلـمُ بـالعبـد

ألا إنّمـا المـأمـونُ للنـاس عصمـةٌ مميِّـزةٌ بيـن الضَّـلاَلـة والـرُّشْـد

فقال المأمون: أحسنتَ يا عبدالله! فقال: يا أمير المؤمنين، أحسن قائلُها؛ قال: ومن هو؟ فقال: عبدُك

---

(١) في ب، س: «أخذا».

(٢) المعنى أنه يدعو على ولده الواحد بالموت عاجلاً إذا كان يعرف له زلة سلفت.

(٣) في حـ: «ترى».

حسين بن الضحّاك؛ فغضِب(١) ثم قال: لا حيّا الله من ذكرتَ ولا بيّاه ولا قرّبه ولا أنْعَم به عيناً! أليس القائلَ:

أعينـيَّ جُـودَا وابكيـا لـي محمـدا ... ولا تَـذْخَـرا دمعـاً عليـه وأسْعِـدا

/ فـلا تَمَّـتِ الأشيـاءُ بعـد محمـد ... ولا زال شمـلُ الملـك فيـه مبـدَّدا [١٦٦/٧]

/ ولا فـرِح المـأمـونُ بـالمُلـك بعـده ... ولا زال فـي الـدّنيـا طـريـداً مشـرَّدا [١٨١/٦]

هذا بذاك؛ ولا شيء له عندنا. فقال له ابن البوّاب: فأين فضلُ إحسان أمير المؤمنين وسَعَةُ حلمه وعادتُه في العفو! فأمره بإحضاره. فلما حضَر سلّم، فردّ عليه السلام ردًّا جافياً؛ ثم أقبل عليه فقال: أخبِرْني عنك: هل عرفتَ يومَ قُتل أخي محمد هاشميّةً قُتلت أو هُتكت؟ قال لا. قال: فما معنى قولك:

وسِـرْب ظبـاءٍ مـن ذُؤابـةِ هـاشـمٍ ... هَتَفْـنَ بـدعـوى خيـر حـيٍّ وميّـتِ

أرُدّ يـداً منّـي إذا مـا ذكـرتُـه ... علـى كبـدٍ حَـرّى وقلـبٍ مفتّـتِ

فـلا بـات ليـلُ الشـامتيـن بغِبْطـةٍ ... ولا بلَغـتْ آمـالُهـم مـا تمنّـتِ

فقال: يا أمير المؤمنين، لوعةٌ غلَبتني، وروعةٌ فاجأتني، ونعمةٌ فقدتُها بعد أن غمرتْني؛ وإحسانٌ شكرتُه فأنطقني، وسيّد فقدتُه فأقلقني. فإن عاقبتَ فبحقّك، وإن عفوتَ فبفضلك. فدَمَعتْ عينا المأمون وقال: قد عفوتُ عنك وأمرتُ بإدرار أرزاقك وإعطائك ما فات منها، وجعلتُ عقوبةَ ذنبك امتناعي من استخدامك.

شعره في عمرو بن مسعدة ليشفع له لدى المأمون:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أبي قال:

لمّا أعيتْ حسينَ بنَ الضحّاك الحيلةُ في رضا المأمون عنه، رمَى بأمره إلى عمرو بن مَسْعَدة وكتب إليه:

أنـتَ طَـوْدي مـن بيـن هـذي الهِضـابِ ... وشِهـابـي مـن دون كـلّ شِهـابِ

أنـتَ يـا عمـرو قـوّتـي وحيـاتـي ... ولسـانـي وأنـت ظُفْـري ونـابـي

أتُـرانـي أنسـى أيـاديـك البيـ ... ـضَ إذ اسـودّ نـائـلُ الأصحـاب

/ أيـن عطـف الكـرام فـي مَـأقِـطِ(٢) الحـا ... جـة يَحْمُـون حَـوْزةَ الآداب [١٦٧/٧]

أيـن أخـلاقُـك الـرضيّـة حـالـت ... فـيَّ أم أيـن رِقّـة الكُتّـاب

أنـا فـي ذمّـة السَّحَـاب وأظمـا! ... إنّ هـذا لـوصمـةٌ فـي السّحـاب

قُـمْ إلـى سيّـد البـريّـة عنّـي ... قـومـةً تَسْتَجِـرُّ حسـنَ خطـاب

فلعـلّ الإلـه يُطفـيء عنّـي ... بـك نـاراً علـيّ ذاتَ الْتِهـابِ

قال: فلم يزل عمرو يَلْطُف للمأمون حتى أوصله إليه وأدرّ أرزاقه.

---

(١) في حـ: «فقطب».

(٢) المأقط: المضيق في الحرب. وقد وردت هنا على وجه الاستعارة.

غضب عليه المعتصم فترضاه بشعر فرضي:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عَوْن بن محمد قال حدّثني الحسين بن الضحّاك قال:

غضب المعتصم عليّ في شيء جرى على النبيذ، فقال: والله لأؤدّبنّه! وحجَبني أياماً. فكتبت إليه:

غَضَبُ الإمام أشدُّ من أدَبِهْ ... وقد استجرتُ وعُذْتُ من غَضَبِهْ

أصبحتُ معتصِماً بمعتصِمٍ ... أثنى الإلهُ عليه في كُتُبِهْ

لا والذي لم يُبْقِ لي سبباً ... أرجو النجاةَ به سوى سببِهْ

ما لي شفيعٌ غيرُ حُرْمتِهِ ... ولكلِّ من أشْفَى على عَطَبِهْ

قال: فلمّا قُرِىء عليه التفت إلى الواثق ثم قال: بمثل هذا الكلام، يُسْتَعْطَف الكرام؛ ما هو إلاّ أن سمعتُ أبياتَ حسينٍ هذه حتى أزالتْ ما في نفسي عليه. فقال له الواثق: هو حقيقٌ بأن يُوهَب له ذنبه ويُتجاوزَ عنه. فرضي عنّي وأمر بإحضاري.

هجا العباس ابن المأمون:

182/6 قال الصوليّ فحدّثني / الحسين بن يحيى أنّ هذه الأبيات إنما كتب بها إلى المعتصم؛ لأنه بلَغه عنه أنه مدَح العبّاسَ بن المأمون وتمنّى له الخلافةَ، فطلبه فاستتر وكتب بها إلى المعتصم على يَدَيِ الواثق فأوصلها وشفَع له فرضِي عنه وأمّنه فظهر إليه، وهجا العباسَ بن المأمون فقال:

[7/168] / خَلِّ اللَّعِينَ وما اكتسَبْ ... لا زال منقطِعَ السَّبَبْ

يا عُرَّةَ الثَّقَلَيْنِ لا ... دِيناً رعَيتَ ولا حَسَبْ

حَسَدُ الإمامِ مكانَهُ ... جهلاً حَذَاكَ[1] على العَطَبْ

وأبوك قدّمه لها ... لمّا تخيَّر وانتخب

ما تستطيع سوى التنفّس والتجرُّع للكرب

ما زلتَ عند أبيك مُنْـ ... ـتَقَصَ المروءة والأدب

أمره صالح بن الرشيد أن يقول شعراً يغني فيه ابن بانة:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات وابن مهرويه قالا[2]:

كنّا عند صالح بن الرشيد ليلةً ومعنا حسين بن الضحّاك وذلك في خلافة المأمون، وكان صالح يهوَى خادماً له؛ فغاضبه في تلك الليلة فتنحّى عنه، وكان جالساً في صَحْنٍ حوله نَرْجِس في قمر طالع حسنٍ؛ فقال للحسين: قُلْ في مجلسنا هذا وما نحن فيه أبياتاً يُغنّي فيها عمرو بن بانة. فقال الحسين:

---

(1) حذاك على العطب: جعلك محاذياً له يريد أنه قادك إليه وأوقعك فيه.

(2) في الأصول: «قال».

صوت

وصـف البـدرُ حسـنَ وجهـك حتـى ... خِلْـتُ أنّـي ومـا أراكَ أراكـا

وإذا مـا تنفَّـس النـرجـسُ الغَـ ... ـضّ تـوهَّمتُـه نسيـمَ شَـذَاكـا

خُـدَعٌ للمُنـى تعلِّلنـي فيـ ... ـك بـإشـراق ذا ونفحـة ذاكـا

لأدومـنّ يـا حبيبـي علـى العـ ... ـهـد لهـذا وذاك إذ حَكَيـاكـا

قال عمرو: فقال لي صالح: تغنَّ فيها، فتغنّيتُ فيها من ساعتي.

لحنُ عمرو في هذه الأبيات ثقيلٌ بالبنصر من روايته.

/ شعره في محبوبه يسر خادم أبي عيسى بن الرشيد: [١٦٩/٧]

وقد حدّثني بهذا الخبر عليّ بن العباس بن أبي طلحة قال حدّثني عُبيد الله بن زكريا الضَّرير قال حدّثنا الجَمّاز عن أبي نُوَاس قال:

كنت أتعشّق ابناً للعلاء يقال له محمد، وكان حُسين يتعشّق خادماً لأبي عيسى بن الرشيد يقال له يُسْر؛ فزارني يوماً فسألتُه عنه فقال: قد كاد قلبي أن يسلُوَ عنه وعن حبّه. قال: وجاءني ابنُ العلاء صاحبي فدخل عليّ وفي يده نرجسٌ، فجلسنا نشرب وطلع القمر؛ فقلت له: يا حسين أيّما أحسن القمر[1] أم محمد؟ فأطرق ساعةً ثم قال: اسمع جوابَ الذي سألتَ عنه:

وصَـف البـدرُ حسـنَ وجهـك حتـى ... خِلْـتُ أنّـي ومـا أراكَ أراكـا

وإذا مـا تنفّـس النّـرجِـسُ الغَـ ... ـضّ تـوهّمتُـه نَسِيـمَ شَـذَاكـا

وأخـال الـذي لثَمـتَ أنيسـي ... وجليسـي مـا بـاشـرتْـه يـداكـا

فـإذا مـا لثَمـتُ لثَمـك فيـه ... فكـأنـي بـذاك قبّلـتُ فـاكـا

خُـدَعٌ للمُنـى تعلّلنـي فيـ ... ـك بـإشـراق ذا ونَفْحـة ذاكـا

لأُقيمـنّ مـا حَييـتُ علـى الشكـ ... ـر لهـذا وذاك إذ حَكَيـاكـا

/ قال: فقلت له: أحسنتَ والله ما شئتَ! ولكنّك يا كَشْخان[2] هو ذا تَقْدِر أن تقطع الطريق في عملي! فقال: ١٨٣/٦ يا كشخان أوَ شعري الذي سمعتَه في حاضرٍ أمْ بذكر غائبٍ! واللّهِ للنَّعْلُ التي[3] يطأ عليها يُسْرٌ أحسنُ عندي من صاحبك ومن القمر ومن كلّ ما أنتم فيه.

مدح المتوكل شعره:

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدّثني أحمد بن سعيد بن عَنْبسة القُرَشِيّ الأُمَوِيّ قال حدّثني عليّ بن الجَهْم قال:

---

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «أو».

(٢) الكشخان (بالفتح ويكسر): الديوث، وهو دخيل في كلام العرب.

(٣) في الأصول: «الذي».

[٧/ ١٧٠] / دخلتُ يوماً على المتوكّل وهو جالس في صحن خُلْده[1] وفي يده غصنُ آسٍ وهو يتمثّل بهذا الشعر:

بالشّطّ لي سَكَنٌ أَفْدِيه من سَكَنِ ... أَهْدَى من الآس لي غصنين في غُصُنِ

فقلتُ إذ نُظما إلفين والتبسا ... سَقْياً ورَعْياً لفألٍ فيكما حسنِ

فالآسُ لا شكَّ آسٍ من تشوّقنا ... شافٍ وآسٍ لنا يبقى على الزمنِ

أبشَرتُماني بأسبابٍ ستجمعنا ... إن شاء ربي ومهما يَقْضِه يَكُنِ

قال: فلما فرغ من إنشادها قال لي وكدتُ أَنْشَقّ حسداً: لمن هذا الشعر يا عليّ؟ فقلت: للحسين بن الضحّاك يا سيّدي. فقال لي: هو عندي أشعر أهل زماننا وأملحُهم مذهباً وأظرفُهم نَمَطاً[2]. فقلت وقد زاد غيظي: في الغزل يا مولاي. قال: وفي غيره وإن رَغِم أنفُك ومتَّ حسداً. وكنتُ قد مدحتُه بقصيدة وأردت إنشادَها يومئذ فلم أفعل، وعلمتُ أنّي لا أنتفع مع ما جرى بيننا بشيء لا به ولا بالقصيدة، فأخّرتُها إلى وقت آخر.

قصته مع شفيع خادم المتوكل وشعره فيه:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال حدّثني أبي قال:

أحَبَّ المتوكّل على الله أن يُنادمه حسينُ بن الضّحاك وأن يرى ما بَقِي من شهوته لما كان عليه؛ فأحضره وقد كبِر وضَعُف، فسقاه حتى سكِر، وقال لخادمه شَفيع: اسْقِه، فسقاه وحيّاه بوردةٍ، وكانت على شفيع ثيابٌ مورّدة؛ فمدّ الحسينُ يدَه إلى ذراع شَفيع. فقال له المتوكل: يا حسين، أتُجَمِّشُ[3] أخصَّ خَدَمي عندي بحَضْرتي! فكيف لو خلوتَ! ما أحوجك إلى أدب! وقد كان المتوكّل غمَز شفيعاً / على العَبَث به. فقال الحسين: يا سيّدي، أريد دواةً [٧/ ١٧١] وقرطاساً، فأمر له بذلك، فكتب بخطّه:

وكالوردةِ الحَمْراء حيّا بأحمرٍ ... من الورد يمشي في قَرَاطِقَ[4] كالوردِ

له عَبَثاتٌ عند كلّ تحيّةٍ ... بعينيه تَستدعي الحليمَ إلى الوجد

تمنيتُ أن أُسقى بكفَّيْه شَرْبةً ... تذكِّرني ما قد نَسِيتُ من العهد

سقى الله دهراً لم أبِتْ فيه ليلةً ... خَلِيًّا ولكن من حبيب على وعد

ثم دفع الرقعةَ إلى شفيع وقال له: ادفعْها إلى مولاك. فلما قرأها استملحها وقال: أحسنتَ والله يا حُسين! لو كان شفيع ممن تجوز هبتُه لوهبتُه لك، ولكن بحياتي إلّا كنتَ ساقيه باقيَ يومه هذا واخدُمْه كما تخدُمني؛ وأمر له بمال كثير حُمِل معه لمّا انصرف. قال أحمد بن يَزيد فحدّثني أبي قال: صِرتُ إلى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكّل بأيام، فقلت له: وَيْلَك! أتدري ما صنعتَ؟! قال: نعم أدري، وما كنتُ لأدَعَ عادتي بشيء؛ وقد قلتُ بعدك:

---

(١) الخلد: قصر للمنصور العباسي على شاطىء دجلة توارثه أبناؤه من بعده.

(٢) في حـ: «أعظما».

(٣) كذا في حـ. والجمش والتجميش: ضرب من المغازلة والملاعبة. وفي سائر الأصول: «أتجس».

(٤) القرطق كجندب: قباء ذو طاق واحد.

١٨٤/٦

صوت

لا رأى عَطْفَـــــــــــــةَ الأحـ ـبَـــــــة مـــــن لا يُصَــــــرَّحُ
أصغــــــرُ الســـــاقِيِّيـــــن أشـــــكــــلُ عنـــدي وأمْـــلَـــحُ
لـــــو تـــــراه كـــــالظَّبْـــي يَسـ ـنَـــــح حينـــــاً ويبـــــرَح
خِلْـــتَ غصنـــــاً علـــــى كَثِيـ ـــبٍ بنَـــوْرٍ يـــــرشَـــــح

غنى عمرو بن بانة في هذه الأبيات ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر.

شعره في شفيع وقد حياه بتفاحة عنبر:

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليَزيديّ وقال حدّثني محمد بن أبي عَوْن قال:

/ حضرتُ المتوكّل وعنده محمد بن عبدالله بن طاهر وقد أحضر حسينَ بن الضحّاك للمنادمة، فأمر خادماً كان [١٧٢/٧] واقفاً على رأسه، فسقاه وحيّاه بتفّاحة عنبر. وقال لحسين: قل في هذا شيئاً؛ فقال:

وكـــالـــدُّرّةِ البيضـــاءِ حيّـــاً بعنبـــرٍ وكـــالـــورد يَسْعَـــى فـــي قَـــرَاطِـــقَ كـــالـــوَرْد
لـــــه عَبَثَـــــاتٌ عنـــــد كـــــلِّ تحيّـــــة بعينيـــه تَستـدعـي الحليـمَ إلـى الـوجـد
تمنّيـــتُ أن أُسقَـــى بكفّيـــه[1] شـــربـــةً تُـــذكّـــرنـــي مـــا قـــد نسيـــتُ مـــن العهـــد
سقـــى الله عيشـــاً لـــم أَبِـــتْ فيـــه ليلـــةً مـــن الـــدّهـــر إلا مـــن حبيـــب علـــى وعـــد

فقال المتوكل: يُحمل إلى حسين لكل بيت مائةُ دينار. فالتفتَ إليه محمد بن عبدالله بن طاهر كالمتعجِّب وقال: لم ذاك يا أمير المؤمنين! فوالله لقدأجاب فأسرع، وذكّر فأوجع، وأطرَب فأمتع؛ ولولا أنّ يد أمير المؤمنين لا تطاولها يدٌ لأجزلتُ له العطاءَ ولو أحاط بالطارف والتالد. فخجِل المتوكّل وقال: يُعطَى حسين بكلّ بيت ألفَ دينار.

وقد أخبرني بهذا الخبر ابن قاسم الكَوْكَبيّ قال حدّثنا بِشْر بن محمد قال وحدّثني علي بن الجَهْم: أنه حضر المتوكّلَ وقد أمر شفيعاً أن يسقَى حسينَ بن الضحّاك؛ وذكر باقيَ الخبر نحوَ ما مضى من رواية غيره.

شعره في مقحم خادم ابن شغوف:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد المبرّد، وحدّثني عمّي قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال أخبرني مجمد بن مروان عن محمد بن عمرو الرُّوميّ قال:

اجتمع حسين بن الضحّاك وعمرو بن بانة يوماً عند ابن شغوف الهاشميّ فاحتبسهما عنده. وكان لابن شغوف خادم حسنٌ يقال له مُقْحم، وكان عمرو بن / بانة يتعشّقه ويُسِرّ ذلك من ابن شغوف. فلمّا أكلوا ووُضع النبيذُ قال [١٧٣/٧] عمرو بن بانة للحسين: قل في مُقْحمٍ أبياتاً أُغَنِّ فيها الساعةَ. فقال الحسين:

---

(١) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول في هذا الموضع: «بعينيه».

صوت

وابــــأبـــي مُقْحِـــمٌ لعـــزّتـــه قلـــتُ لـــه إذ خلـــوتُ مُكْتَتِمـــا

تحـــبّ بـــالله مـــن يخصّـــك بـــالـــو دّ فمـــا قـــال لا ولا نَعَمـــا

شعر إسحاق الموصلي في عمرو بن بانة:

وغنّى فيه عمرو. قال: فبيناهم كذلك إذ جاء الحاجب فقال: إسحاق الموصليّ بالباب؛ فقال له عمرو: أَعْفِنا من دخوله ولا تنغّص علينا ببُغْضه وصَلَفه وثِقَله ففعل؛ وخرج الحاجب فاعتلّ على إسحاق حتى انصرف، وأقاموا يومَهم وباتوا ليلتَهم عند ابن شغوف. فلما أصبحوا مضى الحسينُ بن الضحّاك إلى إسحاق فحدّثه الحديثَ بنصّه. فقال إسحاق:

[١٨٥/٦] / يـــابـــن شغـــوفٍ أمّـــا علمـــتَ بمـــا قـــد صـــار فـــي النـــاس كلُّهـــم عَلَمـــا

دعـــوتَ عمـــراً فبـــات ليلتَـــه فـــي كـــلّ مـــا يَشتهـــي كمـــا زعمـــا

حتـــى إذا مـــا الظـــلامُ ألبســـه سَـــرَى دَبِيبـــاً فضـــاجَـــع الخَـــدَمـــا

ثَمّـــتَ لـــم يَـــرْضَ أن يُضـــاجِعهـــم سِـــرًّا ولكـــن أَبْـــدى الـــذي كتمـــا

ثـــم تغنّـــى لفـــرط صَبْـــوتـــه صـــوتـــاً شفـــى مـــن غَليلـــه السَّقَمـــا:

«وابـــأبـــي مُقْحِـــم لعـــزّتـــه قلـــتُ لـــه إذ خلـــوت مكتتمـــا»

«تحـــبّ بـــالله مـــن يخصّـــك بـــالـــو دّ فمـــا قـــال لا ولا نعمـــا»

قال: وشاعت الأبياتُ في الناس وغنّى فيها إسحاق أيضاً فيما أظن؛ فبلغت ابنَ شغوف فحلَف ألّا يُدخلَ عمراً دارَه أبداً ولا يكلِّمه، وقال: فضَحني وشهَرني وعرّضني للسان إسحاق؛ فمات مهاجراً له. وقال ابن أبي سعد في خبره: إن إسحاق / غنّى فيها للمعتصم، فسأله عن خبرها فحدّثه بالحديث، فضحك وطرِب وصفّق؛ ولم يزل يَستعيد الصوتَ والحديثَ وابنُ شغوف يكاد أن يموت إلى أن سكر ونام. [٧/١٧٤]

لحن عمرو بن بانة في البيتين اللذين قالهما حسين في مُقْحم من الثقيل الثاني بالوسطى.

قال له أبو نواس أنت أشعر الناس في الغزل:

أخبرني عليّ بن العباس بن أبي طَلْحة قال حدّثني محمد بن موسى بن حَمّاد قال سمعت مَهْدِيّ بن سابِق يقول:

التقى أبو نُوَاس وحسين بن الضحّاك، فقال أبو نواس: أنت أشعر [أهل][1] زمانك في الغزل؛ قال: وفي أيّ ذلك؟ قال: ألا تعلم يا حسين؟ قال لا؛ قال: في قولك:

وابـــأبـــي مُقْحِـــم لعـــزّتـــه قلـــت لـــه إذ خلـــوتُ مكتتمـــا

تحـــبّ بـــالله مـــن يَخُصّـــك بـــالـــو دّ فمـــا قـــال لا ولا نعمـــا

---

(١) زيادة عن حـ.

ثم تولّى بمقلتَيْ خَجِلٍ ... أراد رَجْعَ الجوابِ فاحتشما

فكنتُ كالمبتغِي بحيلته ... بُرءاً من السُّقْم فابتدا سَقَما

فقال الحسين: وَيْحَكَ يا أبا نُوّاس[1]! فأنت لا تفارق مذهبَك في الخمر البتّةَ؛ قال: لا والله، وبذلك فضَلْتُك وفضَلْتُ الناسَ جميعاً.

مدح أبو العباس ثعلب شعره:

أخبرني عليّ بن العباس قال أنشدنا أبو العباس ثَعْلَب قال أنشدني حَمّاد بن المبارَك صاحبُ حسين بن الضحّاك قال أنشدني حسين لنفسه:

لا وحُبِّيكَ لا أُصا ... فِحُ بالدَّمْع مَدمَعَا

مَن بَكَى شَجْوَه استرا ... حَ وإن كان مُوجَعا

/ كَبِدي من هواكَ أسـ ... ـقَمُ من أن تَقَطّعا [٧/ ١٧٥]

لم تدَعْ سَوْرةُ الضَّنَى ... فيَّ للسُّقْم مَوْضِعا

قال: ثم قال لنا ثَعْلَب: ما بَقِي من يُحسن أن يقول مثل هذا.

قال ابن الرومي عنه إنه أغزل الناس:

أخبرني عليّ قال حدّثني محمد بن الفَضْل الأَهْوازيّ قال سمعت عليّ بن العباس الروميّ يقول: حسين بن الضحّاك أغزلُ الناس وأظرفُهم. فقلت: حين يقول ماذا؟ فقال: حين يقول:

يا مستعِيرَ سَوالفِ الخِشْفِ ... اسْمَعْ لحَلْفَة صادقِ الحَلْفِ

إنْ لم أصِحْ ليلي: ويا حَرَبِي ... ومن وجنتيكَ وفَتْرةِ الطَّرْف

/ فجَحدتُ ربِّي فضلَ نعمته ... وعبدتُه أبداً على حَرْف[2] ١٨٦/٦

شعره في فتن محبوبته:

أخبرني عليّ بن العباس الروميّ قال حدّثني قتيبة عن عمرو السَّكونيّ[3] بالكوفة قال حدّثني أبي قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال:

كانت تألفني مغنّية، وتجيئني دائماً، وكنت أميل إليها وأستملحها، وكان يقال لها فِتَنُ. فكان يجيء معها

(١) في حـ: «يا نواسي» وكان أبو نواس يدعى بهذا اللقب.

(٢) على حرف: على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه. وهذا مثل لمن يكون على قلق واضطراب في دينه لا على سكون وطمأنينة: كالذي يكون على طرف من العسكر فإن أحس بظفر وغنيمة قرّ واطمأن وإلا فرّ وطار على وجهه. وفي القرآن الكريم: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾. (راجع «الكشاف» للزمخشري).

(٣) هذه النسبة إلى السكون وهو بطن من كندة. وهو عمرو بن مجمع بن سليمان أبو المنذر السكوني الكندي من أهل الكوفة. وفي الأصول: «السكوتي» بالتاء؛ وهو تصحيف.

خادم لمولاتها يحفظها يسمّى نُجحا، وكان بغيضاً شَرِسَ الخُلُق، فإذا جاء معها توقّيتُه؛ فمرض، فجاءتني ومعها غيره، فبلغتُ منها مُرَادي وتفرَّجتُ يومي وليلتي؛ فقلت:

[٧/١٧٦] / لا تَلُمْنِي على فِتَنْ ... إنها كاسمِها فِتَنْ

فإذا لم أهِمْ بها ... فبمن! لا بمن إذَنْ

أين ـ لا أين ـ مثلُها ... في جميع الورَى سَكَنْ!

طِيب نَشْرٍ إذا لثمـ ... ـتَ وغُنْج ومُحتضَن

وَالِ عَشْراً من الصَّبُو ... حِ على وجهِها الحسن

وعلى لفظها المُنَـ ... ـوّن للّام بالغُنَن

لست أنسى من الغَرِيـ ... ـرة إذ بُحت بالشَّجَنْ

قولَها إذ سلبتُها ... عن كَثِيبٍ وعن عُكَن:

ليس يُرضيكَ يا فتى ... من هوًى دون أن تَهِنْ

فامتزجنا معاً مُمَا ... زَجةَ الرُّوح للبدن

وكُفِينا من أن نُرا[١] ... قِبَ نُجْحاً إذا فَطَن

وأمِنّاه أن يَنِـ ... ـمّ وما كان مؤتَمنْ

كلّ ما كان من حبيـ ... ـبك مستظرَفٌ حسن

ناظر مخارقاً في أبي نواس وأبي العتاهية فحكم له:

حدّثني جَحْظة قال حدّثني أبو عبدالله الهشاميّ:

أنّ مُخَارقاً وحسين بن الضحّاك تَلاحَيا في أبي العتاهية وأبي نُوَاس أيُّهما أشعر؛ فاتّفقا على اختيار شعرٍ من شعريهما يتخايرانِ فيه، فاختار الحسينُ بن الضحّاك شيئاً من شعر أبي نواس جيّداً قويّاً لمعرفته بذلك، واختار مخارقٌ شيئاً من شعر أبي العتاهية ضعيفاً سخيفاً غزَلاً كان يُغَنّى فيه لا لشيء عرّفه منه إلا لأنه استملحه وغنّى فيه، [٧/١٧٧] فخايَر به لقلّة علمه ولما كان بينه وبين أبي العَتَاهية من المودّة؛ وتخاطَرا[٢] على مالٍ، وتحاكَما إلى / من يَرْتضيه الواثقُ بالله ويختاره لهما؛ فاختار الواثقُ لذلك أبا مُحَلِّم؛ وبعث فأحضره وتحاكما إليه بالشعرين فحكَم لحسين بن الضحّاك. فتَلَكّأ مخارق وقال: لم أُحسِن الاختيارَ للشعر ولَحُسَينٌ أعلم منّي بذلك، ولأبي العتاهية خيرٌ مما اخترتُ، وقد اختار حسينٌ أجودَ ما قدر عليه لأبي نُوَاس لأنه أعلم منّي بالشعر، ولكنّا نتخاير بالشاعرين ففيهما وقع الجدالُ؛ فتحاكما فحَكَم لأبي نواس، وقال: هو أشعرُ وأذهبُ في فنون الشعر وأكثرُ إحساناً في جميع تصرّفه. فأمر الواثقُ بدفع الخَطَر إلى حسين، وانكسر مخارق فما انْتُفع به بقيّةَ يومه.

---

(١) كذا في أ، ء، م. وفي سائر الأصول: «يراقب» بالياء وهو تصحيف.

(٢) تخاطرا: تراهنا.

مدح الحسن بن سهل وطلب أن يصلح المأمون له:

١٨٧/٦

أخبرني ابنُ أبي طَلْحَة قال حدّثني سَوَادةُ بن / الفَيْض قال حدّثني أبي قال:

لمّا اطَّرح المأمونُ حسينَ بن الضحّاك لهواه ـ كان ـ في أخيه محمد وجفاه، لاذ الحسينُ بن الضحّاك بالحسن بن سَهْل وطَمع أن يُصْلحه له؛ فقال يمدحه:

أرى الآمـــالَ غيـــرَ مُعـــرِّجـــاتٍ ... علـى أحـدٍ سـوى الحسـن بـن سَهْـلِ

يُبـارِي يـومَـه غـدُه سَمَـاحـاً ... كِـلاَ اليـومين بـانَ بكـلِّ فضـلِ

أرى حَسَنـاً تقـدّم مستبِـدّاً ... ببَعْـدٍ مـن رياستـه وقَبْـلِ

فـإن حضَـرتْـك[1] مشكلـةٌ بشَـكٍّ ... شفـاكَ بحِكْمـةٍ وخطـابِ فَصْـلِ

سليـلُ مَـرَازبٍ بـرَعُـوا[2] حلـومـاً ... وراع صغيـرُهـم بسـداد كهـلِ

ملـوكٌ إن جـريـتَ بهـم أبَـرّوا ... وعَـزّوا أن تُـوازِنَهـم[3] بِعِـدْلِ

ليَهْنِـك أنّ مـا أرجـاتَ رشـدٌ ... ومـا أمضيـتَ مـن قـول وفعـلِ

[١٧٨/٧]

/ وأنـك مـؤثِـرٌ للحـقّ فينـا ... أراكَ الله مـن قطـعٍ ووصـلِ

وأنّـك للجميـعِ حَيَـاً ربيـعٍ ... يَصُـوب علـى قَـرَارة كـلِّ مَحْـلِ

قال: فاستحسنها الحسن بن سهل، ودعا بالحسين فقرّبه وآنسه ووصّله وخلَع عليه ووعَده إصلاحَ المأمون له، فلم يُمكنه ذلك لسوء رأي المأمون فيه ولِما عاجل الحسنَ من العلّة.

سأله الحسن بن سهل عن شعر له فأجابه:

قال عليّ بن العباس بن أبي طَلْحة وحدّثني أبو العباس أحمد بن الفضل المَرْوَزِيّ قال: سمعت الحسن بن سهل يقول لحسين بن الضحّاك: ما عنَيْتَ بقولك:

يـا خَلـيّ الـذَّرْعِ مـن شَجَنِـي ... إنمـا أشكـو لتـرحمَنـي

قال: قد بيّنتُه؛ قال: بأيّ شيء؟ قال: قلت:

منعُـك الميسـور يُـؤْيِسُنـي ... وقليـلُ اليـأس يقتلنـي

فقال له أبو محمد: إنك لتُضِيع بالخلاعة، ما أُعطِيتَه من البَرَاعة.

عشق غلام الحسن بن سهل وتغزل فيه فوهبه له:

أخبرني عليّ بن العباس قال حدّثني أحمد بن القاسم المُرّيّ قال حدّثنا أبو هفّان قال:

سألت حسينَ بن الضحّاك عن خبره المشهور مع الحسن بن سهل في اليوم الذي شرب معه فيه وبات عنده

(١) كذا في م. وفي ب، س، حـ: «خفرتك». وفي أ، ء: «حفرتك» وكلاهما تحريف.

(٢) في الأصول: «يرعوا» بالياء، وهو تصحيف.

(٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «توازيهم» بالياء المثناة من تحت. والعدل: النظير.

وكيف كان ابتداؤه، فقلت له: إني أشتهي أن أسمعَه منك. فقال لي: دخلتُ على الحسن بن سهل في فصل الخَريف وقد جاء وَسْمِيٌّ من المطر فَرَشّ رَشًّا حسناً، واليومُ في أحسن منظَر وأطيبِه، وهو جالس على سرير آبنُوس وعليه قُبّةٌ فوقها طارِمةٌ[1] ديباجٍ أصفر وهو يُشرِف على بستان في داره، وبين / يديه وصائفُ يتردّدن في خدمته وعلى رأسه غلامٌ كالدّينار؛ فسلّمتُ عليه فردّ عليّ السلام، ونظر إليّ كالمستنطِق؛ فأنشأتُ أقول: [١٧٩/٧]

ألســتَ تــرى ديمـــةً تَهْطِــلُ ... وهـــذا صبـــاحُـــك مُسْتقبَــلُ

فقال: بَلَى. فقلت:

وتلــك المُــدامُ[2] وقــد شــاقنــا ... بـــرؤيتـــه الشـــادنُ الأكحــلُ

فقال: صدقت فمَهْ؛ فقلتُ:

فعـــاد بـــه وبنـــا سَكْـــرةٌ[3] ... تُهـــوِّن مكـــروهَ مـــا نَســـألُ[4]

فسكت. فقلت:

فـــإنـــي رأيـــت لـــه نظـــرةً ... تُخبِّـــرنـــي أنـــه يفعـــلُ

[١٨٨/٦] / ثم قال: مَهْ؛ فقلت:

وقـــد أُشْكـــل العيـــشُ فـــي يـــومنـــا ... فيـــا حبّـــذا عيشُنـــا المُشْكِـــلُ

فقال: العيش مشكِل، فما ترى؟ فقلت: مبادرةُ القَصْف وتقريبُ الإلْف. قال: على أن تقيم معنا وتبيتَ عندنا. فقلت له: لك الوفاءُ وعليك مثلُه لي من الشرط. قال: وما هو؟ قلت: يكون هذا الواقف على رأسك يسقيني. فضحك ثم قال: ذلك لك على ما فيه. ودعا بالطعام فأكلنا وبالشراب فشرِبنا أقداحاً. ولم أرَ الغلامَ، فسألتُ عنه فقال لي: الساعةَ يَجيء، فلم نلبث أن وافاني؛ فسألته أين كان؟ فقال: كنت في الحَمّام وهو الذي حبسني عنك. فقلتُ لوقتي:

[١٨٠/٧] / وابـــأبـــي أبيـــضُ فـــي صُفْـــرةٍ ... كـــأنـــه تِبْـــرٌ علـــى فضّـــهْ

جـــرّده الحمّـــامُ عـــن دُرّةٍ ... تلـــوح فيهـــا عُكَـــنٌ بَضّـــهْ

غصـــنٌ تبـــدّى يتثنّـــى علـــى ... مـــأكَمـــة[5] مُثْقَلـــةِ النَّهْضَـــهْ

كـــأنمـــا الـــرَّشُّ علـــى خـــدّه ... طَـــلٌ علـــى تُفّـــاحـــةٍ غَضّـــهْ

صفـــاتُـــه فـــاتنـــة كلُّهـــا ... فبعضُـــه يُـــذكِـــرُنـــي بعضَـــهْ

يـــا ليتنـــي زوّدنـــي قُبْلـــةً ... أو لا فمِـــنْ وَجْنتـــه عَضّـــهْ

---

(١) الطارمة في الأصل: بيت من خشب كالقبة، وهو دخيل أعجميّ معرّب. والمراد به هنا ستر رقيق من الديباج مظلل به الكرسي.

(٢) رواية هذا البيت في «تجريد الأغاني»:

وهـــذي العقـــار وقـــد راعنـــا ... بطلعتـــــه الشـــادن الأكحـــل

(٣) كذا في حـ و «تجريد الأغاني». وفي سائر الأصول: «سكره» بالهاء المهملة.

(٤) في «تجريد الأغاني»: «مكروه ما يبزل». ولعل صوابه: «ما يبذل» بالذال.

(٥) المأكمة: العجيزة.

فقال لي الحسن: قد عمِل فيك النبيذُ؛ فقلتُ: لا وحياتِك! فقال: هذا شرٌّ من ذلك. فقلت:

اسْقِياني وصرْفا ... بنتَ حوليْن قَرْقَفا

واسْقِيا المُزْهَفَ الغَرِيـ ... ـر سقَى اللَّهُ مُزْهَفا

لا تقولا نَراه أكـ ... ـلفَ[1] نِضْواً مخفَّفا

نِعْمَ ريحانةُ النديـ ... ـم وإن كان مُخْطَفا[2]

إن يكن أكلفاً فإنـ ... ـني أرى البدرَ أكْلَفا

بأبي ماجنُ السريـ ... ـرة يُبْدِي تَعَفُّفا

حَفَّ[3] أصداغَه وعَفْـ ... ـر[4] بها ثم صفَّفا

وحَشا مَدْرَجَ القُصا ... ص[5] بمسك ورصَّفا

فإذا رُمتَ منه ذا ... ك تأبَّى وعنَّفا

ليس إلا بأنْ يُرنِّـ ... ـحه السُّكْرُ مُسْعِفا

/ باكِراً لا تسوِّفا ... ني عدِمتُ المُسوِّفا [٧/ ١٨١]

أعْجِلاه وبالفُضا ... ضةِ[6] في السَّقْي فاعْنُفا

واحمِلا شَغْبَه وإن ... هو زَنَّى[7] وأفَّفا

فإذا هَمَّ للمنا ... م فقُوما وخَفِّفا

فتغاضَب الغلامُ وقام فذهب، ثم عاد فقال لي: أَقْبِلْ على شرابك ودَعِ الهَذَيانَ. ونَاوَلَني قدحاً. وقام أبو محمد ليبولَ، فشربتُ وأعطاني نُقْلاً فقلتُ: اجعلْ بدلَه قبلةً؛ فضحك وقال: / أَفْعلُ، هذا وقتُه فبدَا له وقال: لا أفعل؛ فعاودتُه فانتهرني. فقال له خادم للحسن[8] يقال له فَرَج: بحياتي يا بنيّ أسْعِفْه بما طلب؛ فضحك ثم دنا منّي كأنّه يناولني نُقْلاً [١٨٩/٦] وتغافل فاختلستُ منه قبلةً؛ فقال لي: هي حرام عليك فقلت:

وبديع الدَّلّ قَصْرِيّ الغَنَج ... مَرِه[9] العين كَحِيل بالدَّعَج

(١) الكلف: شيء يعلو الوجه كالسمسم.

(٢) مخطفاً: منطوي الحشى، قليل لحم الجنب.

(٣) في الأصول: «عف» بالعين المهملة.

(٤) في ب، س: «وغفرها» وهو تصحيف.

(٥) قصاص الشعر: نهاية منبته ومنقطعه على الرأس.

(٦) الفضاضة: آخر الشيء.

(٧) كذا في حـ. وزني: قذف وسب. وفي سائر الأصول: «رنا» بالراء والنون وهو تحريف.

(٨) كذا في حـ وهو الصواب. وفي باقي الأصول: «للحسين» وهو تحريف.

(٩) مره بالعين: خلت عينه من الكحل.

سُمْتُه شيئاً وأصْغيتُ له بعد ما صرَّف كأساً ومَزَجْ
واستخفَّتْه على نَشْوتِه نَبَراتٌ من خفيفٍ وهَزَجْ
فتأبَّى وتثنَّى خَجَلاً وذَرَا الدمعَ فنوناً ونَشَجْ
لجَّ في «لولا» وفي «سوف ترى» وكذا كَفْكَفَ[1] عنِّي وخَلَجْ
ذهب الليلُ وما نَوَّلَني دون أن أسْفَرَ صبحٌ وانبَلَجْ
[١٨٢/٧] / هوّن الأمرَ عليه فرجٌ بتأنِّيه[2] فسَقْياً لفَرَجْ
خَمِرُ النكهة لا من قهوةٍ أرِجَ الأصداغَ بالمسك أرِجْ
وبنفسي نفسُ من قال، وقد كان ما كان، حرامٌ وحَرَجْ

قال: ثم أسفر الصبح. فانصرفتُ وغُدْت من غدٍ إلى الحسن؛ فقال لي: كيف كنت في ليلتك وكيف كنت عند[3] نومك؟ فقلت له: أأصِفُ ذلك نثراً أم نظماً؟ فقال: بل نظماً فهو أحسن عندي، فقلت:

تألَّفتُ طيفَ غزال الحَرَم فواصَلَني بعد ما قد صَرَم
وما زلتُ أقنَع من نَيْله بما تَجْتنيه بَنانُ الحُلُم
بنفسي خيالٌ على رِقْبَةٍ ألَمَّ به الشوقُ فيما زَعَم
أتاني يُجاذب أردافه من البُهْر تحت كسوف الظُّلَمْ
تمُجّ سوالفُه مِسْكةً وعنبرةً ريقُه والنَّسَمْ
تضمّخ من بعد تجميره[4] فطاب من القَرْن حتى القَدَم
يقول ونازعتُه ثوبَه على أن يقولَ لشيء نعم
فغَضّ الجفونَ على خَجْلَةٍ وأعرضَ إعراضةَ المُحْتَشِم
فشبَّكتُ كفِّي على كفّه وأصغيتُ ألثَمُ دُرّاً بفَم
فَنَهْنَهَني دفْعَ لا مؤيِسٍ بجِدٍّ ولا مُطْمِعٍ مُغْتَزِم
إذا ما هَمَمْتُ فأدنيتُه تثنّى وقال لي الوَيْلُ لِمْ
فما زِلتُ أبْسُطه مازحاً وأفْرِط في اللهو حتى ابتسم
[١٨٣/٧] / وحكّمني الرِّيمُ في نفسه بشيء ولكنّه مُكْتَتَمْ
فواهاً لذلك من طارقٍ على أن ما كان أبقى سَقَم

---

(١) كذا في حـ. وكفكف: كف وأعرض. وفي سائر الأصول: «كفك عني». وخلج: جذب وانتزع يريد أنه دفعه وانتزع نفسه منه.

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «بتأنيه». بالنون.

(٣) في حـ: «في».

(٤) جمرته إذا بخرته بالطيب. وفي الأصول: «تخميره» بالخاء المعجمة وهو تصحيف.

قال: فقال لي الحسن: يا حسين يا فاسق! أظنّ ما ادّعيتَه على الطَّيْف في النوم كان في اليَقَظَة مع الشخص نفسه، وأصلحُ الأشياء لنا بعد ما جرى أن نَرْحَض[1] العارَ عن أنفسنا / بهبة الغلام لك، فخذه لا بُورك لك فيه! ١٩٠/٦ فأخذته وانصرفت.

شعره في غلام للحسن بن سهل:

حدّثني عليّ بن العباس قال حدّثني أبو العَيْناء قال: أنشدني الحسين بن الضحّاك لنفسه في غلام للحسن بن سهل كان اجتمع معه في دار الحسن، ثم لقيه بعد ذلك فسلّم عليه فلم يكلّمه الغلام؛ فقال:

فديتُك ما لوجهك صدّعنّي ... وأبديتَ التندُّم بالسلام
أحين خَلِيْتَني[2] وقرنْتَ قلبي ... بطَرْفك والصَّبابةَ في نِظام
تنكّر ما عهِدتُ لِغبِّ يوم ... فيا قربَ الرَّضَاع من الفِطام
لأسْرعَ ما نهيتَ إلى همومي ... سروري بالزيارة واللِّمام

أخذ جبة من موسى بن عمران كجبة أبي نواس:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني حسين بن الضحّاك الخليع قال:

كنت في المسجد الجامع بالبصرة، فدخل علينا أبو نُواس وعليه جُبّةُ خَزّ جديدة. فقلت له: من أين هذه يا أبا نواس؟ فلم يخبرني، فتوهّمت أنه أخذها من موسى بن عِمْران لأنه دخل[3] من باب بني تميم؛ فقُمت فوجدتُ موسى قد لبس جُبّة خَزّ أخرى؛ فقلت له:

* كيف أصبحتَ يا أبا عمران *

/ فقال: بخير صبّحك الله به. فقلت: [١٨٤/٧]

* يا كريم الإخاء والإخوان *

فقال: أسمعك الله خيراً. فقلت:

إن لي حاجةً فرأيُك فيها ... إننا في قضائها سِيّان

فقال: هاتِها على اسم الله وبركته. فقلت:

جُبّةٌ من جِبابك الخَزّ حتى ... لا يَراني الشتاءُ حيث يراني

قال: خذها على بركة الله، ومَدّ كمّه فنزعتُها وجئتُ وأبو نواس جالس؛ فقال: من أين لك هذه؟ فقلت: من حيث جاءتك تلك.

---

(١) نرحض: نغسل.

(٢) في الأصول: «خليتني» بالياء المثناة من تحت. وظاهر أنها مصحفة عما أثبتناه.

(٣) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «دخلها».

وفد هو ومحمد بن عمرو على المعتصم وأنشده شعراً فأجازهما:

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثني محمد بن موسى بن حمّاد قال أخبرني عبدالله بن الحارث عن إبراهيم بن عبد السلام عن الحسين بن الضحّاك قال:

دخلت أنا ومحمد بن عمرو الرومي دارَ المعتصم، فخرج علينا كالحاً. قال: فتوهّمنا أنه أراد النّكاح فعجز عنه. قال: وجاء إيتاخُ[1] فقال: مخارقٌ وعلويه وفلان وفلان من أشباههما بالباب؛ فقال: اعْزُبْ عنّي، عليك وعليهم لعنة الله!. قال: فتبسّمت إلى محمد بن عمرو؛ وفهم المعتصم تبسّمي فقال لي: ممّ تبسمتَ؟ فقلت: من شيء حضَرني؛ فقال: هاتِه؛ فأنشدتُه:

صوت

انْـسـفِ عـن قلبـك الحَـزَنْ ... بـاقتـرابِ مـن السَّكَـنْ
/ وتمتَّـعْ بكَـرِّ طَـرْ ... فـك فـي وجهـه الحَسَـنْ
إنّ فيـه شفـاءَ صـد ... رك مـن لاعِـجِ الحَـزَنْ

[٧/ ١٨٥]

قال: فدعا بألفي دينار: ألفٍ لي وألفٍ لمحمد، فقلتُ: الشعر لي، فما معنى الألف لمحمد بن عمرو؟ قال: لأنه جاءنا معك. ثم أذِن لمُخارِقٍ وعَلّويه فدخلا، فأمرهما بأن يغنّيا فيه ففعلا، فما زال يعيد هذا الشعر، ولقد قام ليبولَ فسمعتُه يردّده.

الغناء في هذا الشعر اشترك فيه مخارق وعَلّويه وهو من الثقيل الأوّل بالبنصر.

أحب غلام أبي كامل المهندس وقال فيه شعراً:

١٩١/٦ أخبرني عمّي قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد / قال حدّثني محمد بن محمد بن مروان قال:

كان الحسين بن الضحّاك عند أبي كامل المهندس وأنا معهم حاضر، فرأى خادماً فاستحسنه وأعجبه. فقال له بعض أصحابه: أتحبّه؟ قال: نعم والله؛ قال: فأعْلِمْه؛ قال: هو أعلم بحبّي له منّي به. ثم قال:

عـالـمٌ بحبّيـهِ ... مُطْـرِقٌ مـن التِّيـهِ
يـوسـفُ الجمـالِ وفـر ... عـونُ فـي تَعَـدِّيـه
لا وحـقِّ مـا أنـا مِـنْ ... عَطْفِـه أُرَجِّيـه[2]

---

(١) هو ايتاخ التركي المعتصمي القائد كان غلاماً خزرياً لسلام الأبرش طباخاً فاشتراه منه المعتصم ثم رفعه ومن بعده الواثق وضما إليه من أعمال السلطان أعمالاً كثيرة، وكان من أراد المعتصم أو الواثق قتله فعنده كان يقتل وبيده يحبس فقتل عجيفاً والعباس بن المأمون وابن الزيات الوزير وغيرهم. تولى الحكم بالديار المصرية من سنة ٢٣٠ هـ ـ ٢٣٥ هـ. ثم كتب المتوكل إلى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب بالقبض عليه في الباطن إن أمكنه؛ فتحايل عليه إسحاق حتى قبض عليه وقيده بالحديد وقتله عطشاً سنة ٢٣٥ هجرية (انظر الطبري ق ٣ ص ١٣٨٣ ـ ١٣٨٦ طبع أوروبا و «النجوم الزاهرة» ج ٢ ص ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨ طبع دار الكتب المصرية).

(٢) كذا في «تجريد الأغاني». وروايته في الأصول:

مـــا الحيـــاة نـــافعـــةٌ لـــي علـــى تـــأبِّيـــه
النعيــــــمُ يشغَلُـــــــه والجمــــــالُ يُطْغِيـــــه
فهـــو غيـــر مُكتـــرثٍ للـــــذي ألاقِيـــــه
تـــائـــهٌ تُـــزهِّـــدُه فـــيَّ رغبتـــي فيـــه

/ قال محمد بن محمد: وغنّى في هذا الشعر عمرو بن بانة وعَريبُ وسُلَيْمٌ وجماعةٌ من المغنّين. [١٨٦/٧]

أحب صديق له جارية وعارضه فيها غلام أمرد فمالت إليه فقال شعراً في ذلك:

حدّثني عمّي قال حدّثني ميمون بن هارون قال:

كان للحسين بن الضحّاك صديق وكان يتعشّق جاريةً مغنّيةً، فزاحَمه فيها غلامٌ كان في مُرُودته حسنَ الوجه؛ فلما خرجتْ لحيتُه جعل ينتِف ما يَخرج منها؛ ومالت القَيْنةُ إليه لشَبَابه؛ فشكا ذلك إلى الحسين بن الضحّاك وسأله أن يقول فيها شعراً فقال:

خَـلِّ الـذي عنـكَ لا تَسْطيـعُ تـدفعُـه يـا مـن يُصـارِع مـن لا شـكَّ يَصْـرَعُـه
جـاءت طـرائـقُ شَعْـر أنـت نـاتفُهـا فكيـف تَصْنَـع لـو قـد جـاء أَجْمعُـه
الله أكبـــر لا أَنْفَـــكُّ مـــن عَجَـــبٍ أأنـت تحصُـد مـا ذو العـرش يـزرعـه
تَبّـــا لسعيـــك بـــل تَبّـــا لأمُّـــك إذ تَـرْعَـى حِمًـى خـالـقُ الأَخْمـاء يَمنعُـه

وقال فيه أيضاً:

ثَكِلَتْـــكَ أمُّـــك يـــابـــن يـــوســـفْ حَتّـــامَ وَيْحَـــك أنـــت تَنْتِـــفْ
لـــو قـــد أتـــى الصيـــفُ الـــذي فيـــه رؤوس النـــاس تُكْشَـــفْ
فكشفـــتَ عـــن خـــدَّيـــكَ لـــي لكشفـــتَ عـــن مثـــلِ المُفَـــوَّفْ (١)
أو مثـــــل زَرْعٍ نـــــالـــــه الـ ـيَـرَقَـانُ أو نَكْبـاءُ حَـرْجَـفْ (٢)
فغـــدا عليـــه الـــزارعـــو ن ليَحْصُـــدوه وقـــد تقصَّـــفْ
فظَلِلْـــتَ تـــأسَـــف كـــالأُلـــى أسِفـــوا ولـــم يُغْـــنِ التـــأسُّـــفْ

/ **أحب غلاماً فاشتراه صالح بن الرشيد:** [١٨٧/٧]

حدّثني عليّ بن العباس قال حدّثني عُمَير بن أحمد بن نَصْر الكُوفِيّ قال حدّثني زيد بن محمد شيخنا قال:

قلت لحسين بن الضحّاك وقد قدِم إلينا الكوفةَ: يا أبا عليّ شهرتَ نَفسَك وفضحتها في خادم، فألاَ اشتريتَه!.

= لا وحـــــق مـــــا أنـــــا فيـــــه مـــن عطـــف أرجيـــه

وهو غير متزن.

(١) برد مفوّف: فيه خطوط بيض على الطول.

(٢) النكباء الحرجف. الريح الباردة.

فقال: فديتُك! إن الحبَّ لجَاجٌ كلّه، وكنتُ أحببتُ هذا الخادمَ ووافقني على أن يَسْتبيع لأشتريَه، فعارضني فيه صالح بن الرشيد فاختلسه منّي ولم أقدِر على الانتصاف منه، وآثره الخادمُ واختاره، وكِلَانا يحبُّه إلا أن صالحاً يناك ولا أُناك والخادمُ في الوسط بلا شغل. فضحكتُ من قوله، ثم سألتُه أن يُنْشدَني شيئاً من شعره، فأنشدني: / ١٩٢/٦

إنّ مـن لا أرَى وليـس يَـرَانـي ... نُصْـبَ عينـي مُمَثَّـلٌ بـالأمـانـي

بـأبـي مـن ضميـرُه وضميـري ... أبـداً بـالمَغِيـبِ يَنْتجِيـان

نحـن شخصـانِ إن نظـرتَ ورُوحـا ... نِ إذا مـا اختبـرتَ يمتـزجـانِ

فـإذا مـا همَمـتُ بـالأمـر أو هَـمّ بشـيءٍ بـدأتُـه ويَـدَانـي

كـان وَفْقـاً مـا كـان منـه ومنّـي ... فكـأنـي حَكَيْتُـه وحكـانـي

خطـراتُ الجفـون منّـا سَـوَاءٌ ... وسـواءٌ تحـرُّكُ الأبـدان

فسألته أن يحدّثني بأسرِّ يومٍ مرَّ له معه، فقال: نعم اجتمعنا يوماً فغنّى مغنٍّ لنا بشعر قلتُه فيه فاستحسنه كلُّ من حضر، ثم تغنّى بغيره؛ فقال لي: عارِضْه؛ فقلتُ: بقُبلةٍ فقال: هي لك، فقبلْتُه قبلة وقلت:

فـديـتُ مـن قـال لـي علـى خَفَـرهْ ... وغـضَّ مـن جَفْنِـه علـى حَـوَرِهْ:

سمِّـع بـي[1] شعـرُك المَليـحُ فمـا ... ينفـكُّ شـادٍ بـه علـى وَتَـرِهْ

حسبُـك بعـضُ الـذي أذعـتَ ولا ... تُـنْـسِبْ لصَـبٍّ لـم يَقْـضِ مـن وَطَـرِهْ

/ وقلـتُ يـا مستعيـرَ سـالفـةِ الخِشْـ ... ـفِ وحسـنِ الفُتُـورِ مـن نَظَـرِهْ [١٨٨/٧]

لا تُنكِـرنّ الحَنِيـنَ مـن طَـرِبٍ ... عـاودَ فيـكَ الصِّبَـا علـى كِبَـرِه

لاطفه غلام أبي عيسى فقال فيه شعراً:

حدّثني الصُّوليّ وعليّ بن العباس قالا حدّثنا المغيرة بن محمد المهلّبيّ قال: كان حسين بن الضحّاك يتعشّق خادماً لأبي عيسى أو لصالح بن الرشيد أخيه؛ فاجتمعا يوماً عند أخي مولى الخادم، فجعل حسينٌ يشكو إليه ما به فلا يسمع به[2] ويكذِّبه؛ ثم سكَن نِفارُه وضحك إليه وتحدّثا ساعة. فأنشدنا حسين قولَه فيه:

سـائـلْ بطَيْفِـكَ عـن ليلـى وعـن سَهَـرِي ... وعـن تَتَـابـعُ أنفـاسـي وعـن فِكَـري

لـم يَخْـلُ قلبـي مـن ذِكـراكَ إذ نظـرتْ ... عينـي إليـكَ علـى صَحْـوٍ ولا سَكَـرِ

سَقْيـاً ليـوم سـروري إذ تُنـازِعنـي ... صفـوَ المـدامـةِ بيـن الأُنْـسِ والخَفَـرِ

وفضـلُ كـأسـك يـأتينـي فـأشـربُـه ... جَهْـراً وتشـربُ كـأسـي غيـرَ مستتـرِ

وكيـف أُشْمِلُـه لثَمـي وأُلـزِمـه ... نحـري وتـرفعـه كفّـي إلـى بصـري

(١) في ب، س: «سمع بشعرك المليح إلخ...».

(٢) كذا في الأصول. ولعله: «فلا يسمع له».

فليت مدّةَ يومي إذ مضى سلَفاً ... كانت ومدّةَ أيامي على قَدَر

حتى إذا ما انطوتْ عنّا بشاشتُه ... صِرْنا جميعاً كذا جارَيْن في الحُفَر

شعره في حادثة لصالح بن الرشيد مع غلام أخيه:

حدّثني عمّي قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد بن مروان قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال:

كان صالح بن الرشيد يتعشّق غلاماً يسمّى يُسْراً خادمَ أخيه أبي عيسى، فكان يُراوده عن نفسه فيَعِدُه ولا يَفِي له. فأرسله أبو عيسى ذاتَ يومٍ إلى صالحٍ أخيه / في السَّحَر يقول له: يا أخي إني قد اشتهيتُ أن أصْطَبِحَ اليوم، [١٨٩/٧] فبحياتي لمَا ساعدتَني وصرْتَ إليّ لنصطبحَ اليوم جميعاً. فسار يُسْرٌ إلى صالح أخيه في السَّحَر / وهو مُنْتَشٍ قد [١٩٣/٦] شرب في السَّحَر، فأبلغه الرسالةَ؛ فقال: نعم وكَرَامة، اجلس أوّلاً فجلس؛ فقال: يا غلام أحضِرني عشرة آلاف درهم فأحضرها؛ فقال له: يا يُسْر دَعْني من مواعيدك ومَطْلك، هذه عشرةُ آلاف درهم فخُذْها واقْضِ حاجتي، وإلاّ فليس هاهنا إلا الغَصْب؛ فقال له: يا سيّدي؛ إني أقضي الحاجةَ ولا آخذ المال. ثم فعل ما أراد وطاوَعه، فقضى حاجتَه، وأمر صالحٌ بحمل العشرة الآلاف الدرهم معه. قال الحسين: ثم خرج إليّ صالح من خَلْوته فقال: يا حسين، قد رأيتَ ما كنّا فيه، فإن حضرك شيءٌ فقل: فقلت:

صوت

أيا مَنْ طَرْفُه سِحْرُ ... ومَنْ ريقتُه خمرُ

تجاسرتُ فكاشفتُـ ... ـك لمّا غُلِب الصبرُ

وما أحسنَ في مثلـ ... ـك أن يَنْهتِك السِّتْرُ

وإنْ لامنيَ الناس ... ففي وجهك لي عذرُ

فدَعْني من مَوَاعِيد ... ك إذ حيَّنَك الدهرُ

فلا واللّهِ لا تبر ... حُ أو ينقضيَ الأمرُ

فإمّا الغصبُ والذمّ ... وإما البذلُ والشكرُ

ولو شئتَ تيسَّرتَ ... كما سُمِّيتَ يا يُسْرُ

ولكن كاسمك لا تَمْنَـ ... ـعُكَ النَّخْوةُ والكِبْرُ

فلا فُزْتُ بحَظِّي منـ ... ـك إن داع له ذكر

قال الحسين: فضحك ثم قال: قد لعَمْري تيسَّر يُسْرٌ كما ذكرتَ. فقلت: نعم ومَنْ لا يتيسَّر بعد أخذه الدِّيَةَ! لو أردتَني أيضاً بهذا لتيسَّرتُ. فضحك ثم قال: نُعطيك / يا حُسين الدِّيَةَ لحضورك ومساعدتِك، ولا نُريدك لما أردنا [١٩٠/٧] له يُسْراً، فبئسَتِ المطيّةُ أنت؛ وأمر لي بها. ثم أمر عَرِيبَ بعد ذلك فغنّتْ في بعض هذا الشعر.

شعره في غلام عبدالله بن العباس:

حدّثني عمّي قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد بن مَرْوان قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال:

كنتُ عند عبدالله بن العباس بن الفضل بن الرَّبيع وهو مصطبحٌ وخادمٌ له يَسْقِيه؛ فقال لي: يا أبا عليّ، قد استحسنتُ سَقْيَ هذا الغلام، فإن حضرك شيءٌ في قصّتنا هذه فقل؛ فقلت:

أَحْيَتْ صَبُوحِي فُكَاهةُ اللاَّهي ... وطاب يومي لقرب أشباهي

فاستثِر اللهوَ من مَكَامِنه ... من قبل يومٍ منغِّصٍ ناهي

بابنةِ كَرْمٍ من كفّ مُنْتَطِق ... مؤتزرٍ بالمُجُون تيّاه

يَسْقِيك من طَرْفه ومن يده ... سَقْيَ لطيفٍ مجرّب داهي

كأساً فكأساً كأن شاربَها ... حيرانُ بين الذُّكور والساهي

قال: فاستحسنه عبدالله، وغنّى فيه لحناً مليحاً، وشربنا عليه بقيّةَ يومنا.

سكر فجمش يسراً فهدّده بخنجره فقال شعراً:

أخبرني عليّ بن العباس قال حدّثني سَوَادةُ بن الفَيْض المَخزوميّ قال حدّثني أبي قال:

١٩٤/٦ خرج حسين بن / الضحّاك إلى القُفْص[1] متنزِّهاً ومعه جماعةٌ من إخوانه ظرفاءُ. وبلَغ يُسْراً الخادمَ خروجُه، [١٩١/٧] فشدّ في وسَطه خِنْجراً وخرج إليه فجاءه وهو على / غَفْلة؛ فسُرّ به حسين وتلقّاه وأقام معه إلى آخر النهار يشربان. فلما سكِرا جمّشَه حسين؛ فأخرج خَنْجَره عليه وعَرْبَد؛ فأمسك حسينٌ وعاد إلى شرابه، وقال في ذلك:

جَمّشتُ يُسْراً على تسكُّره ... وقد دَهَاني بحُسْن منظَرِه

فهَمّ بالفَتْك بي فناشَده ... فتيٌّ[2] كريمٌ من خيرِ مَعْشره

يا مَنْ رأى مثلَ شادنٍ خَنِثٍ ... يَصُول في خِدْره بِزُوَّره

يسحَب ذيلَ القميص صَعْتَرَه[3] ... ووارداتٍ[4] من هُدْب مِئْزَره

ولا يُعاطِي نديمَه قدحاً ... إلاّ بإبهامه وخِنْصَره

أخاف من كِبْره بوادرَه ... أدالني[5] اللّهُ من تكبُّره

---

(١) القفص: قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا قريبة من بغداد، وكانت من مواطن اللهو ومعاهد التنزه ومجالس الفرح، تنسب إليها الخمور الجيدة.

(٢) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «فتى».

(٣) صعتر الشيء: زينه.

(٤) واردات: مسترسلات.

(٥) أدال الله فلاناً من فلان: جعل الكرة له عليه.

قد قلتُ للشَّرْبِ إذ بدا فُضُلا[1] ... في رَيْطَتَيْه[2] وفي مُمَصَّرِه
وَيْلي على شادنٍ توعَّدني ... بسَلِّ سِكِّينه وخَنْجَرِه
أمّا كفاه ما حزّ في كبدي ... بسحر أجفانه ومَحْجِرِه[3]
إذا نسيمُ الرياح قابَلَنا ... بالطِّيب من مسكه وعنبره
هزّ قَواماً كأنه غُصُنٌ ... وارتجّ ما انحطّ من مُخَصَّرِه

شعر له في يسر:

أخبرني عليّ بن العباس قال حدّثني سَوَادةُ بن الفَيْض قال حدّثني أبي قال:

حضرت حسين بن الضحّاك يوماً وقد جاءه يسرٌ فجلس عنده وأخذنا نتحدّث مَلِيًّا ثم غازله حسينٌ، فقال له يسر: إيّاك والتعرّضَ لي، وارْبَحْ نفسَك؛ فقال حسين:

[١٩٢/٧]

/ صوت

أيُّها النَّفّاثُ في العُقَدِ ... أنا مَطْوِيٌّ على الكَمَدِ
إنما زَخْرَفْتَ لي خُدَعاً ... قد حسْتَ في الرُّوحِ والجَسَدِ
هاتِ يا خَدَّاعُ واحدةً ... من كثيرٍ قلتَه وقَدِي[4]
ليت شعري بعد حَلْفك لي ... بوفاء العهد بعد غدِ
ما الذي بالله صيَّره ... بعد قربٍ في مَدَى الأبد
ما لأُنسٍ كان مُبْتَذَلاً ... منك لي بالأمس لم يَعُدِ
إيه قُلْ لي غيرَ مُحتشِمٍ ... هل دَهَاني فيك من أحدِ
حبّذا والكأسُ دائرةٌ ... لَهْوُنا والصَّيْدُ بالطَّرَدِ
وحديثٌ في القلوب له ... أُخَذٌ[5] يَصْدَغْنَ في الكبد
يومَ تُعْطِيني وتأخذها ... دون نَدْماني يداً بيدِ
فإذا ألويت[6] هيَّجني ... تَلَعٌ من ظبية البلد
وإذا أصغيتُ ذكَّرني ... نَشْرَ كافورٍ على بَرَدِ

(١) رجل فضل: يخالف بين طرفي ثوبه على عاتقه ويتوشحه.
(٢) الريطة: الملاءة ليست ذات لفقين. وثوب ممصر: مصبوغ بحمرة خفيفة.
(٣) محجر العين: ما دار بها وبدا من البرقع من جميع العين.
(٤) قدي: حسبي.
(٥) الأخذة: الرقية.
(٦) ألوى برأسه: أماله. والتلع: طول العنق.

١٩٥/٦ / ذاك يومٌ كان حاسدُنا فيه معذوراً على الحَسَدِ[1]

قال شعراً للمعتصم بدير مران سكر عليه وغنى به المغنون:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ قال حدّثنا عمرو بن بانة قال:

[١٩٣/٧] خرجنا مع المعتصم إلى الشأم لمّا غزا؛ فنزلنا في طريقنا بدَيْر مُرّان[2] ـ وهو دير على / تَلْعةٍ[3] مُشْرِفة عالية تحتها مُروجٌ[4] ومياهٌ حسنة ـ فنزل فيه المعتصم فأكل ونشِط للشرب ودعا بنا؛ فلما شربنا[5] أقداحاً قال لحسين بن الضحّاك: أين هذا المكان من ظهر بغداد! فقال: لا أين يا أمير المؤمنين! والله لبعضُ الغِياض والآجام هناك أحسنُ من هنا؛ قال: صدقتَ والله، وعلى ذلك فقل أبياتاً يُغَنِّ فيها عمرٌو؛ فقال: أمّا أن أقول شيئاً في وصف هذه الناحية بخير فلا أحسَب لساني ينطِق به، ولكني أقول متشوّقاً إلى بغداد: ـ فضحك وقال قلْ ما شئتَ ـ.

صوت

يا دَيْرَ مِدْيانَ[6] لا عُرِّيتَ من سَكَنٍ[7] هيَّجْتَ لي سَقَماً يا دَيْرَ مِديانا

هل عند قَسِّك من علمٍ فيخبرَنا أم كيف يُسْعِفُ وجهُ الصبرِ مَن بانا

حُثَّ المُدَامَ فإن الكأسَ مُتْرَعةً ممّا يَهِيجُ دَوَاعِي الشوقِ أحيانا

سَقْياً ورَعْياً لكَرْخايا[8] وساكِنِها وللجُنينةِ بالرَّوْحاء[9] مَنْ كانا

[١٩٤/٧] / فاستحسنها المعتصم، وأمرني ومخارِقاً فغنّينا فيها وشرِب على ذلك حتى سكِر، وأمر للجماعة بجوائز.

لحن عمرو بن بانة في هذه الأبيات رَمَل، ولحن مُخَارِق هَزَجٌ، ويقال: إنه لغيره.

---

(١) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «مغروراً على الجسد» وهو تحريف.

(٢) دير مران: بالقرب من دمشق، على تل في سفح قاسيون، وبناؤه بالجص الأبيض، وأكثر فرشه بالبلاط الملون. («مسالك الأبصار» ج ١ ص ٣٥٣ طبع بولاق).

(٣) كذا في «معجم ما استعجم» للبكري و «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمري. والتلعة: الرابية المرتفعة من الأرض. وفي الأصول: «قلعة» بالقاف في أوله وهو تحريف.

(٤) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «بروج» بالباء الموحدة.

(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «شرب».

(٦) كذا في كتاب «الديارات» للشابشتي و «معجم البلدان» لياقوت. وقال ياقوت لتأييد هذه الرواية: «وروى غير الشابشتي هذا الشعر في دير مران وأنشده كذا (يا دير مران). والصواب ما كتب لتقارب هذه الأمكنة المذكورة بعضها من بعض...». وسياق الخبر يعزز ما قاله ياقوت، لأن الخليفة المعتصم طلب من ابن الضحاك أن يقول شيئاً في الجهة التي نزلوا بها وهي دير مران فأجابه بقوله: «أما أن أقول شيئاً في وصف هذه الناحية فلا أحسب لساني ينطق به ولكني أقول متشوقاً إلى بغداد...» ودير مديان: على نهر كرخايا قرب بغداد، وكان ديراً حسناً حوله بساتين وعمارة ويقصد للتنزه والشرب. وفي جميع الأصول: «دير مران».

(٧) كذا في «معجم ما استعجم» للبكري و «معجم ياقوت» و «مسالك الأبصار». وفي جميع الأصول: «سقم».

(٨) كذا في ياقوت و«كتاب الديارات» للشابشتي و «مسالك الأبصار». وكرخايا: نهر يشق من المحوّل الكبير ويمرّ على العباسية، ويشق الكرخ ويصب في دجلة، وكان قديماً عامراً وكان الماء فيه جارياً، ثم انقطعت جريته بالبثوق التي انفتحت في الفرات. وفي الأصول: «كرخانا» بالنون وهو تصحيف.

(٩) الروحاء: قرية من قرى بغداد على نهر عيسى قرب السندية.

عبث بخادم أبي عيسى فضربه فجفاه فقال شعراً:

أخبرني الصُّولِيّ قال حدّثنا يزيد بن محمد قال:

كان حسين بن الضحّاك يميل إلى خادم لأبي عيسى بن الرشيد؛ فعبِث به يوماً على سكر؛ فأخذ قِنِّينةً فضرب بها رأسه فشَجَّه شَجَّةً مُنْكَرةً؛ وشاع خبرُه وتوجّع له إخوانه وعُولِج منها مدّةً، فجفا[1] الخادمَ واطّرحه وأبغضه ولم يَعْرِض له بعدها. فرآه بعد ذلك في مجلس مولاه فعبِث[2] به الخادمُ وغازَله. فلما أكثر ذلك قال له الحسين:

صـوت

تَعَـزَّ بيـأسٍ عـن هـواي فـإنّنـي ... إذا انصرفـتْ نفسـي فهيهـات عـن رَدّي
إذا خُنْتُـمُ بـالغيـب ودي فمـا لكـم ... تُـدِلُّـون إدلالَ المُقِـم علـى العهـد
ولـي منـك بُـدٌّ فـاجتنبْنـي مُـذَمَّمـاً ... وإن خلـتَ أنّي ليـس لـي منـك مـن بُـدّ

الغناء في هذه الأبيات لعمرو بن بانة، وله فيه لحنان رملٌ وخفيف رمل.

هنأ الواثق بالخلافة فأجازه:

حدّثني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدّثني عبدالله بن المؤمّل العسكريّ قال:

لمّا ولِيَ الواثقُ الخلافةَ جلس للناس ودخل إليه المهنّئون والشعراءُ فمدحوه وهنّئوه؛ ثم استأذن حسينُ بن الضحّاك بعدهم في الإنشاد، وكان[3] من الجُلَساء فترفَّع عن الإنشاد مع الشعراء، فأذِن له؛ فأنشده قوله:

[١٩٥/٧]

/ أُكـاتِـم وَجْـدِي فمـا يَنْكَتِـم ... بِمَـنْ لـو شكـوتُ إليـه رَحِـم
وإنّـي علـى حسـن ظَنّـي بـه ... لأحـذَر إن بُحـتُ أن يَحْتَشِـم
ولـي عنـد لَحْظتـه رَوْعـةٌ ... تُحَقِّـق مـا ظَنَّـه المُتَّهِـم
وقـد عِلـم النـاس أنّـي لـه ... مُحِـبٌّ وأحسَبـه قـد عَلِـم

١٩٦/٦

/ ـ وفي هذا رَمَلٌ لعبدالله بن العباس بن الرَّبيع ـ:

وإنّـي لمُغْـضٍ علـى لـوعـةٍ ... مـن الشـوق فـي كَبِـدي تضْطَـرِم
عشيّـةَ ودّعـتُ عـن مقلـةٍ ... سَفُـوحٍ وزفـرة قلـبٍ سَـدِم[4]
فمـا كـان عنـد النّـوى مُسْعِـدٌ ... سـوى العيـن تمـزُج دمعـاً بـدَم
سيـذكـر مـن بـان أوطـانَـه ... ويَبكـي المقيميـن مـن لـم يُقِـم

---

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فجفاه الخادم»، وهو تحريف.
(٢) كذا في حـ. وفي ب، س: «فبعث له» وفي أ، ء، م: «فبعث به»، وكلاهما تحريف.
(٣) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «وكأنه».
(٤) السدم: الندم والحزن.

إلــى خــازن الله فــي خَلْقــه ... ســراجِ النَّهــار وبَــدْرِ الظُّلَــم

رحلنــا غَــرابيــبَ[1] زَفَّــافــةً ... بــدِجْلــةَ فــي مَــوْجهــا المُلْتَطِــمْ

إذا مــا قصــدْنــا لقــاطُــولِهــا ... ودُهْــمُ قَــراقِيــرِهــا[2] تَصْطَــدِمْ

سكنــاً إلــى خيــر مسكــونــةٍ ... تيمّمهــا راغــبٌ مــن أَمَــمْ[3]

مبــاركــةٌ شــاد بنيــانَهــا ... بخيــر المــواطــن خيــرُ الأمــم

كــأنّ بهــا نَشْــرَ كــافــورةٍ ... لبَــرْد نَــدَاهــا وطِيــبِ النَّسَــمْ

كظهــر الأديــم إذا مــا السحــا ... بُ صــاب علــى مَتْنهــا وانسَجَــم

مُبَــرّأة مــن وُحُــول الشتــاء ... إذا مــا طمَــى وحلُــه وارتكَــم

/ فمــا إنْ يــزال بهــا راجــلٌ ... يمــرّ الهُــوَيْنَــى ولا يلتطِــم [١٩٦/٧]

ويَمشــي علــى رِسْلــه آمنــاً ... سليــمَ الشِّــراك نقّــي القــدم

ولِلنُّــون[4] والضَّــبّ فــي بطنهــا ... مــراتــعُ مسكــونــةٌ والنَّعَــم

غــدوتُ علــى الــوَحْش مغتــرّةً ... رواتــعَ فــي نَــورهــا المنتظِــم

ورُحــتُ عليهــا وأســرابُهــا ... تَحُــوم بــأكنــافهــا تبْتَسِــمْ

ثم قال يمدح الواثق:

يَضيــق الفضــاءُ بــه إن غــدا ... بطَــوْدَيْ أعــاريبــه والعجــمْ

تــرى النصــرَ يقــدمُ رايــاتــه ... إذا مــا خفقْــن أمــام العلــم

وفــي الله دوّخ أعــداءه ... وجــرّد فيهــم سيــوفَ النِّقَــم

وفــي الله يكظِــم مــن غيظــه ... وفــي الله يصفَــح عمّــن جَــرَم

رأى شِيَــمَ الجــود محمــودةً ... ومــا شِيَــمُ الجــود إلاّ قِسَــمْ

فــراح علــى «نَعَــمٍ» واغتــدى ... كــأنْ ليــس يُحســن إلاّ نَعــم

قال: فأمر له الواثق بثلاثين ألف درهم، واتّصلت أيامُه بعد ذلك، ولم يزل من نُدَمائه.

أمره الواثق بأن يقول شعراً فأرتج عليه حيناً ثم قال:

حدّثني أحمد بن العباس قال حدّثنا محمد بن زكريّا الغَلاَبيّ قال حدّثني مهديّ بن سابق قال:

---

(١) غرابيب: سود، الواحد غريب، والمراد بها السفن لأنها تطلى بالقار. والزفافة: السريعة.

(٢) القراقير: السفن الطويلة.

(٣) من أمم: من قريب.

(٤) النون: الحوت.

قال الواثق لحسين بن الضحّاك: قل الساعةَ أبياتاً مِلاحاً حتى أَهَبَ لك شيئاً مليحاً؛ فقال: في أيّ معنى يا أمير المؤمنين؟ فقال: امْدُدْ طَرْفك وقل فيما شئت ممّا ترى بين يديك وصِفْه. فالتفتُّ فإذا ببساط زهرُه قد تفتّحتْ أنواره وأشرق في نُور الصبح؛ فأُرْتِجَ عليّ ساعةً حتى / خجِلتُ وضِقْتُ ذَرْعاً. فقال لي الواثقُ: مالك وَيْحَك! ألستَ ترى نُورَ صَبَاح، ونَوْر أَقَاح! فانفتح القولُ فقلت: [١٩٧/٦]

/ ألستَ ترى الصبحَ قد أسفرا ... ومُبْتكِرَ الغيث قد أمطرا [١٩٧/٧]

وأسفرتِ الأرضُ عن حُلّة ... تُضاحِك بالأحمر الأصفرا

ووافاك نَيْسانُ[1] في ورده ... وحَثّك في الشُّرْب كي تَسْكَرا

ونُعْمِل كأسين في فِتْيةٍ ... تُطارِد بالأصغر الأكبرا

يَحُثّ كؤوسَهُمُ مُخْطَفٌ ... تُجاذِبُ أردافُه المِئْزَرا

ترجَّل بالبانِ حتى إذا ... أدار غدائرَه وفَّرا

وفضَّضَ في الجُلّنارِ[2] البَهَا ... رَ والآبِنوسَةَ[3] والعَبْهَرا[4]

فلمّا تمازَج ما شَذَّرتْ ... مَقَاريضُ أطرافِه شذَّرا

فكلٌّ يُنافِس في بِرّه ... ليفعل في ذاتِه المُنْكَرا

قال: فضحك الواثقُ وقال: سنستعمل كل ما قلتَ يا حُسَين إلا الفِسقَ الذي ذكرتَه فلا ولا كرامةَ. ثم أمر بإحضار الطعام فأكل وأكلوا معه. ثم قال: قوموا بنا إلى حانَةِ الشَّط فقاموا إليها، فشرب وطرِب، وما ترك يومئذ أحداً من الجلساء والمغنّين والحَشَم إلا أمر له بصلة. وكانت من الأيام التي سارت أخبارها وذُكرت في الآفاق. قال حسين: فلما كان من الغد غدوتُ إليه؛ فقال: أنشدني يا حسين شيئاً إن كنت قلتَه في يومنا الماضي، فقد كان حسناً؛ فأنشدتُه:

شعره في حانة الشط وقد شرب فيها مع الواثق:

صوت

يا حانةَ الشَّطِّ قد أكرمْتِ مَثْوانا ... عُودي بيوم سرورٍ كالذي كانا

لا تُفْقِدينا دُعَاباتِ الإمام ولا ... طِيبَ البَطَالةِ إسراراً وإعلانا

ولا تَخَالُعَنا في غير فاحشةٍ ... إذا يطرِّبُنا الطُّنْبورُ أحيانا

/ وهاج زَمْرُ زُنَامٍ[5] بين ذاك لنا ... شَجْواً فأَهْدَى لنا رَوْحاً ورَيْحانا [١٩٨/٧]

---

(١) نيسان: الشهر السابع من شهور السنة المسيحية.

(٢) الجلنار: زهر الرمان. والبهار: نبت جعد له فقاحة صفراء تنبت أيام الربيع.

(٣) الآبنوسة: شرب من الخشب إذا وضع على جمر بخر بخاراً طيب الرائحة.

(٤) العبهر: الياسمين والنرجس. وفي أ، د، م: «والعنبرا».

(٥) زنام (وزان غراب): زمار حاذق، خدم كلاً من الرشيد والمعتصم والواثق. وهو الذي أحدث الناي في زمن المعتصم، فيقال ناي =

وسَلْسَلَ الرّطلَ عمرٌو ثم عَمّ به السُّقْيَا فألْحَقَ أولانا بأخرانا

سَقياً لشكلك من شكل خُصِصتِ به دون الدّساكر من لَذّات دنيانا

حَفّتْ رياضَك جَنّاتٌ مجاوِرةٌ في كلّ مُخْتَرَقٍ نهراً وبستانا

لا زلتِ آهلةَ الأوطان عامرةً بأكرم الناس أغراقاً وأغصانا

قال: فأمر له الواثق بصلة سنيّة مجدَّدَة، واستحسن الصوتَ، وأمر فَغُنِّي في عدّة أبيات منها. غنّت فَريدة في البيتين الأوّلين من هذه الأبيات، ولحنُها هَزَج مطلَقٌ.

خاصم أبا شهاب ولاحاه:

حدّثني جعفر بن قُدَامة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال: اجتمعتُ أنا وحسين بن الضحّاك وأبو شهاب الشاعر وهو الذي يقول:

لقد كنتُ ريحانةً في النَّدِيّ وتُفّاحةً في يد الكاعِب

[١٩٨/٦] وعمرو بن بانة يُغَنّيها ـ فتذاكرْنا الدّوابَّ، واتّصل الحديثُ إلى أن تلاحى حسين وأبو شهاب / في دابّتيهما وتراهنا على المسابقة بهما، فتسابقا فسبَقَه أبو شهاب. فقال حسين في ذلك:

كُلُوا واشربوا هُنِّئْتمُ وتمتّعُوا وعيشوا وذُمّوا الكَوْدَنَين[1] جميعا

فأُقسم ما كان الذي نال منهما مَدَى السبق إذ جَدّ الجِراءُ سريعا

[٧/١٩٩] / وهي قصيدة معروفة في شعره. فقال أبو شهاب يجيبه:

أيا شاعر الخُصْيان حاولتَ خُطّةً سُبِقْتَ إليها وانكفأتَ سريعا

تُحاول سبقي بالقَريض سَفاهةً لقد رمت ـ جهلاً ـ من حِمَايَ مَنيعا

وهي أيضاً قصيدة. فكان ذلك سببَ التباعد بينهما. وكنّا إذا أردنا العبثَ بحسين نقول له: أيا شاعر الخُصْيان، فيُجَنّ ويشتُمنا.

قصته مع أحد جند الشام وإيقاعه بينه وبين عشيقته:

حدّثني جعفر قال حدّثني عليّ بن يحيى قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال: كان يألفني إنسانٌ من جُنْد الشأم عجيب الخِلْقة والزّيّ والشكل غليظٌ جِلْفٌ جافٍ، فكنتُ أحتمل ذلك كلّه له ويكون حظّي التعجّبَ به، وكان يأتيني بكتب من عشيقة له ما رأيتُ كتباً أحلى منها ولا أظرف ولا أبلغَ ولا أشكَلَ من معانيها، ويسألني أن أُجيب عنها؛

= زناميّ، وقول العامة: «ناي زلامي» باللام تحريف. وزنام في الناي وبنان في العود كلاهما منقطع النظير في طبقته، فإذا اجتمعا على الضرب والزمر أحسنا وأعجبا رقة. قال البحتري:

هل العيش إلا ماء كرم مصفّق يرقرقه في الكأس ماء غمام

وعود بنان حين ساعد شدوه على نغم الألحان ناي زنام

(مختصر عن «القاموس» و«شرحه» مادة زنم).

(١) الكودن: الفرس الهجين والبغل، وهو أيضاً الثقيل والبليد. وفي ب، س: «الكودنين» بالتاء المثناة من فوق، وهو تصحيف.

فأَجْهَد نفسي في الجوابات وأصرفُ عنايتي إليها على علمي[1] بأن الشاميَّ بجهله لا يميِّز بين الخطأ والصواب، ولا يفرِّق بين الابتداء والجواب. فلما طال ذلك عليّ حسدتُه وتنبّهتُ إلى إفساد حاله عندها. فسألتُه عن اسمها فقال: «بَصْبَص». فكتبت إليها عنه في جواب كتابٍ منها جاءني به:

أَرْقَصنـــي حبُّـــكِ يـــا بَصْبَـــصُ ... والحـبُّ يــا سيِّـدتــي يُــرْقِــصُ

أَرْمَضْـتِ أجفـانـي[2] بطـول البكـا ... فمــا لأجفــانــك لا تَــرْمَــص

وابـــأبـــي وجهُــك ذاك الـــذي ... كـــأنــه مـــن حسنـــه عُصْعُــصُ

فجاءني بعد ذلك فقال لي: يا أبا عليّ، جعلني الله فداءك، ما كان ذنبي إليك وما أردتَ بما صنعت بي؟ فقلت له: وما ذاك عافاك الله؟ فقال: ما هو والله إلّا أن وصل ذلك الكتاب إليها حتى بعثتْ إليّ: إنّي مشتاقة إليك، والكتابُ لا ينوب عن الرؤية، فتعالَ إلى الرَّوْشن[3] الذي بالقرب من بابنا فقِفْ بحِياله حتى أراك؛ فتزيّنتُ بأحسن / ما قدرتُ عليه وصرتُ إلى الموضع. فبينا أنا واقفٌ أنتظر مكلِّماً أو مشيراً إليّ إذا شيء قد صُبَّ عليّ فملأني من [٧/٢٠٠] قَرْني إلى قدمي وأفسد ثيابي وسرجي وصيَّرني وجميعَ ما عليّ ودابّتي في نهاية السَّواد والنَّتْن والقَذَر، وإذا به ماءٌ قد خُلط ببول وسواد سِرْجين[4]، فانصرفتُ بخِزْيٍ. وكان ما مرّ بي من الصبيان وسائرِ من مررتُ به من الضحك والطَّنْز[5] والصِّياح بي أغلظَ ممّا مرّ بي؛ ولحقني من أهلي ومَنْ في منزلي شرٌّ من ذلك وأوجعُ. وأعظمُ من ذلك أن رُسُلَها انقطعتْ عنّي جملةً. قال: فجعلتُ أعتذر إليه وأقول له: إنّ الآفةَ أنها لم تفهم معنى الشعر لجودته وفصاحته، وأنا أحمد الله على ما ناله وأُسِرُّ الشَّماتةَ به.

دعاه الحسن بن رجاء ودعاه ابن بسخنر فذهب له واعتذر للحسن:

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني ميمون بن هارون عن حسين بن الضحّاك قال:

كتب إليّ الحسن بن رَجاء في يوم شَكٍّ وقد أمر الواثقُ بالإفطار، فقال:

/ هَـــزَزْتُــك للصَّبــوح وقــد نهــانــي ... أميــرُ المـــؤمنيـــن عـــن الصِّيـــامِ ١٩٩/٦

وعنـــدي مـــن قِيـــان المصـــر عَشْـــرٌ ... تَطِيـــب بهـــنّ عـــاتقـــةُ المُـــدامِ

ومـــن أمثـــالهـــن إذا انتشينـــا ... تَـــرانـــا نجتنـــي ثمـــرَ الغـــرام

فكـــن أنـــتَ الجـــوابَ فليـــس شـــيءٌ ... أحـــبُّ إلـــيّ مـــن حـــذف الكـــلام

قال: فوردت عليّ رقعتُه وقد سبقه إليّ محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ووجَّه إليّ بغلام نظيف الوجه كان يَتَحظّاه، ومعه ثلاثة غلمة أقران[6] حسان الوجوه ومعهم رقعةٌ قد كتبها إليّ كما تُكْتب المناشير، وختَمها في أسفلها وكتب فيها يقول:

---

(١) في الأصول: «على أنّ علمي... إلخ».

(٢) الرمص بالتحريك: وسخ يجتمع في الموق.

(٣) الروشن: النافذة.

(٤) السرجين: الزبل الذي تدمل به الأرض.

(٥) الطنز: السخرية.

(٦) أقران: نظراء، واحده قرن (بالكسر).

سِـرْ علـى اسـم الله يـا أشـ ـكـلَ مـن غصـن لُجَيـن
فـي ثـلاثٍ مـن بنـي الـرو م إلـى دار حسيـن
[٧/٢٠١] / فـاْشْخِـصِ[١] الكهـلَ إلـى مـو لاك يـا قُـرَّةَ عينـي
أرهِ العُنْـفَ إذ استعـ ـصَى وطـالِبْـه بـدَيْـن
ودَعِ اللفـظَ وخـاطِبْـ ـه بغمـز الحـاجبَيْـن
واحـذَرِ الـرَّجعـة مـن وجـ ـهـك فـي خُفَّـيْ حُنَيْـن

قال: فمضيت معهم، وكتبتُ إلى الحسن بن رَجَاء جواب رقعته:

دعـوتَ إلـى ممـاحكـة الصِّيـامِ وإعمـال المَـلاهـي والمُـدامِ
ولـو سبـق الـرسـولُ لكـان سعيـي إليـك ينـوب عـن طـول الكـلام
ومـا شـوقـي إليـك بـدون شـوقـي إلـى ثَمـر[٢] التَّصـابـي والغـرام
ولكـن حـلَّ فـي نفـر عَسُـوفٌ بمنشـورٍ محـلَّ المستهـام
حسيـنٍ، فـاستبـاح لـه حـريمـاً بطَـرْف بـاعـثٍ سبـبَ الحِمـام
وأظهـر نخـوةً وسَطَـا وأبْـدَى فَظَـاظتَـه بتـركِ للسـلام
وأزعجنـي بـألفـاظ غِـلاَظٍ وقـد أعطيتُـه طَـرَفَـيْ زِمـامـي
ولـو خـالفتُـه لـم يَخْـشَ قتلـي وقتَّعنـي سـريعـاً بـالحُسـام

لاعب الواثق بالنرد وغازل خاقان خادمه فقال شعراً:

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكَبيّ قال حدّثني جعفر بن هارون بن زِياد قال حدّثني أبي قال:

كان الواثق يلاعب حسين بن الضحّاك بالنَّرْد وخاقانُ غلامُ الواثق واقفٌ على رأسه، وكان الواثق يتحظّاه، فجعل يلعب وينظر إليه. ثم قال للحسين بن الضحّاك: إن قلتَ الساعة شعراً يُشبه ما في نفسي وهبتُ لك ما تفرَح به. فقال الحسين:

[٧/٢٠٢] / صوت

أُحبُّـك حبَّـا شـابـه بنصيحـةٍ أبٌ لـك مـأمـونٌ عليـك شفيـقُ
وأُقسـم مـا بينـي وبينـك قُـرْبـةٌ ولكـنّ قلبـي بـالحِسـان[٣] عَلُـوق

فضحك الواثق وقال: أصبت ما في نفسي وأحسنت. وصنع الواثق فيه لحناً، وأمر لحسين بألفي دينار. لحن الواثق في هذين البيتين من الثقيل الأوّل بالوسطى.

---

(١) وصلت همزة القطع هنا لضرورة الشعر.
(٢) كذا في أ،ء، م. وفي سائر الأصول: «زمن التصابي».
(٣) في حـ: بالجمال.

فضل نفسه على أبي نواس فردّه أحمد بن خلاد:

أخبرني الحسن / بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أحمد بن خَلّاد قال: أنشدني حسين بن الضحّاك لنفسه: ٢٠١/٦

بُـدِّلْـتَ مِـن نفحـات الـورد بـالآء ومِـن صَبُـوحـك دَرَّ الإبْـلِ والشـاءِ

حتى أتى على آخرها، وقال لي: ما قال أحد من المُحْدَثين مثلَها. فقلت: أنت تحوم حول أبي نُوّاس في قوله:

دَعْ عنـك لـومـي فـإنّ اللـوم إغـراءُ وداوِنـي بـالتـي كـانـت هـي الـداء

وهي أشعر من قصيدتك. فغضب وقال: أَلِي تقول هذا! عليّ وعليّ إن لم أكن نِكْتُ أبا نواس!. فقلت له: دع ذا عنك، فإنه كلام في الشعر لا قَدْحٌ في نسب، لو نِكتَ أبا نواس وأُمّه وأباه لم تكن أشعرَ منه. وأحِبّ أن تقول لي: هل لك في قصيدتك بيتٌ نادر غيرُ قولك:

فُضَّـتْ خَـوَاتِمُهـا فـي نعـت واصفهـا عـن مثـل رَقْـرَاقـةٍ فـي عيـن مَـرْهـاء

وهذه قصيدة أبي نواس يقول فيها:

دارتْ علـى فِتْيـةٍ ذَلّ الـزمـانُ لهـم فمـا أصـابهـمُ إلّا بمـا شـاءوا

/ صفـراءُ لا تَنْـزِل الأحـزانُ سـاحتَهـا لـو مَسَّهـا حَجَـرٌ مسّتـه سَـرّاء [٧/٢٠٣]

فـأرسلـتْ مِـن فـم الإبـريـق صـافيـةً كـأنمـا أخـذُهـا بـالعقـل إغفـاء

والله ما قدرت على هذا ولا تقدِر عليه؛ فقام وهو مغضب كالمُقِرّ بقولي.

تحاكم هو وأبو نواس إلى ابن مناذر فحكم له:

حدّثني الحسن قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني إبراهيم بن المدبّر قال حدّثني أحمد بن المعتصم قال: حَجّ أبو نواس وحسين بن الضحّاك فجمعهما الموسم، فتناشدا قصيدتيهما: قولَ أبي نواس:

دَعْ عنـك لـومـي فـإنّ اللّـوم إغـراءُ وداوِنـي بـالتـي كـانـت هـي الـداء

وقصيدةَ حسين:

* بُدّلتَ من نَفَحات الورد بالآء *

فتنازعا أيُّهما أشعر في قصيدته؛ فقال أبو نواس: هذا ابن مُناذر[1] حاضرٌ الموسمَ وهو بيني وبينك. فأنشده قصيدته حتى فرغ منها؛ فقال ابن مُناذر: ما أحسب أن أحداً يجيء بمثل هذه وهَمَّ بتفضيله؛ فقال له الحسين: لا تَعْجَلْ حتى تسمع؛ فقال: هات؛ فأنشده قوله:

بُـدِّلْـتَ مِـن نَفَحـات الـورد بـالآءِ ومِـن صَبُـوحـك دَرَّ الإبـل والشـاء

(١) انظر الحاشية، رقم ١ ص ٩٠ من الجزء الرابع من هذه الطبعة.

حتى انتهى إلى قوله:

فُضَّتْ خواتمُها في نعت واصفها عن مثل رَقْراقةٍ في عين مَرْهاء

فقال له ابن مناذر: حَسْبُك، قد استغنيتَ عن أن تزيد شيئاً، والله لو لم تقل في دهرك كلِّه غيرَ هذا البيت لفضَّلتُك به على سائر من وصف الخمر؛ قم فأنت أشعر وقصيدتُك أفضلُ. فحكم له وقام أبو نواس منكسِراً.

[٧/٢٠٤] / **قال شعراً لكثير بن إسماعيل استرضى به المعتصم:**

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد قال حدّثني كثِير بن إسماعيل التّحتكار قال:

لمّا قدِم المعتصم بغداد، سأل عن ندماء صالح بن الرشيد وهم أبو الواسع وقِنّينة وحسين بن الضحّاك وحاتم الرّيش وأنا، فأُدخلنا عليه. فلشُؤْمي وشقائي كتبت بين عينيّ: «سيّدي هَبْ لي شيئاً». فلما رآني / قال: ما هذا على جبينك؟! فقال حمدون[1] بن إسماعيل: يا سيّدي تطايَبَ بأن كتب على جبينه: «سيّدي هب لي شيئاً»!. فلم يَسْتطِبْ لي ذلك ولا استملحه، ودعا بأصحابي من غد ولم يَدْعُ بي. ففزعتُ إلى حسين بن الضحّاك؛ فقال لي: إنّي لم أخْلُ من أنسه بعدُ بالمحلّ الموجِبِ أن أشفع إليه فيك، ولكني أقول لك بيتين من شعر وادفعهما إلى حمدون بن إسماعيل يوصلهما، فإن ذلك أبلغُ. فقلتُ: أفْعَلُ. فقال حسين:

قُلْ لدنيا أصبحتْ تلعب بي سلّط الله عليك الآخرهْ

إن أكن أبردَ من قِنّينةٍ ومن الرِّيش فأُمّي فاجرهْ

قال: فأخذتهما وعرّفتُ حمدون أنهما لي وسألته إيصالَهما ففعل؛ فضحك المعتصم وأمر لي بألفي دينار واستحضرني وألحقني بأصحابي.

كان ابن بسخنر يكره الصبوح فقال فيه شعراً:

أخبرني عمّي قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال قال لي أحمد[2] بن حمدون:

كان محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر لا يرى الصَّبُوحَ ولا يُؤْثِر على الغَبُوق شيئاً، ويحتجّ بأن من خدم الخلفاء [٧/٢٠٥] كان اصطباحُه استخفافاً بالخدمة، لأنه لا يأمن أن / يُدعى على غفلة والغبوق يُؤْمِنه من ذلك، وكان المعتصم يحبُّ الصبوح؛ فكان يُلقّب ابنَ بُسْخُنَّر الغَبُوقيَّ. فإذا حضر مجلسَ المعتصم مع المغنّين منعه الصَّبُوحَ وجمع له مثلَ ما يشرب نظراؤه، فإذا كان الغبوقُ سقاه إيّاه جملةً غيظاً عليه؛ فيَضِجُّ[3] من ذلك ويَسأل أن يُترك حتى يشرب مع النّدماء إذا حضروا[4] فيمنعه ذلك. فقال فيه حسين بن الضحّاك وفي حاتم الرِّيش الضَّرّاط وكان من المضحكين:

حُبّ أبي جعفر للغَبُوق كقُبْحِك يا حاتِمٌ مُقْبِلا

(١) هو حمدون بن إسماعيل بن داود الكاتب. وهو أول من نادم [الخلفاء] من أهله. (عن «فهرست ابن النديم»).
(٢) هو أحمد بن حمدون بن إسماعيل راوية إخباري روى عن العدوي، له من الكتب «كتاب الندماء والجلساء». (عن «فهرست ابن النديم»).
(٣) في ب، س، حـ: «فيصيح».
(٤) في الأصول: «حضر».

فـــلا ذاك يُعْـــذَر فـــي فعلـــه وحقُّـــك فـــي النـــاس أن تُقتـــلا
وأشبـــه شـــيء بمـــا اختـــاره ضُـــراطُـــك دونَ الخَـــلاَ فـــي المَـــلاَ

استعطف أبا أحمد بن الرشيد وكان قد غضب عليه:

حدّثني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا محمد بن عليّ بن حمزة قال:

مزَح أبو أحمد بن الرشيد مع حسين بن الضحّاك مُزاحاً أغضبه، فجاوَبه حسين جواباً غضِب منه أبو أحمد أيضاً. فمضى إليه حسين من غَدٍ فاعتذر إليه وتنصّل وحلف؛ فأظهر له قبولاً لعذره. ورأى ثِقَلاً في طَرْفه وانقباضاً عما كان يعهده منه؛ فقال في ذلك:

لا تَعْجَبَـــنّ لمَلّـــةٍ صـــرَفـــتْ وجـــهَ الأميـــر فـــإنـــه بشـــرُ
وإذا نبـــا بـــك فـــي سَـــريـــرتـــه عَقْـــدُ الضميـــر نبـــا بـــك البصـــرُ

حكى للنشار صحبته للأمين وإكرامه له:

حدّثني الصُّولِيّ قال حدّثني أبو محمد بن النشار قال:

كان أبي صديقاً للحسين بن الضحّاك وكان يعاشره؛ فحمَلني معه يوماً إليه، وجعل أبي يحادثه إلى أن قال له: يا أبا عليّ، قد تأخرتْ أرزاقُك وانقطعت موادّك ونفقتُك كثيرة، فكيف يمشي أمرك؟ فقال له: بلى والله يا أخي، ما قِوامُ أمري إلا ببقايا هِباتِ الأمين محمد بن زُبَيدة وذخائره وهِباتِ جاريةٍ له ـ لم يُسمِّها ـ / أغنتني للأبد لشيءٍ [٢٠٦/٧] ظريف جرى على غير تعمُّد؛ وذلك أنّ الأمين دعاني يوماً فقال لي: يا حسين، إن جليسَ الرجل عشيرةُ وثقتُه وموضعُ سرّه وأمْنِه، وإن جاريتي فلانةَ أحسنُ الناس / وجهاً وغناء، وهي منّي بمحل نفسي، وقد كدّرتْ عليّ [٢٠٢/٦] صفوَها ونغّصتْ عليّ النعمةَ فيها بعُجْبها بنفسها وتجنّيها[1] عليّ وإدلالِها بما تعلم من حبِّي إياها. وإني مُحْضِرُها ومحضرٌ صاحبةً لها ليست منها في شيء لتغنّي معها. فإذا غنّتْ وأومأتُ لك إليها ـ على أن أمرها أبينُ من أن يخفَى عليك ـ فلا تَستحسِن الغناءَ ولا تشرب عليه؛ وإذا غنّت الأخرى فاشرب واطرَب واستحسن واشقُق ثيابك، وعليّ مكانَ كل ثوب مائةُ ثوب. فقلت: السمعُ والطاعة. فجلس في حُجْرة الخَلْوة وأحضرني وسقاني وخلع عليّ، وغنّت المحسنةُ وقد أخذ الشرابُ منّي، فما تمالكتُ أن استحسنتُ وطرِبتُ وشربتُ، فأومأ إليّ وقطّب في وجهي. ثم غنّتِ الأخرى فجعلتُ أتكلّف ما أقوله وأفعله. ثم غنّتِ المحسنةُ ثانيةً فأتت بما لم أسمع مثلَه قطّ حُسْناً، فما ملكتُ نفسي أن صِحت وشرِبت وطرِبت، وهو ينظر إليّ ويَعَضُّ شفتَيْه غيظاً، وقد زال عقلي فما أفكّر فيه، حتى فعلتُ ذلك مراراً؛ وكلما ازداد شربي ذهب عقلي وزدتُ ممّا يكره؛ فغضِب فأمضّني وأمر بجَرّ رجلي من بين يديه وصَرْفي فجُرِرْتُ وصُرِفتُ، فأمر بأن أُحْجَب. وجاءني الناس يتوجّعون لي ويسألوني عن قصّتي فأقول لهم: حمل عليّ النبيذُ فأسأتُ أدبي، فقوّمني أمير المؤمنين بصَرْفي وعاقَبني بمنعي من الوصول إليه. ومضى لِما أنا فيه شهرٌ، ثم جاءتني البِشارةُ أنّه قد رضي عنّي، وأمر بإحضاري فحضَرتُ وأنا خائف. فلما وصلتُ أعطاني الأمين يدَه فقبّلتُها، وضحك إليّ وقام وقال: اتبعني، ودخل إلى تلك الحجرة بعينها ولم يحضر غيري. وغنّتِ المحسنةُ التي نالني من أجلها ما

(١) في حـ: «وتسحبها» والتسحب: التدلل.

[٧/٢٠٧] نالني فسكتُّ[١] / فقال لي: قُلْ ما شئتَ ولا تَخَفْ؛ فشربتُ واستحسنتُ. ثم قال لي: يا حسين، لقد خار اللّهُ لك بخِلافي وجرى القدرُ بما تحبّ فيه. إن هذه الجارية عادت إلى الحال التي أُريد منها ورضِيتُ كلّ أفعالها؛ فأذْكرتْني بك وسألتْني الرّضا عنك والاختصاصَ لك؛ وقد فعلتُ ووصلتُك بعشرة آلاف دينار، ووصلَتْك هي بدون ذلك. والله لو كنتَ فعلتَ ما قلتُ لك حتى تعودَ إلى مثل هذه الحال ثم تحقِد ذلك عليك فتسألني ألاّ تَصِلَ إليّ لأجبتُها. فدعوتُ له وشكرتُه وحمِدت الله على توفيقه، وزِدتُ في الاستحسان والسرورِ إلى أن سكِرتُ وانصرفتُ وقد حُمِل معي المال. فما كان يمضي أسبوع إلاّ وصِلاتُها وألطافُها تصل إليّ من الجوهر والثياب والمال بغير علم الأمين؛ وما جالسته مَجلساً بعد ذلك إلا سألتُه أن يصِلَني. فكلُّ شيء أنفقتُه بعده إلى هذه الغاية فمن فضل مالِها وما ذَخَرتُ من صِلاتها. قال ابن النشّار: فقال له أبي: ما سمعتُ بأحسن من هذا الحديث ولا أعجب ممّا وفّقه الله لك فيه.

هنأ الأمين بظفر جيشه بطاهر بن الحسين:

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أبي قال:

دخل حسين بن الضحّاك على محمد الأمين بعَقِب وقعةٍ أوقعها أهلُ بغداد بأصحاب طاهر[٢] فهزموهم وفضحوهم؛ فهنّأه بالظَّفَر ثم استأذنه في الإنشاد، فأذن له فأنشده:

أميـــنَ الله ثِـــقْ بــالـلّـ ـــهِ تُعْـطَ العــزَّ والنُّصْــرهْ
كِـــلِ الأمــرَ إلـــى الله كَـــلاكَ[٣] الله ذو القُــدْره
/ لنـــا النصـــرُ بـــإذن اللّـ ـــه والكَـــرّةُ لا[٤] الفَـــرّه
/ وللمُـــرّاق أعـــداكْ ـــك يـــومُ السَّـوْء والـــدَّبْره[٥]
وكـــأسٌ تُـــورِد المـــوت كـــريـــةٌ طعمُهـــا مُـــرّه
سَقَـــوْنـــا وسَقينـــاهـــم فكـــانـــت بهـــمُ الحَـــرّه
كـــذاك الحـــربُ أحيـــانـــاً علينـــا ولنـــا مَـــرّه

[٢٠٣/٦] [٧/٢٠٨]

فأمر له بعشرة آلاف درهم، ولم يزل يتبسم وهو يُنشِده.

عابثه الأمين وركب ظهره:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال:

قال لي الحسين بن الضحّاك: شرِبنا يوماً مع الأمين في بستانٍ، فسقانا على الرِّيق، وجدّ بنا في الشرب، وتحرّزَ من أن نذوق شيئاً. فاشتدّ الأمرُ عليّ، وقمتُ لأبول، فأعطيتُ خادماً من الخدم ألف درهم على أن يجعل لي

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فسكنت» بالنون.
(٢) هو طاهر بن الحسين أحد دعاة المأمون وأكبر قوّاده، وهو الذي حاصر محمداً الأمين وظفر به وقتله.
(٣) كلاك الله: حفظك، سهلت همزته.
(٤) كذا في حـ وهو المناسب للمقام. وفي سائر الأصول: «والكرة والفره».
(٥) الدبرة: الهزيمة في القتال.

تحت شجرةٍ أومأتْ إليها رُقَاقةٌ فيها لحمٌ، فأخذ الألف وفعل ذلك. ووثب محمد فقال: من يكون منكم حِماري؟ فكلٌّ واحد منهم قال له: أنا، لأنه كان يركب الواحدَ منا عَبَثاً ثم يصله؛ ثم قال: يا حسين، أنت أَضْلَعُ[1] القوم. فركِبني وجعل يطوف وأنا أعْدِل به عن الشجرة وهو يمرّ بي إليها حتى صار تحتها، فرأى الرُّقاقةَ فتطأطأ فأخذها فأكلها على ظهري، وقال: هذه جُعِلَتْ لبعضكم؛ ثم رجع إلى مجلسه وما وصلني بشيء. فقلت لأصحابي: أنا أشقى الناس، ركِب ظهري وذهب ألفُ درهمٍ منّي وفاتني ما يُمسك رَمَقي ولم يَصِلْني كعادتي، ما أنا إلا كما قال الشاعر:

ومُطْعِـم الصيـدِ يـومَ الصيـد مَطْعَمَـه ... أنّـى تـوجّـه والمحـروم محـروم

أحب جارية لأم جعفر ووسط عاصماً الغساني في استيهابها فأبت فقال شعراً:

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد النّحويّ المبرّد قال: كان حسين بن الضحّاك الأشقر، وهو الخليع، يهوَى جاريةً لأُمّ جعفر، وكانت / من أجمل الجواري، وكان لها صُدْغانِ مُعَقْرَبان، وكانت [٢٠٩/٧] تخرج إليه إذا جاء فتقول له: ما قلتَ فينا؟ أنشدنا منه شيئاً؛ فيُخرج إليها الصحيفة، فتقول له: اقرأ معي، فيقرأ معها حتى تحفظه ثم تدخل وتأخذ الصحيفةَ. فشكا ذلك إلى عاصم الغَسّانيّ الذي كان يمدحه سَلْم الخاسر وكان مكِيناً عند أم جعفر، وسأله أن يستوهبها له فاستوهبها، فأبتْ عليه أمُّ جعفر؛ فوجّه إلى الخليع بألف دينار وقال: خُذْ هذا الألفَ؛ فقد جَهَدتُ الجَهْدَ كلّه فيها فلم تُمكنّي حيلة. فقال الحسين في ذلك:

رمَتْـك غَـدَاةَ السبت شمسٌ مـن الخُلْـدِ[2] ... بسهـم الهـوى عَمْـداً ومـوتُـك فـي العَمْـدِ
مـؤزَّرةُ السِّـربـال مهضـومـةُ الحَشـا ... غُـلاَمِيَّـةُ التقطيـع شـاطـرة[3] القَـدّ
مُحَنّـاة الأطـراف رُوْدٌ شَبـابُهـا ... مُعَقْـرَبَـةُ الصُـدْغيـن كـاذبـة الـوعـدِ
أقـول ونفسـي بيـن شَـوْقٍ وزَفْـرةٍ ... وقـد شخَصـتْ عينـي ودمعـي علـى الخـدّ
أجيـزي علـى مـن قـد تـركـتِ فـؤادَه ... بلحظتـه بيـن التـأسُّـف والجهـد
فقـالـت عـذابٌ بـالهـوى مـع قـربكـم ... ومـوتٌ إذا أقـرحـتُ[4] قلبـكَ بـالبعـد
لقـد فَطِنـت للجـوْر فطنـةَ عـاصـمٍ ... لصُنْـع الأيـادي الغُـرّ فـي طلب الحمـد
سـأشكـوكِ فـي الأشعـار غيـرَ مُقَصِّـرٍ ... إلـى عـاصـم ذي المَكْـرُمـات وذي المجـدِ
/ لعـلّ فتـى غَسّـان يَجمـع بيننـا ... فيـأمَـنَ قلبـي منكُـم رَوْعـةَ الصَّـدّ [٢٠٤/٦]

أقطع المعتصم الناس دوراً دونه فقال شعراً:

حدّثني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني هارون بن مُخَارِق قال:

(١) كذا في حـ. والأضلع: الشديد القويّ الأضلاع. وفي سائر الأصول: «أظلع القوم» بالظاء المعجمة، وهو تحريف.
(٢) انظر الحاشية رقم ١ ص ١٧٠ من هذا الجزء.
(٣) انظر الحاشية رقم ١ ص ١٥٥ من هذا الجزء.
(٤) في الأصول: «أقدحت» بالدال المهملة، والذي في كتب اللغة قدح الثلاثي. فلعلها محرفة عما أثبتناه.

أقطع المعتصمُ الناسَ الدُّورَ بسُرَّ من رَأى وأعطاهم النفقاتِ لبنائها، ولم يُقْطِع الحسين بن الضحّاك شيئاً. فدخل عليه فأنشده قوله:

[٢١٠/٧] / يا أمينَ الله لا خِطَّةَ[1] لي ... ولقد أفردتَ صَحْبِي بخِطَطْ

أنا في دَهْيَاءَ من مُظْلِمةٍ ... تحمِل الشيخَ على كلّ غلَط

صعبةِ المَسْلَك يرتاع لها ... كلُّ من أصْعَد فيها وهَبَط

بَوِّنِبي[2] منك كما بَوَّأتَهم ... عَرْصةً تبسُط طَرْفي ما انبسط

أبتني فيها لنفسي موطِناً ... ولعَقْبِي فَرَطاً بعد فَرَطْ

لم يَزل منكَ قريباً مسكني ... فأعِذْ لي عادةَ القربِ فقطْ

كلُّ من قرّبتَه مُغْتَبِطٌ[3] ... ولمن أبعدتَ خِزْيٌ وسَخَط

قال: فأقطعه داراً وأعطاه ألفَ دينار لنفقته عليها.

حاز شعراً لأبي العتاهية:

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال أخبرني عمّي الفضل عن الحسين بن الضحّاك قال:

كنتُ أمشي مع أبي العتاهية، فمررت بمقبُرة وفيها باكيةٌ تبكي بصوتٍ شَجٍ على ابنٍ لها. فقال أبو العتاهية:

أمَا تنفَكّ باكيةٌ بعينٍ ... غَزيرٌ دمعُها كَمِدٌ حشاها

أجِزْ يا حسين؛ فقلت:

تُنادي حفرةً أعْيَتْ جواباً ... فقد وَلِهَتْ[4] وصَمّ بها صَداها[5]

[٢١١/٧] / **نصحه أبو العتاهية بألا يرثي الأمين فأطاعه:**

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال حدّثني الحسين بن الضحّاك قال:

كنتُ عازماً على أن أرثي الأمين[6] بلساني كلّه وأشفي لوعتي. فلقيني أبو العتاهية فقال لي: يا حسين، أنا إليك مائلٌ ولك محبٌّ، وقد علمتُ مكانك من الأمين، وإنه لحقيقٌ بأن ترثيه، إلاّ أنك قد أطلقتَ لسانك من التلهُّف عليه والتوجُّع له بما صار هجاءً لغيره وثَلْباً له وتحريضاً عليه، وهذا المأمون مُنْصَبٌّ إلى العراق قد أقبل عليك؛ فأبْقِ على نفسك؛ يا وَيْحَك! أتجسُر على أن تقول:

---

(١) الخطة: المكان المختط لعمارة وغيرها، وهي أيضاً أرض يختطها الرجل لم تكن لأحد قبله.

(٢) بوّني: أصلها «بوّئني»، سهلت الهمزة فصارت ياء ثم حذفت لصيغة الأمر.

(٣) يقال: فلان مغتبط (بكسر الباء) إذا كان في نعمة، ومغتبط (بفتح الباء) إذا اغتبطه الغير على نعمة وتمنى أن يكون مثله.

(٤) الوله: الحزن أو ذهاب العقل لفقدان الحبيب.

(٥) الصدى: الصوت الذي يرده الجبل إذا رفع فيه الإنسان صوته. وصمم الصدى كناية عن الهلاك، يقال: أصم الله صداه إذا أهلكه، وصمّ صداه. قال امرؤ القيس:

صمّ صداها وعفا رسمها ... واستعجمت عن منطق السائل

(٦) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «الأمير» وهو تحريف.

تركوا حريمَ أبيهمُ نَفَلاً[1] والمُحْصَنَاتُ صَوارِخٌ هُتُفُ

هيهاتَ بعدَكَ أن يدومَ لهم عِزٌّ وأن يبقى لهم شَرَفُ

أُكْفُفْ غَرْبَ لسانك واطوِ ما انتشر عنك وتلافَ ما فرَط منك. فعلِمتُ أنه قد نصَحني فجزيتُه الخيرَ، وقطعتُ القول فنجوتُ برأيه وما كِدْتُ أن أنجو.

أعرض عنه فتى جميل فقال فيه شعراً:

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني أبو العَيْناء قال:

وقف علينا حسين بن الضحّاك ومعنا فتًى جالسٌ من أولاد الموالي جميلُ الوجه، فحادثنا طويلاً وجعل يُقبِل على الفتى بحديثه والفتى مُعْرِضٌ عنه حتى طال ذلك؛ ثم أقبل عليه الحسين فقال:

تَتِيهِ علينا أن رُزِقْتَ ملاحةً فمَهْلاً علينا بعضَ تِيهِكَ يا بدرُ

/ لقد طالما كنّا مِلَاحاً وربما صَدَدْنا وتِهْنا ثم غيّرَنا الدهرُ

٢٠٥ / ٦

وقام فانصرف.

[٧/ ٢١٢]

/ عربد في مجلس الأمين فغضب عليه ثم استرضاه بشعر فرضي عنه:

أخبرني الحسن بن[2] القاسم الكوفيّ قال حدّثني ابن عَجْلان قال:

غنّى بعضُ المغنّين في مجلس محمدٍ المخلوع بشعر حسين بن الضحّاك، وهو:

صوت

ألستَ ترى دِيمةً تَهْطِلُ وهذا صباحُكَ مُسْتقبَلُ

وهذي العُقَارُ وقد راعنا بطلعتِه الشادنُ الأكحلُ

فعادَ به وبنا سكرةٌ تُهَوِّن مكروهَ ما نسألُ

فإنّي رأيتُ له نظرةً[3] تخبّرنا أنّه يفعلُ

قال: فأمر بإحضار حسين فأُحْضِر، وقد كان محمد شرِب أرطالاً. فلما مثل بين يديه أمر فسُقِي ثلاثةَ أرطالٍ، فلم يَستوفِها الحسينُ حتى غَلَبه السكر وقذَفَ، فأمر بحمله إلى منزله فحُمل. فلما أفاق كتب إليه:

إذا كنتُ في عُصْبةٍ من المَعْشَرِ الأخيبِ

ولم يَكُ لي مُسْعِدٌ نديمٌ سوى جُعْدُبِ

---

(١) النفل: الغنيمة.

(٢) ورد هذا الاسم هكذا في جميع الأصول. وقد بحثنا عنه فيمن روى عنهم صاحب «الأغاني» فلم نجده. ولعل صوابه الحسين بن القاسم الكوكبي الكاتب. وكان صاحب «أخبار وآداب»، توفي سنة ٣٢٧ هـ. وقد تكررت رواية المؤلف عنه كثيراً.

(٣) كذا في أ، ء، م. وفيما سبق في جميع الأصول في هذه الترجمة. وفي سائر الأصول هنا: «طرة» وهو تحريف.

فأَشْرَبُ من رَمْلةٍ[1] وأسهرُ من قُطْرُب[2]
ولمّا حباني الزما ن من حيث لم أحسبِ
ونادمتُ بدرَ السما ء في فَلَك الكوكبِ
/ أبتْ لي غُضُوضيَّتي[3] ولؤمٌ من المَنْصِب
فأسكرني مسرعاً قويٌّ من المَشْرب
كذا النذلُ يَنْبو به منادمةُ المُنْجب

[٢١٣/٧]

قال: فردّه إلى منادمته وأحسن جائزته وصلتَه.

شعره في غلام أبي أحمد بن الرشيد:

أخبرني الكوكبيّ قال حدّثني عليّ بن محمد بن نصر عن خالد بن حَمْدون: أن الحسين بن الضحاك أنشده ـ وقد عاتبه خادم[4] من خُدّام أبي أحمد بن الرشيد كان حسين يتعشّقه ولامه في أن قال فيه شعراً وغنّى فيه عمرو بن بانة؛ فقال حسين فيه ـ:

صوت

فَدَيتُ من قال لي على خَفَرِهْ وغَضَّ جفناً له على حَوَرِهْ
سمَّع بي شعرُك المليح فما ينفكّ شادٍ به على وَتَرِه
فقلتُ يا مستعيرَ سالفةِ الـ ـخِشْفِ وحسنِ الفتور من نَظَره
لا تُنكرنّ الحنينَ من طَرِبٍ عاود فيك الصِّبا على كِبَرِه

وغنّى فيه عمرو بن بانة هزجاً مطلقاً.

كتب شعراً على قبر أبي نواس:

أخبرني الكوكبيّ قال حدّثني أبو سَهْل بن نُوبَخْت[5] عن عمرو بن بانة قال:

لما مات أبو نواس كتب حسين بن الضحّاك على قبره:

كابَرَنيكَ الزمانُ يا حسن فخاب سَهْمي وأفلَح الزمنُ

---

(١) نص المثل في الميداني: «أشرب من رمل».
(٢) القطرب: طائر يجول الليل كله لا ينام، قالوا: «أجول من قطرب» و«أسهر من قطرب». (انظر «حياة الحيوان» للدميري و«أمثال الميداني» في الكلام عليه).
(٣) الغضوضية: غضاضة الشباب ونضارته، والمراد بها الطيش والنزق وهما من حظ الشباب ولوازمه. والغضوضية من المصادر الصناعية مثل الرجولية والفروسية.
(٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «وقد عاتبه بخادم» وهو تحريف.
(٥) ضبطه ابن خلكان بالعبارة هكذا: «ونوبخت بضم النون وسكون الواو وفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وبعدها تاء مثناة من فوقها».

ليتــك إذ لــم تكــن بقيــتَ لنــا   لــم تَبْــقَ روحٌ يَحُــوطُهــا بــدنُ

/ هجا جراحاً مخنثاً اسمه نصير: [٧/٢١٤]

/ أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أبي قال: ٢٠٦/٦

كان في جوار الحسين بن الضحّاك طبيب يُداوي الجراحاتِ يقال له نُصير، وكان مخنَّثاً؛ فإذا كانت وليمةٌ دخل مع المخنَّثين، وإذا لم تكن عالج الجِراحاتِ. فقال فيه الحسين بن الضحّاك:

نُصَيــرُ ليــس لمُــرْدُ مــن شــأنــه   نصيــرُ طَــبٌّ بــالنَّكــارِيــش[1]

يقــول للنَّكــرِيــش فــي خَلــوة   مقــالَ ذي لُطْــف وتَجْميــش[2]

هــل لــك أن نلعــبَ فــي فــرشنــا   تقلُّــبَ الطيــرِ المَــرَاعِيــش[3]

يعني المبادلة. فكان نصيرٌ بعد ذلك يصيح به الصبيان: «يا نصير نلعب تقلُّبَ الطيرِ المراعيشِ» فيشتُمهم ويرميهم بالحجارة.

عبث ابن مناذر بشعر له فشتمه:

حدّثني جعفر قال حدّثني عليّ بن يحيى عن حسين بن الضحّاك قال:

أنشدتُ ابنَ مُناذر قصيدتي التي أقول فيها:

* لفَقْدِك ريحانةَ العسكر *

وكانت من أوّل ما قلتُه من الشعر؛ فأخذ رداءه ورمى به إلى السقف وتلقاه برجله وجعل يردّد هذا البيت. فقلنا لحسين: أتُراه فعل ذلك استحساناً لما قلت؟ فقال لا؛ فقلنا: فإنما فعله طَنْزاً[4] بك؛ فشتَمه وشتمنا. وكنّا بعد ذلك نسأله إعادةَ هذا البيت فيرمي بالحجارة ويجدِّد شتمَ ابن مناذر بأقبح ما يقدِر عليه.

/ وقف ببابه سلولي وغنويّ ينتظران محاربياً فقيل اجتمع اللؤم: [٧/٢١٥]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أحمد بن أبي كامل قال:

مررتُ بباب حسين بن الضحّاك، وإذا أبو يزيد السَّلُوليّ وأبو حَزْرَةَ الغَنَويّ وهما ينتظرانِ المُحاربِيّ وقد استُؤذن لهم على ابن الضحّاك؛ فقلت لهما: لم لا تدخلان؟ فقال أبو يزيد: ننتظر اللؤم أن يجتمع، فليس في الدنيا أعجبُ مما اجتمع منا، الغَنَويّ والسَّلُوليّ ينتظرانِ المُحارِبيّ ليدخلوا على باهليّ.

---

(١) الطب: العالم بالشيء. والنكريش: الملتحي، قال البديع:

قــال قــوم عشقتــه أمــرد الــخــدّ   وقــد قيــل إنــه نكــريش

قلــت فــرخ الطــاوس أحســن مــا كــا   ن إذا مــا عــلا عليــه الــريــش

(انظر «شفاء الغليل» ص ٢٢٤).

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «وتجهيش». بالهاء.

(٣) المراعيش: نوع من الحمام وهي تطير مرتفعة حتى تغيب عن النظر فترى في الجو كالنجم.

(٤) الطنز: السخرية.

كتب أبياتاً عن الواثق يدعو الفتح بن خاقان للصبوح:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر البُوشَنْجِيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال:

كان الواثق يميل إلى الفتح بن خاقان[1] ويأنَس به وهو يومئذ غلام، وكان الفتح ذكيًّا جيّد الطبع والفِطنة. فقال له المعتصم يوماً وقد دخل على أبيه خاقان عُرْطُوج: يا فتح أيّما أحسن: داري أو دار أبيك؟ فقال له وهو غير متوقّفٍ وهو صبيّ له سبع سنين أو نحوها: دار أبي إذا كنتَ فيها؛ فعجِب منه وتبنّاه. وكان الواثق له بهذه المنزلة، وزاد المتوكل عليهما. فاعتلّ الفتح في أيام الواثق علّةً صعبة ثم أفاق وعُوفي، فعزَم الواثقُ على الصَّبوح، فقال لي: يا حسين، اكتب بأبيات عنّي إلى الفتح تدعوه إلى الصَّبوح؛ فكتبتُ إليه:

[٢١٦/٧]

/ لمّا اصطبحتُ وعينُ اللهو ترمُقُني ... قد لاح لي باكراً في ثوب بِذْلَته

ناديتُ فتحاً وبَشّرتُ المدامَ به ... لمّا تخلّص من مكروه عِلّته

ذبُّ الفتى عن حريم الراح مَكْرُمةٌ ... إذا رآه امرؤٌ ضِدًّا لِنحْلَته

فاعْجَلْ إلينا وعَجّل بالسرور لنا ... وخالِس الدهر في أوقات غَفْلَتِه

فلما قرأها الفتح صار إليه فاصطبح معه.

شعره في غلام عبدالله بن العباس بن الفضل بن الربيع:

أخبرني عمّي[2] قال حدّثني يعقوب بن نُعَيْم وعبدالله بن أبي سعد قالا حدّثنا محمد بن محمد الأنباريّ قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال:

$\frac{٢٠٧}{٦}$ / كنتُ عند عبدالله بن العباس بن الفضل بن الربيع وهو مُصْطَبِحٌ وخادم له يسقيه؛ فقال لي: يا أبا عليّ، قد استحسنتُ سقيَ هذا الخادم؛ فإن حضرك شيء في قصّتنا هذه فقُل؛ فقلت:

أحيَتْ صَبُوحي فكاهةُ اللاهي ... وطاب يومي بقرب أشباهي

فاستثِر اللهوَ من مكامِنه ... من قبل يوم منغّص ناهي

بابنةِ كَرْم من كفّ مُنْتَطِقٍ ... مؤتزرٍ بالمُجون تيّاه

يَسْقِيك من طَرْفه ومن يده ... سَقْيَ لطيفٍ مُجرَّب داهي

كأساً فكأساً كأن شاربَها ... حيرانُ بين الذُّكور والساهي

---

(١) هو الفتح بن خاقان بن أحمد، كان في نهاية الذكاء والفطنة وحسن الأدب من أولاد الملوك، اتخذه المتوكل أخاً ووزيراً له، وكان يقدّمه على سائر ولده وأهله. وكان له خزانة جمعها علي بن يحيى المنجم له لم ير أعظم منها كثرة وحسناً. وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء الكوفيين والبصريين. ومن شغفه بالكتب أنه كان يحضر لمجالسة المتوكل، فإذا أراد القيام لحاجة أخرج كتاباً من كمه أو خفه وقرأه في مجلس المتوكل إلى عوده إليه، حتى في الخلاء. وتوفي الفتح في الليلة التي قتل فيها المتوكل قتلا معه بالسيف سنة ٢٧٤ هـ. قتله الأتراك لما فرغوا من قتل المتوكل بأمر ابنه المنتصر، وكان طلب منهم ذلك فجيعة على سيده. (عن «فهرست ابن النديم» و «تاريخ الطبري» ص ١٤٥ ـ ١٤٦ من القسم الثالث).

(٢) تقدّم هذا الخبر بنصه في هذه الترجمة ص ١٩٠.

قال: فاستحسنه عبدالله وغنّى فيه لحناً مليحاً وشربنا عليه بقيّةَ يومنا.

وعده يسر بالسكر معه قبل رمضان ولم يف فقال فيه شعراً:

أخبرني عليّ بن العباس قال حدّثني سَوّادة بن الفَيْض عن أبيه قال:

اتفق حسين بن الضحّاك ويُسْرٌ مرّةً عند بعض إخوانهما وشربا وذلك في العشر الأواخر من شعبان. فقال حسين ليُسْرٍ: يا سيّدي، قد هجم الصومُ علينا، فتفضّل بمجلس نجتمع فيه قبل هجومه فوعده بذلك؛ فقال له: قد سكرتَ وأخشى / أن يبدوَ لك؛ فحلَف له يسرٌ أنّه يَفِي. فلما كان من الغد كتب إليه حسين وسأله الوفاء، فجحَد الوعدَ وأنكره. فكتب إليه يقول: [٢١٧/٧]

تجاسرتَ على الغدر ... كعاداتك في الهجر
فأخلفتَ وما استخلف ... تَ من إخوانك الزُّهْرِ
لئن خِسْتَ[1] لَمَا ذلـ ... ـكَ من فعلك بالنُّكر
وما أقنعني فعلُـ ... ـك يا مختلِقَ العذر
بنفسي أنت إن سُؤتَ ... فلا بدّ من الصبر
وإن جرّعني الغيظَ ... وإن خَشّن بالصدر[2]
ولولا فَرَقي منـ ... ـك لسمّيتُك في الشعر
وعتّقتُك لا آلو ... وإن جُزْتُ مدى العُذْر[3]
أمَا تخرج من إخلا ... ف ميعادك في العَشْر
غداً يفطِمنا الصومُ ... عن الرّاح إلى الفِطْر

قال: فسألتُ الحسينَ بن الضحاك عمّا أثّر له هذا الشعرُ وما كان الجواب؛ فقال: كان أحسنَ جوابٍ وأجملَ فعل، كان اجتماعُنا قبل الصوم في بستان لمولاه، وتمّمْنا سرورَنا وقضيْنا أوطارَنا إلى الليل، وقلتُ في ذلك:

سقى اللّهُ بطنَ الدَّيْرِ من مستَوى السَّفْح ... إلى ملتقَى النَّهرين فالأَثْلِ[4] فالطَّلْحِ[5]
مَلاعِبُ قُدْن القلبَ قَسْراً إلى الهوى ... ويَسَّرْنَ ما أمّلتُ من دَرَك النُّجح
/ أَتنْسَى فلا أنسَى عتابَك بينها ... حبيبَك حتى انقاد عفواً إلى الصلح [٢١٨/٧]
سمحتُ لمن أهْوَى بصفو مودّتي ... ولكنّ من أهواه صِيغ على الشُّحّ

---

(١) كذا في أ،،، م. وخاس فلان بوعده: أخلف. وفي سائر الأصول: «خنت».
(٢) خشن بالصدر: أوغر به.
(٣) كذا في . وفي سائر الأصول: «الغدر» وهو تصحيف.
(٤) الأثل: شجر كالطرفاء إلا أنه أعظم منها وأجود عوداً، تتخذ منه الأقداح الصفر الجياد والقصاع والجفان، ورقه هدب طوال دقاق، ولا شوك له، وثمرته حمراء.
(٥) الطلح: أعظم العضاه شوكاً له عود صلب وصمغ جيد، وشوكه أحجن طويل، منبته في بطون الأودية.

شعره في يسر وفي أيام مضت له معه بالبصرة:

٢٠٨/٦ قال عليّ بن العبّاس: وأنشدني سَوَادةُ بن الفَيْض عن أبيه لحسين بن الضحّاك يصف أياماً / مضَتْ له بالبصرة ويومَه بالقُفْص[1] ومجيء يُسْرٍ إليه، وكان يسرٌ سأله أن يقول في ذلك شعراً:

تَيَسَّـرِي للْمـام[2] مـن أَمَـمِ ... ولا تُـراعِـي حمـامـةَ الحَـرَمِ

قـد غـاب ـ لا آب ـ مـن يُـراقبنـا ... ونـام ـ لا قـام ـ سـامـرُ الخَـدَمِ

فـاستَضْحِـي مُسْعِـدا يفـاوِضُنـا ... إذا خَلَـوْنـا فـي كـلِّ مُكْتَتَـم

تَبَـذَّلـي بِـبـذْلـةٌ تَقَـرُّ بهـا الـ ... ـعيـنُ ولا تَحْصَـري وتحتشمـي

ليـت نجـومَ السمـاء راكـدةٌ ... علـى دُجَـى ليلنـا فلـم تَـرِمِ

مـا لسروري بـالشـكّ ممتـزجـاً[3] ... حتـى كـأنّـي أراه فـي حُلُـمِ

فَـرِحْـتُ حتـى استخفَّنـي فـرحـي ... وشُبْـتُ عيـن اليقيـن بـالتُّهَـمِ

أمسـح عينـي مُنْتَبِتـاً نظـري ... أخـالُنـي نـائمـاً ولـم أنَـمِ

سَقْيـاً لليـلٍ أفنيـتُ مـدّتَـه ... بيـارد الـرِّيـق طيّـبِ النَّسَـمِ

أبيـضَ مُـرْتَجَّـةٍ روادفُـه ... مـا عِيـب مـن قَـرْنـه[4] إلـى القـدم

إذ قَصَبـاتُ العـريـش تجمعنـا ... حتـى تجلّـت أواخـرُ الظُّلَـمِ

[٢١٩/٧] / وليلـةٍ بتُّهـا محسَّـدةٍ[5] ... محفـوفـةٍ بـالظنـون والتُّهَـمِ

أَبُـثُّ عَبْـراتـه علـى غَصَـصٍ ... يَـرُدّ أنفـاسَـه إلـى الكَظَـمِ[6]

سَقْيـاً لقَيْطُـونهـا[7] ومُخْـدَعِهـا ... كـم مـن لِمـام بـه ومـن لَمَـمِ

لا أكفـرُ السَّيْلَحِيـن[8] أزمنـةً ... مطيعـةً بـالنَّعيـم والنِّعَـمِ

وليلـة القُفْـص إن سـألـتَ بهـا ... كـانـت شفـاءً لعلّـة السَّقَـمِ

بـات أنيسـي صـريـعَ خمـرتـه ... وتلـك إحـدى مصـارع الكـرم

---

(١) القفص: قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا قريبة من بغداد، وكانت من مواطن اللهو ومعاهد التنزه ومجالس الفرح تنسب إليها الخمور الجيدة والحانات الكثيرة. وقد أكثر الشعراء من ذكرها.

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «للإمام»، وهو تحريف.

(٣) في الأصول: «ممتزج».

(٤) في ب، س: «من فرقه» بالفاء والقاف.

(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «محسرة» بالراء المهملة، وهو تحريف.

(٦) الكظم: مخرج النفس من الحلق ومنه حديث النخعيّ: «له التوبة ما لم يؤخذ بكظمه» أي عند خروج نفسه وانقطاع نفسه.

(٧) القيطون: بيت في بيت والمخدع (كمنبر ومحكم): مثله أي الخزانة الصغيرة داخل الحجرة.

(٨) سيلحين: موضع قرب الحيرة ضارب في البر قرب القادسية ولذلك ذكره الشعراء أيام القادسية مع الحيرة والقادسية. وقيل: هو رستاق من رساتيق العراق. وقد ورد في جميع الأصول هكذا: «الشيجلين» وهو تحريف.

وبتّ عن موعد سبقت به ... ألثم درّاً مفلّجاً بفم
وابأبي من بدا بروعة «لا» ... وعاد من بعدها إلى «نعم»
أباحني نفسه ووسّدني ... يمنى يديه وبات ملتزمي
حتى إذا اهتاجت النوافس في ... سُحْرة أحوى أحمّ كالحُمَم
وقلت هُبّا يا صاحبيّ ونبّهت أباناً فهبّ كالزّلم[1]
فاستتها كالشهاب ضاحكة ... عن بارق في الإناء مبتسم
صفراء زيتيّة موشّحة ... بأزجوان ملمّع ضرم
أخذت ريحانة أراح لها ... دبّ سروري بها دبيب دمي
فراجع العذر إن بدا لك في الـ ... ـعذر وإن عدت لائماً فلم

/ حجب يسراً سيده فقال شعراً في ذلك: [٧/ ٢٢٠]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدّثني سَوادةُ بن الفَيْض المخزوميّ قال حدّثني المُعْتَمِر بن الوليد المخزوميّ قال: قال لي الحسين بن الضحّاك وهو على شراب له: ويحكم أحدّثكم عن يُسْرٍ بأعجوبة؟ قلنا: هات. قال: بلغ مولاه أنه جَر له مع أخيه سببٌ، فحجَبه كما تُحجَب النساء، وأمر بالحَجْر عليه، وأمره ألاّ يخرجَ عن داره إلا ومعه حافظٌ له موكّل به. فقلت في ذلك:

٢٠٩/٦

/ ظنّ من لا كان ظنّاً ... بحبيبي فحماه
أرصد الباب رقيباً ... لي فاكتنفاه
فإذا ما اشتاق قربي ... ولقائي منعاه
جعل الله رقيبيـ ... ـه من السوء فداه
والذي أفرح في الشا ... دن قلبي ولواه
كل مشتاق إليه ... فمن السوء فداه
سيّما من حالت الأحـ ... ـراس من دون مناه

سأل أبا نواس أن يصلح بينه وبين يسر ففعل:

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدّثنا أحمد بن العباس الكاتب قال حدّثني عبدالله بن زكريّا الضّرير قال:

قال أبو نواس: قال لي حسين بن الضحّاك يوماً: يا أبا عليّ، أمَا ترى غضبَ يُسْرٍ عليّ! فقلت له: وما كان سبب ذلك؟ قال: حالٌ أردتُها منه فمَنَعنيها فغضِبتُ؛ فأسألك أن تُصلح بيني وبينه. فقلت: وما تحبّ أن أُبلغه عنك؟ قال: تقول له:

---

(١) الزلم: السهم.

بحُزمة السُّكر وما كانا عزَمتَ أن تقتل إنسانا!
أخاف أن تهجُرني صاحياً بعد سروري بك سكرانا
[٧/ ٢٢١] / إنّ بقلبي روعةً كلما أضمر لي قلبُك هجرانا
يا ليت ظنّي أبداً كاذبٌ فإنه يصدُق أحيانا

قال: فقلت له: وَيْحَك! أتجتنبه وتريد أن تترضّاه وترسل إليه بمثل هذه الرسالة! فقال لي: أنا أعْرَف به، وهو كثير التبذّل[1]، فأبلِغه ما سألتُك؛ فأبلغتهُ فرضِي عنه وأصلحتُ بينهما.

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال:

جاءني يوماً حسين بن الضحّاك، فقلت له: أيّ شيء كان خبرُك أمسِ؟ فقال لي: اسمعه شعراً ولا أزيدك على ذلك وهو أحسن؛ فقلت: هات يا سيّدي؛ فقال:

زائرةٌ زارت على غفلةٍ يا حبّذا الزَّوْرةُ والزائره
فلم أزلْ أخدَعُها ليلتي خديعةَ السّاحر للسّاحِره
حتى إذا ما أذعَنَتْ بالرِّضا وأنعَمَتْ دارتْ بها الدائره
بتُّ إلى الصبح بها ساهراً وباتت الجوزاءُ بي ساهره
أفعل ما شئتُ بها ليلتي ومِلءُ عيني نعمةٌ ظاهره
فلم ننم إلّا على تسعةٍ من غُلْمةٍ بي وبها ثائره
سَقْياً لها لا لأخي شِعْرةٍ شِعْرتُه كالشّعرة الوافِره
وبين رجليه له حَرْبةٌ مشهورةٌ في حَقْوه[2] شاهره
وفي غدٍ يتبعها لحيةٌ تُلحقه بالكَرّة الخاسره

قال: فقلت له: زنيتَ يعلم الله إن كنتَ صادقاً. فقال: قل أنت ما شئتَ.

[٧/ ٢٢٢] / أغرى الواثق بالصبوح:

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أبو العَيْناء قال:

٢١٠/٦ دخل حسين بن الضحاك على الواثق في خلافة المعتصم / في يوم طيّب، فحثّه على الصَّبُوح فلم ينشَط له. فقال: اسمع ما قلتُ؛ قال: هات؛ فأنشده:

اسْتثِر اللهوَ من مكامنه من قبل يوم منغِّصٍ ناهي
بابنة كرْم من كفّ مُنْتطِقٍ مُؤْتَزِرٍ بالمجُون تيّاه

(١) لعله «كثير التبدّل» بالدال المهملة. أي كثير التغير لا يبقى على حال.
(٢) في أ، ء، م: «حفرة».

يَسقيك من لحظه ومن يده   سقى لطيف مجرّب داهي
كأساً فكأساً كأنّ شاربها   حيرانُ بين الذكور والسّاهي

قال: فنشِط الواثق وقال: إنّ فرصة العيش لحقيقةٌ أن تُنْتَهز؛ واصطبح ووصَل الحسين.

شعره في جارية:

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم[1] بن مهرويه قال حدّثني أبو الشِّبْل عاصمُ بن وَهْب البُرْجُمِي قال:

حجّ الحسين بن الضحّاك، فمرّ في مُنْصَرفَه على موضع يعرف بالقَرْيتَيْن[2]، فإذا جارية تَطّلع في ثيابها وتنظُر في حِرِها ثم تضربه بيدها وتقول: ما أضيعني وأضيعك! فأنشأ يقول:

مررتُ بالقريتين مُنصرِفاً   من حيث يقضي ذوو النُّهَى النُّسُكا
إذا فتاةٌ كأنها قمرٌ   للتِّمّ لمّا توسّط الفَلَكا
واضعةٌ كفَّها على حِرِها   تقول يا ضَيْعتي وضَيْعَتَكا

/ قال: فلما سمعتْ قولَه ضحكتْ وغطَّتْ وجهَها وقالت: وافضِيحتاه! أَوَ قد سمعتَ ما قلتُ!. [٧/ ٢٢٣]

شعره في شفيع خادم المتوكل:

حدّثني محمد الصُّوليّ قال حدّثني ميمون بن هارون قال:

كان الحسين بن الضحّاك صديقاً لأبي، وكنت ألقاه معه كثيراً، وكانت نفسه قد تتبّعتْ شَفيعاً بعد انصرافه من مجلس المتوكل؛ فأنشدَنا لنفسه فيه:

وأبيض في حُمْر الثياب كأنه   إذا ما بدا نِسْرينَةٌ[3] في شقائق
سقاني بكفَّيْه رحيقاً وسامَني   فسُوقاً بعينيه ولستُ بِفاسق
وأُقسم لولا خشيةُ الله وحده   ومن لا أُسمِّي كنتُ أوّل عاشقِ
وإنّي لمعذورٌ على وَجْناته   وإن وسَمَتْني شيبةٌ في المفارق
ولا عِشْقَ لي أو يُحْدِثَ الدهرُ شِرّةً   تعود بعادات الشباب المُفارقِ
ولو كنتُ شكلاً للصِّبا لاتّبعتُه   ولكن سنّي بالصِّبا غيرُ لائقِ

---

(١) في حـ «قال حدّثنا محمد بن إسحاق القاسم بن مهرويه». وفي سائر الأصول: «قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن القاسم بن مهرويه». والظاهر أنهما تحريف لأنه تكرر أكثر من مرة أن الحسن بن علي الخفاف يروي عن محمد بن القاسم بن مهرويه. (انظر الصحف ١٥١، ١٥٥، ١٦٦، ٢١٥ من هذا الجزء).

(٢) القريتان: قرية قريبة من النباج في طريق مكة من البصرة.

(٣) النسرين: ضرب من الرياحين.

توفي ابنه محمد فطلب من المتوكل أن يجري أرزاقه على زوجته وأولاده:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثنا ميمون بن هارون قال:

كان للحسين بن الضحّاك ابن يسمّى محمداً، له أرزاق، فمات فقُطِعتْ أرزاقُه. فقال يخاطب المتوكّل ويسأله أن يجعل أرزاق ابنه المتوفَّى لزوجته وأولاده:

إنّـــي أتيتُـــك شـــافعـــاً ... بـــولـــيّ عهـــد المسلمينـــا
وشبيهِـــــــك المعتـــــزّ أو ... جـــهِ شـــافـــع فـــي العـــالَمينـــا
يـــابـــن الخَـــلائـــق الأوّليـ ... ـــن ويـــا أبـــا المتـــأخّرينـــا
إنّ ابـــن عبـــدك مـــات وا ... لأيّـــامُ تختَـــرِم القَـــرينـــا
ومضـــى وخلّـــف صبيـــةً ... بعِـــرَاصِـــه مُتَلَـــدِّدينـــا[1]
/ ومُهَيْـــرةً عَبْـــرَى خِـــلا ... فَ أقـــاربٍ مُسْتَعْبِـــرينـــا
أصبحـــنَ فـــي رَيـــب الحـــوا ... دث يُحسنـــون بـــك الظُّنـــونـــا
قطَـــع الـــوُلاةُ جِـــرايـــةً ... كـــانـــوا بهـــا مُسْتَمْسِكِينـــا
فـــامْنُـــنْ بـــردّ جميـــع مـــا ... قطعـــوه غيـــرَ مـــراقِبينـــا
أعطـــاك أفضـــلَ مـــا تـــؤ ... مّـــل أفضـــلُ المتفضّلينـــا

[٧/ ٢٢٤]
٢١١/٦

قال: فأمر المتوكل له بما سأل. فقال يشكره:

يـــا خيـــرَ مُسْتَخْلَـــفٍ مـــن آل عبّـــاسِ ... اسْلَـــمْ وليـــس علـــى الأيّـــام مـــن بـــاس
أحييـــتَ مـــن أملـــي نِضْـــواً تَعـــاوَرَه ... تَعـــاقُـــبُ اليـــأس حتـــى مـــات بـــاليـــاس

هجا مغنية فهربت وانقطع خبرها:

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني محمد بن عبدالله بن مالك قال:

كنّا في مجلس ومعنا حسين بن الضحّاك ونحن على نبيذ؛ فعبِث بالمغنّية وجَمَّشها[2]؛ فصاحت عليه واستخفّتْ به. فأنشأ يقول:

لهـــا فـــي وجهِهـــا عُكَـــنُ ... وثُلْثَـــا وجهِهـــا ذَقَـــنُ
وأسنـــانٌ كـــريـــشِ البَـــطّ ... بيـــن أصـــولهـــا عَفَـــنُ

قال: فضحكنا، وبكت المغنّيةُ حتى قلتُ قد عَمِيَتْ؛ وما انتفعنا بها بقيّةَ يومنا. وشاع هذان البيتان فكَسَدَتْ من أجلهما. وكانت إذا حضرتْ في موضع أنشدوا البيتين فتُجَنّ. ثم هربتْ من سُرّ من رأى، فما عرفنا لها بعد ذلك خبراً.

---

(١) المتلدد: المتحير.

(٢) في ب، س: «وخمشها» بالخاء، وهو تصحيف.

قال جعفر وحدّثنا أبو العَيْناء أنه حضر هذا المجلس، وحكى مثلَ ما حكاه محمد.

حديثه عن سنه:

حدّثني عمّي قال حدّثني يزيد بن محمد المهلَّبيّ قال:

/ سألت حسين بن الضحّاك ونحن في مجلس المتوكل عن سنّه؛ فقال: لستُ أحفظ السنةَ التي وُلِدتُ فيها [٧/٢٢٥] بعينها، ولكنّي أذكر وأنا بالبصرة موتَ شُعْبةَ بن الحجّاج سنة ستين ومائة.

وشى به جماعة إلى المتوكل فاسترضاه بشعر فأجازه:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عليّ بن محمد بن نصر قال حدّثني خالي (يعني أحمد بن حمدون) قال:

أمر المتوكل أن يُنادمه حسين بن الضحّاك ويلازمَه؛ فلم يُطِقْ ذلك لكِبَر سنّه. فقال للمتوكل بعضُ من حضر عنده: هو يُطيق الذَّهابَ إلى القُرَى والمَوَاخيرِ والسكَر فيها ويعجِز عن خدمتك!. فبلغه ذلك، فدفع إليّ أبياتاً قالها وسألني إيصالها؛ فأوصلتُها إلى المتوكّل، وهي:

أمَا في ثمانين وفيتُها ... عَذِيرٌ وإن أنا لم أعتَذِرْ
فكيف وقد جُزتُها صاعداً ... مع الصّاعدين بتِسْع أُخَر
وقد رفع الله أقلامَه ... عن ابن ثمانين دون البشر
سوى من أصرّ على فتنةٍ ... وألحد في دينه أو كفر
وإنّي لمن أُسَراء الإلـ ... ـه في الأرض نُصْبَ صروفِ القدر
فإن يَقْضِ لي عملاً صالحاً ... أثاب وإن يَقضِ شرًّا غَفَر
فلا تَلْحَ في كِبَرٍ هدّني ... فلا ذنبَ لي أنْ بَلَغتُ الكِبَرْ
هو الشيبُ حلّ بعَقْب الشباب ... فأعقبني خَوَراً من أشَرْ
/ وقد بسَط اللّهُ لي عذرَه ... فمن ذا يلوم إذا ما عذَر
وإنّي لَفي كَنَفٍ مُغْدِقٍ ... وعزٌ بنصر أبي المنتصِرْ
يُباري الرياحَ بفضل السما ... ح حتى تَبَلَّدَ أو تَنْحسِر
له أكّد الوحيُ ميراثَه ... ومن ذا يُخالف وَحْيَ السُّوَر [٧/٢٢٦]
وما للحسود وأشياعِه ... ومَنْ كذّب الحقَّ إلا الحَجَرْ

قال ابن حمدون: فلما أوصلتُها شيّعتُها بكلامي أعذِره، وقلت: لو أطاق خدمةَ أمير المؤمنين لكان أسعدَ بها. فقال المتوكل: صدَقتَ، خُذْ له عشرين ألف درهم واحملْها إليه؛ فأخذتُها فحملتُها إليه.

ضربه الخلفاء من الرشيد إلى الواثق:

حدّثني عمّي قال حدّثني عليّ بن محمد بن نصر قال حدّثني خالي عن حسين بن الضحّاك قال:

ضربني الرشيد في خلافته لصُحْبتي ولدَه، ثم ضربني الأمينُ لمُمَايَلة ابنه عبدالله، ثم ضربني المأمون لميلي إلى

محمد، ثم ضربني المعتصم لمودّة كانت بيني وبين العبّاس بن المأمون، ثم ضربني الواثق لشيء بلغه من ذهابي إلى المتوكّل، وكلّ ذلك يَجري مجرى الوَلَع بي والتحذيرِ لي. ثم أحضرني المتوكّل وأمر شفيعاً بالولَع بي، فتغاضب المتوكّل عليّ. فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن كنتَ تريد أن تضربني كما ضربني آباؤك، فاعلم أنّ آخر ضَرْب[1] ضُرِبتُه بسببك. فضحك وقال: بل أُحسن إليك يا حسين وأصونك وأُكرمك.

وصف حاله في أواخر أيامه بشعر:

حدّثني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدّثني محمد بن محمد بن مروان الأبزاريّ[2] قال:

دخلت على حسين بن الضحّاك، فقلت له: كيف أنت؟ جعلني الله فداءَك! فبكى ثم أنشأ يقول:

أصبحتُ من أُسَراء الله مُحتَبَساً ... في الأرض نحو قضاء الله والقَدَر

إنّ الثمانين إذ وفّيتُ عِدّتها ... لم تُبْقِ باقيةً منّي ولم تَذَرِ



(١) في حـ: «سوط».

(٢) نسبة إلى أبزار، وهي قرية بينها وبين نيسابور فرسخان. وقد تقدم في صفحة ٢١٦ من هذا الجزء: «الأنباري».

/ أخبار أبي زكّار الأعمى

[٧/ ٢٢٧]

مغنّ بغداديّ قديم انقطع لآل برمك:

قال أبو الفرج: أبو زكّار هذا رجل من أهل بغداد من قدماء المُغنّين، وكان منقطِعاً إلى آل برمك، وكانوا يُؤْثِرونه ويُفْضِلون عليه إفضالاً.

قتل جعفر البرمكي وهو يغنيه:

فحدّثني محمد بن جعفر بن قُدامة قال حدّثني محمد بن عبدالله بن مالك الخُزَاعيّ قال: سمعت مسروراً يحدّث أبي قال:

لمّا أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى، دخلت عليه وعنده أبو زكّار الأعمى وهو يغنّيه بصوت لم أسمع بمثله:

فلا تَبْعَدْ[1] فكلُّ فتًى سيأتي ... عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادي

وكلُّ ذخيرةٍ لا بدّ يوماً ... وإن بَقِيَتْ تصير إلى نفَاد

ولو يُفْدَى من الحدثان شيءٌ ... فديتكَ بالطَّريف وبالتِّلاد

طلب أن يقتل مع جعفر فأمر الرشيد بالإحسان إليه:

فقلت له: في هذا والله أتيتُك! فأخذت بيده فأقمتُه وأمرت بضرب عنقه. فقال لي أبو زكّار: نَشَدتُك اللّهَ إلاّ ألحقتَني به. فقلتُ: وما رغبتُك في ذلك؟ قال: إنه أغناني عمّن سواه بإحسانه، فما أُحبُّ أن أبقى بعده. فقلت: أستأمِرُ أميرَ المؤمنين في ذلك. فلما أتيتُ الرشيدَ برأس جعفر أخبرته بقصّة أبي زكّار؛ فقال لي: هذا رجل فيه مُصْطَنَعٌ، فاضْمُمْه إليك وانظر / ما كان يُجريه عليه فأتْمِمْه له. [٦/٢١٣]

قال إسحاق الموصلي عن صوت له: هو معرق في العمى:

حدّثني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال:

غنّى عَلّويه يوماً بحضرة أبي؛ فقال أبي: مَهْ! هذا الصوت مُعْرِقٌ[2] في العَمَى. الشِّعر لبشّار الأعمى، والغناء لأبي زكّار الأعمى، وأوّلُ الصوت «عميت أمري».

---

(١) لا تبعد: لا تهلك.

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «معروف في العمى».

[٢٢٨/٧]. ٢/٧

صوت

من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

مـا جَـرَتْ خَطْـرةٌ علـى القلـب منّـي ... فيـكِ إلا استتَــرْتُ عــن أصحـابـي

مـن دمـوع تجـري، فـإن كنـتُ وحـدي ... خـاليـاً أسعـدتْ دمـوعـي انتحـابـي

إن حبّـي إيّـاكِ قـد سَـلّ جسمـي ... ورمـانـي بـالشيـب قبـل الشبـاب

لـو مَنَحْـتِ اللقـا شَفـى بـك صبّـا ... هـائـمَ القلـب قـد ثَـوى فـي التـراب

الشعر في الأبيات للسيّد الحِمْيَريّ. والغناء لمحمد نَعْجة الكوفيّ، مُغَنّ غير مشهور ولا ممّن خدم الخلفاء وليس له خبر. ولحنه المختارُ ثاني ثقيل مطلَق في مجرى البنصر. وذكر حبش أن لمحمد نعجة فيه أيضاً خفيفَ رمل بالبنصر.



/ أخبار السيّد الحِميَري [٧/٢٢٩]

نسبه:

السيّد لقبُه. واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن رَبيعة بن مُفَرِّغ الحِمْيريّ. ويكنى أبا هاشم. وأمه امرأة من الأزْد ثم من بني الحُدّان. وجدُّه يزيد بن رَبيعة، شاعر مشهور، وهو الذي هجا زياداً[١] وبنيه ونفاهم عن آل حرب؛ وحبسه عُبَيْد[٢] الله بن زياد لذلك وعذَّبه، ثم أطلقه معاوية. وخبرُه في هذا طويل يُذكر في موضعه[٣] مع سائر أخباره؛ إذ كان الغرض هاهنا ذكرَ أخبار السيّد.

ووجدتُ في بعض الكتب عن إسحاق بن محمد النَّخَعيّ قال: سمعتُ ابن عائشة والقَحْذَميّ يقولان: هو يزيد بن مُفَرِّغ، ومن قال: إنه يزيد بن معاوية فقد / أخطأ. ومفرِّغ لقبه ربيعة؛ لأنه راهن أن يشرب عُسًّا من لبن ٣/٧ فشربه حتى فرَّغه؛ فلُقِّب مفرِّغاً. وكان شَعَّاباً[٤] بسَيَالة، ثم صار إلى البصرة.

شاعر متقدّم مطبوع، وترك شعره لذمة الصحابة:

وكان شاعراً متقدِّماً مطبوعاً. يقال: إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة: بشّار، وأبو العتاهية، والسيّد؛ فإنه لا يُعْلم أن أحداً قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع.

وإنما مات ذكرُه وهجرَ الناسُ شعره لما كان يُفْرِط فيه من سَبّ أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجِه في شعره ويستعمله من قذفِهم والطعنِ عليهم، / فتُحُومي شعرُه من هذا الجنس وغيرِه لذلك، وهجره الناس تخوُّفاً [٧/٢٣٠] وتراقُباً[٥]. وله طِراز من الشعر ومذهبٌ قلّما يُلْحَقُ فيه أو يُقَارَبُه. ولا يُعرف له من الشعر كثيرٌ. وليس يخلو من مدح بني هاشم أو ذمّ غيرهم ممّن هو عنده ضدٌّ لهم. ولولا أنّ أخباره كلّها تجري هذا المَجْرى ولا تَخرج عنه لوجب ألّا نذكر منها شيئاً، ولكنّا شَرَطنا أن نأتي بأخبار مَنْ نذكره من الشعراء؛ فلم نجد بُدًّا من ذكر أسلمِ ما وجدناه له وأخلاها من سيّء اختياره[٦] على قلّة ذلك..

كان أبواه إباضيين ولما تشيع هما بقتله:

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ عن إسماعيل بن الساحر راويةِ السيّد، قال ابن عمّار وحدّثني أحمد بن سليمان بن أبي شَيْخ عن أبيه:

---

(١) هو زياد ابن أبيه الأموي. كان والياً على العراق في أيام معاوية بن أبي سفيان.

(٢) هو عُبيد الله بن زياد ابن أبيه، ولي العراق لمعاوية ثم لابنه يزيد. وهو الذي أمر بقتال الحسين بن علي رضي الله عنه.

(٣) ذكرت ترجمته في «الأغاني» (ج ١٧ ص ٥١ ـ ٧٣ طبع بولاق).

(٤) الشعاب: مصلح الشعب وهو الصدع يكون في الإناء. والسيالة: أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة.

(٥) لعله: «توقياً».

(٦) لعله: «وأخلاه من سيء أخباره».

أن أبَوَي السيّد كانا إبَاضِيَّيْن[١]، وكان منزلهما بالبصرة في غرفة بني ضَبَّة، وكان السيّد يقول: طالما سُبَّ أمير المؤمنين في هذه الغرفة. فإذا سُئِل عن التشيُّع من أين وقع له، قال: غاصَتْ عليَّ الرحمةُ غَوْصاً.

ورُوي عن السيّد أن أبويه لمّا علِما بمذهبه هَمَّا بقتله؛ فأتى عُقْبَةَ[٢] بن سَلْم الهُنائيّ فأخبره بذلك، فأجاره وبَوّأه منزلاً وهَبه له، فكان فيه حتى ماتا فورِثهما.

٧/٢٣١] / **قال راويته: إنه على مذهب الكيسانية:**

وقد أخبرني الحسن[٣] بن علي البُرّيّ عن محمد بن عامر عن القاسم بن الرَّبيع عن أبي داود سليمان بن سفيان المعروف بالحنزق[٤] راوية السيّد الحِمْيَريّ قال: ما مضى واللّهِ إلاّ على مذهب الكَيْسانيّة[٥]. وهذه القصائدُ التي يقولها الناس مثل:

* تجعفرتُ باسم الله واللّهُ أكبرُ *

و * تجعفرت باسم الله فيمن تجعفرا *

وقوله:

أيـا راكبـاً نحـو المـدينـة جَسْـرةً[٦] عُـذَافِـرةً تهـوِي بهـا كـلَّ سَبْسَـبِ
إذا مـا هـداكَ اللّـهُ لاقيـتَ جعفـراً فقـل يـا أميـن الله وابـنَ المهـذَّبِ

لغلام للسيّد يقال له قاسم الخيّاط، قالها ونَحلَها للسيّد، وجازت على كثير من الناس ممّن لم يعرف خبرَها، بمحل قاسم منه وخدمتِه إيّاه.

أوصافه الجسمية ومواهبه:

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني عليّ بن محمد النَّوفليّ قال حدّثني أبو جعفر الأعرج ابن بنت الفُضَيْل[٧] بن بَشّار قال:

كان السيِّدُ أسمرَ، تامَّ القامة، أشنبَ[٨]، ذا وَفرة[٩]، حسنَ الألفاظ، جميلَ الخطاب، إذا تحدّث في مجلس قومٍ أعطى كلَّ رجل في المجلس نصيبَه من حديثه.

---

(١) الإباضية (بكسر الهمزة): أصحاب عبدالله بن إباض الذي خرج في أيام مروان بن محمد، وهم قوم من الحرورية، زعموا أن مخالفهم كافر لا مشرك تجوز مناكحته. وكفروا علياً وأكثر الصحابة. (انظر «شرح القاموس» مادة أبض و«الملل والنحل» للشهرستاني).

(٢) هو عقبة بن سلم الهنائي من بني هناءة (بطن من الأزد). ولي البصرة لأبي جعفر المنصور. (انظر الكلام عليه في «الطبري» ق ٣ ص ١٤٥، ١٤٦، ص ٣٤٤، ٣٥٢، ٣٥٣).

(٣) في أ، م: «الحسين».

(٤) في أ، ء، م: «الحترق».

(٥) الكيسانية: فرقة من الشيعة الإمامية، وهم أصحاب كيسان مولى علي بن أبي طالب، وقيل: هو تلميذ لمحمد بن الحنفية. يجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل. ومذهبهم مبسوط في علم الكلام.

(٦) الجسرة: العظيمة من الإبل. والعذافرة: الشديدة منها.

(٧) في أ، ء، م: «الفضل».

(٨) الشنب: البياض والبريق والتحديد في الأسنان. (٩) الوفرة: ما جاوز شحمة الأذنين من الشعر.

حديث الفرزدق عنه وعن عمران بن حطان:

أخبرني أحمد قال حدّثني محمد بن عَبّاد عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ عن لَبْطة[١] بن الفرزدق قال:

/ تذاكرنا الشعراءَ عند أبي، فقال: إن هاهنا لرجلين لو أخَذَا في معنى الناس لما كنّا معهما في شيء. فسألناه [٧/ ٢٣٢] من هما؟ فقال: السيّد الحميريّ وعِمْران بن حِطّان السَّدوسِيّ[٢]، ولكنّ الله عزّ وجلّ قد شغَل كلَّ واحد منهما بالقول في مذهبه.

كان نتن الإبطين:

أخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق قال حدّثني / عليّ بن محمد النَّوْفليّ قال حدّثني أبو جعفر ابن بنت ٤/٧ الفضيل[٣] بن بشار قال:

كان السيّد أسمرَ، تامَّ الخلقة، أشْنَبَ، ذا وَفْرة، حسنَ الألفاظ، وكان مع ذلك أنْتَنَ الناس إبطين، لا يقدِر أحدٌ على الجلوس معه لنَتْن رائحتهما.

مدح الأصمعي شعره وذم مذهبه:

قال حدّثني التَّوَّزِيّ قال: رأى الأصمعيّ جزءاً فيه من شعر السيّد، فقال: لمن هذا؟ فسترتُه عنه لعلمي بما عنده فيه؛ فأقسم عليّ أن أُخبِره فأخبرتُه؛ فقال: أنْشِدْني قصيدةً منه؛ فأنشدتُه ثم أخرى وهو يَسْتزيدني، ثم قال: قبحه الله ما أسلكه لطريق الفحول! لولا مذهبُه ولولا ما في شعره ما قدّمتُ عليه أحداً من طبقته.

مدح أبو عبيدة شعره:

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم قال: سمعت أبا عبيدة يقول: أشعر المُحْدَثين السيّد الحميريّ وبشار.

قال راويته: إنه على مذهب محمد بن الحنفية:

أخبرني عمّي قال حدّثني الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ عن أبي شُرَاعة القَيْسيّ عن مسعود بن بِشر:

/ أن جماعةً تذاكروا أمرَ السيّد، وأنه رجَع عن مذهبه في ابن الحَنَفيّة[٤] وقال بإمامة جعفر[٥] بن محمد. فقال [٧/ ٢٣٣]

---

(١) في الأصول: «ليطه» بالياء المثناة من تحت. والتصويب عن «القاموس» مادة «لبط».

(٢) كذا في حـ: وج ١٦ ص ١٥٢ من «الأغاني» طبع بولاق، وقد وردت فيه ترجمته. وفي سائر الأصول هنا: «الدوسي»، وهو تحريف.

(٣) انظر الحاشية رقم ٥ في الصفحة السابقة.

(٤) هو محمد بن علي بن أبي طالب، وأمه خولة بنت جعفر من بني حنيفة، وكنيته أبو القاسم. وكانت الكيسانية التي ذكرت آنفاً والتي منها السيد الحميري تعتقد إمامته وأنه بجبل رضوى (جبل بالمدينة) في شعب منه وأنه لم يمت، دخل الجبل ومعه أربعون من أصحابه ولم يوقف لهم على خبر، وهم أحياء يرزقون. ويقولون: إنه مقيم في هذا الجبل بين أسد ونمر وعنده عينان نضاختان تجريان عسلاً وماء، وأنه يرجع إلى الدنيا فيملؤها عدلاً. وقد زعمت الشيعة أنه المهدي. هكذا ذكره ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (ج ١ ص ٦٤٠ طبع بولاق) و «تهذيب التهذيب». وقد تضمنت القصيدة الدالية الواردة في هذه الترجمة جميع ما ذكر.

(٥) هو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب. ذكر في «الملل والنحل» بعد كلام كثير: «والشيعة متفقون في سوق الإمامة إلى جعفر بن محمد الصادق مختلفون في المنصوص عليه بعده من أولاده». وجاء في =

ابنُ الساحر راوِيتُه: والله ما رجع عن ذلك ولا القصائدُ الجَعْفريّات إلا منحولةٌ له قيلتْ بعده. وآخرُ عهدي به قبل موته بثلاث وقد سمع رجلاً[1] يروى عن النبيّ ﷺ أنه قال لعليّ عليه السلام: «إنه سيُولد لك بعدي ولدٌ وقد نَحَلتُه اسمي وكُنْيتي» فقال في ذلك وهي آخر قصيدة قالها:

أشاقَتْك المنازلُ بعد هند ... وتِربَيْها وذاتِ الدَّلّ دَعْدِ

منازل أقفرتْ منهنّ مَحّتْ[2] ... معالمُهن من سَبَلٍ[3] ورَعْد

وريحٍ حَرْجَفٍ[4] تَسْتَنُّ فيها ... بسافِي التُّرْب تُلْحِم ما تُسَدِّي

ألم يَبْلُغك والأنباءُ تَنْمِي ... مقالُ محمدٍ فيما يؤدِّي

إلى ذي علمه الهادي عليّ ... وخَوْلةُ خادمٌ في البيت تَرْدِي[5]

[٧/٢٣٤] / ألم تر أنّ خولةَ سوف تأتي ... بواري الزَّنْد صافي الخِيم[6] نَجْد

يفوز بكنيتي واسمي لأنّي ... نَحَلْتُهما[7] والمهديّ بعدي

يُغَيَّب عنهم حتى يقولوا ... تضمَّنه بطَيْبة بطنُ لَحْد

سنينَ وأشهراً ويُرى برَضْوَى ... بشِعْب بين أنْمار وأُسْد

مقيمٌ بين آرامٍ وعِينٍ ... وحَفّانٍ[8] تروح خِلالَ رُبْد

تُراعِيها السِّباع وليس منها ... ملاقيهنّ مفترساً بحَدّ

أمِنّ به الرَّدَى فرتَعْن طَوراً[9] ... بلا خوف لدى مَرْعًى ووِرْد

حلَفْتُ بربّ مكة والمُصَلّى ... وبيتٍ طاهر الأركان فَرْد

يطوف به الحَجيجُ وكلَّ عامٍ ... يَحُلّ لديه وفدٌ بعد وفدِ

لقد كان ابنُ خَوْلةَ غيرَ شكّ ... صَفاءَ ولايتي وخُلُوصَ وُدِّي

فما أحدٌ أحبّ إليّ فيما ... أُسِرّ وما أبوح به وأُبْدي

سوى ذي الوحي أحمد أو عليٍّ ... ولا أزكى وأطيب منه عندي

= «الملل والنحل» أيضاً: «الباقرية والجعفرية الواقفة أصحاب أبي جعفر محمد بن علي الباقر وابنه جعفر الصادق قالوا بإمامتهما وإمامة والدهما زين العابدين إلا أن منهم من توقف على واحد منهما». («الملل والنحل» ص ١٢٤ ـ ١٢٥).

(١) في حـ: «راويا».

(٢) محت: عفت.

(٣) السبل: المطر. وفي ب، س: «سيل» بالياء المثناة.

(٤) ريح حرجف: باردة. وتستن: تعدو فيها إقبالاً وإدباراً.

(٥) تردي: تلعب، يقال: الجواري يردين ردياً إذا رفعن رجلاً ومشين على أخرى يلعبن.

(٦) الخيم: الطبيعة والسجية.

(٧) في الأصول: «نحلتهما هو المهدي».

(٨) الحفان: صغار النعام.

(٩) كذا بالأصل ولعله: «صوراً» جمع صوراء وهي المائلة العنق على أن يكون المراد أنها لا ترفع رأسها خوف ما يزعجها.

٥/٧ / ومن ذا يا ابنَ خولةَ إذ رمتني ... بأسْهُمِها المنيّةُ حين وعدي
يُذَبِّبُ عنكُم ويَسُدّ مما ... تَثَلّم من حصونكم كسَدّي
وما لي أن أمُرّ به ولكن ... أؤمِّل أن يؤخَّر يوم فَقْدي
فأدرك دولةً لك لستَ فيها ... بجبّار فتُوصَفَ بالتَّعدّي
على قوم بَغَوْا فيكم علينا ... لتُعْدِي منكم[1] يا خير مُعْدِ
لِتَغْلُ بنا عليهم حيث كانوا ... بغَوْرٍ من تِهامة أو بنجد
[٧/ ٢٣٥] / إذا ما سِرتَ من بلد حرامٍ ... إلى من بالمدينة من مَعَدّ
وماذا غرّهم والخيرُ منهم ... بأشْوسَ[2] أغْصَلِ الأنياب وَرْد
وأنت لمن بغى وعَدَا وأذكى ... عليك الحربَ واستردادك مُرْدِ

في البيتين الأوّلين من هذه القصيدة غناء، نسبته:

صوت

أشاقتك المنازلُ بعد هندٍ ... وتِربَيْها وذاتِ الدَّلّ دعد
منازلُ أقفرت منهنّ مَحْتٌ ... معالمهُنّ من سَبَلٍ ورعد

عروضُه من الوافر. الشعر للسيّد الحِميريّ. والغناء لمعبد ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن يحيى المكيّ. وذكر الهشاميّ أنه لكَرْدَم. وذكر عمرو بن بانة أن اللّحن لمالك ثقيلٌ أوّل بالوسطى.

ذكر إسماعيل بن الساحر مذهبه وكان راويته:

وقال إسماعيل بن الساحر راوية السيّد: كنتُ عنده يوماً في جَناح له، فأجال بصرَه فيه ثم قال: يا إسماعيل، طال والله ما شُتِم أميرُ المؤمنين عليٌّ في هذا الجناح. قلت: ومن كان يفعل؟ قال: أبَوَايَ. وكان يذهب مذهب الكَيْسانيّة ويقول بإمامة محمد بن الحنفيّة، وله في ذلك شعر كثير. وقد روَى بعضُ من لم تَصِحّ روايتُه أنه رجع عن مذهبه وقال بمذهب الإماميّة[3]، وله في ذلك:

تجعفرتُ باسم الله واللّهُ أكبر ... وأيقنتُ أنّ الله يعفو ويغفِر

[٧/ ٢٣٦] / وما وجدنا ذلك في رواية مُحَصّل، ولا شعرُه أيضاً من هذا الجنس ولا في هذا المذهب، لأن هذا شعر ضعيفٌ يتبيّن التوليدُ فيه، وشعرُه في قصائده الكيسانيّة مُبَايِنٌ لهذا جزالةً ومتانةً، وله رونق ومعنى ليسا لِما يُذكر عنه في غيره.

---

(١) يقال: استعداه فأعداه أي استنصره فنصره. ويحتمل أن «منكم» صفة لمحذوف أي لتنصر حزباً أو فريقاً منكم.

(٢) الشوس: النظر بمؤخر العين وإمالة الوجه في شق العين التي ينظر بها، ويكون ذلك من الكبر والتيه أو الغضب. وأعصل الأنياب: معوجها.

(٣) الإمامية: هم القائلون بإمامة علي عليه السلام بعد النبيّ ﷺ نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين. (انظر الكلام على ذلك بإسهاب في «الملل والنحل» ص ١٢٢ طبع أوروبا).

مدح الأصمعي شعره وذم مذهبه:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد الثُّمَاليّ قال حدّثني التَّوَّزيّ قال قال لي الأصمعيّ: أُحِبّ أن تأتيني بشيء من شعر هذا الحميريّ فَعَل الله به وفعل؛ فأتيتُه بشيء منه؛ فقرأه فقال: قاتَله الله! ما أطْبَعه وأسلكه لسبيل الشعراء! والله لولا ما في شعره من سبّ السَّلَف لَمَا تقدّمه من طبقته أحد.

مدح أبو عبيدة شعره وكان يرويه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال:

أتيتُ أبا عبيدة مَعْمَر بن المُثَنّى يوماً وعنده رجلٌ من بني هاشم يقرأ عليه كتاباً؛ فلما رآني أطبقه. فقال له أبو عبيدة: إن أبا زيد ليس ممّن يُحْتشم منه، فاقرأ. فأخذ الكتاب وجعل يقرؤه، فإذا هو شعر السيّد. فجعل أبو عبيدة يَعْجَبُ منه ويستحسنه. قال أبو زيد: وكان أبو عبيدة يَرويه. قال: وسمعتُ محمد / بن أبي بكر المُقَدَّميّ يقول: سمعت جعفر[1] بن سليمان الضُّبَعي يُنشد شعر السيّد. ٦/٧

أخبرني ابن دَرَيْد قال: سُئل أبو عبيدة مَنْ أشعرُ المولَّدِين؟ قال: السيّد وبشّار.

كثرة شعره وعدم الإحاطة به:

وقال الموصليّ حدّثني عمّي قال:

جمعتُ للسيّد في بني هاشم ألفين وثلثمائة قصيدة؛ فخِلْتُ أنْ قد استوعبتُ شعرَه، حتى جلس إليّ يوماً رجلٌ ذو أطمارٍ رَثّةٍ، فسمعني أُنشد شيئاً من شعره، / فأنشدني له ثلاثَ قصائد لم تكن عندي. فقلت في نفسي: لو كان هذا يعلم ما عندي كلّه ثم أنشدني بعده ما ليس عندي لكان عجيباً، فكيف وهو لا يعلم وإنما أنشد ما حَضَره! وعرفتُ حينئذ أن شعره ليس ممّا يُدرك ولا يُمكن جمعهُ كله. [٢٣٧/٧]

رأي بشار فيه:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرَانيّ عن ابن عائشة قال:

وقف السيّد على بشّار وهو يُنشد الشعر؛ فأقبل عليه وقال:

أيّها المادحُ العبادَ ليُعْطَى ... إنّ لله ما بأيدي العبادِ

فاسألِ اللّهَ ما طلبتَ إليهم ... وارْجُ نفعَ المُنَزِّلِ العَوّادِ

لا تَقُلْ في الجَواد ما ليس فيه ... وتُسَمّي البخيلَ باسم الجَوادِ

قال بَشّار: من هذا؟ فعُرِّفَه؛ فقال: لولا أن هذا الرجل قد شُغِل عنّا بمدح بني هاشم لشغلَنا، ولو شاركنا في مذهبنا لأتعبنا. ورُوي في هذا الخبر أنّ عِمران بن حطّان الشّارِي[2] خاطب الفرزدقَ بهذه المخاطبة وأجابه بهذا الجواب.

---

(١) يكنى أبا سليمان النصري، كان ينزل في بني ضبيعة فنسب إليهم. وهو حسن الحديث معروف بالتشيع. (انظر «تهذيب التهذيب» ج ١ ص ٩٦).

(٢) الشاري: أحد الشراة وهم طائفة من الخوارج يزعمون أنهم شروا أنفسهم وابتاعوا آخرتهم بدنياهم. قال أحدهم وهو معدان الإيادي: =

إذا قال في شعره «دع ذا» أتى بعده سب السلف:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش عن سعيد بن المسيّب عن أبي سعيد السكّريّ عن الطُّوسِيّ قال: إذا رأيتَ في شعر السيّد «دَعْ ذا» فدعه؛ فإنه لا يأتي بعده إلا سَبُّ السّلف أو بَلِيّةٌ من بلاياه.

قال له ابن سيرين في رؤيا قصها عليه: تكون شاعراً:

ورَوى الحسن بن عليّ بن المعتزّ الكوفيّ عن أبيه عن السيّد قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ في النوم وكأنه[1] في حديقةٍ سَبِخةٍ[2] فيها نخل طِوالٌ وإلى جانبها أرض كأنها / الكافورُ ليس فيها شيء؛ فقال: أتَدْرِيّ لمن هذا النخل؟ قلت: [٢٣٨/٧] لا يا رسول الله؛ قال: لامرىء القيس بن حُجْر، فاقلَعْها واغرِسها في هذه الأرض ففعلتُ. وأتيتُ ابنَ سِيرِينَ فقَصَصْتُ رؤيايَ عليه؛ فقال: أتقول الشعر؟ قلت: لا؛ قال: أمَا إنك ستقول شعراً مثلَ شعر امرىء القيس إلا أنّك تقوله[3] في قوم بَرَرة أطهار. قال: فما انصرفتُ إلّا وأنا أقول الشعر.

أنشد غانم الوراق من شعره لجماعة فمدحوه:

قال الحسن وحدّثني غانم الورّاق قال: خرجت إلى بادية البصرة فصِرتُ إلى عمرو بن تميم، فأثبتني بعضُهم فقال: هذا الشيخُ والله راوية. فجلسوا إليّ وأنِسوا بي، وأنشدتُهم، وبدأتُ بشعر ذي الرمّة فعرَفوه، وبشعر جرير والفرزدق فعرفوهما؛ ثم أنشدتُهم للسيّد:

أتعـرف رسمـاً بـالسّـوِيّيْـن[4] قـد دَثَـرْ ... عَفَتْـه أهـاضِيـبُ[5] السحـائـب والمطـرْ

وجـرّت بـه الأذيـالَ رِيحـانِ خِلْفَـةً ... صَبـاً ودَبُـورٌ بـالعَشِيّـاتِ والبُكَـر

منـازلُ قـد كـانـت تكـون بجـوّهـا ... هضيمُ الحشا ريّا الشَّوَى سِحرُها النظر

قَطُـوفُ الخُطَـا خَمْصـانـةٌ بَخْتَـرِيّـةٌ[6] ... كـأنّ مُحيّـاهـا سَنَـا دارة القمـر

رمَتْنـي ببُعْـد بعـد قـرب بهـا النّـوَى ... فبـانـت ولمّـا أقْـضِ مـن عَبْـدة الـوَطَـرْ

ولمـا رأتنـي خشيـة البيـن مُـوجَعـاً ... أُكَفْكِـف منّـي أدمُعـاً فَيْضُهـا[7] دِرَرْ

/ أشـارت بـأطـرافٍ إلـيّ ودمعُهـا ... كنَظْـم جُمَـانٍ خـانـه السِّلـكُ فـانتثـر [٧/٧]

وقـد كنـتُ ممّـا أحـدث البيـنُ حـاذِراً ... فلـم يُغْـنِ عنّـي منـه خـوفـيَ والحـذر

= سـلام علـى مـن بـايـع الله شـاربـاً ... وليـس علـى الحـزب المقيـم سـلام

(١) في أ، ء، م: «وكان».

(٢) السبخة: الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.

(٣) كذا في حـ. وفي ب، أ، ء، م: «تقول». وفي س: «تقوم له» وهو تحريف.

(٤) كذا في أ، ء، م. وفي سائر الأصول: «الثويين» ولم نقف عليها.

(٥) الأهاضيب: حلبات القطر.

(٦) البخترية: الحسنة المشية والجسم.

(٧) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «بيضها» بالباء الموحدة، وهو تحريف.

[٧/٢٣٩] / قال: فجعلوا يُمرِّقون[١] لإنشادي ويطرَبون، وقالوا: لمن هذا؟ فأعلمتهم؛ فقالوا: هو والله أحدُ المطبوعين، لا والله ما بقِي في هذا الزمان مثلُه.

له من الشعر ما يجوز أن يقرأ على المنابر:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سَعيد الدِّمَشْقيّ قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال: سمعتُ عمّي يقول:

لو أنّ قصيدةَ السيّد التي يقول فيها:

إنّ يـــومَ التطهيـــرِ يـــومٌ عظيـــم ... خُـصَّ بـالفضـل فيـه أهـلُ الكِسـاءِ[٢]

قُرِئَتْ على منبر ما كان فيها بأسٌ، ولو أن شعره كلَّه كان مثلَه لرويناه وما عِبْناه.

وأخبرني أبو الحسن الأَسَدِيّ قال حدّثنا العباس بن ميمون طائع قال حدّثنا نافع عن التَّوَّزِيّ بهذه الحكاية بعينها فإنّه قالها في:

* إن يوم التَّطْهير يوم عظيم *

قال: ولم يكن التَّوَّزِيّ متشيّعاً.

سمع أعرابي شعره ففضله على جرير:

قال عليّ بن المغيرة حدّثني الحسين بن ثابت قال:

قدِم علينا رجل بدويٌّ وكان أروى الناس لجرير، فكان يُنشدني الشيءَ من شعره، فأُنْشِد في معناه للسيّد حتى أكثرتُ. فقال لي: ويحك! من هذا؟ هو والله أشعر من صاحبنا.

[٧/٢٤٠] **مدح السفاح فأمر له بما أراد:**

أخبرني أبو الحسن الأَسَدِيّ قال حدّثني الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ عن ابن عائشة قال:

لمّا استقام الأمر لبني العبّاس قام السيّد إلى أبي العباس السفّاح حين نزل عن المنبر فقال:

دُونَكُمـــوهـــا يـــا بنـــي هـــاشـــم ... فجَـــدِّدوا مـــن عهـــدهـــا[٣] الـــدَّارســـا

دُونَكُمـــوهـــا لا عـــلا كعـــبُ[٤] مَـــنْ ... كـــان عليكـــم مُلكَهـــا نـــافســـا

دونكُمـــوهـــا فـــالْبَســـوا تـــاجَهـــا ... لا تَعْـــدَمـــوا منكـــم لـــه لابســـا

---

(١) يمرقون: يغنون. والتمريق: ضرب من الغناء وهو غناء السفلة والإماء. وفي الأصول: «يمزقون» بالزاي المعجمة، وهو تصحيف.

(٢) روى واثلة بن الأسقع (صحابي مشهور): أن رسول الله ﷺ جاء ومعه علي وحسن وحسين آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهما كساءه ثم تلا هذه الآية: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي». (انظر «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» ج ٧ ص ٤ طبع بولاق). وقد جاءت هذه القصة بروايات أخر فانظرها في («روح المعاني» ج ٧ ص ٤٤).

(٣) في أ، ء، م: «عهدنا».

(٤) لا علا كعبه: لا شرفه الله ولا أسعده.

لـو خُيِّـر المنبـرُ فُـرسـانَـه ... مـا اختـار إلاّ منكُـم فـارسـا
قـد سـاسهـا قبلكُـم سـاسـةٌ ... لـم يتـركـوا رَطْبـاً ولا يـابسـا
ولسـتُ مـن أن تَمْلكـوهـا إلـى ... مَهْبِـط عيسـى فيكُـم آيسـا

فُسّر أبو العباس بذلك، وقال له: أحسنتَ يا إسماعيل! سَلْني حاجتَك؛ قال: تُوَلّي سليمان بن حبيب الأهواز، ففعل.

أنشد لجعفر بن محمد شعراً فبكى:

وذكر التَّميميّ - وهو علي بن إسماعيل - عن أبيه قال: كنت عند أبي عبدالله جعفر بن محمد إذ استأذن آذِنُه للسيّد، فأمره بإيصاله، وأقعد حُرَمَه خلف سترٍ. ودخل فسلّم وجلس. فاستنشده فأنشده قولَه:

اُمْـرُرْ علـى جَـدَثِ الحسيـ ... ـن فَقُـل لأعْظُمِـه الـزكيّـه
آأعْظُمـاً لا زِلْـتِ مـن ... وَطْفَـاءَ[1] سـاكبـةٍ رَوِيّـة
وإذا مـررتَ بقبـره ... فـأطِـلْ بـه وَقْـفَ المطِيّـه
/ وابْـكِ المُطَهَّـرَ للمُطَهَّـ ... ـر والمطهَّـرة النَّقِيّـة
كبُكـاء مُعْـوِلَـةٍ أتـت ... يـومـاً لـواحـدهـا المنيّـه

[٢٤١/٧]

قال: فرأيتُ دموع جعفر بن محمد تتحدّر على خدّيه، وارتفع الصُّراخ والبكاء من داره، / حتى أمره بالإمساك فأمسك. قال: فحدّثت أبي بذلك لمّا انصرفت؛ فقال لي: ويلي على الكَيْسانيّ الفاعل ابن الفاعل! يقول:

$\frac{٨}{٧}$

فـإذا مـررتَ بقبـره ... فـأطِـل بـه وقْـفَ المطيّـه

فقلت: يا أبتِ، وماذا يصنع؟ قال: أوَ لا يَنْحر! أوَ لا يقتُل نفسَه! فثَكِلَتْه أُمُّه!.

يحاكم إليه رجلان من بني دارم في أفضل الناس بعد النبيّ ﷺ:

حدّثني أبو جعفر الأعرج - وهو ابن بنت الفُضَيل[2] بن بَشّار - عن إسماعيل بن الساحر راويةِ السيّد - وهو الذي يقول فيه السيّد في بعض قصائده:

وإسمـاعيـلُ يَبْـرُزُ مـن فـلانٍ ... ويـزعُـم أنّـه للنّـارِ صـالِـي[3]

قال: تلاحى رجلانِ من بني عبدالله بن دَارِم في المُفاضلة بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وآله؛ فَرضِيا بحكم أوّل من يطلُع. فطلع السيّدُ، فقاما إليه وهما لا يعرفانِه، فقال له مُفضِّل عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه منهما: إني وهذا اختلفنا في خير الناس بعد رسول الله ﷺ، فقلت: عليّ بن أبي طالب. فقطع السيّدُ كلامَه ثم قال:

---

(١) وطفاء: بينة الوطف. والوطف في السحاب: أن يكون في وجهه كالحمل الثقيل، أو هو استرخاء في جوانبه لكثرة مائه.
(٢) انظر الحاشية رقم ٥ ص ٢٣١ من هذا الجزء.
(٣) لعله يريد أن إسماعيل هذا ينحدر من أب حقير مجهول ويزعم أنه كريم يوقد النيران للقرى كعادة العرب المعروفة.

وأيَّ شيء قال هذا الآخَرُ ابنُ الزانية! فضحك مَنْ حضر ووجَم الرجلُ ولم يُحِرْ جواباً.

جعفر بن محمد وشعر السيد:

وقال التَّميميّ وحدّثني أبي قال قال لي فُضَيل الرسان[1]:

[٧/٢٤٢] / أُنْشِد جعفرُ بن محمد قصيدةَ السيّد:

لأُمّ عمـرو بـاللِّـوَى مَـرْبَـعُ ... دارسـةٌ أعـلامُـه بَلْقَـعُ

فسمِعتُ النَّحيبَ من داره. فسألني لمن هي، فأخبرتُه أنها للسيّد، وسألني عنه فعرَّفتُه وفاتَه؛ فقال: رحمه الله. قلت: إنّي رأيتُه يشرب النبيذَ في الرُّسْتاق[2]؛ قال: أتعني الخمر؟ قلت نعم. قال: وما خطرُ ذنْبٍ عند الله أن يغفِره لمُحِبّ عليٍّ!.

كان يقول بالرجعة:

وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال: جاء رجلٌ إلى السيّد فقال: بلغني أنك تقول بالرَّجْعة[3]؛ فقال: صدق الذي أخبرك، وهذا دِيني. قال: أفتعطيني ديناراً[4] بمائة دينار إلى الرَّجْعة؟ قال السيّد: نعم وأكثر من ذلك إن وثَّقتَ لي بأنك تَرْجِع إنساناً. قال: وأيَّ شيء أرجع! قال: أخشى أن تَرجِع كلباً أو خِنْزيراً فيذهب مالي؛ فأفحمه.

جعفر بن عفان الطائي وعمر بن حفص:

أخبرني[5] الحسن بن عليّ قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد قال قال جعفر بن عفّان الطائي الشاعر: أهدى إليّ سليمان[6] بن علي مُهْراً أعجبني وعزَمْتُ[7] تربيتَه. فلما مضت عليّ أشهرٌ عزَمتُ على الحجّ، ففكّرت في صديق لي أُودِعه المهرَ ليقومَ عليه، فأجمع رأيي على رجل من أهلي يقال له عمر بن حَفْص، فصِرْتُ إليه فسألته أن / يأمر [٧/٢٤٣] سائسَه بالقيام عليه وخبّرتُه بمكانه من قلبي؛ ودعا بسائسه فتقدّم إليه في ذلك؛ ووهبتُ للسائس دراهمَ وأوصيتُه به، ومضيتُ إلى الحجّ. ثم انصرفتُ وقلبي متعلّق، فبدأتُ بمنزل عمر بن حفص قبل منزلي لأعرف حالَ المهر، فإذا هو قد رُكِبَ حتى دَبِرَ ظهرُه وعَجِفَ من قلّة القيام عليه. فقلت له: يا أبا حفص، أهكذا أوصيتُك من هذا المهر! فقال: وما ذنبي! لم يَنْجَع فيه العَلَفُ. فانصرفتُ به وقلت:

---

(١) هو فضيل الرسان بن الزبير من أصحاب محمد بن عليّ وأبي خالد الواسطي ومنصور بن أبي الأسود، وكان من متكلمي الزيدية (عن «فهرست ابن النديم» ص ١٧٨ طبع أوروبا).

(٢) الرستاق: السواد والقرى (فارسيّ معرب). قال ياقوت: الذي شاهدناه في زماننا في بلاد الفرس أنهم يعنون بالرستاق كل موضع فيه مزدرع وقرى. (انظر «شرح القاموس» مادة رزدق).

(٣) الرجعة: أن يؤمن بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت، وهو مذهب قوم من العرب في الجاهلية، ومذهب طائفة من المسلمين من أولى البدع والأهواء يقولون: إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حيا كما كان.

(٤) كذا في «تجريد الأغاني». وفي أ، م، ء: «مهياراً». وفي ب، س، حـ: «مهنياراً». وهو تحريف.

(٥) هذه القصة ليست لها مناسبة واضحة في ترجمة السيد الحميري.

(٦) هو سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس، مات وهو على البصرة سنة ١٤٢ هـ. وعمره تسع وخمسون سنة.

(٧) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «وزعمت» وهو تحريف.

مَنْ عاذري من أبي حفص وثِقْتُ به ... وكان عندي له في نفسه خطرُ

فلم يكن عند ظنّي في أمانته ... والظنّ يُخْلَف والإنسانُ يُخْتَبَر

/ أضاع مهري ولم يُحسن ولايَتَه ... حتى تبيّن فيه الجَهْدُ والضّرر

٩/٧

عاتبتُه فيه في رفق فقلتُ له ... يا صاحِ هل لك من عذر فتعتذِر

فقال داءٌ به قِدْماً أضرّ به ... وداؤه الجوعُ والإتعاب والسفر

قد كان لي في اسمه عنه وكُنْيَتِه ... لو كنتُ مُعْتَبِراً ناهٍ ومُعْتَبَر

فكيف ينصحني أو كيف يحفظني ... يوماً إذا غِبتُ عنه واسمه عمر

لو كان لي وَلَدٌ شتّى لهم عددٌ ... فيهم سميُّوه إن قلّوا وإن كثُروا

لم ينصحوا لي ولم يُبْقُوا عليّ ولو ... ساوى عديدَهمُ الحصباءُ والشجرُ

أرسل إلى المهدي يهجو بني عدي وبني تيم ويطلب إليه أن يقطع عطاءهم:

قال وحدّثني أبو سليمان النّاجي قال: جلس المهديّ يوماً يعطي قريشاً صِلاتٍ لهم وهو وليُّ عهدٍ، فبدأ ببني هاشم ثم بسائر قُريش. فجاء السيّد فرفع إلى الرّبيع[1] رقعةً مختومة وقال: إن فيها نصيحة للأمير فأوصِلْها إليه، فأوصلها، فإذا فيها:

/ قُل لابن عَبّاسٍ سَمِيِّ محمّدٍ ... لا تُعْطِيَنّ بني عَدِيّ[2] درهمَا [٧/٢٤٤]

احْرِمْ بني[3] تَيم بن مُرّةَ إنهم ... شرُّ البريّة آخراً ومُقَدَّما

إن تُعْطِهمْ لا يشكروا لك نعمةً ... ويكافئوك بأن تُذَمّ وتُشْتما

وإنِ ائتمنتهمُ أو استعملتَهم ... خانوك واتّخذوا خَراجك مَغْنما

ولئن منعتَهمُ لقد بَدَءوكُم ... بالمَنْع إذ ملكوا وكانوا أظلما

منعوا تُراثَ محمدٍ أعمامَه ... وابْنَيْهِ وابنتَه عَدِيلةَ مَرْيما[4]

وتأمّروا من غير أن يُسْتَخْلَفوا ... وكفى بما فعلوا هنالك مَأْثَما

لم يشكروا[5] لمحمد إنعامَه ... أفيشكرون لغيره إن أنعما

---

(١) هو الربيع بن يونس بن محمد بن عبدالله مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، حاجب المنصور الخليفة العباسي وأوثق رجاله عنده. وزر له بعد أبي أيوب المورياني، توفي سنة سبعين ومائة. وقال الطبري: توفي سنة تسع وستين ومائة، قيل: إن الهادي سمه، وقيل: إنه مرض ثمانية أيام ومات. (انظر «وفيات الأعيان» ج ١ ص ٢٦٠ طبع بولاق).

(٢) هم بنو عدي بن كعب رهط عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) هم رهط أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٤) الذي بقي من أعمامه هو العباس بن عبد المطلب وقد مات بعده ﷺ. ويعني بابنيه: الحسن والحسين. وبابنته فاطمة عليها السلام. وبمريم بنت عمران أم عيسى عليه السلام.

(٥) في الأصول: «لا يشكروا...».

واللّـــهُ مـــنّ عليهـــمُ بمحمـــد ... وهـــداهـــمُ وكَســا الجنُــوبَ وأطْعمــا

ثـــم انبـــرَوْا لـــوصيِّـــه ووليّـــه ... بـــالمُنْكَـــرات فجـــرَّعـــوه العَلْقَمــا

وهي قصيدةٌ طويلة حُذف باقيها لقبح ما فيه. قال: فرمَى بها إلى أبي عُبيد الله[1] ثم قال: اقطع العطاءَ فقطَعه؛ وانصرف الناس؛ ودخل السيّد إليه، فلما رآه ضحك وقال: قد قبِلنا نصيحتَك يا إسماعيل، ولم يُعطهم شيئاً.

أخبرني به عمّي عن محمد بن داود بن الجرّاح عن إسحاق النَّخَعيّ عن أبي سليمان الريَّاحيّ[2] مثلَه.

[٧/٢٤٥] / ناظره شيطان الطاق في الإمامة فقال شعراً:

أخبرني الحسن بن محمد بن الجمهور القُمّيّ[3] قال حدّثني أبي قال حدّثني أبو داود المسترِق راويةُ السيّد:

أنه حضر يوماً وقد ناظره محمد بن عليّ بن النعمان المعروف بشيطان الطَّاق[4] في الإمامة، فغلبَه محمد في دفع ابن الحنفيّة عن الإمامة؛ فقال السيّد:

ألاَ يـــا أيّهـــا الجَـــدِلُ[5] المعنّـــي ... لنـــا، مـــا نحـــن وَيْحَـــك والعَنــاءُ!

أتُبْصِـــر مـــا تقـــول وأنـــت كهـــلٌ ... تُـــراك عليـــك مـــن ورع رِداء[6]

ألا إن الأئمـــةَ مـــن قـــريـــش ... ولاةُ الحـــقّ أربعـــةٌ سَـــوَاء

علـــيٌّ والثـــلاثـــةُ[7] مـــن بَنِيـــه ... هـــمُ أسْبـــاطُـــه والأوصيـــاء

فـــأنَّـــى فـــي وصيّتـــه إليهـــم ... يكـــون الشـــك منّـــا والمِـــراء

١٠/٧ / بهـــم[8] أوصـــاهـــمُ ودعـــا إليـــه ... جميـــعَ الخلـــق لـــو سُمِـــع الـــدّعـــاء

فسِبْـــطٌ سِبْـــطُ إيمـــانٍ وحِلْـــم ... وسبـــطٌ غيّبَتْـــه كَـــرْبَـــلاء

سقَـــى جَـــدَثـــاً تضمّنـــه مُلِـــثٌّ ... هَتُـــوفُ الـــرّعـــد مُـــرْتَجِـــزٌ رِواء[9]

تَظَـــلُّ مُظِلّـــةً منهـــا عَـــزَالٍ[10] ... عليـــه وتَغْتَـــدي أُخـــرى مِـــلاء

---

(١) هو أبو عُبيد الله معاوية بن عُبيد الله بن يسار الأشعري الكاتب الوزير كان كاتب المهدي وتولى له «ديوان الرسائل». (انظر «الطبري» قسم ٣ ص ٣٥١ و ٤٦١ ـ ٤٦٤ و ٤٨٩ ـ ٤٩٠).

(٢) كذا في جميع الأصول. ولعله محرف عن الناجي، وقد تقدّم قريباً في الصفحة السابقة وسيرد في ص ٢٤٦ يروى عنه إسحاق بن محمد هذا.

(٣) كذا في «كتاب الديارات» للشابشتي و «معجم البلدان» لياقوت أثناء كلامهما على «دير قنى» وهو منسوب إلى قم. وقم (بضم القاف وتشديد الميم): مدينة بين أصبهان وساوة. وفي الأصول: «العمى» بالعين المهملة، وهو تحريف.

(٤) الطاق: حصن بطبرستان. وبه سكن محمد هذا، وإليه تنسب الطائفة الشيطانية من غلاة الشيعة.

(٥) الجدل: الشديد الخصومة.

(٦) في أ، ء، م: «رواء» بالواو.

(٧) الثلاثة: يعني بهم محمد بن الحنفية والحسن والحسين.

(٨) كذا في الأصول.

(٩) ألث المطر إلثاثاً: دام أياماً لا يقلع. وارتجز الرعد: تتابع صوته. والرواء: الكثير المروي.

(١٠) العزالي: جمع عزلاء وهي مصب الماء من الراوية والقربة في أسفلها حيث يستفرغ ما فيها من الماء. يقال: أرسلت السماء عزاليها أي كثر مطرها، يشبه اتساع المطر واندفاقه بما يخرج منها.

/ وسِبْـطٌ[1] لا يـذوق المـوتَ حتـى يقـودَ الخيـلَ يَقْـدُمها اللـواء [٤٦/٧]
مـن البيـت المحجَّـبِ فـي سَـراةٍ شُـراةٍ لَـفَّ بينهـمُ الإخـاء
عصـائـبُ ليـس دونَ أغـرَّ أجلـى بمكـة قـائـمٍ لهـمُ انتهـاءُ

رآه العبدي في النوم ينشد النبيّ ﷺ شعراً:

ـ وهذه الأبيات بعينها تُروى لكثيِّر ـ ذكر ذلك ابنُ أبي سعد فقال وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عليّ بن محمد النَّوْفَلِيُّ قال حدّثني إبراهيم بن هاشم العَبْديّ البصريّ قال:

رأيت النبيّ ﷺ في المنام وبين يديه السيّدُ الشاعر وهو يُنشد:

أجِـدّ بـآل فـاطمـةَ البُكـورُ فـدمـعُ العيـن مُنْهَمِـرٌ غـزيـرُ

حتى أنشده إيّاها على آخرها وهو يسمع. قال: فحدّثتُ هذا الحديثَ رجلاً جمعتْني وإياه طُوسُ[2] عند قبر عليّ بن موسى الرِّضا، فقال لي: والله لقد كنتُ على خلافٍ فرأيت النبيّ ﷺ في المنام وبين يديه رجل يُنشد:

* أجِدّ بآل فاطمة البُكورُ *

إلى آخرها؛ فاستيقظتُ من نومي وقد رسخ في قلبي من حبّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ما كنتُ أعتقِدُه.

أخبرني وَكيع قال حدّثني إسحاق بن محمد قال حدّثنا أبو سليمان النّاجي ومحمد بن حَليم[3] الأعرج قالا:

كان السيّد إذا استُنْشد شيئاً من شعره لم يَبْدأ بشيء إلا بقوله:

أجِـدّ بـآل فـاطمـةَ البُكـورُ فـدمـعُ العيـن مُنْهمـر غـزيـرُ

/ مدح العتبيّ شعره وألفاظه في قصيدته اللامية: [٢٤٧/٧]

قال إسحاق: وسمعتُ العُتْبيّ يقول: ليس في عصرنا هذا أحسنُ مذهباً في شعره ولا أنقى ألفاظاً من السيّد، ثم قال لبعض من حضر: أنْشِدْنا قصيدتَه اللّاميّة التي أنْشَدْتَناها اليوم؛ فأنشده قولَه:

هـل عنـد مـن أحببـتَ تَنْـوِيـلُ أم لا فـإن اللَّـومَ تَضْليـلُ
أم فـي الحشـى منـك جـوًى بـاطِـنٌ[4] ليـس تُـداويـه الأبـاطيـلُ
عُلِّقْـتَ يـا مغـرورُ خَـدّاعـةً بـالـوعـد منهـا لـك تَخْيِـيلُ

(١) يعني بسبط الإيمان الحسن بن علي، والسبط الذي غيبته كربلاء الحسين بن علي وقد قتل في كربلاء بالعراق، والسبط الذي لا يذوق الموت هو محمد بن الحنفية.

(٢) طوس: مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ، بها قبر هارون الرشيد.

(٣) في أ، ء، م: «حكيم» بالكاف.

(٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «باطل» باللام وهو تحريف.

رَيَّــا رَداح[١] النــوم خَمْصــانــة   كــأنهــا أدْمــاءُ عُطْبــول[٢]

يَشفيــك منهــا حيــن تخلــو بهــا   ضــمٌّ إلــى النحــر وتَقْبيــل

وَذوْقُ ريــقٍ طيِّــبٍ طعمُــه   كــأنــه بــالمســك مَعْلــولُ

فــي نِسْــوةٍ مثــلِ المَهَــا خُــرَّدٍ   تَضِيــق عنهــنّ الخــلاخيــلُ

يقول فيها:

أُقســم بــالله وآلائــه   والمــرءُ عمّــا قــال مســؤولُ

إنّ علــيّ بــن أبــي طــالــب   علــى التُّقَــى والبِــرِّ مَجْبــول

١١/٧ / فقال العتبيّ: أحسن والله ما شاء، هذا والله الشعر الذي يهجُم على القلب بلا حجاب.

في البيتين الأوّلين من هذه القصيدة لمُخارِق رَمَلٌ بالبنصر عن الهشاميّ، وذكر حَبَش أنه للغَريض. وفيه لحنٌ لسليمان من كتب بَذْل غيرُ مجنَّس.

كان لا يأتي في شعره بالغريب:

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن داود بن الجرّاح قال حدّثني إسحاق بن محمد النَّخَعيّ عن عبد الحميد بن عُقْبة عن إسحاق بن ثابت العطّار قال:

٢٤٨/١ / كنّا كثيراً ما نقول للسيّد: مالك لا تستعمل في شعرك من الغريب ما تسأل عنه كما يفعل الشعراء؟ قال: لأنْ أقول شعراً قريباً من القلوب يَلَذُّه مَنْ سمعه خيرٌ من أن أقول شيئاً متعقِّداً تَضِلّ فيه الأوهام.

سب محارب بن دثار وترحم على أبي الأسود:

أخبرني أحمد بن عَمّار قال أخبرنا يعقوب بن نُعيم قال حدّثني إبراهيم بن عبدالله الطَّلْحيّ راويةُ الشعراء بالكوفة قال حدّثنا أبو مسعود عمرو بن عيسى الرَّبَّاح ومحمد بن سَلَمة، يزيد بعضُهم على بعض:

أن السيّد لمّا قَدِم الكوفةَ أتاه محمد بن سهل راويةُ الكميت؛ فأقبل عليه السيّد فقال: من الذي يقول:

يَعِيــب علــيّ أقــوامٌ سَفَــاهــاً   بــأن أُرْجِــي[٣] أبــا حســن عليّــا

---

(١) الرداح: الثقيلة العجيزة. والرداح: الجمل المثقل حملاً الذي لا انبعاث له. ولعل المعنى الأخير هو الأنسب وقد استعاره هنا للنوم، أي أنها نؤوم قليلة الانبعاث من النوم. وكان هذا مستحسناً عند العرب، يقال: هي نؤوم الضحى.

(٢) الأدماء: الظبية. والعطبول: الطويلة العنق.

(٣) في ب، س: «أرجو» وهو تحريف. والإرجاء (وعدم الهمز في الفعل لغة): التأخير. وقد تكرر هذا اللفظ في ترجمة السيد الحميري وله معان: منها الإرجاء بمعنى تأخير الإمام علي (رضي الله عنه) إلى الدرجة الرابعة. والمرجئة بهذا المعنى يقابلون الشيعة وعلى هذا المعنى جاء شعر محارب بن دثار هذا. ومن معاني الإرجاء أيضاً إرجاء أمر من دخلوا الفتنة بين علي ومعاوية وتفويض أمرهم إلى الله تعالى. وعلى هذا المعنى يحمل قول السيد الآتي: أيرجى علي إمام الهدى * وعثمان ما أعند المرجيان.
أما المرجئة التي تقول: إنه لا يضر مع الإيمان معصية، ولا ينفع مع الكفر طاعة فجماعات أخر جاءت بعد ذلك. وهم أصناف أربعة: مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الخالصة.

وإرجائي أبا حسن صوابٌ ... عن العُمَرَيْنِ[1] بَرًّا أو شَقِيّا
فإن قدّمتُ قوماً قال قومٌ ... أسأتَ وكنتَ كذّاباً رَديّا
إذا أيقنتُ أنّ الله ربّي ... وأرسل أحمداً حقًّا نبيّاً
وأنّ الرُّسْلَ قد بُعِثوا بحق ... وأنّ الله كان لهم وليّا
فليس عليّ في الإرجاء بأسٌ ... ولا لَبْسٌ ولست أخاف شيّا؟

فقال محمد بن سهل: هذا يقوله مُحارِب[2] بن دِثَار الذُّهْليّ: فقال السيّد: لا كان الله وليّا للعاضّ بَظْرَ أمّه! من يُنشدنا قصيدة أبي الأسود:

/ أحِبّ محمداً حبًّا شديداً ... وعبّاساً وحمزةَ والوصيّا [٤٩/٧]

فأنشده القصيدة بعض من كان حاضراً؛ فطفِق يَسُبّ محارب بن دِثار ويترحّم على أبي الأسود. فبلغ الخبرُ منصوراً النَّمَريّ فقال: ما كان على أبي هاشم لو هجاه بقصيدة يعارض بها أبياته، ثم قال:

يَوَدُّ محارِبٌ لو قد رآها ... وأبصرهم حَوَالَيْها جُثِيّا
وأنّ لسانَه من نابِ أفعى ... وما أرجا أبا حسن عليّا
وأنّ عَجُوزَه مَصَعَتْ[3] بكلبٍ ... وكان دماءُ ساقَيْها جَرِيّا
متى تُرْجِىء أبا حسن عليًّا ... فقد أرجَيْتَ يا لُكَعُ نبيّا

كان جعفر بن سليمان كثيراً ما ينشد شعره:

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم البَزّيّ[4] قال حدّثني إسحاق بن محمد النَّخَعيّ قال حدّثني إبراهيم بن الحسن الباهِلِيّ قال:

دخلتُ على جعفر بن سليمان الضُّبَعيّ ومعي أحاديثُ لأسأله عنها وعنده قومٌ لم أعرفهم، وكان كثيراً ما يُنشد شعرَ السيّد، فمن أنكره عليه لم يحدّثه؛ فسمعتُه يُنشدهم:

/ ما تعدِلُ الدُّنيا جميعاً كلُّها ... من حوض أحمدَ شَرْبةً من ماءِ [١٢/٧]

ثم جاءه خبر فقام. فقلت للذين كانوا عنده: من يقول هذا الشعر؟ قالوا: السيد الحميريّ.

مرت به امرأة من آل الزبير فقال شعراً:

حدّثني عمّي والكُرانيّ قالا حدّثنا عبدالله بن أبي سعد عن عبدالله بن الحسين عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ عن

(١) العمران هما أبو بكر الصدّيق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.
(٢) هو محارب بن دثار بن كردوس تابعي من بني سدوس بن ذهل بن ثعلبة. ولي قضاء الكوفة وتوفي في ولاية خالد بن عبدالله القسري في خلافة هشام بن عبد الملك. وله أحاديث ولا يحتجون به. وكان من المرجئة الأولى الذين كانوا يرجئون علياً وعثمان ولا يشهدون بإيمان ولا كفر. (عن «طبقات ابن سعد»)
(٣) مصعت المرأة بولدها: رمت به.
(٤) كذا في ب، س، وفيما يأتي في جميع الأصول. وفي سائر الأصول هنا: «البري» بالراء المهملة.

الحارث بن صَفْوان، وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه:

[٧/ ٢٥٠] / أن السيّد كان بالأهواز؛ فمرّت به امرأة من آل الزبير تُزَفّ إلى إسماعيل بن عبدالله بن العباس، وسمع الجَلَبَة فسأل عنها فأُخبر بها؛ فقال:

أتتنا تُزَفّ على بغلة ... وفوق رحالتها قُبّة
زُبَيْرِيّةٌ من بنات الذي[1] ... أحلّ الحرام من الكعبة
تُزَفّ إلى ملك ماجد ... فلا اجتمعا وبها الوَجْبة[2]

روَى هذا الخبرَ إسماعيلُ بن الساحر فقال فيه: فدخلتْ في طريقها إلى خَرِبَةٍ للخَلاَءِ، فنَهشَتْها أفعى فماتت؛ فكان السيّد يقول: لَحِقَتْها دعوتي.

خرج الناس للاستسقاء فجعل يدعو عليهم:

حدّثني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل عن أبي طالب الجَعْفريّ - وهو محمد بن عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن إسماعيل بن جعفر - قال أخبرني أبي قال:

خرج أهل البصرة يستسقون وخرج فيهم السيّدُ وعليه ثيابُ خَزّ وجُبّةٌ ومِطْرَفٌ وعِمامة؛ فجعل يَجُرّ مِطْرَفَه ويقول:

اهْبِطْ إلى الأرض فخُذْ جَلْمداً ... ثم ارْمِهم يا مُزْن بالجَلْمَدِ
لا تَسْقِهم من سَبَلٍ قطرةً ... فإنهم حَرْبُ بني أحمد

رأى لوحاً في يد رجل فكتب فيه شعراً يعرض برواة الحديث من أهل السنة:

أخبرني محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثنا محمد بن إسحاق البَغَويّ قال حدّثنا الحِرْمازِيّ قال حدّثني رجل قال:

[٧/ ٢٥١] / كنت أختلف إلى ابني قيس، وكانا يرويان عن الحسن؛ فلقيني السيّد يوماً وأنا منصرِف من عندهما، فقال: أرِني ألواحَك أكتب فيها شيئاً وإلا أخذتُها فمحوت ما فيها. فأعطيتُه ألواحي فكتب فيها:

لَشَرْبَةٌ من سَويقٍ عند مَسْغَبةٍ ... وأكْلَةٌ من ثَريدٍ لحمُه وارِي
أشَدُّ ممّا روى حُبًّا إليّ بنو ... قيس وممّا رَوى صَلْتُ[3] بن دِينارِ
مِمّا رواه فلانٌ عن فلانِهمُ ... ذاك الذي كان يدعوهم إلى النار

(١) يعني به عبدالله بن الزبير بن العوّام وقد تحصن بالبيت الحرام وقاتل به. وقد شرح ذلك أبو الفرج في ج ٦ ص ٢٠٦ من هذه الطبعة.
(٢) الوجبة: لعلها المرة من وجب القلب يجب أي خفق.
(٣) هو الصلت بن دينار الأزدي البصري، كان ضعيف الحديث متهم الرواية، وكان ينال من الإمام علي كرّم الله وجهه وينتقصه.

رآه زيد بن موسى في النوم ينشد النبيّ ﷺ شعراً:

أخبرني أحمد بن عليّ الخَفّاف قال حدّثني أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل[1] بن إبراهيم بن حسن بن طَبَاطَبا قال: سمعت زيد بن موسى بن جعفر يقول:

رأيتُ رسولَ الله ﷺ في النوم وقُدّامَه رجلٌ جالسٌ عليه ثيابٌ بِيضٌ؛ فنظرتُ إليه فلم أعْرِفْه، إذ التفتَ إليه رسول الله ﷺ فقال: يا سيّد، أنشِدْني قولَك:

* لأمّ عمرو في اللِّوى مَرْبَعُ *

فأنشده إيّاها كلَّها ما غادر منها بيتاً واحداً، فحفظتُها عنه كلَّها في النوم. قال أبو إسماعيل: وكان زيد بن موسى لَحَّانَةً رديء الإنشاد، فكان إذا أنشد[2] هذه القصيدةَ لم يَتَتَعْتَعْ[3] فيها ولم يَلْحَن.

أنشد فضيل الرسان جعفر بن علي شعر فترحم عليه وترحم عليه أهله:

وقال[4] محمد بن داود بن الجرّاح في روايته عن / إسحاق النَّخَعيّ حدّثني عبد الرحمن بن محمد الكُوفيّ عن علي بن إسماعيل الهَيْثَميّ عن فُضَيْل الرسان قال: ١٣/٧

/ دخلت على جعفر بن محمدٍ أعَزّيه عن عَمّه زيد، ثم قلت له: ألاَ أُنشِدُك شعرَ السيّد؟ فقال: أنْشِد؛ فأنشدتُه قصيدةً يقول فيها: [٧/٢٥٢]

فــالنــاس يــوم البعْـث رايــاتُهــم ... خمــسٌ فمنهــا هــالــكٌ أرْبَــعُ

قــائــدُهــا العجــل وفِـرْعَـونهــم ... وســامــريّ الأمّــةِ المُفْظِــع

ومــارِقٌ مــن دينــه مُخْـرَج ... أســودُ عبــدٌ لُكَــعٌ أوْكَــع[5]

ورايــةٌ قــائــدُهــا وجهُــه ... كــأنّــه الشمــس إذا تطلُــع

فسمعتُ مُجيباً من وراء الستور فقال: من قائل هذا الشعر؟ فقلت: السيّد! فقال: رحمه الله. فقلت: جُعِلت فِداك! إني رأيتُه يشرب الخمر. فقال: رحمه الله! فما ذنبٌ على الله أن يغفِره لآل عليّ! إن محبَّ عليّ لا تَزِلّ له قَدَمٌ إلا تَثْبُتُ له أُخرى.

حدّثني الأخْفَش عن أبي العَيْناء عن عليّ بن الحسن بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جعفر بن محمد أنه ذكر السيّد فترحّم عليه وقال:

إن زلّتْ له قَدَمٌ فقد ثَبَتَتِ الأخرى.

---

(١) في أ، ء، م: «قال حدّثنا أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم... إلخ».

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «أنشده» وهو تحريف.

(٣) التعتعة في الكلام: أن يعيا بكلامه ويتردّد من حصر أو عيّ.

(٤) في الأصول: «وكان» وهو تحريف.

(٥) الأوكع: اللئيم. والظاهر أن السيد يعني رجلاً بالذات أو رجالاً من أعداء أهل البيت، يعرض بهم.

ماراه رجل في تفضيل علي فغرّقه:

نسختُ من كتاب الشَّاهِيني حدّثني محمد بن سهل الحِمْيَريّ عن أبيه قال:

انحدر السيّد الحميريّ في سفينة إلى الأهواز، فَمارَاه رجلٌ في تفضيل عليّ وباهلَه[1] على ذلك. فلما كان[2] الليل قام الرجل ليبولَ على حرف السفينة، فدفَعه السيّد فغرَّقه؛ فصاح الملاحون: غرِق والله الرجلُ! فقال السيّد: دعوه فإنّه باهليٌّ[3].

[٢٥٣/٧] / **هجا قوماً لم ينصتوا لشعره:**

أخبرني عليّ بن سليمان الأخْفَش قال حدّثني محمد بن يزيد المبردّ قال حدّثني التَّوَّزِيّ قال:

جلس السيّدُ يوماً إلى قوم، فجعل يُنشدهم وهم يَلْغَطُون؛ فقال:

قد ضيّع اللّهُ ما جمّعتُ من أدب ... بين الحَمير وبين الشَّاءِ والبقرِ
لا يَسمعون إلى قول أجيءُ به ... وكيف تَستَمِع الأنعامُ للبَشَرِ
أقول ما سكتوا إنسٌ فإن نطقوا ... قلتُ الضفادعُ بين الماء والشجر

اغتابه رجل عند قوم فهجاه:

أخبرني محمد بن جعفر النّحويّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم البَزّيّ قال حدّثنا إسحاق بن محمد النَّخَعيّ عن محمد بن الرَّبيع عن[4] سُوَيْد بن حَمْدان بن الحُصَيْن قال:

كان السيّدُ يختلف إلينا ويَغْشانا، فقام من عندنا ذاتَ يومٍ، فخلَفه[5] رجل وقال: لكم شرفٌ وقَدْر عند السلطان، فلا تجالسوا هذا فإنّه مشهور بشرب الخمر وشتمِ السلف. فبلغ ذلك السيّدَ فكتب إليه:

وَصَفْتُ لك الحوضَ يابنَ الحُصَيْن ... على صفَةِ الحارث الأعْوَرِ[6]
فإن تُسْقَ منه غداً شَرْبَةً ... تَفُزْ من نصيبك بالأوفر
فما ليَ ذنبٌ سوى أنّني ... ذكرتُ الذي[7] فرّ عن خيبر

---

(١) المباهلة: الملاعنة.

(٢) في ب، س: «قام» وهو تحريف.

(٣) يحتمل أن يكون «باهلني».

(٤) في أ، م: «ابن سويد».

(٥) في الأصول: «فتخلفه».

(٦) هو الحارث الأعور بن عبدالله بن كعب من مقدّمي أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، مات بالكوفة سنة ٦٥ هـ. (انظر «الطبري» ق ٣ ص ٢٥٢٤ طبع أوروبا).

(٧) يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك أن رسول الله ﷺ حين نزل بحصن أهل خيبر أعطى اللواء عمر بن الخطاب ونهض معه من نهض من الناس، فلقوا أهل خيبر فانكشف عمر وأصحابه فرجعوا إلى رسول الله يجبنه أصحابه ويجبنهم. فأعطى رسول الله اللواء إلى علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه فقاتل حتى فتح الله له. (انظر «الطبري» ق ١ ص ١٥٧٩). وخيبر: اسم ولاية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، كانت تشتمل على سبعة حصون ذكرها كلها ياقوت وقد افتتحها رسول الله ﷺ. (انظر «معجم البلدان» لياقوت).

[٧/ ٢٠٤] / ذكرتُ امرأً فرَّ عن مِرْحَبٍ[١] ... فِرارَ الحمارِ من القَسْوَرِ[٢]

فأنكر ذاك جليسٌ لكم ... زَنيمٌ أخو خُلُقٍ أعورِ

لَحَاني بحبِّ إمامِ الهدى ... وفاروقِ[٣] أُمَّتِنا الأكبرِ

/ سأحلِق لحيتَه إنها ... شهودٌ على الزُّور والمُنكرِ [١٤/٧]

قال: فهجر والله مشايخُنا جميعاً ذلك الرجلَ ولزِموا محبَّة السيِّد ومجالستَه.

ردّ سوّار بن عبدالله شهادته فهجاه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن زكريا الغَلاَبيّ قال حدّثنا مهديّ بن سابق.

أن السيّد تقدّم إلى سَوّار[٤] القاضي ليشهدَ عنده، وقد كان دافع[٥] المشهودَ له بذلك وقال: أعفِني من الشهادة عند سوّار، وبذَل له مالاً فلم يُعْفِه. فلما تقدّم إلى سوّار فشهد قال[٦]: ألستَ المعروفَ بالسيّد! قال: بلى؛ قال: استغفِر اللَّهَ من ذنب تجرَّأْتَ به على الشهادة عندي، قُمْ لا أرضى بك. فقام مُغْضَباً من مجلسه وكتب إلى سوّار رقعةً فيها يقول:

إن سوّار بن عبدالله ... من شرِّ القضاة

فلما قرأها سوّار وثب عن مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور وهو يومئذ نازل بالجسر، فسبقه السيّد إليه فأنشده:

[٧/ ٢٥٥] / قل للإمام الذي يُنْجَى بطاعته ... يوم القيامة من بُحْبُوحة[٧] النار

لا تستعِينَنْ جزاك الله صالحةً ... يا خير من دَبّ في حكمٍ بسَوّار

لا تَسْتَعِنْ بخبيث الرأي ذي صَلَفٍ ... جَمّ العيوب عظيمِ الكِبْر جبّار

تُضْحِي الخصومُ لديه من تجبّره ... لا يَرفعون إليه لحظ أبصار

تِيهاً وكِبْراً ولولا ما رفعتَ له ... من ضَبْعه[٨] كان عينَ الجائع العاري

---

(١) هو مرحب (كمنبر كما في «شرح القاموس») اليهودي صاحب حصن خيبر. ذكر الطبري أنه خرج يطلب البراز وقد حاصر رسول الله ﷺ الحصون، فبرز له محمد بن مسلمة فقتله. وقال في رواية أخرى وافقه فيها شارح «القاموس» (مادة رحب): إن الذي قتله هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) القسور: الأسد.

(٣) الفاروق: الذي يفرق بين الأمور ويفصلها.

(٤) هو سوار بن عبدالله التميمي العنبري قاضي البصرة وأميرها، جمع له ذلك أبو جعفر المنصور بعد عزله الهيثم بن معاوية عن إمرة البصرة، وكان سوّار يتولى قضاءها. مات سنة ١٥٧ هـ وكان عادلاً. حدث أن اشتكاه قوم إلى المنصور فكشف عن ذلك فوجده باطلاً فأقرّه في عمله. (انظر «النجوم الزاهرة» ج ٢ ص ٢٨ و ٣٠ طبع دار الكتب المصرية).

(٥) كذا في م. وفي سائر الأصول: «رافع» بالراء المهملة وهو تحريف.

(٦) في الأصول: «فقال».

(٧) بحبوحة المكان: وسطه.

(٨) الضبع في الأصل: وسط العضد بلحمه، وقيل: الإبط. وقد جاء في أساس البلاغة مادة «ضبع»: وأخذت بضبعيه ومددت بضبعيه إذا نعشته ونوّهت باسمه.

ودخل سوّارٌ؛ فلما رآه المنصور تبسّم وقال: أمَا بلغك خبرُ إياس[١] بن معاوية حيث قَبِل شهادةَ الفرزدق واستزاد في الشهود! فما أحوجك للتعريض للسيد ولسانه! ثم أمر السيّدَ بمصالحته.

مدح المنصور لما ولى ابنيه العهد:

وقال إسحاق بن محمد النَّخَعيّ حدّثني عبدالله بن محمد الجَعْفَريّ قال حدّثني محمد بن عبدالله الحِمْيَريّ قال:

دخل السيّد علي المهديّ لمّا بايع لابنَيْه موسى وهارون، فأنشأ يقول:

مـا بـالُ مَجْرَى دمْعِـكَ السـاجِـمِ ... أمِـنْ قَـذًى بـات بهـا لازِمِ
أمْ مِـن هـوًى أنـتَ لـه سـاهـر ... صبـابـةً مـن قلبـك الهـائـمِ
/ آلـيـتُ لا أمـدح ذا نـائـلٍ ... مـن مَعْشـر غيـرَ بنـي هـاشـمِ
أوْلَتْهُـمُ عنـدي يـدُ المصطفـى ... ذي الفضـل والمَـنّ أبـي القـاسـمِ
فـإنهـا بيضـاءُ محمـودةٌ ... جـزاؤهـا الشُّكْـر علـى العـالَـمِ
جـزاؤهـا حفـظُ أبـي جعفـر ... خليفـةِ الـرحمـن والقـائـمِ
وطـاعـةُ المهـديّ ثـم ابنِـه ... مـوسـى علـي ذي الإربـةِ الحـازمِ
وللـرشيـد الـرّابـع المُـرْتَضَـى ... مُفْتَـرَضٌ مـن حقّـه الـلازمِ
ملكُهُـمُ خمسـون معـدودةً ... بـرَغْـم أنـف الحـاسـد الـرّاغـمِ
ليـس علينـا مـا بقُـوا غيـرَهـم ... فـي هـذه الأُمّـة مـن حـاكـمِ
حتـى يَـرُدّوهـا إلـى هـابـط ... عليـه عيسـى منهـمُ نـاجـمِ

[٢٥٦/٧]

كان يأتي الأعمش فيكتب عنه فضائل عليّ بن أبي طالب:

١٥/٧ / وقال عليّ بن المُغيرة حدّثني عليّ بن عبدالله السَّدُوسِيّ عن المَدائنيّ قال:

كان السيّد يأتي الأعمشَ[٢] فيكتب عنه فضائلَ عليّ رضي الله عنه ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني

---

(١) هو إياس بن معاوية بن قرة بن إياس المزني البصري. كان مشهوراً بالذكاء النادر، والفراسة الصادقة، معدوداً من العقلاء الفضلاء الدهاة. ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة، وكان فقيهاً عفيفاً فطناً. توفي سنة ١٢٢ هـ. أما سماعه شهادة الفرزدق وقبولها فقد كان خوفاً من هجوه. وخبر هذه الشهادة ساقه المؤلف في «الأغاني» (ج ١٩ ص ٥٠ طبع بولاق) عن بعض شيوخ الأصمعيّ قال: شهد الفرزدق عند إياس بن معاوية فقال: أجزنا شهادة الفرزدق أبي فراس وزيدونا شهودا، فقام الفرزدق فرحاً. فقيل له: إنه والله ما أجاز شهادتك؛ قال: بلى، قد سمعته يقول: قد قبلنا شهادة أبي فراس. قالوا: أفما سمعته يستزيد شاهداً آخر! فقال: وما يمنعه ألا يقبل شهادتي وقد قذفت ألف محصنة.

(٢) هو سليمان بن مهران مولى بني كاهل الكوفي الإمام، كان ثقة عالماً فاضلاً. قال أبو معاوية الضرير: بعث هشام بن عبد الملك إلى الأعمش: اكتب لي مناقب عثمان ومساوىء عليّ. فأخذ الأعمش القرطاس وأدخلها في فم شاة فلا كتبها وقال لرسوله: قل له: هذا جوابك. فقال له الرسول: إنه قد آلى أن يقتلني إن لم آته بجوابك، ويحمل عليه بإخوانه. فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، يا أمير المؤمنين فلو كانت لعثمان رضي الله عنه مناقب أهل الأرض ما نفعتك. ولو كانت لعلي رضي الله عنه مساوىء أهل الأرض ما ضرتك. فعليك بخويصة نفسك». توفي سنة ١٤٨ هـ (انظر «وفيات الأعيان» ج ١ ص ٣٠١ طبع بولاق).

شعراً. فخرج ذاتَ يوم من عند بعض أمراء الكوفة وقد حمَله على فرس وخلَع عليه؛ فوقف بالكُنَاسة[1] ثم قال: يا معشر الكوفيّين، من جاءني منكم بفضيلة لعليّ بن أبي طالب لم أقُل فيها شعراً أعطيتُه فرسي هذا وما عَلَيّ. فجعلوا يُحدّثونه ويُنْشدهم؛ حتى أتاه رجل منهم وقال:

سمع عن عليّ قصة فنظمها:

إن أمير المؤمنين / عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه عزم على الركوب؛ فلبِس ثيابَه وأراد لُبْسَ الخُفّ [٢٥٧/٧] فلبِس أحدَ خُفّيْه، ثم أهْوَى إلى الآخَر ليأخذه فانقضّ عُقَابٌ من السماء فحلّق به ثم ألقاه فسقط منه أسْودُ[2] وانساب فدخل جُحْراً؛ فلبِس عليٌّ رضي الله عنه الخُفّ. قال: ولم يكن قال في ذلك شيئاً؛ ففكّر هنيهةً ثم قال:

ألاَ يـــا قـــومِ للعَجَـــبِ العُجـــابِ … لخُـــفّ أبـــي الحسيـــن وللحُبَـــابِ[3]
أتـــى خُفّـــاً لـــه وانســـاب فيـــه … لِيَنْهَـــش رِجلَـــه منـــه بنـــاب
فخَـــرّ مـــن السمـــاء لـــه عُقـــابٌ … مـــن العِقْبـــان أو شِبْـــهُ العُقـــابِ
فطـــار بـــه فحلّـــق ثـــم أهْـــوَى … بـــه لـــلأرض مـــن دون السّحـــاب
إلـــى جُحْـــرٍ لـــه فـــانساب فيـــه … بعيـــدِ القَعْـــرِ لـــم يُـــرْتَـــجْ ببـــاب
كـــريـــهُ الـــوجـــه أســـودُ ذو بَصِيـــصٍ … حـــديـــدُ النّـــاب أزرقُ ذو لُعـــابِ
ودُوفِـــع عـــن أبـــي حســـن علـــيٍّ … نَقيـــعُ سِمـــامـــه بعـــد انسيـــاب

ثم حرّك فرسَه ومضى وجعل تَشْبيبَها بعد ذلك:

صبـــوتُ إلـــى سُلَيْمـــى والـــرَّبَـــابِ … ومـــا لأخـــي المَشيـــبِ وللتّصـــابـــي

أخبرني أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد قال حدّثني عبدالله بن أحمد بن مُسْتورد قال:

وقف السيّد يوماً بالكوفة، فقال: من أتاني بفضيلة لعليّ بن أبي طالب ما قلتُ فيها شعراً فلَهُ دينارٌ، وذكر باقي الحديث. فأما العُقاب الذي[4] انقضّ على خفّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فحدّثني بخبره أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد الهَمْدانيّ قال / حدّثني جعفر بن علي بن نجيح قال حدّثنا أبو عبد الرحمن المسعوديّ عن أبي داود [٢٥٨/٧] الطُّهَويّ عن أبي الزَّعْل المُراديّ[5] قال:

قام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فتطهّر للصلاة، ثم نزع خُفّه فانساب فيه أفعى، فلما عاد ليَلْبَسه انقضّتْ عقابٌ فأخذته فحلّقت به ثم ألقته فخرج الأفعى منه. وقد رُوي مثل هذا لرسول الله ﷺ.

حدّثني به أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد قال حدّثني محمد بن عبيد بن عُقْبة قال حدّثنا محمد بن الصَّلْت

---

(١) الكناسة: محلة بالكوفة.
(٢) الأسود: العظيم من الحيات.
(٣) الحباب: الحية.
(٤) العقاب: يذكر ويؤنث.
(٥) كذا في «شرح القاموس» مادة «زعل» وفي الأصول: «عن أبي الزغل» بالغين المعجمة وهو تصحيف.

قال حدّثنا حيّان بن علي عن أبي سعيد عن عِكْرمة عن ابن عباس قال:

كان النبيّ ﷺ إذا أراد حاجةً تَبَاعَد حتى لا يَراه أحدُ، فنَزَع خُفّه فإذا عُقابٌ قد تدلّى فرفعه فسقط منه أسودُ سالخ. فكان النبيّ ﷺ يقول: «اللهمّ إني أعوذ بك من شرّ ما يمشي على بطنه ومن شرّ ما يمشي على رجليه ومن شرّ ما يمشي على أربع ومن شرّ الجن والإنس».

١٦/٧ قال أبو سعيد وحدّثنا / محمد بن إسماعيل الرَّاشِديّ قال حدّثنا عثمان بن سعيد قال حدّثنا حَيّان بن علي عن سعد بن طَريف عن عِكرمة عن ابن عباس مثلَه.

بلغه أن الحسن والحسين ركبا ظهر النبيّ ﷺ فقال شعراً:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا حاتم بن قَبيصة قال:

سمع السيّد محدِّثاً يحدِّث أن النبيّ ﷺ كان ساجداً، فركِب الحسنُ والحسينُ على ظهره؛ فقال عمرُ رضي الله عنه: نِعْمَ المطيُّ مطيُّكما! فقال / النبيّ ﷺ: «ونِعْمَ الراكبانِ هما». فانصرف السيّد من فَوره فقال في ذلك: [٢٥٩/٧]

أتى حسناً والحسينَ النبيُّ ... وقد جلسا حَجْرةً[١] يلعبانِ

ففَدّاهما ثم حَيّاهما ... وكانا لديه بذاك المكانِ

فراحَا وتحتَهما عاتِقاه ... فنعم المَطِيّةُ والراكبانِ

وليدان أمُّهما بَرّةٌ ... حَصَانٌ مُطَهَّرةٌ للحَصَان

وشيخُهما[٢] ابنُ أبي طالب ... فنِعْمَ الوليدانِ والوالدان

خليليَّ لا تُرْجِيا واعلما ... بأن الهُدَى غيرُ ما تزعُمَان

وأنّ عَمَى الشكِّ بعد اليقين ... وضَعْفَ البَصيرة بعد العِيان

ضلالٌ فلا تَلْجَجَا فيهما ... فبئستْ لعَمْرُكما الخَصْلتانِ

أيُرْجَى عليٌّ إمامُ الهدى ... وعثمانُ ما أعند المُرْجِيان[٣]

ويُرْجى ابنُ حَرْبٍ[٤] وأشياعُه ... وهُوجُ الخَوارج[٥] بالنَّهْروان

---

(١) الحجرة: الناحية.

(٢) كذا في «تجريد الأغاني» وفي الأصول: «وشخصهما» بالصاد المهملة، وهو تحريف.

(٣) كذا في الأصول.

(٤) يعني به معاوية بن أبي سفيان بن حرب.

(٥) الخوارج: جماعة كانوا مع علي رضي الله تعالى عنه في صفين وخرجوا عليه منهم الأشعث بن قيس وغيره. أرادوه على أن يقبل التحكيم الذي دعاه إليه معاوية وعمرو بن العاص، فأراد أن يبعث عبدالله بن العباس فرفض الخوارج ذلك وقالوا: هو منك، فحملوه على بعث أبي موسى الأشعري على أن يحكما بكتاب الله تعالى فجرى الأمر على خلاف ما رضي به. فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه وقالوا: لم حكمت الرجال! لا حكم إلا لله، وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان. وكبار فرق الخوارج ستة: الأزارقة والنجدات والصفرية والعجاردة والإباضية والثعالبة والباقون فروعهم ويجمعهم القول بالتبري عن عثمان وعلي=

يكـــون إمـــامَهـــمُ فـــي المَعـــاد خبيــثُ الهــوى مــؤمــنَ الشَّيْصَبــانِ[1]

/ مدح المنصور وعنده سوار فعارضه فهجاه:

[٧/ ٢٦٠]

وذكر[2] إسماعيل بن السَّاحر قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَرِيّ قال حدّثني محمد عن أبيه قال حدّثني أبي وعمّي عن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن يعقوب بن سعيد بن عمرو قال حدّثنا الحارث بن عبد المطَّلب قال:

كنتُ جالساً في مجلس أبي جعفر المنصور وهو بالجسر وهو قاعدٌ مع جماعة على دِجْلة بالبصرة وسَوّار بن عبدالله العَنْبَرِيّ[3] قاضي البصرة جالسٌ عنده والسيّد بن محمد بين يديه يُنْشد قولَه:

إن الإلّـــه الـــذي لا شـــيءَ يُشْبهـــه أعطـــاكـــم الملـــكَ للـــدّنيـــا وللـــدِّيـــن

أعطـــاكـــم اللّـــهُ مُلكـــاً لا زوالَ لـــه حتـــى يُقـــادَ إليكـــم صـــاحـــبُ الصِّيـــنِ

وصـــاحـــبُ الهنـــد مـــأخـــوذاً بـــرُمّتـــه وصـــاحـــبُ التُّـــرْك محبـــوســـاً علـــى هُـــون

والمنصورُ يضحك سروراً بما ينشده؛ فحانت منه التفاتةٌ فرأى وجهَ سَوّارٍ يتربّد غيظاً ويَسْوَدّ حَنَقاً ويدلُك إحدىَ يديه بالأُخرى ويتحرّق؛ فقال له المنصور: مالك! أرابَك شيءٌ؟ قال: نعم، هذا الرجلُ يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، واللّهِ يا أمير المؤمنين ما صَدَقك ما في نفسه، وإن الذين يواليهم لغَيركُم. فقال المنصور: مهلاً! هذا شاعرُنا ووليُّنا، وما عرفتُ منه إلا صدقَ محبّة وإخلاصَ نيّة. فقال له السيّد: يا أمير المؤمنين، والله ما تحمَّلتُ غَضَّكم لأحد، وما وجدتُ أبوَيّ عليه فافتتنتُ بهما، وما زلتُ مشهوراً بموالاتكم في أيام عدوّكم. فقال له: صدقت. قال: ولكن / هذا وأَهْلُوه أعداءُ الله ورسوله قديماً والذين نادَوْا رسول الله ﷺ من وراء الحُجُرات[4]، فنزلت فيهم آيةٌ من القرآن ﴿أكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُون﴾. وجرى بينهما خطابٌ طويل. فقال السيّدُ قصيدتَه التي أوّلُها:

[٧/ ٢٦١]
١٧/ ٧

قِفْ[5] بنـــا يـــا صَـــاحِ وارْبَـــعْ بـــالمَغَـــانـــي المُـــوحِشَـــاتِ

أنشدها أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار [عن][6] النَّوْفليّ، وأخبرنا محمد بخبره مع سَوّار بالقصّة من هاهنا إلى آخرها؛ وقال فيها:

= ويقدّمون ذلك على كل طاعة ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك ويكفرون أصحاب الكبائر ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً واجباً. والنهروان: كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقيّ.

(١) الشيصبان: من أسماء الشيطان.

(٢) كذا ورد في ب، س. وفي سائر الأصول: «وذكر إسماعيل بن الساحر أن السيد مر بزمعة بن صالح قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري... إلخ». والسند على كلتا العبارتين مضطرب، لأن المعروف أن إسماعيل بن الساحر راوية السيد يروي عنه مباشرة.

(٣) كذا في نسخة الشيخ الشنقيطي بخطه والخلاصة في أسماء الرجال وفيما سيأتي في شعر السيد. وفي الأصول هنا: «العنزي» وهو تحريف.

(٤) يعني وفد بني تميم يوم قدموا المدينة لمفاخرة رسول الله ﷺ، فدخلوا المسجد فوقفوا عند الحجرات (بيوت نسائه عليه الصلاة والسلام) فنادوا بصوت عال جاف: اخرج إلينا يا محمد فقد جئنا لنفاخرك. فأنزل الله تعالى: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ (انظر الكلام على هذه القصة بإسهاب في «الأغاني» ج ٤ ص ١٤٦ من هذه الطبعة).

(٥) في ب، س: «قم».

(٦) أثبتنا هذه الزيادة ليصح السند لأن أحمد بن عُبيد الله بن عمار ليس نوفلياً وإنما النوفلي هو علي بن محمد بن سليمان وقد تكررت رواية أحمد بن عبيد الله عنه في الأجزاء السابقة.

يا أمين الله يا منـ ـصورُ يا خيرَ الوُلاةِ
إنّ سوّار بن عبد الله من شرّ القُضاة
نَعْثَليٌّ[1] جَمَليٌّ[2] لكمُ غيرُ مُوَاتِ
جَدُّه سارقُ عَنْزٍ[3] فَجْرَةً من فَجَرات
لرسولِ الله والقا ذِفه بالمُنْكَرات
وابنُ من كان ينادي من وراء الحُجُراتِ
/ يا هَناةُ[4] اخرُج إلينا إننا أهلُ هَنات

[٧/٢٦٢]

مَدْحُنا المدحُ ومَنْ نَرْ مِ يُصَبْ بالزَّفَراتِ
فاكْفِنيه لا كفاه الـ ـلَّه شرَّ الطارقاتِ

اعتذر إلى سوار فلم يعذره:

فشكاه سَوّار إلى أبي جعفر، فأمَرَه بأن يصير إليه معتذراً؛ ففعل فلم يَعْذِره؛ فقال:

أتيتُ دعِيَّ بني العَنْبرِ أروم اعتذاراً فلم أُعْذَرِ
فقلتُ لنفسي وعاتبْتُها على اللوْم في فعلها أقْصِري
أيَعْتذر الحرُّ مما أتى إلى رجل من بَني العَنْبر
أبوك ابنُ سارق عَنْز النبي وأُمُّك بنت أبي جَحْدَرِ
ونحن على رَغْمِك الرَّافِضو ن لأهل الضَّلالة والمُنْكَر

بلغه أن سوّاراً يريد قطعه في سرقة فشكاه إلى المنصور:

قال: وبلغ السيّدَ أن سَوّاراً قد أعدّ جماعةً يشهدون عليه بسرقة ليَقْطَعه؛ فشكاه إلى أبي جعفر؛ فدعا بسوّارٍ وقال له: قد عزلتُك عن الحكم للسيّد أو عليه. فما تعرّض له بسوء حتى مات.

رماه أبو الخلال عند عقبة بن سلم بسب الصحابة فقال شعراً:

ورَوى عبدالله بن أبي بكر العَتَكيّ أن أبا الخَلّال العَتَكيّ دخل على عُقْبة[5] بن سَلْم والسيّدُ عنده وقد أمر له

(١) نعثل في الأصل: اسم رجل يهودي من أهل المدينة، وقيل: نعثل رجل لحياني (طويل اللحية) من أهل مصر كان يشبه به عثمان رضي الله عنه إذا نيل منه. (انظر «شرح القاموس» مادة نعثل).
(٢) نسبة إلى وقعة الجمل التي كانت بالبصرة بين علي بن أبي طالب وطلحة والزبير وعائشة والتي خرجت فيها عائشة راكبة جملاً فسميت الوقعة به.
(٣) يعني جدّه «عنزة بن نقب» وكان يقال له «سارق العنز» كانت لآل رسول الله ﷺ، وكان قدم على رسول الله ﷺ في وفد بني العنبر.
(٤) يا هناة: يا فلان وانظر الكلام على تصريف هذه الكلمة في «اللسان» «مادة هنا».
(٥) في الأصول: «عقبة بن سالم» وهو تحريف. وهو عقبة بن سلم بن نافع الهنائي ولي إمرة البصرة لأبي جعفر المنصور. وقد ذكر في «الأغاني» ج ٣ ص ١٧٤ من هذه الطبعة في قصة طويلة مع بشار بن برد فانظرها. (وراجع «الطبري» ق ٣ ص ٣٥٠، ٣٥٣) طبع أوروبا.

بجائزة، وكان أبو الخَلّال شيخَ العَشيرة وكبيرَها، فقال له: أيها الأمير، أتُعْطِي هذه العطايا رجلاً ما يَفْتُرُ عن سَبِّ أبي بكر وعمر! فقال له عُقْبة: ما علمتُ ذاك ولا أعطيتُه إلاّ على العشرة والمودّة القديمة وما يُوجبه حقُّه وجوارُه مع ما هو عليه من مُوالاة قوم يَلْزَمنا حَقُّهم ورعايتُهم. فقال له أبو الخَلّال: فمرْه إن / كان صادقاً أن يمدح أبا بكر [٢٦٣/٧] وعمرَ حتى نعرف براءته مما يُنْسَب إليه من الرَّفْض[١]. فقال: قد سمِعك، فإن شاء فعل. فقال السيّد:

إذا أنا لم أحفَظ وَصَاةَ محمدٍ ... ولا عهدَه يومَ الغديرِ[٢] المؤكدا

/ فإني كمن يَشْري الضَّلالةَ بالهُدى ... تنصَّر من بعد التُّقى وتَهوّدا ١٨/٧

وما لي وتَيْمٍ أو عَديٍّ وإنما ... أُولو نعمتي في الله من آل أحمدا

تَتِمّ صلاتي بالصلاة عليهمُ ... وليستْ صلاتي بعد أن أتشهّدا

بكاملةٍ إن لم أُصَلِّ عليهمُ ... وأدْعُ لهم ربّاً كريماً ممجّدا

بذلتُ لهم وُدّي ونُصحي ونُصرتي ... مدى الدهر ما سُمِّيتُ يا صاح سيّدا

وإنّ امرأً يَلْحَى على صدق وُدّهم ... أحقُّ وأولَى فيهمُ أن يُفَنَّدا

فإن شئتَ فاختَرْ عاجل الغَمّ ضِلّةً[٣] ... وإلاّ فأمسِك كي تُصانَ وتُحمدا

ثم نهض مُغْضَباً. فقام أبو الخَلّال إلى عُقْبة فقال: أعِذْني من شرّه أعاذك الله من السوء أيها الأمير؛ قال: قد فعلتُ على ألاّ تَعْرِضَ له بعدها.

/ قصته مع امرأة تميمية إباضية تزوّجها: [٢٦٤/٧]

وممّا يحكى عنه أنه اجتمع في طريقه بامرأة تميميّة إباضيّة، فأعجبها وقالت: أريد أن أتزوّج بك ونحن على ظهر الطريق. قال: يكون كنِكاح أمِّ خارجة[٤] قبل حضور وَليٍّ وشهودٍ. فاستَضْحَكتْ وقالت: ننظر في هذا؛ وعلى ذلك فمن أنت؟ فقال:

---

(١) الرافضة: فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له: تبرأ من الشيخين (أبي بكر وعمر) فأبى وقال: كانا وزيري جدي. فتركوه ورفضوه وارفضوا عنه. والنسبة رافضيّ، والمصدر الرفض. (انظر «القاموس» و «شرحه» مادة رفض).

(٢) يريد غدير خم (بالضم) وهو موضع بين مكة والمدينة بالجحفة، وقيل: هو على ثلاثة أميال منها. وقد روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: نزلت هذه الآية ـ يعني ﴿يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ ـ في علي كرّم الله تعالى وجهه حيث أمر سبحانه وتعالى رسوله أن يخبر الناس بولايته فتخوف رسول الله ﷺ أن يقولوا: حابى ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله تعالى إليه هذه الآية فقال بولايته يوم غدير خم وأخذ بيده فقال عليه الصلاة والسلام: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». ولأهل السنة في أخبار الغدير واستدلال أهل الشيعة بها كلام طويل يراجع في روح المعاني (ج ٢ ص ٣٤٩ طبع بولاق).

(٣) كذا في أ، ء، م. والضلة (بالكسر): الضلال. وفي سائر الأصول: «ظلة» بالظاء المعجمة، وهو تحريف.

(٤) نكاح أم خارجة يضرب به المثل في السرعة، فيقال: «أسرع من نكاح أم خارجة». وهي عمرة بنت سعد بن عبدالله بن قدار بن ثعلبة. كان يأتيها الخاطب فيقول: خطب، فتقول: نكح. فيقول: انزلي، فتقول: أنخ. قال المبرد: ولدت أم خارجة للعرب في نيف وعشرين حياً من آباء متفرقة، وكانت هي إحدى النساء اللاتي إذا تزوّجت واحدة منهن الرجل فأصبحت عنده كان أمرها إليها إن شاءت أقامت وإن شاءت ذهبت. وعلامة ارتضائها للزوج أن تعالج له طعاماً إذا أصبح. (انظر «مجمع الأمثال» للميداني و «ما يعوّل عليه في المضاف والمضاف إليه» و «القاموس» و «شرحه» مادتي خطب وخرج).

إن تَسألِيني بقومي تسألي رجلاً ... في ذِرْوة العزّ من أحياء ذي يمن

حَوْلي بها ذو كَلاعٍ[١] في منازلها ... وذو رُعَيْنٍ[٢] وهَمْدانٌ[٣] وذو يَزَنَ[٤]

[٢٦٥/٧] / والأَزْدُ أَزْدُ [عُمانَ][٥] الأكرمون إذا ... عُدَّت مآثِرُهم في سالف الزمنِ

بانت كريمتُهم[٦] عنّي فدارهُمُ ... داري وفي الرَّحْب من أوطانهم وطني

لي منزلان بلَحْجٍ[٧] منزلٌ وَسَطٌ[٨] ... منها ولي منزلٌ للعزّ في عدن

ثمّ الوَلاء الذي أرجو النجاة[٩] به ... من كَبَّة النار للهادي أبي حسن

فقالت: قد عرفناك، ولا شيءَ أعجبُ من هذا: يمانٍ وتميميّةٌ، ورافِضيٌّ وإباضيّة، فكيف يجتمعان!. فقال: بحسن رأيك فيّ تسخو نفسُك، ولا يذكر أحدُنا سَلَفاً ولا مذهباً. قالت: أفليس التزويجُ إذا عُلِم انكشف معه المستور، وظهرت خَفِيّاتُ الأمور!. قال: فأنا أَعرِضُ عليك أخرى. قالت: ما هي؟ قال: المُتْعة[١٠] التي لا يعلم بها

---

(١) ذو الكلاع (كسحاب): رجلان من أذواء اليمن، أحدهما الأكبر وهو يزيد بن النعمان الحميري. والآخر الأصغر وينتسب إلى ذي الكلاع الأكبر. وكان ذو الكلاع الأصغر مطاعاً في قومه فأسلم فكتب إليه النبيّ ﷺ في التعاون على قتل الأسود العنسي مع جرير بن عبدالله البجلي ففعل وهاجر، فمات النبيّ ﷺ قبل أن يصل إليه فقدم على أبي بكر رضي الله تعالى عنه.

(٢) ذو رعين هو أحد ملوك اليمن الأول واسمه «يريم» وهو من ولد الحارث بن عمرو بن حمير بن سبأ. ورعين: اسم حصن كان له. وذكره عمرو بن معد يكرب في شعر قاله لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد خفقه عمر بالدرة لكلام دار بينهما، فقال:

أتضربني كأنك ذو رعين ... بأنعم عيشة أو ذو نواس

فكم ملك قديم قد رأينا ... وعز ظاهر الجبروت قاسي

فأصبح أهله بادوا وأضحى ... ينقل من أناس إلى أناس

فقال: صدقت يا أبا ثور، قد هدم ذلك كله الإسلام.

(٣) هو همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان. ومن ولده قبيلة باليمن تنسب إليه؛ وهم الذين كانوا شيعة لأمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه عند وقوع الفتن بين الصحابة. وقال فيهم أسعد تبع:

ومعي قضاعتها وكندتها العلا ... والشمّ مذ حسبج والذرى همدان

(٤) ذو يزن: ملك من ملوك حمير، تنسب إليه الرماح اليزنية، واسمه عامر بن أسلم بن غوث وقيل: هو النعمان بن قيس الحميري. وقد ذكره قس بن ساعدة في قوله:

والقبل ذا يزن شهدت مكانه ... قد كان حرّم عنه شرب الراح

وابنه سيف بن ذي يزن الذي قتل الحبشة وطردهم من اليمن وهو الذي بشر بالنبيّ ﷺ قبل مبعثه. (راجع ج ١٦ ص ٧٥ من هذا الكتاب طبع بولاق و «ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه»).

(٥) التكملة عن حـ و «تجريد الأغاني». وساكن عمان من الأزد هم يحمد وحدّان ومالك والحارث وعتيك وجديد.

(٦) كذا في الأصول.

(٧) لحج: مخلاف باليمن ينسب إلى لحج بن وائل بن الغوث بن قطن.

(٨) الوسط (بالتحريك): اسم لما بين طرفي الشيء، وقد يأتي صفة، على معنى أفضل الشيء وخياره وأعدله، كما في البيت هنا، وكما في قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾.

(٩) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «أرجو الحياة» وهو تحريف.

(١٠) المتعة: أن تتزوج امرأة تتمتع بها أياماً ثم تخلي سبيلها. وذلك أن الرجل كان يشارط المرأة شرطاً على شيء بأجل معلوم ويعطيها شيئاً فيستحلها بذلك ثم يخلي سبيلها من غير تزويج ولا طلاق. وقد كانت المتعة مباحة في أول الإسلام ثم حرمت، وهي جائزة عند الشيعة. وللجلودي وكان من أكابر الشيعة الإمامية كتاب يسمى «كتاب المتعة وما جاء في تحليلها». وللصفواني وهو من رجال الشيعة أيضاً «كتاب المتعة وتحليلها والرد على من حرمها».

أحد. قالت: تلك أُختُ الزِّنا. قال: أُعيذك بالله أن تكفُري بالقرآن بعد الإيمان!. قالت: فكيف؟ قال: قال الله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾. فقالت: أستخير[1] اللّهَ وأُقلّدك أن[2] كنتَ صاحبَ قِياس. ففعلت[3]. فانصَرفتْ معه وبات مُعْرِساً بها. وبلغ أهلَها من الخوارج أمرُها، فتوعَّدوها بالقتل وقالوا: / تزوّجتِ بكافر! فجَحَدَتْ ذلك ولم يعلموا بالمُتْعة. فكانت مدّةً [٢٦٦/٧] تختلف إليه على هذه السبيل من المُتْعة وتُواصِله حتى افترقا.

عارضه ابن لسليمان بن علي في مذهبه بباب عقبة بن سلم فأجابه:

وقال الحسن بن علي بن المُغيرة حدّثني أبي قال:

كنتُ مع السيّد على باب عُقْبة بن سَلْم ومعنا ابنٌ لسليمان[4] بن عليّ ننتظره وقد أُسْرِج له ليَرْكَب، إذ قال ابنُ سليمان بن عليّ يعرِّض بالسيّد: أشعرُ الناسِ والله الذي يقول:

محمد خيرُ من يمشي على قَدمٍ ... وصاحِباه وعثمانُ بن عفّانا

فوثَب السيّد وقال: أشعرُ والله منه الذي يقول:

/ سائِلْ قريشاً إذا ما كنتَ ذا عَمَهٍ ... مَنْ كان أثبتَها في الدِّين أوتادا [١٩/٧]

من كان أعلَمها عِلماً وأحلَمها ... حلماً وأصدقَها قولاً وميعادا

إن يَصْدُقُوك فلن يَعْدُوا أبا حسنٍ ... إن أنتَ لم تَلْقَ للأبرار حُسّادا

ثم أقبل على الهاشميّ فقال: يا فتى، نعمَ الخَلَفُ أنت لشرف سَلَفك! أراك تَهْدِم شرفَك، وتَثْلِب[5] سَلَفك، وتَسعى بالعداوة على أهلك، وتُفَضِّل من ليس أصلُك من أصله على مَنْ فضلُك من فضله؛ وسأُخبر أميرَ المؤمنين عنك بذا حتى يَضَعَك. فوثب الفتى خَجِلاً ولم ينتظر عُقْبةَ بن سَلْم. وكتب إليه صاحبُ خبره بما جرى عند الرَّكُوبة حتى خرجت الجائزةُ للسيّد.

جلس مع قوم يخوضون في ذكر الزرع والنخل فقام وقال شعراً:

أخبرني محمد بن جعفر النَّحويّ قال حدّثنا ابن القاسم البَزّيّ عن إسحاق بن محمد النَّخَعيّ عن عقبة بن مالك الدِّيلي عن الحسن بن عليّ بن أبي حرب بن أبي الأسود الدُّؤَليّ قال:

/ كنّا جلوساً عند أبي عمرو بن العلاء، فتذاكرنا السيّدَ، فجاء فجلس، وخُضْنا في ذكر الزرع والنخل ساعةً [٢٦٧/٧] فنهَض. فقلنا: يا أبا هاشم، مِمّ القيامُ؟ فقال:

---

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «ألا تستخير الله».

(٢) في حـ: «إذ».

(٣) في ب، س: «قال قد فعلت».

(٤) هو سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس عم أبي جعفر المنصور. ولي له البصرة وعمان والبحرين، وتوفي بالبصرة سنة اثنتين وأربعين ومائة. (انظر كتاب «المعارف» لابن قتيبة ص ١٩٠).

(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «وتثلب من سلفك».

إنـي لأكـره أن أُطيـل بـمـجـلـس | لا ذكـرَ فيـه لفضـل آل محـمـد
لا ذكـرَ فيـه لأحـمـد ووصـيّـه | وبَنِيه ذلك مجلسٌ نَطِفٌ[1] رِدِي
إن الـذي ينساهُمُ في مجلس | حتـى يفـارقَـه لغَيـر مُسَـدَّد

سكر بالأهواز فحبسه العسس وكتب شعراً لواليها فأطلقه وأجازه:

وروى أبو سليمان النّاجي: أن السيّد قدِم الأهواز وأبو بُجير بن سِماك الأسديّ يتولّاها، وكان له صديقاً. وكان لأبي بجير مولًى يقال له يزيد بن مَذعور يحفَظ شعرَ السيد يُنشده أبا بجير، وكان أبو بجير يتشيّع. فذهب السيّد إلى قوم من إخوانه بالأهواز فنزل بهم وشرِب عندهم؛ فلما أمسى انصرف، فأخذه العَسَس فحُبِس. فكتب مِن غده بهذه الأبيات وبَعث بها إلى يزيد بن مذْعور. فدخل على أبي بُجير وقال: قد جَنَى عليك صاحبُ عَسَسك ما لا قِوامَ لك به. قال: وما ذلك؟ قال: اسمع هذه الأبيات، كتبها السيّدُ من الحبس؛ فأنشده يقول:

قِـفْ بـالـدِّيـار وحيِّهـا يـا مَـرْبَـعُ | واسـأل وكيـف يُجيـب مَـن لا يَسمـعُ
إنّ الـدِّيـارَ خَلَـتْ وليـس بجـوِّهـا | إلاّ الضَّـوابـحُ[2] والحَمـامُ الـوُقَّـع
ولقـد تكـون بهـا أوانـسُ كـالـدُّمَـى | جُمْـلٌ وعَـزَّةُ والـرَّبـابُ وبَـوْزَع
حـورٌ نـواعـمُ لا تُـرى فـي مثلهـا | أمثـالُهـن مـن الصيـانـة أرْبَـع
فَعَـرِيـنَ[3] بعـد تـألُّـفٍ وتَجمُّـع | والـدَّهـرُ ـ صـاحِ ـ مُشَتِّـتٌ مـا تَجمـع
[٧/٢٦٨] / فـاسلَـم فـإنّـك قـد نـزلـتَ بمنـزلٍ | عنـد الأميـر تَضُـرُّ فيـه وتَنْفَـع
تُـؤْتَـى هـواك إذا نطقـتَ بحـاجـةٍ | فيـه وتَشْفَـع عنـده فيُشَفَّـع
قُـلْ لـلأميـر إذا ظفِـرتَ بخَلْـوة | منـه ولـم يـك عنـده مـن يَسمـع
هَـبْ لـي الـذي أحببتـه فـي أحمـد | وبَنِيـه إنـك حـاصـدٌ مـا تَـزْرَع
يَخْتَـصّ آلَ محمـد بمحبّـة | في الصدر قد طُوِيَتْ عليها الأضْلُع[4]

٢٠/٧ / في هذا الغناءُ لسعيد.

ضمن رثاءه لعباد بن حبيب هجواً لسوّار القاضي بعد موته:

وحَكى ابن الساحر: أنّ السيّد دُعِي لشهادة عند سَوّار القاضي؛ فقال لصاحب الدَّعوى: أعْفِني من الشهادة عند سوّار؛ فلم يُعْفِه صاحبُها منها وطالبَه بإقامتها عند سَوّار. فلما حضر عنده وشهِد قال له: ألَمْ أعْرِفك وتعرِفني!

---

(١) النطف: السيء الفاسد، والمتهم بريبة. وفي ب، س: «قصف» وهو تحريف.
(٢) الضوابح: يعني بها الثعالب وغيرها، يقال: ضبح الثعلب والأرنب والأسود من الحيات والبوم والصدى إذا صوّت. ويقال: طائر واقع إذا كان على شجر أو موكناً، ووقع الطائر إذا نزل عن طيرانه.
(٣) كذا في الأصول. والضمير يعود على الديار. ويحتمل أن تكون: «فعزبن» أي بعدن.
(٤) يلاحظ أن هذه القصيدة لم تتم، وأن الأبيات العينية الآتية في (ص ٢٧١) تتمة لهذه القصيدة، لأن ابن مذعور المخاطب بهذه القصيدة مذكور فيها، ولأن ما بعدها من كلام متصل بالخبر الذي سيقت فيه هذه القصيدة ومتمم له. وما وقع بين أجزاء القصيدة من أخبار موضوع في غير موضعه.

وكيف مع معرفتك بي تُقْدِم على الشهادة عندي! فقال له: إني تخوّفتُ إكراهَه، ولقد افتديتُ شهادتي عندك بمال فلم يقبل منّي فأقمتُها[1]؛ فلا يَقْبَلِ الله لك صَرْفاً ولا عَدْلاً إن قبِلْتَها، وقام من عنده؛ ولم يقدِر سوّارٌ له على شيء لِما تقدّم به المنصورُ إليه في أمره، واغتاظ غيظاً شديداً وانصرف من مجلسه فلم يَقْضِ يومئذٍ بين اثنين. ثم إن سوّاراً اعتلّ علّته التي مات فيها فلم يقدِر السيّدُ على هجائه في حياته لِنَهْي المنصور إيّاه عن ذلك. ومات سوّار فأُخرج عَشِيًّا وحُفِر له، فوقع الحفر في موضع كَنِيف. وكان بين الأَزْد وبين تَميم عداوةٌ، فمات عَقِب[2] موته عبّادُ بن حبيب بن المهلّب؛ فهجا السيّدُ سوّاراً في قصيدة رثى بها عبّاداً ودفعها إلى نوائح الأزد لِما بينهم وبين تميم من العداوة ولقربهم من دار سوّار يَنُحْن[3] بها، وأوّلُها:

[٧/ ٢٦٩]

/ يـا مَـنْ غـدا حـامـلاً جُثمـانَ سـوّارِ ... مـن داره ظـاعـنـاً منهـا إلـى النـارِ

لا قـدّس اللّـهُ رُوحـاً كـان هيكلَهـا ... فقـد مضـتْ بعظيـم الخِـزْي والعـار

حتـى هَـوتْ قَعْـرَ بُـرْهُـوتٍ[4] مُعـذَّبـةً ... وجسمُـه فـي كنيـف بيـن أقـذار

لقـد رأيـتُ مـن الـرحمـن مُعْجِبـةً ... فيـه وأحكـامُـه تجـري بمقـدار

فـاذهَـبْ عليـك مـن الـرحمـن بَهْلَتُـه[5] ... يـا شـرَّ حـيٍّ بـراه الخـالـقُ البـاري

مازح صديقاً له زنجياً بشعر:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عليّ بن محمد البقّال قال حدّثنا شَيْبان بن محمد الحَرّاني ـ وكان يُلَقَّب بَعُوضةَ وصار من سادات الأزد ـ قال:

كان السيّد جاري، وكان أَدْلَمَ[6]، وكان يُنادم فتياناً من فتيان الحيّ فيهم فتًى مثلُه أَدْلَمُ غليظُ الأنف والشّفتين مُزَنَّج الخِلْقة. وكان السيّد من أنتن الناس إبطين. وكانا يتمازحانِ، فيقول له السيّد: أنت زِنجيّ الأنف والشّفتين، ويقول الفتى للسيّد: أنت زَنجيّ اللون والإبطين. فقال السيّد:

أعـــاركَ يـــومَ بِعْنـــاه رَبَـــاحٌ[7] ... مشـــافِـــرَه وأنفَـــك ذا القبيحَـــا

وكـــانـــت حِصّتـــي إبطَـــيَّ منـــه ... ولـــونـــاً حـــالكـــاً أمســـى فَضُـــوحـــا

فهـــل لـــك فـــي مُبَـــادَلَتِيـــكَ إبْطِـــي ... بـــأنفـــك تَحمـــدُ البيـــعَ الـــرَّبيحـــا

فـــإنّـــك أقبـــحُ الفتيـــان أنفـــاً ... وإبطِـــي أنتـــنُ الآبـــاط رِيحـــا

---

(١) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «فإن أقمتها».

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «موت عباد».

(٣) في حـ: «فنحن».

(٤) برهوت: بئر عميقة بحضرموت لا يستطاع النزول إلى قعرها. ويشير بقوله: «حتى هوت قعر برهوت» إلى ما ورد في هذه البئر من أنها مأوى أرواح الكفار والمنافقين.

(٥) البهلة: اللعنة.

(٦) الأدلم: الشديد السواد.

(٧) رباح: من أسماء العبيد.

كان له صديق ينفق عليه من ماله فلامته امرأته لذلك فهجاها:

أخبرني أحمد قال حدّثني شَيْبان قال:

مات[1] منّا رجلٌ موسِرٌ وخلّف ابناً له فورث مالَه وأتلفه بالإسراف، وأقبل على الفَساد واللهو، وقد تزوّج امرأةً تسمَّى ليلى، واجتمع على السيّد وكان من أظرف / الناس، وكان الفتى لا يصبر عنه، وأنفق عليه مالاً كثيراً؛ [٢٧٠] وكانت ليلى تعذِلُه على إسرافه وتقول له: كأني بك قد افتقرت فلم يُغنِ عنك شيئاً. فهجاها السيّد. وكان / ممّا قال فيها: [٢١/٧]

أقـول يـا ليـتَ ليلـى فـي يَـدَيْ حَنِـقٍ ... مـن العـداوة مـنْ أعـدى أعـاديهـا

يعلـو بهـا فـوق رَعْـنٍ ثـم يَحْـدِرهـا ... فـي هُـوّة فَتَـدهْـدى يـومَهـا فيهـا

أوليتَهـا فـي عِمـار البحـر قـد عصفـت ... فيـه الـرّيـاح فهـاجـت مـن أوَاذِيهـا[2]

أوليتَهـا قُـرِنَـت[3] يـومـاً إلـى فـرسٍ[4] ... قـد شُـدَّ منهـا إلـى هـادِيـه[5] هـادِيهـا

حتـى يُـرَى لحمُهـا مـن حُضْـرِه زِيَمـاً[6] ... وقـد أتـى القـومَ بعـد المـوت[7] نـاعيهـا

فمَـنْ بكـاهـا فـلا جفّـتْ مـدامعُـه ... لا أسخـن اللّـهُ إلاّ عيـنَ بـاكيهـا

أهدى له بعض ولاة الكوفة رداء فقال شعراً يمدحه ويستزيده:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني إسحاق بن محمد النَّخَعيّ وعبد الحميد بن عُقْبة قالا حدّثنا الحسن بن عليّ بن المغيرة الكسلان عن محمد بن كُناسة قال:

أهدى بعضُ ولاة الكوفة إلى السيّد رداءً عَدَنيًّا؛ فكتب إليه السيّد فقال:

وقـد أتـانـا رداءٌ مـن هَـدِيّتكـم ... فـلا عَـدِمتُـك طـولَ الـدهـر مِـنْ والِ

هـو الجمـالُ جـزاك الله صـالحـةً ... لـو أنّـه كـان مـوصـولاً بسِـرْبـال

فبعث إليه بخِلعة تامّةٍ وفرسٍ جواد وقال: يُقطع عتابُ أبي هاشم واستزادتُه إيانا.

[٢٧١] / **سمع قاصاً بباب أبي سفيان يمدح الشيخين فسبهما:**

حدّثني عمّي قال حدّثنا الكُرَانيّ عن بعض البَصريّين عن سليمان بن أرْقَم قال:

كنتُ مع السيّد، فمرّ بقاصٍّ على باب أبي سفيان بن العَلاء وهو يقول: يُوزَن رسولُ الله ﷺ يوم القيامة في كِفّة

---

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «ملك منا رجل موسر مالاً وخلف... إلخ».

(٢) الأواذي: الأمواج واحدها آذي بالتشديد وخفف لضرورة الشعر. وفي الأصول: «أواديها» بالدال المهملة، وهو تصحيف.

(٣) في ب، س: «قد دنت».

(٤) كذا في الأصول. ولعله «إلى فرس» بالتنكير.

(٥) الهادي: العنق.

(٦) زيما: قطعاً متفرقة.

(٧) في حـ: «اليوم».

بأمته أجمع فيَرْجَحُ بهم، ثم يُؤتَى بفلان فيوزن بهم فيَرْجَح ثم يُؤتَى بفلان فيُوزن بهم فيرجح. فأقبل على أبي سفيان فقال: لعَمْري إنّ رسول الله ﷺ ليَرْجَح على أمته في الفضل، والحديث حقٌّ؛ وإنما رجَح الآخَران الناسَ في سيئاتهم؛ لأنّ من سَنّ سُنَّة سيئة فعُمِل بها بعده كان عليه وِزْرُها ووِزْر من عَمِل بها. قال: فما أجابه أحد. فمضى فلم يَبْق أحدٌ من القوم إلاّ سَبّه.

صادف بنت الفجاءة وأنشدها شعراً له متغزلاً فيها:

وقال أبو جعفر الأعرج حدّثني إسماعيل بن السّاحر قال:

خرجتُ من منزل نصر بن مسعود أنا وكاتب[1] عقبة بن سَلْم والسيّد ونحن سكارى. فلما كنّا بزَهْران لَقِيَتْنا بنتُ الفُجَاءة بن عمرو بن قَطَرِيّ بن الفُجَاءة، وكانت امرأةً بَرْزَةً حسناءَ فصيحةً، فواقفَها السيّد وتخاطب عليها وأنشدها من شعره[2] بتجميش، فأعجب كلٌّ واحد منهما صاحبَه. فقال السيّد[3]:

مـن نـاكِثيـن وقـاسطيـن الأزوعُ[4] — حـول الأميـن وقـال هـاتِ ليَسمعـوا
قـم يـابـن مَـذعـورٍ فـأنْشِـد نكّسـوا — خُضُـعَ الـرِّقـاب بـأعيـن لا تُـرْفـع
لـولا حِـذارُ أبـي بجيـر أظهـروا — شنـآنهـم وتفـرّقـوا وتصـدّعـوا
لا تجـزَعـوا فلقـد صبَرْنـا فـاصبروا — سبعيـن عـامـاً والأنـوفُ تُجـدّع
/ إذ لا يـزال يقـوم كـلَّ عَـرُوبـةٍ[5] — منكـم بصـاحبنـا خطيـبٌ مِصْقـع
مُسحَنْفِـرٌ[6] فـي غيّـه مُتَتـايـعٌ[7] — فـي الشّتـم مثْلَـه بخيـل[8] يسجـع
/ ليَسُـرَّ مخلـوقـاً ويُسْخِـط خـالقـاً — إن الشقـيّ بكـلّ شـرٍّ مُـولَـع

[٧/ ٧٢]

٢٢/٧

فلما سمعها أبو بجير دعا صاحبَ عَسَسه فشتَمه وقال: جنيتَ عليّ ما لا يَد لي به؛ اذهب صاغراً إلى الحبس وقل: أيّكم أبو هاشم؛ فإذا أجابك فأخرِجه واحمله على دابتك وامشِ معه صاغراً حتى تأتيني به ففعل. فأبَى السيّدُ ولم يُجبه إلى الخروج إلا بعد أن يُطْلِق له كلَّ من أُخذ معه. فرجع إلى أبي بُجَير فأخبره، فقال: الحمدُ لله الذي لم يَقُل أخْرِجْهم وأعْطِ كلَّ واحدٍ منهم مالاً، فما كنّا نقدِر على خلافه؛ افعل ما أحَبَّ برغم أنفك الآن. فمضى فخلّى سبيلَه وسبيلَ كلّ من كان معه ممّن أُخِذ في تلك الليلة، وأُتي به إلى أبي بجير. فتناوله بلسانه وقال: قدِمتَ علينا

---

(١) كذا في أ، ء، م. وفي حـ: «من منزل منصور بن مسعود كاتب عقبة بن سلم...». وفي ب، س: «من منزل نصر بن مسعود أنا وعقبة بن سلم... إلخ».

(٢) في حـ: «شعرا».

(٣) تلاحظ الحاشية رقم ١ في ص ٢٦٨، إذ لا ارتباط بين هذا الخبر والشعر الذي بعده.

(٤) هكذا ورد هذا الشعر ناقصاً في الأصول. ولم نوفق إلى إكماله من مصدر آخر.

(٥) عروبة: يوم الجمعة.

(٦) المسحنفر: الماضي السريع. وفي ب س: «مستحفز» وهو تحريف.

(٧) التتايع: التهافت.

(٨) كذا في الأصول.

فلم تأتِنا وأتيتَ بعض أصحابك[1] الفُسّاق وشرِبتَ ما حُرّم عليك حتى جَرى ما جرى؛ فاعتذر من ذلك إليه؛ فأمر له أبو بجير بجائزة سنيّة وحمَله وأقام عنده مدّةً.

عاتب قوم أبا بجير على التشيع فاستنشد مولاه شعر السيد وطردهم:

قال النَّوْفليّ وحدّثني أبي: أنّ جماعة من أهل الثغور قدِموا على أبي بجير بتسبيب بهم[2] فأطلقهم، ثم جاءوه فعاتَبوه على التشيّع وسألوه الرجوعَ؛ فغضِب من ذلك ودعا بمولاه يزيد بن مذعور فقال: أنشِدْني وَيْلَك لأبي هاشم. فأنشده قولَه:

يا صاحبيّ لِدِمْنَتَيْن عفاهما ... مَرُّ الرّياح عليهما فمحاهما

حتى فرغ. ثم قال: هاتِ النُّونيّة؛ فأنشده:

يا صاحبيّ تَروَّحا وذَراني ... ليس الخليُّ كمُسْعَر الأحزانِ

[٧/ ٢٧٣] / فلما فرغ قال: أنشدني الدمّاغةَ الرائيّةَ، فأنشده إيّاها. فلما فرغ أقبل عليه الثَّغْريُّون فقالوا له: ما أَعْتَبْتَنا فيما عاتَبناك عليه. فقال: يا حَمِير! هل في الجواب أكثر مما سمِعتم! والله لولا أنّي لا أعلم كيف يقَع فعلي من أمير المؤمنين لضربتُ أعناقَكم! قوموا إلى غير حفظ الله فقاموا. وبلغ السيّدَ الخبرُ فقال:

إذا قال الأمير أبو بجير ... أخو أسدٍ لمنشده يَزيدَا
طَرِبتُ إلى الكرام فهاتِ فيهم ... مديحاً من مديحك أو نشيدا
رأيتَ لمن بحضرته وجُوهاً ... من الشُّكّاك والمُرْجِين سُودا
كأنّ يزيد يُنْشِد بامتداح ... أبا حسنٍ نَصارى أو يهودا

نقد العبدي شعر له فصدقه وقال إنه أشعر منه:

ورَوى أبو داود المسترِق: أنّ السيّد والعبديّ اجتمعا؛ فأنشد السيّد:

إني أدِين بما دان الوَصِيّ به ... يوم الخُرَيْبةِ[3] من قتل المُحِلّينا
وبالذي دان يومَ النهروان به ... وشاركت كفُّه كفّي بصِفّينا

فقال له العَبْديّ: أخطأت، لو شاركتْ كفُّك كفّه كنتَ مثله؛ ولكن قل: تابعت كفّي كفّه لتكون تابعاً لا شريكاً. فكان السيّد بعد ذلك يقول: أنا أشعر الناس إلاّ العبديّ.

سب الشيخين في شعر له وسكر فرفع أمره إلى أبي بجير فأهانه:

وقال إسحاق النَّخَعي عن عبد الحميد بن عُقْبة عن أبي جعفر الأعرج عن إسماعيل بن السّاحر قال:

---

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «أصحابنا» وهو تحريف.

(٢) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «لهم». وكلاهما غير واضح.

(٣) كذا في «معجم البلدان» و «كتاب مناقب آل أبي طالب» (نسخة طبع الهند محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠٣ تاريخ ص ٤٢٥). والخريبة: موضع بالبصرة كانت به وقعة الجمل. وفي الأصول: «الحديبة». وهو تحريف.

كنتُ مع السيّد وقد اكترينا سفينة إلى الأهواز؛ فجلس فيها معنا قومٌ شُراةٌ، فجعلوا يَنالون من عثمان. فأخرج السيّد رأسه إليهم وقال:

[٧/ ٧٤
٢٣
٧]

/ شَفَيْتَ مـن نَغْـلٍ فـي نَحـت أثْلتـه[1] ... فـاعْمِـد هُـدِيتَ إلـى نَحْـتِ الغَـوِيَّيْـنِ

اعمِـد[2] هُـدِيتَ إلى نحت اللّـذيْـن همـا ... كـانـا عـن الشـرّ لـو شـاءا غنيَّيْـن

قال إسماعيل: فلما قَدِمنا الأهوازَ قَدِم السيّد وقد سكِر، فأُتِي به أبا بجير بن سماك الأسَديّ؛ وكان ابنُ النّجاشيّ عند ابن سماك بعد العِشاء الآخِرة، وكان[3] يعرفه باسمه ولم يعرِفه. فقال له: يا شيخ السّوء، تخرج سكرانَ في هذا الوقت! لأُحسِنَنّ أدبَكَ. فقال له: والله لا فعلتَ، ولتُكرِمنّي ولتَخلَعنّ عليّ وتَحمِلنّي وتُجيزنّي. قال: أوَ تَهزَأ أيضاً! قال: لا والله! ثم اندفع يُنشده فقال:

مـن كـان معتـذِراً مـن شَتْمـه عمـراً ... فـابـنُ النَّجـاشـيّ منـه غيـرُ مُعْتـذِرِ

وابـنُ النجـاشِـي بَـرَاءٌ - غيـرَ محتشـم - ... فـي دينـه مـن أبـي بكـر ومـن عمـرِ

ثم أنشده قوله:

إحـداهمـا[4] نَمَّـتْ عليـه حـديثَـه ... وبَغَـتْ[5] عليـه نفسـه إحـداهمـا

فهمـا اللتـان سمِعـتُ ربَّ محمـد ... في الـذكـر قـصّ علـى العبـاد نَبـاهمـا[6]

فقال: أبو هاشم؟ فقال نعم. قال: ارتَفِعْ. فحمَله وأجازه، وقال: والله لأُصدِّقنّ قولك في جميع ما حلَفتَ عليه.

[٧/ ٧٥]

/ أباح له أبو بجير شرب النبيذ:

قال إسماعيل: رأى أبو بجير السيّدَ متغيّرَ اللّون، فسأله عن حاله؛ فقال: فقَدْتُ الشرابَ الذي أَلِفتُه لكراهة الأمير إيّاه؛ قال: فاشرَبْه، فإنّنا نحتمله لك. قال: ليس عندي. قال لكاتبه: اكتُب له بمائتي دَوْرق مِيبَختج[7]. فقال له السيّد: ليس هذا من البلاغة. قال: وما هي؟ قال: البلاغة أن تأتي من الكلام بما يُحتاج إليه وتَدَعَ ما يُستغنَى عنه. قال: وكيف ذلك؟ قال: اكتب بمائتي دَوْرق «مِي» ولا تكتب «بَخْتج»، فإنك تَستغني عنه. فضحك، ثم أمر فكُتِبَ له بذلك. قال: والمِي: النبيذ.

(١) يقال: فلان ينحت أثلة فلان إذا ذمه وتنقصه.
(٢) في الأصول: «اعمل» باللام وهو تحريف.
(٣) كذا في حـ. وفي ب، س: «وكان يعرف باسمه إلخ». وفي سائر النسخ: «وكان يعرض باسمه إلخ» وكلاهما تحريف.
(٤) لعله يعني بهذا الشعر حفصة وعائشة، وذلك أن حفصة وجدت رسول الله ﷺ مع أم إبراهيم (جاريته مارية) في يوم عائشة الذي خصصه لها، فأمرها أن تكتم الأمر على أن يحرّم مارية، فأفشت حفصة ذلك إلى عائشة، فعلم به رسول الله ﷺ فعرّف حفصة فقالت له: من أخبرك به؟ فقال: نبأني به العليم الخبير. فآلى رسول الله ﷺ من نسائه شهراً. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾. وقد وردت هذه القصة بروايات أخر فانظرها (في «أسباب النزول» للواحدي ص ٣٢٧ وغيره من «كتب التفسير»).
(٥) كذا في الأصل.
(٦) يريد سورة التحريم وقد قص الله فيها سبحانه وتعالى هذه القصة.
(٧) ميبختج: كلمة فارسية مركبة من لفظين: «مي» ومعناها النبيذ، كما سيذكره المؤلف، و «بختج» أي مطبوخ.

أظهرت المرجئة الشماتة بأبي بجير لما مرض فقال هو شعراً:

قال إسماعيل: وبلغ السيّدَ وهو بالأهواز[١] أن أبا بجير قد أشرف على الموت، فأظهرت المُرْجئةُ الشّماتةَ به. فخرج السيّد متحرِّقاً حتى اكترى سفينةً وخرج إليها، وأنشأ يقول:

تَبَاشَر أهلُ تَدْمُرَ[٢] إذ أتاهم ... بأمر أميرنا لهمُ بَشيرُ
ولا لأميرِنا ذنبٌ إليهم ... صغيرٌ في الحياة ولا كبير
سوى حبِّ النبيّ وأقرَبِيه ... ومولاهم بحبِّهمُ جدير
وقالوا لي لكَيما يُحزِنوني ... ولكن قولهم إفكٌ وزور
لقد أمسى أخوك أبو بجير ... بمنزلة يُزار ولا يَزور
وظلّت شيعةُ الهادي عليٍّ ... كأنّ الأرض تحتهمُ تَمور
فبِتُّ كأنّني مما رَمَوني ... به في قِدّ[٣] ذي حَلَقٍ أسيرُ
/ كأنّ مدامعي وجفونَ عيني ... تُوَخَّز[٤] بالقَتاد فهنّ عُور
أقول عَليّ للرحمن نَذْرٌ ... صحيحٌ حيث تُحْتَبس النّذور
بمكة، إن لقِيتُ أبا بُجَيرٍ ... صحيحاً واللّواءُ له يسير

[٢٧٦/٧]

٢٤/٧ / وهي قصيدة طويلة.

رأى النبي ﷺ في النوم وأنشده قصيدته العينية:

وروى محمد بن عاصم عن أبي داود المسترِق عن السيّد:

أنه رأى النبيّ ﷺ في النوم، فاستنشده فأنشده قولَه:

لأمّ عمرو باللّوى مَرْبَعُ ... طامِسةٌ أعلامُه بَلْقَعُ

حتى انتهى إلى قوله:

قالوا له لو شئتَ أعلَمْتنا ... إلى مَنِ الغايَةُ والمَفْزعُ

فقال: حسبُك! ثم نَفض يدَه وقال: قد والله أعلمتُهم.

مرضه ووفاته:

وروى أبو داود وإسماعيل بن السّاحر: أنهما حَضَرا السيّدَ عند وفاته بواسِط وقد أصابه شَرًى[٥] وكربٌ[٦]،

(١) هذه العبارة هكذا بالأصول. وظاهر أنها مضطربة. ولعلها: «وبلغ السيد أن أبا بجير وهو بالأهواز إلخ» لتلتئم مع الكلام الآتي بعد.

(٢) تدمر: مدينة قديمة مشهورة في برية الشام بينها وبين حلب خمسة أيام. زعم قوم أنها مما بنته الجن لسليمان.

(٣) في الأصول: «قر» بالراء المهملة. ولعلها محرفة عما أثبتناه. والقد (بالكسر): سير يقد من جلد. ويقال لكل محبوس في قد: أسير.

(٤) كذا في حـ،ء، أ. وفي سائر الأصول: «توخر» بالراء المهملة وهو تصحيف. والقتاد: الشوك.

(٥) الشرى: داء يأخذ في الجلد أحمر كهيئة الدراهم.

(٦) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «فطرب».

فجلس ثم قال: اللهمّ أهكذا جَزائي في حبّ آل محمد! قال: فكأنها كانت ناراً فطَفِئتْ عنه.

قال شعراً وهو يحتضر في التبرؤ من عثمان والشيخين:

وأخبرني محمد بن العباس اليَزيديّ بإسنادٍ له لم يحضُرني وأنا أُخرِّجه إن شاء الله تعالى قال:

حدّثني من حضر السيّدَ وقد احتُضِر فقال:

بَـرِئْـتُ إلـى الإلـه مـن ابـن[1] أرْوَى ومــن دِيــن الخــوارج أجمعينــا

/ ومــن فُعَــلٍ بَـرِئْـتُ[2] ومـن فُعَيْـل غــداةَ دُعِــي أميــرَ المــؤمنينــا [٧/ ٢٧٧]

ثم كأنّ نفسه كانت حَصَاةً فسقطتْ.

بلغ المنصور أن أهل واسط لم يدفنوه فقال لئن صح لأحرقنها:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن أبي الهُذَيْل العَلّاف عن أبي جعفر المنصور قال:

بلَغني أن السيّد مات بواسط فلم يَدْفِنوه. والله لئن تحقَّق عندي لأحرِقَنّها!.

ترحم عليه جعفر بن محمد:

ووجدتُ في بعض الكتب: حدّثني محمد بن يحيى اللّؤلئيّ قال حدّثني محمد بن عباد بن صُهَيْب عن أبيه قال:

كنتُ عند جعفر بن محمد، فأتاه نَعْيُ السيّد، فدعا له وترحَّم عليه. فقال رجلٌ: يابنَ رسول الله، تدعو له وهو يشرب الخمر ويؤمِن بالرَّجْعة! فقال: حدّثني أبي عن جَدّي أن مُحِبّي آلِ محمد لا يموتون إلّا تائبين وقد تاب، ورفَع مُصَلًّى كانت تحته، فأخرج كتاباً من السيّد يعرِّفه فيه أنه قد تاب ويسأله الدعاء له.

عاش إلى خلافة الرشيد ومدحه:

وذكر محمد بن إدريس العُتْبِيّ[3] أنّ مُعَاذ بن يزيد[4] الحِمْيَرِيّ حدّثه أن السيّد عاش إلى خلافة[5] هارون الرشيد وفي أيامه مات، وأنّه مدَحه بقصيدتين فأمر له بِبَدْرتَيْن ففرَّقهما. فبلغ ذلك الرشيدَ فقال: أحسب أبا هاشم تورَّع عن قبول جوائزنا.

لما مات أحضر له سبعون كفناً:

أخبرني ابن عَمّار قال حدّثنا يعقوب بن نُعَيْم قال حدّثنا إبراهيم بن عبدالله الطَّلْحيّ قال حدّثني إسحاق بن محمد بن بَشير بن عَمّار الصَّيْرفيّ عن جدّه بشير بن عمّار قال:

---

(١) يعني بابن أروى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه. وأروى: أمه. وهي أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس.

(٢) في ب، س: «يريب» وهو تصحيف. ويعني بفعل وفعيل أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما.

(٣) في حـ: «العيسى».

(٤) في حـ: «معاذ بن سعيد».

(٥) جاء في فوات الوفيات ص ٢٤ أنه مات في أول خلافة الرشيد سنة ثلاث وسبعين ومائة وولد سنة خمس ومائة.

[٧/ ٢٧٨] / حضرت وفاة السيّد في الرُّميلة[1] ببغداد، فوجّه رسولاً إلى صفّ الجَزّارين[2] الكوفيّين يُعْلمهم بحاله ووفاته؛ فغلِط الرسولُ فذهب إلى صفّ السموسين[3]، فشتموه ولعنوه؛ فعلم أنه قد غَلِط، فعاد إلى الكوفيّين يُعْلمهم بحاله ووفاته؛ فوافاه سبعون كفناً. قال: وحضرناه جميعاً وإنه ليتحسَّر تحسّراً[4] شديداً وإن وجهه لأسودُ كالقَار وما يتكلّم، إلى أنا أفاق إفاقةً وفتح عينيه فنظر إلى ناحية القِبلة ثم قال: يا أمير المؤمنين، أتفعل هذا بوليّك! قالها ثلاث مرّات مرّةً بعد أخرى. قال: فتجلّى والله في جبهته عِرْقُ بياض، فما زال يتّسع ويَلْبَس وجهَه حتى صار كلُّه كالبدر[5]، وتوفّي فأخذنا في جِهازه ودفنّاه في الجُنَيْنة ببغداد، وذلك في خلافة الرشيد.



(١) كذا في جميع الأصول (بتقديم الميم على الياء مصغراً). وليس في بغداد مكان يعرف بهذا الاسم إلا «الرملة» ـ كما في «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للمقدسي (ص ٢٧ طبع ليدن) و «معجم البلدان» لياقوت ـ و «الرملية» كما في «الأعلاق النفيسة» لابن رسته (ص ٢٤٨ طبع ليدن). ولعل هذا الاسم محرف عن إحداهما.

(٢) في «تجريد الأغاني»: «الخرازين».

(٣) كذا في الأصول. وفي «تجريد الأغاني»: «السنوسين».

(٤) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «ليتحير تحيراً».

(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «كالبرد».

[٧/ ٢٧٩]
٢٥
٧

/ صوت

من المائة المختارة

فـلا زِلْـنَ حَسْـرَى ظُلَّعـاً لِـمْ حَمَلْنهـا ... إلـى بلـدٍ نـاءٍ قليـلِ الأصـادقِ

ولا ذَنْـبَ لـي إذ قلـتُ إذ نحـن جِيـرةٌ ... أثيبـي بـوُدٍّ قبـل إحـدى البـوائـق

عروضُه من الطويل.

قوله: «فلا زلن حسرى»: دعاء على الإبل التي ظعَنتْ بها وأبعدتْها عنه. وحسرى: قد حَسِرن أي بَلَغ منهن الجَهْدُ فلم يُبْقِ فيهنّ بقيّةً، يقال حسَر ناقتَه فهو يَحسِرُها، وهي حَسْرى، والذّكر حسير[١]؛ قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾. وفي الحديث: «فإن أتْعبتها حسَرْتها». والظَّلْعُ في كل شيء: أن تألم رجلُه فلا يقدِر أن يمشي عليها فيَغْمِز في مَشْيه كالأعرج إذا مشى، ويقال: ظلَع فهو ظالعٌ. والنائي: البعيد، والنّية: الناحية التي تنوي إليها، والنَّوَى: البعد، والتنائي: التباعد. والبوائق: الحوادث التي تأتي بما يُحْذَر بغتةً، وهي مثل المصائب والنوائب.

البيت الأوّل من الشعر لكُثَيِّر، ويقال: إنه لأبي جُنْدَب الهذليّ. والبيت الثاني لرجل من كِنانة ثم من بني جَذِيمة، وزعم ابن دَأْبٍ أنه عبدالله بن عَلْقَمة أحدُ بني عامر بن عبد مَناة بن كِنانة، وقيل أيضاً: إنه يقال له عمرو الذي قتله خالد بن الوليد في بعض مَغازيه التي وجّهه رسول الله ﷺ فيها. / الغناء في اللحن المختار لمُتيَّم مولاةِ [٧/ ٢٨٠] عليّ بن هشام وأمّ أولاده. ولحنُها رمل بالبنصر، من رواية إسحاق وعمرو؛ وهو من الأرمال النادرةِ المختارةِ. وفيه خفيفُ ثقيلٍ، يقال: إنه لحسين بن مُحْرِز، ويقال: إنه قديم من غِناء أهل مكة.

أخبار عبدالله بن علقمة وتعشقه حبيشة:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن زكريا الغَلاَبيّ قال حدّثنا العباس بن بكّار قال حدّثنا ابن دَأْب قال:

كان من حديث عبدالله بن عَلْقَمَة أحدِ بني عامر بن عبد مَناة بنِ كنانة أنه خرج مع أُمّه وهو مع ذلك غلامٌ يَفَعَةٌ[٢] دون المُحْتَلِم لتزورَ جارةً لها، وكان لها بنت يقال لها حُبَيْشة بنت حُبَيْش أحدِ بني عامر بن عبد مناة بنِ كنانة. فلما رآها عبدالله بن علقمة أعجبته ووقعت في نفسه، وانصرف وترك أُمّه عند جارتها، فلبِثتْ عندها يومين.

---

(١) الذي في «معاجم اللغة» يخالف ما ذكره المؤلف في تصريف هذه الكلمة. ففي «اللسان» (مادة حسر): «... ودابة حاسر وحاسرة وحسير الذكر والأنثى سواء، والجمع حسري مثل قتيل وقتلى». يريد أن «حسيرا» مما يستوي فيه المذكر والمؤنث.

(٢) غلام يافع ويفعة: شاب.

ثم أتاها عبدالله بن علقمة ليَرْجعها إلى منزلها، فوجد حُبَيشة قد زُيِّنت لأمرٍ كان في الحَيّ، فازداد بها عَجَباً، وانصرف بأمّه في غَداةٍ تُمطر، فمشى معها شيئاً ثم أنشأ يقول:

ومــا أدري بَلَــى إنّــي لأدري ... أصَــوْبُ القَطْــر أحســنُ أم حُبَيْــشُ

حُبَيْشَــةُ والــذي خلــق الهَــدَايــا ... ومــا عــن بُعْــدهــا للصَّــبّ عيــشُ

فسمعتْ ذلك أمُّه فتغافَلَتْ عنه وكرِهت قولَه. ثم مَشَيا مَلِيًّا، فإذا هو بظبي على رَبْوةٍ من الأرض، فقال:

يــا أمَّتــا أَخْبــريــنــي غيــرَ كــاذبــةٍ ... ومــا يُــريــد مَسُــولُ الحــقّ بــالكــذب

أتلــك أحســنُ أم ظبــيٌ بــرابيــةٍ ... لا بــل حُبَيْشَــةُ فــي عينــي وفــي أَرَبــي

[٧/ ٢٨١] / فزجرتْه أمُّه وقالت له: ما أنتَ وهذا! نُزوّجك بنتَ عمك فهي أجملُ من تلك. وأتت امرأةَ/ عمّه فأخبرتْها خبرَه، [٢٦/٧] وقالت: زيّني ابنتَك له، ففعلتْ وأدخلتْها عليه. فلما رآها أطرق. فقالت له أمّه: أيُّهما الآن أحسن؟ فقال:

إذا غُيِّبَــتْ عنِّــي حُبيشــةُ مــرَّةً ... مــن الــدّهــر لــم أملِــك عــزاءً ولا صبــرا

كــأنّ الحشــى حَــرُّ السَّعيــر يَحُشّــه[١] ... وَقــود الغَضَــى والقلــبُ مستعِــرا[٢]

وجعل يُراسل الجاريةَ وتُراسله حتى علِقَته كما علِقها، وكثُر قولُه للشعر فيها. فمن ذلك قال:

حُبَيشــةُ هــل جَــدّي وجَــدُّك جــامــعٌ ... بشَمْلِكُــمُ شَمْلــي وأهلِكُــمُ أهلــي

وهــل أنــا ملتــفٌ بثــوبِــكِ مَــرّةً ... بصَحْــراء بيــن الأَلْيَتَيْــن[٣] إلــى النخــل

وهــل أَشْتفــي مــن ريــق ثغــرِكِ مَــرّةً ... كــراحٍ ومســكٍ خــالطــا[٤] ضَــرَبَ النَّحْــل

فلما بلغ أهلَها خبرُهما حجبوها عنه مُدّة، وهو يزيد غراماً بها ويُكثر قولَ الشعر فيها. فأتَوْها فقالوا لها: عِديهِ السَّرْحةَ، فإذا أتاك فقولي له: نَشَدتُك اللَّهَ إن كنتَ أحببتني فوالله ما على الأرض شيءٌ أبغض إليّ منك، ونحن قريبٌ نستمع ما تقولين. فوعدتْه وجلسوا قريباً يستمعون، وجلستْ عند السَّرْحة، وأقبل عبدالله لوعدها. فلما دنا منها دَمَعتْ عينُها والتفتت إلى حيث أهلُها جلوسٌ، فعرَف أنهم قريب فرجَع. وبلَغه ما قالوا لها أن تقولَه فأنشأ يقول:

لــو قلــتِ مــا قــالــوا لَــزِدتُ جَــوًى بكــم ... علــى أنــه لــم يَبْــق سِتــر ولا صبــرُ

[٧/ ٢٨٢] / ولــم يــك حبّــي عــن نــوالٍ بــذلتِــه ... فيُسْلِيَنــي عنــه التجهُّــمُ والهجــرُ

ومــا أنــسَ مِ الأشيــاء لا أنْــس دمعَهــا ... ونظــرتَهــا حتــى يُغَيِّبَنــي القبــرُ

---

(١) يقال: حش النار يحشها حشاً إذا أوقدها.

(٢) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «والقلب مصفراً». وكلاهما غير متزن.

(٣) كذا في أ، ء، م. وألية: ماءة من مياه بني سليم، وفيها أقوال أخرى. (راجع «معجم البلدان» لياقوت). وفي سائر الأصول: «الألتين» بتقديم التاء على الياء. والنخل: اسم لمواضع كثيرة.

(٤) الضرب (بالتحريك). العسل الأبيض الغليظ.

سرية خالد بن الوليد إلى بني عامر بن عبد مناة:

وبعث النبيّ ﷺ على أثَر ذلك خالدَ بن الوليد إلى بني عامر بن عبد مَنَاة بن كِنانة وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوه وإلاّ قاتَلَهم[1]. فصبَحَهم[2] خالد بن الوليد بالغُمَيْصاء[3] وقد سمِعوا به فخافوه فظَعَنوا، وكانوا قتلوا أخاه الفاكه بن الوليد وعمَّه الفاكه بن المغيرة في الجاهليّة، وكانوا من أشدّ حيّ في كِنانة بأساً يُسمَّوْن «لَعَقَة الدّم». فلما صبَحَهم خالدٌ ومعه بنو سُلَيم، وكانت بنو سليم طَلَبتْهم بمالك بن خالد بن صخر بن الشَّرِيد وإخوتِه كُرْزٍ وعمرو والحارث، وكانوا قتلوهم في موطن واحد. فلما صبَحَهم خالدٌ في ذلك اليوم ورأوْا معه بني سُلَيم زادهم ذلك نفوراً. فقال لهم خالد: أَسْلِموا تَسْلَموا. قالوا: نحن قومٌ مسلمون. قال: فألْقُوا سلاحَكم وانزِلوا. قالوا: لا والله. فقال جَذِيمةُ[4] بن الحارث أحدُ بني أَقْرَم: يا قوم، لا تضَعوا سلاحَكم، والله ما بعد وضعِ السلاح إلاّ القتل. قالوا: لا والله لا نُلْقِي سلاحنا ولا نَنْزل، ما نحن منك ولا لمن معك بآمنين. قال خالدٌ: فلا أمانَ لكم / إن لم تَنزلوا. فنزلتْ فرقةٌ منهم فأسَرهم، وتفرّق بقيّةُ القوم فرقتين، فأصعَدتْ فرقةٌ وسفَلَتْ فرقةٌ أخرى. [٧/٢٨٣]

رواية عبدالله بن أبي حدرد لما وقع لعبدالله بن علقمة مع حبيشة وهو يقتل:

قال ابن دَأْب: فأخبرني من لا أتّهم عن عبدالله بن أبي حَدْرَد الأسْلَميّ قال: كنتُ يومئذ في جند خالد، فبَعَثنا في أثَر ظُعُن[5] مُصْعِدةٍ يسوق بهنّ فتيةٌ، فقال: أدرِكوا أولئك. قال: فخرجنا في أثرهم حتى أدركناهم وقد مضَوْا، ووقف لنا غلام شابٌّ على الطريق. فلما انتهينا إليه جعل يقاتلنا وهو يقول:

/ بيّنَّ[6] أطرافَ الذُّيول واربَعْنْ ... مَشْيَ حَيِيّاتٍ كأن لم يَفْزَعْنْ [٢٧/٧]

* إن يُمْنَعِ اليومَ نساءٌ تُمْنَعْنْ *

فقاتلَنا طويلاً فقتلناه، ومضينا حتى لحِقْنا الظُّعنَ، فخرج إلينا غلام كأنه الأوّل، فجعل يقاتلنا ويقول:

أُقسم ما إن خادِرٌ[7] ذو لِبْدَهْ ... يزأر بين أيكةٍ ووَهْدَهْ

يفرِس شُبّانَ الرجال وَحْدَهْ ... بأصدقَ الغداةَ منّي نَجْدَهْ

فقاتلَنا حتى قتلناه، وأدركنا الظُّعُن فأخذناهنّ، فإذا فيهن غلامٌ وضِيءٌ به صفرةٌ في لونه كالمنهوك، فربَطْناه

---

(١) في كتاب «التنبيه والإشراف» للمسعودي (ص ٢٦٨ طبع ليدن): «بعثه رسول الله ﷺ داعياً ولم يأمره بالقتال». وفي «معجم البلدان» لياقوت أثناء كلامه على الغميصاء أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ووداهم رسول الله ﷺ على يدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه». وهذا يخالف ما ذكره المؤلف في هذا الخبر. وسيذكر المؤلف فيما سيأتي ما يؤيد روايتهما.

(٢) صبح القوم: أغار عليهم صباحاً.

(٣) الغميصاء: موضع في بادية العرب قرب مكة، كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة.

(٤) الذي في «سيرة ابن هشام»: «فقال رجل يقال له جحدم: ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد! والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق. والله لا أضع سلاحي أبداً. قال: فأخذه رجال من قومه فقالوا: يا جحدم، أتريد أن تسفك دماءنا...» ثم ذكر القصة بخلاف ما ذكره أبو الفرج. (انظر «السيرة» ص ٨٣٤ طبع أوروبا).

(٥) الظعن (بسكون العين وضمها): جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج.

(٦) في «سيرة ابن هشام» (المطبوعة بهامش «الروض الأنف» للسهيلي ج ٢ ص ٢٨٦ طبع مطبعة الجمالية سنة ١٣٣٢ هـ): «رخين أطراف المروط». والموجود في «معاجم اللغة»: «أرخاه» و «راخاه». فلعل الألف سقطت من الطابع.

(٧) الأسد الخادر: المقيم في عرينه.

بحبل وقدّمناه لنقتله؛ فقال لنا: هل لكم في خير؟ قلنا: وما هو؟ قال: تُدركون بي الظُّعنَ أسفلَ الوادي ثم تقتلونني؛ قلنا: نفعل. فخرجنا حتى نُعارضَ الظُّعُنَ أسفلَ الوادي. فلما كان بحيث يَسْمعن الصوتَ، نادى بأعلى صوته: اسْلَمي حُبَيش، عند نَفاد العيش. فأقبلت إليه جاريةٌ بيضاء حسناءُ فقالت: [٧/٢٨٤] / وأنت فاسلم على كثرة الأعداء، وشدّة البلاء. فقال: سلامٌ عليكم دهراً، وإن[1] بقيت عصراً. قالت: وأنت سلامٌ عليك عشراً، وشَفْعاً تَترى، وثلاثاً وِتْراً. فقال:

إن يَقْتلوني يا حبيشُ فلم يَدَعْ ... هواكِ لهم منّي سوى غُلّة الصدر

وأنتِ التي أخليتِ لحمَي من دمي ... وعظمي وأسليتِ الدموعَ على نحري

فقالت له:

ونحن بكينا من فراقك مرّةً ... وأُخرى وآسيْناك في العسر واليسر

وأنت - فلا تَبْعَدْ فنعم فتى الهوى - ... جميلُ العفاف في المودّة والسّتر[2]

فقال لها:

أرَيْتكِ إن طالبتُكم فوجدتكم ... بحَلْيةَ[3] أو أدركتكم بالخَوانِق[4]

ألم يك حقّاً أن يُنَوَّل عاشقٌ ... تكلّف إدلاجَ السُّرَى والودائقِ[5]

فقالت: بَلَى والله. فقال:

فلا ذنبَ لي إذ قلتُ إذ نحن جيرةٌ ... أثيبي بودٍّ قبل إحدى البوائقِ

أثيبي بودّ قبل أن تَشْحَط النّوى ... ويَنْأى خليطٌ بالحبيب المفارق

قال ابن أبي حَدْرَد: فضربنا عُنقَه، فتقحّمتِ الجاريةُ من خِدْرها حتى أتت نحوَه فالتقمتْ فاه، فنزعنا منها [٧/٢٨٥] رأسَه وإنها لتَكْسَع[6] بنفسها حتى ماتت مكانَها. وأفلت / من القوم غلامٌ من بني أَقْرَم يقال له السَّمَيْدع حتى اقتحم على رسول الله ﷺ فأخبره بما صنع خالد وشكاه.

بلغ رسول الله ﷺ ما فعل خالد فأرسل علياً رضي الله عنه لأهل القتلى فوداهم:

قال ابنُ دأب: فأخبرني صالح بن كَيْسان أنّ رسول الله ﷺ سأله: «هل أنكر عليه أحدٌ ما صنع»؟ فقال: نعم، رجل أصفرُ رَبْعةٌ ورجل أحمرُ طويلٌ. فقال عمر: أنا والله يا رسول الله أعرفهما، أمّا الأوّل فهو ابني وصِفَتُه، وأما

---

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «وأنت» وهو تحريف.

(٢) كذا بالأصول. ولعلها: «والبر».

(٣) كذا في نسخة المرحوم الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه و «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» (ج ٣ ص ٥ طبع بولاق). وحلية: واد بتهامة أعلاه لهذيل، وأسفله لكنانة. وفي ب، س: «بجيلة». وفي سائر الأصول: «بحقوة» وكلاهما تحريف.

(٤) الخوانق: جمع خانق، وهو موضع بتهامة وقعت فيه حرب بين إياد بن نزار وإخوتها مضر وربيعة فانهزمت إياد، وأصبح من بلاد كنانة بن خزيمة.

(٥) الوداتق: جمع وديقة وهي شدّة الحر في الهاجرة.

(٦) تكسع: تضرب.

٢٨/٧ الثاني فهو سالم مولى / أبي حُذَيْفة. وكان خالد قد أمر كلَّ من أسرَ أسيراً أن يضربَ عنقه، فأطلق عبدالله بن عمر وسالم مولى أبي حُذيفة أسيرين كانا معهما. فبعث رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه بعد فَراغه من حُنَيْن وبعث معه بإبلٍ ووَرِقٍ وأمره أن يَدِيَهم فوداهم، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ، فسأله فقال عليّ: قدِمتُ عليهم فقلتُ لهم: هل لكم أن تَقْبَلوا هذا الجملَ بما أُصيب منكم من القَتْلى والجَرْحى وتُحَلِّلوا رسولَ الله ﷺ؟ قالوا نعم. فقلتُ لهم: فهل لكم أن تقبَلوا الثاني بما دخلكم من الرَّوْع والفَزَع؟ قالوا نعم. فقلتُ لهم: فهل لكم أن تقبَلوا الثالثَ وتُحَلِّلوا رسول الله ﷺ ممّا عَلِمَ وممّا لم يَعْلَم؟ قالوا نعم. قال: فدفعتُه إليهم، وجعلتُ أَدِيهم، حتى إني لأَدِي مِيلغةَ[1] الكلب، وفضَلَتْ فَضْلَةٌ فدفعتُها إليهم. فقال رسول الله ﷺ: «أَفَقَبِلوها؟» قال نعم. قال: «فوالذي أنا عبده لهي أحبّ إليّ من حُمْر النَّعَم».

وقالت سَلْمى[2] بنت عُمَيْس:

وكم غادروا يومَ الغُمَيْصاء من فتًى	أُصِيب فلم يَجْرَح وقد كان جارحا
/ ومن سيّدٍ كهلٍ عليه مَهابةٌ	أُصيب ولمّا يَعْلُه الشيبُ واضحا
أحاطت[3] بخُطّابِ الأيامى وطلّقت	غَداتَئِذٍ من كان منهنّ ناكحا
ولولا مقالُ القوم للقوم أسلِموا	لَلاقَتْ سُلَيمٌ يوم ذلك ناطحا

[٢٨٦/٧]

ما وقع بين قريش وبين بني عامر بن عبد مناة في الجاهلية:

قال ابن دأب: وأمّا سببُ قتلهم القرشيّين، فإنه كان نفرٌ من قريش بضعةَ عشرَ أقبلوا من اليمن حتى نزلوا على ماء من مياه بني عامر بن عبد مَناة بن كنانة، وكان يقال لهم «لَعَقَةُ الدّم» وكانوا ذوي بأسٍ شديد. فجاءت إليهم بنو عامر فقالوا للقرشيّين: إيّاكم أن يكون معكم رجل من فَهْم؛ لأنه كان له عندهم ذَحْل. قالوا: لا والله ما هو معنا، وهو معهم. فلما راحوا أدركهم العامِريّون ففتّشوهم فوجدوا الفَهْمِيّ معهم في رِحالهم، فقتلوه وقتلوهم وأخذوا أموالَهم. فقال راجزهم:

إنّ قريشاً غَدَرتْ وعادَهْ	نحن قتلنا منهمُ بِغَادَهْ[4]

* عشرين كهلاً مالهم زيادَهْ *

وكان فيمن قُتل يومئذ عفّان بن أبي العاصي أبو عثمان بن عفّان، وعوف بن عوف أبو عبد الرحمن بن عوف، والفاكه بن المُغيرة، والفاكه بن الوليد بن المُغيرة. فأرادت قريشٌ قتالَهم حتى خَذَلَتْهم بنو الحارث بن عبد مَنَاة فلم

---

(١) الميلغة: الإناء الذي يلغ فيه الكلب.

(٢) هي أخت أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقد وردت هذه الأبيات في «سيرة ابن هشام» باختلاف في كلماتها، وذكر أن بعضهم يقول: إنها لسلمى وآخر يقول: إنها لقائل من بني جذيمة.

(٣) في «الروض الأنف» للسهيلي (ج ٢ ص ٢٨٥ طبع مصر) و «معجم البلدان» لياقوت في الكلام على الغميصاء: «ألظت». وألظ بالشيء ولظ به: لزمه.

(٤) غادة: موضع في ديار كنانة. قال ساعدة:

فما راعهم إلا أخوهم كأنه	بغادة فتخاء الجناح كسير

(عن «معجم ما استعجم» للبكري).

يفعلوا شيئاً. وكان خالد بن عُبيد الله أحد بني الحارث بن عبد مَنَاة فيمن حضر الوَقْعَةَ هو وضِرَار[١]. فأشار إلى ذلك ضرار بن الخطاب بقوله:

[٢٨٧/٧] / دعــوتُ إلــى خُطَّــةٍ خــالــداً ... مــن المجــد ضيَّعهـا خـالــدُ

فــوالله أدري[٢] أضَــاهَــى بهـا ... بَنِــي[٣] العَــمّ أم صــدرهُ بــاردُ

ولــو خــالــدٌ عــاد فــي مثلهـا ... لتــابَعَــه عُنُــقٌ وارِد[٤]

وقال ضِرَارٌ أيضاً:

أرى ابنَــيْ لُــؤَيٍّ[٥] أسـرَعـا أن تَسـالمـا ... وقــد سلكــت أبنــاؤهــا كــلَّ مَسْلَــك

٢٩/٧ / فــإن أنتــمُ لــم تَثْــأروا بــرجــالكــم ... فَــدُوكــوا[٦] الــذي أنتـم عليـه بِمِـدْوَك[٧]

فــإنّ أداةَ الحــرب مــا قــد جمعتُــم ... ومــن يَتَّــقِ الأقــوامَ بــالشّــر يُتْــرَكِ

سرايا النبيّ ﷺ يوم الفتح إلى قبائل كنانة:

فلما كان يومُ فتح مكة بعث رسولُ الله ﷺ بالجيوش إلى قبائل بني كنانة حولَه، فبعث إلى بني ضَمْرة نُمَيْلَةَ بن عبدالله اللّيثيّ، وإلى بني الدُّئِل عمرو بن أُميّة الضَّمْريّ، وبعث إلى بني مُدْلج عيّاشَ بن أبي رَبيعة المخزوميّ، وبعث إلى بني بَنِيض ومحارب بن فهر عبدَالله بن نَهيك أحدَ بني مالك بن حِسْل، وبعث إلى بني عامر بن عبد مَنَاة خالداً. فوافاهم خالدٌ بماء يقال له الغُمَيْصاء؛ وقد كان خبرُه سقط إليهم، فمضى منهم سلَفٌ قتله بقوم منهم، يقال لهم بنو قيس[٨] بن عامر وبنو قُعَيْن بن عامر وهم خيرُ القوم وأشرفُهم، فأُصيب من أُصيب. فلما أقبل خالد / [٢٨٨/٧] ودخل المدينةَ قال له النبيّ ﷺ: «يا خالدُ ما دعاك إلى هذا»! قال: يا رسول الله آيات سَمِعتُهنّ أُنزلت عليك. قال: «وما هي»؟ قال: قولُ الله عزّ ذكرُه: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ وجاءني ابنُ أمّ أَصْرَمَ فقال لي: إنّ رسول الله ﷺ يأمرك أن تقاتِلَ. فحينئذ بعث رسول الله ﷺ فوَدَاهم.

---

(١) هو ضرار بن الخطاب بن مرداس القرشي الفهري أحد الأشراف والشعراء المعدودين والأبطال المذكورين، من مسلمة الفتح، وهو رئيس بني فهر، وقد شهد فتوح الشأم. (انظر «شرح القاموس» مادة ضرّر).

(٢) النفي مقدر هنا، أي فوالله لا أدري. وحذف حرف النفي في مثل هذا الموضع قياسي. وشرطه أن يكون الحرف «لا» وبعده فعل مضارع جواب لقسم.

(٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «من» وهو تحريف.

(٤) عنق وارد: متدل، يكنى بذلك عن موته.

(٥) هو لؤي بن غالب بن فهر واليه ينتهي عدد قريش وشرفها. وولده كعب بن لؤي وعامر بن لؤي وسامة بن لؤي وسعد بن لؤي وخزيمة بن لؤي والحارث بن لؤي وعوف بن لؤي. ومن هؤلاء تنحدر بطون وأفخاذ. ولم ندر من المعنيّ في هذا الشعر.

(٦) فدوكوا: اسحقوا.

(٧) كذا في حـ ونسخة الشيخ الشنقيطي مصححة بقلمه. والمدوك: حجر يسحق به الطيب. وفي سائر الأصول: «بمدرك» بالراء وهو تحريف.

(٨) في حـ: «بنو قين» بالنون.

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا سعد بن أبي نصر قال حدّثنا سفيان بن عُيينة عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحِق عن رجل من مُزَيْنة يقال له ابن عاصم[١] عن أبيه قال:

بعثَنا رسول الله ﷺ في سَرِيّةٍ وأمرَنا ألاّ نقتلَ أحداً إن رأينا مسجداً أو سمِعنا أذاناً ـ قال وَكيع وأخبرني أحمد بن أبي خَيْثَمة قال حدّثنا إبراهيم بن بَشّار الرَّمَاديّ قال حدّثنا سفيان بن عُيينة عن عبد الملك بن نَوْفل عن ابن عاصم هذا عن أبيه بهذا الحديث قال ـ:

فبينا نحن نسير إذا بفتًى يسوق ظعائنَ؛ فعرَضْنا عليه الإسلامَ فإذا هو لا يعرِفه؛ فقال: ما أنتم صانعون بي إن لم أُسْلِم؟ قلنا: نحن قاتِلُوك. قال: فدَعُوني ألْحَقْ هذه الظعائنَ، فتركناه؛ فأتى هودجاً منها وأدخل رأسه فيه وقال: اسْلَمِي حُبَيْش، قبل نَفَاد العيش. فقالت: وأنتَ فاسلم تِسْعاً وتراً، وثمانياً تَتْرى، وعشراً أخرى. فقال لها:

فـلا ذنـبَ لـي قـد قلـتُ إذ نحـن جيـرةٌ ... أثِيبـي بـوُدٍّ قبـل إحـدى البـوائـقِ

أثيبـي بـودّ قبـل أن تَشْحَـط النّـوَى ... وينْـأى أميـرٌ بـالحبيـب المُفـارق

/ قال: ثم جاء فضربنا عنقَه. فخرجَتْ من ذلك الهودج جارية جميلة فجَنأتْ[٢] عليه، فما زالت تبكي حتى ماتت. [٧/ ٢٨٩]

حديث خالد للنبي ﷺ عن غزوته بني جذيمة:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ وعمرو بن عبدالله العَتَكِيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال:

يُروى أن خالد بن الوليد كان جالساً عند النبيّ ﷺ، فسُئل عن غزوته بَني جَذِيمة فقال: إنْ أذِن رسولُ الله ﷺ تحدّثتُ. فقال: «تحدّثْ». فقال: لقِيناهم بالغُمَيْصاء عند وجه الصبح، فقاتلناهم حتى كاد قرنُ الشمس يَغِيبُ، فمنَحَنا اللّهُ أكتافَهم فتبِعْناهم نطلبهم، فإذا بغلام له ذوائبُ على فرس ذَنُوبٍ[٣] في أُخْرَياتِ القوم، فبوّأْتُ[٤] له الرمح فوضعتُه بين كتفيه؛ فقال: لا إلَه، فقبضتُ عنه الرّمحَ؛ / فقال: إلاّ اللاّتَ أحسنتْ أو أساءتْ. فهمَسْتُه[٥] هَمْسةً أذْرَيْتُه وَقِيذاً[٦]؛ ثم أخذتُه أسيراً فشددتُه وَثَاقاً؛ ثم كلمته فلم يكلّمني، واستخبرتُه فلم يُخْبِرني. فلما كان ببعض الطريق رأى نِسوةً من بني جَذِيمة يسوق بهنّ المسلمون، فقال: أيا خالد! قلتُ: ما تشاء؟ قال: هل أنت واقِفِي على هؤلاء النِّسوة؟! فأتيتُ على أصحابي ففعلتُ، وفيهن جارية تُدْعَى حُبَيْشة؛ فقال لها: ناوليني يدَكِ فناولته يدَها في ثوبها؛ فقال: اسلمي حبيش، قبل نَفَاد العيش. فقالت: حُيِّيتَ عشراً، وتسعاً وتراً، وثمانياً تَتْرى. فقال: [٣٠/ ٧]

أرَيْتَـكِ إن طـالبتُكـم فـوجـدتكـم ... بِحَلْيَـةَ أو أدركتُكـم بـالخـوَانِـق

ألـم يَـكُ حقّـاً أن يُنَـوَّل عـاشـقٌ ... تكلَّـف إدلاجَ السُّـرَى والـودائـقِ

/ وقـد قلـتُ إذ أهلـي لأهلـكِ جيـرةٌ ... أثِيبـي بـودّ قبـل إحـدى الصّعـائـق [٧/ ٢٩٠]

(١) في ب، س: «عصام».
(٢) جنأت عليه: أكبت عليه. وفي الأصول: «فجاءت» وهو تحريف.
(٣) الذنوب: الفرس الوافر الذنب.
(٤) بوأ الرمح: سدّده وهيأه.
(٥) همسه: أخذه أخذاً شديداً وعصره.
(٦) الوقيذ: الدنف المشرف على الموت.

أثيبـي بـوُدٍّ قبـل أن تَشْحَـط النَّـوَى وينـأ أميـرٌ بـالحبيـب المفـارق
فـإنّـيَ لا ضيّعـتُ سـرَّ أمـانتـي ولا راقَ عينـي بعـد عينـك رائـقُ[1]
سـوى أنّ مـا نـال العشيـرةَ شـاغـلٌ عـن الـوُدّ إلا أن يكـون التّـوامُـقُ

فلما جاء على حاله تلك قدَّمتُه[2] فضربتُ عنقه. فأقبلت الجاريةُ ووضعتْ رأسَه في حِجْرها وجعلت تَرْشُفُه وتقول:

لا تَبْعَـدنْ يـا عمـرو حيًّـا وهـالكـاً فحـقّ بحسـن المـدح مثلُـك مـن مثلـي
لا تَبْعَـدن يـا عمـرو حيًّـا وهـالكـاً فقـد عشـتَ محمـودَ الثّنـا مـاجـدَ الفعـل
فمَـنْ لِطِـرَاد الخيـل تُشْجَـر[3] بـالقَنَـا وللفخـر يـومـاً عنـد قَـرْقَـرة البُـزْل[4]

وجعلت تبكي وتُردّد هذه الأبيات حتى ماتت وإن رأسَه لفي حِجْرها. فقال رسول الله ﷺ: «لقد رُفِعتَ لي يا خالد وإن سبعين مَلَكاً لَمُطِيفون بك يحضُّونك على قتل عمرو حتى قتلتَه».

أبو السائب المخزومي وطربه بصوت شغله عن الفطور والسحور وكان صائماً:

أخبرني محمد بن العبّاس اليزَيديّ قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عبدالله بن المُنْذِر عن صفيّة بنت الزبير بن هشام قالت:

كان أبو السائب المخزوميّ رجلاً صالحاً زاهداً متقلّلاً يصوم الدّهرَ، وكان أرقَّ خلق الله وأشدَّهم غَزَلاً. فوجّه ابنَه يوماً يأتيه بما يُفْطر عليه، فأبطأ الغلامُ إلى العَتَمَة. فلما جاء قال له: يا عدوَّ نفسه، ما أخّرك إلى هذا الوقت؟ قال: جُزْتُ بباب / بني فلان فسمعتُ منه غناءً فوقفتُ حتى أخذتُه. فقال: هاتِ يا بُنَيّ، فوالله لئن كنتَ أحسنتَ لأَحْبُونّك، ولئن كنتَ أسأتَ لأضْربنّك. فاندفع يغنّي بشعر كثيِّر: [٧/ ٢٩١]

ولمـا عَلَـوْا شَغْبـاً[5] تبيّنـتُ أنـه تقطّـع مـن أهـل الحجـاز عـلائِقـي[6]
فـلا زِلْـن حَسْـرَى ظُلَّعـاً لِـمْ حَمَلْنهـا إلـى بلـدٍ نـساءٍ قليـلِ الأصـادقِ

فلم يَزَل يغنّيه إلى نصف الليل. فقالت له زوجتُه: يا هذا، قد انتصف الليلُ وما أفْطَرنا. قال لها: أنتِ طالقٌ إن كان

---

(١) في هذا البيت والذي يليه إقواء وهو اختلاف حركة الروي.

(٢) في الأصول: «فقدمته».

(٣) تشجر: تطعن.

(٤) كذا في نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. والبزل: جمع بازل وهو البعير في السنة التاسعة. والقرقرة: دعاء الإبل، وهي أيضاً هدير الفحل. وفي الأصول: «وللعجز يوماً عند قرقرة البذل» وهو تحريف.

(٥) كذا في «معجم ما استعجم» للبكري ونسخة المرحوم الأستاذ الشنقيطي مصححة بوضع نقطة على العين بقلمه. وشغب: منهل بين طريق مصر والشأم. (عن «معجم ما استعجم» للبكري). وفي سائر الأصول: «شعباً» بالعين المهملة، وهو تصحيف.

(٦) كذا في «معجم ما استعجم» للبكري ونسخة الشيخ الشنقيطي مصححة بقلمه. وفي الأصول: «علائق» بدون ياء.

فَطُورُنا غيرَه. فلم يزل يغنّيه إلى السَّحَر. فلما كان السَّحَرُ قالت له زوجتُه: هذا السَّحرُ وما أَفْطَرْنا! فقال: أنتِ طالقٌ إنْ كان سَحُورُنا غيرَه. فلما أصبح قال لابنه: / خُذْ جُبّتي هذه وأعْطِني خَلَقَك ليكون الحِبَاءُ فَضْلَ ما بينهما. فقال له: يا أبَتِ، أنت شيخٌ وأنا شابٌّ وأنا أقوى على البرد منك. قال: يا بنيّ، ماترك صوتك هذا للبرد عليَّ سبيلاً ما حَيِيتُ[1]. ٣١/٧

شعر لسليمان بن أبي دباكل:

أخبرني وكيع قال أنشدنا أحمد بن يَزِيد الشَّيْبانيّ عن مصعَب الزُّبَيْرِيّ لسليمان ابن أبي دُباكِل[2] قال:

فهـلاّ نظـرتَ الصبـحَ يـا بَغْـلَ زينـبٍ ... فتُقْضَـى لُبـانـاتُ الحبيـب المفـارقِ

يَـروح إذا يُمسـي حنينـاً ويَغْتـدي ... وتهجيـرُه عنـد احتـدام الـودائـق

/ فَطِـرْ جـاهـداً أو كـن حليفـاً لصخـرةٍ ... مُمَنَّعـةٍ فـي رأس أزْعَـنَ شـاهـق [٢٩٢/٧]

فمـا زال هـذا الـدهـرُ مـن شـؤم صَـرْفـهِ ... يُفـرِّق بيـن العـاشقيـن الأوامـق

فَيُبْعِـدنـا ممّـن نُـريـد اقتـرابَـه ... ويُـدْنـي إلينـا مـن نُحـبّ نُفـارق[3]

ولمـا عَلَـوْا شَغْبـاً تبيّنـتُ أنـه ... تقطّـع مـن أهـل الحجـاز عـلائقـي

فـلا زِلْـن حَسْـرى ظُلَّعـاً لِـمْ حَمَلْنهـا ... إلـى بلـدٍ نـاءٍ قليـل الأصـادق

---

(١) كذا وردت هذه العبارة في «نهاية الأرب» للنويري (ج ٤ ص ٢١٧ طبعة أولى. وفي الأصول: «... ما إلى ترك صوتك هذا للمبرد عندي سبيل ما حييت».

(٢) سليمان بن أبي دباكل: شاعر خزاعيّ من شعراء الحماسة.

(٣) في هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الرويّ.

[٢٩٣/٧]

/ ذكر مُتيّم الهشامية[1] وبعض أخبارها

مغنية شاعرة اشتراها علي بن هشام وهي أم ولده:

كانت مُتيّمُ صفراءَ مولَّدةً من مُولَّدات البصرة، وبها نشأتْ وتأدّبتْ وغنّتْ. وأخذت عن إسحاق وعن أبيه من قَبْله وعن طبقتهما من المغنِّين. وكانت من تخريج بَذْل وتعليمها. وعلى ما أخذتْ عنها كانت تَعْتَمد. فاشتراها عليّ بن هشام[2] بعد ذلك، فازدادتْ[3] أخذاً ممّن كان يغشاه من أكابر المغنّين. وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً وأدباً. وكانت تقول الشعر ليس ممّا يُستجاد، ولكنّه يُستحسن من مثلها. وحَظِيَتْ عند عليّ بن هشام حُظوةً شديدة، وتقدّمتْ على جَواريه جُمَعَ[4] عنده، وهي أمُّ وَلَدِه كلِّهم.

كانت مولاة للبانة واشتراها منها علي بن هشام وأولدها:

وقال عبدالله بن المعتز فيما أخبرني عنه محمد بن إبراهيم قُرَيْش قال أخبرني الحسن بن أحمد المعروف بأبي عبدالله الهشاميّ قال:

كانت مُتَيّمُ لِلُبانةَ بنت عبدالله بن إسماعيل المراكبي[5] مولى[6] عَريب، فاشتراها عليّ بن هشام منها بعشرين ألف درهم وهي إذ ذاك جُوَيْرية، فوَلَدَت له صفيّة / وتُكْنى أمَّ العباس، ثم ولَدت محمداً ويُعرف بأبي عبدالله، ثم ولَدت بعده ابناً يقال له هارون ويعرف بأبي جعفر، سمّاه المأمونُ وكنّاه لمّا وُلِد بهذا الاسم والكُنْية. قال: ولما تُوفِّي عليّ بن هشام عَتَقَتْ. [٢٩٤/٧]

كانت تغني المأمون والمعتصم:

وكان المأمونُ يبعث إليها فتَجيئه فتُغنِّيه. فلما خرج المعتصمُ إلى سُرَّ مَنْ رأى أرسل إليها فأشخصها وأنزلها داخلَ الجَوْسَق في دار كانت تُسمّى الدِّمشْقِيّ وأقطعَها غيرَها. وكانت تستأذن المعتصمَ في الدخول إلى بغداد إلى ولدها فتزورُهم وترجِع، ثم ضمّها لما خرجتْ قَلَمُ. وقَلَمُ جاريةٌ كانت لعليّ بن هشام. وكانت متيّمُ صفراءَ حلوةَ الوجه.

---

(١) كذا في حـ وهو الصواب، نسبة إلى علي بن هشام وكان قد اشتراها وحظيت عنده، كما سيأتي بعد قليل. وفي سائر الأصول: «الهاشمية» وهو تحريف.

(٢) كان من أمراء المأمون وقوّاده تولى له حرب بابك الخرّمي. ثم غضب عليه لأنه كان استعمله على أذربيجان وغيرها، فبلغه ظلمه وأخذه الأموال وقتله الرجال فأمر بقتله. (راجع «الطبري» و «ابن الأثير» في حوادث سنة ٢١٧ هـ).

(٣) كذا في «نهاية الأرب» للنويريّ (ج ٥ ص ٦٢ طبع دار الكتب المصرية) نقلاً عن أبي الفرج. وفي ب، س: «فما ازدرت أحداً» وفي سائر النسخ: «فإن زارت أحداً» وكلاهما تحريف.

(٤) في الأصول: «على جواريه أجمع». وتأكيد جمع الإناث إنما هو «جمع».

(٥) سترد له أخبار في «الأغاني» (ج ١٠ ص ١٢٦ وج ١٨ ص ١٨٥ ـ ١٨٦ طبع بولاق).

(٦) في ب، س: «مولاة» وهو تحريف.

فضلها عبدالله بن العباس على نفسه:

فذكر محمد بن الحسن الكاتب أنّ الحسين بن يحيى بن أكثم حدّثه عن الحسن بن إبراهيم بن رِياح[1] قال:

سألتُ عبدالله بن العباس الرَّبيعيّ: مَنْ أحسنُ من أدركتَ صَنْعَةً؟ قال: إسحاق. قلت: ثم مَن؟ قال: عَلّويه. قلت: ثم من؟ قال: متيَّم. قلت: ثم من؟ قال: ثم أنا. فعجِبتُ من تقديمه متيَّمَ على نفسه؛ فقال: الحقُّ أحقُّ أن يُتَّبع.

أخبرني محمد بن الحسن قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال:

/ سُئِل عبدالله بن العباس الرَّبيعيّ عن أحسن الناس غناءً. فذكر مثل هذه الحكاية، وزاد فيها أن قال له: ما أُحْسِن أن أصنع كما صنعتْ متيَّم في قوله: ٣٢/٧

* فلا زِلْن حَسْرى ظُلعاً لِمْ حَمَلْنَها *

ولا كما صنع عَلّويه في قول الصِّمَّة:

فواحَسْرتي لم أقْضِ منكِ[2] لُبانةً ... ولم أتمتَّع بالجِوار وبالقُرْب

/ قال: فأين عمرو بن بانَةَ؟ قال: عمرو لا يَضَع نفسه في الصنعة هذا الموضع، ولكنّه صنع لحناً في هذا الغناء. [٧/ ٢٩٥]

نسبة صوت علّويه

صوت

فواحسرتي لم أقضِ منكِ لُبانةً ... ولم أتمتَّع بالجوار وبالقربِ

يقولون هذا آخرُ العهد منهم[3] ... فقلت وهذا آخر العهد من قلبي

ألا يا حمامَ الشِّعْب شِعْبِ مراهق ... سقتك الغوادي من حمامٍ ومن شِعْب

الشعر للصِّمَّة بن عبدالله القُشَيْريّ. والغناء فيه لعلّويه، ثقيل أوّل مطلَق في مجرى الوسطى. وفيه لمخارق خفيفُ رمل بالوسطى، أوّله: «ألا يا حمام الشعب» ثم الثاني ثم الأوّل. وذكر حبشٌ أن فيه لإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر.

تطاول إبراهيم بن المهدي إلى منظرة كانت تغني بها وأخذ منها صوتاً:

وقال ابن المعتزّ أخبرني الهشاميّ قال:

---

(١) كذا في حـ، م: وسيأتي كذلك في ج ١٢، ١٧ من «الأغاني» طبع بولاق. وفي سائر الأصول هنا: «رباح» بالباء الموحدة.

(٢) في حـ: «منكم».

(٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «منكم».

كانت متيّمُ ذاتَ يوم جالسةً بين يدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهديّ حاضرٌ؛ فغنّت متيّمُ في الثقيل الأوّل:

لـزينـب طيـفٌ تَعْتـريني طـوارقُـهْ هُـدُوًّا إذا مـا النّجـمُ لاحـتْ لـواحقُـهْ

فأشار إليها إبراهيم أن تعيده؛ فقالت متيّم للمعتصم: يا سيّدي، إبراهيم يَستعيدني الصوتَ وكأنه يُريد أن يأخذه؛ فقال لها: لا تُعِيدِيه. فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضراً مجلسَ المعتصم ومتيّمُ غائبةٌ، فانصرف إبراهيم بعد حين إلى منزله ومتيّم في منزلها بالمَيْدان[1] وطريقُه عليها وهي في مَنْظَرة لها مشرفةٍ على الطريق وهي تغنّي هذا الصوت / وتَطْرَحُه على جواري عليّ بن هشام؛ فتقدّم إلى المَنْظَرة وهو على دابّته فتطاول حتى أخذ الصوت، ثم ضرب بابَ المنظَرة بمِقْرعته وقال: قد أخذناه بلا حَمْدِك. [٢٩٦/٧]

طلبها المأمون من علي بن هشام فلم يرض:

وقال ابن المعتزّ: وحُدِّثتُ أنّ المأمون سأل عليّ بن هشام أن يَهَبَها له وكان بغنائها مُعْجَباً[2]؛ فدفعه بذلك ولم يكن له منها ولدٌ. فلما ألحّ المأمونُ في طلبها حَرَص عليٌّ على أن تَعْلَق منه حتى حبِلتْ ويئس المأمونُ منها. فيقال إن ذلك كان سبباً لغضبه عليه حتى قتله.

كان المعتصم يمازحها:

وحدّثني سليمان[3] الطَّبَّال أنه رأى متيَّمَ في بعض مجالس المعتصم يُمازحها ويَجْبِذ بردائها.

غنت علي بن هشام صوتاً أراد إسحاق انتحاله فعوّضه عنه ببرذون:

وحكَى عليُّ بن محمد الهِشاميّ قال:

أُهْدِيَ إلى عليّ بن هشام بِرْذَوْنٌ أَشْهبُ قِرْطاسِيّ[4] وكان في النّهاية من الحسن والفَراهة، وكان عليٌّ به مُعْجَباً، وكان إسحاقُ يَشتهيه شهوةً شديدة، وعَرّض لعليّ بطلبه مراراً فلم يَرْضَ أن يُعطيَه له. فسار إسحاقُ إلى عليّ يوماً بعَقِب / صنعةِ مُتيّم «فلا زِلْن حَسْرَى» فاحتبسه عليٌّ وبعث إلى متيّم أن تجعل صوتَها هذا في صدر غِنائها ففعلتْ، فأطربَ إسحاقَ إطراباً شديداً، وجعل يستردّه، فتَردُّه وتَستوفيه ليزيدَ في إطرابه إسحاقَ وهو يُصغِي إليها ويتفَهّمه حتى صحّ له. ثم قال لعليّ: ما فعل البِرْذَوْنُ الأشهب؟ قال: على ما عهِدتَ من حسنه وفراهته. قال: فاختر الآن منّي خَلّةً من اثنتين: إما أنْ طِبْتَ لي نفساً به وحملتَني عليه، وإما أن أبيْتَ فأدّعي والله هذا الصوتَ لي وقد أخذتُه، أفتُراك تقول: إنه لمتيّم وأقول: إنه لي ويُؤْخذ قولُك / ويترُك قولي؟! قال: لا والله ما أظنّ هذا ولا أراه؛ يا غلام قُدِ[5] البرذونَ إلى منزل أبي محمد بِسَرْجه ولجامه، لا بارك اللّهُ له فيه!. [٣٣/٧] [٢٩٧/٧]

---

(١) شارع الميدان: محلة ببغداد وهي بشرقي بغداد بباب الأزل.

(٢) في الأصول: «محسناً».

(٣) في أ، م: «سلمان».

(٤) القرطاسي: الأبيض الذي لا يخالط بياضه شية.

(٥) كذا في «نهاية الأرب» (ج ٥ ص ٦٣ طبعة أولى) وفي الأصول: «قدم البرذون».

كان إسحاق يرى أنها ساوته:

قال عليّ بن محمد وحدّثني أحمد بن حمدون:

أن إسحاق قال لمتيّم لمّا سمع هذا الصوتَ منها: أنتِ أنا فأنا مَنْ! يريد أنها قد حلّت محلّه وساوَته.

قال عليّ بن محمد وقال جدّي أبو جعفر:

كانت متيّمُ تقول:

صوت

* فلا زِلْن حسرى ظُلّعاً لم حملنها *

الرّمل كلّه.

علي بن هشام وعتابه بذل جاريته:

وحدّثني الهشاميّ قال مدّ عليُّ بن هشام يده إلى بَذْل[1] جاريتِه في عتابٍ يعاتبها، ثم ندِم على فعله ذلك، ثم أنشأ يقول:

فليتَ يدي بانت غَداةَ مَدَدْتُها إليكِ ولم تَرْجِع بكفٍّ وساعد

وغنّت متيّمُ جاريتُه فيه في الثقيل الأوّل؛ فكان يقال لبذل جاريةِ عليٍّ بذل الصغيرة.

ضرب موسوس بذل بالعود فكان سبب موتها:

وحدّثني الهشاميّ قال:

كان[2] سببُ موت بذل هذه أنها كانت ذاتَ يوم جالسةً عند المأمون فغنّته، وكان حاضراً في ذلك المجلس مُوَسْوِسٌ يُكْنَى بأبي الكَرْكَدَن من أهل طَبَرِسْتان / يضحك منه المأمونُ، فعبِثوا به فوثَب عليهم وهَرب الناسُ من بين [٢٩٨/٧] يديه فلم يَبْق أحدٌ حتى هرب المأمونُ، وبقيت بذلُ جالسةً والعودُ في حِجْرها، فأخذ العودَ من يدها وضرب به رأسَها فشجّها في شابورتها[3] اليمنى؛ فانصرفتْ وحُمّت، وكان سببَ موتها.

تزوّج المعتصم بذل الصغيرة وبقيت في قصره بعد موته:

وحدّثني الهشاميّ قال:

لما مات عليّ بن هشام ومات المأمونُ، أخذ المعتصمُ جَواريَ عليّ بن هشام كلَّهن فأدخلهنّ القصر، فتزوّج

---

(١) في الأصول: «يد جاريته» وهو تحريف.

(٢) وردت هذه الجملة في حـ هكذا: «كان سبب موت بذل هذه وذلك أنها كانت ذات يوم جالسة إلخ». وفي سائر الأصول: «كنت سبب موت بذل هذه وذلك أنها كانت ذات يوم دالة... إلخ» فاعتمدنا نسخة حـ مع حذف كلمة «وذلك» لنبوها في ذلك الموضع وعدم ملاءمتها السياق.

(٣) كذا وردت هذه الكلمة في الأصول. وظاهر أنها من أعضاء الرأس ولم نقف عليها في «معاجم اللغة العربية والفارسية».

ببَذْل المغنّية وبقيتْ عنده إلى أن مات؛ فخرجت بذلُ الكبيرة والباقون إلا بذلَ الصغيرة لأنها كانت حُرْمَتَه فلم يُخرجوها[١].

ويقال: إنه لم يكن في المغنّين أحسن صنعةً من عَلّويه وعبدالله بن العباس ومتيَّم.

شعر ابن الجهم في متيم الهشامية وأولادها:

وفي أولادها يقول عليّ بن الجهم:

بَنِـي مُتَيَّـمَ هـل تَـدْرون مـا الخبـرُ ... وكيـف يُسْتَـرُ أمـرٌ ليـس يَسْتَتِـرُ

حـاجِبُكـم مَـنْ أبـوكـم يـا بَنِـي عُصَـبٍ ... شتَّـى ولكنّمـا للعـاهـر الحَجَـرُ[٢]

غضبت من علي بن هشام وصالحها بشعر:

قال: وحدّثني جدّي قال: كلّم عليُّ بن هشام متيّمَ فأجابته جواباً لم[٣] يَرْضَه، فدفع يدَه في صدرها، فغضِبتْ ونهضتْ، فتثاقَلتْ عن الخروج إليه. فكتب إليها:

صـوت

فليـتَ يـدي بـانـتْ غـداةَ مَـدَدْتُهـا ... إليـكِ ولـم تَـرْجـع بكـفٍّ وسـاعـد

فـإن يَـرْجِـعِ الـرحمـنُ مـا كـان بيننـا ... فلسـتُ إلـى يـوم التَّنـادي بعـائـد

٣٤/٧ / غنّته متيّمُ خفيفَ رملٍ بالبنصر.

[٧/٢٩٩] / **عتبت على عليّ بن هشام وترضاها ثم كتب إليها فرضيت:**

قال: وعَتَبت عليه مرّةً فتمادَى عَتْبُها، وترضّاها فلم تَرْضَ؛ فكتب إليها[٤]: الإدلال يدعو إلى الإملال، وربَّ هجرٍ دعا إلى صبر، وإنما سُمّي القلبُ قلباً لتقلُّبه. ولقد صدق العباسُ بن الأحنف حيث يقول:

مـا أُرانـي إلاّ سـأهجُـر مـن لَيـ ... ـس يَـرانـي أقْـوَى علـى الهِجْـرانِ

قـد حَـدَا بـي إلـى الجفـاء وفـائـي[٥] ... مـا أضـرَّ الـوفـاءَ بـالإنسـان

قال: فخرجتْ إليه من وقْتها [ورضيتْ][٦].

كانت تهدي للهشامي نبقاً لأنه يحبه:

وحدّثني الهشاميّ قال:

---

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فلم يخرجها» وهو تحريف.
(٢) العاهر: الزاني، أي أن الولد لصاحب الفراش أي لصاحب أم الولد وهو زوجها أو مولاها.
(٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «ولم» وهو تحريف.
(٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «وقال».
(٥) رواية هذا الشطر في «ديوان العباس بن الأحنف» طبع مطبعة الجوائب بالآستانة و «نهاية الأرب»:
* ملني واثقاً بحسن وفائي *
(٦) التكلمة عن «نهاية الأرب».

كانت متيّمُ تُحبّني حبًا شديداً يَتجاوز محبّةَ الأخت لأخيها، وكانت تعلم أني أُحِبّ النَّبِق، فكانت لا تزال تبعث إليّ منه. فإنّي لأذكرُ في ليلة من الليالي في وقت السَّحَر إذا أنا ببابي يُدَقّ. فقيل: من هذا؟ فقالوا: خادمُ متيَّم يريد أن يدخل إلى أبي عبدالله. فقلتُ: يَدْخل. فدخل ومعه إليّ صِينيّة فيها نَبِقٌ؛ فقال لي: تُقْرئك السلام وتقول لك: كنتُ عند أمير المؤمنين المعتصم بالله فجاءوه بنَبِقٍ من أحسن ما يكون؛ فقلتُ له: يا سيّدي، أطلُب من أمير المؤمنين شيئاً؟ فقال لي: تَطْلُبين ما شئتِ. قالت: يُطْعمني أميرُ المؤمنين من هذا النَّبِق. فقال لسمانة[1]: اجعل من هذا النَّبِق في صينية واجعلوها قدّام مُتيَّم؛ فأخذتُه وذلّلْتُه [لك][2] وقد بعثتُ به إليك معي، / ثم دفعتْ [٧/ ٣٠٠] إليّ دراهم وقالت: هَبْ للحُرّاس هذه الدراهمَ لكي يَفْتَحوا الدُّروبَ لك حتى تصيرَ به إليه.

أراد إسحاق انتحال غناء متيم فعوضه علي بن هشام عن ذلك ببرذون:

ثم حدّثنا الهشاميّ قال:

بعث عليّ بن هشام إلى إسحاق فجاء، فأخرج مُتيّمَ جاريتَه إليه؛ فغنّتْ بين يديه:

فلا زِلْن حَسْرَى ظُلّعاً لِمْ حَمَلْنها إلى بلدٍ ناءٍ قليلِ الأصادق

فاستعاده إسحاق واستحسنه، ثم قال له: بكم تَشْتري منّي هذا الصوتَ؟ فقال له عليّ بن هشام: جاريتي تَصنع هذا الصوتَ وأشتريه منك! قال: قد أخذتُه الساعةَ وأدَّعيه، فقول من يُصَدَّق، قولي أو قولُك! فافتداه منه بِبِرذَوْن اختاره له.

سمع علي بن هشام من قلم جارية زبيدة صوتاً فأخرجه لجواريه بمائة ألف دينار:

وحدّثني الهشاميّ قال:

سمع عليّ بن هشام قُدّامَ المأمون من قَلَم جاريةِ زُبَيْدة صوتاً عجيباً، فرشا لمن[3] أخرجه من دار زبيدة بمائة ألف دينار حتى صار إلى داره وطَرِح الصوتُ على جَواريه. ولو علمت بذلك زُبَيْدة لاشتدّ عليها، ولو سألها أن توجّهَ به ما فعلتْ.

ذكر إسحاق متيم في كتابه وكان يتعالى من ذكر غيرها:

وحدّثني يحيى بن عليّ بن يحيى المنجِّم عن أبيه قال:

لمّا صنعت متيّمُ اللّحنَ في قوله:

* فلا زلن حَسْرَى ظُلّعاً لِمْ حَمَلْنها *

أُعجب به عليّ بن هشام، وأسمعه إسحاق فاستحسنه وقال: من أين لك هذا؟ فقال: من بعض الجواري.

---

(١) هو سمانة الخادم ويدعى مسرور سمانة (انظر الكلام عليه في «تاريخ الطبري» (ق ٣ ص ١٣٦٧، ١٣٧٤، ١٣٧٧، ١٣٧٨) وفي أكثر الأصول: «لسمانة اجعلي» خطاباً لمؤنثة. وفي س: «الشمانة اجعلي». والظاهر أنهما تحريف من النساخ.

(٢) هذه الكلمة ساقطة في ب، س.

(٣) الذي في «معاجم اللغة» أن «رشا» يتعدى إلى مفعوله بنفسه.

فقال[١]: إنه لِعريبَ؛ ولم يَزَلْ يَستعيده حتى قال: إنه لمتيَّمَ؛ فأطرق. وكان متحاملاً على المغنّين شديدَ النَّفاسة عليهم كثيرَ الظلم لهم مُسْرِفاً / في حَطّ درجاتهم، وما رأيتَه في غِنائه ذكر لعَلّويه ولا مخارِق ولا عمرو بن بانة ولا عبدالله بن عبّاس ولا محمد بن الحارث صوتاً واحداً ترفُّعاً عن ذكرهم مُنْتَصِباً[٢] لهم، وذكر في آخر الكتاب قولَه: [٣٠١/٧]

فـلا زلـن حَسْـرَى ظُلَّعـاً لِـمْ حَمَلْنَهـا ... إلـى بلـد نسـاءِ قليـل الأصـادق

ووقَّع تحته «المُتيَّم». وذكر آخر كل صوت في الكتاب ونسَب إلى كلّ مغنٍّ صوتَه غير مُخَارِقٍ وعَلّويه وعمرو بن بانة وعبدالله بن عباس فما ذكرهم بشيء.

سمعت شاهك جدة علي بن هشام صوتها فأعجبت بها وأمرت لها بجائزة:

أخبرنا أحمد بن جعفر جحْظة / قال حدّثني ابن المكيّ عن أبيه قال قال لي عليّ بن هشام: [٣٥/٧]

لمّا قدِمتْ عليّ شاهِك جَدّتي من خَراسان، قالت: اعْرِض جَواريَك عليّ، فعرَضْتُهنّ عليها. ثم جلسنا على الشّراب، وغنّتْنا مُتَيَّمُ. وأطالت جدّتي الجلوسَ فلم أنْبَسِط إلى جَواريّ كما كنتُ أفعل؛ فقلت هذين البيتين:

صـوت

أَتَبْقَـى علـى هـذا وأنـتِ قـريبـةٌ ... وقـد مَنَـع الـزُّوّارُ بعـضَ التَّكلُّـمِ

سـلامٌ عليكـم لا سـلامَ مُـودِّعٍ ... ولكـن سـلامٌ مـن حبيـب متيَّـم

وكتبتُهما في رُقْعة ورميتُ بها إلى متيَّم؛ فأخذتْها ونهضتْ إلى الصلاة[٣]، ثم عادت وقد صنعتْ فيه اللحنَ الذي يُغَنَّى فيه اليوم، فغنّتْ. فقالت شاهك: ما أُرانا إلاّ قد / ثَقَّلْنا عليكم اليوم؛ وأمرت الجواريَ فحمَلْنَ مِحَفَّتَها، وأمرتْ بجوائز للجَواري وساوت[٤] بينهنّ، وأمرت لمتيَّمَ بمائة ألف درهم. [٣٠٢/٧]

---

(١) كذا بالأصول. والأحرى بهذه الجملة أن تكون هكذا: «فقال: من بعض الجواري، فاستعاده فقال: إنه لعريب... إلخ».

(٢) الانتصاب: إظهار العداوة.

(٣) في «نهاية الأرب»: «ونهضت لصلاة الظهر».

(٤) قد ورد بين هذه الكلمة وبين «أخبرني قال: أول من عقد من النساء... إلخ» خبر مبتور في حـ، أ،ء، م وهو:

هذا الصوت لعليّ بن هشام والغناء لمتيم خفيف رمل... ... وأنا صغير إلى عليّ بن هشام منصرفاً... ... هي نفساً بابنة لها وعليه سيفه... ... لمتيم بين يديه تحبو بين السبع وبذل... ... يمين بذل... ... ... دنانير تزمر بالسرير على الغناء وهو يشرب فبعث إلى متيم: بالله وبحياتي تعالى إلينا ولم تزل الرسل ترسل إليها إلى أن جاءت وعليها جبة خز سفرجلية مزوقة وأمرك مرة رأيت جيبها مزرراً تلك الجبة فحين دخلت قعدت وحدها عن يمين الباب في الناحية التي كان عليّ فيها جالساً إلا أن بينهما فرجة فتغنت:

* فلا زلن حسرى ظلعاً لم حملتها *

فلم تزل كذلك حتى جاءته خداع جاريته فقالت له: يا سيدي قد والله طلع الفجر فقال أباتكم الله بعافية وانصرف إلى بيته».

هي أول من عقد على الإزار زناراً:

وأخبرني قال: أوّلُ من عقَد من النساء في طَرَف الإزار زُنَاراً[١] وخَيْطَ إِبْرَيْسَم[٢] ثم تجعله في رأسها فيثبُت الإزارُ ولا يتحرّك ولا يزول متيَّمُ.

مرت بقصر مولاها بعد قتله فرثته:

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني ميمون بن هارون قال:

مرّت متيَّمُ في نِسوةٍ وهي مُسْتَخفِيةٌ بقصر عليّ بن هشام بعد أن قُتِل، فلما رأت بابَه مُغْلَقاً لا أنيس عليه وقد علاه الترابُ والغُبْرةُ وطُرِحتْ في أفْنِيته المَزَابلُ، وقفتْ عليه وتمثّلتْ:

صوت[٣]

يـا منـزلاً لـم تَبْـلَ أطـلالُـهُ ... حـاشـا لأطـلالِـكَ أن تَبْلَـى
لـم أَبْـكِ أطـلالَـك لكنّنـي ... بكيـتُ عيشـي فيـك إذ وَلّـى
/ قـد كـان لـي فيـك هـوًى مـرّةً ... غيّبـه التـربُ ومـا مُـلاّ[٤] [٣٠٣/٧]
فصـرتُ أبكـي جـاهـداً فقـدَه ... عنـد اذكـاري حيثمـا حـلاّ
فـالعيـشُ أولَـى مـا بكـاه الفتـى ... لا بـدّ للمحـزون أن يَسْلَـى

ـ فيه رمل بالوسطى لابن جامع ـ قال: ثم بكتْ حتى سقطتْ من قامتها، وجعل النِّسوةُ يُناشِدْنها ويقُلْنَ: اللّهَ اللّهَ في نفسك! فإنك تُؤخذين الآن، فبعد لأيٍ[٥] مّا حُمِلت تَتهادى بين امرأتين حتى تجاوزت الموضِعَ.

أمرها المعتصم بالغناء فعرّضت بمولاها:

نسختُ من كتاب أبي سعيد السُّكّريّ حدّثني الحارث بن أبي أُسامة قال حدّثني محمد بن الحسن عن [عبدالله بن][٦] العباس الرَّبيعي قال: قالت لي متيَّمُ:

بعث إليّ المعتصمُ بعد قدومه بغدادَ، فذهبتُ إليه، فأمرني بالغناء فغنّيتُ:

هـل مُسعـدٌ لبكـاء ... بعَبْـرة أو دمـاء

فقال: اعْدِلي عن هذا البيت إلى غيره؛ فغنّيْته غيرَه من معناه؛ فدَمَعتْ عيناه وقال: غَنّي غيرَ هذا. فغنّيتُ في لحني:

---

(١) الزنار في الأصل: ما يلبسه ويشدّه الذمي على وسطه.
(٢) الإبريسم: الحرير.
(٣) هذه الكلمة ساقطة في ب، س.
(٤) في ب، س: «وما هلا» وهو تحريف.
(٥) اللأي: الجهد والمشقة.
(٦) زيادة ضرورية فإن محمد بن الحسن يروي عن عبدالله لا عن أبيه. ويحتمل أن يكون: «عن أبي العباس الربيعي» وهي كنية عبدالله بن العباس، كما سيذكر في ترجمته في هذا الكتاب (ج ١٧ ص ١١٧ طبع بولاق).

أولئك قومي بعد عزٍّ ومَنْعَةٍ تفانَوْا وإلاّ تَذْرِفِ العينُ أكْمَدِ

فبكى وقال: وَيْحكِ! لا تُغنّيني في هذا المعنى شيئاً البتة[1]. فغنّيتُ في لحني:

لا تأمَنِ الموتَ في حِلٍّ وفي حَرَمٍ إنّ المنايا تَغَشّى كلَّ إنسانِ

[٣٠٤/٧] / واسلُك طريقَك هوناً غيرَ مكترِثٍ فسوف يأتيك ما يَمْنِي[2] لك الماني

٣٦/٧ فقال: والله لولا أني أعلم أنك إنما غنّيتِ بما في قلبك لصاحبك وأنّك لم تُرِيدني لمَثّلْتُ بك؛ / ولكن خذوا بيدها فأَخرِجوها، فأخذوا بيدي فأُخرِجتُ.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

هل مُسعِدٌ لبكاءِ بِعَبْرةٍ أو دماءِ

وذا لفقدِ خليلٍ لسادةٍ نُجَباءِ

الشعر لمُرادَ شاعرةِ عليّ بن هشام تَرْثيه لمّا قتله المأمونُ. والغناء لمتيّم. ولحنُه من الثقيل الأوّل بالوسطى.

منها:

ذهبتُ[3] من الدّنيا وقد ذهبتْ منّي ....

وقد أخرج في أخبار إبراهيم بن المهديّ لأنه من غنائه وشعره، وشُرِحَتْ أخبارُه فيه. ولحنه رملٌ بالوسطى.

ومنها:

صوت

أولئك قومي بعد عزّ ومَنْعة تفانَوْا وإلاّ تَذْرِفِ العينُ أكْمَدِ

[٣٠٥/٧] / وقد أُخرج في أخبار أبي سعيد مولى فائد والعَبْليّ وغنّيا فيه من مراثيهما في بني أُميّة. ولحنُ متيّم هذا الذي غَنّت فيه المعتصمَ ثاني ثقيل بالوسطى.

ومنها:

---

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «ألفته».

(٢) مناة الله: قدّره. فما يمني لك الماني، أي ما يقدر لك المقدر وهو الله تعالى. وقد جاء هذان البيتان في «اللسان» هكذا وهما لسويد بن عامر المصطلقي:

لا تأمن الموت في حل ولا حرم إن المنايا توافي كل إنسان

واسلك طريقك فيها غير محتشم حتى تلاقي ما يمني لك الماني

(٣) لم يتقدّم لهذا الصوت ذكر في أوّل الخبر.

صوت

لا تأمَنِ الموتَ في حلّ وفي حرم ....

ذكر الهشاميُّ أنه ممّا وجدَه من غناء متيّم، غير أن لها لحناً فيه يُذكر في موضع غير هذا على شرحٍ(١) إن شاء الله تعالى، وإنما أَلِفَتْ صوتاً تولّعتْ به وغنّتْه فنسبه إليها(٢).

كانت تغني لنفسها خفيف رمل:

وأخبرني قال: كنّا في مجلسنا نِياماً. فلما كان مع الفجر إذا متيّمُ قد دخلت علينا وقالت: أطْعموني شيئاً؛ فأخرجوا إليها شيئاً تأكله، فأكلتْ، ودعتْ بنبيذ وابتدأتِ الشربَ، ودعت بعود فاندفعت تغنّي لنفسها وتشرب. وكان ممّا غنّتْ:

كيــف الثَّــواءُ بــأرض لا أراك بهـــا ... يــا أكثــرَ النــاس عنــدي مِنّــةً ويــدا

ـ خفيف رمل ـ وقال: ما رأيت أحداً من المُغنّين والمغنّيات إذا غنَّوْا لأنفسهم يكادون يغنّون إلاّ خفيفَ رمل.

/ نوحها على سيدها: [٣٠٦/٧]

وأخبرني قال حدّثني بعضُ أهلها قال: لما أُصِبنا بعليّ بن هشام، جاء النوائحُ، فطرح بعضُ من حضر من مُغَنِّياته عليهنّ نوحاً من نوح متيّم، وكان حسَناً جيّداً، فأبطأ نوحُ النوائح اللّاتي جئن لحسنه وجَوْدته. وكانت زين حاضرةً فاستحسنتْه جدًّا، وقالت: رضِيَ اللّهُ عنكِ يا متيّم! كنتِ علَماً في السرور، وأنت علم في المصائب.

وأخبرني قال: إني لأذكر من بعض نَوْحها:

لعلــيٍّ وأحمــد وحسيــنٍ ... ثــم نصــر وقبلَــه للخليــل

هزَجٌ.

أرسلت لها مؤنسة هدية يوم حجامتها:

قال ابن المعتزّ: وأخبرني الهشاميُّ قال: وجّهتْ مؤنِسةُ جاريةُ المأمون إلى متيّم جاريةِ عليّ بن هشام في يومٍ

(١) لعله: «مع شرح».
(٢) في أ، ء، حـ، م زيادة غير واضحة بين قوله: «وغنته فنسبه إليها» وبين «وأخبرني قال كنا في مجلسنا نياماً... إلخ» نثبتها كما وردت وهي:
«أحمد بن هشام يقال لها عواذل اشتراها من إنسان مدني. فيه صوتين فأشتهيهما منهما فأخذتهما بحضرتي ثم سمعت بيتين هما لها أحدهما:

يــا منــزلاً لــم تبــل أطــلالــه ... حــاشــا لأطــلالــك أن تبلــى
لــم أبــك أطــلالــك لكننــي ... بكيــت عيشــي فيــك إذ ولــى

والآخر:

أمســح الــربــع بخــدّي ... إذ مشــى فيــه الخليــل
وعلــى مثلــك يبكــي ... أيهــا الــربــع المحيــل
عــرفــت عينــي الطلــول ... فلهــا دمعــي يسيــل
وبكــت لــي إذ رأتنــي ... خــاليــاً فيهــا أجــول»

احتجمتْ فيه مِخْنَقةً[١] في وسطها حبّةٌ لها قيمة جليلة كبيرة[٢] وعن يمين الحبّة ويسارها أربعُ يواقيتَ وأربع زُمُرّدات وما بينها من شَذُور الذهب، وباقي المِخْنَقة قد طُيِّب بغالية.

كانت تحب البنفسج وتؤثره على غيره:

وأخبرني قال: كانت متيّمُ يُعْجِبها البَنَفْسَج جدّاً، وكان عندها آثَرَ من كلّ ريْحان وطِيبٍ، حتى إنها من شدّة إعجابها [به][٣] لا يكاد يخلو من / كُمِّها الرّيحان ولا نراه إلا كما قُطِف من البستان[٤].

٣٧ / ٧

لما ماتت هي وإبراهيم بن المهدي وبذل قالت جارية للمعتصم أظن أن في الجنة عرساً:

وقد أخبرني رحمه الله قال حدّثنا أبو جعفر بن الدَّهْقَانة:

[٣٠٧/٧] أنّ جاريةً للمعتصم قالت له لمّا ماتت متيّمُ وإبراهيمُ بن المهديّ وبَذْلُ: / يا سيّدي، أظن أنّ في الجنّة عُرْساً، فطلبوا هؤلاء إليه. فنهاها المعتصمُ عن هذا القول وأنكره. فلما كان بعد أيام، وقع حريقٌ في حجرة هذه القائلة فاحترق كلُّ ما تَمْلِكه. وسمع المعتصمُ الجَلَبة فقال: ما هذا؟ فأُخْبِر عنه؛ فدعا بها فقال: ما قصّتُك؟ فبكت وقالت: يا سيّدي، احترق كلُّ ما أملِكه. فقال: لا تَجْزَعي، فإن هذا لم يحترق وإنما استعاره أصحاب ذلك العرس.

أمرها المأمون بأن تجيز شعراً:

وقد ذكرتُ في متقدِّم أخبار متيّم أنّها كانت تقول الشعرَ ولم أذكر شيئاً. فمن ذلك ما أخبرنا به الحَرَمِيّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الحسن بن أحمد بن أبي طالب الدِّيناريّ قال حدّثني الفضل بن العبّاس بن يعقوب قال حدّثني أبي قال:

قال المأمون لمتيّم جارية عليّ بن هشام: أَجِيزي لي هذين البيتين:

تعالَيْ تكون الكُتْبُ بيني وبينكم ... مُلاحَظَةً نُومِي بها ونُشِيرُ
ورُسْلي بحاجاتي وهنّ كثيرةٌ ... إليك إشاراتٌ بها وزَفِيرُ[٥]

صوت

من المائة المختارة

إنّ العيونَ التي في طَرْفِها مرضٌ ... قَتَلْنَنَا ثم لم يُحْيِين قتلانا
يَصْرَعْن ذا اللُّبِّ حتى لا حَرَاكَ له ... وهنّ أضعفُ خلقِ الله أركانا

(١) المخنقة: القلادة.
(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «كثيرة».
(٣) تكملة عن حـ.
(٤) قد ورد بين هذه الكلمة وبين «وقد أخبرني رحمه الله قال حدّثنا إلخ» خبر مبتور في حـ، ء، م وهو: «قال ابن المعتز وحدّثني ابن المهدي ومتيم وبذل في أيام يسيرة قليلة العدد... الجنة عرس قد ذهبوا بهؤلاء المغنين المحسنين إليه... قال أبو العبيس توفوا في ستة أشهر فقال الناس».
(٥) يلاحظ أن الكلام هنا لم يتم.

عروضه من البسيط. والشعر لجرير. والغِناء لابن مُحْرِز. ولحنه المختار من القدر الأوْسط من الثقيل. وفي هذه القصيدة أبياتٌ أُخَر تُغَنّى فيها ألحانٌ سوى هذا اللحن، منها قوله:

[٣٠٨/٧]

/ صوت

من المائة المختارة

أتْبَعْتُهم مقلةً إنسانُها غَرِقٌ هل ما تَرى تاركٌ للعين إنسانا

إن العيون التي في طرفها مَرَضٌ قتلننا ثم لم يُحْيِين قَتْلانا

[الغناء في هذين البيتين ثقيلٌ](١) أوّلُ مطلَق بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

ومنها أيضاً:

صوت

بان الأخِلاّ وما ودّعتُ مَنْ بانا وقطّعوا من حبال الوصل أركانا

أصبحتُ لا أبتغي من بعدهم بَدَلاً بالدار داراً ولا الجيران(٢) جيرانا

وصرتُ مذ ودّع الأظعانُ ذا طَرَبٍ(٣) مروَّعاً من حِذار البين مِحْزانا

في الأوّل والثاني والثالث من الأبيات خفيفُ رمل بالبنصر. وفيها للغَريض ثاني ثقيل بالبنصر، من رواية عمرو بن بانة والهشاميّ. وذكر حبشٌ أن فيه لمالك خفيفَ رملٍ بالوسطى، ولابن سرجس في الأوّل والثاني وبعدهما:

* أتبعتُهم مقلةً إنسانُها غَرِقٌ *

رملٌ بالوسطى. وذكر الهشاميّ أن لابن محرز في الأوّل والثاني بعدهما «أتبعتُهم مقلة» / لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر، وذكر المكيّ أنه لمعبد.

انتهى الجزء السابع من كتاب الأغاني

ويليه الجزء الثامن

وأوّله نسب جرير وأخباره

(١) التكملة عن ء وقد سقطت في سائر النسخ.

(٢) كذا في «ديوانه» وأكثر الأصول. وفي ب، س: «بالدار داراً وبالجيران جيراناً».

(٣) الطرب هنا: الحزن.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس موضوعات الجزء السابع

الموضوع الصفحة



تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

(٣٥٦ هـ - ٩٧٦م)

إعداد
مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي

الجزء الثامن

طبعة كاملة وجديدة، مصححة، ملونة
محققة على تسع مخطوطات ومزيدة بفهارس شاملة

دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثامن

من كتاب الأغاني

/ نسب جرير وأخباره [٣/٨]

نسبه من قبل أبويه:

جَرير بن عطيّة بن الخَطَفَى. والخَطَفَى لقبٌ، واسمه حُذَيفة بن بَدْر بن سَلَمَة بن عَوْف بن كُلَيب بن يَرْبُوع بن حَنْظَلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تَميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابِخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار. ويُكنى أبا حَزْرة. ولُقِّب الخَطَفَى لقوله:

يَـرْفَعْـنَ للّيْـل[1]إذا مـا أسْـدَفَـا[2] أعنـاقَ جِنّـانٍ وهـامـاً رُجَّفـا

وعَنَقاً[3]بعد الكَلال خَيْطَفَا

ويُروى: خَطَفَى.

/ وهو والفَرَزْدَقُ والأخْطَل المقدَّمون على شعراء الإسلام الذين لم يُدْركوا الجاهلية جميعاً. ومختَلفٌ في أيُّهم المتقدّمُ؛ ولم يَبْقَ أحد من شعراء عصرهم إلا تعرَّض لهم فافتَضح وسقَط وبَقُوا يتصاولون؛ على أن الأخطل إنما دخل بين جرير والفرزدق في آخر أمرهما وقد أسَنَّ ونفِد أكثرُ عمره. وهو وإن كان له فضلُه وتقدُّمه فليس[4] نَجْره[5] من نِجَار هذين في شيء؛ وله أخبار مفردة عنهما ستُذكر بعد هذا مع ما يُغَنّى من شعره. [٤/٨]

أخبرني أبو خَليفة الفَضْل بن الحُبَاب الجُمَحيّ قال حدّثنا محمد بن سَلّام الجُمَحيّ، وأخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ وعليّ بن سليمان الأخفش قالا حدّثنا أبو سَعيد السُّكّريّ عن محمد بن حَبِيبَ وأبي غَسّان دَمَاذ

---

(١) في «اللسان» و«شرح القاموس» (مادتي خطف وسدف) و«الاشتقاق» لابن دريد و«المؤتلف والمختلف» للآمدي: «بالليل».

(٢) أسدف الليل: أظلم. والجنان: جنس من الحيات إذا مشت رفعت رؤوسها، واحدها جان. والهام: الرؤوس.

(٣) العنق: السير المنبسط. والخيطف والخيطفي: سرعة انجذاب السير، كأنه يختطف في مشيه عنقه، أي يجتذبه. ورواية هذا الشطر في «الشعر والشعراء» (ص ٢٨٣ طبع أوروبا):

وعنقاً باقي الرسيم خيطفا

وقد ذكر صاحب «اللسان» (مادة خطف) رواية الأصل كما أورد رواية أخرى هي:

وعنقا بعد الرسيم خيطفا

والرسيم: ضرب من السير سريع مؤثر في الأرض.

(٤) كذا في جميع الأصول. وليس لهذه الفاء، موقع في الكلام.

(٥) النجر والنجار: الأصل والحسب. يريد أنه ليس من معدنهما.

وإبراهيم بن سَعْدان عن أبيه جميعاً عن أبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المثنَّى، بنسب جرير على ما ذكرتُه وسائِر ما أذكره في الكتاب من أخباره فأحكِيه عن أبي عبيدة أو عن محمد بن سَلّام. قالوا جميعاً:

وَأُمُّ جَرير أمّ قَيْس بنتُ مُعَيْد[1] بن عُمَير[2] بن مسعود بن حارِثة بن عَوْف بن كُلَيب بن يَرْبُوع. وأُمّ عطيّة النَّوَار بنت يَزِيد بن عبد العُزّى بن مسعود بن حارِثة بن عَوْف بن كُلَيب.

قال أبو عُبَيْدة ومحمد بن سَلّام ووافقهما الأصمعيّ فيما أخبرنا به أحمد بن عبدالعزيز عن عمر بن شَبّة عنه[3]:

[٨/٥] / اتفقت العرب على أن أشعر أهل الإسلام ثلاثة: جريرٌ والفرزدق والأخطل، واختلفوا في تقديم بعضهم على بعضٍ. قال محمد بن سَلّام: والراعي معهم في طبقتهم ولكنّه آخرهم، والمخالِف في ذلك قليل. وقد سمعتُ يونسَ يقول: ما شهدت مَشْهَداً قط قد ذُكر فيه جرير والفرزدق فأجتمع أهلُ المجلس على أحدهما. وكان يونس فَرَزْدقيّاً.

قال أبن سَلّام: وقال ابنُ دأب: الفرزدق أشعرُ عامّةً وجرير أشعرُ خاصّةً. وقال أبو عُبيدة: كان أبو عمرو يشبّه جريراً بالأعشى، والفرزدقَ بزُهَير، والأخطلَ بالنابغة. قال أبو عبيدة: يحتجّ مَنْ قدّم جريراً بأنه كان أكثَرهم فنونَ شعر، وأسهلَهم ألفاظاً، وأقلَّهم تكلّفاً، وأرقَّهم نَسيبا، وكان ديِّناً عفيفاً. وقال عامر بن عبد الملك: جرير كان أشْبَهَهما[4] وأنسبَهما.

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ: قال خالد بن كُلْثوم: ما رأيت أشعر من جرير والفرزدق؛ قال الفرزدق بيتاً مدح فيه قبيلتين وهجا قبيلتين، قال:

عجبتُ لِعجْلٍ إذ تُهَاجِي عبيدَها ... كما آلُ يَرْبُوعٍ هَجَوْا آلَ دارِمِ[5]

$\frac{٣٩}{٧}$ / يَعْني بعبيدها بني حَنيفة. وقال جرير بيتاً هجا فيه أربعة:

إن الفرزدق والبَعيث وأمَّه ... وأبا البَعيث لشَرُّ ما إسْتارِ[6]

قال: وقال جرير: لقد هجوتُ التَّيْمَ في ثلاث كلمات ما هجا فيهنّ شاعر شاعراً قبلي، قلتُ:

من الأصلاب يَنْزِل لُؤمُ تَيْمٍ ... وفي الأرحام يُخلق والمَشِيمِ

---

(١) كذا في «النقائض» (ص ٧ طبع أوروبا) عند الكلام على شرح بيت غسان بن ذهيل في هجاء جرير وهو:

ستعلم ما يغني معيد ومعرض ... إذا ما سليط غرّتك بحورها

وفي الأصول: «سعد».

(٢) في «النقائض»: «بن عثيم بن حارثة... إلخ».

(٣) في ب، س: «... عن عمر بن شبة أنه اتفقت إلخ».

(٤) كذا في م، أ، ء، وفي ب، س: «كان أسنهما...». ولعل الصواب فيه: «كان أسبهما» كما سيأتي في ص ٩ من هذا الجزء.

(٥) آل دارم: قوم الفرزدق. وآل يربوع: قوم جرير.

(٦) الإستار (بكسر الهمزة) من العدد: الأربعة. وما زائدة. يريد أن هؤلاء المذكورين في البيت شرّ أربعة.

جرير وطبقته من الشعراء

/ وقال محمد بن سَلّام: قال العَلاء بن جرير العَنْبريّ وكان شيخاً قد جالس الناس: إذا لم يجيء الأخطلُ [٦/٨] سابقاً فهو سُكَّيتٌ[١]، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سكّيتاً، وجرير يجيء سابقاً ومُصَلّياً[٢] وسكّيتاً. قال محمد بن سلّام: ورأيت أعرابيّاً من بني أَسَد أعجبني ظَرْفُه وروايته، فقلت له: أيُّهما عندكم أشعرُ؟ قال: بيوت الشعر أربعة: فخرٌ ومديح وهجاء ونَسيب، وفي كلّها غَلب جرير؛ قال في الفخر:

إذا غضِبتْ عليكَ بنو تَميمٍ ... حسِبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضابا

والمديح:

ألستُم خيرَ من ركب المطايا ... وأندَى العالَمين بطونَ راحِ

والهجاءِ:

فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ ... فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابا

والنَّسيبِ:

إنّ العيون التي في طَرْفها حَوَرٌ ... قتلْننا ثم لم يُحْيين قَتْلانا

قال أبو عبدالله محمد بن سَلّام: وبيتُ النَّسيب عندي:

فلما التقى الحيّانِ أُلقيتِ العصا ... ومات الهوى لما أُصِيبتْ مَقاتِلُهْ

قال كَيْسان[٣]: أمَا والله لقد أوجعكم (يعني في الهجاء). فقال: يا أحمق! أَوَ ذاك يمنعه أن يكون شاعراً!.

تفضيله عبيدة بن هلال على الفرزدق

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدّثني عمر بن شَبّة قال قال أبو عُبَيدة، وأخبرنا أبو خَليفة قال حدّثني محمد بن سَلّام الجُمَحيّ قال حدّثني أَبَانُ بن عثمان البَلْخِيّ قال:

/ تنازع في جرير والفرزدق رجلان[٤] في عسكر المهلّب، فارتفعا إليه وسألاه؛ فقال: لا أقول بينهما شيئاً [٧/٨] ولكنّي أدلُّكما على من يَهُون عليه سُخطُهما: عُبَيدة[٥] بنِ هِلال اليَشْكُريّ ـ وكان بإزائه مع قَطَريّ[٦] وبينهما نهر. وقال عمر بن شَبّة: في هؤلاء الخوارج من تَهُون عليه سِبَالُ[٧] كلّ واحد منهما ـ فأمّا أنا فما كنتُ لأُعرِّض نفسي لهما. فخرج أحد الرجلين وقد تراضيا بحكم الخوارج؛ فبدَر من الصفّ ثم دعا بعُبيدة بن هلال للمبارزة فخرج إليه.

(١) السكيت (بتشديد الكاف وتخفيفها): الذي يجيء آخر الخيل في السباق.

(٢) المصلى: الذي يجيء بعد الأوّل في السباق.

(٣) لم يتقدّم لهذا الاسم ذكر في هذا الخبر.

(٤) في ب، س: «من».

(٥) هو عبيدة بن هلال اليشكري أحد زعماء الخوارج وقوّادهم وفصحائهم. (انظر فقرا عليه في «الطبري» ق ٢ ص ٣٩١، ٥١٥، ٥٨٥، ٥٨٦، ٧٦٢ طبع أوروبا).

(٦) هو قطري بن الفجاءة أحد أبطال الخوارج ومتقدميها، وكان شاعراً.

(٧) كذا في أ، حـ. والسبال: جمع سبلة وهي طرف الشارب ومقدّم اللحية. يريد أن في هؤلاء الخوارج من لا يباليهما. وفي ب، س: «يهون عليه أن يسأل كل واحد إلخ». وفي م، ء: «يهون عليه يسأل إلخ».

فقال: إني أسألك عن شيء تحاكمنا إليك فيه؛ فقال: وما هو؟ عليكما لعنة الله. قال: فأيّ الرجلين عندك أشعرُ: أجريرٌ أم الفرزدق؟ فقال: لعنكما الله ولعن جريراً والفرزدق! أمثلي يُسأل عن هذين الكلبين! قالا: لا بدّ من حكمك. قال: فإنّي سائلُكم قبل ذلك عن ثلاث. قالوا: سَلْ. قال: ما تقولون في إمامكم إذا فَجر؟ قالوا: نُطيعه وإن عصى الله عزّ وجلّ. قال: قبّحكم الله! فما تقولون في كتاب الله وأحكامه؟ قالوا: نَنْبِذه وراء ظهورنا ونُعطّل أحكامه. / قال: لعنكم الله إذاً! فما تقولون في اليتيم؟ قالوا: نأكل ماله وننيك أمّه. قال: أخزاكم الله إذاً! والله لقد زِدْتُموني فيكم[1] بَصيرةً. ثم ذهب لينصرف؛ فقالوا له: إن الوفاء يَلْزَمُكَ، وقد سألتنا فأخبرناك ولم تُخبرنا؛ فرجع فقال: من الذي يقول: ٤/٧

[٨/٨] / إنّا لنَذْعَر يا قُفَيْرُ[2] عدوَّنا ... بالخيل لاحقةَ[3] الأياطلِ قُودَا

وتَحُوطُ حَوْزَتَنا وتَحْمي سَرْحَنا ... جُرْدٌ تَرَى لمُغَارِها[4] أُخْدُودا

أجْرَى قلائدَها وقدَّد لحمها ... ألاّ يَذُقْنَ مع الشَّكائم عُوداً

وطَوَى القِيادُ مع الطِّرَاد مُتونَها ... طَيَّ التِّجار بحَضْرَمَوْتَ بُرودَا

قالا: جريرٌ، قال: فهو ذاك، فانصرفا.

حديث الأصمعيّ وغيره عنه:

أخبرني عمّ أبي عبدُالعزيز بن أحمد قال حدّثنا الرِّيَاشيّ قال قال الأصمعيّ وذكر جريراً فقال[5]:

كان يَنْهَشُه ثلاثة وأربعون شاعراً فيَنْبِذُهم وراء ظهره ويرمي بهم واحداً واحداً، ومنهم من كان يَنْفَحه[6] فيرمي به، وثبَت له الفرزدقُ والأخطل. وقال جرير: والله ما يهجوني الأخطل وحدَه وإنه ليهجوني معه خمسون شاعراً كلُّهم عزيزٌ[7] ليس بدون الأخطل، وذلك أنه كان إذا أراد هجائي جمَعهم على شراب، فيقول هذا بيتاً وهذا بيتاً، وينتحل هو القصيدةَ بعد أن يُتَمّموها.

قال ابن سَلاّم: وحدّثني أبو البَيْداء الرِّيَاحيّ قال قال الفرزدق: إنّي وإيّاه لنغترفُ من بحر واحد وتضطرب دِلاؤه عند طول النهر.

[٩/٨] / أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال حدّثني زيرك بن هُبَيرة المنانيّ قال:

كان جريرٌ مَيدانَ الشعر، من لم يَجْرِ فيه لم يَرْوِ شيئاً، وكان مَنْ هاجَى جريراً فغلَبه جرير أرجحَ عندهم ممّن هاجَى شاعراً آخر غير جرير فغلَب.

---

(١) لعل الصواب: «... بكم بصيرة».

(٢) كذا في «ديوانه» المخطوط بقلم المرحوم الأستاذ الشنقيطي (المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ أدب ش) و«شرح القاموس» (مادة قفر). وهي أم الفرزدق الشاعر. وفي الأصول: «فقير» بتقديم الفاء على القاف، وهو تصحيف.

(٣) الأياطل: جمع أيطل وهي الخاصرة. ولاحقة: ضامرة. والقود: جمع أقود وقوداء. والأقود من الخيل: الطويل العنق العظيمة.

(٤) المغار: الإغارة. والأخدود. الشبق، يريد أثر حوافرها في الأرض.

(٥) كذا في الأصول، والكلام مستغن عنها.

(٦) كذا في حـ، يقال: نفحه (بالحاء المهملة) بالسيف أي ضربه به ضربة خفيفة. وفي سائر الأصول: «ينفخه» بالخاء المعجمة.

(٧) في ب، س: «عربيّ».

أخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلاّم قال: تذاكروا جريراً والفرزدق في حَلْقة يونس[1] بن معاوية بن أبي عمرو بن العَلاء وخَلَف الأحمر ومِسْمَع وعامر ابنا عبد الملك المِسْمَعِيّان، فسمعت عامراً وهو شيخ بكر بن وائل يقول: كان جرير والله أنسبهما وأسبَّهما وأشبهَهما.

سمع الراعي شعره فأقرّ بأنه جدير بالسبق:

قال ابن سَلاّم: وحدّثني أبو البَيْداء قال: مرّ راكبٌ بالراعي وهو يغنّي بيتين لجرير، وهما:

وعــاوٍ عَــوَى مــن غيــر شــيءٍ رميتُــه ... بقــارعــةٍ أنْفــاذُهــا تَقْطُــرُ الــدَّمَــا

خَــرُوجٍ بــأفــواه الــرُّواةِ كــأنَّهــا ... قَــرَا هُنْــدُوانِــيٍّ[2] إذا هُــزَّ صَمَّمَــا

فأتْبَعه الراعي رسولاً يسأله لمن البيتان؟ قال: لجرير. قال: لو اجتمع على هذا جميع الجنّ والإنس ما أغنَوْا فيه شيئاً. ثم قال لمن حضر: وَيْحَكم أأُلام على أن يغلِبني مثلُ هذا!.

رأي بشار فيه وفي صاحبيه ورثاؤه ابنه: [١٠/٨]

قال ابن سَلاّم: وسألت بَشّاراً المرعَّث: أيُّ الثلاثةِ أشعر؟ فقال: لم يكن الأخطل مثلهما ولكنّ رَبِيعةَ تعصَّبتْ له وأفرطتْ فيه. قلت: فهذان؟ قال: كانت لجرير ضُروبٌ من الشعر لا يحسنها الفرزدق، ولقد ماتت النَّوار فقاموا يَنُوحون عليها بشعر جرير. فقلتُ لبَشّار: وأيُّ شيء لجرير من المَراثي إلاّ التي رَثَى بها امرأتَه! فأنشدني لجرير يَرْثي ابنَه سَوَادةَ ومات بالشأم:

قــالــوا نَصِيبَــك مــن أجــرٍ لهــم ... كيف العَزاءُ وقــد فــارقــتُ أشبــالــي

/ فارَقْتني حيــن كَــفَّ الــدهــرُ مــن بصــري ... وحيــن صِــرْتُ كعظــم الــرِّمــة البــالــي [٤١/٧]

أمْسَــى سَــوَادةُ يَجْلُــو مُقْلَتَــيْ لَحِــمٍ[3] ... بــازٍ يُصَــرْصِــرُ فــوق المَــرْبــأ العــالــي

قــد كنــتُ أعــرفــه منّــي إذا غَلِقــتْ ... رُهْــنُ الجِيــادَ ومَــدَّ الغَــايــةَ الغَــالــي[4]

إنّ الثَّــوِيّ[5] بِــذي الــزَّيْتُــون فــاحتسبــي ... قد أسْرَعَ اليوم[6] في عقلي وفي حالي

إلاّ تَكُــنْ لــكَ بــالــدَّيْــرَيْــن مُعْــوِلَــةٌ ... فــرُبَّ بــاكيــةٍ بِــالــرَّمْــل مِعْــوالِ

---

(١) وردت هذه العبارة هكذا في جميع الأصول. ولعل الصواب فيها: في حلقة يونس بن حبيب وفيها أبو عمرو بن العلاء... إلخ» لأن الذي كانت له حلقة بالبصرة هو يونس بن حبيب وكان يقصده طلبة العربية وفصحاء الأعراب والبادية. وكان من معاصري أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر والمسمعيين المذكورين هنا، وهم الذين تكررت رواية محمد بن سلام عنهم في «طبقاته»، وكانوا يتزاورون ويتذاكرون في المسائل العربية وغيرها ولهم مجالس معروفة في ذلك. (راجع «الأمالي» لأبي علي القالي ج ١ ص ٤٨ طبعة دار الكتب المصرية و«طبقات ابن سلام» طبعة أوروبا و«نزهة الألبا في طبقات الأدبا» لابن الأنباري).

(٢) الهندواني (بكسر الهاء وتضم): المنسوب للهند، وهي نسبة شاذة.

(٣) اللحم: البازي الذي يأكل اللحم أو يشتهيه. وصرصر: صوّت وصاح أشد الصياح. والمربأ: المرقب.

(٤) الغالي: الرامي بالسهام.

(٥) الثويّ المقيم.

(٦) كذا في أكثر الأصول و«تجريد الأغاني» و«ديوانه». وفي ب، س: «الموت».

كـأمّ بَـوٍّ عَجُـولٍ عنـد مَعْهـدِهِ ... حَنَّـتْ إلـى جَلَـدٍ[١] منـه وأَوْصَـالِ

حتـى إذا عـرَفَـتْ أن لا حيـاةَ بـه ... رَدَّتْ هَمَاهِـمَ[٢] حَرَّى الجوفِ مِثْكَالِ

زادت على وَجْدِها وَجْداً وإن رَجَعَتْ[٣] ... فـي الصـدر منهـا خُطـوبٌ ذاتُ بَلْبَـالِ

أخبرني عبد الواحد بن عُبيد عن قَعْنب بن المُحْرِز الباهِليّ عن المُغيرة بن حِجْناء وعمارة بن عُقَيل قالا:

[١١/٨] / خرج جرير إلى دِمَشْق يَؤُمُّ الوَليدَ، فمرض ابن له يقال له سَوَادة، وكان به مُعجَباً، فمات بالشأم، فجزع عليه ورثاه جرير فقال:

أَوْدَى سَـوَادةُ يَجْلُـو مُقْلَتَـيْ لَحِـمٍ ... بـازٍ يُصَـرْصِـرُ فـوق المَـرْبـأ العـالـي

حديث الفرزدق عنه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية قال حدّثني رجل من أصحاب الحديث يقال له الحسن قال حدّثني أبو نصر اليَشْكُريّ عن مولًى لبني هاشم قال:

إمْتَرَى[٤] أهلُ المجلس في جرير والفرزدق أيُّهما أشعرُ، فدخلتُ على الفرزدق فما سألني عن شيء حتى قال: يا نَوَار، أدركتْ بَرْنِيّتُكِ؟ قالت: قد فعلتْ أو كادتْ. قال: فأبشعي بدرهم فاشتري لحماً، ففعلتْ وجعلت تشرِّحه وتُلْقيه على النار ويأكل. ثم قال: هاتي بَرْنِيّتك، فشرب قَدَحاً ثم ناولني، وشرب آخرَ ثم ناولني. ثم قال: هاتِ حاجَتَكَ يابنَ أخي، فأخبرتُه؛ قال: أعَنِ ابنِ الخَطَفَى تسألني! ثم تنفَّس حتى قُلْتُ: انشقَّتْ حَيَازِيمُه[٥]، ثم قال: قاتلَه الله! فما أَخْشنَ ناحيتَه وأَشْردَ قافيتَه! والله لو تركوه لأبكى العجوزَ على شبابها، والشابّةَ على أحبابها، ولكنهم هَرّوه[٦] فوجدوه عند الهِرَاش نابحا وعند الجِرَاء[٧] قارِحاً، وقد قال بيتاً لأنْ أكونَ قلتُه أحبُّ إليّ مما طلعتْ عليه الشمس:

إذا غضِبَـتْ عليـكَ بنـو تَميـم ... حسِبْـتَ النـاسَ كلَّهُـم غِضَـابَـا

أثنى عليه الفرزدق أمام الأحوص:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن أبي عُبَيدة، قالا:

[١٢/٨] / نزل الفَرَزْدَق على الأحوص حين قدِم المدينةَ. فقال الأحوص: ما تَشتهي؟ قال: شِواء وطِلاء[٨] وغِناء. قال: ذلك لك؛ ومضى به إلى قَيْنة بالمدينة؛ فغنَّتْه:

---

(١) الجلد محركة لغة في الجلد. (٢) الهماهم: جمع همهمة وهي ترديد الزئير في الصدر من الهمّ.

(٣) كذا في «ديوانه». وفي الأصول:

. . . . فلـو رجعـت ... فـي الصـدر منهـا خطـوبـاً ذات بلبـال

(٤) أي تجادلوا.

(٥) الحيازيم: جمع حيزوم وهو الصدر أو وسطه أو ما استدار بالظهر والبطن.

(٦) كذا في «شرح شواهد التلخيص» ص ٣٠٤ طبع بلاق. وفي الأصول «هزوه» بالزاي المعجمة.

(٧) جاراه مجاراة وجراء: جرى معه وسابقه.

(٨) الطلاء: من أسماء الخمر.

صوت

أَلاَ حَيِّ الديارَ بسُعْدَ[1] إنّي | أُحِبُّ لحبِّ فاطمةَ الدِّيارَا
إذا ما حَلّ أهلُكِ يا سُلَيْمَى | بدارةِ صُلْصُلٍ[2] شحَطوا مَزَارَا
أراد الظاعنون ليَحْزُنُوني | فهاجُوا صَدْعَ قلبِي فاستطارَا

ـ / غنّاه ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالبنصر ـ فقال الفرزدق: ما أَرَقَّ أشعارَكم يأهلَ الحجاز وأمْلَحَهَا! قال: أو ما ٤٢/٧ تَدْرِي لمن هذا الشعر؟ قال: لا والله. قال: فهو والله لجرير يَهْجُوك به. فقال: وَيْلُ ابنِ المَرَاغة! ما كان أحْوجَه مع عفافه إلى صلابة شعري، وأَحْوَجَنِي مع شَهَواتي إلى رِقّة شعره!.

قدم المدينة وتحدث مع الأحوص حتى أخزاه وأقبل على أشعب وأجازه:

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاقَ المَوْصليّ، وأخبرني محمد بن مَزْيد عن حَمّاد عن أبيه قال [قال][3] إسحاق بن يحيى بن طلحة:

قدِم علينا جريرٌ المدينةَ فحَشدْنا له، فَبَيْنا نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته، وجاء الأحوص فقال: أين هذا؟ فقلنا: قام آنفاً، ما تريد منه؟ قال: أُخْزِيه، والله إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف. فأقبل جريرٌ علينا وقال: مَنِ الرجلُ؟ قلنا: الأحوصُ بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلَح. قال: هذا الخَبيث بنُ الطيِّب. ثم أقبل عليه فقال: قد قلتَ:

يَقَرُّ بعَيْنِي ما يَقَرُّ بعينها | وأحسنُ شيءٍ ما به العينُ قَرَّتِ

/ فإنه يَقَرُّ بعينها أن يدخُل فيها مثلُ ذراع البَكْر، أفيَقَرُّ ذلك بعينك؟ ـ قال: وكان الأحوصُ يُرمَى بالأُبْنة ـ فانصرف [١٣/٨] وأرسل إليه بتمر وفاكهة. وأقبلنا نسأل جريراً وهو في مؤخَّر البيت وأشعبُ عند الباب؛ فأقبل أشعبُ يسأله؛ فقال له جرير: والله إنك لأقبَحهُم وجهاً ولكنّي أراك أطولَهم حَسَباً، وقد أبْرَمتنِي. فقال: أنا والله أنفعُهم لك. فانتبه جريرٌ فقال: كيف؟ قال: إني لأُملِّح شعرَك؛ واندفع يغنّيه قولَه:

صوت

يا أختَ ناجيةَ السلامُ عليكُم | قبلَ الفراق وقبل لَوْم العُذّلِ
لو كنتُ أعلم أن آخرَ عهدكم | يوم الفراق فعلتُ ما لم أفعلِ

قال: فأدناه جريرٌ منه حتى ألصق ركبتَه بركبته وجعله قريباً منه؛ ثم قال: أجَلْ! والله إنك لأنفعُهم لي وأحسنُهم تزييناً[4] لشعري، أَعِدْ؛ فأعاده عليه وجرير يبكي حتى أخضلَت لِحْيته، ثم وهَب لأشعبَ دراهمَ كانت معه وكَسَاهُ حُلّةً من حُلَل الملوك. وكان يُرسِل إليه طولَ مُقَامه بالمدينة فيغنّيه أشعبُ ويُعْطيه جريرٌ شعرَه فيغنّي فيه قال:

---

(١) سعد: ذكر البكري في «معجم ما استعجم» أنه موضع بنجد، واستشهد بهذا البيت.

(٢) دارة صلصل: لعمرو بن كلاب وهي بأعلى دارها بنجد، كذا ذكر ياقوت في «معجمه».

(٣) الزيادة عن حـ.

(٤) في الأصول: «ترتيباً لشعري» وهو تصحيف.

وكان أشعب من أحسن الناس صوتاً. قال حماد: والغناء الذي غنّاه فيه أشعبُ لابن سُرَيج.

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيد السُّكّريّ عن الرِّيَاشيّ عن الأصمعيّ قال وذكر المغيرةُ بن حَجْناء قال حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه يحيى[1] بن أعْيَن، وذكر ذلك هشامُ بن الكَلْبيّ قال حدّثني النَّهْشَليّ من بني مسعود بن خالد بن مالك بن رِبْعِيّ بن سَلْمَى بن جَنْدَل قال حدّثني مِسْحَل بن كُسَيب بن عِمْران بن عَطاء بن الخَطَفَى، / وأمّه الرَّبْداءُ بنتُ جرير - وهذا الخبر وإن كان فيه طولٌ مُحْتوٍ على سائر أخبار مَنْ ناقَض جريراً أو أعْتَنَّ[2] بينه وبين الفرزدق وغيره فذكرتُه هنا لاشتماله على ذلك في بلاغ واختصار -: [٨/١٤]

أنّ جريراً قدِم على الحَكَمْ بن أيوب بن يحيى بن الحَكَم بن أبي عُقَيل، وهو خليفة للحَجّاج يومئذ، فمدحه جرير فقال:

أقْبلتْ[3] من ثَهْلانَ أو جَنْبَيْ خِيَمْ ... على قِلاصٍ مثلِ خِيطَانِ[4] السَّلَمْ

٤٣/٧ - / ثَهْلانُ: جبلٌ كان لباهِلةَ ثم غلَبتْ عليه نُمَيْرٌ. وخِيَم: جبلٌ يُنَاوِحُه من طَرَفه الأقصَى فيما بين رُكْنِه الأقصى وبين مَطْلع الشمس، به ماء ونخل -

قد طُوِيتْ بطونُها طَيَّ الأدَمْ ... يَبْحَثْنَ بحثاً كمُضِلّاتِ الخَدَمْ[5]

إذا قَطَعْنَ عَلَماً بَدَا عَلَمْ ... حتى تناهَيْنَ[6] إلى باب الحَكَمْ

خليفةِ الحَجّاجِ غيرِ المُتَّهَمْ ... في مَعْقِدِ[7] العِزّ وبُؤْبُوءِ الكَرَمْ

بعد انْفِضَاجِ[8] البُدْنِ واللحمُ زِيَمْ

فلما قدم عليه استنطقه فأعجبه ظَرْفُه وشعره؛ فكتَبَ إلى الحجّاج: إنه قدِم عليّ أعرابيٌّ شيطانٌ من الشياطين. فكتب إليه أن أبعثْ به إليّ، ففعل. فقدِم / عليه فأكرمه الحَجّاج وكَسَاه جُبّة صَبِرِيّة[9] وأنزله فمكَث أياماً. ثم أرسل إليه بعد نومه فقالوا: أَجِبِ الأمير؛ فقال: ألبَس ثيابي؛ فقالوا: لا! والله لقد أمرَنا أن نأتيه بك على الحال التي نجدُك عليها؛ ففزِع جرير وعليه قميصٌ غليظ ومُلاءة صَفْراء. فلما رأى ما به رجلٌ من الرُّسُلِ دنا منه وقال: لا بأسَ عليك، إنما دَعَاك للحديث. قال جرير: فلما دخلتُ عليه قال: إيه يا عدوَّ الله! عَلَامَ تشتُم الناسَ وتظلِمُهم؟ فقلتُ: جعلني الله فداءَ الأمير، والله إني ما أظلِمهم ولكنّهم يظلِمُونني فأنتصر. مالي ولابنِ أُمّ غَسّان! ومالي وللبَعِيث! ومالي [٨/١٥]

---

(١) هكذا بالأصول.

(٢) اعتن بينه وبينه: اعترض.

(٣) في «ديوانه»: «أقبلن» وقد وردت هذه الأرجوزة في «ديوانه» باختلاف عما هنا فانظرها في ص ١٨٨ من نسخة الشنقيطي.

(٤) الخيطان: جمع خوط وهو الغصن.

(٥) الخدم: جمع خدمة وهي الخلخال. يريد أنهن يبحثن بمناسمهنّ الأرض كما تبحث النساء المضلات خلاخلهنّ عنها في التراب.

(٦) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «تناهينا».

(٧) كذا في س. والمعقد: موضع العقد. وفي حديث الدعاء: «أسألك بمعاقد العز من عرشك». وفي سائر الأصول: «في مقعد العز». وفي «ديوانه»: «في ضنضيء المجد».

(٨) كذا في «ديوانه». والانفضاج: السمن والضخم. وفي الأصول: «انفضاخ» بالخاء المعجمة وهو تصحيف. والبدن: النوق. والزيم: المتفرق على رؤوس الأعضاء.

(٩) صبرية: نسبة إلى صبر (بفتح فكسر) وهو الجبل الشامخ العظيم المطل على قلعة تعز (بفتح أوّله وكسر ثانيه وتشديد الزاي المعجمة)، فيه عدّة حصون وقرى باليمن.

وللفَرَزْدَق! ومالي وللأَخْطَل! ومالي وللتَّيْمِيّ! حتى عَدَدهم واحداً واحداً. فقال الحجاج: ما أَدْرِي مالك ولهم! قال: أُخْبِرُ الأميرَ أعزّه الله: أمّا غَسّانُ بن ذُهَيْل فإنه رجلٌ من قومي هجاني وهجا عَشيرتي وكان شاعراً. قال: فقال لك ماذا؟ قال قال لي:

لعَمْرِي لئن كانت بَجِيلةُ زانَها ... جَرِيرٌ[1] لقد أَخْزَى كُلَيْباً جَرِيرُها

رميتَ نِضالاً عن كُلَيبٍ فقصَّرتْ ... مَرَامِيكَ حتى عاد صِفْراً جَفِيرُها[2]

ولا يَذْبَحون الشاةَ إلا بمَيْسِرٍ[3] ... طويلٌ تَنَاجِيهَا صِغارٌ قُدُورُها

قال: فما قلتَ له؟ قال قلتُ:

أَلاَ ليتَ شعْرِي عن سليطٍ[4] ألم تَجِدْ ... سَلِيطٌ سِوَى غَسّانَ جاراً يُجِيرُها

فقد ضَمَّنوا الأحسابَ صاحبَ سَوْءَةٍ ... يُنَاجِي بها نفساً خبيثاً ضميرُها

/ كأنّ سَلِيطاً في جَوَاشِنِها الخُصَى ... إذا حَلّ بين الأَمْلَحَيْنِ وَقِيرُها[5] [١٦/٨]

أَضِجُّوا الرَّوَايَا بالمَزَادِ فإنكم ... ستُكْفَوْنَ رَكْضَ الخيلِ تَدْمَى نحورُها[6]

كأنّ السَّلِيطِيَّاتِ مَجْنَاةُ كَمْأَةٍ ... لأوّلِ جانٍ بالعَصَا يَسْتثيرها[7]

عَضَارِيطُ يَشْوُون الفَرَاسِنَ بالضُّحَى ... إذا ما السَّرَايَا حَثّ رَكْضاً مُغِيرها[8]

فما في سَلِيطٍ فارسٌ ذو حَفِيظةٍ ... ومَعْقِلُها يومَ الهِياجِ جُعُورها[9]

عجِبتُ من الداعِي جُحَيشاً وصائداً ... وعَيْساءُ يسعَى بالعِلاَبِ نَفِيرُها[10]

---

(١) يريد جرير بن عبدالله البجلي، كان من أفاضل أهل الكوفة، قيل: إنه أسلم في السنة التي قبض فيها النبي ﷺ ومات في سنة ٥١ هجرية، وهو الذي هدم الصنم المسمى بذي الخلصة.

(٢) الجفير: جعبة السهام.

(٣) الميسر: اللعب بالقداح.

(٤) سليط: قبيلة غسان بن ذهيل.

(٥) الجواشن: الصدور. وفي جواشنها الخصي أي هي عظام الصدور. يريد أن أبدانهم معضلة كخلق العبيد قد أكتنزت من العمل فتعضلت ليست سبطة كسبوطة الأحرار. والأملحان: ماءان، ويقال: هما جبلان لبني سليط. والوقير: الغنم فيها حماران أو أحمرة، ولا تسمى الغنم وقيراً إلاّ بحمرها. «النقائض بين جرير والفرزدق» ص ١١ طبع أوروبا).

(٦) كذا في «النقائض». وفي الأصول: «أضحوا» بالحاء المهملة وهو تصحيف. وأضجوا الروايا أي ألحوا عليها بالاستقاء حتى تضج وترغو. والروايا: الإبل يستقي عليها: والمزاد: جمع مزادة وهي القربة. يقول: اخدموا أنتم واستقوا فإن الحرب يكفيكموها غيركم.

(٧) رواية «النقائض»: «كأن السليطيين أنقاض كمأة». والأنقاض: جمع نقض وهو هنا ما خرج من رأس الكمأة إذا انشقت عنها الأرض. يصفهم بالذل وأنهم لا يمتنعون كما لا يمتنع هذه الكمأة إذا استثيرت بالعصا.

(٨) العضاريط: الأتباع، والواحد عضروط. والفراسن: أخفاف الإبل واحدها فرسن. يقول: ذلك حظهم من الجزور، وهو شر ما فيه. ويريد بقوله: «إذا ما السرايا حث ركضاً مغيرها» أنه إذا ركب الناس لغارة أو فزع لم يركبوا معهم لأنهم ليسوا بأصحاب حرب ولا خيل.

(٩) الجعر: ما يبس من العذرة في الدبر. يقول: إذا تهايج الناس أحدثوا هم من الفزع والجبن.

(١٠) هذه رواية «النقائض». وفي الأصول: «وعيساء يدعى بالفلاة نصيرها». وجحيش هو جحيش بن زياد أحد بني زبيد بن سليط. =

قال: ثم مَنْ؟ قال: البَعيث. قال: مالك وله؟ قال: اعترض دونه أبنِ أمّ غَسّان يفضِّله عليّ ويُعِينه. قال: فما قال لك؟ قال قال لي:

44/7 / كُلَيبٌ لئامُ الناسِ قد تَعْلمونه ... وأنتَ إذا عُدَّتْ كُلَيبٌ لئيمُها

أترجو كُلَيبٌ أن يجيء حديثُها ... بخيرٍ وقد أعيا كُلَيباً قديمُها

[8/17] / قال: فما قلت له؟ قال قلت:

ألم تراني قد رميتُ أبنَ فَرْتَنى ... بصَمّاءَ لا يرجو الحياةَ أميمَها[1]

له أمّ سَوْءٍ بئس ما قدَّمتْ له ... إذا فَرَطُ[2] الأحسابِ عُدّ قديمُها

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: الفَرَزْدَقُ. قال: وما لك وله؟ قلت: أعان البعيث عليّ.

قال: فما قلتَ له؟ قال قلتُ:

تمنّى رجالٌ من تَميمٍ ليَ الرَّدَى ... وما ذادَ عن أحسابِهم ذائدٌ مِثْلي

كأنّهمُ لا يعلمون مَواطني ... وقد جرّبوا أنّي أنا السابقُ المُبْلِي[3]

فلو شاء قومي كان حِلْميَ فيهمُ ... وكان على جُهّالِ أعدائهم جَهْلي

وقد زعَموا أنّ الفرزدق حَيّةٌ ... وما قَتَل الحيّاتِ من أحدٍ قَبْلي

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: الأخطَل. قال: مالك وله؟ قلتُ: رَشَاه محمد بن عُمَير ابن عُطَارِدٍ زِقّاً من خمر وكَساه حُلّةً على أن يفضِّل عليّ الفَرَزْدَقَ ويَهْجُوني. قال: فما قال لك؟ قال قال:

إخسَأْ إليكَ كُلَيبُ إنّ مُجاشِعاً ... وأبا الفَوارِس نَهْشَلاً أخَوَانِ

وإذا ورَدْتَ الماءَ كان لدارِمٍ ... جُمّاتُه وسُهُولةُ الأعْطانِ[4]

وإذا قَذَفْتَ أباك في ميزانِهِمْ ... رجَحُوا وشالَ أبوك في الميزانِ

قال: فما قلتَ له؟ قال قلتُ:

ياذا العَبَاءةِ[5] إنّ بِشْراً قد قضَى ... ألاّ تَجُوزَ حكومةُ النَّشْوانِ[6]

[8/18] / فدَعُوا الحكومةَ لَسْتُمُ من أهلِها ... إنّ الحكومةَ في بني شَيْبانِ

قَتلوا كُلَيبَكُمُ بِلِقْحةِ جارِهِم ... يا خُزْرَ تَغْلِبَ لستُمُ بِهِجانِ[7]

= وصائد: سليطي. وعيساء: جدّة غسان بن ذهيل. والعلاب: جمع علبة وهي التي يحلب فيها، وهي تعمل من جلود الإبل. ونفيرها: قومها.

(١) الفرتنى: الزانية. والأميم: المشجوج الرأس.

(٢) فرط الأحساب: ما مضى وسبق منها: يعني أوائلها.

(٣) في ب، س: «المجلى» بالجيم.

(٤) الجمة: مجتمع الماء ومعظمه. والأعطان: جمع عطن وهو مناخ الإبل حول وردها. وفي «ديوانه»: «صفواته» بدل «جماته».

(٥) كذا في جـ و«النقائض». والعباءة: الكساء. يعيره لبسها. وفي سائر الأصول: «ياذا الغباوة».

(٦) كذا في «النقائض». وفي الأصول: «النسوان». بالسين المهملة وهو تصحيف. وبشر هو بشر بن مروان بن الحكم.

(٧) اللقحة: الناقة الحلوب. والخزر: جمع أخزر، والخزر: حول إحدى العينين. والهجان: البيض الكرام. يشير إلى حادثة كليب بن =

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: عمر بن لَجَأ التَّيْميّ. قال: مالك وله؟ قال: قلت بيتاً من شعر فقبَّحه وقاله على غيرِ ما قلتُه؟ قلت:

لَقَـومِـيَ أَحْمَـى للحقيقـةِ منكـمُ ... وأَضْـرَبُ للجَبّـار والنَّقْـعُ سـاطِـعُ

وأوثـقُ عنـد المُـرْهَفـاتِ عشيّـةً ... لَحَـاقـاً إذا مـا جـرَّد السيـفَ لامـعُ[1]

فزعَم أنّي قلتُ:

وأَوْثَـقُ عنـد المُـرْدَفـات عشيّـةً ... لَحَـاقـا إذا مـا جـرَّد السيـفَ لامـعُ

فقال: لحِقتُهنّ عند العَشِيّ وقد أُخِذْنَ غُدْوةً، والله ما يُمْسِينَ حتى يُفْضَحْنَ.

قال: فما قلتَ له؟ قال قلت:

يـا تَيْـمُ تَيْـمَ عَـدِيّ لا أبـا لكُـمُ ... لا يُـوقِعنَّكُـمُ فـي سَـوءة عُمَـرُ

خَـلِّ الطـريـقَ لمـن يَبْنِـي المنـارَ بـه ... وَابْـرُزْ ببَـرْزَةَ[2] حيـثُ اضطـرَّك القَـدَرُ

حتى أتى على الشعر. قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: سُرَاقةُ بن مِرْداس البارقيّ. قال: مالك وله؟ قال قلت: لا شيء، حَمله بِشْر بن مَرْوان وأكرهه على هجائي، ثم بَعث إليّ رسولاً وأمرني أن أُجيبَه. قال: فما / قال لك؟ قال قال: ٤٥/٧

إنّ الفَـرَزْدَقَ بَـرَّزتْ أعـراقُـه ... عَفْـواً وغُـودِر فـي الغُبـار جـريـرُ

مـا كنـتَ أوّلَ مِحْمَـرٍ[3] قعـدتْ بـه ... مسْعـاتُـه إنّ اللئيـم[4] عَثُـور

هـذا قضـاءُ البـارقـيّ وإنـه ... بـالمَيْـل فـي ميـزانكـم لبَصِيـرُ

/ قال: فما قلت له؟ قال قلت: [١٩/٨]

يـا بِشْـرُ حَـقَّ لـوجهـك التبشيـرُ ... هَـلاّ غضِبـتَ لنـا وأنـت أميـرُ

بِشْـرٌ أبـو مَـرْوانَ إن عـاسَـرْتَـه ... عَسِـرٌ وعنـد يَسـاره مَيْسـورُ

إنّ الكـريمـةَ ينصُـر الكـرمَ ابنُهـا ... وابـنُ اللئيمـةِ للِّئـام نَصُـور

قـد كـان حقُّـك أن تقـول لبـارقٍ ... يـا آلَ بـارقَ فِيـمَ سُـبَّ جَرِيـر

وكَسَخـتَ بـأسْتِـك للفَخـار وبـارقٌ ... شَيْخـانِ أَعْمَـى مُقْعَـدٌ وكَسِيـر

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: البَلْتَع وهو المُسْتنير[5] بن سَبْرَة العَنْبريّ. قال: مالكَ وله؟ قلتُ: أعان عليّ ابنَ لَجَأ.

قال: فما قال لك؟ قلت قال:

= ربيعة ومقتله.

(١) اللامع: المشير بالسيف منذراً.

(٢) برزة: اسم أم عمر بن لجأ.

(٣) المحمر: اللئيم.

(٤) كذا في حـ ونسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. وفي سائر الأصول: «اللئام» وهو تحريف.

(٥) قد ورد في هذا الاسم اختلاف (انظر «النقائض» و«ديوانه» المخطوط ص ١٨٤).

إنّ التـي رَبَّتْـكَ[١] لمـا طُلِّقـتْ فقعَدتْ على جَحْشِ المَرَاغـةِ[٢] تَمْرَغُ
أتَعِيبُ مَـنْ رضيـتْ قـريـشٌ صِهْـرَه وأبـوك عبـدٌ بـالخَـوَرْنَـقِ أَذْلَـغُ[٣]

قال: فما قلتَ له؟ قال قلتُ:

فمـا مستنيـرُ الخُبْـثِ إلا فَـرَاشَـةٌ هَـوَتْ بيـن مُؤْتَـجٍ[٤] الحَرِيقَيْـن ساطِعِ
نهيتُ بنـاتِ المستنيـرِ[٥] عـن الـرُّقَـى وعـن مشيهـنّ الليـلَ بيـن المَـزَارعِ

ويروى

... بين مؤتجٍ من النار ساطع

[٨/٢٠] / قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: راعِي الإبلِ. قال: مالكَ وله؟ قلتُ: قدِمْتُ البصرةَ وكان بلغني أنه قال لي:

يـا صـاحِبـيَّ دنـا الـرَّوَاحُ فسِيـرَا غَلَـبَ الفَـرَزْدقُ فـي الهجـاء جَـرِيـرَا

وقال أيضاً:

رأيـتُ الجَحْـش جحشَ بنـي كُليـبٍ تَيَمَّـم حـوضَ دِجْلَـةَ ثـم هـابـا

فقلت: يا أبا جَنْدل، إنك شيخُ مُضَرَ وشاعرُها، وقد بلغني أنك تُفضّل عليّ الفرزدقَ، وأنت يُسمع قولُك، وهو ابن عمّي دونك؛ فإن كان لا بدّ من تفضيلٍ فأنا أحقُّ به لمدحي قومَك وذكري إيّاهم. قال: وابنه جَنْدَلٌ على فرسٍ له، فأقبل يسيرُ بفرسه حتى ضرب عَجُزَ دابّتي وأنا قائم فكاد يقطع أصبعَ رِجْلي وقال: لا أرَاكَ واقفاً على هذا الكلْب من بني كُلَيب؛ فمضى، وناديته: [٦] أنا ابن يَرْبُوعٍ! إنّ أهلكَ بعثوك مائراً من هَبُّود[٧] وبئس المائرُ، وإنما بعثني أهلي لأقعدَ على قارِعة هذا المِرْبَدِ فلا يَسُبُّهم أحدٌ إلاّ سببْتُه، وإنّ عليّ نذراً إن جعلتُ في عيني غُمْضاً حتى أُخْزِيَك. قال: فما أصبحتُ حتى هجوتُه فقلت:

فغُـضَّ الطَّـرْف إنـك مـن نُمَيـرٍ فـلا كعبـاً بلغـتَ ولا كِـلابَـا

قال فَغَدَوْتُ عليه من الغَدِ فأخذتُ بعِنَانه، فما فارقتُه حتى أنشدتُه إيّاها. فلما مررتُ على قولي:

٤٦/٧ / أجَنْـدَلُ مـا تقـول بنـو نُمَيـرٍ إذاً مـا الأيْـرُ فـي اسْتِ أبيـك غـابَـا

(١) في ب، س: «زينت» وهو تحريف.
(٢) المراغة في الأصل: الأتان التي لا تمتنع عن الفحول، وبه لقب الأخطل أم جرير.
(٣) في الأصول: «أولغ» بالواو وهو تحريف. والأذلغ: الغليظ الشفتين، وهو أيضاً الأقلف.
(٤) كذا في ب وديوانه، واللجاج النار: التهابها. يريد أنه في تعرضه لي دون عمر بن لجأ كالفراشة نظرت إلى نار فألقت نفسها فيها. وفي سائر الأصول: «مرتج» وهو تحريف.
(٥) قال في «شرح ديوانه»: «كانت تميمة بنت المستنير بن سبرة وهو البلتع العنبري جارية شابة جميلة وكانت تزعم أنها ترقى، فطبن لها فتى فأتاها يسترقيها، فلما خلا معها قال: ليس بي حاجة إلى الرقية ولكن قد قتلني حبك؛ فأمكنته من نفسها؛ فلم يرعهم إلا وهي في رابعها فهجاه جرير بذلك».
(٦) كذا في نسخة الشيخ الشنقيطي مصححة بقلمه، ويربوع من أجداده كما تقدّم. وفي الأصول: «أيابن يربوع» بالياء المثناة من تحت وهو تصحيف.
(٧) هبود: اسم موضع ببلاد بني نمير.

قال: فأرسَل يَدِي وقال: يقولون والله شرّاً.

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: العباس بن يَزِيدَ الكِنْديّ قال: مالك وله؟ قال لمّا قلت:

/ إذا غَضِبتْ عليكَ بنو تَميم ... حسِبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضابا [٢١/٨]

قال:

ألا رَغِمَتْ أُنوفُ بني تَميمٍ ... فُسَاةِ التمرِ إن كانوا غِضابَا

لقد غضِبتْ عليك بنو تميمٍ ... فما نكأَتْ بغَضْبتِها ذُبَابَا

لو اطَّلع الغرابُ على تَميم ... وما فيها من السَّوْءات شابا

قال: فتركتُه خمس سِنينَ لا أهجوه، ثم قدِمتُ الكوفةَ فأتيتُ مجلِسَ كِندةَ، فطلبتُ إليهم أن يكفّوه عنّي؛ فقالوا: ما نكُفُّه وإنه لشاعرٌ وأَوْعدوني؛ فقلت:

ألاَ أبْلِغْ بني حُجْرِ بن وَهْبٍ ... بأنّ التمرَ حُلْوٌ في الشتاءِ

فَعُودُوا للنَّخِيل فأَبِّرُوها(١) ... وعِيثُوا بالمُشَقَّرِ فالصَّفَاءِ

قال: فمكثتُ قليلاً، ثم بعثوا إليّ راكباً فأخبروني بمَثَالبه وجِوارِه في طَيِّئٍ حيث جاور عَتَاباً، وحَبَلَ أخته هُضَيبة حيث حَبِلتْ. قال: فقلتَ ماذا؟ قال قلتُ:

إذا جهِل الشَّقِيُّ ولم يُقَدِّرْ ... لبعضِ الأمرِ أَوْشكَ أن يُصابا

أَعَبْداً حَلَّ في شُعَبَى(٢) غَريباً ... أَلُؤماً لا أَبالكَ واغترابا

فما خَفِيتْ هُضَيبةُ حينَ جُرَّتْ(٣) ... ولا إطعامُ سَخْلَتِها الكِلابَا

تُخَرِّقُ بالمَشَاقِصِ(٤) حالِبَيْها ... وقد بَلَّتْ مَشِيمَتُها الترابَا

فقد حَملتْ ثمانيةً وأَوْفَتْ ... بتاسِعِها وتَحْسَبُها كَعَابا

/ قال: ثم من؟ قلت: جَفْنة الهِزّانِيّ بن جعفر بن عَبَايَةَ بن شَكْس من عَنَزة. قال: ومالكَ وله؟ قال: أقبلَ [٢٢/٨] سائلاً حتى أتاني وأنا أمدُرُ(٥) حوضاً لي، فقال: يا جَرير، قُمْ إليّ ها هنا؛ قلت نعم. ثم أتيتُه فقلتُ: ما حاجتُك؟ قال: مدحتُك فاستمعْ منّي. قلتُ: أَنْشِدْني فأنْشَد؛ فقلتُ: قد واللهِ أحسنتَ وأجملتَ؛ فما حاجتُك؟ قال: تَكْسُوني الحُلَّةَ التي كَسَاكَها الوليدُ بن عبد الملك العامَ. فقلت: أنّي لم أقِفْ فيها بالموسم، ولا بدّ من أن أقفَ فيها العامَ،

---

(١) أبر النخل: أصلحه. والمشقر: حصن بالبحرين عظيم لعبد القيس يلي حصناً لهم آخر يقال له الصفاء قبل مدينة هجر.

(٢) شعبي: موضع في جبل طيء. «عن شرح القاموس».

(٣) كذا في «ديوانه». وقد جاء فيه في شرح هذا البيت أن العباس قتل ولدها فرمى به وقتلها؛ (الرماه بها جرير وغيره ذلك. وفي الأصول:

فما تخفى هضيبة حيث تمسى

(٤) المشقص من النصال: ما طال وعرض وقد جاء هذا البيت في «الديوان» هكذا:

يقطع بالمعابل حالبيها ... وقد بلت مشيمتها الثيابا

والمعابل: المشاقص.

(٥) المدر: تطيينك وجه الحوض بالطين المتماسك لئلا يخرج منه الماء.

ولكنّي أَكْسُوكَ حلّة خيراً منها كان كَسانيها الوليدُ عاماً أوّلَ. فقال: ما أَقْبَلُ غيرَها بعينها. فقلت: بَلَى، فأَقبلْ وأَزِيدُكَ معها دنانيرَ نفقةً. فقال: ما أفعَل؛ ومضَى فأتى المَرّارَ بنَ مُنْقِذ أَحَدَ بني العَدَوِيَّة، فحمّله على ناقةٍ له يقال لها القَصْوَاءُ. فقال جَفْنة:

لَعَمْـــرُكَ لَلْمَـــرَّارُ يـــومَ لَقِيتُـــهُ ... على الشَّحْطِ خيرٌ من جريرٍ وأكرمُ

قال: فما قلتَ له؟ قال قلتُ:

لقـد بَعثـتْ هِـزّانُ جَفْنـةَ مـائـراً ... فـآب وَأَحْـذَى[1] قـومَـه شَـرَّ مَغْنَـم

فيـا راكـبَ القَصْـواءِ مـا أنـت قـائـلٌ ... لِهـزّانَ إذ أَسْلَمْتَهـا شَـرَّ مُسْلِـمَ

أظـنُّ عِجَـانَ[2] التَّيْـس هِـزّانَ طـالبـاً ... عُـلالـةَ[3] سَبّـاقِ الأَضـامِيـم مِـرْجَـم

/ كـأنّ بنـي هِـزّانَ حيـنَ رَدِيتُهـم ... وبـارٌ[4] تَضَـاغَـتْ تحـتَ غَـارٍ مهـدَّمِ

بَنِـي عَبْـدِ عمـرٍو قـد فَـرَغْـتُ إليكُـم ... وقـد طـال زَجْـرِي لـو نَهَـاكُـمْ تقـدُّمِي

/ ورَصْعَـاءَ هِـزّانِيَّـةٍ قـد تَحَفَّشَـتْ[5] ... علـى مِثْـلِ حِـرْبـاءِ الفَـلاَة المعمَّـمِ

٤٧/٧ [٢٣/٨]

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: المَرّارُ بن مُنقِذ. قال: مالكَ وله؟ قلتُ: أعان عليّ الفرزدقَ. قال: فما قلتَ له؟ قال قلتُ:

بَنِـي مُنْقِـذٍ لا صُلْـحَ حتـى تَضُمَّكُـمْ ... مـن الحـربِ صَمّـاءُ القَنَـاةِ زَبُـونُ[6]

وحتـى تَـذُوقـوا كـأسَ مَـنْ كـان قبلَكـم ... ويَسْلَـحَ[7] منكـم فـي الحِبـال قَـرِيـنُ

فـإن كنتُـم كَلْبَـى[8] فعِنـدي شفـاؤكـم ... وللجـنّ إن كـان اعتـراكَ جنـونُ

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: حِكيم بن مُعَيّةَ من بني رَبِيعةَ بنِ مالك بن زيد مَنَاةَ بن تَميم. قال: ومالك وله؟ قلتُ: بلغني أنه أعان عليّ غَسّانَ السَّلِيطيّ. قال: فما قلتَ له؟ قال قلتُ:

---

(١) كذا في أ، ء، م و«ديوانه». وأحذاه: أعطاه مما أصاب. وفي سائر الأصول: «أجدى» بالجيم.

(٢) كذا في «ديوانه». والعجان: الدبر. وفي الأصول: «نحاف التيس» ولا معنى لها.

(٣) العلالة: الجري بعد الجري. والأضاميم: الجماعات، واحده إضمامة. والمرجم: الشديد.

(٤) الوبار: مفرده وبر، وهي دويبة على قدر السنور طحلاء اللون لا ذنب لها تقيم في البيوت. وتضاغت: صوّتت.

(٥) هذا البيت ساقط في الأصول عدا ب، س. ورواية «الديوان»:

ورصعـــاء هـــزانيـــة يخلـــق ابنهـــا ... لئيمـاً إذا مـا مـاص فـي اللحـم والـدم

غليظـــة جلـــد الكـــاذتيـــن تحفشـــت ... علـى مثـل حـربـاء الفـلاة المعمـم

الرصعاء: الزلاء التي لا عجيزة لها. وماص: اغتسل. والكاذتان: ما نتأ من اللحم في أعالي الفخذين. وتحفشت المرأة على زوجها: أقامت عليه ولزمته وأكبت عليه.

(٦) حرب زبون: يدفع بعضها بعضاً من الكثرة.

(٧) في جـ: «ويصبح».

(٨) الكلبي: الذين أصابهم مرض الكلب، جمع كلب (بفتح فكسر).

إذا طَلَعَ الرُّكْبَانُ نَجْداً وغَوَّرُوا ... بها فازْجُرَا[١] يابْنَيْ مُعَيَّةَ أو دَعَا
أتَسْمَنُ أسْتَاهُ المَجَرِّ[٢] وقد رأَوْا ... مَجَرّاً بوَعْسَاوَيْ[٣] رُمَاحَ مصرَّعَا
ألا إنّما كانت غَضُوبُ[٤] مُحَامِياً ... غَدَاةَ اللِّوَى لم تَدْفَعِ الضَّيْمَ مَدْفَعا

/ قال: ثم مَنْ؟ قلتُ [ثَوْر بن][٥] الأشْهَب بن رُمَيلة النَّهْشَلِيّ. قال: ومالكَ وله؟ قلتُ: أعان عليّ الفرزدقَ. [٨/ ٢٤]
قال: فما قلتَ له؟ قال قلتُ:

سَيَخْزَى إذا ضَنَّتْ[٦] حَلائبُ مالكٍ ... ثُوَيرٌ[٧] ويَخْزَى عاصِمٌ وجَمِيعُ[٨]
وقَبْلَكَ ما أعْيَا الرُّمَاةَ إذا رَمَوْا ... صَفاً ليس في قاراتهنَّ[٩] صُدُوعَ

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: الدَّلَهْمَسُ أحدُ بني رَبيعةَ بنِ مالك بن زيد مَنَاة. قال: مالكَ وله؟ قلتُ: أعان عليّ الفرزدقَ. قال: فما قلتَ له؟ قال قلتُ:

لقد نَفَخَتْ منكَ الوَرِيدَيْنِ[١٠] عِلْجَةٌ ... خَبِيثَةُ رِيحِ المَنْكِبَيْنِ[١١] قَبُوعُ
ولو أنْجَبَتْ أُمُّ الدَّلَهْمَسِ لم يَعِبْ[١٢] ... فَوَارِسَنا لا عاش[١٣] وهو جميعُ
أليس ابنَ حَمْراءِ العِجَانِ كأنّما ... ثلاثةُ غِرْبَانٍ عليه وُقُوعُ
فلا تُدْنِيَا رَحْلَ[١٤] الدَّلَهْمَسِ إنّه ... بصيرٌ بما يأتي اللئامُ سَمِيعُ[١٥]
هو النُّخْبَةُ[١٦] الخَوّارُ ما دونَ قلبِه ... حِجَابٌ ولا حولَ الحجابِ ضُلُوعُ

---

(١) كذا في «الديوان»، وهو الصواب؛ لأن حكيم بن معية والمرّار بن حكيم بن معية كانا راجزين وهما اللذان يعنيهما جرير. وفي الأصول: «فأزجرا» وهو تصحيف.
(٢) بنو المجرّ: من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة.
(٣) الوعساء: الأرض اللينة ذات الرمل. وفي «ديوانه»: «بعبلاي رماح». والعبلاء: الأرض ذات الحجارة البيض ليست بسود ولا حمر. ورماح: موضع بالدهناء. وقد ورد في الأصول: «رماح ومصرعا» بزيادة الواو وهو تحريف.
(٤) غضوب: امرأة من بني المجرّ كانت شاعرة بذية، قتلها بنو طهية في هجاء لها هجتهم به.
(٥) التكملة عن «ديوانه».
(٦) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «إذا ضمت جلابيب مالك» وهو تحريف. ومالك هو مالك بن ربعي بن سلمى بن جندل بن نهشل.
(٧) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «نوير» بالنون وهو تصحيف.
(٨) عاصم وجميع: رجلان من بني عامر.
(٩) القارة: الصخرة العظيمة. وفي «ديوانه»: «عاديهنّ».
(١٠) كذا في «ديوانه» وأكثر الأصول. وفي ب، س: «لقد نفخت منك الوريد ابن عجلة». وهو تحريف.
(١١) في «ديوانه»: «المنخرين». يريد أن يصفها بأنها راعية. والقبوع: التي تقبع الصقاء وهو أن تثني رأس السقاء إلى داخله ثم تشده فيكون أحفظ لما فيه.
(١٢) كذا في أ، ء، م و«ديوانه». وفي سائر الأصول: «لم تعب» وهو تصحيف.
(١٣) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «لا مات».
(١٤) كذا في أ، ء و«ديوانه»، وفي سائر الأصول: «رجل» بالجيم وهو تصحيف.
(١٥) يريد أنه محكم في اللؤم.
(١٦) النخبة: الجبان.

قال: ثم مررتُ على مجلس لهم فاعتذرتُ إليهم فلم يقبلوا عذري، وأنشدوني شعراً لم يُخْبِروني من قاله:

[٢٥/٨] / غَضِبتَ علينا أن عَلاَكَ ابنُ غالبٍ[1] فَهَلاَّ على جَدَّيْكَ في ذاكَ تغضَبُ

هُمَا إذْ عَلاَ بالمرءِ مَسْعاةُ قومِه أَناخا فشَدّاكَ العِقالُ المؤرَّبُ[2]

قال: فعلمتُ أنه شِعْر قَبْضة[3] الكلب. قال: فجمعتُهم في شعري فقلت:

[و][4] أكثرُ ما كانت رَبِيعةُ أنها خِبَاءانِ[5] شَتَّى لا أَنِيسٌ ولا قَفْرُ

مُحَالِفُهم فَقْرٌ شديدٌ وذِلَّةٌ وبئس الحَلِيفانِ المَذَلَّةُ والفَقْرُ

فَصَبْراً على ذُلٍّ رَبِيعَ بنَ مالكٍ وكلُّ ذليلٍ خيرُ عادتِه الصبرُ

٤٨/٧ / قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: هُبيرَةُ بن الصَّلْتِ الرِّبْعِيّ من ربيعةَ بنِ مالكٍ أيضاً، كان يَرْوِي شعرَ الفرزدق. قال: فما قلتَ له؟ قال قلتُ:

يَمْشِي هُبَيرةُ بعد مَقْتَلِ شَيْخِه مَشْيَ المُرَاسِلِ[6] أُوذِنَتْ بِطَلاقِ

ماذا أردتَ إليَّ حينَ تَحَرَّقَتْ نارِي وشُمِّر مِئْزَرِي عن سَاقِي

إنَّ القِرَافَ[7] بمَنْخَرَيْكَ لَبَيِّنٌ وسواد وجهك يابن أُمِّ عِفَاقِ[8]

[٢٦/٨] / سِيرُوا فرُبَّ مُسَبِّحِينَ وقائلٍ هذا شَقاً[9] لبَنِي رَبِيعةَ باقِي

أَبَنِي رَبِيعةَ قد أَخَسَّ بحَظِّكُم لؤمُ الجُدودِ ودِقَّةُ[10] الأخلاقِ

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: عِلْقَةُ[11] والسَّرَنْدَى من بنِي الرِّبَابِ كانا يُعِينان ابنَ لَجَأ. قال: فما قلتَ لهما؟ قال قلتُ:

---

(١) ابن غالب: الفرزدق.

(٢) المؤرب: المحكم.

(٣) في أ، ء، م: «قضية الكلب» بالياء المثناة من تحت.

(٤) التكملة عن «ديوانه» (ص ٦٢). وهذه الأبيات من قصيدة مطلعها:

طربت وهاج الشوق منزلة قفر تراوحها عصر خلا دونه عصر

(٥) كذا في حـ و«ديوانه». وفي سائر الأصول: «حيان» وهو تحريف.

(٦) المراسل: التي أحست من زوجها أنه يريد تطليقها فهي تزين لآخر، وهي أيضاً التي مات عنها زوجها. يقول: هو لا يطلب بثأره وإنما همته التصنع كالمطلقة التي تخطب فهي تتهيأ وتتزين. فلو كان حرّاً لأنصبه طلب ثأره. أو المراسل: التي طلقت مرات فقد اعتادت الطلاق لا تباليه. يقول: فهبيرة قد اعتاد أن يقتل له قتيل ولا يطلب بثأره فأصبح لا يبالي ذلك، مثل المراسل التي اعتادت الطلاق فلا تباليه.

(٧) يريد قرفة أنفه أي قشرته وهي المخاط اليابس الذي يلزق بالأنف، ومنه الحديث: «ما على أحدكم إذا أتى المسجد أن يخرج قرفة أنفه» أي ينقي أنفه.

(٨) عفاق: اسم رجل، ولعله أخو هبيرة بن الصلت هذا.

(٩) كذا في «ديوانه». والشقا يمد ويقصر. وفي الأصول: «شفا» بالفاء وهو تصحيف.

(١٠) الدقة: الخسة. ورواية «الديوان»:

«... إنما أزرى بكم نكد الجدود ......»

(١١) كذا في «ديوانه» ونسخة الأستاذ الشنقيطي. وفي الأصول: «علفة». بالفاء وهو تصحيف.

عَـضَّ السَّـرَنْـدَي على تَثْليـم نـاجـذِه ... مـن أمّ عِلْقَـة بَظْـراً غَمّه[1] الشَّعَـرُ

وعَـضّ عِلْقَـةُ لا يَـأْلُـو بعُرْعُـرَةٍ[2] ... مـن بَظْـرِ أُم السَّـرَنْـدى وهـو منتصـر

قال: ثم مَنْ؟ قلت: الطُّهَوِيّ، كان يَرْوِي شعر الفرزدق. قال: ما قلتَ له؟ قال قلت:

أتَنسَـوْنَ وَهْبـاً يَـا بَنِـي زَبَـدِ أسْتِهـا ... وقـد كنتُـم جِيرانَ وَهْـب بـنِ أَبْجَـرا[3]

فمـا تتَّقُـون الشـرَّ حَتَّـى يُصِيبَكُـم ... ولا تَعْـرِفُـون الأمـرَ إلا تـدبُّـرَا

ألا رُبَّ أعْشَـى ظـالِـمٍ متخمِّـطٍ[4] ... جعلـتُ لعينيـه جِـلاءً[5] فـأَبْصـرَا

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: عُقْبة بن السُّنَيع[6] الطُّهوِيّ وكان نذَر دَمِي. قال: فما قلتَ له: قال قلتُ:

يـا عُـقْـب يـاَبْـنَ سُنَيْـع ليس عنـدكُـم ... مَـأْوَى الـرِّفَـاقِ ولا ذو الـرايـةِ الغَـادِي[7]

/ يا عُقْب يـابـنَ سُنَيْـع بعـضَ قـولكُـم ... إن الـوِثَـابَ لكـم عنـدي بِمِـرْصـادِ [٢٧/٨]

مـا ظَنُّكُـم بِبَنِـي مَيْثَـاءَ إن فَـزِعُـوا ... ليـلاً وشَـدَّ عليهـم حَيَّـةُ الـوادِي

يَغْـدُو علـيّ أبـو لَيْلَـى ليقتلَنـي ... جَهْـلاً علـيّ ولـم يَثْـأَر بشَـدّاد[8]!

إرْزُوا[9] علـيّ وأرْضُـوا بـي صـديقَكُـم ... واستَمِعُـوا يـا بَنِـي مَيْثَـاءَ إنشـادِي

مَيْثاءُ هي بنت زُهَير بن شَدّاد الطُّهَوِيّ وهي أم عَوْف بن أبي سُود بن مالك ابن حَنْظلة.

وقال أيضاً لبني مَيْثاء:

نُبِّئتُ عُقْبَـةَ خَصّـافاً[10] تـوَعَّـدَنـي ... يـا رُبَّ آدَرَ مـن مَيْثَـاءَ مَـأْفُـونِ

لَـوْ فِـي طُهيَّـةَ أحـلامٌ لمـا اعتـرضُـوا ... دونَ الـذي كنـتُ أرْمِيـه ويَـرْمِينـي

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: سُحْمةُ[11] الأعْوَرُ النَّبْهانِيّ، كانت له امرأة من طيّىء وُلدتْ في بَنِي سَلِيط فأعطَوْه وحَمَلُوه عليّ. فسألني فاشتَطّ، ولم يكن عندي فحرَمْتُه، فقال:

---

(١) غمه: غطاه. وفي ب، س: «عمه» بالعين المهملة.

(٢) العرعرة: رأس كل شيء وأعلاه.

(٣) هو وهب بن أبجر بن جابر العجلي، وكان خرج مع يزيد بن المهلب، فلما هزم آل المهلب لحق بأخواله بني طهية، فبعث مسلمة بن عبدالملك تميرا المازني فأخذ وهباً فقتله. وفي «ديوانه»: «أتنعون وهباً...».

(٤) المتخمط: المتكبر الشديد الغضب والجلبة.

(٥) الجلاء: الكحل.

(٦) كذا في «ديوانه» و«شرح القاموس» مادة «سنع». وفي الأصول: «السميع» وهو تحريف.

(٧) كذا في أكثر الأصول و«ديوانه». وفي ب، س: «العادي» بالعين المهملة.

(٨) هو شداد الميثاوي، كان يتحدث إلى امرأة من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة، فألقاه أهلها في بئر.

(٩) كذا في «ديوانه». وفي ب، س: «ردوا» وفي أ، ء: «أردوا». وفي جـ: «أرزوا» وهو تحريف. ولعله يريد: اروو شعر الفرزدق في هجائي وأرضوه بذلك.

(١٠) الخصاف: الكذاب. والآدر: الذي أصابه فتق في إحدى خصيتيه.

(١١) كذا في «اللسان» و«شرح القاموس» (مادة «قرن») وهو أحد الأقوال في اسم الأعور النبهاني. قال ابن الكلبي: اسمه سحمة بن نعيم بن الأخنس بن هوذة، وقال أبو عبيدة في «النقائض»: يقال له العناب واسمه سحيم بن شريك.

أقــول لأصحــابــي النَّجــاءَ فــإنّــه ... كَفَى الذَّم أن يأتي الضيوفَ جَريرُ[١]
جَـريـرُ ابـنَ ذاتِ البَظْـرِ هـل أنت زائـلٌ ... لِقَـدْرِك[٢] دون النـازليـن سُتـورُ
[٢٨/٨] / وهـل يُكْـرِم الأضيافَ كلبٌ لكلبةٍ[٣] ... لهـا عنـد أطْنـابِ البيـوت هـريـرُ
فلـو عنـدَ غَسّـانَ السَّلِيطِيّ عَـرَّسَـتْ[٤] ... رَغَـا[٥] قَـرَنٌ منهـا وكَـاسَ عَقِيـرُ
٤٩/٧ / فتًـى هـو خيـرٌ منـكَ نفسـاً ووالـداً ... عليـكَ إذا كـان الجِـوار يُجيـرُ

فقال[٦] جرير:

وجَـدْنـا بَنِـي نَبْهَـانَ أذنـابَ طـيّءٍ ... وللنـاس أذنـابٌ تُـرَى وصُـدورُ
تغنَّـى[٧] ابـنُ نَبْهَـانِيَّـةٍ طـال بَظْـرُهـا ... وبـاعُ ابنِهـا عنـد الهِيـاج قَصيـرُ
وأعْـوَرَ مـن نَبْهـانَ أمّـا نَهـارُه ... فـأعْمَـى وأمّـا ليلُـهُ فبَصيـرُ[٨]
ستـأتـي بَنِـي نَبْهَـانَ منّـي قصـائـدٌ ... تَطَلَّـعُ[٩] مـن سَلْمَى[١٠] وهـنّ وُعُـورُ
تَـرَى قَـزَمَ المِعْـزَى مُهُـورَ نسـائهـم ... وفـي قَـزَمِ المِعْـزَى لهـنّ مُهُـورُ[١١]

قال: وطلع الصبحُ فنهَض ونهَضتُ. قال: فأخبرني من كان قاعداً معه أنه قال: قاتله الله أعرابيّاً! إنه لجِرْوُهِرَاش.

[٢٩/٨] / **قصته مع الراعي وابنه جندل:**

أخبـرني عليّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيد السُّكَّريّ عن الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال وذكر المُغيرة بن حَجْناء قال حدّثني أبي عن أبيه قال:

كان راعي[١٢] الإبل يَقْضِي للفرزدق على جرير ويفضّله، وكان راعي الإبل قد ضخّم أمرَه وكان من شعراء

(١) قد وردت هذه القصيدة هكذا في الأصول. والرويّ فيها مرفوع؛ على أنه يلاحظ أن البيت الأوّل والثاني منها يجب فيها نصب الروي؛ فأما البيت الأوّل فذلك فيه ظاهر. وأما الثاني فإن زال يتعدّى، يقال: زال الشيء يزوله ويزيله أي نحاه. يريد هل أنت كاشف ستور قدرك لمن ينزل بك ويفد عليك؟

(٢) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «لقد زل» وهو تحريف.

(٣) روايته في «النقائض»: «وأنت كليبي لكلب وكلبة». شبهه في قلة خيره بالكلب.

(٤) الضمير في عرست يفهم من البيت السابق لهذا البيت، وهو كما في «اللسان» و«النقائض»:

أقـول لهـا أمـي سليطـا بـأرضهـا ... فبئـس منـاخ النـازليـن جـريـر

(٥) كذا في «اللسان» و«شرح القاموس» (مادة «قرن») و«النقائض». والقرن: البعير المقرون بآخر. وكأس عقير، يريد أنه عقر له بعير فقام على ثلاث. يقول: لو نزلت بغسان لأعطاني جملاً يرغو وعقر لي آخر. وقد ورد هذا الشطر في ب، س «العاقرن منها وهي كأس عقير». وفي سائر الأصول: «لها قرن منها وكأس عقير» وهما تحريف.

(٦) المناسب لسياق القصة «فقلت».

(٧) كذا في «النقائض». وفي الأصول: «تعني» بالعين المهملة.

(٨) هذا البيت ورد في جـ وسقط من سائر النسخ. يريد أنه أعمى النهار عن الخيرات بصير الليل بالسوءات يسرق ويزني.

(٩) كذا في «النقائض». وفي الأصول: «تطلع».

(١٠) سلمى: اسم جبل لطيء، وهو لبني نبهان خاصة. ووعور: خشنة غلاظ، يعني القصائد.

(١١) القزم: الصغار العليلة واحدتها قزمة. وروى «ترى شرط المعزى»، وشرط المال: أخسه وشراره: يقول: ليس تبلغ أقدارهم أن تمهر نساؤهم الإبل إنما يمهرن خسيس المعزى.

(١٢) هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل، ويكنى أبا جندل، والراعي لقب غلب عليه لكثرة وصفه الإبل وجودة نعته إياها، وهو شاعر =

الناس. فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال: هَلّا تَعْجَبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق عليّ وهو يهجو قومَه وأنا أمدحهم! قال جرير: فضرَبتُ[(١)] رأيي فيه. ثم خرج جرير ذاتَ يوم يمشي ولم يركب دابَّتَه، وقال: واللهِ ما يسرُّني أن يعلم[(٢)] أحد. وكان لراعي الإبلِ والفرزدقِ وجلسائهما حَلْقةٌ بأعلى المِرْبَد بالبصرة يجلسون فيها. قال: فخرجتُ أتعرّض له لألقاه من حِيَالٍ حيثُ كنت أراه يمرّ إذا انصرف من مجلسه، وما يسرُّني أن يعلم أحد، حتى إذا هو قد مَرَّ على بغلة له وابنُه جَنْدَلٌ يَسير وراءه على مُهْرٍ له أَحْوَى[(٣)] محذوفِ الذَّنَبِ وإنسانٌ يمشي معه يسأله عن بعض السَّبَب، فلما استقبلتُه قلتُ: مَرْحباً بك يا أبا جَنْدل! وضربتُ بِشِمَالِي على مَعْرَفة بغلتِه، ثم قلت: يا أبا جَنْدل! إن قولَك يُستمع وإنك تُفضِّل الفرزدقَ عليّ تفضيلاً قبيحاً وأنا أمدح قومَك وهو يهجوهم وهو ابن عمي، ويَكْفِيكَ من ذاك هيِّنٌ[(٤)]: إذا ذُكِرنا أن تقول كِلاهما شاعرٌ كريم، ولا تحتملُ مني ولا منه لائمةً. قال: فبَيْنا أنا وهو كذاكَ واقفاً عليّ. وما رَدّ عليّ بذلك شيئاً حتى / لَحِق ابنُه جَنْدَلٌ، فرفَع كَرْمانيّةً[(٥)] معه فضرَب بها عَجُزَ [٨/٣٠] بغلتِه ثم قال: لا أَرَاكَ واقفاً على كلبٍ من بني كُلَيب كأنك تَخْشَى منه شرّاً أو ترجو منه خيراً! وضرَب البغلةَ ضربةً، فَرَمَحَتْنِي[(٦)] رَمْحَةً وقعتْ منها قَلَنْسُوتي، فوالله لو يعرِّج عليّ الراعي لقلتُ سَفِيهٌ غَوَى - يَعْني جَنْدلاً ابنَه - ولكن لا واللهِ ما عاج عليّ، فأخذتُ قَلَنْسُوتي فمسَحْتُها ثم أعَدْتُها على رأسِي ثم قلتُ:

أَجَنْـدلُ مَـا تقـول بنـو نُمَيْـرٍ ... إذا مـا الأَيْـر فـي أَسـتِ أبيـك غـابَـا

فسمعتُ الرّاعيَ قال لابنه: أما واللهِ لقد طرحتَ قَلَنْسُوَتَه طَرْحةً مشؤومة. قال جريرٌ: ولا واللهِ ما القلنسوةُ بأَغْيظ أمرِه إليّ لو كان عاجَ عليّ. فانصرف جرير غضبانَ حتى إذا صلّى العِشاءَ بمنزله في عِلِّيَّةٍ[(٧)] له قال: ارفَعوا إليّ باطيَةً من نبيذ وأَسْرِجُوا لي، فأَسْرَجُوا له وأتَوْهُ بباطيةٍ من نبيذ. قال: فجعَل يُهَمْهِمُ[(٨)]؛ فسمعتْ صوتَه عجوزٌ في الدار فاطَّلَعَتْ في الدَّرَجةِ / حتى نظرتْ إليه، فإذا هو يَحْبُو على الفراش عُرْياناً لما هو فيه، فانحدرتْ فقالت: ضيفُكم ٥٠/٧ مجنون! رأيت منه كذا وكذا! فقالوا لها: اذهبي لِطِيَّتِك، نحن أعلم به وبما يُمَارِس. فما زال كذلك حتى كان السَّحَرُ، ثم إذا هو يكبِّرُ قد قالها ثمانين بيتاً في بني نُمَير. فلما ختمها بقوله:

فَغُـضَّ الطَّـرْفَ إنّـكَ مِـن نُمَيْـرٍ ... فَـلا كَعْبـاً بلغـتَ ولا كِـلاَبَـا

كَبَّر ثم قال: أَخزيتُه وربِّ الكَعْبة. ثم أَصبح، حتى إذا عرَف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمِرْبَد، وكان يعرِف

= فحل من شعراء الإسلام، وكان مقدَّماً مفضلاً حتى اعترض بين جرير والفرزدق. (انظر ترجمته في «الأغاني» جـ ٢٠ ص ١٦٨ طبع بلاق).

(١) في جـ: «فصوّبت».

(٢) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «أن أعلم أحداً».

(٣) الأحوى: الذي يضرب إلى السواد من شدّة خضرته. والحذف: قطف الشيء من الطرف، يقال: حذف شعره وذنب فرسه إذا قطع طرفه.

(٤) هذه الكلمة «هين» ساقطة من ب، س.

(٥) كذا في الأصول و«الأغاني» (جـ ٢٠ ص ١٦٩ طبع بلاق) في ترجمة الراعي. وظاهر أنها ضرب من السياط. وقد جاءت هذه القصة في «النقائض» (ص ٤٣١) وفيها: «فأقبل يشتد به فرسه حتى يهوى بالسوط لمؤخر بغلة أبيه.. إلخ».

(٦) في «النقائض»: «فزحمتني والله زحمة وقعت منها على كفي في الأرض».

(٧) العلية: الغرفة.

(٨) في جـ: «يهينم». والهمهمة والهينمة: الصوت الخفيّ.

[٨/٣١] مجلَسه ومجلسَ الفَرَزْدَق، دعا بدُهْنٍ / فادَّهَنَ وكَفَّ[١] رأسَه، وكان حسنَ الشَّعر، ثم قال: يا غلام، أَسْرِجْ لي، فأَسْرجَ له حِصاناً، ثم قصد مجلسَهم؛ حتى إذا كان بمَوْضِع[٢] السلام قال: يا غلامُ ـ ولم يسلِّم ـ قل لعُبَيدٍ: أبعَثك نِسْوَتُك تَكْسِبهُنَّ المالَ بالعراق! أما والذي نفسُ جريرٍ بيده لتَرْجِعَنَّ إليهنّ بمَيْرٍ يَسُوءهن ولا يَسُرّهنّ! ثم اندفع فيها فأنشدها. قال: فنكَس الفرزدقُ وراعي الإبل وأَرَمَ[٣] القومُ، حتى إذا فرَغ منها سار[٤]، ووثب راعي الإبل ساعةً ثم ركب بغلته بشَرٍّ وعَرٍّ وخَلّى المجلس حتى ترقّى إلى منزله[٥] الذي ينزله ثم قال لأصحابه: رِكَابَكم رِكَابَكم، فليس لكم ها هنا مُقَام، فضَحكم والله جرير! فقال له بعض القوم: ذاك شؤمُك وشؤمُ ابنك. قال: فما كان إلا ترحُّلُهم. قال فسِرْنا إلى أهلنا سيراً ما ساره أحد، وهُمْ بالشُّرَيْف وهو أعلى دارِ بني نُمَيرٍ. فيحلفُ بالله راعي الإبل إنّا وجَدْنا في أهلنا:

فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ

وأقسَم بالله ما بلَّغَه إنسيٌّ قَطّ، وإنّ لجريرٍ لأشياعاً من الجنّ. فتشاءمتْ به بنو نُمَير وسَبُّوه وابنَه، فهمْ يتشاءمون به إلى الآن.

قال قصيدته في هجو الراعي عند رجل من أنصاره:

أخبرني أحمد بن عبيدالله بن عَمّار قال حدّثني عليّ بن محمد النَّوْفَليّ عن أبيه قال حدّثني مَوْلًى لبني كُلَيب بن يَرْبوع كان يبيع الرُّطَبَ بالبصرة أُنْسِيتُ اسمَه قال:

[٨/٣٢] / كنت أجمع شعر جرير وأشتهي أن أحفظه وأَرْوِيَه. فجاءني ليلةً فقال: إن راعي الإبل النُّمَيريّ قد هجاني، وإنّي آتيك الليلةَ فأعِدَّ لي شِوَاءً رَشْرَاشاً[٦] ونبيذاً مُخْفِساً[٧]؛ فأعددتُ له ذلك. فلما أَعْتَمَ جاءني فقال: هَلُمّ عَشاءَك، فأتيتُه به، فأكل ثم قال: هَلُمّ نبيذَك، فأتيتُه به، فشرب أقداحاً ثم قال: هات دَوَاةً وكَتِفاً[٨]؛ فأتيتُه بهما، فجعل يُمْلِي عليّ قولَه:

أَقِلِّي اللومَ عاذِلَ والعتابَا وقُولي إن أَصَبْتُ لقد أصابَا

حتى بلغ إلى قوله:

فغُضَّ الطَّرْفَ إنكَ من نُمَيرٍ

فجعل يردّده ولا يَزِيد عليه حتى حَمَلَتْني عيني، فضربتُ بذَقَني صَدْرِي نائماً، فإذا به قد وثَب حتى أصاب السَّقْفَ رأسُه وكبَّر ثم صاح: أخزيتُه والله! اكْتُبْ:

فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابَا

---

(١) كف شعره: جمعه وضم أطرافه.

(٢) كذا فيما سيأتي في «الأغاني» (ج ٢٠ ص ١٧٠) طبع بلاق. وفي باقي الأصول هنا: «موقع السلام».

(٣) كذا في حـ. وأرمّ القوم: سكتوا. وفي سائر الأصول: «أزم بالزاي وهو تصحيف.

(٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «... سار وثبت راعي الإبل ساعتئذ فركب بغلته... إلخ».

(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «حتى أتى إلى المنزل الذي ينزله».

(٦) شواء رشراش: خضل ند يقطر دسماً.

(٧) كذا في جـ. والمخفس: السريع الإسكار. وفي سائر الأصول: «مخفشا» وهو تصحيف.

(٨) كانوا يكتبون في عظم الكتف لقلة القراطيس عندهم.

غَضَضْتُه[1] وقدّمتُ إخوتَه عليه! والله لا يُفْلح بعدها [أبداً]. فكان والله كما قال ما أفلح هو ولا نُمَيْرِيّ بعدها.

أنشد الفرزدق أشطار شعر له فأخبر بتواليها:

أخبرني هاشم بن محمدالخُزَاعيّ قال حدّثنا أبو غَسّانَ دَمَاذ عن أبي عُبَيدة قال:

أَقْبَل راكبٌ من اليَمامة، فمرّ بالفرزدق وهو جالس في المِرْبَد، فقال له: من أين أقبلتَ؟ قال: من اليمامة. فقال: هل رأيت ابنَ المَرَاغة؟ قال نعمْ؟ قال: فأيّ شيءٍ أَحْدث بعدي؟ فأنشده:

هاجَ الهوى لفؤادك المُهْتاجِ

// فقال الفرزدق: [٨/ ٣٣]

فانظُر بتُوضِحَ[2] باكِرَ الأَحْداجِ

فأنشده الرجل:

/ هذا هَوًى شغَف الفؤادَ مبرِّحٌ ٥١/٧

فقال الفرزدق:

ونَوًى تَقَاذَفَ غيرُ ذاتِ خِلاَجِ[3] *

فأنشده الرجل:

إن الغراب بما كرِهتَ لمُولَعٌ

فقال الفرزدق:

بِنَوَى الأحبّةِ دائمُ التَّشْحَاجِ[4] *

فقال الرجل: هكذا واللهِ، قال أفسمعتَها من غيري؟ قال: لا! ولكن هكذا ينبغي أن يقال، أو ما علمت أن شيطاننا واحد! ثم قال: أَمَدَح بها الحَجّاجَ؟ قال نعمْ. قال: إياه أراد.

أجاب الفرزدق في الحج جواباً حسناً:

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكِيع قال حدّثنا محمد بن إسحاق بن عبدالرحمن قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم المَوْصِليّ قال حدّثني أبو عُبَيدة قال:

إلتقَى جريرٌ والفرزدقُ بمِنًى وهما حاجّانِ، فقال الفرزدقُ لجرير:

فإنك لاقٍ بالمنازل من مِنًى ... فَخَاراً فخبِّرْني بمن أنت فاخرُ

(١) في ب، س: «غصصته» بالصاد.

(٢) توضح: كثيب أبيض من كثبان حمر بالدهناء قرب اليمامة. والأحداج: مراكب النساء.

(٣) غير ذات خلاج أي نوى مقطوع بها لا يخالج فيها الشك والريب. يقال: خلجه وخالجه في الأمر شيء إذا شك فيه. وفي «لسان العرب»: «ونوى خلوج بينة الخلاج: مشكوك فيها» ثم استشهد بهذا البيت.

(٤) تشحاج الغراب: صوته.

[٨/٣٤] / فقال له جريرٌ: بلَبَّيْكَ اللهم[١] لبيك. قال إسحاق: فكان أصحابُنا يستحسنون هذا الجوابَ من جرير ويَعْجَبون[٢] منه.

هجا التيم فلم يؤثر فيهم من لؤم أصلهم:

أخبرني أبو خَلِيفةَ عن محمد بن سَلّام، وأخبرني وَكِيعٌ عن محمد بن إسماعيل [عن ابن[٣] سَلّام] قال حدّثنا أبو الخَطّاب عن أبيه عن حَجْناء بنِ جرير قال:

قلت لأبي: يا أبَتِ، ما هجوتَ قوماً قطُّ إلاّ أفسدتهم سِوَى التَّيْمِ. فقال: إنّي لم أجد حَسَباً أَضَعُه، ولا بِنَاء أهدِمُه.

حديثه مع ابنه عن درجات الشعراء:

قال ابن سَلّام أخبرني أبو قيس[٤] عن عِكْرِمةَ بن جَرير قال: قلت لأبي: يا أبَتِ، من أشعرُ الناس؟ فقال: ألجاهليةَ تريد أم الإسلامَ؟ قلتُ: أخبِرْني عن الجاهلية. قال: شاعرُ الجاهلية زُهَيْر. قلت: فالإسلام؟ قال: نَبْعة الشعر الفرزدق. قلت: فالأخطل؟ قال: يُجيد صفة الملوك ويُصيب نَعْتَ الخمر. قلت: فما تركتَ لنفسك؟ قال: دَعْني فإني نَحَرْتُ[٥] الشعرَ نَحْراً.

سمعه الفرزدق ينشد بائيته فتوقع فيها نصف بيت فيه هجو له فكان كما ظن:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني الحَسَن بن عُلَيل قال حدّثني محمد بن عبدالله العَبْدِيّ عن عُمَارة بن عُقَيل عن جدّه قال:

وقف الفرزدقُ على أبي بمِرْبَد البصرة وهو يُنشد قصيدته التي هجا بها الرّاعي؛ فلما بلغَ إلى قوله:

فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ ... فلا كعْباً بلغتَ ولا كِلاَبَا

أقبل الفرزدقُ على روايته فقال: غَضَّه[٦] واللهِ فلا يُجيبه أبداً ولا يُفلح بعدها. فلما بلَغ إلى قوله:

[٨/٣٥] / بها بَرَصٌ بجانبِ إسْكَتَيها[٧]

وضع الفرزدقُ يدَه على فيه وغطّى عَنْفَقَتَه[٨]؛ فقال أبي:

كعَنْفَقَةِ الفرزدقِ حين شابَا

فانصرف الفرزدقُ وهو يقول: اللهم أَخزِه! والله لقد علمتُ حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غيرَ هذا، ولكن طَمِعتُ ألاّ

(١) في جـ: «لبيك اللهم لبيك».
(٢) في جـ: «ويعجبون به».
(٣) زيادة عن جـ.
(٤) كذا في ابن سلام وهو أبو قيس العنبري، قال عنه ابن سلام: ولم أر بدوياً يزيد عليه. وفي أكثر الأصول: «أبو الدقيش». وفي جـ: «أبو الدلهمس» وكلاهما تحريف.
(٥) في ب، س: «بحرت الشعر بحراً».
(٦) في ب، س: «غصه» بالصاد المهملة.
(٧) الإسكتان: جانبا الفرج.
(٨) العنفقة: شعيرات بين الشفة السفلى والذقن.

يَأَبَهَ فغطَّيتُ وجهي، فما أغناني ذلك شيئاً. قال العَنزيّ حدّثني مسعود بن بِشْر عن أبي عُبَيدة قال قال يونُس: ما أَرَى جَرِيراً قال هذا المِصْراعَ إلا حينَ غطَّى الفرزدقُ عَنْفقتَه، فإنه نبَّهه عليه بتغطيته إيّاها.

سئل الفرزدق عمن يجاريه في الشعر فلم يعترف إلا به:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا المَدائنيّ عن أبي بَكْر الهُذَلِيّ قال:

قال رجل من بني دارِم للفرزدق وهو بالبصرة: يا أبا فِرَاس، هل تعلم اليوم أحداً يَرْمي معك؟ فقال: لا! والله ما أعرف نابحاً إلا وقد أستكان ولا ناهشاً إلا وقد أنْجَحَر إلا القائلَ:

/ فإنْ لم أجِدْ في القُرْبِ والبعدِ حاجتي ... تَشَأَمتُ أو حَوّلتُ وجهي يمانيا [٥٢/٧]

فرُدِّي جِمَالَ الحيِّ ثم تَحَمّلي ... فما لَكِ فيهم من مُقَامٍ ولا لِيا

فإنّي لمغرورٌ أُعلَّل بالمُنَى ... ليالِيَ أرجو أنّ مالَكَ ماليا

وقائلةٍ والدمعُ يَحْدُرِ كُحْلَها ... أبعدَ جريرٍ تُكْرِمون المَوَالِيا

بأيِّ نِجَادٍ تحمِل السيفَ بعد ما ... قطعتَ القُوَى من مِحْمَلٍ كان باقيا

بأيِّ سنانٍ تطعُنُ القَرْمَ[1] بعدما ... نَزَعْتَ سِناناً من قَنَاتِك ماضيا

/ لساني وسيفي صارِمانِ كلاهما ... وللَسَّيْفُ أشْوَى[2] وَقْعَةً من لسانيا [٣٦/٨]

قال: وهذا الشعر لجرير.

وفد على يزيد بن معاوية وأخذ جائزته:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يَزِيد عن عُمارةَ بنِ عُقَيل عن أبيه قال:

قال جرير: وفدتُ إلى يزيدَ بنِ معاوية وأنا شابٌّ [يومئذ][3]؛ فأستُؤذن لي عليه في جملة الشعراء؛ فخرج الحاجب إليّ وقال: يقول لك أمير المؤمنين: إنه لا يَصِلُ إلينا شاعر لا نعرفه ولا نسمع بشيء من شعره، وما سمعنا لك بشيء فنأذنَ لك على بَصِيرة. فقلت له: تقولُ لأمير المؤمنين: أنا القائل:

وإنّي لَعَفُّ الفقرِ مُشْتَرَكُ الغِنَى ... سريعٌ إذا لم أرضَ داري انتقاليا

جريءُ الجَنَانِ لا أُهابُ مِنَ الردَى ... إذا ما جعلتُ السيفَ قَبْضَ بَنَانيا

وليس لسيفي في العظامِ بَقِيّةٌ ... ولَلسَّيْفُ أَشْوَى وقعةً من لسانيا

فدخل الحاجب عليه فأنشده الأبياتَ؛ ثم خرج إليّ وأَذِن لي، فدخلت وأنشدته وأخذت الجائزةَ مع الشعراء؛ فكانت أوّلَ جائزة أخذتُها من خليفة، وقال لي: لقد فارق أبي الدنيا وما يظنّ أبياتَك التي توسَّلْتَ بها إليّ إلاّ لي.

---

(١) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «القوم» بالواو.

(٢) يقال: رماه فأشواه إذا أصاب شواه ولم يصب مقتله. والشوى: الأطراف.

(٣) زيادة عن جـ.

موازنة حماد الراوية بينه وبين الفرزدق:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرّانيّ قال حدّثنا العُمَرِيّ عن الهَيْثَم بنِ عَدِيّ عن حَمّادِ الراوية قال:

أتيتُ الفرزدق فأنشدني، ثم قال لي: هل أتيتَ الكلبَ جريراً؟ قلت نعم. قال: فأنا أشعر أو هو؟ فقلت: أنت [٨/٣٧] في بعض الأمر وهو في بعض. / فقال: لم تُناصِحْني. فقلت: هو أشعرُ إذا أرْخى من خِناقه، وأنت أشعر منه إذا خِفْتَ أو رجوتَ. فقال: وهل الشعر إلا في الخوف والرجاء وعند الخير والشرّ!.

حكم له بشر بن مروان وقد تفاخر هو والفرزدق بحضرته:

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن الحارث قال حدّثنا المدائنيّ عن يحيى بن عَنْبَسة القُرَشِيّ وعَوَانةَ بنِ الحَكَم:

أنّ جريراً والفرزدق اجتمعا عند بِشر بن مَرْوان؛ فقال لهما بشر: إنكما قد تقارضتُما الأشعارَ وتطالبتُما الآثار وتقاولتُما الفخرَ وتهاجيتُما. فأمّا الهجاء فليست بي إليه حاجة، فجدِّدا بين يَدَيّ فخراً ودَعَانِي مما مضى. فقال الفرزدق:

نحـن السَّنَـامُ والمَنَـاسِـمُ[1] غيـرُنـا ... فمَـنْ ذا يُسـاوِي بـالسَّنَـامِ المنـاسِمَـا!

فقال جرير:

علـى مـوضـعِ الأَسْتـاهِ أنتـم زعمتُـمُ ... وكـلُّ سَنَـامٍ تـابـعٌ للغَـلَاصِـمِ[2]

فقال الفرزدق:

علـى مَخْـرَثٍ[3] للفَـرْث أنتـم زعمتُـمُ ... ألا إنّ فـوق الغَلْصَمـاتِ الجَمَـاجِمَـا

٧/٥٣ / فقال جرير:

وأنبـأتُمـونـا أنكـم هـامُ قـومِكـم ... ولا هـامَ إلا تـابـعٌ للخَـرَاطـم

فقال الفرزدق:

فنحـن الـزِّمـامُ القـائـدُ المقتـدَى بـه ... مـن النـاس، مـا زِلنـا ولسنـا لَهَـازِمَـا[4]

فقال جرير:

فنحـن بَنِـي زيـد قطعنـا زِمـامَهـا ... فتـاهـت كسـارٍ طـائِش الـرأسِ عـارِمِ[5]

[٨/٣٨] / فقال بشر: غلبتَه يا جريرُ بقطعِك الزِّمام وذَهابِك بالناقة. وأحسن الجائزةَ لهما وفضّل جريراً.

---

(١) المنسم: طرف خف البعير.

(٢) الغلصمة: رأس الحلقوم.

(٣) في ب، س: «محرض» وهو تحريف.

(٤) اللهازم: جمع لهزمة. واللهزمتان هما ما تحت الأذنين من أعلى اللحيين والخدين. يريد أنه من الذين يقودون الناس لا ممن يقادون.

(٥) العرام: الشدّة والقوّة والشراسة.

جرير وسكينة بنت الحسين:

قال المدائنيّ وحدّثني عَوَانة بن الحَكَم قال:

جاء جرير إلى باب سُكَينة بنت الحسين عليه السلام يستأذن عليها فلم تأذن له، وخرجت إليه جاريةٌ لها فقالت: تقول لك سيّدتي: أنت القائل:

طَـرَقَتْـكَ صـائـدةُ القلـوب وليـس ذا | حيـنَ الـزيـارةِ فـارْجِعـي بسـلامِ

قال نعم. قالت: فألاّ أخذتَ بيدها فرحّبتَ بها وأدنيتَ مجلسَها وقلتَ لها ما يقال لمثلها! أنت عفيفٌ وفيك ضعف، فخذ هذين الألفي الدرهم فالحَقْ بأهلِك.

تفضيل سكينة بنت الحسين له على الفرزدق:

قال المدائنيّ في خبره هذا وحدّثني أبو يعقوب الثَّقَفيّ عن الشَّعْبيّ: أنّ الفرزدق خرج حاجّاً؛ فلما قصى حجَّه عدَل إلى المدينة فدخل إلى سُكَينة بنتِ الحسين عليهما السلام فسلّم. فقالت له: يا فرزدق، مَنْ أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبتَ! أشعرُ منك الذي يقول:

بنفسِـي مَـنْ تَجَنُّبُـه عـزيـزٌ | علـيّ ومَـنْ زِيـارتُـه لِمَـامُ
ومَـنْ أمسِـي وأُصبِـحُ لا أراه | ويَطْـرُقُنِـي إذا هَجَـعَ النِّيَـام

فقال: والله لو أذنتِ لي لأسمعتُكِ أحسنَ منه. قالت: أقيموه فأُخرِج ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها، فقالت: يا فرزدق، مَنْ أشعر الناس. قال: أنا. قالت: كذبتَ! صاحبُك جرير أشعرُ منك حيث يقول:

لـولا الحيـاءُ لعـادنـي آستعبـارُ | ولَـزُرْتُ قبـرِك والحبيـبُ يُـزَارُ
كـانـت إذا هجَـر الضَّجيـعُ فِـراشَهـا | كُتِـمَ الحـديـثُ وعَفّـت الأسـرارُ[1]
/ لا يَلْبَـثُ القُـرَنَـاءُ أنْ يتفـرّقـوا | ليـلٌ يُكَـرُّ عليهـمُ ونهـارُ [٣٩/٨]

/ فقال: والله لئن أذنتِ لِي لأسمعنّكِ أحسنَ منه، فأمرتْ به فأُخرج. ثم عاد إليها في اليوم الثالث وحَوْلَها مولّداتٌ [٥٤/٧] لها كأنهنّ التماثيل؛ فنظر الفرزدق إلى واحدة منهنّ فأُعْجِب بها وبُهِت ينظُر إليها. فقالت له سُكَينة: يا فرزدق، مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبتَ! صاحبُك أشعر منك حيث يقول:

إنّ العيـونَ التـي فـي طَـرْفِهـا مَـرَضٌ | قتلْنَنـا ثـم لـم يُحْيِيـنَ قَتْـلانـا
يَصْـرَعْـنَ ذا اللُّـبِّ حتـى لا حَـرَاكَ بـه | وهـنّ أضعـفُ خَلْـقِ الله أركـانـا
أَتبعتُهـم مُقْلَـةً إنسـانُهـا غَـرِقٌ | هـل مـا تَـرَى تـاركٌ للعيـن إنسـانـا

فقال: والله لئن تركتني لأسمعنّك أحسنَ منه؛ فأمرت بإخراجه. فالتفت إليها وقال: يا بنت رسول الله ـ ﷺ ـ إنّ لي

(١) الضجيع: الحليل، وهجره هاهنا أن يغيب عنها فيهجر فراشها، فأما إذا أقربت فهي أكرم عليه من أن يهجر فراشها. وكتم الحديث أي لا تحدث أحداً بريبة. والسر هو النكاح، ومنه قوله تعالى: ﴿ولكن لا تواعدوهن سرّاً﴾. يصفها بأن ليس عندها إلا العفاف. (عن «النقائض»).

عليكِ حقّاً عظيماً. [قالت: وما[1] هو؟ قال:] ضربتُ إليكِ [آباطَ الإبلِ][1] من مكةَ إرادةَ التسليم عليكِ، فكان جزائي من ذلك تكذيبي وطَرْدي وتفضيلَ جرير عليّ ومنعَكِ إيّاي أن أُنْشِدَكِ شيئاً من شعري، وبي ما قد عِيلَ منه صبري، وهذه المنَايا تَغْدُو وتَرُوح، ولعلّي لا أفارق المدينةَ حتى أموت؛ فإذا أنا مِتُّ فمُرِي بي أن أُدْرَج في كَفَنِي وأُدْفَنَ في حِرِ هذه (يَعْني الجاريةَ التي أعجبتْه). فضحكتْ سكينة وأمرتْ له بالجارية، فخرج بها آخذاً بَرِيْطَتِها[2]؛ وأمرتْ الجواريَ فَدَفَعْنَ في أَقْفِيتهما، ونادتْه. يا فرزدقُ احتفظ بها وأَحْسِن صحبتَها فإني آثرتُك بها على نفسي.

حضر أعرابي مائدة عبدالملك بن مروان ووصف له طعاماً أشهى من طعامه ثم سأله عن أحسن الشعر فأجاب من شعر جرير.

قال المَدائنيّ في خبره هذا وحدّثني أبو عِمْرانَ بن عبدالملك بن عُمَير عن أبيه، وحدّثنيه عَوانَةُ أيضاً قالا:

[٨/ ٤٠] / صنع عبدُالملك بن مروان طعاماً فأكْثر وأَطَابَ ودعا إليه الناسَ فأكلوا. فقال بعضهم: ما أطيبَ هذا الطعامَ! ما نَرى أن أحداً رأى أكثرَ منه ولا أكل أطيبَ منه. فقال أعرابيّ من ناحية القوم: أمّا أكثرُ فلا، وأمّا أطيبُ فقد والله أكلتُ أطيبَ منه، فطفقوا[3] يضحكون من قوله. فأشار إليه عبدالملك فأُدْنِيَ منه؛ فقال: ما أنت بِمُحِقٍّ فيما تقول إلاّ أن تُخْبِرني بما يَبِينُ به صدقُك. فقال: نعمْ يا أميرَ المؤمنين؛ بَيْنَا أنا بهَجر[4] في بَرْثٍ[5] أحمر في أَقْصَى حَجْر[6]، إذ تُوُفِّي أبي وترك كَلاًّ[7] وعِيَالاً، وكان له نخل، فكانت فيه نخلةٌ لم ينظُر الناظرون إلى مِثلها، كأن تمرها أَخْفافُ الرِّبَاع[8] لم يُرَ تمرٌ قطُّ أغلظُ ولا أصلبُ ولا أصغرُ نَوًى ولا أَحْلَى حلاوةً منه[9]. وكانت تَطْرُقها أَتَانٌ وَحْشيّةٌ قد أَلِفتْها تأوِي الليلَ تحتها، فكانت تُثبت رجليها في أصلها وترفع يديها وتَعْطُو[10] بِفيها فلا تترك فيها إلا النَّبِيذَ[11] والمتفرِّقَ؛ فأعظَمَني ذلك ووقَع منّي كلَّ موقع، فانطلقتُ بقوسي وأسهُمي وأنا أظنّ أنّي أرجع من ساعتي؛ فمكثتُ يوماً وليلةً لا أَراها، حتى إذا كان السَّحَرُ أقبلتْ، فتهيأتُ لها فرشَقْتُها فأصبتُها وأَجهزتُ عليها، ثم عَمَدْتُ إلى سُرَّتها فاقْتَدَدْتُها[12]، ثم عَمَدْتُ إلى حطب جَزْل فجمعتُه إلى رَضْف[13] وعمَدْت إلى زَنْدِي فقدَحْتُ وأضرمتُ النارَ في ذلك [٨/ ٤١] الحطب، وألقيتُ / سُرَّتَها فيه؛ وأدركني نومُ الشَّبَاب[14] فلم يُوقِظْني إلاّ حَرُّ الشمس في ظهري؛ فانطلقتُ إليها

---

(١) زيادة عن جـ.

(٢) الريطة: الملاءة.

(٣) في الأصول: «وطفقوا».

(٤) هجر: مدينة بالبحرين مشهورة بكثرة التمر.

(٥) كذا في «البخلاء» طبع أوروبا ص ٢٤٣، والبرث: الأرض اللينة السهلة، ومنه في الحديث: «بين الزيتون إلى كذا برث أحمر». وفي الأصول: «ترب أحمر» وهو تصحيف.

(٦) في أقصى حجر أي في أبعد ناحية. وفي «البخلاء»: «في طلوع القمر».

(٧) الكل: الثقل والعيال، الذكر والأنثى في ذلك سواء، وربما جمع على الكلول في الرجال والنساء.

(٨) الرباع: جمع ربع (كمضر) وهو الفصيل ينتج في الربيع وهو أوّل النتاج، والذي ينتج في آخر النتاج يسمى هبع (بضم ففتح).

(٩) في الأصول: «منها».

(١٠) تعطو: تتناول.

(١١) كذا في أ، ء، م. والنبيذ: المنبوذ. وفي سائر الأصول: «النبذ» والنبذ: الشيء القليل اليسير.

(١٢) كذا في جـ. واقتدّ الشيء: قطعه. وفي سائر الأصول: «فافترتها» وهو تحريف.

(١٣) الرضف: الحجارة المحماة بالشمس أو النار.

(١٤) كذا في جـ و«البخلاء». وفي سائر الأصول: «السبات».

فكشفتُها وألقيتُ ما عليها من قَذًى وسواد ورَماد، ثم قلبتُ [منها[1]] مثلَ المُلاءة البَيْضاء، فألقيتُ عليها من رُطَبِ تلك النخلةِ المُجَزّعة[2] والمُنَصَّفة، فسمعتُ لها أَطيطاً[3] كتَدَاعِي عامرٍ وغَطَفَانَ، ثم أقبلتُ أتناول الشَّحمة واللحمة فأضعُها بين التمرتين وأَهْوِي إلى فَمِي، فبما أحلف إنّي[4] ما أكلتُ طعاماً مثلَه قَطُّ. فقال له عبدالملك: لقد أكلتَ طعاماً طيّباً، فمن أنت؟ قال: أنا رجل جانبَتْنِي عَنعنةُ[5] تَميمٍ وأَسَدٍ وكَشْكَشةُ[6] رَبِيعةَ وحُوشِيُّ[7] أهلِ اليمن وإن كنتُ منهم. فقال: من أيِّهم أنت؟ قال: من أخوالِك من عُذْرَة. قال: أولئك فصحاءُ الناس؛ فهل لك علمٌ بالشعر؟ قال: سلْنِي عمّا بدالكَ يا أمير المؤمنين. قال: أيُّ بيتٍ قالته العربُ أمدح؟ قال: قول جرير:

ألستم خيرَ مَنْ ركِبَ المَطايا ... وأنْدَى العالمين بطونَ راحِ

/ قال: وكان جرير في القوم، فرفع رأسَه وتَطاول لها. ثم قال: فأيُّ بيتٍ قالته العربُ أفخر؟ قال: قولُ جرير: ٥٥/٧

إذا غضبتْ عليكَ بنو تَميمٍ ... حسبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضَابَا

/ قال: فتحرّك [لها[8]] جريرٌ. ثم قال له: فأيُّ بيتٍ أَهْجَى؟ قال: قولُ جرير: [٤٢/٨]

فغُضَّ الطَّرْفَ إنكَ من نُمَيرٍ ... فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابَا

قال: فاَستَشْرَف لها جريرٌ. قال: فأيُّ بيتٍ أغْزَل؟ قال: قول جرير:

إن العيونَ التي في طَرْفِها مَرَضٌ ... قَتَلْنَنا ثم لم يُحْيِينَ قَتْلانا

قال: فاَهتزّ جريرٌ وطرِب. ثم قال له: فأيُّ بيتٍ قالته العرب أحسنُ تشبيهاً؟ قال: قولُ جرير:

سَرَى نحوَهم ليلٌ كأنّ نجومَه ... قَنَادِيلُ فيهنّ الذُّبَالُ[9] المفتَّلُ

فقال جرير: جائزتي للعُذْرِيّ يا أمير المؤمنين. فقال له عبدالملك: وله مثلُها من بيت المال، ولك جائزتك يا جرير لا تُنْتَقَصُ منها شيئاً. وكانت جائزةُ جريرٍ أربعةَ آلاف درهم وتوابعَها من الحُمْلان والكُسْوة. فخرَج العُذْرِيّ وفي يده اليمنى ثمَانيةُ آلاف درهم وفي اليسرى رِزْمةُ ثياب.

---

(١) زيادة عن جـ.

(٢) جزع البسر: بلغ الإرطاب نصفه، وقيل: بلغ الإرطاب من أسفله إلى نصفه وقيل: إلى ثلثيه وقيل: بلغ بعضه من غير أن يحدّ. واختلف في المجزعة أهي بفتح الزاي أم بكسرها. ونصف البسر: أرطب نصفه.

(٣) أطيط كل شيء: صوته. وعامر وغطفان: قبيلتان.

(٤) في ب، س: «فيما أحلف... إلخ». وفي جـ: «فما أحلف أكلت... إلخ» أي فأحلف ما أكلت. فوقع فعل القسم معترضاً بين «ما» النافية ومنفيها.

(٥) عنعنة تميم: إبدالهم العين من الهمزة فيقولون «عنّ» يريدون «أنّ».

(٦) كذا في جـ. والكشكشة لغة ربيعة، يجعلون الشين مكان الكاف وذلك في المؤنث خاصة فيقولون: عليش مكان عليك. وفي سائر الأصول: «كسكسة ربيعة» وهو تصحيف لأن الكسكسة لغة هوازن. (انظر «اللسان» مادة كسس وكشش).

(٧) الحوشيّ من الكلام: الغامض.

(٨) زيادة يقتضيها سياق الكلام.

(٩) الذبالة: الفتيلة التي توضع في القنديل يوضع فيه الزيت ليستضاء به.

تفضيل عبيدة بن هلال لجرير على الفرزدق:

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا المَدائنيّ عن أبي عبدالرحمن[١] عن عبدالله بن عَيّاش الهَمْدانيّ قال:

بَيْنَا المهلّبُ ذاتَ يوم [أو ليلةٍ[٢]] بفارسَ وهو يقاتل الأَزَارِقةَ إذ سمع في عسكره جَلَبَةً وصِياحاً؛ فقال: ما هذا؟ قالوا: جماعةٌ من العرب تَحاكموا إليكَ في شيء. فأَذِن لهم فقالوا: إنّا اختلفنا في جرير والفرزدق؛ فكلّ فريقٍ منّا يزعمُ أنّ أحدهما أشعرُ من الآخر، وقد رَضِينا بحكم الأمير. فقال: كأنكم أردتم [أن[٢]] تُعَرِّضُوني / لهذين [٤٣/٨] الكلبين فيمزّقا جِلْدتي! لا أحكمُ بينهما، ولكنّي أدلُّكم على من يَهُون عليه سِبالُ جرير وسِبالُ[٣] الفرزدق، عليكم بالأَزَارقة، فإنّهم قومٌ عربٌ يَبْصُرون بالشعر[٤]. ويقولون فيه بالحق. فلما كان الغدُ خرج عُبيدةُ بن هِلال اليَشْكُرِيّ ودعا إلى المبارزة، فخرج إليه رجل من عسكر المهلّب كان لقَطَرِيٍّ صديقاً؛ فقال له: يا عُبيدة، سألتُك اللهَ إلاّ أخبرتَني عن شيء أسألُك عنه. قال: سَلْ. قال: أَوَ تُخْبِرُني؟ قال: نعم إن كنتُ أعلمه. قال: أجريرٌ أشعرُ أم الفرزدقُ؟ قال: قَبّحك الله! أتركتَ القرآنَ والفقه وسألتني عن الشعر! إنا تشاجرْنا في ذلك ورَضِينا بك. فقال من الذي يقول:

وطَوَى الطِّرَادُ[٥] مع القِيَادِ بطونَها ... طَيَّ التِّجَارِ بحَضْرَمَوْتَ بُرُودَا

فقال: جرير. قال: هذا أشعرُ الرجلين.

لم ينزع في شعره إلى الغزل ولا إلى الرجز:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّيَاشِيّ عن العُتْبيّ قال:

قال جرير: ما عشِقتُ قَطُّ، ولو عشقت لنَسَبْتُ نَسِيباً تَسْمَعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها، وإني لأرى من الرَّجَزَ أمثالَ آثارِ الخيلِ في الثَّرَى، ولولا أنّي أخاف أن يَسْتفرِغَني[٦] لأكثرتُ منه.

جرير في ضيافة عبدالعزيز بن الوليد:

أخبرني حَبيب بن نصر المهلّبيّ وعمّي قالا حدّثنا ابن الأعرابيّ قال حدّثنا عبدالرحمن بن سعيد بن بَيْهَس بن صُهَيْب الجَرْميّ [عن عامر[٧] بن شِبْل الجَرْميّ] قال:

---

(١) أبو عبدالرحمن كنية الهيثم بن عدي، وقد تقدّم مراراً أنه يروى عن عبدالله بن عياش الهمداني، وقد صححنا هذا السند بناء على ذلك. وفي أكثر الأصول: «عن أبي عبدالرحمن بن عبدالله بن عباس الهذلي». وفي ب، س مثل ذلك، غير أن فيهما «الهمداني» بدل «الهذلي» وكلاهما تحريف.

(٢) زيادة عن حـ.

(٣) السبال: الشوارب. وفي ب، س: «سؤال» وهو تحريف.

(٤) في الأصول: «يبصرون الشعر» والأفصح تعديته بالباء.

(٥) كذا في حـ هنا وجميع الأصول فيما تقدّم. وفي سائر الأصول هنا: «وطوى الطراد بطونهن كأنها».

(٦) كذا في حـ. وهو محرّف في سائر النسخ.

(٧) ما بين هاتين القوسين ساقط من ب، س.

/ قدِم جرير على عبدالعزيز بن الوليد بن عبدالملك وهو نازلٌ بدَيْر مَرّانَ[١]؛ فكنا نغدو إليه بَكَراً[٢]، فيخرج [٨/٤٤] إلينا ويجلس في بُرْنُس خَزٍّ له لا يكلِّمنا كلمةً حتى يجيءَ طَبّاخُ عبدالعزيز إليه بقَدَحٍ من طِلاءٍ مسخَّن / يَفُور، وبكُتْلةٍ [٥٦/٧] من سمن كأنها هامةُ رجل فَيَخُوضها فيه، ثم يدفعه إليه فيأتي عليه، ويُقْبِل علينا ويحدِّثنا في كل فنّ، ويُنشدنا لنفسه ولغيره؛ حتى يحضرَ غَداء عبدالعزيز فنقومَ إليه جميعاً. وكان يختِم مجلسَه بالتسبيح فيُطيل. فقال له رجل: ما يُغْني عنك هذا التسبيحُ مع قَذْفك للمُحْصَنات! فتبسّم وقال: يأبنَ أخي (خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى ٱللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) إنهم والله يأبنَ أخي يَبْدَءُونني ثم لا أحْلُم.

وفد رجل من قبيلة الفرزدق على امرأة من بني حنيفة فأسمعته هجو جرير لهم وقصة عشقها لابن عم محمد:

أخبرني عمّي قال حدّثنا أبن أبي سَعْد قال حدّثني إبراهيم بن عبدالرحمن بن سعيد بن جعفر بن يوسف بن محمد بن موسى[٣] قال حدّثني الأخفش عن أبي مَحْذُورةَ الوَرّاق عن أبي مالكٍ الراويةِ قال سمعت الفرزدق يقول: وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثني إبراهيم بن محمد الطائفيّ قال حدّثني محمد بن مَسْعَدةَ[٤] الأخفش عن أبي مَحْذُورةَ الورّاق عن أبي مالك الراوية قال:

سمعتُ الفرزدقَ يقول: أَبَقَ غلامان لرجلٍ منا يقال له الخَضِرُ، فحدّثني قال: خرجتُ في طلبهما وأنا على ناقةٍ لي عَيْساءَ[٥] كَوْماءَ أريد اليمامةَ؛ فلما صِرْت في ماءٍ لبني حَنِيفةَ يقال له الصَّرْصَرانُ أرتفعتْ سحابةٌ فرعَدتْ وبرَقتْ وأرْخَتْ عَزَالِيَها[٦]؛ / فعدَلْتُ إلى بعض ديارهم وسألتُ القِرَى فأجابوا (فدخلتُ داراً لهم وأنَخْتُ الناقةَ [٨/٤٥] وجلستُ تحت ظُلَّةٍ لهم من جَريد النخل، وفي الدار جُوَيْرِيَةٌ لهم سَوْداءُ، إذ دخلتْ جاريةٌ كأنها سَبِيكةُ فضة وكأن عينيها كوكبان دُرِّيّانِ؛ فسألتِ الجاريةَ: لمن هذه العَيْساءُ؟ (تَعْنِي ناقتي) فقالت: لضيفكم هذا. فعدَلتْ إليّ فقالت: السلام عليكم، فرددتُ عليها السلام. فقالت لي: ممّن الرجل؟ فقلت: من بني حَنْظَلَةَ. فقالت: من أيِّهم؟ فقلت: من بني نَهْشَل. فتبسَّمَتْ وقالت: أنت إذاً ممّن عَناه الفرزدقُ بقوله:

إن الذي سمَك السماءَ بَنَى لنا ... بيتاً دعائمُه أعزُّ وأطولُ

بيتاً بناه لنا المليكُ وما بَنَى ... مَلِكُ السماءِ فإنه لا يُنْقَلُ

بيتاً زُرَارةُ مُحْتَبٍ بِفِنائه ... ومُجَاشِعٌ وأبو الفَوَارِس نَهْشَلُ

قال: فقلت: نعم جُعِلتُ فِداكِ! وأعجبني ما سمعتُ منها. فضحكتْ وقالت: فإن ابنَ الخَطَفَى قد هدَم عليكم بيتكم هذا الذي فخَرتم به حيث يقول:

---

(١) دير مرّان: قرب دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة، وبناؤه بالجص وأكثر فرشه بالبلاط الملون. (انظر «معجم البلدان» لياقوت في الكلام عليه).

(٢) البكر (بالتحريك): البكرة.

(٣) ورد هذا الاسم هكذا في جميع الأصول.

(٤) الأخافش كثيرون وليس منهم من له هذا الاسم، غير أن أحدهم يسمى سعيد بن مسعدة.

(٥) العيساء من النوق: التي يضرب لونها إلى الأدمة، وقيل: هي التي يخالط بياضها شيء من الشقرة. وكوماء: عظيمة السنام طويلته.

(٦) العزالي: جمع عزلاء، والعزلاء في الأصل: مصب الماء من الراوية والقربة. شبه اتساع المطر واندفاقه بالذي يخرج من فم المزادة.

أَخْـزَى الـذي رفَـع السمـاءَ مُجَـاشِعـاً وبَنَـى بِنَـاءَكَ[١] بـالحَضِيـض الأسفـلِ
بيتـاً يُحَمَّـمُ[٢] قَيْنُكـم بفِنـائـه دَنِسـاً مَقَـاعِـدُه خبيـثَ المَـدْخَـلِ

قال: فوجَمْتُ. فلما رأتْ ذلك في وجهي قالت: لا عليكَ؛ فإن الناس يُقال فيهم ويقولون. ثم قالت: أين تَؤُمُّ؟ قلت: اليمامةَ. فتنفَّسَتِ الصُّعَداءَ ثم قالت: ها هي تلك أمامَك؛ ثم أنشأت تقول:

تُـذكِّـرُنـي بـلاداً خيـرُ أهلِـي بهـا أهـلُ المـروءة والكَـرامـةْ
[٤٦/٨] / ألاَ فَسقَـى الإلـهُ أَجَشَّ صَـوْبـاً يَسُـحُّ بـدَرِّه بلـدَ اليَمَـامـةْ
وحَيّـا بـالسـلام أبـا نُجَيـدٍ فـأهـلٌ للتحيّـة والسـلامـةْ

٥٧/٧ / قال: فأَنِسْتُ بها وقلت لها: أذاتُ خِدْنٍ أم ذاتُ بَعْلٍ؟ فأنشأتْ تقول:

إذا رقَـد النِّيَـامُ فـإن عمـراً تـؤرِّقـه الهمـومُ إلـى الصبـاحِ
تُقطِّـع قلبَـه الـذِّكْـرَى وقلبـي فـلا هـو بـالخَلـيّ ولا بِصَـاحِ
سقَـى اللهُ اليمـامـةَ دار قـوم بهـا عمـرٌو ويَحِـنُّ إلـى الـرَّواحِ

فقلتُ لها: من عمرو هذا؟ فأنشأتْ تقول:

سـألـتَ ولـو علمـتَ كفَفْـتَ عنـه ومـن لـكَ بـالجـوابِ سِوَى الخبيـرِ
فـإن تَـكُ ذا قَبـولٍ إن عَمْـراً هـو القَمَـرُ المُضـيءُ المستنيـرُ[٣]
ومـالـي بـالتبعُّـلِ مُسْتَـرَاحٌ ولـو رَدَّ التبعُّـلُ لـي أَسِيـري

قال: ثم سكتتْ سكتةً كأنها تتسمّع[٤] إلى كلام، ثم تهافتتْ[٥] وأنشأتْ تقول:

يخيَّـل لـي هَيَـا عمـرُو بـنَ كَعْـبٍ كـأنـك قـد حُمِلْـتَ علـى سـريـرِ
يَسيـر بـك الهُـوَيْنَـى القـومُ لمـا رَمـاك الحـبُّ بـالعَلَـق[٦] العَسيـرِ
فـإن تَـكُ هكـذا يـا عَمْـرُو إنّـي مُبكِّـرةٌ عليـك إلـى القبـورِ

ثم شَهَقتْ شَهْقة فَخَرَّتْ ميّتةً. فقلتُ لهم: من هذه؟ فقالوا: هذه عَقِيلة بنتُ الضحّاك بن عمرو بن مُحَرِّق بن النُّعمان بن المُنْذِر بن ماء السماء. فقلت لهم: فمن عمرٌو هذا؟ قالوا: ابنُ عمّها عمرو بن كعب بن محرِّق بن

(١) في أكثر الأصول: «وبنى بناء» والتصويب عن و «النقائض» ص ٤١٣.
(٢) يحمم: يسخن. والقين: الحداد، يشير إلى أن مجاشعاً قبيلة الفرزدق كانت قيونا لعبد كان لصعصعة بن ناجية بن عقال يسمى جبيراً فنسب جرير غالباً أبا الفرزدق إلى القين ولذلك يقول جرير:

وجـدنـا جبيـراً أبـا غـالـب بعيـد القـرابـة مـن معبـد
أتجعـل ذا الكيـر مـن دارم وأيـن سهيـل مـن الفـرقـد

(٣) في هذا البيت أقواء، وهو اختلاف حركة الروي.
(٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «تستمع إلى كلام».
(٥) يريد أنها تساقطت من ضعفها وخورها.
(٦) العلق: الهوى يكون للرجل في المرأة.

النّعمان بن المنذر؛ فارتحلتُ من عندهم. فلما دخلتُ اليمامةَ سألتُ عن عمرو هذا فإذا هو قد دُفن في ذلك الوقت الذي قالت فيه ما قالت.

/ قصته مع عمر بن عبدالعزيز حين وفد عليه: [٤٧/٨]

أخبرني محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال حدّثنا محمد بن الحَكَم، وأخبرنا أحمد بن عبدالعزيز الجَوْهَريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو الهَيْثم بدر بن سعيد العَطّار قال حدّثنا عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز قال:

لمّا استُخْلِف عمرُ بن عبدالعزيز جاءه الشعراء فجعلوا لا يَصِلُون إليه؛ فجاء عَوْن بن عبدالله بن عُتْبة بن مسعود وعليه عِمامةٌ قد أرْخَى طرَفيْها فدخل؛ فصاح به جرير:

يـأيُّهـا القـارئُ[1] المُـرْخـي عِمـامتَـه ... هـذا زمـانُـك إنّـي قـد مضَـى زَمنِـي

أبلِـــغ خليفَتنـــا إن كنـــتَ لاقيَـــه ... أنّـي لَـدَى البـابِ كـالمَصْفـودِ فـي قَـرَنِ

قال: فدخل على عمر فاستأذن له، فأدخله عليه. وقد كان هيأ له شعْراً، فلما دخل عليه غيَّره وقال:

إنـا لنـرجـو إذا مـا الغيـثُ أخْلَفَنـا ... مـن الخليفـةِ مـا نـرجـو مـن المطـرِ

نـال الخـلافـةَ إذ كـانـت لـه قَـدَراً ... كمـا أتَـى ربَّـه مـوسـى علـى قَـدَر

أأذكـر الجَهْـدَ والبَلْـوَى التـي نـزلـتْ ... أم تكتفـي بـالـذي بُلِّغْـتَ مـن خَبَـرِي

مـا زِلْـتُ بعـدكَ فـي دارٍ تعَـرَّقُنِـي[2] ... قـد طـال بعـدك إصعـادي ومُنْحَـدرِي

لا ينفَـع الحـاضـرُ المجهـودُ بـادِيَنـا ... ولا يجـود لنـا بـادٍ علـى حَضَـرِ

كـم بـالمـواسـم مـن شَعْثـاءَ أرْمَلـةٍ ... ومـن يَتيـم ضعيـفِ الصـوتِ والبصـرِ

يـدعـوك دعـوةَ ملهـوفٍ كـأنّ بـه ... خَبْـلاً مـن الجِـنّ أو مَسّـاً مـن النُّشَـرِ[3]

/ ممّـن يَعُـدُّك تَكْفِـي فَقْـدَ والِـده ... كـالفَـرْخ فـي العُشّ لـم يَنْهَضْ ولـم يَطِـرِ [٥٨/٧]

/ قال: فبكى عمرُ ثم قال: يابْنَ الخَطَفَى، أمِنْ أبناءِ المهاجرين أنت فنعرفَ لك حقَّهم، أم من أبناءِ الأنصار فَيجِبَ [٤٨/٨] لكَ ما يجبُ لهم، أم من فقراء المسلمين فنأمرَ صاحبَ صدقاتِ قومك فَيصِلَكَ بمثل ما يَصِلُ به قومَك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ما أنا بواحدٍ من هؤلاء، وإني لمن أكثرِ قومي مالاً، وأحسنِهم حالاً، ولكنّي أسألك ما عَوّدَتْنيه الخلفاءُ: أربعةَ آلافِ درهم وما يَتْبعها من كُسْوةٍ وحُمْلانٍ. فقال له عمر: كلُّ أمرىء يَلْقَى فعلَه، وأمّا أنا فما أرَى لك في مال الله حقّاً، ولكن انتظرْ، يَخْرُجُ عَطَائِي، فأنْظُرُ ما يَكْفِي عيالي سنةً منه فأدَّخِرُه لهم، ثم إن فضَل فَضْلٌ صرَفناه إليك. فقال جرير: لا، بل يوفَّر أميرُ المؤمنين ويُحمَد وأخرُج راضياً؛ قال: فذلك أحبُّ إليّ؛ فخرج. فلما ولّى قال عمر: إن شَرّ هذا ليُتَّقَى؛ رُدُّوه إليّ، فردّوه فقال: إن عندي أربعين ديناراً وخِلْعتين إذا غُسِلتْ إحداهما

(١) في ديوان جرير المخطوط: «يأيها الرجل».

(٢) أصل معنى التعرّق أخذ ما على العظم من اللحم نهشاً بالأسنان. يريد أنها تفقره ولا تدع له شيئاً.

(٣) كذا في ديوانه. وفي الأصول: «من البشر» بالباء وهو تصحيف. والنشر: جمع نشرة وهي رقية يعالج بها المجنون والمريض.

لبِستُ الأخرى، وأنا مُقَاسِمُك ذلك، على أن الله جَلّ وعزّ يعلم أن عمر أَحْوجُ إلى ذلك منك. فقال له: قد وَفّرك الله يا أمير المؤمنين وأنا واللهِ راض. قال: أمّا وقد حلَفْتَ فإن ما وَفَّرْتَه عليّ ولم تضيّق به معيشتَنا آثرُ في نفسي من المدح، فامْضِ مُصَاحَباً؛ فخرج. فقال له أصحابه وفيهم الفرزدقُ: ما صَنع بك أميرُ المؤمنين يا أبا حَزْرةَ؟ قال: خرجت من عند رجل يقرِّب الفقراءَ ويُبَاعِد الشعراء وأنا مع ذلك عنه راضٍ ثم وضع رِجْلَه في غَرْزِ راحلتِه وأتى قومَه. فقالوا له: ما صنع بك أميرُ المؤمنين أبا حَزْرة؟ فقال:

تـركـتُ لكـم بـالشـأم حَبْـلَ جمـاعـةٍ أَمِيـنَ القُـوَى مُسْتَحْصِـدَ[1] العَقْـدِ بـاقيَـا
وجـــدتُ رُقَـــى الشيطـــانِ لا تستفِـــزُّه وقـد كـان شيطـانـي مـن الجِـنّ راقيَـا

هذه رواية عمر بن شَبّة. وأما اليَزِيديّ فإنه قال في خبره: فقال له جريرٌ يا أميرَ المؤمنين، فإنّي ابنُ سَبيل. قال: لك ما لأبناء السبيل، زَادُكَ ونفقةٌ تبلِّغكَ / وتُبَدَّل راحلتُك إن لم تحملْك. فألَحّ عليه؛ فقالت له بنو أميّة: يا أبا حَزْرَة، مَهْلاً عن أمير المؤمنين، ونحن نُرْضِيكَ من أموالنا عنه، فخرج. وجَمعتْ له بنو أميّة مالاً عظيماً؛ فما خَرج من عند خليفةٍ بأكثر ممّا خرج من عند عمر.

[٤٩/٨]

رؤيا أمه وهي حامل به:

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عُبيدة قال:

رأتْ أمُّ جَرير وهي حاملٌ به كأنها ولدتْ حَبْلاً من شَعَرٍ أسود، فلما سقَط منها جعَل يَنْزُو فيقع في عُنُقِ هذا فيخنُقه حتى فعل ذلك برجالٍ كثير، فأنتبهتْ فَزِعةً فأَوّلتِ الرُّؤيا فقيل لها: تَلِدينَ غلاماً شاعراً ذا شرٍّ وشدّةٍ شَكِيمة وبلاءٍ على الناس. فلما ولدتْه جَريراً باسم الحبل الذي رأت أنه خرج منها. قال: والجرير: الحبل.

قال إنه أشعر الناس لأنه فاخر بأبيه وهو دنيء:

قال إسحاق وقال الأصمعيّ حدّثني بِلال بن جرير ـ أو حُدِّثتُ عنه ـ

أنّ رجلاً قال لجرير: من أشعرُ الناس؟ قال له: قُمْ حتى أعرِّفكَ الجواب؛ فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطيّةَ وقد أخذ عنْزاً له فأعتقلها وجعل يَمَصُّ ضَرْعَها، فصاح به: اخرجْ يا أَبَتِ؛ فخرج شيخٌ دَمِيمٌ رَثُّ الهيئة وقد سال لبنُ العَنْز على لِحْيته؛ فقال: ألاَ[2] تَرَى هذا؟ قال نعم. قال: أوَ تعرِفُه؟ قال لا. هذا أبي، أفتدْري لِمَ كان يشرب من ضَرْعِ العَنْز؟ قلت لا. قال: مَخَافَةَ أن يُسمع صوتُ الحَلْب فيُطلبَ منه لبن. ثم قال: أشعرُ الناس / مَنْ فاخَر بمثل هذا الأبِ ثمانين شاعراً وقارَعهم به فغلَبهم جميعاً.

٥٩/٧

إخوته:

حدّثني عمّي قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني عبدالله بن محمد بن موسى مولى بني هاشم قال حدّثني عُمَارة بن عُقَيل عن المُغِيرة بن حَجْناءَ عن أبيه قال:

[٥٠/٨] / وُلد جريرٌ لسبعةِ أشهر؛ فكان الفرزدقُ يعيِّره ذلك[3]، وفيه يقول:

وأنت ابنُ صُغْرَى لم تَتِمَّ شهورُها

(١) المستحصد: المستحكم. (٢) في حـ: «أترى هذا؟».
(٣) في الأصول: «يعيره بذلك» والفصيح الكثير تعديه بنفسه حتى أنكر بعضهم تعديه بالباء.

قال وولَد عطيّةُ جريراً ـ وأمّه أمُّ قيس بنتُ مُعيد من بني كُلَيب ـ وعَمْراً وأبا الوَرْد. فأمّا أبو الورد فكان يحسُد جريراً؛ فذهبتْ لجريرٍ إبلٌ فشَمِتَ به أبو الورد فقال له جريرٌ:

أبـا الـوَرْدِ أبْقَـى اللهُ منهـا بقيّـةً كَفَـتْ كـلَّ لَـوّامٍ خَـذُولٍ وحـاسِـدِ

وأما عمرو فكان أكبرَ من جرير، وكان يُقارِضُه الشعر. فقال له جريرٌ:

وعمـرو[1] قـد كـرِهـتُ عتـابَ عمـرٍو وقـد كثُـر المَعَـاتِـبُ والـذُّنـوبُ
وقـد صَـدّعـتُ صخـرةَ مَـنْ رمـاكـم وقـد يُـرْمَـى بـيَ الحجـرُ الصَّلِيـبُ
وقـد قطَـع الحـديـدَ فـلا تُمَـارُوا فِـرِنْـدٌ لا يُفَـلّ ولا يَـذُوبُ

شعر قاله ليزيد ابن معاوية يعاتب به أباه:

قال: وأوّل شعر قاله جرير في زمن معاوية، قاله لابنه:

فـرُدّي جِمـالَ البَيْـنِ ثـم تحَمَّلِـي فَمـا لـكِ فيهـم مـن مُقَـامٍ ولا لِيَـا
لقـد قـادَنِـي الجيـرانُ يـومـاً وقُـدْتُهـم وفـارقـتُ حتّـى مـا تَصُبُّ[2] جِمَـالِيَـا
وإنّـي لمغـرورٌ أُعلَّـلُ بـالمُنَـى ليـالـيَ أرجـو أن مـالـكَ مـالِيَـا
بـأيِّ سِنَـانٍ تَطْعُـنُ القَـرْمَ بعـدمـا نَـزَعْـتَ سِنَـانـاً مـن قَنَـاتِـك مـاضيَـا
بـأيّ نِجَـادٍ تحمِـل السيـفَ بعـدمـا قطعـتَ القُـوَى مـن مُحْمِـلٍ كـان بـاقيَـا

قال: وكان يزيد بن معاوية عاتَب أباه بهذه الأبيات ونسبها إلى نفسه؛ لأن جريراً لم يكن شعرُه شُهر حينئذٍ. فقدِم جرير على يزيد في خلافته فأستُؤْذِنَ له / مع الشعراء، فأمَر يزيدُ ألاّ يدخلَ عليه شاعر إلاّ من عَرَف شعرَه؛ فقال [٨/٥١] جرير: قولوا له: أنا القائل:

فـرُدِّيـي جِمـالَ الحـيِّ ثـم تَحَمّلِـي فمـا لـكِ فيهـم مـن مُقَـامٍ ولا ليَـا

فأمر بإدخاله. فلمّا أنشده قال يَزيد: لقد فارق أبي الدنيا وما يحسب إلاّ أنّي قائلها، وأمَر له بجائزة وكُسْوة.

استعار من أبيه فحلاً ولما استردّه منه عرّض به:

أخبرني أبو الحسن الأَسَدِيّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال قال أبو عُبيدة قال أبو عمرو:

استعار جرير من أبيه فحلاً يُطْرِقه في إبِله، فلما أستغنَى عنه جاءه أبوه في بَتٍّ[3] خَلَقٍ يَستردُّه؛ فدفعَه إليه وقال: يا أبتِ، هذا «تُرَدّ إلى عطيّةَ تُعْتَلُ». يعرِّض بقول الفرزدق فيه:

ليـس الكـرامُ بنـاحِلِيـكَ أبـاهُـم حتـى تُـرَدّ عَطِيّـةَ تُعْتَـلُ[4]

---

(١) في ب، س: «أعمر» وفي حـ: «وعمرا». وقيل هذا البيت كما في ديوانه:

رأيتـك يـا حكيـم عـلاك شيـب ولكـن مـا لحملـك لا يشـوب

(٢) يقال: صب في الوادي إذا انحدر.

(٣) البت: كساء غليظ مهلهل مربع أخضر، قيل: هو من وبر وصوف.

(٤) نحل: أعطى. وتعتل: تساق قسراً. ويقال: تعتل: تقاد بين اثنين. (عن النقائض).

اتعاظه بجنازة مرّت عليه:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا الرِّيَاشِيّ وعمر بن شَبّة قالا حدّثنا الأصمعيّ قال أخبرنا أبو عَمْرو بن العَلاء قال:

جلس جرير يُمْلِي على رجل قوله:

وَدِّعْ أُمَامَةَ حانَ منكَ رحيلُ ... إنّ الوَدَاعَ لمن تحبّ قليلُ

[٦٦/٧] فمرّوا عليه بجنازة؛ فقطع الأنشادَ وجعل يَبْكي، ثم قال: شيّبتْني هذه الجنازة. قال أبو عمرو: / فقلت له: فعَلاَمَ تَقْذِف المُحْصَنات منذ كذا وكذا! فقال: إنهم يَبْدءونَني ثم لا أعْفو.

[٥٢/٨] / **قيل إنه فضل لمقاومته الفرزدق:**

أخبرني عمّي قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال حدّثنا عبدالله بن المُعَذّل قال:

كان أبي وجماعةٌ من علمائنا يقولون: إنما فُضّل جريرٌ لمقاومته الفرزدقَ، وأفضل[1] شعرٍ قاله جرير:

حَيِّ الهِدَمْلَةَ من ذات المَوَاعِيسِ[2]

هجا بني الهجيم لأنهم منعوه الإنشاد في مسجدهم:

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سَلاّم قال حدّثنا أبو الغَرّاف قال:

أتى الفرزدقُ مجلَس بني الهُجَيْم[3] في مسجدهم فأنشدهم؛ وبلغ ذلك جريراً فأتاهم من الغدِ لِيُنْشِدَهم كما أنشدهم الفرزدق. فقال له شيخ منهم: يا هذا اتّقِ الله! فإنّ هذا المسجد إنما بُني لذكرِ الله والصلاة. فقال جرير: أقررتُم للفرزدق ومنعتموني! وخرج مُغْضَباً وهو يقول:

إنّ الهُجَيْمَ قبيلةٌ ملعونةٌ ... حُصٌّ[4] اللِّحَى متشابهو الألوانِ

هم يتركون بَنِيهمُ وبناتهم ... صُعْرَ الأنوفِ لريح كلّ دُخَانِ

لو يَسمعون بأكلة أو شَرْبةٍ ... بعُمَانَ أصبح جَمْعُهم بعُمَان

قال: وخفّة اللِّحَى في بني هُجَيم ظاهرة. وقيل لرجل منهم: ما بالكم يا بني الهُجَيم حُصّ اللحى؟ قال: إن الفحل واحد.

حديثه مع عبدالملك أو الوليد ابنه عن الشعراء وعن نفسه:

أخبرني محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدّثني محمد بن عبدالله بن آدم قال سمعت عُمارةَ بن عُقَيل يحدّث عن أبيه عن جدّه قال:

---

(١) في ب، س: «وأقوم شعر».

(٢) الهدملة: موضع بعينه، هكذا ذكره ياقوت واستشهد بقول جرير هذا. والمواعيس: موضع، كما جاء في «شرح القاموس».

(٣) بنو الهجيم: بطنان من العرب: أحدهما الهجيم بن عمرو بن تميم، والثاني الهجيم بن علي بن سود من الأزد.

(٤) حص: جمع أحص وأحص اللحية: قليل شعرها.

/ قال عبدالملك أو الوليد ابنه لجرير: مَنْ أشعر الناس؟ قال فقال: ابنُ العِشْرين[1]. قال: فما رأيك في ابنَيْ[2] أبي سُلْمى؟ قال: كان شعرهما نيّرا يا أمير المؤمنين. قال: فما تقول في أمرىء القيس؟ قال: اتَّخذ الخبيثُ الشعر نَعْلين، وأُقسم بالله لو أدركته لرفعتُ ذُلاَذِلَه[3]. قال: فما تقول في ذي الرُّمّة؟ قال: قَدَر من ظَرِيف الشعر وغريبه وحَسَنِه [على][4] ما لم يقدِر عليه أحد. قال: فما تقول في الأخْطل؟ قال: ما أخرج لسانُ ابنِ النَّصْرانية ما في صدره من الشعر حتى مات. قال: فما تقول في الفرزدق؟ قال: في يده والله يا أمير المؤمنين نَبْعةٌ من الشعر قد قبَض عليها. قال: فما أراك أبقيتَ لنفسك شيئاً! قال: بلى واللهِ يا أمير المؤمنين! إنّي لمَدينة الشعر التي منها يخرج وإليها يعود، نسبتُ فأطربتُ، وهجوتُ فأرديتُ، ومدحتُ فسنَّيت[5]، وأرْملتُ فأغْزرت، ورجَزْتُ[6] فأبْحرت؛ فأنا قلت ضروبَ الشعر كلَّها، وكلُّ واحد منهم قال نوعاً منها. قال: صدقتَ. [٥٣/٨]

طلبت جاريه له أن يبيعها فميره الفرزدق ذلك:

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصبّاح عن ابن الكلبيّ قال:

كانت لجرير أَمَةٌ وكان بها معجَباً، فاستخفَّتِ المَطْعَم والمَلْبس والغِشْيانَ واستقلَّتْ ما عنده، وكانت قبله عند قوم يقال لهم بنو زيد، أهلُ خِصْب ونَعْمة، فسامته أن يبيعها وألَحّتْ في ذلك؛ فقال فيها:

/ تكلِّفُنــي معيشــةَ آلِ زيــدٍ ... ومَــنْ لــي بــالمُـرَقَّـقِ والصِّنَــابِ[7] [٥٤/٨]

تقــول ألاَ تَضُــمّ كضَــمِّ زيــدٍ ... ومــا ضَمِّــي وليــس معــي شَبَــابِــي

فقال الفرزدق يعيِّر ذلك[8]:

فــإن تُفْقِــرْك عِلْجَــةُ آلِ زيــدٍ ... ويُعْجِــزْك المــرقَّــقُ والصِّنَــابُ[9]

/ فقِــدْمــاً كــان عيــشُ أبيــك مُــرّاً ... يَعِيشُ بمــا تعيــش بــه الكــلابُ[10] ٦١/٧

---

(١) يعني به طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك أحد شعراء المعلقات، قتل وهو ابن عشرين سنة فيقال له ابن العشرين: قتله عمرو بن هند بيد أبي الربيع بن حوثرة عامله على البحرين. (انظر «الشعر والشعراء» ص ٩١).

(٢) يعني زهير بن أبي سلمى وابنه كعب بن زهير.

(٣) ذلاذل القميص: ما يلي الأرض من أسافله. ولعله يريد أنه كان يلزمه ويخدمه.

(٤) الزيادة عن حـ.

(٥) كذا في الأصول. وسنى الشيء: سهله وفتحه، والأحرى بهذه الكلمة أن تكون «فأسنيت». وأسني: رفع وأعلى.

(٦) كذا في أ، ء، م. وفي ب، س، حـ: «وزجرت» وهو تصحيف.

(٧) المرقق: الأرغفة الواسعة الرقيقة. والصناب: أدم يتخذ من الخردل والزبيب.

(٨) في الأصول: «بذلك» راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٠ من هذا الجزء.

(٩) قد ورد هذا البيت في حـ هكذا:

فــإن تعــدم معيشــة آل زيــد ... ويعــوزك المــرقــق والصنــاب

وفي «النقائض»:

«إن تفــركــك علجــة آل زيــد ... ويعــوزك ... ... إلـــخ»

وفركت المرأة زوجها تفركه فركاً إذا أبغضته.

(١٠) في ب، س: «كريهاً لا يعيش به الكلاب».

قصته مع ذي الرمة عند المهاجر بن عبدالله:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا العباس بن مَيْمون قال حدّثنا التَّوَّزِيّ عن أبي عُبيدة عن أيُّوب بن كُسَيْب قال:

دخل جرير على المهاجِر بن عبدالله وهو والي اليَمامة وعنده ذو الرُّمَّة يُنْشِده. فقال المهاجِر بن عبدالله لجرير: كيف تَرى؟ قال: لقد قال وما أَنعم. فغضب ذو الرُّمَّة ونهَض وهو يقول:

أنا أبو الحارِث وٱسْمِي غَيْلانْ

فنَهض جرير وقال.

إنّـي[1] ٱمـرأٌ خُلِقـتُ شَكْسـاً أَشْـوَسـا ... إن تَضْـرِسَـانِـي تَضْـرِسـا مُضَـرسـا[2]

قـد لِبِـس الـدهـرَ وأَبْقَـى مَلْبَسَـا ... مـن شـاء مـن نـارِ الجَحيـم ٱقْتَبَسـا

قال: فجلَس ذو الرُّمَّة وحاد عنه فلم يُجِبْه.

[٨/ ٥٥] / أخبرني أبو الحَسَن الأَسَدِيّ قال حدّثنا ٱبن النَّطَّاح عن أبي عُبَيدة قال:

كان ذو الرُّمَّة ممّن أعان على جرير ولم يُصْحِرْ[3] له؛ فقال جرير فيه:

أقـول نَصَـاحـةً لِبَنـي عَـدِيٍّ ... ثيـابَكُـمُ ونَضْـحَ دمِ القَتِيـلِ

وهي قصيدة. قال: وكانوا يتعاونون عليه ولا يُصْحِرُون له.

حديثه مع ذي الرمة وهشام المرئيّ:

أخبرنا أبو خَليفة الفَضْل بن الحُبَاب قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثني أبو الغَرّاف قال:

قال الفرزدق لذي الرُّمَّة: أَلْهاكَ البكاءُ في الديار وهذا العبد يَرْجُز بك (يَعْني هشاماً المَرَئِيّ) بمَقْبُرة بَني حِصْن.

قال: وكان السبب في الهجاء بين ذي الرّمة وهشام أن ذا الرمّة نزل بقرية لبني ٱمرىء القيس يقال لها: مَرْأةُ[4]، فلم يَقْرُوه ولم يَعْلِفُوا له، فارتحل وهو يقول:

نـزلنـا وقـد طـال[5] النهـارُ وأَوْقَـدتْ ... علينـا حَصَـى المِعْـزَاءِ[6] شمـسٌ تَنَـالُهـا

أَنَخْنَـا فظلَّلْنَـا بـأَبْـرادِ يُمْنَـةٍ[7] ... رِقَـاقٍ وأسيـافٍ قـديـمٍ صِقَـالُهـا

---

(١) وردت هذه الأبيات في «ديوانه» المخطوط (صفحة ٢٠٨) باختلاف عما هنا.

(٢) الشكس: الصعب الخلق. والأشوس: الذي ينظر بمؤخر عينه تكبراً أو تغيظاً والجريء على القتال الشديد. وضرسه: عضه وعجمه ليختبره.

(٣) لم يصحر له: لم يبرز له، من قولهم: أصحر الرجل إذا برز إلى الصحراء.

(٤) مرأة: قرية بني ٱمرىء القيس بن زيد مناة بن تميم، كما ذكر أبو الفرج، وهي باليمامة. سميت بشطر ٱسم امرىء القيس، بينها وبين ذات غسل مرحلة على طريق النباج.

(٥) رواية «الديوان»: «غار». وغار النهار: انتصف. راجع هذا الشعر في «الديوان» ففيه اختلاف في الرواية عما هنا.

(٦) المعزاء: الأرض الصلبة ذات الحصى.

(٧) الأبراد: جمع برد وهو الثوب. واليمنة: ضرب من برود اليمن.

فلمّـا رآنـا أهـلُ مَـرَاةَ أغلقـوا ... مَخادع[1] لـم تُـرْفَـع لخيرٍ ظِـلالُها

وقد شُئِيتْ بآسم آمرىء القَيْسِ قَرْيةٌ ... كِـرَامٌ صَـوَادِيها[2] لئامٌ رجـالُها

/ يَظَلُّ الكِرامُ المُرْمِلُونَ بجَوّها ... سواءٌ عليهم حَمْلُها وحِيَالُها[3] [٨/٥٦]

ولو وُضِعتْ أكوارُها عند بَيْهَسٍ ... على ذاتِ غِسْلٍ لم تُشَمَّسْ رِحَالُها[4]

فقال جرير لهشام، وكان يتّهم ذا الرُّمة بهجائه التَّيْمَ وهم إخوة عَدِيّ: عليك العبد (يعني ذا الرّمة). قال: فما أصنع يا أبا حَزْرة وهو يقول القَصيدَ وأنا أقول الرَّجزَ، والرجز لا يقوم للقصيد؟ فلو رَفَدْتَني! قال: قل له:

عَجِبتَ لِرَجُلٍ من عَدِيٍّ مُشَمَّسٍ ... وفي أيّ يومٍ لم تُشَمَّسْ رحالُها

وفِيمَ عَدِيٌّ عند تَيْم من العُلا ... وأيّامِنا اللاّتي يُعَدّ فَعالُها

مَدَدْتَ بكفٍّ من عديٍّ قصيرةٍ ... لِتُدْرِكَ من زيد يداً لا تنالُها

وضَبَّةُ عَمّي يابنَ جَلٍّ[5] فلا تَرُمْ ... مساعيَ قومٍ ليس منك سِجالُها

يُمَاشي عَدِيّاً لؤمُها ما تُجِنُّه ... من الناس ما ماشتْ عَدِيّاً ظِلالُها

فقل لعَدِيٍّ تَستعِنْ بنسائها ... عليَّ فقد أعْيَا عَدِيّاً رجالُها

/ أذَا الرُّمِّ قد قَلَّدتُ[6] قومَك رُمَّةً ... بطيئاً بأيدي المُطلِقين انحلالُها ٧/٦٢

تَرَى اللُّؤم ما عاشتْ عديٌّ مُخلَّداً ... سَرابيلُها منه ومنه نِعالُها

قال: فَلَجَ الهجاءُ بين ذي الرمة وهشام. فلما أنشد المَرَئيُّ هذه الأبيات وسمعها ذو الرّمّة قال: كذبَ العَبْدُ السَّوْءُ! ليس هذا الكلام له، هذا كلامُ نَجْدِيٍّ حَنْظَلِيّ، / هذا كلام ابنِ[7] الأتان. قال: ولم يزل ذو الرمّة مستعلياً على هشام [٨/٥٧] حتى لقيه جرير فرفَده هذه الأبياتَ.

أخبرني محمد بن مَزْيَدَ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عدْنانَ قال حدّثني أبو صَخْر[8] من ولد حَجْناءَ بنِ نُوح بن جَرير قال: سمعت أبي يحدّث عن أبيه قال:

أتى هشامُ بن قيس المَرَئِيّ أبي (يعني جريراً) فاسترفده على ذي الرمّة، وقد كانا تهاجيَا دهراً، وكان سبب ذلك

---

(١) المخادع: البيوت.

(٢) الصوادي: النخل التي لا تسقى وإنما تشرب بعروقها، الواحدة صادية.

(٣) أرمل القوم: فني زادهم. يقول: سواء عليهم أحالت نخيلهم أم حملت، فهم لا ينالهم منها شيء.

(٤) بيهس وذات غسل: سيذكرهما المؤلف بعد قليل. لم تشمّس رحالها: لم تعرّض للشمس. يريد أنها لا تهمل بل تكرم بإدخالها البيوت.

(٥) كذا في نسخة الشنقيطي مصححة بقلمه، وهو جل بن عدي، رجل من مضر رهط ذي الرمة العدوي. وفي الأصول: «خل» بالخاء المعجمة، وهو تصحيف.

(٦) كذا في جـ ونسخة الشنقيطي مصححة بقلمه وترجمة ذي الرمة (ص ١١٧ ج ١٦ من «الأغاني» طبع بلاق). وفي سائر الأصول: «قد قلدن» بالنون وهو تصحيف. والرمة: الحبل يقلد به البعير.

(٧) ابن الأتان: لقب كان ينبز به جرير.

(٨) في ب، س: «أبو صخرة».

أن ذا الرُّمّة نزل على أهل قرية لبني أمرىء القيس فلم يُدْخِلوا رحله، فذمّهم في القِرَى، ومدح بَيْهَساً صاحبَ ذات غِسْل ـ وهو مَرَئيّ. وذات غِسْل: قرية له ـ فقال ذو الرُّمّة:

ولمّـا وردْنـا مَـرأةَ اللُّـؤمِ أُغْلِقـتْ دَسَـاكِـرُ لـم تُفْتَـحْ لخيـرٍ ظِـلالُهـا
ولـو عُـرِّيـتْ أصلابُهـا[1] عنـد بَيْهَـسٍ علـى ذات غِسْـلٍ لـم تُشَمَّـسْ رِحـالُهـا
إذا مـا أمرؤ القيـس ٱبنُ لـؤمٍ تَطَعَّمـتْ بكـأسِ النـدامَـى خَبَّثَتْهـا[2] سِبـالُهـا

فقال جرير للمَرَئيّ: قل له:

غَضِبـتَ لـرَحْـلٍ مـن عـديٍّ مُشَمَّـسٍ وفـي أيِّ يـومٍ لـم تُشمَّـس رحـالُهـا

وذكر الأبيات الماضية المذكورة في رواية أبي خَليفة. قال: فلقى ذو الرُّمّة جريراً فقال له: تعصّبتَ للمَرَئيّ وأنا خالُك!. قال: حين قلتُ ماذا؟ قال: حين قلتَ له أن يقول لي:

عجبتَ لرَحْلٍ من عَدِيٍّ مشمَّسٍ

[٥٨/٨] / فقال له جرير: لا! بل ألْهاك البكاءُ في دارمَيّة حتى أُبيحت مَحارمُك. قال: وكان قد بلغ جريراً ميلُ ذي الرُّمة عليه، فجعل يعتذر إليه ويحلِف له. فقال له جرير: اذهب الآن فقل للمرَئيّ:

يَعُـدّ النـاسبـونَ إلـى تَميـمٍ بيـوتَ المجـدِ أربعـةً كِبـارا
يَعُـدُّون الـرِّبـاب وآلَ سَعْـدٍ وعَمْـراً ثـم حَنظلـةَ الخِيـارا
وَيهْلِـكُ بينهـا المَـرَئـيُّ لَغْـواً كمـا ألغيـتَ فـي الـدِّيـةِ الحِـوَارا[3]

فقال ذو الرمّة قصيدتَه التي أوّلها:

نَبَـتْ عينـاكَ عـن طَلَـلٍ بحُـزْوَى[4] عَفَتْـهُ الـرِّيـحُ وٱمْتُنِـحَ القِطـارَا

وألْحَق فيها هذه الأبياتَ. فلما أنشدها وسمعها المَرَئيّ جعل يلطِم رأسَه ووجهه ويدعو بوَيْلِه وحَرَبه ويقول: مالِي ولجَرير! فقيل له: وأين جريرٌ منك! هذا رجل يُهَاجِيك وتُهَاجيه! فقال: هيهات! لا واللهِ ما يُحْسِن ذو الرُّمّة أن يقول:

ويـذهَـب بينهـا المَـرَئـيُّ لَغْـواً كمـا ألغيـتَ فـي الـدِّيَـة الحِـوارَا

هذا والله كلام جرير ما تعدّاه قطّ. قال: ومرّ الفرزدق بذي الرُّمّة وهو يُنشد هذه القصيدة؛ فلما أنْشد الأبياتَ الثلاثة فيها قال له الفرزدق: أعِدْ يا غَيْلان، فأعاد؛ فقال له: أأنت / تقول هذا؟ قال: نعم يا أبا فِرَاس. قال: كذَب فُوكَ! والله لقد نَحَلَكَها أشدُّ لَحْيَيْنِ منك، هذا شعر ابن الأَتَان. قال: وجاء المَرَئيُّون إلى جرير فقالوا: يا أبا حَزْرة، قد [٦٣/٧]

(١) الأصلاب: جمع صلب وهو عظم من لدن الكاهل إلى العجب. يريد: لو وضعت رحالها عن ظهورها عند بيهس لأكرمها ولم يتركها. وفي ب، س: «غرست» وهو تحريف.
(٢) كذا في أ، ء، م (و«ديوان» ذي الرمة طبع أوروبا ص ٥٤٤). وفي سائر الأصول: «ما خبتها» وهو تحريف.
(٣) الحوار: ولد الناقة، وقيل: هو الفصيل أوّل ما ينتج. يريد أن المرئي لا يؤبه له كما لا يؤبه لولد الناقة إذا تبع أمه وقد سيقت في دية القتيل.
(٤) حزوى: موضع في ديار تميم.

أستعلى علينا ذو الرمّة، فأعِنّا على عادتك الجميلة. فقال: هيهات! قد والله ظلمتُ خالي لكم مرّةً وجاءني فاعتذر وحلَف، وما كنتُ لأُعِينكم عليه بعدها. قال: ومات ذو الرُّمّة في تلك الأيام.

/ **أقرّ له نصيب بالسبق عليه وعلى جميل:** [٨/٥٩]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرَانيّ قال حدّثني العُمَريّ عن لَقِيط قال حدّثني أبو بكر بن نَوْفَل قال حدّثني من سأل النُّصَيْبَ قال: قلت له: يا أبا مِحْجَن، بيتٌ قلتَه نازعك فيه جريرٌ وجميلٌ، فأُحِبّ أن تخبرني أيُّكم فيه أشعرُ؟ قال: وما هو؟ قلتُ قولُك:

أَضَـرَّ بهـا التهجيـرُ حتـى كـأنهـا ... أَكَـبَّ عليهـا جـازِرٌ مُتَعَـرِّقُ[١]

وقال جميل:

أَضَـرَّ بهـا التهجيـرُ حتـى كـأنهـا ... بقايَا سُلاَلٍ[٢] لـم يَـدَعْهـا سُلاَلُهـا

وقال جرير:

إذا بلغـوا المنـازلَ لـم تُقَيَّـدْ ... وفـي طُـول الكَـلاَلِ لهـا قيـودُ

فقال نُصَيْب: قاتل الله ٱبنَ الخَطَفَى! ما أشعرَه!. قال: فقال له الرجل: أمّا أنتَ فقد فضلتَه؛ فقال: هو ما أقول لك.

قال عنه ابن مناذر هو أشعر الناس:

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني عبدالرحمن بن القاسم العِجْليّ قال حدّثني الحسن بن علي المِنْقَرِيّ قال قال مسعود بن بِشْر:

قلت لابن مُنَاذِر بمكة: مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: من إذا شئتَ[٣] لَعِب، وإذا شئتَ جَدّ؛ فإذا لعب أطعمك لَعِبُه فيه، وإذا رُمْتَه بَعُد عليك؛ وإذا جدّ فيما قصَد له أيأسَك من نفسه. قلتُ: مثلُ مَنْ؟ قال: مثل جرير حين يقول إذا لَعِب:

إنّ الّـذيـن غَـدَوْا بُلُبِّـك غـادروا ... وَشَـلاً بعينـك مـا يـزال مَعِينَـا

/ ثم قال حين جَدّ: [٨/٦٠]

إنّ الـذي حَـرَم المكـارِمِ تَغْلِبـاً ... جعـل الخـلافـةَ والنبـوّةَ فينـا
مُضَـرٌ أبـي وأبـو الملـوك فهـل لكـم ... يـا آلَ تَغْلِـبَ مـن أبٍ كـأبينـا
هـذا ٱبنُ عمّـي فـي دِمَشْـقَ خليفـةً ... لـو شئـتُ سـاقكـم إلـيَّ قطينَـا[٤]

---

(١) التعرّق: إزالة ما على العظم من اللحم.
(٢) السلال: مثل السل، وهو داء معروف. يهزل ويضني ويقتل.
(٣) في ب، س: «قال من إذا لعب شبب فإذا لعب أطعمك... إلخ».
(٤) القطين: الخدم والحشم.

اعترض عليه عبدالملك بن مروان في هذا الشعر:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني الرِّياشِيّ قال حدّثنا الأصمعيّ عن أبي عمرو قال:

لمّا بلغ عبدالملك قولُ جرير:

هـذا ابـن عمّـي فـي دمشـق خليفـةٌ ... لـو شئـتُ ساقكُـم إلـيّ قَطينـا

قال: ما زاد ابنُ المَرَاغة على أن جعلني شُرْطِيّاً! أمَا إنّه لو قال:

لو شاء ساقكم إليّ قطينا

لسقتُهم إليه كما قال.

فضله بشار على الأخطل وعلى الفرزدق:

أخبرني أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلاّم قال:

سألت بَشّاراً العُقَيْليّ عن الثلاثة فقال: لم يكن الأخطلُ مثلَهما، ولكنّ رَبِيعةَ تعصّبتْ له وأفرطتْ فيه. قلت: فجريرٌ والفرزدقُ؟ قال: كان جريرٌ يُحْسِن ضروباً من الشعر لا يُحسنها الفرزدق، وفضَّل جريراً عليه.

مقارنة بينه وبين الأخطل والفرزدق:

وقال ابن سَلاّم: قال العَلاَء بن جَرير ـ وكان قد أدرك الناس وسمع ـ: كان يقال: الأخطلُ إذا لم يَجِيءْ سابقاً فهو سُكَّيْت، والفرزدق لا[1] يجيء سابقاً ولا سُكَّيتاً فهو بمنزلة المصلّى / أبداً، وجرير يجيء سابقاً ومصلّياً وسُكَّيتاً. قال ابن سَلاّم: وتأويل قوله: إن للأخطل خمساً أو ستّاً أو سبعاً طِوالاً روائعَ غُرَراً جِيَاداً هو بهنّ سابق، وسائرُ شعره دون أشعارهما، فهو فيما بقي بمنزلة السُّكَّيت ـ والسكّيت: آخر الخيل / في الرِّهَان ـ والفرزدق دونَه في هذه الروائع وفوقَه في بقيّة شعره، فهو كالمصلّي أبداً ـ وهو الذي يجيء بعد السابق وقبل السكّيت ـ وجرير له روائعُ هو بهنّ سابق، وأوساطٌ هو بهنّ مصلٍّ، وسَفْسَافاتٌ[2] هو بهنّ سُكَّيت.

مناقضة بينه وبين الفرزدق:

أخبرنا أبو خَليفة قال حدّثني محمد بن سَلاّم قال حدّثني حاجِب بن زيد بن شَيْبان بن عَلْقَمة بن زُرَارة قال:

قال جرير بالكوفة:

لقـد قـادَنـي مـن حُـبِّ مـاوِيَّـةَ الهَـوَى ... ومـا كنـتُ تَلْقَـانِـي الجَنِيبـةُ أَقْـوَدَا[3]

أُحِـبُّ ثَـرَى نَجْـدٍ وبـالغَـوْرِ حـاجـةٌ ... فغـارَ الهَـوَى يـا عبـدَ قَيْـسٍ وأَنْجَـدَا

أقـول لـه يـا عبـدَ قَيْـسٍ صَبـابـةً ... بـأيِّ تَـرى مستـوقِـدَ النـارِ أَوْقَـدا

فقـال أرَى نـاراً يُشَـبُّ وُقُـودهـا ... بحيثُ اسْتفاض الجِزْع شِيحاً وغَرْقَدَا[4]

(١) في ب، س: «إذا لم يجيء» وهو تحريف.

(٢) سفساف الشعر: رديئه.

(٣) كذا في «النقائض» رواية أشار إليها الشارح. وفي الصلب: «وما كان يلقاني الجنيبة...». وفي الأصول: «وما كنت ألقى للجنيبة» بالقاف ولعلها «ألفى» بالفاء. والجنيبة: التي تجنب معه. والأقود: المنقاد المطيع.

(٤) الغرقد: كبار العوسج.

فأعجبتِ الناسَ وتناشدوها. قال: فحدّثني جابر بن جَنْدل قال: فقال لنا جريرٌ: أعجبتكم هذه الأبياتُ؟ قالوا: نعم. قال: كأنكم بأبنِ القَيْنِ[1] وقد قال:

أَعِـدْ نظـراً يـا عبـدَ قَيْـسٍ لعلَّمـا ... أضـاءت لـك النـارُ الحِمَـارَ[2] المقيَّـدا

قال: فلم يلبثوا أن جاءهم قولُ الفرزدق هذا البيتَ وبعده:

حمـارٌ بمَـرُّوتِ السُّحَـامَـةِ قـاربـتْ ... وَظِيفَيْـه حَـوْلَ البيـتِ حتـى تَـرَدَّدا[3]

/ كُلَيْبِيَّـةٌ لـم يجعَـلِ اللهُ وجهَهـا ... كـريمـاً ولـم يَسْنَـحْ بهـا الطيـرُ أَسْعُـدَا [٨/٦٢]

قال: فتناشدها الناسُ. فقال الفرزدق: كأنكم بأبنِ المَرَاغةِ قد قال:

ومـا عِبْـتَ مـن نـارٍ أضـاء وُقُـودُهـا ... فِـرَاسـاً وبِسْطَـامَ بـنَ قَيْـسٍ[4] مقيَّـدا

قال فإذا بالبيت قد جاء لجريرٍ ومعه:

وأَوْقَـدتَ بـالسِّيـدَانِ نـاراً ذَلِيلَـةً ... وأَشْهَـدْتَ مـن سَوْءاتِ جِعْثِنَ[5] مَشْهَدَا

جرير والأخطل في حضرة عبدالملك بن مروان:

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفِيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثني محمد بن عبدالله بن آدَم بن جُشَم عن عمارة بن عُقيل عن أبيه قال:

وقف جريرٌ على باب عبدالملك بن مروان والأخطلُ داخلٌ عنده، وقد كانا تَهاجيَا ولم يَرَ أحدٌ منهما صاحبَه، فلما آستأذنوا عليه لجرير أذِنَ له فدخل فسلَّم ثم جلس وقد عرفه الأخطل، فطمَح طَرْفُ جريرٍ إلى الأخطل وقد رآه ينظر إليه نظراً شديداً فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الذي منعتُ نومَكَ وتهضَّمْتُ قومَكَ. فقال له جرير: ذلك أشْقَى لك كائناً من كنتَ. ثم أقبل على عبدالملك بن مروان فقال: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ جعلني الله فداءَكَ! فضحك ثم قال: هذا الأخطلُ يا أبا حَزْرة. فَرَدّ عليه بصرَه ثم قال: فلا حَيّاكَ الله يأبنَ النصرانية! أمّا منعُكَ نومي فلو نمتُ عنك لكان خيراً لك. وأما تهضُّمُكَ قومِي فكيف تَهَضَّمُهم وأنت ممن ضُرِبتْ عليه الذِّلّةُ وباء بغضبٍ من الله وأدّى الجزيةَ عن يدٍ وهو صاغِر. وكيف تتهضَّم لا أُمّ لكَ فيهم / النبوّة والخلافةُ وأنت لهم عبدٌ مأمور ومحكومٌ عليه / لا حاكم. ثم أقبل على عبدالملك فقال: أتأذنُ لي يا أميرَ المؤمنين في آبنِ النَّصْرانية؟ فقال: لا يجوز أن يكون ذلك بحَضْرتي. [٨/٦٣] [٦٥/٧]

(١) ابن القين: لقب كان ينبز به الفرزدق، وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٥.

(٢) يريد حماراً من حمير بني كليب وذلك أنهم أصحاب حمير، يهجوهم بذلك ويؤنبه ويضع من قدره، نسبه إلى رعية الحمير. (راجع «النقائض» ص ٤٩١).

(٣) المروت: لبني حمان بن عبدالعزي بن كعب بن سعد. والسحامة: ماءة لبني كليب باليمامة. وورد الشطر الأخير من هذا البيت في «النقائض» هكذا: «كليبية قينية حتى ترددا». والقينان: الوظيفان أو موضع القيد منهما.

(٤) يريد فراس بن عبدالله بن عامر بن سلمة بن قشير وكان أسيراً مع بسطام بن قيس بن مسعود (عن «النقائض»).

(٥) قال أبو عبيدة: السيدان: موضع. وجعثن: أخت الفرزدق يريد بهذا البيت تعريضاً بالفرزدق وبأخته («النقائض» ص ٤٨٢).

تحاكم هو وبنو حمان إلى إبراهيم بن عدي في بئر فحكم له:

أخبرني أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلاّم قال حدّثني أبو يحيى الضَّبِّيّ قال:

نازَع جريرٌ بَني حِمَّان[١] في رَكِيَّةٍ لهم؛ فصاروا إلى إبراهيم[٢] بن عَدِيّ باليَمامة يتحاكمون إليه؛ فقال جرير:

أَعُـوذُ[٣] بـالأميـر غيـرِ الجَبّـارْ ... مـن ظُلْـمِ حِمَّـان وتحـويـلِ الـدارْ

مـا كـان قبـلَ حَفْـرِنـا مـن مِحْفَـارْ ... وضَـرْبِـيَ المِنْقَـار[٤] بعـد المِنْقَـارْ

فـي جَبَـلٍ أصـمَّ غيـرِ خَـوَّارْ ... يَصِيـحُ بـالجُبِّ[٥] صِيـاحَ الصَّـرّارْ[٦]

لـه صَهِيـلٌ كصَهِيـلِ الأمْهَـارْ[٧] ... فـأسـأل بني صَخْـبٍ[٨] وَرَهْـطَ الجَـرّارْ

والسَّلَمِيِّـيـنَ[٩] العِظَـامَ الأخْطَـارْ ... والجـارُ قـد يُخْبِـر عـن دار الجـارْ

فقال الحِمّانِيّ[١٠]:

مـا لِكُلَيْـبٍ مـن حِمًـى ولا دارْ ... غيـرُ مُقـامِ أُتُـنٍ وأَعْيـارْ[١١]

قُعْسِ الظهور دامياتِ الأثْفارْ[١٢]

[٦٤/٨] / قال فقال جرير: فعن مُقامِهِنّ، جُعِلتُ فِداك، أُجادِل. فقال ٱبن عَدِيّ للحِمّانيّ: قد أقررتَ لخَصْمك؛ وحكم بها لجرير.

نزل ببني مازن وبني هلال فمدحهم بعد أن هجاهم:

قال ٱبن سَلاّم وأخبرني أبو يحيى الضَّبِّيّ قال:

بينا جريرٌ يسير على راحلته إذ هجمَ على أبياتٍ من مازِنٍ وهِلال ـ وهما بطنان من ضَبّة ـ فخافهم، لسوء أثَرِه في ضَبّة، فقال:

فـلا خَـوفٌ عليـكِ ولـن تُـراعِـي ... بعَقْـوةِ[١٣] مـازِنٍ وبنـي هِـلاَلِ

(١) بنو حمان: حي من تميم أحد حيي بني سعد بن زيد مناة.

(٢) في «ديوان جرير» المخطوط: «المهاجر بن عبدالله الكلابي».

(٣) راجع «الديوان» فبينه وبين ما هنا اختلاف كثير.

(٤) المنقار: حديدة يحفر بها.

(٥) كذا في «ديوانه»: والجب: البئر. وفي الأصول: «الحب» بالحاء المهملة وهو تصحيف.

(٦) الصرّار: ضرب من الخنافس يصوّت في الصحاري من أوّل الليل إلى الصبح.

(٧) في الأصول: «له صليل كصليل الأمهار». وفي «الديوان»: «يصهلن في الجب صهيل الأمهار».

(٨) كذا في «ديوانه». وبنو صحب: قبيلة من باهلة. وفي الأصول: «أبا عصم».

(٩) السلميون: أولاد سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

(١٠) في «ديوانه»: «فقال عبد لبني حمان».

(١١) الأتن: جمع أتان، وهي الحمارة. والأعيار: جمع عير؛ وهو الحمار.

(١٢) القعس: جمع أقعس وقعساء. والقعس: خروج الصدر ودخول الظهر خلقة. والثفر (بالضم والفتح) لجميع ضروب السباع ولكل ذات مخلب: كالحياء للناقة، وقد يستعار لغير ذلك.

(١٣) العقوة: ساحة الدار.

همـــا الحَيّـــانِ إن فَـــزِعـــا يَطِيـــرَا إلـــى جُـــرْدٍ كـــأمثـــال السَّعَـــالِـــي[١]
أمـــازِنُ يـــاأبـــنَ كعـــبٍ إنّ قلبـــي لكـــم طـــولَ الحياة لغَيـــرُ قـــالِـــي
غَطَـــارِيـــفٌ يَبِيـــتُ الجـــارُ فيهـــم قـــريـــرَ العيـــنِ فـــي أهـــلٍ ومـــال

قال[٢]: أَجَلْ يا أبا حَزْرة فلا خوف عليك.

وفد على عبدالملك في دمشق فألتف الناس حوله في المسجد دون الفرزدق:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال قال شُعَيب بن صخر حدّثني هارون بن إبراهيم قال:

رأيت جريراً والفرزدق في مسجد دمشق وقد قَدِما على الوليد بن عبدالملك والناسُ عُنُقٌ[٣] واحد على جرير: [قيس[٤] وموالي بني أمية] يسلّمون عليه ويسألونه كيف كنت يا أبا حَزْرة في مَسيرك، وكيف أهلُك وأسبابُك. وما يُطِيف بالفرزدق / إلاّ نَفَرٌ من خِنْدِف جلوسٌ معه. قال شُعيبٌ: فقلت لهارون: ولم ذلك؟ قال: [٨/٦٥] لمدحه قَيْساً وقولِه في العجم:

فيجمعُنـــا والغُـــرَّ أولادَ سَـــارَةٍ[٥] أبٌ لا نُبـــالِـــي بعـــدَه مـــن تعـــذَّرا

قال شُعيب: بلغني أنه أُهْدِيتْ له يومئذٍ مائةُ حُلَّة، أهداها إليه الموالي سوى غيرهم، وأخبرني بهذا الخبر أبو خَليفة عن محمد بن سَلاّم عن شُعيب بن صَخْر، فذكر نحواً من حكاية أبي زيد، إلا أنها أتمُّ من حكاية ابن سَلاّم. وقال أبو خَليفة في خبره: سمعت عُمارة بن عُقَيل بن بِلال يقول: وافتْه في يومه ذلك مائةُ حُلّة من بني الأحرار[٦].

رأي الأحوص في قباء فعرّض به لئلا يعين عليه:

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني أحمد بن الهَيْثم الفِرَاسيّ قال:

بينا جريرٌ بقُبَاءَ إذ طلع الأحوصُ / وجريرٌ يُنْشِد قولَه: [٧/٦٦]

لـــولا الحيـــاءُ لعـــادنـــي أستعبـــارُ ولـــزُرْتُ قبـــرَكِ والحبيـــبُ يُـــزارُ

فلما نظر إلى الأحوص قطع الشعرَ ورفع صوتَه يقول:

---

(١) السعالي: جمع سعلاة، وهي الغول، وقيل: هي ساحرة الجن.

(٢) كذا في الأصول: ولعل الصواب: «قالوا أجل... إلخ».

(٣) العنق: الجماعة الكثيرة.

(٤) الذي بين القوسين هو عبارة ابن سلام في «الطبقات» وهو الذي يناسب ما يأتي من قوله: «المدحه قيساً وقوله في العجم إلخ». وفي ب، س: «... على جرير وكلهم من قريش وموالي قريش يسلمون عليه... إلخ». وفي سائر الأصول: «والناس عنق واحدة يسألونه كيف كنت يا أبا حزرة إلخ».

(٥) كذا في «ديوانه»، وهو الصحيح. وهي سارة زوجة إبراهيم الخليل صلوات الله عليه. وقد جاء عقب هذا البيت قوله:

أبـــونـــا خليـــل الله والله ربنـــا رضينـــا بمـــا أعطـــى الإلـــه وقـــدّرا

وفي الأصول: «سادة» بالدال المهملة، وهو تحريف.

(٦) بنو الأحرار: أبناء الموالي من الفرس.

عَـوَى[1] الشعـراءُ بعضُهُـم لبعـضٍ علـيّ فقـد أصـابهـمُ أنتقـامُ

إذا أرسلـتُ قـافيـةً شَـرُوداً رأوْا أخـرى تحـرّق فـأستـدامـوا[2]

[٦٦/٨] / فمُصْطَلَـمٌ[3] المَسـامـعِ أو خَصِـيٌّ وآخـرُ عظـمُ هـامتِـه حُطـامُ

ثم عاد من حيث قطَع. فلما فَرغ قيل له: ولم قلتَ هذا؟ قال: قد نهيتُ الأحوصَ أن يُعين عليّ الفرزدقَ، فأنا والله يا بني عمرو بن عَوْف ما تعوّذتُ من شاعر قطُّ، ولولا حقُّكم ما تعوّذت منه.

أوفده الحجاج على عبدالملك مع ابنه محمد وأوصاه به:

أخبرنا علي بن سليمان الأخفش قال حدّثنا الحسن بن الحسين السُّكَّرِيّ قال: قال عُمارة بن عُقَيل حدّثني أبي عن أبيه:

أن الحَجّاج أوفد أبنَه محمّد بن الحجّاج إلى عبدالملك وأوفد إليه جريراً معه ووصّاه به وأمره بمسألة عبدالملك في الاستماع منه ومعاونته عليه. فلما وردوا أستأذن له محمد على عبدالملك، فلم يأذَنْ له، وكان لا يسمع من شعراء مُضَر ولا يأذن لهم، لأنهم كانوا زُبَيْرِيَّةً. فلما أستأذن له محمد على عبدالملك ولم يأذَن له أعلمه أن أباه الحجاج يسأله في أمره ويقول: إنه لم يكن ممّن والَى أبنَ الزبير ولا نَصره بيده ولا لسانه، وقال له محمد: يا أميرَ المؤمنين، إنّ العرب لتحدّث أنّ عبدَك وسيفَك الحَجّاجَ شفَع في شاعر قد لاذ به وجعله وسيلته ثم ردَدْتَه؛ فأذِن له فدخل فاستأذن في الإنشاد؛ فقال له: وما عساكَ أن تقول فينا بعد قولك في الحَجّاج! ألستَ القائلَ:

مـن سَـدّ مُطَّلَـعَ النِّفـاقِ عليكـمُ أم مـن يَصُـول كصـوْلـةِ الحجـاج

إن الله لم ينصرني بالحجّاج وإنما نصر دينه وخليفته. أو لستَ القائل:

أم مـنْ يَغَـارُ علـى النسـاء حَفيظـةً إذ لا يَثِقْـنَ بغَيْـرةِ الأزواج

يا عاضّ كذا وكذا من أمّه! والله لَهَمَمْتُ أن أَطير بك طَيْرةً بطيئاً سُقوطُها، أُخْرُجْ عنّي، فأُخرِج بشرٌّ. فلما كان بعدَ ثلاثٍ شفَع إليه محمدٌ لجرير وقال له: / يا أميرَ المؤمنين، إني أدّيت رسالةَ عبدِك الحَجّاج وشفاعتَه في جرير، فلما [٦٧/٨] أذِنْتَ له خاطبتَه بما أطار لُبَّه منه وأَشْمَتَّ به عدوَّه، ولو لم تأذن له لكان خيراً له مما سمع. فإن رأيتَ أن تَهَب كلَّ ذنب له لعبدك الحجّاج وَلِي فأفعلْ، فإذِن له. فاستأذنه في الإنشاد، فقال: لا تُنْشِدني إلاّ في الحجاج فإنما أنت للحجاج خاصّةً. فسأله أن يُنْشِده مديحَه فيه، فأبى وأقْسم ألاّ يُنْشِده إلاّ من قوله في الحجّاج؛ فأنشده وخرج بغير جائزة. فلما أزِفَ الرَّحِيلُ قال جرير لمحمد: إن رحَلتُ عن أمير المؤمنين ولم يَسْمَع منّي ولم آخذ له جائزة سقطتُ آخرَ الدهر، ولست بارحاً بابَه أو يأذَن لي في الإنشاد. وأمسك عبدالملك عن الإذن له. فقال جرير: إرْحَلْ أنت وأقيمُ أنا. فدخل محمد على عبدالملك فأخبره بقول جرير وآستأذنه له وسأله أن يسمع منه وقبّل يدَه ورجلَه، فإذِن

---

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «غوى» بالغين المعجمة وهو تصحيف. وعواؤهم: المراد به تناصرهم وتعاونهم، كما يعوي الذئب لأصحابه لتجتمع حوله.

(٢) رواية «الديوان» و«لسان العرب» (مادة دوم): «إذا أوقعت صاعقة عليهم». ومعنى استداموا: انتظروا، كقول الشاعر:

تـرى الشعـراء مـن صعـق مصـاب بصكتـه وآخـر مستـديـم

(٣) الاصطلام: القطع.

له. فدخل فاستأذن في الإنشاد، فأمسك عبدالملك. فقال له محمد: أنشِدْ وَيْحَك! فأنشده قصيدتَه / التي يقول فيها: [٦٧/٧]

ألستُم خيرَ من ركب المطايا … وأنْدَى العالَمِين بطون راحِ

فتبسَّم عبدالملك وقال: كذلك نحن وما زِلْنا كذلك. ثم اعتمد على ابن الزُّبَير فقال:

دعوتَ المُلْحِدِينَ أبا خُبَيْبٍ[1] … جِماحاً هل شُفِيتَ من الجِمَاحِ

وقد وجدوا الخليفةَ هِبْرِزِيّاً[2] … أَلَفَّ[3] العِيصِ ليس من النَّواحي

وما شجراتُ عِيصِكَ في قريش … بعَشَّاتِ[4] الفُروع ولا ضَواحي

/ قال: ثم أنشده إيّاها حتى أتى على ذكر زوجته فيها فقال: [٨/٦٨]

تَعَزَّتْ أمُّ حَزْرةَ ثم قالت … رأيتُ المُورِدِين ذوي لِقَاحِ

تُعَلِّل وهي ساغبةٌ بَنِيها … بأنفاسٍ[5] من الشَّبِمِ القَرَاحِ

فقال عبدالملك: هل تُرْويها مائة لِقْحة؟ فقال: إن لم يُرْوِها ذلك فلا أَرْواها الله! فهل إليها ـ جعلني الله فِدَاكَ يا أمير المؤمنين ـ من سبيل؟ فأمر له بمائة لِقْحة وثمانيةٍ من الرِّعاء. وكانت بين يديه جاماتٌ من ذهب؛ فقال له جرير: يا أميرَ المؤمنين، تأمرُ لي بواحدة منهنّ تكون مِحْلَبًا؟ فضحك ونَدَس[6] إليه واحدةً منهنّ بالقضيب وقال: خذها لا نفعتْك! فأخذها وقال: بَلَى والله يا أمير المؤمنين لَيَنفعنِّي كلُّ ما منحْتَنِيه، وخرج من عنده. قال: وقد ذكر ذلك جريرٌ في شعره فقال يمدح يزيدَ بنَ عبدالملك.

أعطَوْا هُنَيْدةَ[7] يَحْدُوها ثمانيةٌ … ما في عطائهمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ

هجا سراقة البارقي بأمر بشر بن مروان لأنه فضل الفرزدق عليه:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا دَمَاذُ أبو غَسّانَ عن أبي عُبيدة قال:

بذل محمد بن عُمَيْر بن عُطَارِد بن حاجِب بن زُرَارةَ أربعةَ آلافِ درهم وفرساً لمن فضَّل من الشعراء الفرزدقَ على جرير، فلم يُقْدِم عليه أحد منهم إلا سُرَاقة البارِقيّ فإنه قال يفضل الفرزدق:

---

(١) أبو خبيب: هو عبدالله بن الزبير، وخبيب ابنه، وبه كان يدعى.

(٢) الهبرزي: الخالص.

(٣) الألف: الملتف. والعيص: الأصل، وهو أيضاً الشجر. يريد أنه من وسط العز لا من نواحيه.

(٤) العشة: الشجرة الدقيقة القضبان اللئيمة المنبت. والضواحي: البادية العيدان لا ورق عليها. وفي اللسان (مادة ضحى) بعد أن أورد هذا البيت «قال أبو منصور: أراد جرير بالضواحي في بيته قريش الظواهر، وهم الذين لا ينزلون شعب مكة وبطحاءها. أراد جرير أن عبدالملك من قريش الأباطح لا من قريش الظواهر، وقريش الأباطح أشرف وأكرم من قريش الظواهر؛ لأن البطحاويين من قريش حاضرة وهم قطان الحرم، والظواهر أعراب بادية».

(٥) الأنفاس: جمع نفس (كسبب) وهو جرعة الماء. والشبم: البارد. والقراح: الخالص. يريد أنها تعلمهم بالماء عند افتقاد اللبن.

(٦) كذا في ديوانه المخطوط ص ٢٠ والندس في الأصل: القطن الخفيف. يريد أنه دفع إليه جاما منها بعصا كانت في يده. وفي بعض الأصول: «ودحس». وفي بعضها: «ودس» وكلاهما تحريف.

(٧) هنيدة: اسم من الإبل وغيرها.

أَبْلِـــغ تَميمـــاً غثَّهـــا وسَمِينَهـــا والحكـــم يَقْصِـــد مـــرّةً ويَجُـــورُ
أنّ الفـــرزدقَ بَـــرَزَتْ أعـــراقُـــه سَبْقـــاً وخُلّـــف فـــي الغُبـــار جَـــريـــرُ
[٨/٦٩] / ذهـب الفـرزدقُ بـالفضـائـل[1] والعُلاَ وأبـــن المَـــرَاغـــةِ مُخَلَّـــفٌ محســـورُ
هـــذا قضـــاءُ البـــارِقـــيّ وإننـــي بـــالمَيْـــل فـــي ميـــزانهـــم لبَصِيـــرُ

قال أبو عُبَيدة فحدّثني أيّوب بن كُسَيب قال حدّثني أبي قال: كنتُ مع جرير، فأتاه رسول بِشْر بن مَرْوان فدفع إليه كتابَه، وقال له: إنه قد أمرني أن أُوصلَه إليك ولا أَبْرحَ حتى تُجيب عن الشعر في يومك إن لقيتُك نهاراً أو ليلتِك إن لقِيتُك ليلاً، وأَخْرج إليه كتابَ بِشْر وقد نسخَ له القصيدة وأمره بأن يُجيب عنها. فأخذها ومكث ليلتَه يجتهد أن يقول شيئاً فلا يمكنه؛ فهتَف به صاحبهُ من الجنّ من زلوية البيت فقال له: أزعمتَ أنك تقول الشعر! ما هو إلاّ أن غبتُ عنك ليلةً حتى لم تُحْسِن أن تقول شيئاً[2]! فهلاّ قلتَ:

يـــا بِشْـــرُ حَـــقّ لـــوجهِـــك التبشيـــرُ هَـــلاّ قضيـــتَ لنـــا وأنـــت أميـــرُ

[٦٨/٧] / فقال له جرير: حَسْبُك كُفِيتُكَ. قال: وسمع قائلاً يقول لآخر: قد أنار الصبحُ؛ فقال جرير:

يـــا صـــاحبـــيَّ هـــل الصبـــاحُ مُنِيـــرُ أم هـــل للـــومِ عـــواذلـــي تَفْتِيـــرُ[3]

إلى أن فرغَ منها. وفيها يقول:

قـــد كـــان حَقُّـــكَ أن تقـــول لبـــارقٍ يـــا آلَ بـــارِقَ فِيـــمَ سُـــبَّ جـــريـــرُ
يُعْطَـــى النســـاءُ مهـــورَهـــنّ كَـــرامـــةً ونســـاءُ بـــارقَ مـــالهـــنّ مُهـــورُ

فأخذها الرسول ومضى بها إلى بِشْر، فقُرِئتْ بالعراق وأُفْحِم سُرَاقةُ فلم ينطق بعدها بشيء من مُنَاقضتِه.

[٨/٧٠] / مناقضته عمر بن لجأ وسبب ذلك:

أخبرني أبو خَليفة قال حدّثني محمد بن سَلاّم حدّثني أبو يحيى الضَّبّيّ قال:

كان الذي هاج الهجاءَ بين جرير وعمرَ بنِ لَجَأ أن عمر كان يُنْشِد أُرْجوزةً له يصف فيها إبلَه وجريرٌ حاضرٌ، فقال فيها:

قـــد ورَدتْ قبـــل إِنَـــا ضَحَـــائِهـــا تُفَـــرِّسُ الحَيّـــاتِ فـــي خِـــرْشـــائِهـــا[4]

[جَرّ العَجُوزِ الثِّنْيَ من رِدَائِها[5]]

فقال له جرير: أَخْفقتَ. فقال: كيف أقول؟ قال تقول:

جَرّ العَرُوسِ الثِّنْيَ من رِدائِها

---

(١) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «بالقصائد».
(٢) في جـ: «حتى لم تحسن أن تجيب عنها».
(٣) الفتور والتفتير: السكون بعد الحدة واللين بعد الشدّة. وفتر (بالتضعيف) يتعدى ويلزم.
(٤) الأنا (بفتح الهمزة وكسرها): الوقت. والضحاء: الضحى. وتفرس: تقتل. والخرشاء: جلد الحية.
(٥) التكملة عن ابن سلام ص ١٠١ طبع أوربا.

فقال له التَّيْميّ أنت أسوأ قولاً منّي حيث تقول:

وأَوْثَقُ عند المُرْدَفاتِ عَشِيَّةً ... لَحاقاً إذا ما جَرَّد السيفَ لامِعُ

فجعلتَهنّ مُرْدَفاتِ غُدْوةً ثم تَدارَكْتَهنّ عَشيّةً. فقال: كيف أقول؟ قال تقول:

* وأَوْثَقُ عند المُرْهَفاتِ عَشِيّةً *

فقال جرير: والله لهذا البيتُ أحبُّ إليّ من بِكْرِي حَزْرَةَ، ولكنك مُجْلِبٌ[1] للفرزدق[2]. وقال فيه جرير:

هَلاَّ سِوَانا ٱدَّرَأْتُم يا بَنِي لَجَأٍ ... شيئاً يُقارِبُ أو وَحْشاً لها غِرَرُ[3]

أحِينَ كنتُ سِمَاماً يا بَنِي لَجَأٍ ... وخاطَرتْ بيَ عن أحسابها مُضَرُ!

/ خَلِّ الطريقَ لمن يَبْنِي المَنارَ به ... وٱبرُزْ ببَرْزَةَ[4] حيث ٱضطرَّكَ القَدَرُ [٧١/٨]

أنت ٱبنُ بَرْزَةَ منسوباً إلى لجأٍ ... عند العُصارةِ والعيدانُ تُعْتَصَرُ

ويروى:

ألستَ نَزْوةَ خَوّارٍ على أَمَةٍ ... عند العُصارةِ والعِيدانُ تُعْتَصَرُ

فقال ٱبن لَجَأ يردّ عليه:

لقد كذَبْتَ وشَرُّ القولِ أَكْذَبُه ... ما خاطرتْ بكَ عن أحسابها مُضَرُ

بل أنت[5] نَزْوةُ خَوّارٍ على أَمَةٍ ... لا يَسْبِقُ الحَلَباتِ اللؤمُ والخَوَرُ

ما قلتَ مِن هذه إلا سأنقُضُها ... يا بْنَ الأتانِ بمثلي تُنْقَضُ المِرَرُ

وقال عمر بن لَجَأ[6]:

عجبتُ لما لاقتْ رِياحٌ[7] من الأذى ... وما ٱقتبَسُوا منّي وللشّرِّ قابِسُ

غِضَاباً لكلبٍ من كُلَيْبٍ فَرَسْتُه ... هَوَى ولِشَدّاتِ الأُسُودِ فَرائِسُ

إذا ما ٱبنُ يَرْبُوعٍ أتاكَ لمأكَلٍ ... على مجلسٍ إن الأكِيلَ مُجالِسُ

فقُل لابْنِ يَرْبوعٍ ألستَ براحِضٍ ... سِبالَكَ عنّا إنهنّ نَجائِسُ

---

(١) كذا في حـ والمجلب: المعين. وفي سائر الأصول: «محلب» بالحاء المهملة وهو تصحيف.

(٢) يلاحظ أن في هذا تنافياً مع ما تقدم في حديثه مع الحجاج؛ إذ صرح فيما تقدّم بأن عمر بن لجأ هو الذي عمد إلى هذا التغيير تقبيحاً للشعر. (راجع ص ١٨ من هذا الجزء).

(٣) ادرأتم: ختلتم: وغرر: غفلات، واحدها غرة.

(٤) برزة: أم عمر بن لجأ.

(٥) في الأصول: «ألست نزوة إلخ» والتصحيح عن «النقائض» ص ٤٨٨.

(٦) في جميع الأصول: «وقال جرير» وهو خطأ إذ أن هذا الشعر قاله ابن لجأ يهجو به جريراً. (انظر في ترجمة الأخطل صفحة ١٨١ - ١٨٢ طبع بلاق).

(٧) رياح هو ابن يربوع وهو أحد أجداد جرير.

٦٩/٧ / تُمَسِّـحُ يَـرْبُـوعٌ سِبَـالاً لئيمـةً بهـا مـن مَنِـيِّ العبـدِ رَطْـبٌ ويـابِـسُ[١]

قال: ثم اجتمع جرير وابن لَجَأ بالمدينة وقد ورَدها الوليدُ بن عبدالملك، وكان يتألَّه[٢] في نفسه، فقال: أتقْذِفان المُحْصِنَاتِ وتُغضِبانهنّ! ثم أمر أبا بكر محمد بن حَزْم / الأنصاريّ ـ وكان والياً له بالمدينة ـ بضربهما، فضربهما [٨/٧٢] وأقامهما على البُلُس[٣] مقرونين، والتَّيْمِيُّ يومئذٍ أَشَبُّ من جرير، فجعل يَشُولُ[٤] بجريرٍ وجريرٌ يقول وهو المَشُولُ به:

فلسـتُ مُفـارِقـاً قَـرَنَـيَّ حتـى يَطُـولَ تصعُّـدي بـكَ وانحـدارِي

فقال ٱبن لَجَأ:

ولمّـا أن قُـرِنـتُ إلـى جـريـرٍ أَبَـى ذو بَطْنِـه[٥] إلاّ ٱنحـدارَا

فقال له قُدَامةُ بنُ إبراهيمَ الجُمَحِيّ: وبِئْسَما قلتَ! جعلت نفسَك المقرونَ إليه! قال: فكيف أقول؟ قال تقول:

ولمّا لُزَّ في قَرَني جريرٌ

فقال: جُزِيتَ خيراً، لا أقوله والله أبداً إلا هكذا.

هو والأخطل في حضرة عبدالملك ٱبن مروان:

حدّثني محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرَفِيّ قال حدّثنا العَنَزِيّ قال حدّثني محمد بن عبدالله العَبْدِيّ قال حدّثني عُمارة بن عُقَيل عن أبيه قال:

وقف جريرٌ على باب عبدالملك بن مروان والأخطل داخل عنده، وقد كانا تَهاجَيَا ولم يَلْقَ أحدُهما صاحبَه. فلما ٱستأذنوا لجرير أذِن له فسلَّم وجلس، وقد عرَفه الأخطل، فطمَح بصرُ جرير إليه فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الذي منعتُ نومَك وهضَمْتُ قومك. فقال له جريرٌ: ذاك أَشْقَى لك كائناً مَنْ كنتَ. ثم أقبل على عبدالملك فقال: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ فضحِك وقال: هذا الأخطلُ يا أبا حَزْرةَ. فَرَدّ بصرَه إليه وقال: فلا حَيّاك الله يابنَ النصرانية! أمّا / منعُك نومي فلو نِمْتُ عنك لكان خيراً لك. وأما تهضُّمُك قومي فكيف تَهَضَّمُهم وأنت ممن ضُرِبتْ [٨/٧٣] عليهم الذِّلَّة والمَسْكنة وباءوا بغضبٍ من الله! . إيذَنْ لي يا أميرَ المؤمنين في ٱبن النصرانيّة. فقال: لا يكون ذلك بين يديّ. فوثَب جريرٌ مُغْضَباً. فقال عبدالملك : قم يا أَخْطَل وٱتبَعْ صاحبَك؛ فإنما قام غضباً علينا فيك؛ فنَهض الأخطلُ. فقال عبدالملك لخادم له: انظر ما يَصْنَعان إذا برَز له الأخطل. فخرج جرير فدعا بغلام له فقدّم إليه حِصَاناً له أدْهَم فركبه وهدَر والفرسُ يهتزُّ من تحته، وخرج الأخطل فلاذ بالباب وتَوَارَى خَلْفَه، ولم يزل واقفاً حتى مضى جرير. فدخل الخادم إلى عبدالملك فأخبره؛ فضحك وقال: قاتل الله جريراً! ما أفحله! أمَا والله لو كان النصرانيّ برزَ إليه لأكله.

(١) لهذا قصة بسطها أبو الفرج في ترجمة الأخطل في الصفحتين السابقتين.
(٢) التأله: التنسك والتعبد.
(٣) البلس: غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه.
(٤) يشول به: يرتفع به.
(٥) ذو البطن: الرجيع.

سئل عن نفسه وعن الفرزدق والأخطل فأجاب:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّيَاشِيّ قال حدّثنا الأصمعيّ عن أبي عمرو قال:

سُئل جرير أيُّ الثلاثةِ أشعرُ؟ فقال: أمّا الفرزدق فيتكلّف منّي ما لا يُطِيقه؛ وأمّا الأخطلُ فأشدُّنا اجتراءً وأرْماناً للغرض؛ وأما أنا فمدينةُ الشعر. وقد حدّثني بهذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شَبّة عن الأصمعيّ فذكر نحوَ ما ذكره الرِّياشيّ، وقال في خبره: وأما الأخطل فأنْعتُنا للخمر وأمْدحُنا للملوك.

فضله أبو مهدي على جميع الشعراء:

أخبرنا عمّي قال حدّثنا الكُرَانيّ قال حدّثنا العُمَرِيّ عن عَطَاء بن مُصْعَب قال:

قلت لأبي مَهْدِيّ الباهِليّ وكان من علماء العرب: أيّما أشعرُ أجريرٌ أم الفرزدق؟ فغضب ثم قال: جريرٌ أشعرُ العربِ كلِّها؛ ثم قال: / لا يزال الشعراءُ موقوفين يوم القيامة حتى يجيءَ جريرٌ فيحكمَ بينهم. ٧٠/٧

لم يحفل بنو طهية بهجائه حتى هجاهم في قصيدة الراعي فجزعوا:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني العباس بن مَيْمون قال سمعت أبا عثمان المازنيّ يقول:

[٨/ ٧٤] / قال جرير: هجوتُ بني طُهَيّةَ أنواعَ الهِجاء، فلم يَحْفِلُوا بقولي حتى قلتُ في قصيدة الراعي:

كأنّ بني طُهَيّةَ رهطَ سَلْمَى ... حجارةُ خارِىءٍ يَرمِي كِلاَبَا

فجزِعوا حينئذٍ ولاذُوا بي.

كان عاقاً لأبيه وابنه عاق له:

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز قال حدّثنا المَدائنيّ قال:

كان جرير من أَعَقّ الناس بأبيه[1]، وكان بلالٌ ابنُه أعقّ الناس به. فراجع جريرٌ بلالاً الكلامَ يوماً؛ فقال له بلال: الكاذب منّي ومنكَ ناكَ أُمّه. فأقبلتْ أمّه عليه وقالت له: يا عدوّ الله! أتقول هذا لأبيك! فقال جرير: دَعِيه، فوالله لكأنه سمِعها[2] منّي وأنا أقولها لأبي.

هجا عمر بن يزيد لتعصبه للفرزدق عليه:

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم قال حدّثنا العُمَرِيّ عن لَقِيط قال:

كان عمر بن يزيد بن عُمَير الأَسَديّ يتعصّب للفرزدق على جرير. فتزوّج امرأةً من بني عُدُسِ بن زيد بن عبدالله بن دارِم؛ فقال جرير:

نكحتَ إلى بني عُدُسِ بن زيدٍ ... فقد هَجّنْتَ خيلَهمُ العِرَابَا

أتنسَى يومَ مَسْكِنَ[3] إذ تُنادِي ... وقد أخطأتَ بالقَدَمِ الرِّكابا

---

(١) كذا في الأصول ولعله: «أعق الناس لأبيه.. أعق الناس له».

(٢) كذا في حـ: وفي سائر الأصول: «لكأني أسمعها مني...».

(٣) مسكن: موضع كانت به الوقعة بين عبدالملك بن مروان ومصعب بن الزبير في سنة ٧١ هـ، وفيها قتل مصعب.

وهي قصيدة، فأجتمعوا على عمر بنِ يزيد. ولم يزالوا به حتى خلَعوا المرأةَ منه.

[٨/٧٥] / استشفع عنبسة بن سعيد إلى الحجاج ثم أنشده فأجازه:

أخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثني محمد بن الهَيْثم قال حدّثني عمّي أبو فِرَاس قال حدّثني وَدْقَةُ بنُ معروف قال:

نزل جريرٌ على عَنْبَسَةَ[١] بن سَعِيد بِوَاسِط، ولم يكن أحدٌ يدخلها إلا بإذن الحَجّاج. فلما دخل على عَنْبَسَةَ، قال له: وَيْحَك! لقد غَرّرتَ بنفسك! فما حَمَلك على ما فعلتَ؟ قال: شعرٌ قلتُه اعتَلَجَ في صدري وجاشتْ به نفسي وأحببتُ أن يسمعه الأمير. قال: فعنّفه وأدخله بيتاً في جانب داره وقال: لا تُطْلِعنّ رأسَك حتى ننظرَ كيف تكونُ الحِيلة لك. قال: فأتاه رسول الحَجّاج من ساعته يدعوه في يوم قائظ، وهو قاعدٌ في الخَضْراء[٢] وقد صُبَّ فيها ماء استَنْقَع[٣] في أسفلها وهو قاعد على سرير وكرسيٌّ موضوعٌ ناحيةً. قال عَنْبَسة: فقعدتُ على الكرسيّ، وأقبل عليّ الحجّاج يحدّثني. فلما رأيتُ تَطَلُّقَه وطِيبَ نفسِه قلتُ: أصلح الله الأميرَ! رجل من شعراء العرب قال فيك شعراً أجاد فيه، فاستخفّه عَجَبُهُ به حتى دعاه إلى أن رحَل إليك ودخل مدينتَك من غير أن يُسْتأذَنَ له. قال: ومن هو؟ قلتُ: ابن الخَطَفَى. قال: وأين هو؟ قلت: في المنزل. قال: يا غلام! فأقبل الغِلْمان يتسارَعون. قال: صِفْ لهم موضعَه من دارك؛ فوصفتُ لهم البيتَ الذي هو فيه، فانطلقوا حتى جاءوا به، فأُدخل عليه وهو مأخوذٌ بضَبْعَيْه حتى رُمِي به في الخضْراء، فوقع على وجهه في الماء ثم قام يتنفّش كما يتنفش الفَرْخ. فقال له: هِيه! ما أقدَمك علينا [٨/٧٦] بغير إذننا / لا أمّ لك؟ قال: اصلح الله الأمير! قلت في الأمير شعراً لم يقل مثلَه أحدٌ، فجاش به صدري وأحببتُ أن يسمعه منّي الأمير، فأقبلت به إليه. قال: فتطلّق الحَجّاجُ وسكن، واستنشده فأنشده. ثم قال: يا غلام! فجاءوا يسعَوْن. فقال: عليّ بالجارية / التي بعَث بها إلينا عاملُ اليَمامة؛ فأُتِي بجارية بيضاءَ مَدِيدةِ القامةِ. فقال: إنْ أصبتَ صفتَها فهي لك. فقال: ما أسمُها؟ قال: أُمَامة؛ فأنشأ يقول: ٧١/٧

وَدِّعْ أُمَامَةَ حانَ منك رحيلُ ... إنّ الوَدَاعَ لمن تُحِبّ قليلُ

مثلُ الكَثِيبِ تهيّلتْ أعطافُه ... فالريحُ تَجْبُر مَتْنَه وتَهِيلُ

تلك القلوبُ صواديا تيَمْتِها ... وأرى الشفاءَ وما إليه سبيلُ

فقال: خذ بيدها. فبكت الجارية وأنتَحَبَتْ. فقال: ادفعوها إليه بمتاعها وبغلها ورِحالها.

أمره الحجاج وأمر الفرزدق بأن يدخلا عليه بلباس آبائهما في الجاهلية:

أخبرنا أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلام قال حدّثني أبو الغَرّاف قال:

قال الحَجّاج لجرير والفرزدق وهو في قصره بجَزِيز[٤] البصرة: ائتياني في لباس آبائكما في الجاهليّة. فلبس

(١) هو عنبسة بن سعيد بن العاص أحد أشراف بني أمية، حبسه عبدالملك بن مروان يوم قتل أخيه عمرو بن سعيد الأشدق. (انظر الطبري ق ٢ ص ٧٩٢، ٨٦٩، ٨٧١ طبع أوربا).

(٢) المراد بها خضراء واسط، وتعرف بالقبة الخضراء، بناها الحجاج مع قصره والمسجد الجامع بهذه المدينة. (راجع المجلد السابع من المكتبة الجغرافية ص ٣٢٢ طبع أوربا).

(٣) استنقع الماء: اجتمع.

(٤) كذا في جـ و «معجم ما استعجم» للبكري ومعجم ياقوت. وحزيز: موضع بالبصرة بين العقيق وأعلى المربد. وقد ورد محرّفاً في جميع الأصول.

الفرزدقُ الدِّيباجَ والخَزَّ وقعد في قُبَّة. وشاور جريرٌ دهاة بني يَرْبوع فقالوا له: ما لباسُ آبائنا إلاّ الحديد؛ فلبس جرير دِرْعاً وتقلّد سيفاً وأخذ رُمْحاً وركِب فرساً لعَبّاد بن الحُصَين يقال له المِنْحَازُ[1] وأقبل في أربعين فارساً من بني يَرْبوع، وجاء الفرزدقُ في هيئته؛ فقال جرير:

لبِستُ سلاحي والفرزدقُ لُعْبةٌ ... عليه وِشَاحا كُرَّجٍ[2] وجَلاجِلُه[3]

/ أَعِدُّوا مع الحَلْيِ[4] المَلاَبَ[5] فإنما ... جريرٌ لكم بَعْلٌ وأنتم حَلائِلُه [٧٧/٨]

ثم رجعا، فوقف جرير في مَقْبُرة بني حِصْن ووقف الفرزدق في المِرْبَد. قال: فأخبرني أبي عن محمد بن زِيَاد قال: كنتُ أختلف إلى جرير والفرزدق، وكان جريرٌ يومئذٍ كأنه أصغرُهما في عيني.

هجا الفرزدق حين نوى أن ينال جائزة المهاجر فثناه عن ذلك:

أخبرني أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلاّم قال حدّثنا أبو اليَقْظَان عن جُوَيْرِيَةَ بنِ أسماء قال:

قدِم الفرزدقُ اليمامةَ وعليها المهاجِرُ بنُ عبدالله الكِلاَبيّ فقال: لو دخلتُ على هذا فأصبتُ منه شيئاً ولم يعلمْ بي جرير! فلم تستقرّ به الدارُ حتى قال جرير:

رأيتُك إذ لم يُغْنِكَ اللهُ بالغِنَى ... رجعتَ إلى قيسٍ وخَدُّك ضارعُ

وما ذاك إن أَعطَى الفرزدقُ باسْتِه ... بأوّلِ ثَغْرٍ ضَيّعَتْه مُجاشِعُ

فلما بَلغ ذلك الفرزدقَ قال: لا جَرَمَ واللهِ لا أدخل عليه ولا أَرْزَؤُه شيئاً ولا أُقيم باليَمامة، ثم رحَل.

انتصار الفرزدق له على التيمي ثم صلحه مع التيمي:

أخبرنا أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال قال أبو البَيْداء:

لقي الفرزدقُ عمر بن عطيّة أخا جرير، وهو حينئذٍ يُهَاجِي ابنَ لَجَأ، فقال له: وَيْلَك! قل لأخيك: ثَكِلَتْك أُمّك! إيتِ التَّيْمِيَّ مِنْ عَلُ كما أصنَع أنا بك. وكان الفرزدقُ قد أَنِفَ لجريرٍ وحَمِيَ من أن يتعلّق به التيميُّ. قال ابن سَلاّم. فأنشدني له خَلَفٌ الأحمرُ يقوله للتَّيْمِيّ:

وما أنت إن قَرْمَا تَميمٍ تَسَامَيَا ... أخا التَّيْم إلا كالوَشِيظة[6] في العَظْم

/ فلو كنتَ مَوْلَى العِزّ أو في ظِلالِه ... ظُلِمْتَ ولكن لا يَدَيْ لك بالظلم [٧٨/٨]

فقال له التَّيْميّ:

كذَبْتَ أنا القَرْمُ الذي دَقّ مالكاً ... وأَفْنَاءَ يَرْبُوعٍ وما أنت بالقَرم

قال ابن سَلاّم فحدّثني أبو الغَرّاف: أن رجال تَميم مشتْ بين جريرٍ والتَّيْميُّ وقالوا: والله ما شعراؤنا إلا بَلاَءٌ علينا

(١) كذا في «شرح القاموس» (مادة نحز). وفي ب، س: «المنجاز». وفي سائر الأصول: «المنحار»، وهما تصحيف.

(٢) الكرج: شيء يتخذ بهيئة المهر يلعب عليه.

(٣) كذا في اللسان (مادة كرج) والنقائض (ص ٦٥٠) وفي الأصول: «وخلاخله».

(٤) كذا في أكثر الأصول و «النقائض». وفي ب، س: «الخز».

(٥) كذا في جـ والنقائض. والملاب. ضرب من الطيب. وفي ب، س: «الملاء». وفي سائر الأصول: «الملاة» وهما تحريف.

(٦) الوشيظة: قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم.

٧٢/٧ ينشُرون مساوينَا ويَهْجُون أحياءَنا ومَوْتانا؛ فلم يزالوا بهما حتى / أصلحوا بينهما بالعهود والمواثيق المغلَّظة ألّا يَعُودا في هجاء. فكَفّ التَّيْمِيّ، وكان جريرٌ لا يزال يَسُلُّ[1] الواحدةَ بعد الواحدة فِيه؛ فيقول التَّيْمِيّ: والله ما نَقَضْتُ هذه ولا سمعتُها؛ فيقول جرير: هذه كانت قبل الصلح.

قال ٱبن سَلّام فحدّثني عثمان بن عثمان عن عبد الرحمن بن حَرْملةَ قال: لمّا ورَد علينا هجاءُ جرير والتَّيْمِيّ، قال [لي][2] سَعيد بن المُسَيّب تَرَوَّ[3] شيئاً مما قالا؛ فأتيتُه وقد ٱستقبل القبلةَ يريد أن يكبِّر، فقال لي: أرَوَيْتَ؟ قلتُ نعمْ. فأقبل عليّ بوجهه فأنشدتُه للتَّيْمِيّ وهو يقول: هِيهِ هِيهِ! ثم أنشدتُه لجرير، فقال: أكَلَه أكَلَه!.

لم يؤثر هجاؤه في التيم للؤمهم:

قال ٱبن سَلّام وحدّثني الرازيّ عن حَجْنَاء بنِ جرير قال: قلتُ لأبي: يا أبتِ، ما هجوتَ قوماً قَطُّ إلا فضحتَهم إلّا التَّيْمَ. فقال: يا بُنَيّ، لم أجد بناءً أهْدِمُه ولا شرفاً أَضَعُه وكانت تَيْمٌ رِعاءَ غنم يَغْدُون في غنمِهم ثم يَرُوحون، وقد جاء كلُّ رجل منهم بأبيات فينتحلُها ٱبنُ لَجَأ. فقيل لجرير: ما صنعتَ في التَّيْم شيئاً؛ فقال: إنهم شعراءُ لِئامٌ.

[٧٩/٨] / هو أشعر عند العامة والفرزدق عند الخاصة:

أخبرنا أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار قال حدّثنا عمر بن محمد بن عبدالملك الزيّات قال حدّثني ٱبن النطّاح قال حدّثني أبو اليَقْظان قال:

قال جرير لرجل من بني طُهَيّةَ: أيُّما أشعرُ أنا أم الفرزدقُ؟ فقال له: أنت عند العامة والفرزدقُ عند العلماء. فصاح جرير: أنا أبو حَزْرةَ! غَلَبتُه وربِّ الكعبة! والله ما في كل مائة رجل عالمٌ واحد.

هو وعديّ بن الرقاع في حضرة الوليد بن عبدالملك:

حدّثنا أحمد بن عمّار قال حدّثني عمر بن محمد بن عبدالملك قال حدّثني ٱبن النطّاح قال؛ وحدّثني أبو الأَخْضَر لمُخَارِق بن الأَخْضَر القَيْسيّ قال[4]: إنّي كنتُ والله الذي لا إله إلا هو أخصَّ الناسِ بجرير، وكان ينزل إذا قدِم على الوليد بن عبدالملك عند سَعيد بن عبدالله بن خالد بن أَسِيد، وكان عَدِيّ بن الرقاع خاصّاً بالوليد مَدّاحاً له؛ فكان جرير يجيء إلى باب الوليد فلا يُجالس أحداً من النِّزَارِيّة ولا يجلس إلا إلى رجل من اليَمَنِ بحيثُ يقرُب من مجلس بن الرِّقَاع إلى أن يأذَن الوليدُ للناس فيدخلَ. فقلت له: يا أبا حَزْرة، اختصصتَ عدوَّك بمجلسك! فقال: إني والله ما أجلس إليه إلا لأُنشِدَه أشعاراً تُخْزِيه وتُخْزِي قومَه. قال: ولم يكن يُنْشِده شيئاً من شعره، وإنما كان يُنْشِدهُ شعرَ غيره ليُذِلَّه ويخوِّفَه نفسَه. فأذِن الوليدُ للناس ذاتَ عشيّة فدخلوا ودخلْنا، فأخذ الناسُ مجالسَهم، وتخلّف جريرٌ فلم يدخل حتى دخل الناسُ وأخذوا مجالسَهم وٱطمأنّوا فيها. فبينما هم كذلك إذا بجرير قد مَثَل بين السِّمَاطَيْن يقول: السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله، إن رأى أميرُ المؤمنين أن يأذَن لي في ٱبن الرِّقَاع المتفرِّقةِ أُولِّفُ

---

(١) في الأصول «يسأل». والتصويب عن «طبقات ابن سلام» (ص ٦٢ نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٧ أدب ش) ويريد بذلك أنه يرسل القصيدة تلو القصيدة خفية.

(٢) التكملة عن ابن سلام.

(٣) في الأصول: «تروي» والتصحيح عن ابن سلام؛ يقال: تروي الحديث إذا نقله.

(٤) في ب، س: «قال قال».

بعضَها إلى بعض! ـ قال: وأنا جالسٌ أسمع ـ فقال الوليد: والله لهمَمْتُ أن أُخرِجَه على ظهرك إلى الناس. فقال جرير وهو قائم كما هو:

/ فـإن تَنْهَنـي عنـه فسمعـاً وطـاعـةً ... وإلا فـإنّـي عُـرْضَـةٌ للمَـرَاجِـمِ[1] [٨/ ٨٠]

قال فقال له الوليد: لا كثَّر اللهُ في الناس أمثالَك. فقال له جرير: يا أمير المؤمنين، إنما أنا واحدٌ قد سعرْتُ[2] الأمّةَ، فلو كثُر أمثالي لأكلوا الناسَ أكلاً. قال: فنظرتُ والله إلى الوليد تبسّم حتى بدتْ ثَنَاياه تعجُّباً من جرير وجَلَدِه. قال: ثم أمره فجلس.

أخبرني ابن عمّار قال حدّثني عمر بن محمد بن عبدالملك الزيّات قال حدّثنا ابن النّطاح عن أبي عُبَيدة قال:

كان / جرير عند الوَليد وعَدِيُّ بن الرِّقَاع يُنْشِده. فقال الوليد لجرير: كيف تَسمع؟ قال: ومن هو يا أميرَ المؤمنين؟ قال: عَدِيُّ بنُ الرِّقَاع. قال: فإن شرَّ الثِّيابِ الرِّقَاعُ، ثم قال جرير: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾[3]؛ فغضِب الوليدُ وقال: يابنَ اللَّخْناء! ما بقي لك إلا أن[4] تتناول كتابَ الله! والله لَيَرْكبنّك! يا غلام أوْكِفْه[5] حتى يركبَه. فغمزَ عمرُ بن الوليد الغلامَ الذي أمره الوليدُ فأبطأ بالإكاف. فلما سكَن غضبُ الوليد قام إليه عمرُ فكلّمه وطلبَ إليه وقال: هذا شاعرُ مُضَر ولسانُها، فإن رأى أميرُ المؤمنين ألاّ يَغُضّ منه! ولم يزل به حتى أعْفاه، وقال له: والله لئن هجوتَه أو عرّضتَ به لأفعلنّ بك ولأفعلنّ!. فقال فيه تلك القصيدة التي يقول فيها: [٧٣/ ٧]

أَقْصِـرْ فـإن نَـزَاراً لـن يفـاخـرهـا ... فـرعٌ لئيـمٌ وأصـلٌ غيـرُ مغـروسِ

وذكر وقائعَ نِزَارٍ في اليمن؛ فعلِمنا أنّه عَنَاه. ولم يُجِبْه الآخر بشيء.

وصف شبة بن عقال وخالد بن صفوان له وللفرزدق والأخطل:

حدّثني عمّي قال حدّثنا الكُرَانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن العُتْبيّ قال:

/ قال هشام بن عبدالملك لشَبّةَ بن عِقَال وعنده جرير والفرزدق والأخطل، وهويومئذٍ أميرٌ ألاَ تخبرني عن هؤلاء الذين قد مزّقوا أعراضَهم وهتكوا أستارَهم وأغرَوا بين عَشائرهم في غير خير ولا برّ ولا نفع أيُّهم أشعرُ؟ فقال شَبّة: أما جرير فَيَغْرِف من بحر، وأما الفرزدق فيَنْحِتَ من صخر، وأما الأخطل فيُجيد المدح والفخر. فقال هشام: ما فسّرْتَ لنا شيئاً نحصّله. فقال ما عندي غيرُ ما قلت. فقال لخالد بن صَفْوان: صِفْهم لنا يابنَ الأهْتَم؛ فقال: أما أعظمهم فخراً، وأبعدُهم ذكراً، وأحسنُهم عذراً، وأَسْيَرُهم[6] مَثَلاً، وأقلُّهم غزَلاً، وأحْلاهم عِلَلاً؛ الطامي إذا زَخَر، والحامِي إذا زأَر، والسامِي إذا خطَر؛ الذي إن هدَر قال، وإن خطَر صال؛ الفصيحُ اللسان، الطويلُ العِنان؛ فالفرزدق. وأما أحسنُهم نَعْتاً، وأمدحُهم بيْتاً، وأقلُّهم فَوْتاً؛ الذي إن هجا وضَع، وإن مدح رفَع، فالأخطَل. وأما أغزرهُم بَحْراً، وأرقُّهم شِعْراً، وأهْتكُهم لعدوِّه سِتْراً؛ الأغَرُّ الأبْلَق، الذي أن طَلَب لم يُسْبق، وإن طُلب لم يُلْحَق؛ [٨/ ٨١]

---

(١) يقال: فلان عرضة للكلام إذا كان كثيراً ما يعترضه كلام الناس ويقذف به. والمراجم: الكلم القبيحة.

(٢) سعرت الأمة، يريد أوقدت فيها الشر.

(٣) يريد التعريض بعاملة قبيلة عديّ بن الرقاع.

(٤) ويحتمل أن تكون العبارة: «. . . إلا أن تتأوّل كتاب الله».

(٥) أوكف الدابة: وضع عليها الإكاف، وهو البرذعة.

(٦) في الأصول: «وأشدّهم مثلاً».

فجَرير. وكلُّهم ذَكِيّ الفؤاد، رَفيع العِماد، وارِي الزِّنَاد. فقال له مَسْلَمةُ بن عبدالملك: ما سمعنا بمثلك يا خالدُ في الأوّلين ولا رأينا في الآخِرين؛ وأشهَد أنك أحسنُهم وصفاً، وألينُهم عِطْفاً، وأعفُّهم مَقالاً، وأكرمُهم فَعالا. فقال خالد: أتمَّ اللهُ عليكم نِعَمَه، وأَجْزَلَ لديْكم قِسَمَه، وآنَسَ بكم الغُرْبة، وفرَّج بكم الكُرْبة. وأنت،، واللهِ ما علمتُ أيّها الأميرُ، كريمُ الغِرَاس، عالمٌ بالناس؛ جَوَادٌ في المَحْل، بَسّامٌ عند البَذْل؛ حَليمٌ عند الطَّيْش، في ذِرْوة قُرَيش؛ ولُبَابِ عبد شَمْس، ويومُك خيرٌ من أَمْس. فضحك هشامٌ وقال: ما رأيت كتخلُّصِكَ يابْنَ صَفْوان في مدح هؤلاء ووصفِهم حتى أرضيتَهم جميعاً وسلِمتَ منهم[1].

[٨٢/٨] / جرير وابن لجأ وقد قرنهما عمر بن عبدالعزيز حين تقاذفا:

أخبرني محمد بن خَلَف وَكِيعٌ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال حدّثني مُصْعَب الزُّبَيْريّ قال حدّثني إبراهيم بن عبدالله مَوْلَى بني زُهْرةَ قال:

حضرتُ عمرَ بن لَجَأ وجرير بن الخَطَفَى موقوفيْن للناس بسوق المدينة لمّا تَهاجَيا وتَقاذَفَا وقد أمَر بهما عمرُ بن عبدالعزيز فقُرِنا وأُقِيما. قال: وعمرُ بن لَجَأ شابٌّ كأنه حِصان، وجريرٌ شيخٌ قد أَسَنَّ وضعُف. قال فيقول ابنُ لَجَأ:

٧٤/٧ / رأوْا قَمَـراً بسـاحتهـم مُنِيـراً وكيـف يُقَـارِنُ القمـرُ الحِمَـارَا

قال: ثم ينزُو به وهما مقرونانِ في حبْلٍ فيسقُطان إلى الأرض، فأمّا ابن لَجَأ فيقع قائماً، وأمّا جرير فَيخِرُّ لركبتيه ووجهِه، فإذا قام نفَض الغُبَارَ عنه. ثم قال بُغنّته قولاً يُخرِج الكلامَ به من أنفه ـ وكان كلامُه كأنّ فيه نُوناً ـ:

فلسـتُ مفـارِقـاً قَـرَنَـيْ حتّـى يَطُـولَ تصعُّـدي بِـكَ وانحـدارِي

قال فقال رجل من جُلَساء عمرَ له حين حضَر غَدَاؤه: لو دعا الأميرُ بأسيريْه فغدّاهما معه! ففعل ذلك عمر. وإنما فعله بهما لأنهما تَقَاذَفَا، وكان جريرٌ قال له:

تقـول والعبـدُ مِسْكِيـنٌ يُجَـرِّرُهـا أُرْفُـقْ فَـدَيْتُـك أنت النـاكِـحُ الـذَّكَـرُ

قال: وهذه قصيدتُه التي يقول فيها:

يـا تَيْـمَ تَيْـمَ عَـديّ لا أَبَـا لكُـم لا يُـوقِعنّكُـمُ فـي سَـوْءةٍ عمـرُ

قال ابنه: أجود شعره قصيدته الدالية:

أخبرني أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار قال حدّثني على بن محمد النَّوْفليّ قال حدّثني أبي قال:

كنت باليَمامة وأنا وَاليها فكان ابنٌ لجريرٍ يُكْثِر عندي [الدخولَ[2]] وكنت أُوثِرُه فلم أقل له قَطُّ أنشدْني أجودَ شعرٍ لأبيك إلا أنشدني الداليّةَ:

[٨٣/٨] / أَهَـوًى أَرَاكَ بِـرامَتَيْـنِ وَقُـودَا[3] أم بـالجُنَيْنَـةِ مـن مَـدَافِـعِ أُودَا[4]

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «عليهم».
(٢) التكملة عن حـ.
(٣) في ب، س: «وفودا» بالفاء وهو تصحيف.
(٤) الجنينة: روضة نجدية بين ضرية وحزن بني يربوع. والمدافع: مجاري السيول. وأود: موضع في ديار تميم ثم لبني يربوع منهم بنجد في أرض الحزن.

فأقولُ له: وَيْحَكَ! لا تَزِيدُني على هذه! فيقولُ سألتَني عن أجود شعر أبي وهذه أجودُ شعره، وقد كان يقدّمها على جميعه.

ذهب إلى الشأم ونزل على نميري فأكرمه:

حدّثني ابن عَمّار قال حدّثني النَّوْفَلِيّ قال حدّثني علي بن عبدالملك الكَعْبِيّ من ولد كَعْب مَوْلَى الحَجّاج قال حدّثني فلانٌ العَلّامةُ التَّميميّ يَرْوِيه عن جَرِير قال:

ما ندِمْتُ على هجائي بني نُمَيْرٍ قَطُّ إلا مرّة واحدة، فإنّي خرجت إلى الشأم فنزلت بقوم نُزُولٍ في قَصْرٍ لهم في ضَيْعة من ضِياعهم، وقد نظرتُ إليه من بين القصور مشيَّداً حَسَناً وسألتُ عن صاحبه فقيل لي: هو رجل من بني نُمَير. فقلت: هذا شآمٍ وأنا بَدَوِيٌّ لا يعرفُني، فجئت فآستضفتُ. فلما أَذِن لي ودخلتُ عليه عرَفني فقَراني أَحْسَنَ القِرَى ليلتين، فلما أصبحتُ جلستُ، ودعا بُنَيَّةً له فضمّها إليه وتَرَشَّفَها، فإذا هي أحسنُ الناس وجهاً ولها نَشْرٌ لم أَشَمَّ أطيبَ منه. فنظرتُ إلى عينيها فقلتُ: تالله ما رأيتُ أحسنَ من عينيْ هذه الصبيّة ولا من حَوَرِها قَطّ، وعَوَّذْتُها: فقال لي: يا أبا حَزْرَةَ، أَسْوَداءُ المَحاجِرِ[1] هي؟ فذهبتُ أَصِفُ طِيبَ رائحتها. فقال: أَصَنٌّ وَبْرٍ هي[1]؟ فقلت: يَرْحَمُكَ الله! إنّ الشاعر ليقولُ، / ووالله لقد ساءني ما قلتُه، ولكن صاحبكم بَدَأَني فآنتصرتُ، وذهبتُ أعتذر. [٨/ ٨٤] فقال: دَعْ ذا عنك أبا حَزْرة، فوالله ما لك عندي إلا ما تحبّ. قال: وأَحْسَنَ واللهِ إليّ وزوَّدَني وكَسَانِي، فآنصرفتُ وأنا أندمُ الناسِ على ما سلَفَ منّي إلى قومه.

كان المفضل من أنصار الفرزدق فحاجه محاج بقصيدته السينية:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبدالله بن أبي سَعْد قال حدّثني محمد بن عبدالله بن يعقوب بن داود قال حدّثني ابنُ أبي عَلْقَمَةَ الثَّقَفِيّ قال:

كان المفضَّل يقدِّم الفرزدقَ، فأنشدتُه قولَ جرير:

حَيِّ الهِدَمْلَةَ من ذاتِ المَوَاعِيسِ ... فالحِنْوُ أَصْبَح قَفْراً غيرَ مأنوسِ[2]

/ وقلتُ أنشدْني لغيرِه مثلَها فسكت. قال: وكان الفرزدق إذا أُنْشِدَها يقول: مِثْلَها فَلْيَقُلِ ابنُ اللَّخْناء. ٧٥/٧

رثاء الفرزدق ابن أخيه وجرير ابنه:

أخبرنا أبو خَلِيفة الفَضْل بن الحُبَاب قال حدّثنا محمد بن سَلام قال حدّثني عبدالجَبّار بن سَعيد بن سُلَيمان المُسَاحِقِيّ عن المُحَرَّر[3] بن أبي هُرَيرة قال:

---

(١) يشير إلى قول جرير في القصيدة البائية التي هجا بها الراعي وذكر فيها نساء بني نمير:

وخضراء المغابن من نمير ... يشين سواد محجرها النقابا

ويشير بقوله «أصن وبرهي» إلى قول جرير في هذه القصيدة أيضاً:

تطلى وهي سيئة المعرّى ... بصنّ الوبر تحسبه ملابا

والوبر: دويبة على قدر السنور. وصنه بوله، وهو منتن جداً. والملاب: الطيب.

(٢) الهدملة والمواعيس والحنو مواضع.

(٣) كذا في حـ و «شرح القاموس» والخلاصة في أسماء الرجال، وهو المحرر بن أبي هريرة الدوسي، تابعي. وفي الأصول: «المحرز» بالزاي وهو تصحيف.

إنّي لفي عسكرِ سليمانَ بن عبدالملك وفيه جريرٌ والفرزدقُ في غَزَاةٍ، إذ أتانا الفرزدقُ في غَدَاةٍ، ثم قال، اشهدوا أنّ محمد ابن أخِي[١]، ثم أنشأ يقول:

فِبِتُّ[٢] بِدَيْرَيْ أَرْيَحَاءَ[٣] بِلَيْلَةٍ ... خُدَارِيَّةٍ يزدادُ طُولاً تَمامُها

[٨٥/٨] / أُكابِدُ فيها نفسَ أَقْرَبِ مَنْ مَشَى ... أبوه بأمٍّ غابَ عنها نِيامُها[٤]

وكنّا نَرَى من غالبٍ في محمد ... شمائلَ تَعْلُو الفاعلين كِرامُها

وكان ذا ما حلَّ أرضاً تزيَّنَتْ ... بزينتِها صحراؤها وإكامُها

سقَى أَرْيَحَاءَ الغيثُ وهي بَغِيضَةٌ ... إلينا ولكن بي لتُسْقَاه هامُها[٥]

قال: ثم انصرف. وجاء جرير فقال: قد رأيتُ هذا وسمعت ما قال في ابن أخيه؛ وما ابنُ أخيه فعَل الله به وفعَل! قال: ومضى جرير، فوالله ما لبِثْنا إلا جُمَعاً حتى جاءنا جريرٌ فقام مقامَه ونعَى ابنه سَوَادةَ فقال:

أَوْدَى سَوادةُ يَجْلُو مُقلتَيْ لَحِمٍ ... بازٍ يُصَرْصِرُ فوقَ المَرْبَأ العالِي

فارقتَنِي حين كَفَّ الدهرُ من بَصَرِي ... وحينَ صِرْتُ كعَظْمِ الرِّمَّة البالِي

إلّا تَكُنْ لكَ بالدَّيْرَيْن باكيةٌ ... فرُبَّ باكيةٍ بالرَّمْلِ مِعْوالِ

قالوا نَصِيبَك من أجرٍ فقلتُ لهم ... كيفَ العَزاءُ وقد فارقتُ أَشْبالِي

هجا الفرزدق لزواجه حدراء بنت زيق وجواب الفرزدق له:

أخبرنا أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثني حاجب بن زيد وأبو الغَرّاف قالا:

تزوّج الفرزدقُ حَدْراءَ بنتَ زِيق بن بِسْطام بن قَيْس على حُكْم أبيها، فاحتكم مائةً من الإبل. فدخل على الحَجّاج يسأله ذلك؛ فعذله وقال له: أتتزوّج امرأةً على حكمها!. فقال عَنْبَسَةُ بن سَعيد وأراد نفعَه: إنما هي من حَوَاشِي إبل الصَّدَقة، فأمر له الحَجّاج بها. فوثَب جريرٌ فقال:

يا زِيقُ قد كنتَ من شَيْبانَ في حَسَبٍ ... يا زِيقُ وَيْحَكَ مَنْ أنكحتَ يا زِيقُ

[٨٦/٨] / أَنكحتَ وَيْحَكَ قَيْناً باستِه حَمَمٌ ... يا زِيقُ وَيْحَكَ هل بارتْ بك السُّوقُ

---

(١) هكذا في الأصول. وهنا يشعر القارىء بنقص في الكلام لم نوفق لتكملته.

(٢) كذا في ديوان الفرزدق «طبع أوربا». وفي الأصول: «بتنا». وهذه الأبيات من قصيدة يرثي بها الفرزدق محمداً ابن أخيه الذي مات بالشام. ومطلع القصيدة في الديوان: البيت الآتي.

سقى أريحاء الغيث وهي بغيضة

(٣) أريحا: (بفتح أوله وكسر ثانيه وسكون الياء مقصوراً، وقد تحرك ياؤه ويمدّ في الشعر): مدينة في الغور من أرض الأردن بالشام (راجع «معجم البلدان» لياقوت و «معجم ما استعجم» للبكري). وخدارية: شديدة الظلمة.

(٤) يريد أكابد فيها نفس عزيز عليّ أبوه أقرب الناس إليّ. وورد هذا الشطر في الديوان:

أبوه لنفسي مات عني نيامها

(٥) كذا في حـ و «الديوان». وفي سائر الأصول: «بي لتسقاه هامها» وهو تحريف.

غـاب المُثنّـى(١) فلـم يَشهَـدْ نَجِيّكما(٢) والحَـوْفَـزَانُ(٣) ولـم يَشهَـدْك مَفـروقُ(٤)

يـا رُبّ قـائلـةٍ بعـد البِنـاء بهـا لا الصِّهْرُ راضٍ ولا ٱبنُ القَيْنِ معشوقُ

أيـن الأُلَـى ٱستنـزَلُـوا النُّعمـانَ ضـاحيـةً أم أيـن أبنـاءُ شَيْبـانَ الغَـرَانِيـقُ(٥)

قال: فلم يُجِبْه الفرزدقُ عنها. فقال جريرٌ أيضاً:

فلا أنا مُعْطِي الحكمِ عن شِفٍّ(٦) مَنْصِبٍ ولا عـن بَنـاتِ الحَنْظَلِيّيـنَ راغـبُ

وهُـنَّ(٧) كماءِ المُزْنِ يُشْفَى به الصَّدَى وكـانـت مِـلاَحـاً(٨) غيـرَهـنّ(٩) المَشارِبُ

فلـو كنـتَ حُـرّاً كـان عَشْراً سِياقُكُم(٩) إلـى آل زِيـقٍ والـوَصيـفُ المُقَارِبُ(١٠)

/ فقال الفرزدق: ٧٦/٧

فنَـلْ مثلَهـا(١١) مـن مثلِهـم ثـم لُمْهُـمُ علـى دارِمِـيٍّ بيـن لَيْلَـى وغـالِـبِ

/ هـمُ زوّجـوا قبلـي لَقِيطـاً وأنْكَحُـوا ضِـرَاراً وهـم أكفـاؤنـا فـي المَنَـاسِـبِ [٨/٨٧]

ولـو قبِلـوا منّـي عَطِيّـةَ سُقْتُـه إلـى آل زيـقٍ مـن وَصِيـفٍ مُقَـارِبِ

ولـو تُنْكِـحُ الشمـسُ النجـومَ بَنَـاتِهـا إذاً لنكحنـاهـنّ قبـل الكـواكـبِ

قال ٱبن سَلّام فحدّثني الرّازِيّ عن أبيه قال: ما كانت ٱمرأة من بني حَنظلةَ إلّا ترفعُ لجريرٍ اللَّوِيّة في عظمِها لتُطْرِفَه بها لقوله:

وهُـنّ كمـاءٍ يُشْفَـى بـه الصَّـدَى وكـانـت مِـلاحـاً غيـرَهـنّ المَشَـارِبُ

فقلتُ للرّازِيّ: ما اللَّوِيّة؟ قال: الشَّرِيحة من اللحم، أو الفِدْرة(١٢) من التمر، أو الكُبَّة من الشحم، أو الحَفْنة من الأقِط؛ فإذا ذهب الألبانُ وضاقت المعيشةُ كانت طُرْفةً عندهم.

(١) يريد المثنى بن حارثة الشيباني أحد قواد الإسلام وهو الذي فتح سواد العراق وقتل يوم الجسر في وقعة بين المسلمين والعجم في أيام عمر رضي الله عنه.

(٢) كذا في حـ و «النقائض». وفي ب، س: «بحبكما» وفي م، أ، و: «محبكما» وكلاهما تحريف.

(٣) الحوفزان: اسم الحارث بن شريك الشيباني، لقب بذلك لأن بسطام بن قيس طعنه بأعجله. وقال ابن سيدة: سمي بذلك لأن قيساً التميميّ حفزه بالرمح حين خاف أن يفوته فعرج من تلك الحفزة فسمي لحوفزان.

(٤) مفروق: هو النعمان بن عمرو الشيباني.

(٥) الغرانيق: جمع غرنوق ـ وفيه لغات أخرى ـ وهو الشاب الناعم الجميل.

(٦) الشف هاهنا: النقصان، وقد يكون الشف الفضل والزيادة.

(٧) في «النقائض»: «أراهنّ ماء المزن».

(٨) ملاح: جمع ملح وهو ضد العذب. وفي ب، س: «بينهن المشارب» وهو تحريف.

(٩) السياق: المهر. سمي المهر بذلك لأن العرب كانوا إذا تزوّجوا ساقوا الإبل والغنم مهراً لأنها كانت الغالبة على أموالهم.

(١٠) المقارب: الدون، وقيل: هو الوسط بين الجيد والرديء.

(١١) الشطر الأوّل من بيت والشطر الثاني عجز بيت آخر. والبيتان كما في النقائض هما:

فلـو كنـت مـن أكفـاء حـدراء لـم تلـم علـى دارمـيّ بيـن ليلـى وغـالـب

فنـل مثلهـا مـن مثلهـم ثـم لمهـم بمـالـك مـن مـال مـراح وعـازب

(١٢) الفدرة: القطعة.

قال: وقال جرير أيضاً في شأن حَذْراءَ:

أثائرةٌ حَذْراءُ مَنْ جُرَّ بالنَّقَا ... وهل لأبي حَذْراءَ في الوِتْرِ طالبُ

أَتَثْأَرُ بِسْطاماً إذا ابتلَّتِ استُها ... وقد بَوّلتْ في مِسْمَعَيْه الثعالبُ[1]

قال ابن سَلّام: والنَّقَا الذي عَناه جريرٌ هو الموضع الذي قَتَلتْ فيه بنو ضَبَّةَ بِسْطَاماً، وهو بِسْطام بن قَيْس. قال: فكرهتْ بنو شَيْبَانَ أن يَهْتِكَ جريرٌ أعراضَهم. فلما أراد الفرزدقُ نقلَ حَذْراء اعتلُّوا عليه وقالوا له إنها ماتت. فقال جرير:

فأُقْسِمُ ما ماتتْ ولكنّما التَّوَى ... بحَذْرَاءَ قومٌ لم يروكَ لها أهْلا

رأَوْا أنّ صهر القَيْنِ عارٌ عليهم ... وأنّ لِبِسْطامٍ على غالبٍ فضْلا

[٨/٨٨] / مدح قوماً عادوه في مرضه:

أخبرني حَبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدّثنا ابن أبي سَعْد قال حدّثنا محمد ابن إدريسَ اليَمَامِيّ قال حدّثنا عليّ بن عبدالله بن محمد بن مهاجِر عن أبيه عن جدّه قال:

دخلنا على جرير في نَفَرٍ من قريش نَعُوده في عِلّته التي مات فيها، فالتفت إلينا فقال:

أهلاً وسهلاً بقوم زيّنوا حَسَبي ... وإن مَرِضْتُ فهم أهلي وعُوّادِي

إن تَجْرِ طَيْرٌ بأمر فيه عافيةٌ ... أو بالفراق فقد أحسنْتُم زادِي

لو أن ليثاً أبا شِبْلَيْن أَوْعَدَني ... لم يُسْلِمُوني لليثِ الغابة العادِي

نعي الفرزدق إليه فشمت به ثم رثاه:

أخبرني أبو الحسن الأَسَديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال حدّثني أبو جَنَاح أحد بني كَعْب بن عمرو بن تَميم قال:

نُعِي الفرزدقُ إلى المهاجِر بن عبدالله وجريرٌ عنده فقال:

مات الفرزدقُ بعد ما جدَّعتُه ... ليت الفرزدقَ كان عاش قليلا

فقال له المهاجر: بئسَ لَعَمْرُ اللهِ ما قلتَ في ابن عمك! أتهجو ميّتاً! أمَا واللهِ لو رَثَيْتَه لكنتَ أكرمَ العرب وأشعرَها. فقال: إن رأى الأمير أن يكتُمَها عليّ فإنها سَوْءة؛ ثم قال من وقته:

فلا وضَعَتْ بعد الفرزدقِ حامل ... ولا ذات بَعْلٍ من نِفَاسٍ تَعَلَّتِ[2]

٧٧/٧ / هو الوافدُ الميمونُ والراتِقُ الثأي[3] ... إذا النعل يوماً بالعَشيرة زَلَّتِ

[٨/٨٩] / قال: ثم بكى ثم قال: أمَا واللهِ إنّي لأعلم أنّي قليلُ البقاء بعده، ولقد كان نجمُنا واحداً وكل واحد منا مشغول

---

(١) كناية عن أنه قتل ورمي به فالثعالب تبول عليه.

(٢) تعلت المرأة من نفاسها: برئت منه وخرجت.

(٣) الثأي: الفتق والفساد.

بصاحبه، وقلّما مات ضدّ أو صديق إلاّ تبعه صاحبه. فكان كذلك، مات بعد سنة. وقد زاد الناس في بيتيْ جريرٍ هذين أبياتاً أخَر، ولم يقل غيرَهما وإنما أضيف إلى ما قاله.

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

رحَل الخَلِيطُ جِمالَهم بسَوَادِ | وحَدَا على إثْرِ البَخيلة حَادِي
ما إن شَعَرتُ ولا علِمتُ بَيْنَهم | حتى سمعتُ به الغرابَ يُنَادِي

الشعر لجميل. والغناء لإبراهيمَ، ولحّنهُ المختارُ من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوُسْطَى.



[٨/٩٠]

/ نسب جميل وأخباره

هو جَميل بن عبدالله[١] بن مَعْمَر بن الحارث[٢] بن ظَبْيانَ وقيل ابن مَعْمَر بن حُنّ[٣] بن ظَبْيان بن قَيْس بن جَزْء بن رَبِيعة بن حَرَام بن ضِنَّةَ[٤] بن عَبْد بن كَثِير بن عُذْرة بن سعْد ـ وهو هُذَيم، وسمِّي بذلك إضافة لاسمِه إلى عبدٍ لأبيه يقال له هُذَيم كان يحضُنه فغلَب عليه ـ ابن زيد بن سُود بن أَسْلَم بن الحاف بن قُضَاعة. والنسّابون مختلفون في قُضَاعة، فمنهم من يزعمُ أن قضاعة ابن مَعَدّ وهو أخو نِزَار بن مَعَدّ لأبيه وأمّه، وهي مُعَانة بنت جَوْشَم[٥] بن جُلْهُمة بن عامر بن عَوْف بن عَدِيّ بن دُبّ بن جُرْهُم؛ ومنهم من يزعمُ أنهم من حِمْيَر. وقد ذكر جميل ذلك في شعره فأنتسب مَعَدّياً فقال:

أنــا جميــلٌ فــي السَّنَــامِ مــن مَعَــدّ في الأَسْرَةِ الحَصْداءِ[٦] والعِيصِ الأَشَدّ

وقال راجز من قُضَاعة ينسُبهم إلى حِمْيَر:

قُضَــاعَـــةُ الأَثْــرَوْنَ خيــرُ مَعْشَــرِ قضــاعــةُ بــنُ مــالــكِ بــنِ حِمْيَــرِ

ولهم في هذا أراجيزُ كثيرةٌ. إلاّ أنّ قُضَاعة اليوم تُنسب كلُّها في حِمْيَر، فتزعمُ أن قضاعةَ ابنُ مالك بن مُرّة بن زيد بن مالك بن حِمْيَر بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب / بن قَحْطان. وقال القَحْذَميّ: اسم سَبَأ عامر؛ وإنما قيل له سَبَأ لأنه أوّلُ من سَبَى النساءَ. وكان يقال له عَبُ الشمس[٧]، أي عَدِيل الشمس؛ سمِّي بذلك لحسنه. ومَنْ زعم مِنْ هؤلاء أنّ قُضاعة ليس أبنَ مَعَدّ ذكرَ أن أُمّه عُكْبُرةُ[٨] (أمرأة من سبأ) كانت تحت مالك بن عمر فمات عنها وهي حامل، فخلَفه عليها مَعَدُّ بن عَدْنَانَ، فولَدت قُضاعةَ على فراشه. وقال: مُؤرِّج بن عمرو: هذا قول أحدثوه بعدُ وصنعوا شعراً ألصقوه به ليصحّحوا هذا القول، وهو:

[٨/٩١]

يــاأيُّهــا الــدّاعِــي ادْعُنــا وأبشِــرِ وكُــنْ قُضَــاعِيّــاً ولا تَنَــزَّرِ

---

(١) في «الشعر والشعراء»: «وقد يقال فيه جميل بن معمر بن عبدالله».

(٢) في «تهذيب تاريخ ابن عساكر» و «ابن خلكان» و «شرح القاموس» (مادة صبح): «صباح» بدل الحارث.

(٣) كذا في ابن خلكان: وفيه «... ابن ظبيان بن حن بضم الحاء المهملة وتشديد النون ابن ربيعة بن حرام... إلخ». وفي حـ: «خيبرى» ويؤيده ما في «شرح القاموس» (مادة خبر) حيث قال: «وجميل بن معمر بن خيبري العذري الشاعر المشهور». وهو محرف في سائر الأصول.

(٤) كذا في «شرح القاموس» (مادة ضن). وفي الأصول «ضبة» بالباء الموحدة، وهو تصحيف.

(٥) في «الطبري» ق ١ ص ٦٧٥ طبع أوروبا: «جرشم» وفي نسخة أشير إليها بهامشه: «جوشم».

(٦) الحصداء: القوية.

(٧) عب الشمس (بالتخفيف والتشديد): ضوءها.

(٨) ورد في صبح الأعشى للقلقشندي (حـ ١ ص ٣١٥) بعد ما ذكر خلاف بعض النسابة في قضاعة ما نصه: «قال السهيلي: إن أم قضاعة (وهي جكرة) مات عنها مالك بن حمير وهي حامل فتزوجها بعده معد بن عدنان فولدت قضاعة على فراشه فتبناه فنسب إليه».

قضــاعــةُ الأثْــرَوْنَ خيــرُ مَعْشَــرِ قضــاعــةُ بــنُ مــالــك بــنِ حميــر

٧٨/٧ * / النسبُ المعروفُ غير المُنكَر *

قال مؤرّج: وهذا شيء قيل في آخر أيام بني أُميّة. وشعراءُ قُضَاعة في الجاهليّة والإسلام كلها تنتمي إلى مَعَدّ. قال جميل:

وأيُّ مَعَــدٍّ كــان فَــيْءُ[1] رِمَــاحِهِــمْ كمــا قــد أَفَــأْنــا والمُفَــاخِــرُ مُنْصِــفُ

وقال زِيادة بن زيد يهجو بني عمّه بني عامر رَهْطَ هُدْبَةَ بن خَشْرَم:

وإذا مَعَــدٌّ أَوْقَــدتْ نِيــرانَهــا للمجــدِ أغْضَــتْ عــامــرٌ وتضعضعــوا

كان راوية هدبة بن خشرم وكان كثير راويته:

وجميل شاعر فصيح مقدَّم جامع للشعر والرواية، كان راويةَ هُدْبةَ بنِ خَشْرَم، وكان هُدْبَةُ شاعراً راويةً للحُطَيْئة، وكان الحطيئةُ شاعراً راويةً لزُهَيْر وأبنه. وقال أبو مُحَلِّم: آخِرُ مَن أجتمع له الشعر والرواية كُثَيِّر، وكان راويةَ جَميل، وجميلٌ راوية هُدْبَةَ، وهُدْبَةُ راوية الحطيئة، والحطيئة راوية زهير.

[٩٢/٨] / **نسب بثينة عشيقته:**

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن القَحْذَمِيّ قال: كان جميلٌ يهوَى بُثَيْنَةَ بنت حَبَأ بن ثَعْلَبَة بن ألهَوْذ بن عمرو بن الأَحَبّ بن حُنّ بن رَبيعة [تلتقي هي وجميل في حنّ من ربيعة[2]] في النسب.

كان كثير راويته يقدمه على نفسه:

حدّثني أبو الحَسَن أحمد بن محمد الأَسَدِيّ وهاشم بن محمد أبو دُلَف الخُزَاعيّ قالا حدّثنا الرِّيَاشِيّ قال حدّثنا الأصمعيّ عن أبن أبي الزِّناد قال:

كان كُثَيِّر راويةَ جميل، وكان يقدّمه على نفسه ويتّخذه إماماً، وإذا سئل عنه قال: وهل عَلّم اللهُ عزّ وجلّ ما تَسمعون إلاّ منه!.

أخبرني محمد بن مَزْيَد عن حَمّاد عن أبيه عن صَبَاح بن خاقان عن عبدالله بن معاوية الزُّبيريّ قال:

كان كُثَيِّر إذا ذُكِر له جميلٌ قال: وهل علّم الله ما تسمعون إلا منه!.

مر على جماعة بشعب سلع فاستنشدوه من شعره فأنشدهم فمدحوه:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن عبدالعزيز بن عِمْران عن المِسْوَر بن عبدالملك عن نُصَيْب مَوْلَى عبدالعزيز بن مَرْوان قال:

قَدِمتُ المدينةَ فسألتُ عن أعلم أهلها بالشعر، فقيل لي: الوليد بن سعيد بن أبي سِنَان الأَسْلَميّ، فوجدتُه بشِعْب سَلْع[3] مع عبدالرحمن بن حَسّان وعبدالرحمن بن أزْهَر. فإنّا لجلُوسٌ إذ طلعَ علينا رجلٌ طويلُ بينِ المَنكِبَيْنِ

(١) الفيء: الغنيمة.

(٢) التكملة عن تجريد الأغاني.

(٣) سلع: موضع بقرب المدينة.

طُوَالٌ[1] يقود راحلةً عليها بِزَّةٌ حسنة. فقال عبدالرحمن بن حسّان لعبد الرحمن بن أَزْهر: يا أبا جُبَيْر[2]، هذا جميلٌ، فأدعُه لعلّه أن يُنشِدَنا. فصاح به عبد الرحمن: هَيَا جميلُ هَيَا جميل!

[٩٣/٨] / فالتفت فقال: مَنْ هذا؟ فقال: أنا عبدالرحمن بن أزهر. فقال: قد علمتُ أنه لا يجترىء عليّ إلا مثلُك. فأتاه فقال له أنشِدْنا، فأنشدهم:

نحـنُ مَنَعْنـا يـومَ أَوْلٍ[3] نسـاءَنـا ... ويـومَ أُفَـيٍّ[4] والأسِنَّـةُ تَـرْعُـفُ

ويـومَ رَكَـايـا ذِي الجِـدَاةِ[5] ووقعـةٍ ... بِبَنْيَـانَ[6] كـانـت بعـضَ مـا قـد تَسَلَّفُـوا

يُحِبّ الغَـوَانِـي البِيـضُ ظِـلَّ لِـوائنـا ... إذا مـا أتـانـا الصـارخُ المُتَلَهِّـفُ

نَسيـرُ أمـامَ النـاس والنـاسُ خَلْفَنـا ... فـإن نحـن أوْمَـأْنـا إلـى النـاس وَقَّفُـوا

فـأيُّ مَعَـدٍّ كـان فَـيءُ رِمَـاحِـهِ ... كمـا قـد أفـأْنـا والمُفَـاخِـرُ يُنْصِـفُ

وكنّـا إذا مـا مَعْشَـرٌ نَصَبُـوا لنـا[7] ... ومـرّتْ جَـوَارِي طَيْـرِهـم وتَعَيَّفُـوا

وضَعْنـا لهـم صـاعَ القِصَـاصِ رهينـةً ... بمـا سـوف نُـوفِيهـا إذا النـاسُ طَفَّفُـوا

٧٩/٧ / إذا أستبـقَ[8] الأقـوامُ مجـداً وجـدتَنـا ... لنـا مغـرَفَـا مَجْـدٍ وللنـاسِ مِغـرَفُ

قال: ثم قال له: أنشِدْنا هَزَجا. قال: وما الهَزَج؟ لعله هذا القصير؟ قال نعم، فأنشده ـ قال الزُّبير: لم يُذكر في هذا الخبر من هذه القصيدة الهَزَج سوى بيتين، وأنشدَنا باقيَها بُهْلُول بن سليمان بن قِرْضَاب البَلَوِيّ ـ.

[٩٤/٨] / صوت

رَسْـمِ[9] دَارٍ وقفـتُ فـي طَلَلِـهْ ... كِـدتُ أقضِـي الغَداةَ[10] مـن جَلَلِـهْ

مُـوحِشـاً مـا تَـرَى بـه أحـداً تَنْـ ... ـتَسِـجُ الـريـحُ تُـرْبَ مُعْتَـدِلِـهْ

وصَـرِيعـاً مـن الثُّمَـامِ تَـرَى ... عَـارِمَـاتِ المَـدَبُّ فـي أَسَلِـهْ[11]

---

(١) هذه الكلمة «طوال» ساقطة في ب، س.

(٢) كذا في حـ والخلاصة في أسماء الرجال. وفي سائر الأصول: «يا أبا جبتر» وهو تصحيف.

(٣) أول: واد بين الفيل وأكمة على طريق اليمامة إلى مكة (كما في «معجم البلدان» لياقوت). وفي ب، س: «يوم أرل» بالراء وهو تحريف.

(٤) قال ياقوت: أفيّ: موضع في شعر نصيب، واستشهد بهذا البيت.

(٥) كذا في «معجم ما استعجم» للبكري ونسخة الشنقيطي مصححة بقلمه. وذو الجداة: موضع. وفي ب، س: «ذي الحداة» بالحاء والدال المهملتين. وفي سائر الأصول: «ذي الجداة» بالجيم، وكلاهما تصحيف. وركايا: جمع ركية، وهي البئر ذات الماء.

(٦) كذا في «معجم ما استعجم» للبكري في الكلام على بيان ونسخة الشنقيطي مصححة بقلمه. وبنيان: موضع. وقد ورد محرفاً في الأصول.

(٧) في «منتهى الطلب في أشعار العرب» لمحمد بن المبارك (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٥٣ أدب ش): «جحفوا بنا».

(٨) في الكتاب السابق: «إذا انتهب الأقوام... إلخ».

(٩) رسم دار أي رب رسم دار إلخ.

(١٠) في ب، س: «أقضي الحياة». وهي رواية في البيت. ومن جلله: من أجله، أو من عظمه في عيني.

(١١) ورد هذا البيت في جميع الأصول بصور مختلفة وكلها محرفة، وقد صححناه عن شرح شواهد مغنى اللبيب للسيوطي طبع فارس. =

بيــن عَلْيَــاءِ وابِــشٍ فبُلَــيٍّ ... فــالغَمِيـمِ الــذي إلــى جَبَلِــهْ[1]
واقفــاً فــي ديــار أُمِّ جُسَيْــرٍ[2] ... مــن ضُحَــى يَــومِـهِ إلــى أُصُلِـهْ
يــا خليلَــيَّ إن أُمَّ جُسَيْــرٍ[3] ... حيــن يــدنــو الضجيعُ مــن غَلَلِـهْ
روضــةٌ ذاتُ حَنْــوَةٍ وخُــزَامَــى ... جــاد فيهــا الــربيــعُ مــن سَبَلِــهْ[4]
بينمــا هــنّ بــالأَرَاكِ معــاً ... إذ بــدا راكــبٌ علــى جَمَلِــهْ
فتــأطَّــرْنَ ثــم قلــن لهــا ... أكْــرِمِيــهِ حُيِّيــتِ فــي نُــزُلِــهْ[5]
فَظَلِلْنَــا بنَعْمــةٍ واتّكــأنــا[6] ... وشَــرِبنــا الحــلالَ مــن قُلَلِــهْ
/قــد أَصُــون الحــديثَ دونَ خليــلٍ[7] ... لا أخــاف الأَذاةَ مــن قِبَلِــهْ [٨/٩٥]
غيــرَ مــا بِغْضَــةٍ ولا لاجْتنــابٍ ... غيــر أنّــي أَلَحْــتُ مــن وَجَلِــهْ[8]
وخليــلٍ صــاقَبْــتُ[9] مُــرْتَضِيــاً[10] ... وخليــلٍ فــارقــتُ مــن مَلَلِــهْ

قال: فأنشده إياها حتى فرغ منها ثم اقتاد راحلتَه مولّياً. فقال ابن الأزهر: هذا أشعر أهل الإسلام. فقال ابن حَسّان: نعمْ واللهِ وأشعرُ أهلِ الجاهليّة، والله ما لأحد منهم مثلُ هجائه ولا نَسيبه. فقال عبدالرحمن بن الأزهر: صدقتَ. قال نُصَيب: وأنشدتُ الوليد فقال لي: أنت أشعرُ أهلِ جِلْدتك، والله ما زاد عليها. فقلت: يا أبا مِحْجَن، أفَرَضِيتَ منه بأن تكون أشعر السُّودان؟ قال: وَدِدْتُ واللهِ يابنَ أخي أنه أعطاني أكثرَ من هذا، ولكنه لم يفعل، ولستُ بكاذبِك.

كان صادق الصبابة وكان كثير يتقول:

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال:

كان لكثيِّر في النَّسيب حظٌّ وافر وجميلٌ مقدَّم عليه وعلى أصحاب النسيب في النسيب؛ وكان كثيِّر راوية

= والثمام: نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص. والعارمات: القوية الشديدة. والمدب: مجرى السيل. والأسل: نبات له أغصان كثيرة، واحده أسلة.

(١) كذا في حـ و «معجم ما استعجم» و «شرح شواهد المغني». ووابش: واد أو جبل بين وادي القرى والشام. وفي سائر الأصول: «رائس». وبلي: تل قصير أسفل حاذة بينها وبين ذات عرق. والغميم: موضع بالحجاز.

(٢) كذا في حـ. وأم جسير: أخت بثينة صاحبة جميل. وفي سائر الأصول: «أم حسين» وهو تحريف.

(٣) قال في «خزانة الأدب». والغلل داء. وقال العيني: هو الماء بين الأشجار. وفي «اللسان» أن من معاني الغلل العطش وحرارته.

(٤) الحنوة: نبات سهلي طيب الريح. والسبل: المطر.

(٥) التأطر: التثني. والنزل (بضمتين): ما يهيأ للضيف أن ينزل عليه.

(٦) اتكأنا: قال ابن قتيبة: معناه طعمنا وأكلنا، من قوله تعالى: ﴿وأعتدت لهن متكأ﴾ أي طعاماً أو مجلس طعام؛ فإنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب تترفا، ولذلك نهى عنه.

(٧) في «خزانة الأدب» للبغدادي و «شرح شواهد المغني»: «دون أخ».

(٨) في «شرح شواهد المغني» و «خزانة الأدب»:

غيــر بغــض لــه ولا ملــق ... غيــر أنــي أشحــت مــن وجلــه

(٩) كذا في حـ. وصاقبته: قاربته. وفي سائر الأصول: «صافيت».

(١٠) كذا في «شرح شواهد المغني». وفي الأصول: «مرتقباً».

جميل، وكان جميل صادقَ الصَّبابة والعشق، ولم يكن كثيِّر بعاشق ولكنه كان يتقوّل. وكان الناس يستحسنون بيت كثيِّر في النسيب:

أُريــد لأنسَــى ذكــرَهــا فكــأنَّمــا تَمَثَّــلُ لــي لَيْلَــى بكــلِّ سبيــل

قال: ورأيت من يفضِّل عليه بيتَ جميل:

خليلــيَّ فيمــا عِشْتُمــا هــل رأيتُمــا قتيــلاً بَكَــى مــن حــبِّ قــاتِلــه قَبْلِي

[٩٦/٨] / قال ابن سَلّام: وهذا البيت الذي لكثيِّر أخذه من جميل حيث يقول:

٨٠/٧ / أريــد لأنسَــى ذكــرَهــا فكــأنَّمــا تَمَثَّــلُ لــي لَيْلَــى علــى كــلّ مَــرْقَــبِ

عرض الفرزدق لكثير بأنه سرق منه فردّ عليه بمثله:

أخبرني الحَرَمي بن أبي العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار عن محمد بن إسماعيل عن عبدالعزيز بن عِمْران عن محمد بن عبدالعزيز عن أبي شِهَاب عن طَلْحَة بن عبدالله بن عَوْف قال:

لقي الفرزدقُ كثيِّراً بقارعة البَلَاط[1] وأنا وهو نمشي نريد المسجد؛ فقال له الفرزدق: يا أبا صَخْر، أنت أنْسَبُ العرب حين تقول:

أُريــد لأنسَــى ذكــرَهــا فكــأنمــا تَمَثَّــلُ لــي لَيْلَــى بكــلّ سبيــل

يعرِّض له بسرقته من جميل. فقال له كثيِّر: وأنت يا أبا فِراس أفخرُ الناس حين تقول:

تَــرَى النــاسَ مــا سِرْنَــا يَسيــرون خَلْفَنَــا وإن نحــن أَوْمَــأْنــا إلــى النــاس وَقَّفُــوا

ـ قال عبد العزيز: وهذا البيت أيضاً لجميل سرَقه الفرزدقُ ـ فقال الفرزدق لكثيِّر: هل كانت أُمُّك مَرّتْ بالبصرة؟ قال: لا! ولكن أبي، فكان نَزِيلاً لأمّك[2]. قال طَلْحَةُ بن عبدالله: فوالذي نَفْسي بيده لَعَجِبْتُ من كثيِّر وجوابِه، وما رأيتُ أحداً قَطُّ أحمقَ منه، رأيتُني دخلتُ عليه يوما في نَفَرٍ من قريش وكنّا كثيراً ما نتهزّأ به، فقلنا: كيف تَجِدُكَ يا أبا صَخْر؟ قال: بخيرٍ، أمَا سمعتم الناسَ يقولون شيئاً؟ قلنا: نعمْ، يتحدّثون أنك الدجّال. فقال: والله لئن قلتم ذاك إني لأجد في عيني هذه ضَعْفاً منذ أيام.

[٩٧/٨] / كان كثيّر يفضله على نفسه ويبدأ بإنشاد شعره:

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال كتب إليّ أبو محمد إسحاقُ بن إبراهيم يقول حدّثني أبو عُبيدة عن جُوَيرِيَةَ بنِ أسْماء قال:

كان أبو صَخْر كثيِّر صديقاً لي، وكان يأتيني كثيراً، فقلّما استنشدتُه إلاّ بدأ بجَميل وأنشد له ثم أنْشد لنفسه، وكان يفضِّله ويتَّخذه إماماً.

قال الزبير وكتب إليّ إسحاقُ يقول حدّثني صَبَاح بن خَاقَانَ عن عبدالله بن معاوية بن عاصم بن المُنْذِر بن الزُّبَير قال:

(١) البلاط: موضع معروف بالمدينة.
(٢) في حـ: «هل كانت أمك ترد البصرة؟ قال لا، ولكن أبي كان كثيراً ما يردها».

ذُكِر جميلٌ لكثيِّر، فقالوا: ما تقول فيه؟ فقال: منه علَّم اللهُ عزّ وجلّ.

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجَوْهَريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثني أبو يحيى الزُّهْرِيّ عن إسحاق بن قَبِيصَةَ الكُوفيّ عن رجل سمّاه قال:

سألت نُصَيباً: أجَمِيلٌ أنْسَبُ أم كثيِّر؟ فقال: أنا سألت كثيِّراً عن ذاك فقال: وهل وَطَّأ لنا النَّسِيبَ إلاّ جَمِيل!.

قال عمر بن شَبّة وقال إسحاق حدّثني السَّعيدي عن أبي مالك النَّهْديّ قال:

جلَس إلينا نُصَيب فذكرنا جميلاً، فقال: ذاك إِمامُ المحبِّين، وهل هَدَى اللهُ عزّ وجلّ لما تَرَى إلاّ بجميل.

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا دَمَاذ عن أبي عُبَيدة عن جُوَيْرِيَةَ بن أسماء قال: ما أستنشدتُ كثيِّراً قطّ إلا بدأ بجَميل وأنشدني له ثم أنشدني بعده لنفسه، وكان يفضّله ويتخذه إماماً.

أول عشقه بثينة:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني بُهْلُول بن سليمانَ بن قِرْضَاب البَلَوِيّ قال:

/ كان جميل يَنْسُب بأمّ الجُسَير، وكان أوّلَ ما علِق بُثَينةَ أنه أقبل يوماً بإبِله حتى أوْردها وادياً يقال له بَغيض[1]، فاضطجع وأرسل إبلَه مُصْعِدةَ، وأهلُ بثينة بذَنَب الوادي؛ فأقبلتْ بثينةُ وجارةٌ لها واردتَيْن الماءَ، فمَرّتا على فِصَالٍ له بُرُوكٍ فَعَرَمَتْهنّ[2] بثينةُ ـ يقول: نَفَّرَتْهنّ ـ وهي إذ ذاك جُوَيْرِيةٌ صغيرة؛ فسبّها جميلٌ، فأفترتْ عليه، فملُح إليه سبابُها / فقال: [٩٨/٨] [٨١/٧]

وأوّلُ[3] ما قاد المودّةَ بيننا ... بوادي بَغِيضٍ يا بُثَيْنَ سِبابُ
وقلنا لها قَوْلاً فجاءت بمثله ... لكلّ كلامٍ يا بُثَيْنَ جوابُ

قال الزُّبَير وحدّثني محمد بن إسماعيل بن جعفر عن سعيد بن نُبَيه بن الأسود العُذْرِيّ ـ وكانت بثينةُ عند أبيه نُبَيه بن الأسود، وإياه يَعْنِي جَميلٌ بقوله:

لقد أنكحُوا جَهْلاً نُبَيهاً ظَعِينةً ... لَطِيفةَ طَيِّ الكَشْحِ ذاتَ شَوًى خَدْلِ[4]

ـ قال الزُّبَير وحدّثني أيضاً الأَسْباطُ بن عيسى بن عبد الجَبّار العُذْرِيّ أن جميل بنَ مَعْمَر خرج في يوم عيدٍ والنساء إذ ذاك يتزيَّنّ ويَبْدُو بعضُهن لبعض ويَبْدُون للرجال، وأن جميلاً وقف على بُثينة وأختها أمّ الجُسَير في نساء من بني الأَحَبّ وهنّ بناتُ عمّ عُبيدالله بن قُطْبة أخي أبيه لَحّاً[5]، فرأى منهنّ منظراً وأعجبنه وعشِق بُثَينةَ وقعد / معهنّ، ثم راح وقد كان معه فِتْيانٌ من بني الأحَبّ، فعلم انّ القوم قد عَرفوا في نظره حبَّ بُثَينة ووجَدوا عليه، فراح وهو يقول: [٩٩/٨]

(١) في حـ: «بعيض» بالعين المهملة.
(٢) كذا في حـ. وعرمتهن: أصابتهن بشر وأذى. وفي أ، ء، م: «فعرفتهن». وفي ب، س: «فعزفتهن» وكلاهما تحريف.
(٣) في حـ: «لأوّل» وفي ب هكذا: «الأول» وهو تحريف.
(٤) كذا في أ، ء، م والخدل: الممتلىء. وفي سائر الأصول: «جذل» وهو تصحيف.
(٥) لحا: لازقا. يقال: هو ابن عم لح بالكسر في النكرة على الاتباع، وهو ابن عمي لحا، بالنصب في المعرفة على الحال. والواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء. وشرطه الاتحاد في الذكورة أو الأنوثة. فلا يقال: هما ابنا خال لح، ولا ابنا عمة لح لأنهما مفترقان إذ هما رجل وامرأة. وإذا لم يكن العم لحا وكان رجلاً من العشيرة قلت: هو ابن عم الكلالة وابن عم كلالة. (راجع «لسان العرب» مادّة لحح).

عَجِـلَ الفِـراقُ ولَيْتَـه لـم يَعْجَـلِ وجـرتْ بـوادرُ دَمْعِـك المُتَهلِّـلِ
طَـرَباً وشـاقَـك مـا لَقِيتَ ولـم تَخَـفْ بَيْـنَ الحبيـبِ غـداةَ بُـرْقـةِ مِجْـوَلِ[1]
وعـرفـتَ أنـك حيـن رُحْـتَ ولـم يكـن بعـدُ اليقيـنُ وليـس ذاك بمُشْكِـلِ
لـن تَستطيـعَ إلـى بثينـة رَجْعـةً بعـد التفـرُّق دون عـامٍ مُقبِـلِ

قال: وإنّ بُثَينة لمّا أُخبرتْ أن جميلاً قد نسَب بها حلفَتْ بالله لا يأتيها على خَلَاءٍ إلاّ خَرَجتْ إليه ولا تَتوارى منه، فكان يأتيها عند غَفَلاتِ الرجال فيتحدّث إليها ومع أخواتها، حتى نُمِيَ إلى رجالها أنه يتحدّث إليها إذا خلا منهم، وكانوا أَصْلافاً غُيُراً ـ أو قال غَيَارَى ـ فرصَدوه بجماعةٍ نحوٍ من بِضْعةَ عَشَرَ رجلاً وجاء على الصَّهْباء[2] ناقتِه حتى وقف على بُثَينَة وأمّ الجُسَير وهما يحدّثانه وهو يُنْشِدُهما يومئذٍ:

حلفـتُ بـربِّ الـراقصـاتِ إلـى مِنًـى هُـوِيَّ القَطَـا يَجْتَـزْنَ بطـنَ دَفِيـنِ[3]
لقـد ظَـنَّ هـذا القلـبُ أن ليـس لاقيـاً سُلَيْمَـى ولا أمَّ الجُسَيْـرِ لحيـنِ
فليـت رجـالاً فيـكِ قـد نـذَرُوا دَمـي وهَمُّـوا بقَتْلـي يـا بُثَيـنَ لَقُـونـي

فبَيْنا هو على تلك الحال إذ وثَب عليه القومُ فرماهم بها فسبَقَتْ به وهو يقول:

إذا جمـعَ الإثنـانُ[4] جمعـاً رميتُهـم بـأركـانهـا حتـى تُخَلَّـى سبيلُهـا

فكان هذا أوّلَ سببِ المُهَاجاةِ بينه وبين عُبيدالله بن قُطْبة.

واعدته بثينة فمنعها أهلها فقرّعه نساء الحي، وشعره في ذلك: [٨/ ١٠٠]

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا بُهْلول بن سليمان عن مَشْيخةٍ من عُذْرة:

أنّ بُثَينة[5] واعدتْ جميلاً أن يلتقيَا في بعض المواضع فأتَى لوعدها. وجاء أعرابيٌّ يستضيف القومَ فأنزلوه وقَرَوْه؛ فقال لهم: قد رأيتُ في بطن هذا الوادي ثلاثةَ نَفَرٍ متفرّقين مُتَوارِين في الشجر، وأنا خائف عليكم أن يسلُبوا بعضَ إبلكم؛ فعرفوا أنه جميلٌ وصاحباه، فحرّسوا بُثَينة ومنعوها من الوفاء بوعده. فلما أَسْفر له الصبحُ انصرف كئيباً سيِّءَ الظنّ بها ورجع إلى / أهله؛ فجعل نساء الحيّ يُقَرِّعْنه بذلك ويقلن له: إنما حصلتَ منها على الباطل والكذب والغَدْر، وغيرُها أولى بوَصلك منها، كما أنّ غيرَك يحظَى بها. فقال في ذلك: ٨٢/٧

(١) كذا في «معجم البلدان» لياقوت و «شرح القاموس»، وذكر شارح القاموس أنه موضع. وفي الأصول: «برقة محول» بالحاء المهملة.
(٢) في جـ: «الشهباء».
(٣) دفين: اسم موضع كما في «شرح القاموس» (مادة دفن).
(٤) وردت هذه الكلمة في الأصول، ولعلها محرفة عن الشنان وهو البغض والعداوة.
(٥) ورد هذا الخبر في أ، ء، م، حـ هكذا: «... عن مشيخة من عذرة وبلى أن رهط بثينة نذروا دم جميل وسمعوا أنه قد أمسى بوادي القرى وهو يريد طريق مكة فخرج منهم ركبان فتقدموا فوجدوه على مضيق من الطريق بسند الوادي فأخذوا جانبي القرى بأخذه السيل وهو جهد ما يخرج منه الراحلة والشق بعض إبلكم... إلخ» وهو غير واضح.

صوت

أبُثَيْنَ إِنَّكِ قد مَلَكْتِ فأَسْجِحِي ... وخُذِي بحظك من كريمٍ واصلِ

فأجبتُها في القول بعد تَسَتُّرٍ ... حُبّي بثينةَ عن وِصَالِكِ شاغِلِي[1]

فلَرُبَّ عارضةٍ علينا وَصْلَها ... بالجِدِّ تَخْلِطه بقول الهازل

لو كان في صدري كقَدْرِ قُلامةٍ ... فَضْلاً وصلتُكِ أو أتتكِ رسائلي

ـ الغناء ليحيى المكّي ثقيل أوّل بالوسطى من رواية ابنه أحمد عنه ـ:

[١٠١/٨] / صوت

ويَقُلْنَ إنكَ قد رَضِيتَ بباطلٍ ... منها فهل لكَ في اْجتنابِ الباطلِ

ولَبَاطِلٌ ممّا أُحِبُّ حديثَه ... أشهَى إليّ من البَغيضِ الباذِلِ

لِيُزِلْنَ عنك هوايَ ثم يَصِلْنَني ... وإذا هَوِيتُ فما هوايَ بزائلِ

ـ الغناء لسُلَيم رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو، وذكر في نسخته الثانية أنه ليزيدِ حَوْراء. وروى حمّاد عن أبيه في أخبار ابن سُرَيج أنّ لابن سُرَيج فيه لحناً ولم يجنّسه ـ:

صادتْ فؤادي يا بُثَيْنَ حِبالُكُم ... يومَ الحَجُونِ وأخطأتْكِ حبائلي

مَنَّيْتِنِي فَلَوَيْتِ ما مَنَّيْتِني ... وجعلتِ عاجلَ ما وعدتِ كآجلِ

وتثاقلتْ لمّا رأت كَلَفِي بها ... أحْبِبْ إليّ بذاكَ من متثاقلِ

وأطعتِ فيَّ عواذِلاً فهجرتِني ... وعَصَيْتُ فيكِ وقد جَهَدْنَ عواذلي

حاوَلْنَني لأَبُتَّ حبلَ وِصالكم ... منّي، ولستُ وإن جَهَدْنَ بفاعلِ

فرددتُهن وقد سَعَيْنَ بهجرِكم ... لمّا سَعَيْنَ له بأَفْوَقَ ناصِلِ[2]

يَعْضَضْنَ من غيظٍ عليّ أناملاً ... ووَدِدْتُ لو يَعْضَضْنَ صُمَّ جَنادِلِ

ويقلنَ إنكِ يا بُثَيْنُ بخيلةٌ ... نفسي فداؤكِ من ضَنِينٍ باخلِ

قالوا: وقال جميل في وَعْد بثينةَ بالتّلاقي وتأخُّرِها قصيدةً أوّلها:

يا صاحِ عن بعض المَلامةِ أَقْصِرِ ... إنّ المُنَى لِلِقاءِ أُمِّ المِسْوَرِ

فمما يغنّى فيه منها قوله:

---

(١) كذا ورد ترتيب هذه الأبيات في أكثر الأصول. وورد في ب، س تقديم البيت الثاني على الأول. على أن سياق الشعر يقتضي أن يكون البيت الثالث في الوضع مكان الثاني والبيت الثاني مكان الثالث.

(٢) السهم الأفوق: الذي به ميل في فوقه أو انكسار في إحدى زنمتيه. والفوق (بالضم): مشق رأس السهم حيث يقع الوتر. وحرفاه زنمتاه. وناصل: لا نصل له. وفي الأصول: «ناضل» بالضاد المعجمة. والتصويب عن «تجريد الأغاني».

صوت

وكـأنّ طـارقَهـا علـى عَلَـل الكَـرَى والنجـمُ وَهْنـاً قـد دنـا لتَغـوُّرِ
يَسْتـافُ[1] ريـحَ مُـدَامـةٍ معجـونـةٍ بـذَكِـيِّ مِسْـكٍ أو سَحِيـقِ العَنْبَـرِ

[١٠٢/٨] / الغناء لابن جامع ثقيلٌ أوّل بالبنصر من رواية الهِشَاميّ. وذكر عمرو بن بانةَ أنه لآبن المكيّ.

ومما يغني فيه منها قوله:

صوت

[٨٣٠/٧] / إنّي لأحفـظُ غَيْبَكـم ويسـرُّنـي إذ تَـذْكُـرِيـنَ بصالـح أن تَـذْكُـري
ويكـون يـومٌ لا أرى لـكِ مُـرْسَـلاً أو نَلْتَقِـي فيـه علـيّ كـأشْهُـرِ
يـا ليتنـي ألقَـى المنيَّـةَ بغتـةً إن كـان يـومُ لقـائكـم لـم يُقْـدَرِ
أو أستطيـعُ تَجَلُّـداً عـن ذكـركـم فيُفِيـقَ[2] بعـضُ صبـابتـي وتَفَكُّـري

الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ رَمَل بالوسطى عن الهِشَاميّ. وفيه يقول:

لـو قـد تُجِـنّ كمـا أُجِـنّ مـن الهـوى لَعَـذَرْتَ أو لظلمـتَ إن لـم تَعْـذِرِ
والله مـا للقلـبِ مـن عِلْـم بهـا غيـرُ الظنـون وغيـر قـول المُخْبِـرِ
لا تحسَبـي أنّـي هجـرتُـكِ طـائعـاً حَـدَثٌ لعمـرُكِ رائـعٌ أن تُهْجَـري
فَلْتَبْكِيَـنَّ البـاكيـاتُ وإن أَبُـحْ يـومـاً بسـرِّكِ مُعْلِنـاً لـم أُعْـذَرِ
يهـواكِ مـا عشـتُ الفـؤادُ فـإن أَمُـتْ يَتْبَـعْ صَـدَايَ صـداكِ بيـن الأَقْبُـرِ

صوت

إنّـي إليـكِ بمـا وعـدتِ لنـاظـرٌ نظـرَ الفقيـرِ إلـى الغَنِـيّ المُكْثِـرِ
يَعِـدُ الـديـونَ وليـس يُنْجِـزُ مـوعـداً هـذا الغـريـمُ لنـا وليـس بمُعْسِـرِ
مـا أنـتِ والـوَعْـدَ الـذي تَعِـدِينَنـي إلاّ كبـرق سحـابـةٍ لـم تُمْطِـرِ
قلبـي نصحـتُ لـه فـرَدّ نصيحتـي فَمَتَـى هَجَـرْتِيـهِ فمنـه تَكَثَّـرِي[3]

[١٠٣/٨] / الغناء في هذه الأبيات لسُلَيم رَمَلٌ عن الهِشَاميّ. وفيه قدحٌ طُنبوريّ أظنّه لِجَحْظة أو لعليّ بن مودّة[4].

قالوا: وقال في إخلافها إياه هذا الموعدَ:

---

(١) يستاف: يشم.
(٢) في تزيين الأسواق (ص ٤٦): «فأفيق بعد صبابتي».
(٣) أي تكثري من الهجر واستزيدي.
(٤) في أ، د، م: «سودة».

صوت

أَلَا ليتَ رَيْعانَ الشبابِ جديدُ ... ودَهراً تولّى يا بُثَينَ يَعُودُ
فنَغْنَى[1] كما كنّا نكون وأنتمُ ... قريبٌ وإذ ما تَبذُلين زَهِيدُ

ويروى:

* وممّا لا يَزيد[2] بعيدُ *

وهكذا يغنّى فيه:

الغناء لسُلَيم خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى. ومما يغنّى فيه من هذه القصيدة:

صوت

أَلَا ليت شعري هل أَبيتنّ ليلةً ... بوادِي القُرَى إنّي إذاً لسَعِيدُ
وهل أَلْقَيَنْ فَرْداً بثينةَ مرّةً ... تَجُود لنا من ودّها ونَجُود
عَلِقتُ الهَوَى منها وليداً فلم يَزَلْ ... إلى اليوم يَنْمِي حُبُّها ويَزيد
وأفنيتُ عُمْرِي بانتظاريَ وَعْدَهَا ... وأبْليتُ فيها الدهرَ وهو جديدُ
فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً ... ولا حبُّها فيما يَبِيدُ يَبِيدُ

الغناء لمَعْبدٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى. ومما يغنّى فيه منها:

صوت

وما أَنْسَ مِ الأشياءِ لا أَنْسَ قولَها ... وقد قَرُبتْ بُصْرَى[3] أمصرَ تُرِيدُ
/ ولا قولَها لولا العيونُ التي تَرَى ... لزُرْتُكَ فاعذِرْني فَدَتْك جُدُودُ
خليليّ ما أَلْقَى من الوجد قاتِلي ... ودَمْعِي بما قلتُ الغَداةَ شَهِيدُ
يقولون جاهِدْ يا جميلُ بغَزوةٍ ... وأيَّ جهادٍ غيرَهنّ أُرِيدُ
لكلِّ حديثٍ بينهنّ بَشَاشةٌ ... وكلُّ قتيلٍ عندهنّ شَهِيدُ

[٨/١٠٤]
٨٤/٧

الغناء للغَرِيض خفيفُ ثقيلٍ من رواية حمّاد عن أبيه. وفي هذه القصيدة يقول:

إذا قلتُ ما بي يا بثينةُ قاتِلي ... من الحبّ قالت ثابتٌ ويَزِيدُ
يا جميلُ بغَزوةٍ ... وأيَّ جهادٍ غيرَهنّ أُرِيدُ
وإن قلتُ رُدّي بعضَ عقلي أَعِشْ به ... مع الناسِ قالت ذاكَ منكَ بعيدُ

---

(١) في تزيين الأسواق: «فنبقى».

(٢) كذا في الأصول. ولعله «ومما لا نريد» ليستقيم المعنى.

(٣) كذا في «الأمالي» لأبي علي القالي (جـ ١ ص ٢٧٢ طبع مطبعة دار الكتب المصرية). وفي الأصول: «وقد قربت نضوى». وقد وردت هذه القصيدة في «الأمالي» باختلاف في تقديم الأبيات وتأخيرها وفي بعض الكلمات.

ألا قـد أرَى واللهِ أن رُبَّ عَبْـرةٍ إذا الـدّارُ شَطَّـتْ بيننـا سَتَـرُودُ(١)

إذا فكَّـرتْ قـالـت قـد أدركـتُ ودَّه ومـا ضَـرَّنـي بُخْلِـي فكيـف أَجُـودُ

فلـو تُكْشَـفُ الأحْشـاءُ صُـودِفَ تحتَهـا لِبَثْنَـةَ حـبٌّ طـارِفٌ وَتَليـدُ

تُـذَكِّـرُنيهـا كـلُّ ريـحٍ مَـريضـةٍ لهـا بـالتِّـلاعِ القـاويـاتِ وَئيـدُ(٢)

وقـد تَلْتقِـي الأشْتَـاتُ بعـد تفـرُّقٍ وقـد تُـدْرَكُ الحـاجـاتُ وهـي بعيـدُ

عاتبته بثينة لشعر قاله فيها:

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثني عمر بن شَبّة عن إسحاق قال:

لقي جميلٌ بثينةَ بعد تهاجُرٍ كان بينهما طالت مدّتُه، فتعاتبا طويلاً فقالت له: وَيْحَكَ يا جميل! أتزعم أنك تَهْواني وأنت الذي تقول:

رمَـى اللهُ فـي عينـيْ بُثَينـةَ بـالقَـذَى وفـي الغُـرّ مـن أنيـابهـا بـالقَـوَادحِ!

فأطْرق طويلاً يبكي ثم قال: بل أنا القائلُ:

ألا لَيتَنِـي أَعْمَـى أصـمُّ تَقُـودُنِـي بثينـةُ لا يَخفَـى علـيّ كـلامُهـا

[٨/١٠٥] / فقالت له: وَيْحك! ما حملك على هذه المُنَى! أوَ ليس في سعةِ العافية ما كفانا جميعاً!.

تجسس أبوهما وأخوها كلامه مع بثينة فلم يريا ريبة:

قال إسحاق وحدّثني أيُّوب بن عَبَايَةَ قال:

سَعَتْ أَمَةٌ لبُثَيْنَة بها إلى أبيها وأخيها وقالت لهما: إن جميلاً عندها الليلةَ؛ فأتياها مشتملين على سيفين، فرأياه جالساً حَجْرةً منها يحدّثها ويشكو إليها بَثّهُ، ثم قال لها: يا بُثَينة، أرأيتِ وُدّي إياكِ وشَغَفِي بكِ ألاَ تَجْزِينيه؟ قالت: بماذا؟ قال: بما يكون بين المتحابّين. فقالت له: يا جميل، أهذا تَبْغِي! والله لقد كنتَ عندي بعيداً منه، ولئن عاودْتَ تعريضاً بريبةٍ لا رأيتَ وجهي أبداً. فضحك وقال: والله ما قلتُ لكِ هذا إلا لأعلمَ ما عندكِ فيه، ولو علمتُ أنك تُجِيبِينَنِي إليه لعلمتُ أنك تُجيبين(٣) غيري، ولو رأيتُ منكِ مساعدةً عليه لضربتُك بسيفي هذا ما اَستَمْسَكَ في يدي، ولو أطاعتني نفسي لهجرتُكِ هِجْرَةَ الأَبَدِ؛ أو ما سمعتِ قولي:

وإنِّـي لأرْضَـى مـن بُثَينَـةَ بـالـذي لـو أبْصَـرَه الـواشِـي لقـرّتْ بَـلابِلُـهْ

بـلاَ وبـأن لا أستطيـعَ وبـالمُنَـى وبـالأمـلِ المـرجـوِّ قـد خـاب آملُـهْ

وبـالنَّظْـرةِ العَجْلَـى وبـالحَـوْل تَنْقضِـي أواخِـرُه لا نَلْتَقِـي وأوائلُـهْ

$\frac{٨٥}{٧}$ قال فقال أبوها لأخيها: قُمْ بنا، فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها، / فأنصرفا وتركاها.

---

(١) ترود أي تذهب وتجيء، يريد تحير ماء العين فيها.

(٢) القاويات: الخاليات. والوئيد: الصوت العالي الشديد.

(٣) كانت هذه الكلمة في الأصول: «تحبين غيري».

قابلها مرة بسعي صديق له:

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيُّوبَ بن عَبَايةَ عن رجل من عُذْرة قال:

كنتُ تِرْباً لجميل وكان يَأْلَفُني، فقال لي ذاتَ يوم: هل تساعدني على لقاء بُثينة؟ فمضيتُ معه، فكَمن لي في الوادي وبعَث بي إلى راعي بُثينة بخاتَمه، فدفعتُه / إليه، فمضى به إليها ثم عاد بمَوْعِد منها إليه. فلما كان الليلُ [١٠٦/٨] جاءته فتحدّثا طويلاً حتى أَصْبحا ثم ودّعها وركب ناقته. فلما استوَى في غَرْزِها[١] وهي باركةٌ قالت له: ادْنُ منّي يا جميل[٢].

صوت

إنّ المنـــازل هيَّجـــتْ أَطْـــرابِـــي	واْستَعجمَـــتْ آيـــاتُهـــا بجَـــوابِـــي
قَفْـــراً تَلُـــوح بـــذي اللُّجَيـــن كـــأنهـــا	أَنْضَـــاءُ رَسْـــمٍ أو سُطـــورُ كتـــابِ
لمـــا وَقَفْـــتُ بهـــا القَلُـــوصَ تبـــادرتْ	منّـــي الـــدمـــوعُ لفُـــرْقـــة الأحبـــابِ
وذكـــرتُ عصـــراً يـــا بثينـــةُ شـــاقَنِـــي	وذكـــرتُ أيّـــامِـــي وشَـــرْخَ شبـــابِـــي

الغناء في هذه الأبيات للهُذَلِيّ ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أرسل كثيراً إلى بثينة ليستجدّ منها موعداً:

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق الموصليّ عن السَّعِيديّ، وأخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال حدّثنا أبو مالكٍ النَّهْدِيّ قال:

جلس إلينا كثيّر ذاتَ يوم فتذاكرْنا جميلاً؛ فقال: لقيني مرّةً فقال لي: من أين أقبلت؟ قلتُ: من عند أبي الحبيبة (أعني بثينة). فقال: وإلى أين تمضي؟ قلت: إلى الحبيبة (أعني عَزّة). فقال: لا بدّ من أن ترجع عَوْدك على بَدْئك فتستجدّ لي موعداً من بُثَينة. فقلت: عهدي بها الساعةَ وأنا أستحيي أن أَرجِع. فقال: لا بدّ من ذلك. فقلت له: فمتى عَهْدُك ببُثينة؟ فقال: في أوّل الصيد وقد وقعتْ سحابةٌ بأسفل وادي[٣] الدَّوْم فخرجتْ ومعها جاريةٌ لها تَغْسِل ثيابَها[٤]؛ فلما أبصرتْني / أنكرتْني، فضربتْ بيديها إلى ثوب في الماء فالتَحفتْ به، وعرَفتْني الجارية، [١٠٧/٨] فأعادت الثوب في الماء، وتحدّثنا حتى غابتْ الشمس. وسألتُها الموعد فقالت: أهلي سائرون؛ وما وجدتُ أحداً آمَنُه فأُرسلَه إليها. فقال له كُثيِّر: فهل لك في أن آتيَ الحيّ فأَنْزِعَ[٥] بأبياتٍ من شعرٍ أذكرُ فيها هذه العَلَامة إن لم أقدر على الخَلْوة بها؟. قال: ذلك الصوابُ، فأرسله إليها؛ فقال له: انتظرْني ثم خرج كثيّر حتى أناخ بهم. فقال له أبوها: ما رَدّكَ؟ قال: ثلاثةُ أبياتٍ عرَضتْ لي فأحببتُ أن أعرِضها عليكَ. قال: هاتِها. قال كثيّر: فأنشدته وبُثَينةُ تسمَع:

---

(١) الغرز: ركاب الرحل من جلد، فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب.

(٢) الكلام هنا ناقص.

(٣) وادي الدوم: واد معترض من شمالي خيبر إلى قبلها، وهو يفصل بين خيبر والعوارض.

(٤) في جـ: «ثياباً».

(٥) نزع الشعر: تمثل به

فقلتُ لها يا عزّ أرسلُ صاحبي إليكِ[1] رسولاً والمُوكَّلُ مُرْسَلُ
بأن تجعلي بيني وبينكِ موعِداً وأنْ تأمُريني ما ٱلذي فيه أفعلُ
وآخِرُ عهدي منكِ يومَ لقيتِني بأسفلِ وادي الدَّوْمِ والثوبُ يُغْسَلُ

قال: فضربتْ بُثَينة جانبَ خِدْرها وقالت: إخْسَأ إخْسَأ! فقال أبوها: مَهْيَمْ[2] يا بُثَينة؟ قالت: كلبٌ يأتينا إذا نَوَّم الناسُ من وراء الرَّابية. ثم قالت للجارية: ابْغِينَا من الدَّوْماتِ حطباً / لنذبَح لكثيِّر شاةً ونشويَها له. فقال كثيِّر: أنا أعجَلُ من ذلك. وراح إلى جميلٍ فأخبره. فقال له جميل: الموعدُ الدَّوْماتُ. وقالت لأم الحسين ولَيْلَى ونُجَيّا بناتِ خالتها وكانت قد أَنِسَتْ إليهنّ وٱطمأنَّتْ بهنّ: إني قد رأيتُ في نحو نشِيد كثيِّر أن جميلاً معه. وخرج كثيِّر وجميلٌ حتى أتَيَا الدَّوْماتِ، وجاءت بُثَينة ومن معها، فما برِحوا حتى بَرَق الصبحُ. فكان كثيِّر يقول: ما رأيت مجلساً قطُّ أحسنَ من ذلك ولا مثل عِلم أحدهما بضمير الآخر! ما أَدْرِي أيُّهما كان أَفْهَمَ!

[١٠٨/٨] / وصف صالح بن حسان بيتاً من شعره:

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا الخَليل بن أَسَد قال حدّثنا العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ، وأخبرني عمّي عن الكُرَانيّ عن العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال قال لي صالح بن حَسّان:

هل تعرف بيتاً نصفُه أعرابيٌّ[3] في شَمْلة وآخرُه مخنَّثٌ من أهل العَقيق يتقصف تقصُّفاً؟ قلتُ: لا. قال: قد أجَّلْتُك حَوْلاً. قلتُ: لا أَدْرِي ما هو! فقال قولُ جميل:

* ألا أيّها النُّوّامُ وَيْحكُمُ هُبُّوا *

كأنه أعرابيّ في شَمْلة. ثم أدركه ما يدرك العاشقَ فقال:

* أسائلُكم هل يقتُل الرجلَ الحبُّ *

كأنه من كلام مُخنّثِي العَقيق.

أهدر السلطان لأهل بثينة دمه إن لقيها وما كان منه بعد ذلك:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير بن حَرْب قال أخبرنا عبدالله بن أبي كَريم عن أبي عمرو وإسحاقَ بن مَرْوان قال[4]:

عشق جميلٌ بثينة وهو غلام، فلما بلغ خطَبها فمُنع منها، فكان يقول فيها الأشعارَ، حتى اشتهرَ وطُرِد، فكان يأتيها سِرّاً ثم تزوّجت فكان يزورها في بيت زوجها [في الحين] خُفْيَة إلى أن استُعمل دَجَاجةُ بن رِبْعِيّ على وادي القُرَى فشكوْه إليه فتقدّم إليه ألاّ يُلِمّ بأبياتها وأَهْدَر دمَه لهم إن عاود زيارتَها، فٱحتَبس حينئذ.

---

(١) رواية «الأمالي» لأبي علي القالي (ج ٣ ص ٢٣١ طبع دار الكتب المصرية):
على نأي دار والرسول موكل

(٢) مهيم: كلمة يمانية ومعناها: ما أمرك، وما شأنك، وما الذي أرى بك؟ ونحو هذا من الكلام.

(٣) كذا وردت هذه العبارة في «الأغاني» فيما يأتي في هذه الترجمة (ص ١١٨). ووردت في ب، س هنا: «هل تعرف نصف بيت أعرابي في شملة ونصف مخنث... إلخ» وفي سائر الأصول: «... بيت أعرابي في شملة ونصفه مخنث... إلخ».

(٤) لعله «قالا».

أخبرني أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدّثنا أحمد بن أبي العَلاَء قال حدّثني إبراهيم الرَّمّاح قال حدّثنا جابر أبو العَلاَء التَّنُوخيّ قال:

/ لما نذَر أهلُ بُثَينة دمَ جميل وأهدَره لهم السلطان ضاقت الدنيا بجميل، فكان يَصْعَد بالليل على قُورٍ[1] رملٍ [١٠٩/٨] يتنسّم الريحَ من نحو حَيّ بُثَينة ويقول:

أيـا ريـحَ الشَّمـالِ أمـا تَـرَيْنِـي ... أَهِيـمُ وأنّنـي بـادِي النُّحُـولِ

هَبِـي لـي نَسْمـةً مـن ريـح بَثْـنٍ ... ومُنِّـي بـالهُبُـوب إلـى جَميـلِ

وقـولـي يـا بُثَينـةُ حَسْـبُ نَفْسِـي ... قليلُـك أو أقـلُّ مـن القليـلِ

فإذا بدا وَضَحُ الصبح أنصرف. وكانت بثينة تقول لجَوَارٍ من الحيّ عندها: وَيْحَكنّ! إني لأسمع أَنِينَ جميل من بعض القِيرَانِ! فيقلن لها: اتَّقِي الله! فهذا شيء يخيِّله لك الشيطانُ لا حقيقةَ له.

تذاكر هو وكثير شعريهما في العشق وبكيا:

حدّثني أحمد بن عَمّار قال حدّثني يعقوب بن نُعَيم قال حدّثني أحمد بن يَعْلَى قال حدّثني سُوَيد بن عِصَام قال حدّثني رَوْح أبو نعيم[2] قال:

التقى جميلٌ وكثيرٌ فتَذاكرا النَّسيب؛ فقال كثيِّر: يا جميل، أترى بُثَينة لم تسمع بقولك:

يقِيـكِ جميـل كـلَّ سُـوءٍ، أمـا لـه ... لـديـكِ حـديـثٌ أو إليـكِ رسـولُ

وقـد قلـتُ فـي حبِّـي لكـم وصَبَـابتـي ... مَحَـاسِـنَ شعـرٍ ذِكْـرُهـنّ يَطُـول

/ فـإن لـم يكـن قـولـي رضـاكِ فَعَلِّمِـي ... هُبـوبَ الصَّبَـايـا بَثْـن كيـف أقـولُ

فمـا غـاب عـن عينـي خيـالُـكِ لحظـةً ... ولا زال عنهـا، والخيـالُ يَـزُول

فقال جميل: أترى عَزَّة قد حال يا كثيِّر لم تسمع بقولك:

يقـول العِـدَا يـا عَـزّ قـد حـال دونكـم ... شجـاعٌ علـى ظهـر الطـريـق مُصَمِّـمُ

فقلـتُ لهـا واللهِ لـو كـان دونكـم ... جهنّـمُ مـا راعـتْ فـؤادِي جهنّـمُ

/ وكيـف يَـرُوع القلـبَ يـا عـزّ رائـعٌ ... ووجهـك فـي الظَّلْمـاء للسَّفْـر مَعْلَـمُ [١١٠/٨]

ومـا ظلَمْتـكِ النفسُ يـا عَـزّ فـي الهـوى ... فـلا تَنْقِمِـي حبِّـي فمـا فيـه مَنْقَـمُ

قال: فبكيا قطعةً من الليل ثم أنصرفا.

واعد بثينة وعرف ذلك أهلها فلم تذهب:

وقال الهيثم بن عديّ ومن ذكَر روايتَه معه من أصحابه:

زار جميلٌ بُثَيْنَةَ ذاتَ يومٍ، فنزل قريباً من الماء يترصّد أَمَةً لها أو راعية؛ فلم يكن نزولُه بعيداً من ورود أَمَة حبشيّة معها قِرْبةٌ، وكانت به عارفةً وبمَا[3] بينها وبينه. فسلَّمتْ عليه وجلست معه، وجعل يحدِّثها ويسألها عن

---

(١) القور: الآكام العظيمة، واحدها قارة.

(٢) في حـ: «روح بن نعيم».

(٣) في الأصول: «لما» بالام.

أخبار بُثَيْنة ويحدِّثها بخبره بعدها ويُحَمِّلُها رسائلَه. ثم أعطاها خاتَمه وسألها دَفْعَه إلى بُثَيْنة وأخْذَ موعدٍ عليها، ففعلتْ وانصرفتْ إلى أهلها وقد أبطأتْ عليهم. فلقيها أبو بُثَيْنة وزوجُها وأخوها فسألوها عما أَبْطأ بها، فالتوتْ عليهم ولم تُخبرهم وتعلَّلتْ؛ فضربوها ضرباً مبرِّحاً؛ فأعلمتْهم حالَها مع جميل ودفعتْ إليهم خاتَمه. ومرّ بها في تلك الحال فَتَيانِ من بني عُذْرة فسمعا القصّة كلّها وعرَفا الموضعَ الذي فيه جميل، فأحبّا أن يُثَبِّطا عنه فقالا للقوم: إنكم إن لقيتُم جميلاً وليست بُثَينة معه ثم قتلتُموه لزمكم في ذلك كلُّ مكروه؛ وأهلُ بُثَينة[1] أعزُّ عُذْرة، فدَعُوا الأَمَةَ تُوَصِّل خاتَمه إلى بُثَينة، فإذا زارها بَيَّتُّموهما جميعاً؛ قالوا: صدَقتما لعَمْرِي إنّ هذا الرأيُ. فدفعوا الخاتم إلى الأَمَةَ وأمروها بإيصاله وحذَّرُوها أن[2] تُخبر بثينَة بأنهم علِموا القِصّة، ففعلتْ. ولم تعلم بثينةُ بما جرَى. ومضى الفَتَيانِ فأنذرا جميلاً؛ فقال: واللهِ ما أَرْهَبهم، وإن في كِنانتي ثلاثين سهماً والله لا أخطأ كلُّ واحد منها رجلاً منهم، وهذا سيفي والله ما أنا به رَعِشُ اليد ولا جَبَانُ الجَنَان. فناشداه اللهَ وقالا: البقية[3] أصلح، فتُقيم عندنا في بيوتنا حتى / يَهْدأ الطلب، ثم نبعثُ إليها فتزورُك وتَقْضِي من لقائها وَطَراً وتنصرفُ سليماً غير مُؤَبَّن[4]. فقال أمّا الآنَ فابعثا إليها من يُنذرها؛ فأتياه براعيةٍ لهما وقالا له: قُلْ بحاجتك؛ فقال: ادخلي إليها وقُولِي لها: إني أردتُ اقتناصَ ظبي فحذَره ذلك جماعةٌ اعْتَوَرُوه من القُنّاص ففاتَنِي الليلةَ. فمضتِ فأعلمتْها ما قال لها؛ فعرَفتْ قصّتَه وبحثتْ عنها فعرفتْها؛ فلم تخرج لزيارته تلك الليلةَ ورصَدوها فلم تَبْرَحْ مكانَها ومَضَوْا يَقْتَصُّون أثرَه فرأَوْا بعرَ ناقته فعرفوا أنه قد فاتهم، فقال جميل في ذلك: [١١١/٨]

خليلَيّ عُوجَا اليومَ حتى تسلِّما ... على عَذْبةِ الأنيابِ طيِّبةِ النَّشْرِ
أَلِمَّا بها ثم اشفَعا لي وسلِّما ... عليها سقاها اللهُ من سَبَلِ[5] القَطْرِ[6]

***

إذا ما دَنَتْ زِدْتُ اشتياقاً وإن نأت ... جَزِعْتُ لنَأْيِ الدار منها وللبُعْدِ
/ أَبَى القلبُ إلا حبَّ بَثْنةَ لم يُرِدْ ... سِواها وحبُّ القلبِ بَثْنةَ لا يُجْدِي [٨٨/٧]

قال: وقال أيضاً: ومن الناس من يُضيف هذه الأبياتَ إلى هذه القصيدة؛ وفيها أبياتٌ معادةُ القَوافِي تدلّ على أنها مفردةٌ عنها، وهي:

---

(١) كذا في جمع الأصول. والأحرى بهذه الجملة أن تكون: «وأهل جميل إلخ».
(٢) في الأصول: «بأن».
(٣) البقية كالبقيا وهي أن تبقى على عدوّك ولا تستأصله.
(٤) غير مؤبن: غير معيب. يريد لم تصب بمكروه. وفي «مختصر الأغاني»: «غير موتور».
(٥) في ب، س «من سائغ القطر».
(٦) كذا في الأصول التي بين أيدينا. ويلاحظ أنّ الكلام ها هنا مقتضب، إذ لا اتصال بين الشعر الذي قافيته راء والشعر الذي قافيته دال. وورد في مختصر الأغاني بعد هذين البيتين اللذين قافيتهما راء ثلاثة الأبيات الآتية، وهي من أبيات سيوردها المؤلف قريباً في ص ١٥٠.

وبوحا بذكري عند بثنة وانظرا ... أترتاح يوماً أم تهش إلى ذكرى
هي البدر حسناً والنساء كواكب ... وشتان ما بين الكواكب والبدر
لقد فضلت ليلى على الناس مثل ما ... على ألف شهر فضلت ليلة القدر

أَلَـم تَسْـأَلِ الـدارَ القـديمـةَ هـل لهـا ... بـأُمِّ جُسَيْـرٍ بعـد عهـدكَ مـن عهـد

وفيها يقول:

[١١٢/٨] / صـوت

سَلِـي الـرَّكْـبَ هـل عُجْنَـا لِمَغْنَـاكِ مَـرَّةً ... صـدورَ المطايـا وهـي مُـوقَـرَةٌ تَخْـدِي

وهـل فـاضـتِ العيـنُ الشَّـرُوقُ بمـائهـا ... مِنَ أَجْلِكِ حتى اخْضَلَّ من دمعها بُرْدِي

الغناء لأحمد بن المكيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى: ـ

وإنِّـي لأَسْتَجْـرِي لـكِ الطيـرَ جـاهـداً ... لتجـري بيُمْـنٍ مـن لقـائِـك مـن[1] سعـد

وإنِّـي لأَسْتَبْكِـي إذا الـركـبُ غَـرَّدُوا ... بذكراكِ أن يحيا بكِ الركبُ إذ يَخْدِي[2]

فهـل تَجْـزِيَنِّـي أُمُّ عمـرٍو بـودِّهـا ... فـإنَّ الـذي أُخْفِـي بهـا فـوقَ مـا أُبْـدِي

وكـلُّ محـبٍّ لـم يَـزِدْ فـوقَ جَهْـدِه ... وقـد زدتُهـا فـي الحبِّ منِّي على الجَهْدِ

قصته مع أم منظور وقد أبت عليه أن تريه إياها:

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمر بن إبراهيم وغيره وبُهْلول بن سليمان البَلَوِيّ:

أنّ رهط بُثَينة ائتمنوا عليها عجوزاً منهم يَثِقُون بها يقال لها أُمّ منظور. فجاءها جميل فقال لها: يا أُمَّ منظور، أَرِيني بثينةَ. فقالت: لا! والله لا أفعل، قد ائتمنوني عليها. فقال: أَمَا والله لأَضُرَّنَّكِ؛ فقالت: المَضَرَّةُ والله في أن أُرِيكَها. فخرج من عندها وهو يقول:

مـا أَنْـسَ لا أَنْـسَ منهـا نظـرةً سَلَفَـتْ ... بـالحِجْـرِ[3] يـومَ جَلَتْهـا أُمُّ منظـورِ

ولا انسِـلاَبَتَهـا[4] خُـرْسـاً جبـائـرُهـا ... إلـيَّ مـن سـاقِـط الأَوْرَاقِ[5] مستـور

/ قال: فما كان إلاّ قليلٌ حتى انتهى إليهم هذان البيتان. قال: فتعلّقوا بأُمّ منظور فحلَفَتْ لهم بكلّ يمينٍ فلم يقبلوا [١١٣/٨] منها. هكذا ذكَر الزُّبير بن بكّار في خبر أُمّ منظور، وقد ذُكر فيه غير ذلك.

استدعى مصعب أم منظور وسألها عن قصتها مع جميل وبثينة:

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال حدّثني العُمَرِيّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ، وأخبرني به ابنُ أبي الأزهر عن حَمّاد عن أبيه عن الهَيْثَم بن عَدِيّ:

---

(١) لعله «أو سعد».

(٢) في حـ: «إذ تخدّى». وفي م، ء: «أو تحدى»، وفي ب، س: «إذ تحدى».

(٣) الحجر: اسم موضع.

(٤) كذا في حـ و «مختصر الأغاني»: وانسلب في الأصل: أسرع، كأنه لسرعته يخرج من جلده، وهو في الأصل أكثر ما يستعمل في الناقة. والجبائر: الأساور، يريد تسللها إليه خفية في سرعة. وفي سائر الأصول: «استلابتها».

(٥) كذا في حـ. والأرواق: الفساطيط. يقال: ضرب فلان روقه بموضع كذا إذا نزل له كما يقال: ضرب خيمته. وفي سائر الأصول: «الأوراق» وهو تحريف.

أن رجلاً أنشد مُصْعَبَ بنَ الزُّبَير قولَ جميل:

مـا أنْـسَ لاَ أنـسَ منهـا نظـرةً سلَفـتْ   بـالحِجْـرِ يـومَ جَلَتْهـا أُمُّ منظـورِ

فقال: لوددْتُ أنّي عرفتُ كيف جَلَتْها. فقيل له: إن أم منظور هذه حَيّة. فكتب في حَمْلِها إليه مكرَّمة فحُمِلَتْ إليه. فقال لها: أخبريني عن قول جميل:

مـا أنْـس لا أنْـس منهـا نظـرةً سلَفـتْ   بـالحِجْـرِ يـومَ جَلَتْهـا أُمُّ منظـور

كيف كانت هذه الجَلْوة؟ قالت[1]: ألبستُها قِلادةَ بَلَح ومِخْنَقةَ بَلَح واسطتُها تفّاحةٌ، وضفرتُ شعرَها وجعلت في فَرْقِها شيئاً من الخَلُوق. ومَرّ بنا جميلٌ راكباً ناقته فجعل ينظر إليها بمُؤَخّرِ عينه ويلتفت إليها حتى غاب عنا. فقال لها مُصْعَب: فإنّي أُقسِم عليكِ / إلاّ جَلَوْتِ عائشةَ بنت طَلْحة مثلَ ما جَلَوْتِ بثينةَ، ففعلتْ: وركب مُصْعَبٌ ناقته وأقبل عليهما وجعل ينظر إلى عائشة بمُؤَخّر عينِه ويسير حتى غاب عنهما ثم رجع. ٨٩/٧

زارها مرة متنكراً في زي سائل:

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني بُهْلول عن بعض مشايخه:

أنّ جميلاً جاء إلى بُثينة ليلةً وقد أخذ ثيابَ راعٍ لبعض الحَيّ، فوجد عندها ضِيفاناً لها، فأنتَبَذ ناحيةً، فسألتْه: من أنت؟ فقال: مسكينٌ مُكَاتَب[2]، فجلس / وحدَه، فعَشّتْ ضِيفانَها وعشّتْه وحدَه. ثم جلستْ هي وجاريةٌ لها على صِلائهما واضطَجع القومُ مُنْتَحِين. فقال جميلٌ: [٨/١١٤]

واعدته مرة وأحس أهلها فمنعوها فقال في ذلك شعراً:

هـل البـائـسُ المَقْـرورُ دانٍ فمُصْطَـلٍ   مـن النـار أو مُعْطًـى لِحـافـاً فـلابـسُ

فقالت لجاريتها: صوتُ جميلٍ واللهِ! اذهبي فانظري!. فرجعتْ إليها فقالت: هو والله جميل! فشهَقت شَهْقةً سمعها القومُ فأقبلوا يَجْرُون وقالوا مالكِ؟ فطرحتْ بُرْداً لها من حِبَرَةٍ في النار وقالت: احترق بُرْدِي، فرجع القومُ. وأرسلتْ جاريتَها إلى جميل، فجاءتها به، فحبستْه عندها ثلاثَ ليالٍ، ثم سلَّم عليها وخرج.

وقال الهَيْثَمُ وأصحابه في أخبارهم:

كانت بُثَينة قد واعدتْ جميلاً للالتقاء في بعض المواضع، فأتَى لوَعْدها. وجاء أعرابيٌّ يَسْتضيف القومَ فأنزلُوه وقَرَوْه، فقال لهم: إني قد رأيت في بطن هذا الوادي ثلاثةَ نَفَرٍ متفرّقين مُتَوارِينَ في الشجر وأنا خائفٌ عليكم أن يَسُلّوا[3] بعضَ إبِلكم. فعرفوا أنه جميلٌ وصاحباه، فحَرسوا بثينةَ ومنعوها من الوفاء بوعده. فلما أسْفَر له الصبحُ انصرف كئيباً سَيِّىء الظنّ بها ورجَع إلى أهله، فجعل نساءُ الحيِّ يُقَرِّعْنَه بذلك ويقلن له: إنما حصَلْت منها على الباطل والكذب والغدر، وغيرُها أولى بوَصْلك منها، كما أن غيرك يَحْظَى بها. فقال في ذلك:

أبُثَيْـنَ إنـكِ قـد مَلَكْـتِ فـأَسْجِحِـي   وخُـذِي بحظِّـكِ مـن كـريـم واصـلِ

---

(١) في الأصول: «قال» وهو تحريف.

(٢) المكاتبة: أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجماً، فإذا أداه صار حراً.

(٣) السل: انتزاع الشيء واغتصابه.

صوت

فلَــرُبَّ عـــارِضَــةٍ علينــا وصلَهـــا ... بـــالجِــدِّ تَخْلِطُــه بقـــول الهــازِلِ

فـــأجبتُهـــا بـــالقـــول بعـــد تستُّـــرٍ ... حُبِّـي بثينــةَ عـــن وصـــالـكِ شـــاغلـي

/ لـــو كـــان فـــي قلبـي كقَــدْر قُـلامَــةٍ ... فضــلاً وصلتُــك أو أتتْــكِ رســائلــي [٨/١١٥]

ـ الغناء ليحيى المكّيّ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من رواية أحمد ـ

ويَقُلْــنَ أنــكَ قــد رضيــتَ بيــاطــلٍ ... منهــا فهــل لــك فــي أجتنــاب البــاطــلِ

ولبـــاطـــلٌ ممّـــن أحـــبُّ حـــديثَـــه ... أشهَـــى إلـــيّ مـــن البَغيــض البــاذلِ

الغناء لسُلَيم رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو. وذكر عمر أنه ليَزيدِ حَوراء.

قصته مع بثينة وقد علم زوجها بمقامه معها وما قيل في ذلك من الشعر:

وذكر الهَيْثَم بن عَدِيّ وأصحابُه أن جماعةً من بني عُذْرة حَدّثوا أن جميلاً رصد بثينةَ ذاتَ ليلةٍ في نُجْعةٍ لهم، حتى إذا صادف منها خَلْوةً سكِر ودنا منها وذلك في ليلةٍ ظَلماءَ ذاتِ غَيْم وريح ورعد، فحذَفها بحَصَاةٍ فأصابت بعضَ أترابها، ففزِعتْ وقالت: والله ما حذَفَني في هذا الوقت بحصاةٍ إلا الجنُّ! فقالت لها بثينةُ وقد فطِنَتْ: إن جميلاً فعل ذلك فانصرِفي ناحيةً إلى منزلكِ حتى تنام، فانصرفتْ وبقيتْ مع بُثَينةَ أُمّ الجُسَيْر وأُمُّ منظور، فقامت إلى جميل / فأدخلته الخِباءَ معها وتحدثْنا طويلاً، ثم أضطجع وأضطجعتْ إلى جَنْبه فذهَب النومُ بهما حتى أَصْبحا وجاءها غلامُ زوجِها بصَبُوح من اللبن بعث به إليها، فرآها نائمةً مع جَميل، فمضَى لوجهه حتى خبَّر سيِّدَه. ورأته لَيْلَى والصَّبُوحُ معه وقد عَرفتْ خبرَ جميلٍ وبُثَينة فاستوقفته كأنها تسأله عن حاله وبعَثتْ بجارية لها وقالت حذِّري بثينةَ وجميلاً، فجاءت الجاريةُ فنبَّهتْهما. فلما تبيّنتْ بثينةُ الصبحَ قد أضاء والناسَ منتشرين أرتاعتْ وقالت: يا جميلُ! نفسَك نفسَك! فقد جاءني غلامُ نُبَيهٍ بصَبُوحِي من اللبن فرآنا نائمينْ! فقال لها جميل وهو غير مكترثٍ لما خوّفَتْه منه: ٩٠/٧

لعَمْـــرُكِ مـــا خَـــوَّفتِنـــي مـــن مَخـــافـــةٍ ... بُثَيْـــن ولا حَـــذَّرْتِنـــي مـــوضـــعَ الحَـــذَرْ

فـــأُقسِـــمُ لا يُلْفَـــى لـــيَ اليـــومَ غِـــرَّةً ... وفـــي الكَـــفِّ منّـــي صـــارمٌ قـــاطـــعٌ ذَكَـــرْ

/ فأقسمتْ عليه أن يُلْقِيَ نفسَه تحت النَّضَد[1] وقالت: إنما أسألك ذلك خوفاً على نفسي من الفضيحة لا خوفاً عليك، ففعل ذلك ونامت كما كانت، وأضطَجعتْ أُمّ الجُسَير إلى جانبها وذهبتْ خادمُ لَيْلَى إليها فأخبرتْها الخبرَ فتركتِ العبدَ يمضي إلى سيِّده فمضَى والصَّبُوح معه وقال له: إني رأيتُ بُثَينة مُضْطَجِعةً وجميلٌ إلى جَنبها. فجاء نُبَيه إلى أخيها وأبيها فأخذ بأيديهما وعرَّفهما الخبرَ وجاءوا بأجمعهم إلى بُثَينة وهي نائمة فكشَفوا عنها الثوبَ فإذا أمُّ الجُسَير إلى جانبها نائمة. فخجِل زوجُها وسَبَّ عبدَه وقالت لَيْلَى لأخيها وأبيها: قبحكما اللهُ! أفي كلِّ يوم تَفْضَحان فَتاتَكما ويَلْقاكما هذا الأعور فيها بكلِّ قبيح! قبحه اللهُ وإياكما! وجعَلا يَسُبّان زوجَها ويقولان له كلَّ قول قبيح. وأقام جميلٌ عند بثينةَ حتى أجَنّه الليلُ ثم ودَّعها وأنصرف. وحذِرَتْهم بُثَينةُ لِمَا جَرَى من لقائه إيّاها فتَحامَتْه مدّةً، فقال في ذلك: [٨/١١٦]

(١) النضد: متاع البيت المنضود بعضه فوق بعض.

صوت

أأن هتفتْ ورقاءُ ظَلْتَ سَفاهةً ... تُبَكّي على جُمْلٍ لِوَرْقاءَ تَهْتِفُ

فلو كان لي بالصرم يا صاحِ طاقةٌ ... صَرمتُ ولكنّي عن الصرم أضعفُ

للهُذَليّ في هذين البيتين لحنان أحدهما ثقيلٌ أوّلُ بالسّبابة في مجرى البِنْصَر عن إسحاق، والآخر خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو، وذكَر غيرُه لابن جامع. وفيه لبَذْل الكُبْرَى خفيف ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر عن أحمد بن المَكّي. ومما يغنّى فيه من هذه القصيدةِ قولُه:

[١١٧/٨] / صوت

لها في سَوَاد القلب بالحُبّ مَيْعةٌ[1] ... هي الموتُ أو كادتْ على الموت تُشْرِفُ

وما ذكرْتُكِ النفسُ يا بُثْنَ مرّةً ... من الدهر إلا كادتِ النفسُ تَتْلَفُ

وإلاّ اعترتْني زَفْرةٌ واستكانةٌ ... وجادَ لها سَجْلٌ من الدمع يَذْرِفُ

وما استطرفتْ نفسي حديثاً لخُلّةٍ ... أُسَرُّ به إلا حديثُكِ أطرَفُ

الغناء لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطَى عن الهِشَاميّ. وأوّل هذه القصيدة:

٩١/٧ / أمِنْ منزلٍ قَفْرٍ تَعَفَّتْ رُسُومُه ... شَمَالٌ تُغَادِيه ونَكْباءُ[2] حَرْجَفُ

فأصبح قَفْراً بعد ما كان آهِلاً ... وجُمْلُ المُنَى تَشْتُو به وتُصَيِّفُ

ظَلِلتُ ومُسْتَنٌّ[3] من الدمع هامِلٌ ... من العينِ لما عُجْتُ بالدّارِ يَنْزِفُ

أمُنْصِفَتي جُمْلٌ فتَعْدِلَ بيننا ... إذا حكمتْ والحاكمُ العَدْلُ يُنْصِفُ

تعلّقْتُها والجسمُ منّي مصحَّحٌ ... فما زال يَنْمِي حُبُّ جُمْلٍ وأضعُفُ

إلى اليومِ حتى سَلّ جسمي وشَفّني ... وأنكرتُ من نفسي الذي كنت أعرِفُ

قَنَاةٌ من المُرّانِ[4] ما فوقَ حَقْوِها ... وما تحتَه منها نَقاً يتقصّفُ

لها مُقْلَتا رِيمٍ وجِيدُ جِدَايةٍ[5] ... وكَشْحٌ كطَيّ السابِرِيّةِ[6] أهْيَفُ

ولستُ بناسٍ أهلَها حينَ أقبلُوا ... وجالُوا علينا بالسيوفِ وطَوّفُوا

[١١٨/٨] / وقالوا جَميلٌ بات في الحَيّ عندها ... وقد جَرّدوا أسيافَهم ثم وَقّفُوا

---

(١) كذا في «منتهى الطلب في أشعار العرب» نسخة مخطوطة محفوظة بالدار (تحت رقم ٥٣ أدب ش) وفي الأصول: «منعة» بالنون.

(٢) النكباء: الريح التي انحرفت عن مهب الرياح القوّم ووقعت بين مهب ريحين أو بين الصبا والشمال. والحرجف: الباردة الشديدة الهبوب.

(٣) مستن: منصب.

(٤) رواية «منتهى الطلب»: «صيود كغصن البان ما فوق حقوها» والمران. الرماح.

(٥) الجداية: الذكر والأنثى من أولاد الظباء إذا بلغت ستة أشهر.

(٦) السابري: الرقيق من الثياب، وهو أيضاً الدرع الدقيقة النسج.

وفـي البيـت لَيْـثُ الغـابِ لـولا مَخَـافَـةٌ | علـى نفـس جُمْـلٍ والإلٰـهِ لأرْعِفُـوا[1]
هَمَمْـتُ وقـد كـادتْ مِـرَاراً تطلّعـتْ | إلى حَرْبِهم نفسي وفي الكفِّ مُرْهَفُ
ومـا سَـرّني غيـرُ الـذي كـان منهـمُ | ومنّـي وقـد جـاءوا إلـيّ وأَوْجَفُـوا
فكـم مُـرْتَـجٍ أمـراً أُتِيـح لـه الـرَّدَى | ومـن خـائـفٍ لـم يَنْتَقِصْـه التخـوُّف

له بيتٌ كان نصفه أعرابي ونصفه مخنث:

حدّثني عمّي قال حدّثنا الكُرَانيّ قال حدّثنا العُمَرِيّ، وأخبرنا محمد بن العباس اليَزِيديّ قال حدّثنا الخَليل بن أَسَد قال حدّثنا العُمَرِيّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال، قال لي صالح بن حَسان:

هل تعرف بيتاً نصفُه أعرابيٌّ في شَمْلة وآخِرُه مخنَّث يتفكَّكُ من مخنَّثِي العَقِيق؟ فقلتُ: لا أَدْري. قال: قد أجَّلْتُك فيه حَوْلاً. فقلت: لو أجَّلْتَنِي حولَيْن ما علمتُ. قال: قولُ جميل:

* ألا أيُّها النُّوّامُ وَيْحَكُمُ هُبُّوا *

هذا أعرابيٌّ في شَمْلة. ثم قال:

* نسائلُكم هل يقتُلُ الرجلَ الحُبُّ *

كأنه واللهِ من مخنَّثي العَقيق. في هذا الشعر غناء، نسبتُه وشَرْحُه:

صوت

ألا أيُّهـا النُّـوّام وَيحكُـمُ هُبُّـوا | نسـائلُكـم هـل يقتُـل الـرجـلَ الحُـبُّ
ألا رُبَّ رَكْـبٍ قـد دفَعـتُ وَجِيفَهـم[2] | إليـكِ ولـولا أنـتِ لـم يُـوجِفِ الـرَّكْـبُ

/ الغناء لابن مُحْرِزٍ خفيفُ رَمَلٍ بالسبّابة والوُسْطَى عن يحيى المكي، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم يَنْسُبه إلى أحد. وفيه لسُلَيم ما خُورِيٌّ عن الهِشاميّ. وفيه لمالك ثاني ثقيلٍ بالسّبابة في مَجْرَى الوسطَى عن إسحاق، وقيل: إنه لمَعْبَد. وفيه لعَرِيبَ هَزَجٌ من رواية ابن المعتزّ. وذكر عبدالله بن موسى أن لحن مالك من الثقيل الأوّل وأن خفيف الرَّمَل لابن سُرَيج وأن الهزج لحَمْدونةَ بنتِ الرَّشيد. ٨/١١٩

جفا بثينة لما علقت حجنة الهلالي:

أخبرنا الحُسَين بن يحيى المِرْداسِيّ قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب ابن عَبَاية المُحْرِزيّ عن شيخ من رَهْطِ جميلٍ من عُذْرةَ:

أن بُثَينة لما عَلِقتْ حُجْنةَ الهِلاليّ جَفَاها جميلٌ. قال: وأنشدني لجميلٍ في ذلك:

---

(١) أرعفه: أعجله.

(٢) الوجيف: سرعة السير.

٩٢/٧

صوت

بَيْنَـا حِبَـالُ ذاتُ عَقْـدٍ لِبَثْنَـةٍ أُتِيـحَ لهـا بعـضُ الغـواة فحلَّهـا
فعُدْنـا كـأنَّـا لـم يكـن بيننـا هَـوًى وصـار الـذي حَـلَّ الحبـالَ هَـوًى لهـا
وقـالـوا نَـراهـا يـا جميـلُ تبـدَّلـتْ وغيَّـرهـا الـواشـي فقلـتُ لعلَّهـا

الغناء للهُذَليّ خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى. وذكره إسحاق في هذه الطريقة والإصبعَ ولم ينسُبْه إلى أحد.

تمثل إفريقي بشعر له يعرّض فيه بفتى من آل عثمان:

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا أبو عَوْف عن عبدالرحمن بن مُقَرّن قال:

بَعثني المنصور لأبتاع له جاريةً من المدينة وقال لي: اعمَلْ برأي ٱبن نُفَيْس؛ فكنت أفعل ذلك، وأغشى ٱبنَه، وكانت له جارية مغنيّة قد كَلِفَ بها فتًى من / آل عثمانَ بنِ عَفّان، فكان يبيع عُقْدة[1] عقدة من ماله وينفق ثمنَها عليها. وٱبتُلِي برجل من أهل إفْريقيَّةَ ومعه ٱبن له، فغَشِيَ ٱبنُ الإفريقيّ بيتَ ٱبن نُفَيْس فجعل يكسو الجاريةَ وأهلَها ويَبَرُّهم حتى حَظِيَ عندهم وغلَب عليهم وتثاقلوا العثمانيّ. فقُضِيَ أن ٱجتمعْنا عشيّةً عندها وحضر ٱبنُ الإفريقيّ والعثمانيُّ؛ فنزع ٱبنُ الإفريقيّ خُفَّه فتناثر المِسْكُ منه، وأراد العثمانيُّ أن يَكِيدَه بفعله. فجلسنا ساعةً؛ فقال لها ٱبن الإفريقيّ: غنّي:

١٢٠/١

بَيْنَـا حِبَـالُ ذاتُ عَقْـدٍ لِبَثْنَـةٍ أُتِيـحَ لهـا بعـضُ الغُـواةِ فحلَّهـا

يعرِّض بالعثمانيّ. فقال لها العثمانيّ: لا حاجة لنا في هذا، ولكن غنّي:

ومـن يَـرْعَ نَجْـداً يُلْفِنِـي قـد رَعَيْتـه بجَنْبَيْـه[2] الأولـى ويُـورِدْ علـى وِرْدِي

قال: فنكَس ٱبنُ الإفريقيّ رأسَه وخرج العثمانيُّ فذهب، وحَمِد أهلُ البيت فما ٱنتفعوا بقيّة يومهم.

شعره حين زوّجت بثينة نبيهاً:

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي وبُهْلُول بن سليمانَ البَلَوِيّ:
أن جميلاً قال لما زُوِّجتْ بُثَيْنةُ نُبَيْهاً:

صوت

أَلاَ نَـادِ عِيـراً[3] مـن بُثَيْنـةَ تَـرْتَعِـي نُـودِّعْ علـى شَحْـطِ النَّـوَى ونُـوَدِّعِ
وحَثُّـوا علـى جَمْـعِ الـرِّكَـابِ وقَـرَّبُـوا جِمـالاً ونُـوقـاً جِلَّـةً لـم تَضَعْضَـعِ

في هذين البيتين رَمَلٌ لابن سُرَيْج عن الهِشَامِيّ. ومما يغنَّى فيه من هذه القصيدة:

---

(١) العقدة: الضيعة.
(٢) كذا في ب، س وفي سائر الأصول: «بحبته».
(٣) العير: القافلة.

[٨/ ٢١]

/ صوت

أعِيذُكِ بالرحمن من عَيْشِ شِقْوةٍ · وأن تَطْمَعِي يوماً إلى غير مَطْمَعِ
إذا ما ابنُ ملعونٍ تَحَدَّرَ رَشْحُهُ · عليكِ فمُوقِي بعد ذلك أوذَعِي
مَلِلْنَ ولم أَمْلَلْ وما كنتُ سائماً · لأجمالِ سُعْدَى ما أَنَخْنَ بجَعْجَعِ[١]
وحَثُّوا على جَمْعِ الرِّكابِ وقَرَّبوا · جِمالاً ونُوقاً جِلَّةً لم تَضَعْضَعِ
أَلَا قد أَرَى إلّا بُثَينةَ هاهنا · لنا بعد ذا المُصْطافِ والمتربَّعِ

لمَعْبد في الثالث والرابع من هذه الأبيات ثقيلٌ أوّلُ بالخِنْصَر في مجرى الوسطى عن / إسحاق. ولابن سُرَيج في ٩٣/٧ الأوّل والثاني والخامس خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو. وللأَبْجَر في الأوّل والخامس والثالث والرابع رَمَلٌ بالبِنْصَر. وفي الأول والثاني خفيفُ ثقيلٍ يُنْسَب إلى معبد وغيره، ولم تُعْرَف صحتُه من جهةٍ يُوثق بها.

شعره لما أبعده السلطان عن بثينة:

أخبرني الحَرَمِيّ قال حدّثنا الزُّبَير قال أنشدنا بُهْلُول بن سليمان لجَميل لما بَعُد عن بُثَينةَ وخاف السلطانَ، وكان بُهْلُولٌ يُعْجَب به، :

أَلَا قد أَرَى إلا بُثَينةَ للقلبِ · بِوادِي بَداً لا بِحِسْمَى ولا الشَّغْبِ[٢]
ولا بِبُصَاقٍ[٣] قد تَيَمَّمْتَ فاعترفْ · لما أنت لاقٍ أو تَنَكَّبْ عن الرَّكْبِ
أفي كلِّ يومٍ أنت مُحْدِثُ صَبْوةٍ · تموت لها بُدِّلْتُ غيرَك من قلبِ

[٨/ ٢٢]

/ **حديث عبدالملك معها عن عشق جميل لها:**

أخبرنا الحَرَمِيّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا أبي عن يعقوب بن محمد الزُّهْرِيّ عن سليمانَ بن صَخْر الحَرَشِيّ قال حدّثنا سليمان بن زِياد الثَّقَفِي:

أن بُثَينة دخلتْ على عبدالملك بن مَرْوان. فرأى امرأةً خَلْفاء[٤] مولّية؛ فقال لها: ما الذي رَأَى فيكِ جميلٌ؟ قالت: الذي رَأَى فيكَ الناسُ حين استخلفوك. فضحك عبدالملك حتى بَدَتْ له سِنٌّ سَوْداءُ كان يستُرها.

شعره في جمله «جديل»:

أخبرني الحَرَمِيّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني عمر بن إبراهيم العُوَيْثِيّ:

أن جَمَل جميلٍ الذي كان يزور عليه بثينةَ يقال له «جَديل» وفيه يقول:

---

(١) جعجع: موضع بثينة، وهو في الأصل المتطامن من الأرض، وهو أيضاً المكان الخشن الغليظ.

(٢) بدا: موضع بوادي عذرة قرب الشام. وحسمي (بكسر أصله): موضع وراء وادي القرى بما يلي بلاد فلسطين من أرض الشام. وشغب: ضيعة خلف وادي القرى.

(٣) كذا في نسخة الشنقيطي مصححة بقلمه وتقويم البلدان. وبصاق: موضع قريب من مكة، كما قال ابن دريد. وقال ابن حبيب: هو جبل بين أيلة والتيه. وفي جميع النسخ: «براق».

(٤) الخلفاء: الحمقاء.

أَنَخْتُ جَدِيلاً عند بَثْنَةَ ليلةً ... ويوماً أطالَ اللهُ رَغْمَ جَدِيلِ
أليس مُناخُ النِّضْوِ يوماً وليلةً ... لبَثْنَةَ فيما بيننا بقليلِ؟

مهاجاته قومها بني الأحب وإهدار السلطان لهم دمه:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني أبو غَسّان محمد بن يحيى المَكّي:

أنّ جميلاً لما اشتَهَرَتْ بثينةُ بحبّه إياها اعترضه عُبَيدالله بن قُطْبَةَ أحد بني الأَحَبّ وهو من رَهْطِها الأَدْنَيْنَ فهجاه؛ وبلَغ ذلك جَمِيلاً فأجابه، وتطاولا فغلَبه جميل وكَفّ عنه ابن قُطْبة، واعترضه عُمَير بن رَمْلٍ (رجلٌ من بَنِي الأَحَبّ) فهجاه. وإياه عنَى جميلٌ بقوله:

إذا الناسُ هابُوا خِزْيَةً ذهبتْ[1] بها ... أَحَبُّ المَخَازِي كَهْلُها ووليدُها
لعَمْرُ عَجُوزٍ طَرّقتْ[2] بكَ إنّني ... عُمَيْرَ بنَ رَمْلٍ لابنُ حَرْبٍ أَقُودُها
بنَفْسِي فلا تَقْطَعْ فؤادَكَ ضَلّةً ... كذلك حَزْنِي وَعْثُها وصَعُودُها

[٨/١٢٣] / قال: فاستعدَوْا عليه عامرَ بن رِبْعِيّ بن دَجَاجة، وكانت إليه بلادُ عُذْرة، وقالوا: يهجُونا ويَغْشَى بيوتَنا وينسُب بنسائنا! فأباحهم دمَه، وطُلِب فهرَب منه. وغضبتْ بُثَينةُ لهجائه أهلَها جميعاً. فقال جميل:

وما صائبٌ من نابلٍ[3] قَذَفتْ به ... يدٌ ومُمَرُّ[4] العُقْدتَيْنِ وَثِيقُ
له من خَوَافِي النَّسْرِ حُمٌّ نَظائرٌ[5] ... ونَصْلٌ كنَصْلِ الزَّاعِبِيّ[6] فَتِيقُ
على نَبعةٍ[7] زَوْراءَ أمّا خِطامُها ... فمَتْنٌ وأمّا عُودُها فَعَتِيقُ
بأوشَكَ قتلاً منكِ يوم رَمَيْتِني ... نَوافِذَ لم تَظْهَرْ لهنّ خُروقُ
تَفَرّقَ أهلانا بُثَيْنَ فمنهمُ ... فريقٌ أقاموا واستمرّ فريقُ
[٩٤/٧] / فلو كنتُ خَوّاراً لقد باحَ مُضْمَرِي[8] ... ولكنّني صُلْبُ القَنَاةِ عَرِيقُ
كأنْ لم نُحارِبْ يا بُثَينَ لو انّه ... تَكَشَّفُ غُمّاها وأنتِ صديقُ

قال ويدلّ على طلب عامر بن رِبْعِيّ إيّاه قوله:

---

(١) يريد: أخذتها واستمسكت بها.

(٢) يريد: حملت بك. يقال: طرقت الناقة والمرأة وكل حامل بولدها إذا نشب في بطنها ولم يسهل خروجه.

(٣) كذا في «الكامل» للمبرد ص ٤٢ طبع أوروبا. وفي الأصول: «نائل».

(٤) ممر العقدتين يعني وترا. والممر: الشديد الفتل.

(٥) لعله يريد ريشات سودا متشابهة. وفي حـ: «جم نظائر». وفي سائر الأصول: «جم تطاير».

(٦) الزاعبيّ من الرماح: الذي إذا هزّ تدافع كله كأن آخره يجري في مقدمه. أو إلى زاعب رجل أو بلد. والفتيق: الحاد الرقيق.

(٧) النبع: شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسيّ؛ وأكرم القسيّ ما كان من النبع. وزوراء: معوجة، وكلما كانت القوس أشد انعطافاً كان سهمها أمضى. وخطام القوس: وترها. ومتن: قوي. وعتيق: قديم.

(٨) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «ميسمي» بالياء المثناة. ولعله «مبسمي» بالباء الموحدة.

أَضَـرَّ بِـأَخْفـافِ البُغَيْلـةِ أَنَّهـا ... حِـذَارَ ابْـنِ رِبْعِـيّ بهـنّ رُجـوم[(١)]

لما أهدر دمه هرب إلى اليمن ثم رجع بعد عزل عامر إلى الشأم:

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا محمد بن عبدالله الحَزَنْبَل الأصبهانيّ قال حدّثني عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ عن أبيه قال حدّثني بعضُ رُواة عُذْرة:

/ أن السلطان أهدر دمَ جَميلٍ لرَهْط بُثَينة إن وجدوه قد غَشِي دُورَهم. فحذِرهم مدّة، ثم وجدوه عندها، [٨/١٢٤] فأَعْذَروا إليه وتوعَّدوه وكرِهوا أن يَنْشَب بينهم وبين قومه حربٌ في دمِه، وكان قومُه أعز من قومها، فأعادوا شكواه إلى السلطان، فطلبه طلباً شديداً، فهرب إلى اليمن فأقام بها مدّة. وأنشدني له في ذلك:

أَلَـمَّ خَيـالٌ مِـن بُثَيْنَـةَ طـارِقُ ... علـى النَّـأْيِ مُشْتـاقٌ إلـيّ وشـائـقُ

سَـرَتْ مِـن تِـلاعِ الحِجْـرِ حتـى تخلَّصـتْ ... إلـيّ ودُونـي الأَشْعَـرُون وغـافِـقُ[(٢)]

كـأنّ فَتِيـتَ المسـك خـالـط نَشْرَهـا ... تُغَـلُّ[(٣)] بِـه أَرْدانُهـا والمَـرافِـقُ

تقـوم إذا قـامـت بـه عـن فِـراشهـا ... ويَغْـدُو بـه مـن حِضْنِهـا مَـن تُعَـانِـقُ

قال أبو عمرو وحدّثني هذا العُذْرِيّ:

أنّ جميلاً لم يزلْ باليمن حتى عُزل ذلك الوالي عنهم، وانتجعوا ناحيةَ الشام فرحَل إليهم. قال: فَلَقِيتُه فسألتُه عما أَحْدث بعدي؛ فأنشدني:

سقَـى منـزلَينـا يـا بُثَيـن بحـاجِـرٍ ... علـى الهَجْـرِ منّـا صَيِّـفٌ ورَبيـعُ

ودُورَكِ يـا لَيْلَـى وإن كُـنَّ بَعْـدنـا ... بِلَيـنٍ بِلـىً لـم تَبْلَهُـنّ رُبـوعُ

وخَيمـاتِـك الـلاتـي بمُنْعَـرَجِ اللِّـوَى ... لقُمْـرِيِّهـا بـالمَشْـرِقَيْـن سجيـعُ[(٤)]

تُـزَعْـزِعُ[(٥)] منهـا الـريـحُ كـلَّ عشيّـةٍ ... هَـزِيـمٌ بسُـلّافِ الـريـاح رَجيـعُ

/ وإنّـيَ أن يَعْلَـى بـكِ اللّـوْمُ أو تُـرَيْ ... بـدارِ أَذًى مِـن شـامـتٍ لَجَـزُوعُ [٨/١٢٥]

وإنّـي علـى الشـيء الـذي يُلْتَـوَى بـه ... وإن زَجَـرَتْنِـي زَجْـرَةً لَـو رِيـعُ[(٦)]

فَقَـدْتُـكِ مِـن نَفْـسٍ شَعَـاعٍ فـإنّنـي ... نَهيتُـكِ عَـن هـذا وأنـتِ جميـعُ

---

(١) الرجوم: اضطرام العدو أي شدّة السير.

(٢) الأشعرون: جمع أشعري، نسبة إلى الأشعر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، تخفف ياء النسب فتحذف في الجمع. (راجع «القاموس وشرحه» مادة شعر). وغافق: قبيلة.

(٣) غل الدهن في رأسه وفي ثوبه: أدخله فيه.

(٤) لم يرد هذا المصدر في معجمات اللغة التي بين أيدينا، مع أن «فعيلا» كثير وروده في الأصوات. والموجود في كتب اللغة «سجوع» جمع «سجع» بالفتح، كما قال ابن جنى. (راجع «اللسان» مادة سجع).

(٥) زعزعت الريح الشجر ونحوه: حركته. والهزيم: صوت الرعد، والمراد الصوت الشديد. وسلاف الرياح (كما وردت في ب، س): متقدماتها، والواحد سالف وسالفة. وقد وردت هذه الكلمة في بعض الأصول الخطية: «بسدوف الرياح» وفي بعضها: «بسدف الرياح». ورجيع: مردّد، وهو نعت لهزيم.

(٦) وريع: كاف.

فقَرَّبْتِ لي غيرَ القريبِ وأشرفتْ ... هناكَ ثَنَايَا ما لهنّ طُلُوعُ

يقولون صَبٌّ بالغَوَانِي مُوَكَّلٌ ... وهل ذاك من فعل الرجال بَديعُ!

وقالوا رعيتَ اللَّهْوَ والمالُ ضائعٌ ... فكالناسِ فيهم صالحٌ ومُضِيعُ

الغناء لصالح بن الرشيد رمل بالوسطى عن الهشاميّ وابن خُرْدَاذْبَهْ وإبراهيم. وذكر حَبَشٌ أنّ في هذه الأبيات لإسحاقَ لحناً من الثقيل بالوسطى؛ ولم يذكر هذا أحد غيره ولا سمعناه ولا قرأناه إلا في كتابه. ومن الناس من يُدخل هذه الأبيات في قصيدة المجنون التي على رَوِيٍّ وقافيةِ هذه القصيدة، وليست له.

أنشد كثير من شعره وقال هو أشعر الناس:

أخبرني محمد بن مزْيَد قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمَّليّ[1] عن أبي عُبيدة عن أبيه قال:

٩٥/٧ دخل علينا كُثَيِّر / يوماً وقد أخذَ بطَرَف رَيْطَته وألقى طرَفَها الآخر وهو يقول: هو والله أشعرُ الناس حيث يقول:

وخَبَّرتُمانِي أنّ تَيماء منزلٌ ... لليلَى إذا ما الصَّيْفُ ألقَى المَرَاسِيَا

فهذِي شهورُ الصيفِ عنّي قد انقضتْ ... فما للنَّوَى ترمِي بليلى المَرَامِيَا

ويَجُرّ رَيْطتَه حتى يبلُغَ إلينا، ثم يولّي عنّا ويَجُرّها ويقول: هو والله أشعر الناس حيث يقول:

[١٢٦/٨] / وأنتِ التي إن شئتِ كَدَّرْتِ عِيشتِي ... وإن شئتِ بعد الله أنْعَمتِ باليَا

وأنتِ التي ما مِنْ صديقٍ ولا عِداً ... يَرَى نِضْوَ ما أبقيتِ إلاّ رَثَى لِيَا

ثم يرجع إلينا ويقول: هو والله أشعر الناس. فقلنا: مَنْ تَعْنِي يا أبا صَخْر؟ فقال: ومَنْ أعني سِوَى جميل! هو والله أشعر الناس حيث يقول هذا!. وتَيْماءُ خاصّةً: منزلٌ لبنى عُذْرة، وليس من منازل عامر؛ وإنما يَرْويه عن المجنون مَنْ لا يعلمه.

وفي هذه القصيدة يقول جميل:

وما زِلْتُمُ يا بَثْن حتّى لَوَ انّني ... من الشوق أستبكِي الحمامَ بَكَى ليا

إذا خَدِرتْ رجلي وقيل شفاؤها ... دعاءُ حبيبٍ كنتِ أنتِ دُعَائيا

وما زادني النَّأْيُ المُفَرِّق بعدكم ... سُلُوّاً ولا طولُ التلاقي تَقَالِيا[2]

ولا زادني الواشون إلاّ صَبابةً ... ولا كثرةُ الناهين إلا تَمَادِيا

ألم تعلمي يا عَذْبةَ الرِّيقِ أنّني ... أظَلُّ إذا لم أَلْقَ وجهَكِ صادِيا

(١) كذا فيما تقدم في جميع الأصول في الجزء الرابع ص ١٢٣ (راجع الحاشية رقم ١ في هذه الصفحة). وفي جميع الأصول هنا: «الموصلي».

(٢) في «منتهى الطلب»: «ولا طول اجتماع تقاليا».

لقد خِفتُ أن ألقى المنيّة بغتةً وفي النفس حاجاتٌ إليكِ كما هيا

أخبرنا الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني بعض أصحابنا عن محمد بن مَعْن الغِفَاريّ عن الأصْبَغ بن عبدالعزيز قال:

كنت عند طَلْحة بن عبدالله بن عَوْف؛ فدخل عليه كُثَيِّر؛ فلما دخل من الباب أخذ برِجْله فثنَاها ثم حجَل حتى بلغ الفِراشَ وهو يقول: جميلٌ والله أشعر العرب حيث يقول:

* وخَبَّرْتُماني أنّ تَيماءَ منزلٌ *

ثم ذكر باقيَ الخبر الذي رواه محمد بن مَزْيَد.

[٨/ ١٢٧]

/ يوم ذي ضال:

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثني الزُّبَير قال حدّثني عمر بن إبراهيم السَّعْديّ.

أنّ رهط بُثَينة قالوا إنما يَتْبَعُ جميلٌ أمَةً لنا. فواعد جميلٌ بُثَينةَ حين لقيها ببَرْقاء ذِي ضَال، فتحادثا ليلاً طويلاً حتى أسْحرا[1]. ثم قال لها: هل لكِ أن ترقُدي؟ قالت: ما شئتَ، وأنا خائفةٌ أن نكون قد أصبحْنا. فوسَّدها جانبَه ثم اضطجعا ونامت؛ فانسلّ واستوى على راحلته فذهب، وأصبحتْ في مَضْجَعها، فلم يُرَعِ الحيُّ إلّا بها راقدةً عند مُناخ راحلة جميل. فقال جميل في ذلك:

فَمَنْ يَكُ في حُبّي بُثَينةَ يَمْتَرِي فبَرْقاءُ ذي ضالٍ عليّ شهيدُ

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبدالله بن شَبِيب عن الحِزَامي عن فُلَيح بن إسماعيل بمثل هذه القصة، وزاد فيها: فلما انتبهتْ بثينةُ علمت ما أراده جميل بها، فهجرتْه وآلتْ ألّا تَظْهَر له، فقال:

[٩٦/٧]

/ ألَا هل إلى إلمامةٍ أن أُلِمَّها بُثَينةُ يوماً في الحياةِ سبيلُ؟
فإن هي قالتْ لا سبيلَ فقُلْ لها عَنَاءٌ على العُذْرِيّ مِنك طويلُ
على حينِ يسلو الناسُ عن طَلَب الصِّبَا وينسَى اتّباعَ الوصلِ منه خليلُ

شكاه أهلها إلى قومه فلاموه، وشعره في ذلك:

وقال الهَيْثَم وأصحابُه في أخبارهم:

تَشَكَّى زوج بُثَينةَ إلى أبيها وأخيها إلمامَ جميل بها. فوجّهوا إلى جميل وأعذروا إليه وشَكَوْه إلى عَشيرته وأعذروا إليهم فيه وتوعَّدوه، وأتاهم فلامه أهلُه وعنّفوه وقالوا: إنّا نَسْتَحلِفُ إليهم ونتبرّأ منك ومن جَرِيرتك. فأقام مدة لا يُلِمّ بها، ثم لقي ابنَيْ عمّه رَوْقاً ومسعوداً، فشكا إليهما ما به وأنشدهما قولَه:

وإنّي على الشيء الذي يُلْتَوَى به وإنْ زَجَرَتْني زَجْرةً لَوَرِيعُ
/ فَقَدْتُكِ من نَفْسٍ شَعَاعٍ فإنّني نهيتُكِ عن هذا وأنتِ جميعُ
فقَرَّبْتِ لي غيرَ القريب وأشرفتْ هناك ثَنَايَا ما لهنّ طُلُوعُ

[٨/ ١٢٨]

(١) في الأصول: «أسحر» بدون ألف التثنية. والإسحار: الدخول في وقت السحر.

يقولون صَبٌّ بالغواني مُوَكَّلٌ ... وهل ذاك من فعل الرجال بديعُ
وقالوا رَعَيْتَ اللَّهْوَ والمالُ ضائعٌ ... فكالنّاسِ فيهم صالحٌ ومُضِيعُ

تمثل محمد بن عبدالله بن حسن بشعره لزوجته:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثني مُصْعَب بن عبدالله قال:

كانت تحت محمد بن عبدالله بن حسن امرأة من ولد الزُّبَير يقال لها فُلَيْحة، وكانت لها صبيّةٌ يقال لها رخيّة، قد رَبَّتْها لغير رِشْدة، وكانت من أجمل النساء وجهاً. فرأتْ محمداً وقد نظر إليها ذاتَ يوم نظراً شديداً، ثم تمثّل قولَ جميل:

* بُثَيْنةُ من صِنْفٍ يُقَلِّبْنَ أيديَ الرُّماة وما يَحْمِلْنَ قوساً ولا نَبْلاَ *

ولكنَّما يَظْفَرْنَ بالصيد كلّما ... جَلَوْنَ الثّنايا الغُرَّ والأعيُنَ النُّجلاَ
يُخَالِسْنَ مِيعاداً يُرَعْنَ لقولها[1] ... إذا نطقتْ كانت مقالتُها فَصْلاَ
يَرَيْنَ قريباً بيتَها وهي لا ترى ... سوى بيتها بيتاً قريباً ولا سَهْلاَ

فقالت له فُلَيْحة: كأنك تريد رخيّة! قال: إي والله! قالت: إنّي أخشى أن تجيء منك بولد وهي لغير رِشْدة. فقال لها: إنّ الدَّنَس لا يَلْحَق الأعقاب ولا يضرُّ الأحساب. فقالت له: فما يضرُّ إذاً! والله ما يضرّ إلا الأعقاب والأحساب، وقد وهبتُها لك. فسُرّ بذلك وقال: أمَا والله لقد أعطيتُكِ خيراً منها. قالت: وما هو؟ قال: أبيات جميلٍ التي أنشدتُكِ إيّاها؛ لقد مكثتُ أسعَى في طلبها حَوْلَيْن. فضَحِكتْ وقالت: مالي ولأبياتِ جميلٍ! والله ما أبتغيتُ إلا مَسَرَّتك. / قال: فولدتْ منه غلاماً. وكانت فُلَيحةُ تدعو الله ألاّ يُبقيَه. فبينا محمدٌ في بعض هَرَبِه من المنصور والجاريةُ وأبنُها معه إذ رَهِقهما الطلبُ، فسقط الصبيّ من الجبل فتقطّع. فكان محمد بعد ذلك يقول: أُجيب في هذا الصبي دعاءُ فُلَيحة. [٨/١٢٩]

نصح أبوه له فردّ عليه رداً أبكاه وأبكى الحاضرين، وشعره في ذلك:

وقال الهَيْثَم بن عَدِيّ وأصحابُه في أخبارهم:

لمّا نذَر أهلُ بُثَيْنة دمَ جميل وأباحهم السلطانُ قَتْلَه، أَعْذَروا إلى أهله. وكانت منازلهم متجاورة، إنما هم بُيُوتاتٌ يفترقون كما يفترق البطونُ والأفخاذ والقبائل غيرَ متباعدين؛ ألم تَرَ إلى / قول جميل: [٩٧/٧]

أَبِيتُ مع الهُلاّكِ[2] ضَيْفاً لأهلها ... وأَهلِي قريبٌ مُوسِعُونَ أُولُو فَضلِ

فمشتْ مَشْيَخَةُ الحيّ إلى أبيه ـ وكان يُلَقَّب صُبَاحاً وكان ذا مالٍ وفضل وقَدْر في أهله ـ فشكَوْه إليه وناشدوه اللهَ والرَّحِمَ وسألوه كَفَّ أبنِه عمّا يتعرّض له ويفضَحهم به في فتَاتهم؛ فوعدهم كفَّه ومَنْعَه ما أستطاع، ثم أنصرفوا. فدعا به فقال له: يا بُنَيّ! حتى متى أنت عَمِهٌ في ضلالك، لا تأنَف من أن تتعلق بذات بَعْل يخلو بها ويَنْكِحها وأنت عنها بمَعْزِل ثم تقوم من تحته إليك فتَغُرُّك بخداعها وتُرِيك الصفاءَ والمودّة وهي مُضْمِرةٌ لبعلها ما تُضمره الحُرّة لمن

(١) هذا الشطر هكذا في الأصول.
(٢) الهلاك: الصعاليك.

مَلَكها، فيكون قولُها لك تعليلاً وغروراً، فإذا أنصرفَت عنها عادتْ إلى بَعْلها على حالتها المبذولة؛ إن هذا لَذُلٌّ وضَيْمٌ! ما أعرف أخْيَبَ سَهْماً ولا أضيَعَ عُمْراً منك. فأَنْشُدُكَ اللهَ إلاّ كففتَ وتأملتَ أمرَك؛ فإنك تعلم أنّ ما قلتُه حقٌّ، ولو كان إليها سبيلٌ لبذلتُ ما أملِكه فيها، ولكنّ هذا أمر قد فات وأستبدَّ به مَنْ قُدِّر له، وفي النساء عِوَضٌ.

فقال له جميل: الرأيُ ما رأيتَ، والقولُ كما قلتَ؛ فهل رأيتَ قبلي أحداً قدَر أن يدفع عن / قلبه هَواه، أو مَلَك أن يُسْلِيَ نفسَه، أو أستطاع أن يَدْفَعَ ما قُضِي عليه! والله لو قَدَرتُ أن أَمْحُوَ ذكرَها من قلبي أو أُزِيلَ شخصَها عن عيني لفعلتُ، ولكن لا سبيلَ إلى ذلك، وإنما هو بلاءٌ بُلِيتُ به لحَيْنٍ قد أُتيح لي، وأنا أمتنع من طُروق هذا الحيّ والإلمام بهم ولو متّ كَمَداً؛ وهذا جَهْدي ومبلغُ ما أقدِر عليه. وقام وهو يبكي؛ فبكى أبوه ومَنْ حضر جَزَعاً لما رأوْا منه. [٨/ ١٣٠]

فذلك حين يقول جميل:

صوت

أَلاَ مَـــنْ لقَلْــبٍ لا يَمَــلُّ فَيَـذْهَــلُ	افِــقْ فــالتَّعَـزّي عــن بُثَيْنَــةَ أجمَــلُ
سَـلاَ كـلُّ ذي وِدٍّ علمـتُ مكـانَــه	وأنــتَ بهــا حتــى الممـاتِ مُـوَكَّـلُ
فمــا هكــذا أحببــتَ مَـنْ كــان قبلهــا	ولا هكــذا فيمــا مضَــى كنــتَ تفعــلُ

* ـ الغناء لمالك ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق ـ *

فيــا قلــبُ دَعْ ذِكْــرَى بُثَيْنَــةَ إنّهــا	وإنْ كنــتَ تَهْـواهــا تَضِــنُّ وتبخــلُ
وقــد أيــاسـتْ مــن نَيْلِهــا وتجهَّمـتْ	ولَلْيــأسُ إن لــم يُقْــدَرِ النَّيْــلُ أمثَــلُ
وإلاّ فسَلْهَـــا نـــائــلاً قبــلَ بَيْنِهـــا	وأبْخِــلْ بهــا مسـؤولـةً حيــن تُسْـأَلُ
وكيــف تُـرَجِّـي وصلَهــا بعــد بُعْـدِهــا	وقــد جُــدَّ حبــلُ الـوصــلِ ممــن تـؤمِّــلُ
وإنّ التــي أحببــتَ قــد حِيــلَ دونهــا	فكُــنْ حــازمــاً، والحــازِمُ المُتَحَـوِّلُ
ففـي اليـأسِ مـا يُسْلِـي وفـي النـاسِ خُلَّـةٌ	وفـي الأرض عمّــن لا يُـواتِيــكَ مَعْـزِلُ
بــدا كَلَــفٌ منّــي بهــا فتثــاقلــتْ	ومــا لا يُـرَى مـن غـائـب الـوجـد أفضَـلُ
هَبِينِــي بــريئــاً نِلْتِــهِ بظُـــلاَمــةٍ	عَفَــاهــا لكــم أو مُــذْنِبــاً يتنصّــلُ
قَنَاةٌ[1] مــن المُـرّانِ مــا فــوق حَقْـوِهــا	ومـــا تحتـــه منهـــا نَقــاً يتهيَّـــلُ

[٨/ ١٣١] / قال وقال أيضاً في هذه الحال:

صوت

أَعَـنْ ظُعُـنِ الحـيّ الأُلَـى كنـتَ تَسـألُ	بليــلٍ فــرَدُّوا عِيـرهــم وتحمّلـــوا
فــأمسَــوْا وهــم أهــلُ الــديــار وأصبحــوا	ومــن أهلهــا الغِــربــانُ بــالــدارِ تَحْجِـلُ

ـ في هذين البيتين لِسِيَاطٍ خفيفُ رَمَلٍ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لآبن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ـ

---

(١) في أكثر الأصول: «فتاة». وفي حـ «قناة» وهما تحريف.

على حينَ ولّى الأمرُ عنّا وأسمحتْ[١] عَصا البَيْنِ وأنبتَّ الرجاءُ المؤمَّلُ
فما هو إلاّ أن أهِيمَ بذكرِها ويحظَى بجَدْوَاها سوايَ ويَجْذَلُ
وقد أبقتِ الأيامُ منّي على العِدَا حُسَاماً إذا مَسّ الضريبةَ يَفصِلُ
ولستُ كمن إن سِيمَ ضَيْماً أطاعَه ولا كامرئٍ إن عضّه الدهرُ يَنْكُلُ
لعمري لقد أبْدَى لِيَ البينُ صَفْحَه[٢] وبيّن لي ما شئتُ لو كنت أعقِلُ
وآخرُ عهدِي من بُثَينة نظرةٌ على موقف كادت من البين تَقتُلُ
فلِلّه عَيْنَا مَنْ رأى مثلَ حاجةٍ كَتَمْتُكِهَا والنفسُ منها تَمَلْمَلُ
وإني لأَستبكي إذا ذُكِرَ الهَوَى إليكِ وإنّي من هواكِ لأوجَلُ
نظرتِ ببِشرٍ نظرةً ظَلْتُ أمْتَرِي بها عَبْرةً والعينُ بالدمع تُكْحَلُ
إذا ما كَرَرْتُ الطَّرْفَ نَحْوَكِ ردّه من البعد فيّاضٌ من الدمع يَهْمِلُ[٣]

ودع بثينة حين خروجه إلى الشأم:

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَبَايَة قال:

[١٣٢/٨] / لمّا أراد جميلٌ الخروج إلى الشأم، هجم ليلاً على بُثَيْنة وقد وجد غفلةً. فقالت له: أهلكتَني والله وأهلكتَ نفسك! وَيْحَكَ! أمَا تخاف! فقال لها: هذا وجهي إلى الشأم، إنما جئتكِ مودّعاً. فحادثها طويلاً ثم ودّعها، وقال: يا بُثينة، ما أُرانا نلتقي بعد هذا، وبكيا طويلاً. ثم قال لها وهو يبكي:

ألاَ لا أُبالِي جفوةَ الناسِ ما بَدَا لنا منكِ رأيٌ يا بُثَيْنَ جميلُ
وما لم تُطيعِي كاشحاً أو تَبَدَّلِي بنا بَدلاً أو كان منكِ ذُهولُ
وإنّي وتَكْرَارِي الزيارةَ نحوَكم بُثَيْنَ بذي هجرٍ بُثَيْنَ يطولُ[٤]
وإن صَبَابَاتِي بكم لكثيرةٌ بُثَيْنَ ونِسْيانِيكُم لقليلُ

أمره مروان وأمر جواس بن قطبة بالحداء لمدحه فقالا شعراً في الفخر:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال حدّثنا الزُّبير بن بكار قال حدّثني شيوخٌ من عُذْرة:

أنّ مَرْوان بن الحَكَم خرج مسافراً في نفرٍ من قريش ومعه جميلُ بن مَعْمَر وجَوّاسُ بن قُطْبة أخو عُبيدالله بن قُطْبة. فقال مروان لَجوّاس: انزل فأرْجُزْ بنا، وهو يريد أن يمدحه. فنزل جوّاس وقال:

يقول أميرِي هل تَسُوق رِكَابَنا فقلت له حادٍ لهنّ سِوَائِيَا

(١) أسمحت: سهلت وذلت.
(٢) الصفح: الجانب.
(٣) في الأصول «مهمل». والذي في «كتب اللغة»: همل الدمع إذا سال.
(٤) كذا ورد هذا البيت في الأصول.

تكَرَّمتُ عن سَوْقِ المَطِيِّ ولم يكن ... سِيَاقُ[1] المطيِّ همّتي ورَجائيا

/ جعلتَ أبي رَهْناً وعِرضِيَ سادراً ... إلى أهل بيت لم يكونوا كِفائيا ٩٩/٧

إلى شرِّ بيتٍ من قُضَاعةَ مَنصِبا ... وفي شرِّ قومٍ منهمُ قد بَدَاليا[2]

/ فقال مروان: اركَبْ لا ركِبْتَ!. ثم قال لجميل: انزل فارْجُز بنا، وهو يريد أن يمدحه. فنزل جميل فقال: [٨/ ١٣٣]

أنا جميلٌ في السَّنامِ الأعظمِ ... الفارعِ الناسَ الأعزِّ الأكرمِ

أَحْمِي ذِمَارِي ووجدتُ أَقْرُمِي ... كانوا على غاربِ طَوْدٍ خِضْرِمِ

* أعيا على النّاس فلم يُهَدَّمِ *

فقال: عَدِّ عن هذا. فقال جميل:

لَهْفَا على البيت المَعَدِّي لهفا ... من بعدِ ما كان قد استكفّا

ولو دعا الله ومَدّ الكفّا ... لَرَجَفَتْ منه الجبالُ رَجْفَا

فقال له اركَبْ لا ركبتَ!.

أمره الوليد بالحداء ليمدحه فقال شعراً في الفخر، ولم يمدح أحداً قط:

قال الزُّبير وحدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّليّ قال:

كان جميلٌ مع الوليد بن عبدالملك في سفر والوليدُ على نجيب؛ فرجَز به مَكِين العُذْرِيّ فقال:

يا بَكْرُ هل تعلَم مَنْ عَلاَكَا ... خليفةُ الله على ذُراكا

فقال الوليد لجميل: انزل فارْجُز، وظنّ الوليد أنه يمدَحه. فنزل فقال:

أنا جميلٌ في السَّنام من مَعَدّ ... في الذِّرْوةِ العَلْياء والرُّكْنِ الأشَدّ

والبيتِ من سَعْدِ بن زيد والعَدَدْ ... ما يَبْتغي الأعداءُ منّي ولقدْ

أُضْرِيَ[3] بالشَّتْمِ لِساني ومَرَدْ ... أقودُ مَنْ شِئتُ وصَعْبٌ لم أُقَدْ

فقال له الوليد: اركب لا حَمَلك الله!. قال: وما مدَح جميل أحداً قطّ.

هدّده الحزين الديلي فهجاه:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا يونس بن عبدالله[4] بن سالم قال:

/ وقف جميلٌ على الحَزِين الدِّيليّ والحزينُ يُنشد الناسَ. فقال له الحزين وهو لا يعرفه: كيف تَسْمع شعري؟ [٨/ ١٣٤]

---

(١) في حـ: «سياقي».

(٢) كذا في ترجمة جواس (في الجزء التاسع عشر من «الأغاني» طبع بلاق ص ١١٣). وفي الأصول هنا: «إلى خير بيت فيهم قد بداليا».

(٣) في كتاب «منتهى الطلب من أشعار العرب»: «أغرم». وفي الأصول: «أضر». وضرى بالشيء (من باب فرح) لهج به، وأضراه بالشيء ألهجه به.

(٤) في جـ: «عبيدالله».

قال: صالحٌ وَسَط. فغضب الحزين وقال له: ممّن أنت؟ فوالله لأهجونّك وعشيرتَك!. فقال جميل: إذاً تَنْدَم. فأقبل الحزين يُهَمْهِم يريد هجاءه. فقال جميل:

الـدُّيـلُ أذنـابُ بَكْـرٍ حيـن تنسُبهـم ... وكـلُّ قـومٍ لهـم مـن قـومِهـم ذَنَـبُ

فقامت له بنو الدِّيل وناشدوه اللهَ إلاّ كَفّ عنهم، ولم يزالوا به حتى أمسك وانصرف.

راجز جوّاس بن قطبة حين ذكر أخته فغلبه:

أخبرني الحرميّ ومحمد بن مَزْيَد ـ واللفظ له ـ قالا حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني محمد بن الضحّاك عن أبيه قال:

لمّا هاجى عُبَيْدُالله بنُ قُطْبة جميلاً واستعلَى عليه جميلٌ، أعرضَ عنه، واعترضه أخوه جَوّاس بن قُطْبة فهجاه وذكر أختاً لجميل. وكان جميل قبل ذلك يحتقره ولا يَنْصِب[1] له، حتى هجا أُخْتَه فقال فيهما ذكرَها به من شعره:

إلـى فَخِـذَيْهـا العَبْلَتَيْـنِ وكـانتـا ... بعَهْـدِيَ لَفّـاوَيْـنِ[2] أُرْدِفتـا ثِقْـلاَ

فغضِب جميلٌ حينئذ فواعده للمراجزة. قال الزُّبَير فحدّثني بعضُ آلِ العبّاس بن سَهْل بن سعد عن عبّاس قال:

قَدِمتُ من عند عبدالملك بن مَرْوان وقد أجازني وكسَاني بُرْداً، كان ذلك البردُ أفضلَ جائزتي، فنزلتُ واديَ القُرَى فوافقتُ الجمعةَ بها فاستخرجتُ بردِي / الذي من عند عبدالملك وقلت أُصلّي مع الناس؛ فلقيني جميلٌ، وكان صديقاً لي، فسلّم بعضُنا على بعضٍ وتساءلْنا ثم افترقنا. فلما أمسيتُ إذا هو قد أتاني في رَحْلِي / فقال: البُرْد الذي رأيتُه عليك تُعِيرُنِيهِ حتى أتجمّل به؛ فإنّ بيني وبين جَوّاس مُرَاجَزةً، وتحضُر فتسمعُ. قال قلت: لا! بل هو لكَ كُسْوة، فكسوتُه إيّاه، وقلت لأصحابي: ما من شيء أَحَبُّ إليّ من أن أسمع مُرَاجزتهما. فلمّا أصبحْنا جعل الأعاريبُ يأتون أرْسالاً حتى اجتمع منهم بَشَرٌ كثيرٌ، وحضرتُ وأصحابي، فإذا بجميل قد جاء وعليه حُلّتان ما رأيت مثلَهما على أحد قطُّ، وإذا بُرْدِي الذي كسوتُه إيّاه قد جعله جُلاًّ لجمله؛ فتَرَاجَزا فرجَز جميل، وكانت بُثَينة تُكْنَى أُمَّ عبدالملك، فقال:

[١٠٠/٧] [١٣٥/٨]

يـا أُمَّ عبـدالملـك اصْـرِمِينـي ... فبَيِّنـي صـرمَـي أوصِلِينـي

أَبْكِـي ومـا يُـدْرِيـكِ مـا يُبْكِينـي ... أبكـي حِـذَارَ أنْ تُفَـارِقينـي

وتجعلـي أبعَـدَ منّـي دُونـي ... إنّ بنـي عَمّـكِ أوْعَـدونـي

أن يقطعـوا رأسِـي إذا لَقُـونـي ... ويقتلـونـي ثـم لا يَـدُونـي[3]

كـلاّ وربِّ البيـتِ لـو لَقُـونـي ... شَفعـاً ووتـراً لتَـوَاكَلُـونـي[4]

قـد علِـم الأعـداءُ أنّ دُونـي ... ضَـرْبـاً كـإيـزاغ[5] المخـاضِ الجُـونِ

(١) كذا في ء، أ، م. ونصب له: عاداه وتجرّد له. وفي سائر الأصول «ولا ينصت له».

(٢) لفاوان: ضخمتان مكتنزتا اللحم.

(٣) وداه بديه: دفع ديته.

(٤) أي وكلني بعضهم إلى بعض خوفاً مني وجبنا.

(٥) الإيزاغ: إخراج البول دفعة واحدة. والحوامل توزغ بأبوالها، والطعنة توزغ بالدم.

ألَا أسُبُّ القومَ إذ سَبُّوني بَلَى وما مَرّ على دَفِينِ[(١)]
وسابحاتٍ بِلَوِي الحَجُونِ[(٢)] قد جَرَّبُوني ثم جرّبوني
حتى إذا شابوا وشيّبوني أخزاهمُ الله ولا يُخْزِينِي
أشباهُ أعْيَارٍ على مَعِينِ[(٣)] أخْشَنَّ جِسَّ أَسَدٍ حَرُونِ
فهنّ يَضْرِطْنَ من اليقينِ أنا جميلٌ فتَعَرّفوني
/ وما تقنّعتُ فتُنْكِروني وما أُعَيِّكم لتَسْألوني [٨/١٣٦]
أُنْمَى إلى عاديّةٍ طَحُونِ يَنْشقّ عنها السّيلُ ذو الشؤونِ
غَمْرٌ يَدُقّ رُجُحَ[(٤)] السّفينِ ذو حَدَبٍ[(٥)] إذا يُرَى حَجُونِ

* تَنحلّ أحقادُ الرجالِ دُوني *

قال: ورجزَ جميل أيضاً:

* أنا جميلٌ في السَّنام من مَعَدّْ *

وقد تقدّمت هذه الأرجوزة. ثم رجَز بعده جَوّاسٌ فلم يصنع شيئاً. قال: فما رأيت غَلَبةً مثلَها قطُّ.

هجا خوّاتا العذري وبني الأحب:

أخبرنا الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا بُهْلول بن سليمان عن العَلاء بن سعيد البَلَوِيّ وجماعةٍ غيره من قومه:

أنّ رجلاً من بني عُذْرة كان يقال له خَوّاتٌ، أمّه بَلَوِيّة، وكان شاعراً، وكان جميل ابنَ جُذَامِيّة. فخرج جميل إلى أخواله بجُذَام وهو يقول:

جُذَامُ سيوفُ الله في كلِّ موطنٍ إذا أزَمَتْ يومَ اللِّقاء أزَامِ[(٦)]
هُمُ منعوا ما بين مِصْرَ فذي القُرَى إلى الشأم مَنْ حِلٍّ به وحَرَامِ
بضربٍ يُزيل الهامَ عن سَكِناتِه[(٧)] وطَعْنٍ كإيزاغ المَخَاضِ تُؤَامِ
/ إذا قَصُرتْ يوماً أكُفُّ قبيلةٍ عن المجدِ نالته أكُفُّ جُذَامِ [١٠١/٧]

فأعطَوْه مائة بَكْرة. قال: وخرج خَوّاتٌ إلى أخواله من بَلِيّ وهو يقول:

إنّ بَلِيّاً غُرّةٌ يُهْتَدَى بها كما يَهْتدي الساري بمُطّلَعِ النجمِ
هُمُ ولدوا أُمّي وكنتُ ابنَ أُختهم ولم أتَخَوّلْ[(٨)] جِذْمَ قومٍ بلا علمِ

(١) دفين: موضع.
(٢) الحجون: جبل بأعلى مكة.
(٣) الأعيار: الحمر. والمعين: الماء العذب الغزير.
(٤) الرجح من السفن: الثقيلة الموقرة.
(٥) حدب السيل: ارتفاعه. وحجون: بعيد.
(٦) أزام: شدّة، وهو مبني على الكسر.
(٧) السكنة (بفتح فكسر): مقر الرأس من العنق.
(٨) تخوّل: اتخذ خالاً. وفي الأصول: «أتحوّل» بالحاء المهملة، وهو تصحيف. والجذم: الأصل.

[٨/١٣٧] / قال: فأعطَوْه مائة غُرّة ما بين فرس إلى وَليدة؛ ففخَر على صاحبه، وذكر أن الغُرّة الواحدةَ ممّا أتَى به ممّا معه تَعْدِل كلَّ شيء أتى به جميل. فقال عُبَيْدالله بن قُطْبة:

ستَقْضِـي بيننـا حكمـاءُ سَعْـدٍ أقُطْبـةُ كـان خيـراً أم صُبَـاحُ

قال: وكان عبدالله بن مَعْمَر أبو جميلٍ يلقَّب صُبَاحاً. وكان عُبيدالله بن قُطْبة يلقَّب حماطا[١]. فقال النَّخار العُذْرِيّ أحد بني الحارث بن سعد: قُطْبةُ[٢] كان خيراً من صُبَاح. فقال جميل يهجو بني الأحَبّ رهطَ قُطْبة ويهجو النَّخار:

إنّ أحـبَّ سُفَّـلٌ[٣] أشـرارُ حُثَـالـةٌ عُـودُهـمُ خـوّارُ

أذلُّ قـومٍ حيـن يُـدْعَـى الجارُ كمـا أذَلَّ الحـارِثَ النَّخـارُ

وقال الأُكَيْبِرق العُتْبِي[٤]: قُطْبة كان خيراً من صُبَاحٍ. فقال جميل:

يـابـنَ الأكَيْبِـرق وَطْبُ بِـتَّ[٥] مُسْنِدَه إلـى وِسَادِك مـن حُـمِّ الـذُّرى جُـونِ

وأكلتـان إذا مـا شئـت مـرتفقـاً بـالسير مـن نغل الـدفيـن مـدهـون[٦]

أُذكُـرْ[٧] وأُمُّـك منّـي حيـن تَنكُبنـي[٨] جِنِّـي فيَغْلِـب جِنِّـي كـلَّ مجنـون

[٨/١٣٨] / وقال جماعةٌ من شعراء سَعْد في تفضيل قُطْبة على صُبَاح أقوالاً أجابهم عنها جميل فأفحمهم؛ حتى قال له جعفر بن سُرَاقة أحدُ بني قُرّة:

نحـن مَنَعْنـا ذَا القُـرَى مـن عَـدُوِّنـا وعُـذْرةَ إذ نلقَـى يَهُـوداً ويعشـرا[٩]

مَنَعْنـاه مـن عُلْيَـا مَعَـدٍّ وأنتـمُ سَفَاسِيـفُ رَوْحٍ بيـن قُرْحَ[١٠] وخَيْبَـرَا

فـريقـانِ رُهْبـانٌ بـأسفَـلِ ذي القُـرَى وبـالشـأم عَـرّافـون فيمـن تَنَصَّـرَا

فلمّا بلغتْ جميلاً اتّقاه وعلِم أنه سيعلو عليه؛ فقال جميل:

بنـى عـامـرٍ أنَّـى أنتجعتـمْ وكنتـمُ إذا حُصِّـل الأقـوامُ كـالخُصْيـة الفَـرْدِ

فـأنتـم ولأيٍّ مـوضـعَ الـذُّلِّ حَجْـرةً وقُـرّةُ أَوْلَـى بـالعَـلاء وبـالمجـدِ

---

(١) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول «حلماطا». وليس لدينا ما يرجح إحدى الروايتين.

(٢) في الأصول «... الحارث بن سعد بن قطبة... إلخ» وهو تحريف.

(٣) كذا في أكثر الأصول، والسفل: جمع سافل وهو الدنيء، ويقال لأسافل الناس وغوغائهم: سفلة (بفتح فكسر) وسفلة (بكسر فسكون) والعامة تقول رجل سفلة (بفتح فكسر) من قوم سفل (بفتح فكسر) قال ابن الأثير وليس بعربيّ. وفي حـ: «قزم أشرار» والقزم (بفتحتين أو بضمتين): اللئام.

(٤) في ب، س: «القيني».

(٥) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «أنت مسنده».

(٦) لم نهتد إلى وجه الصواب في هذا البيت وقد أثبتنا صورته كما وردت في الأصول، فهو هكذا في ب، س. وفي حـ هكذا: «من نعل الدي فين». وفي م، أ، ء هكذا: «من بغل الذي فين».

(٧) في ب، س، حـ: «أزكى وأمك...». وهو تحريف.

(٨) في م، أ، ء: «تنكثني».

(٩) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «ويعشرا». ولم نهتد إلى وجه الصواب فيه.

(١٠) السفساف: التراب الدقيق. والروح: الريح. وقرح: سوق وادي القرى وقصبتها.

فأعرض عنه جعفر ـ قال الزبير: بنو عامر بن ثَعْلَبَة بن عبدالله بن ذُبْيَان بن الحارث بن سعد رهطُ هُدْبَةَ بنِ خَشْرَم بن كُرْز بن أبي حَيّة بن الكاهن وهو سَلَمة بن أَسْحَم بن عامر بن ثَعْلبة بن عبدالله بن ذُبْيان بن سعد هُذَيم بن زيد. وزِيادَةُ ابن زيد بن مالك بن عامر بن قُرّة بن خِنْبِس بن عمرو بن ثَعْلبة بن عبدالله[1] بن ذُبيان بن الحارث بن سَعْد هُذَيم. ولأي بن عبد مَنَاة بن الحارث بن سعد هُذَيم ـ قال: فدخل جميل على هُدْبَةَ بنِ خَشْرَم السجنَ وهو محبوسٌ بدم زِيَادةَ بنِ زيد، وأهدى له بُرْدين من ثياب كساه إيّاهما سعيد بن العاصي، وجاءه بنفقةٍ؛ فلما دخل عليه عرَض ذلك عليه؛ فقال هُدْبة: أنت يابْنَ قَمِيئةٍ[2] الذي تقول:

بنـي عـامـرٍ أنّـى أنتجعتـم وكنتـمُ ... إذا عُـدِّد الأقـوامُ كـالخصْيـة الفَـرْدِ

/ أمَا والله لئن خَلّص الله لي ساقَيَّ لأمُدّنّ لك مضمارَك؛ خذ بُرْدَيْكَ ونفقتَك. فخرج جميل؛ فلما بلغ بابَ السجن خارجاً قال: اللهمّ أغنِ عنّي أجْدَعَ بني عامر!. وكانت بنو عامر قد قَلّوا فحالفوا لأياً. [١٣٩/٨] ١٠٢/٧

لقي عمر بن أبي ربيعة وتناشدا الشعر وفضله على نفسه:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء ومحمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قالا حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المَخْزُومِي قال حدّثني شيخ من أهلي عن أبيه عن الحارث مولى هشام بن المُغِيرة الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة:

* يا أبا الحارثِ قلبي طائرٌ *

قال: شهدتُ عمرَ بن أبي رَبيعة وجميلَ بن عبدالله بن مَعْمَر وقد اجتمعا بالأبطَح؛ فأنشد جميلٌ قصيدته:

لقـد فَـرِح الـواشـون أن صَـرَمَـتْ حَبْلِـي ... بُثَيْنَـةُ أو أبـدتْ لنـا جـانـبَ البُخْـلِ
يقـولـون مَهْـلاً يـا جميـلُ وإننـي ... لأُقسم مـا بـي مـن بُثَيْنـة مـن مَهْـلِ
أحِلْمـاً فقبـل اليـوم كـان أوانُـه ... أمَ اخْشَـى فقبـل اليومِ أُوعِدتُ بـالقتـلِ
لقـد أنْكَحُـوا حَـرْبِـي نُبَيْهـاً ظَعِينـةً ... لطيفـةَ طَـيِّ البَطْـنِ ذاتَ شَـوًى خَـدْلِ
وكـم قـد رأينـا سـاعيـاً بنميمـةٍ ... لآخَـر لـم يَعْمِـدْ بكـفٍّ ولا رجـلِ
إذا مـا تـراجعْنـا الـذي كـان بيننـا ... جَرى الدمعُ من عينَيْ بُثَيْنةَ بـالكحـلِ

صـوت

كـلانـا بكَـى أو كـاد يَبْكِـي صَبـابـةً ... إلـى إلْفـهِ واستعجلـتْ عَبْـرةً قبلـي
فلـو تـركـتْ عَقْلِـي معـي مـا طلبتُهـا ... ولكـنْ طِـلاَبِيهـا لِمَـا فـات مـن عقلـي
فيـا وَيْـحَ نفسـي حَسْـبُ نفسِـي الـذي بهـا ... ويـا وَيْـحَ أهلـي مـا أُصِيـب بـه أهلـي

(١) في الأصول: «ابن عمرو بن عبدالله بن ثعلبة بن ذبيان إلخ».
(٢) القميئة: الذليلة.

[٨/١٤٠] / وقالت لأترابٍ لها لا زَعانِفٍ ... قصارٍ ولا كُسّ الثَّنايا ولا ثُعْلِ(١)
إذا حَمِيتْ شمسُ النهارِ أتقينَها ... بأكسيةِ الدِّيباج والخزِّ ذي الخَمْلِ
تَداعَيْنَ فاستَعْجَمْنَ مَشياً بذي الغَضا ... دَبِيبَ القَطا الكُدْرِيّ في الدَّمِثِ السَّهْلِ
إذا ارْتَعْنَ أو فُزِّعْنَ قُمْنَ حَوالَها ... قيامَ بناتِ الماءِ في جانب الضَّحْلِ(٢)
أجِدَّيَ لا ألْقَى بُثَينةَ مرّةً ... من الدهر إلا خائفاً أو على رِجْلِ(٣)
خليليّ فيما عِشْتُما هل رأيتُما ... قتيلاً بكى من حبِّ قاتِله قبلي

قال: وأنشده عمرُ قوله:

جرى ناصحٌ بالودِّ بيني وبينَها ... فقرَّبَني يوم الحِصاب إلى قتلي
فما أنسَ مِ الأشياءِ أنسَ مَوْقِفي ... وموقفَها وَهْناً(٤) بقارعة النخلِ
فلمّا تواقَفْنا عرفتُ الذي بها ... كمثل الذي بي حَذْوَكَ النعلَ بالنعل
فقُلْنَ لها هذا عِشاءٌ وأهلُنا ... قريبٌ ألَمّا تَسأَمِي مَرْكَبَ البغل
فقالت فما شِئْتُنَّ قُلْنَ لها انزلي ... فلَلأرضُ خيرٌ من وقوفٍ على رَحْلِ
فأقبَلْنَ أمثالَ الدُّمى فاكتَنَفْنَها ... وكُلٌّ يُفَدِّي بالمَوَدّة والأهلِ
نُجومٌ دَرارِيٌّ تكنَّفْنَ صورةً ... من البدر وافتْ غيرَ هُوجٍ ولا ثُجْلِ(٥)
[١٠٣/٧] / فسلَّمتُ واستأنستُ خِيفةَ أن يَرى ... عدوٌّ مكاني أو يرى كاشِحٌ فعلي
فقالت وألقتْ جانبَ السِّتْر إنما ... معي فتحدَّثْ غيرَ ذي رِقْبةٍ أهلي
[٨/١٤١] / فقلتُ لها ما بي لهم من ترقُّبٍ ... ولكنّ سِرّي ليس يحملُه مِثلي
فلما اقتصرْنا دونَهن حديثَنا ... وهُنّ طَبيباتٌ بحاجة ذي التَّبْلِ(٦)
عرفْنَ الذي نَهْوَى(٧) فقُلْنَ ائذَنِي لنا ... نَطُفْ ساعةً في بَرْدِ ليلٍ وفي سَهْلِ
فقالت فلا تَلْبَثْنَ قُلْنَ تحدَّثي ... أتيناكِ وانْسَبْنَ انسيابَ مَهَا الرملِ
وقُمْنَ وقد أفْهَمْنَ ذا اللُّبِّ أنما ... أتَيْنَ الذي يأتِينَ من ذاك من أجْلِي

---

(١) الزعانف: جمع زعنفة وهي القصيرة. والكس: جمع كساء. والكسس: قصر الأسنان وصغرها. والثعل: جمع ثعلاء. والثعل: زيادة سن أو دخول سن تحت أخرى.
(٢) بنات الماء: الطيور التي تلازم الماء. والضحل: الماء القليل.
(٣) الرجل: الخوف أو الفزع من فوت الشيء، يقال أنا من أمري على رجل أي على خوف من فوته. وفي ب، س: «على رحل» بالحاء المهملة.
(٤) كذا في أكثر الأصول و «ديوان عمر بن أبي ربيعة» (طبع أوروبا). وفي ب، س: «يوماً بفارغة النخل».
(٥) ثجل: جمع ثجلاء، وصف من الثجل وهو عظم البطن واسترخاؤه، ويروى: «ولا عجل».
(٦) كذا في «ديوانه». والتبل: أن يسقم الهوى الإنسان. وفي الأصول: «ذي الشكل».
(٧) في «ديوانه»: «تهوى» بالتاء.

فقال جميلٌ: هيهاتَ يا أبا الخَطّاب: لا أقولُ واللهِ مثلَ هذا سَجِيسَ[١] الليالي! وما خاطب النساءَ مخاطبتَك أحد؛ وقام مشمِّراً.

نسبة ما في هذا الخبر من «الأغاني»

صوت

خليلَيَّ فيما عشتُما هل رأيتُما ... قتيلاً بكَى من حبِّ قاتله قبلي

أَبِيتُ مع الهُلاّك ضيفاً لأهلِها ... وأهلي قريبٌ مُوسِعُون ذوو فَضْلِ

فلو تركتْ عقلِي معي ما طلبتُها ... ولكن طِلاَبِيها لِمَا فات من عقلي

الغناء للغَرِيض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وذكر حَمّاد والهشاميّ أن فيه لنافع الخير مولى عبدالله بن جعفر لحناً من الثقيل الأوّل.

ومنها:

صوت

ألا أيّها البيتُ الذي حِيلَ دونَه ... بنا أنت من بيتٍ[٢] وأَهْلُكَ من أهلِ

/ ثلاثةُ أبياتٍ فبيتٌ أُحِبُّه ... وبيتانِ ليسا من هوايَ ولا شكلي

كِلانا بكَى أو كاد يَبْكِي صَبابةً ... إلى إلفِه واستَعْجَلتْ عَبْرةٌ قبلي

[٨/١٤٢]

الغناء لإسحاق خفيفُ ثقيلِ الثاني بالبنصر.

ومنها:

صوت

لقد فرِح الواشُونَ أن صَرَمَتْ حبلِي ... بثينةُ أو أَبْدَتْ لنا جانبَ البخلِ

يقولون مَهْلاً يا جميلُ وإنني ... لأُقسِمُ ما بي عن بُثَينةَ من مَهْلِ

الغناء لابن مُحْرِز من كتاب يونُسَ ولم يجنِّسْه، وذكر إسحاقُ أنه مما ينسَب إلى ابن مُحْرِز وابن مِسْجَح، ولم يصحّ عنده لأيِّهما هو ولا ذكر طريقتَه.

غنى نافع الخير يزيد بن معاوية من شعره:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال حدّثني غير واحد من الرواة عن صالح بن حَسّان قال أخبرني نافعٌ مولى عبدالله بن جعفر ـ وما رأيت أحداً قطُّ كان أشكلَ ظَرْفاً ولا أزينَ في مجلسٍ ولا أحسنَ غناءً منه ـ قال:

قدِمْنا مع عبدالله بن جعفر مرّة على معاوية؛ فأرسل إليّ يزيدُ يَدْعوني ليلاً؛ فقلت: أكرَه أن يعلم أمير المؤمنين مكاني عندك فيشكُوَني إلى ابن جعفر. قال فأَمْهَلْ حتى إذا سمَر أمير المؤمنين فإن ابن جعفر يكون معه فلا يَفْتَقِدُكَ

---

(١) سجيس الليالي: طول الليالي.

(٢) ف، ب، س: بنا أنت من بيتي وأهلك من أهلي

[١٠٤/٧] ونَخْلُو نحن بما نريد قبل قيامِهما. / فأتيتُه فغنّيْتُه؛ فوالله ما رأيتُ فتًى أشرفَ أرْيحيّةً منه؛ والله لألْقَى عليّ من الكُسَا الخَزّ والوَشْي وغيرِه ما لم أستطعْ حملَه، ثم أمر لي بخمسمائة دينار. قال: وذهب بنا الحديث وما كنّا فيه، حتى قام معاويةُ ونَهض ابنُ جعفر معه، وكان باب يزيدَ في سَقيفة معاوية؛ فسمع صوتي، فقال لابن جعفر: ما هذا يا ابنَ جعفر؟ قال: هذا والله صوتُ نافع. فدخل علينا؛ فلما أحسّ به يزيدُ تناوم. / فقال له معاوية: مالك يا بُنَيّ؟ قال: [١٤٣/٨] صُدِعْتُ فرجوتُ أن يُسْكِنَ عنّي بصوتِ هذا. قال: فتبسّم معاويةُ وقال: يا نافع، ما كان أغْنانا عن قُدومك! فقال له ابن جعفر: يا أميرَ المؤمنين، إن هذا في بعض الأحَايين يُذْكِي[1] القلبَ. قال: فضحك معاويةٌ وانصرف. فقال لي ابن جعفر: وَيْلَكَ! هل شرِب شيئاً؟ قلت: لا والله. قال: والله إنّي لأرجو أن يكون من فِتْيَانِ بني عبد مَناف الذين يُنتفع بهم. قال نافع: ثم قدِمْنا على يزيدَ مع عبدالله بن جعفر بعد ما اسْتُخْلِف، فأجلسه معه على سريره ودخلتْ حاشيتُه تسلِّم عليه ودخلتُ معهم. فلما نظَر إليّ تبسّم. ثم نَهض ابنُ جعفر وتبِعْنَاه. فقيل له: نظَر إلى نافعٍ وتبسم. فقال ابنُ جعفر: هذا تأويلُ تلك الليلةِ. فقضى حوائجَ ابن جعفر وأضعف ما كان يَصِلهُ به معاويةٌ. فلما أراد الانصراف أتاه يودعه ونحن معه؛ فأرسل إليّ يزيدُ فدخلتُ عليه. قال: وَيْحَك يا نافع! ما أخَّرْتُك إلا لأتفرّغ لك. هاتِ لَحْنَك:

خليليَّ فيما عشتُما هل رأيتُما ... قتيلاً بَكَى من حبِّ قاتِله قبلي

فأسمعتُه؛ فقال: أعِدْ وَيْلَكَ! فأعدتُه، ثم قال: أعدْ فأعدتُه ثلاثاً. فقال: أحسنتَ؛ فسَلْ حاجتك. فما سألتُه في ذلك اليوم شيئاً إلا أعْطَانيه. ثم قال: إن يَصْلُحْ لنا هذا الأمرُ من قِبَل ابن الزُّبَير فلعلّنا أن نَحُجّ فتَلْقَانا بالمدينة! فإنّ هذا الأمرَ لا يصلُح إلّا هناك. قال نافع: فمنَعَنا والله من ذلك شُؤْمُ ابنِ الزُّبَير.

سأله عمر بن أبي ربيعة عن بثينة فذهب إليها وحدثها:

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجَعْفَريّ قال حدّثنا القاسم بن أبي الزِّناد قال:

[١٤٤/٨] / خرج عمرُ بن أبي رَبيعة يريد الشامَ، فلما كان بالجَنَاب[2] لقيه جميلٌ؛ فقال له عمرُ: أنشدْني، فأنشده:

خليليَّ فيما عشتُما هل رأيتُما ... قتيلاً بَكَى من حبِّ قاتله قبلي

ثم قال جميل: أنشِدْني يا أبا الخَطّاب، فأنشده:

ألم تَسْألِ الأطلالَ والمُتَربَّعَا ... ببطن حُلَيّاتٍ دَوارِسَ بَلْقَعَا

فلما بلغ إلى قوله:

فلما تواقفْنا وسلّمتُ أشْرقتْ ... وجوهٌ زَهَاها الحسنُ أن تتقنّعَا

تَبالَهْنَ بالعِرْفان لمّا عرفنَنِي[3] ... وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أكَلَّ وأوْضَعَا

---

(١) في ب، س: «يذكر».

(٢) الجناب: موضع في أرض كلب في السماوة بين العراق والشام.

(٣) في ب، س: «رأينني».

وقـــرّبْـــنَ أسبـــابَ الهـــوى لمتيَّـــم   يقِيـــسُ ذِراعـــاً كلّمـــا قِسْـــنَ إصْبَعـــا

قال: فصاح جميلٌ وٱستَخْذَى وقال: ألا إن النَّسيب أُخذ من هذا، وما أنشده حرفاً، فقال له عمر: اذهبْ بنا إلى بُثينة حتى نسلّم عليها. فقال له جميل: قد أَهْدر لهم السلطانُ دَمِي إن وجدوني عندها، وهاتِيكَ أبياتُها. فأتاها عمرُ حتى وقف على أبياتها وتأنّس حتى كُلِّم؛ فقال: / يا جارية، أنا عمرُ بن أبي ربيعة، فأَعْلِمِي بثينة مكاني. فخرجتْ إليه [١٠٥/٧] بثينةُ في مَبَاذِلِها وقالت: والله يا عمرُ لا أكونُ من نسائك اللاّتِي يزعُمْنَ أن قد قتلهنّ الوجدُ بك؛ فٱنكسر عمر؛ قال وإذا ٱمرأةٌ أَدْماءُ طُوَالَةٌ.

وأخبرني بهذا الخبر عليّ بن صالح عن أبي هِفّان عن إسحاق عن المسيَّبيّ والزُّبَيْر فذكر مثلَ ما ذكره الزبير وزاد فيه قال: فقال لها قولَ جميل:

/ وهُمَـــا قـــالتـــا لَـــوَ أنّ جميـــلاً   عـــرَض اليـــومَ نَظْـــرةً فـــرآنـــا [١٤٥/٨]

بيْنَمـــا ذاك منهمـــا وإذا بـــي[1]   أُعْمِـــلُ النَّـــصَّ[2] سَيْـــرةً زَفَيـــانـــا

نظـــرتْ نحـــوَ تِـــرْبِهـــا ثـــم قـــالـــت   قـــد أتـــانـــا ـ ومـــا علمنـــا ـ مُنَـــانَـــا

فقالت: إنه ٱستَمْلَى منك فما أَفْلح؛ وقد قيل: اربِطُ الحمار مع الفرس، فإن لم يتعلّم من جَرْيه تعلّم من خُلُقه.

لقي بثينة ورصده أهلها فهددهم ثم هجرته بثينة وشعره في ذلك:

وذكر الهَيْثَم بن عَدِيّ وأصحابه في أخبارهم: أن جميلاً طال مُقامُه بالشأم ثم قدِم، وبلغ بثينةَ خبرُه فراسلتْه مع بعض نساء الحيّ تذكُر شوقَها إليه ووَجْدَها به وطلبَها للحيلة في لقائه، وواعدتْه لموضع يلتقيان فيه؛ فسار إليها وحدّثها طويلاً وأخبرها خبره بعدها. وقد كان أهلُها رصَدوها، فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجما عليهما، فوثب جميلٌ فٱنْتَضَى سيفَه وشَدّ عليهما فٱتّقياه بالهرب؛ وناشدتْه بثينةُ اللهَ إلاّ ٱنصرف، وقالت له: إن أقمتَ فضَحْتَني، ولعل الحَيّ أن يَلْحقوك. فأبَى وقال: أنا مقيمٌ وٱمْضِي أنتِ ولْيَصْنَعوا ما أحبُّوا. فلم تزل تُناشده حتى ٱنصرف. وقال في ذلك وقد هجرتْه وٱنقطع التلاقِي بينهما مدّة:

ألـــم تَسْـــألِ الـــربـــعَ الخَـــلاَء فينطـــقُ   وهـــل تُخبِـــرنْـــكَ اليـــومَ بَيْـــدَاءُ سَمْلَـــقُ[3]

وقفـــتُ بهـــا حتـــى تجلّـــتْ عَمَـــايَتِـــي   ومـــلّ الـــوقـــوفَ الأَرْحَبِـــيُّ[4] المنـــوّقُ

تَعَـــزَّ وإن كـــانـــت عليـــك كـــريمـــةً   لعلّـــك مـــن رِقّ لبَثْنَـــة تَعْتِـــقُ

لعَمْـــرُكُـــم إن البِعـــاد لشـــائقـــي   وبعـــضُ بِعـــاد البَيْـــنِ والنـــأيِ أَشْـــوَقُ

/ لعلّـــكَ محـــزونٌ ومُبْـــدٍ صَبَـــابَـــةً   ومُظْهِـــرُ شكـــوى مـــن أُنـــاسٍ تفـــرّقـــوا [١٤٦/٨]

وبيـــضٍ غَـــريـــراتٍ تُثَنّـــي خُصـــورَهـــا   إذا قُمْـــنَ أعجـــازٌ ثِقـــالٌ وأَسْـــؤُقُ

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «وأتاني» وهو تحريف.
(٢) النص: السير الشديد. وزفياناً: سريعاً.
(٣) سملق: مقفرة لا نبات بها. وقد وردت هذه القصيدة. في «منتهى الطلب من أشعار العرب» مختلفة الألفاظ عما هنا.
(٤) الأرحبيّ: النجيب من الإبل، ينسب إلى قبيلة بني أرحب. والمنوّق: الذلول.

غَـرَائـرَ لـم يَلْقَيْـنَ بـؤسَ معيشـةٍ يُجِـنّ بهـنّ النـاظـرُ[١] المتنـوّقُ
وغَلْغَلْـتُ[٢] مـن وَجْـدٍ إليهـنّ بعدمـا سَرَيْتُ وأحْشائي من الخوف تَخفِقُ
معي صـارِمٌ قـد أَخْلص القَيْـنُ صقْلـه لـه حيـن أُغْشِيـه الضَّـريبـةَ رونَـقُ
فلـولا أحتيـالـي ضِقْـنَ ذرعـاً بِـزائـرٍ بـه مـن صَبـابـاتِ إليهـنّ أَوْلَـقُ[٣]
تَبُـوكُ بقُضْبـانِ الأَرَاكِ مفلَّجـاً يُشَعْشِـعُ فيـه الفـارِسـيُّ[٤] المـروَّقُ
أبثنـةُ لَلْـوصْـلُ الـذي كـان بيننـا نَضَـا مثلَ مـا يَنْضُـوا الخِضـابُ فيَخْلُـقُ
أبَثْنـةُ مـا تَنـأَيْـنَ إلا كـأنّنـي بنجـم الثُّـرَيَّـا مـا نـأيـتِ مُعَلَّـقُ

أنشد إسحاق الرشيد أحسن شعره في العتاب:

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

دخلت على الرشيد يوماً فقال لي: يا إسحاق، أَنْشِدْني أحسنَ ما تعرِف في عِتاب محبٍّ وهو ظالم مُتَعَتِّب[٥].

/ فقلت: يا أمير المؤمنين قول جميل: ١٠٦/٧

رِدِ المـاءَ مـا جـاءتْ بصَفْـوٍ ذَنَـائِبُـهُ[٦] ودَعْـهُ إذا خِيضَـتْ بطَـرْقٍ[٧] مَشَـارِبُـهْ
أُعـاتِـبُ مَـنْ يحلـو لـديَّ عتـابُـهُ واتـرك مَـنْ لا أشتهـي وأُجـانِبُـهْ
ومـن لـذّة الـدنيـا وإن كنـتَ ظـالمـاً عِنـاقُـك مظلـومـاً وأنـتِ تُعـاتِبُـهْ

/ فقال: أَحْسنَ والله! أعِدْها عليّ؛ فأعدتُها حتى حفظها، وأمر لي بثلاثين ألف درهم وتركني وقام فدخل إلى دار الحُرَم. [٨/١٤٧]

ذهب معه صديق له إلى بثينة فطارده أهلها فرجع:

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن السَّعِيديّ[٨] قال: حدّثني رجلٌ كان يصحَب جميلاً من أهل تَيْماء قال:

كنتُ يوماً جالساً مع جميل وهو يحدِّثني وأُحدِّثه، إذ ثار وتربّد وجهُه، فأنكرتُه ورأيتُ منه غيرَ ما كنتُ أرى، ووثب نافراً مُقْشَعِرَّ الشعر متغيِّر اللون، حتى أُتِيَ بناقةٍ له قريبةٍ من الأرض مُجْتَمِعةٍ مُوَثَّقةِ الخَلْق فشَدّ عليها رَحْلَه، ثم أُتِي بِمِحْلَب فيه لبنٌ فشربه، ثم ثنَّى فشربت حتى رَوِيت؛ ثم قال لي: اشْدُدْ أداة رَحْلِك واشْرَبْ واسْقِ جَمَلك

(١) تنوّق في أموره: جوّد وبالغ.
(٢) غلغل الرجل: دخل في تعب وشدّة. وفي «ديوان منتهى الطلب من أشعار العرب»: «تنضيت» ومعناها: هزلت.
(٣) الأولق: الجنون.
(٤) الفارسيّ: من أسماء الخمر.
(٥) متعتب: متجنّ.
(٦) الذنائب: جمع ذنوب وهي الدلو العظيمة.
(٧) الطرق: أن تبول الإبل في الماء وتبعر فتكدره. ويقال للماء الذي خوّضته الإبل فبالت فيه وبعرت: مطروق وطرق.
(٨) في ب، س: «السعدي».

فإني ذاهبٌ بك إلى بعض مَذَاهِبي، ففعلتُ. فجال في ظهر ناقته وركِبتُ ناقتي، فسرْنا بياضَ يومنا وسوادَ ليلتنا، ثم أصبحنا فسرْنا يومَنا كلَّه، لا واللهِ ما نزلنا إلا للصَّلاة، فلما كان اليومُ الثالثُ دَفَعْنا إلى نسوةٍ فمال إليهنّ، ووجدنا الرجال خُلُوفاً[1]، وإذا قِدْرُ لبنٍ ثَمَّ وقد جُهِدتُ جوعاً وعَطَشاً. فلما رأيتُ القِدْرَ أقتحمتُ عن بعيري وتركتُه جانباً، ثم أدخلتُ رأسي في القِدْر ما يَثْنِيني حَرُّها حتى رَوِيت؛ فذهبتُ أُخرجُ رأسي من القِدْر فضاقت عليّ وإذا هي على رأسي قَلَنْسية، فضحِكن منّي وغَسَلْنَ ما أصابني. وأُتِي جميلٌ بقِرًى فوالله ما ألتفت إليه. فبينا هو يحدِّثهنّ إذا رَوَاعِي[2] الإبلِ، وقد كان السلطان أحلَّ لهم دمَه إن وجدوه في بلادهم؛ وجاء الناسُ فقالوا له: وَيْحَكَ! أنجُ وَتَقَدَّمْ! فوالله ما أكْبَرَهم كلَّ الإكبار. وغَشِيه الرجالُ فجعلوا يرمُونه ويطرُدونه، فإذا قَرُبوا منه قاتلهم ورمَى فيهم. وهامَ بِي جَمَلي، فقال لي يَسِّرْ: / لنفسك مَرْكَباً خلفي، فأَرْدَفَنِي خَلْفَه. ولا والله ما أنكسر ولا أنحلَّ عن فِرْصَته[3] حتى رجع إلى أهله، وقد سار ستَّ ليالٍ وستة أيّام وما ألتفت إلى طعام. [١٤٨/٨]

لامه فيها روق ابن عمه ولما رأى ما به احتال في زيارته لها وشعره في ذلك:

وشكا زوجُ بُثَينة إلى أبيها وأخيها إلْمامَ جميلٍ بها؛ فوجّهوا إلى جميلٍ فأعْذَروا إليه وشكَوْه إلى عَشيرته وأعْذروا إليهم وتوعّدوه وإيّاهم. فلامه أهلُه وعنَّفوه وقالوا: اسْتَخْلِصْ إليهم ونبرأ منك ومن جَريرتك. فأقام مدّةً لا يُلِمّ بها. ثم لقي أبني عمِّه روْقاً ومسعدة، فشكا إليهما ما به وأنشدهما قوله:

صوت

زُورَا بُثَيْنَـةَ فـالحبيـبُ مَـزُورُ ... إنّ الـزيـارةَ للمحـبِّ يسيـرُ

إنّ التـرحُّـلَ، إن تلبَّـس أمـرُنـا ... وأعتـاقَنـا قَـدَرٌ أُحِـمَّ، بكـور

ـ الغناءُ لعَرِيبَ رَمَلٌ بالوسطى ـ

صوت

إنّـي عشيّـةَ رُحْـتُ وهـي حـزينـةٌ ... تشكـو إلـيّ صبابـةً لَصَبُـورُ

/ وتقـول بِـتْ عنـدي فَـدَيْتُـكَ ليلـةً ... أشكـو إليـكَ فـإنّ ذاك يسيـرُ ١٠٧/٧

ـ الغناء لسُلَيْم خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه ثقيلٌ أوّل بالبنصر ذكر الهِشاميّ أنه لمُخَارِق، وذكر حبش أنه لإبراهيم. وذكر حبش أن لحن مخارق خفيفُ رملٍ ـ

غَـرّاءُ مِبْسـامٌ كـأنّ حـديثَهـا ... دُرٌّ تَحَـدَّرَ نَظْمُـه منثـورُ

محطـوطـةُ[4] المَتْنَيْـنِ مُضْمَـرةُ الحَشَـى ... رَيَّـا الـرّوادفِ خَلْقُهـا ممكـور

/ لا حُسْنِهـا حُسْـنٌ ولا كَـدَلالِهـا ... دَلٌّ ولا كَـوَقـارِهـا تـوقيـر [١٤٩/٨]

---

(١) خلوفا: غيبا.

(٢) المراد هنا الإبل الراعية لا الرعاة الذين يرعونها فإن جمع الراعي رعاة ورعاء ورعيان.

(٣) الفرصة: القطعة من الصوف والقطن. ولعله يريد ما وضعه على رحل بعيره وجعله تحته.

(٤) محطوطة المتنين: ممدودتهما. وفي الأصول: «مخطوطة المتنين» بالخاء المعجمة، وهو تصحيف.

إنّ اللسانَ بذكرها لَمُوكَّلٌ والقلب صادٍ والخواطر صُورُ[١]

ولئن جَزَيْتِ الودَّ منّي مثلَه إنّي بذلك يا بُثَين جديرُ

فقال له رَوْق: إنك لعاجزٌ ضعيف في آستكانتك لهذه المرأة وتَرْكِكَ الاستبدالَ بها مع كثرة النساء ووجود مَنْ هو أجملُ منها، وإنّك منها بين فجورٍ أرفعُك عنه، أو ذُلٍّ لا أُحِبّه لك، أو كَمَدٍ يُؤدِّيك إلى التَّلَف، أو مخاطرةٍ بنفسك لقومها إن تَعَرّضتَ[٢] لها بعد أعذارهم إليك. وإن صرفتَ نفسك عنها وغلبتَ هواك فيها وتجرّعتَ مرارةَ الحَزْم حتى تألَفَها وتَصْبِر نفسك عليها طائعةً أو كارهة ألِفَتَ ذلك وسَلَوْتَ. فبكى جميل وقال: يا أخي، لو ملكتُ آختياري لكان ما قلت صواباً، ولكني لا أملك الاختيار ولا أنا إلاّ كالأسير لا يملك للنفسه نفعاً، وقد جئتك لأمرٍ أسألك ألاّ تكدر ما رجوتُه عندك فيه بلَوْم، وأن تَحْمِلَ على نفسك في مساعدتي. فقال له: فإن كنتَ لا بدّ مُهْلِكاً نفسَك فأعمَلْ على زيارتها ليلاً؛ فإنها تخرج مع بنات عمٍّ لها إلى مَلعَب لهنّ، فأجيءُ معك حينئذٍ سرّاً، ولي أخٌ من رَهْط بُثَيْنة من بني الأحَبّ، نَأوي عنده نهاراً، وأسأله مساعدتَك على هذا، فتقيم عنده أيّاماً نهارَك وتجتمع معها بالليل إلى أن تَقضِيَ أرَبَك؛ فشكره. ومضى رَوْق إلى الرجل الذي من رهط بُثَينة، فأخبره الخبرَ وأستعهده كتمانَه وسأله مساعدتَه فيه. فقال له: لقد جئتَني بإحدى العظائم؛ وَيْحَك! إن في هذا مُعاداتي الحيَّ جميعاً إن فُطِن به. فقال: أنا أتحرّز في أمره من أن يَظْهر، فواعَدَه في ذلك؛ ومضى إلى جميلٍ فأخبره بالقصة، فأتَيا الرجلَ ليلاً فأقاما عنده. وأرسل إلى بُثَينة بوليدةٍ له بخاتم جميل فدفعتْه إليها؛ فلما رأته عرفتْ، فتَبِعتْها وجاءته فتحدّثا ليلتَهما. وأقام بموضعه ثلاثة أيام ثم ودّعها، / وقال لها: عن غيرِ قِلى والله ولا مَلَلٍ يا بُثَينة كان وَدَاعِي لكِ، ولكنّي قد تذممت من هذا الرجل الكريم وتعريضه نفسَه لقومه، وأقمتُ عنده ثلاثاً ولا مزيدَ على ذلك، ثم آنصرف. وقال في عَذْل رَوْقٍ آبنِ عمه إيّاه: [٨/١٥٠]

لقد لامني فيها أخٌ ذو قرابةٍ حبيبٌ إليه في مَلامتِه رُشْدي

وقال أَفِقْ حتى متى أنت هائمٌ ببَثْنَةَ فيها قد تُعِيدُ وقد تُبْدي

فقلت له فيها قضَى اللهُ ما ترى عليّ وهل فيما قضَى الله من رَدِّ

فإن يك رُشْداً حُبُّها أو غَوايةً فقد جئتُه ما كان منّي على عَمْدِ

/ صوت ١٠٨/٧

لقد لَجّ ميثاقٌ من الله بيننا وليس لمن لم يُوفِ لله من عَهْد

فلا وأبيها الخيرِ ما خُنتُ عهدَها ولا لِيَ علمٌ بالذي فعلتْ بعدي

وما زادها الواشون إلا كرامةً عليّ وما زالت مودّتُها عندي

ـ الغناء لمتيَّم ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ، وذكر آبن المعتزّ أنه لشارية، وذكر آبن خُرْدَاذبه أنه لقَلَم الصالحيّة ـ

أفي الناسِ أمثالي أحَبَّ فحالُهم كحالِيَ أم أحببتُ من بينهم وحدي

(١) صور: مائلات.

(٢) في الأصول: «تعذرت» وليس لها معنى مناسب.

وهل هكذا يلقى المحبّون مثلَ ما ... لَقِيتُ بها أم لم يَجِدْ أحدٌ وَجْدِي

وقال جميل فيها:

خليليّ عُوجَا اليوم حتى تُسَلِّما ... على عَذْبَةِ الأنياب طَيِّبة النَّشْرِ
أَلِمَّا بها ثم أشفعَا لي وسَلِّمَا ... عليها سَقَاها الله من سائغ القطر
وبُوحَا بذكرى عند بُثْنَةَ وأنظُرَا ... أترتاح يوماً أم تَهَشُّ إلى ذكرى
فإن لم تكُنْ تَقْطَعْ قُوَى الودِّ بيننا ... ولم تَنْسَ ما أسلفتُ في سالف الدهر
/ فسوف[1] يُرَى منها اشتياقٌ ولَوْعَةٌ ... ببَيْنٍ وغَرْبٌ من مدامعها يجري [٨/ ١٥١]
وإن تكُ قد حالتْ عن العهد بَعْدَنا ... وأصغتْ إلى قول المُؤَنِّبِ والمُزْرِي
فسوف يُرَى منها صدودٌ ولم تكن ... بنَفْسِيَ من أهل الخيانة والغَدْرِ
أعوذُ بك اللّهمَّ أن تَشْحَطَ النَّوَى ... ببثنةَ في أدنى حياتي ولا حَشْرِي
وجَاوِرْ إذا ما مِتُّ بيني وبينها ... فيا حَبَّذا موتي إذا جاورتْ قبري
عَدِمتُكَ من حبٍّ أمَا منك راحةٌ ... وما بِكَ عنّي من تَوَانٍ ولا فَتْرِ
ألا أيّها الحبُّ المبرِّح هل ترى ... أخَا كَلَفٍ يُغْرِي بحبٍّ كما أُغْرِي
أجِدَّكَ لا تَبْلَى وقد بَلِيَ الهوى ... ولا ينتهي حبِّي بُثَيْنةَ للزجْرِ
أُغْرِي أَجِدَّكَ لا تَبْلَى وقد بَلِيَ الهوى ... ولا ينتهي حبِّي بُثَيْنَةَ للزَّجْرِ

صوت

هي البدرُ حسناً والنساءُ كواكبٌ ... وشَتّانَ ما بين الكواكبِ والبدرِ
لقد فُضِّلتْ حسناً على الناس مثلَما ... على ألفِ شهرٍ فُضِّلتْ ليلةُ القَدْرِ

غَنَّتْ شاريةُ في هذين البيتين خفيفَ رملٍ من رواية ابن المعتزّ.

تهاجرا مدّة ثم اصطلحا:

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال أخبرنا إسحاق بن محمد بن أَبَان قال حدّثني الرحّال بن سعد المازنيّ قال: وقع بين جميل وبُثَينة هجرٌ في غَيْرةٍ كان غارها عليها من فتًى كان يتحدّث إليها من بني عمها، فكان جميل يتحدّث إلى غيرها، فيَشُقُّ ذلك على بُثَينة وعلى جميل، وجعل كلُّ واحدٍ منهما يَكْرَه أن يُبْدِيَ لصاحبه شأنَه. فدخل جميلٌ يوماً وقد غلَبه الأمرُ إلى البيت الذي كان يجتمع فيه مع بُثَينة. فلما رأته بُثَينة جاءت إلى البيت ولم تبرزْ له؛ فجزع لذلك جميل؛ وجعل كلُّ واحد منهما يُطالع صاحبَه؛ وقد بلَغ الأمر من جميل كلَّ مبلغ، / فأنشأ يقول: [١٠٩/ ٧] [٨/ ١٥٢]

/ لقد خِفتُ أن يغتالني الموتُ عَنْوةً ... وفي النفسِ حاجاتٌ إليكِ كما هِيَا
وإنّي لتَثْنِينِي الحَفِيظةُ كلّما ... لَقِيتُكِ يوماً أن أَبُثَّكِ ما بِيَا

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فكيف».

ألـم تعلمـي يـا عـذبـةَ الـرِّيـقِ أنّنـي ... أظَـلّ إذا لـم أسْـقَ رِيقَـكِ صَـادِيـا

قال: فرَقّتْ له بُثينة، وقالت لمولاةٍ لها كانت معها: ما أحسنَ الصدقَ بأهله! ثم أصطلحا. فقالت له بُثينة: أَنْشِدْني قولَك:

تَظَـلُّ وراء السِّتْـرِ تَـرْنُـو بلَحْظِهـا ... إذا مـرّ مـن أتـرابهـا مَـنْ يَـرُوقُهـا

فأنشدها إيّاها؛ فبكت وقالت: كلاّ يا جميل! ومَنْ ترى أنه يَرُوقُني غيرُك!.

نعي جميل وحزن بثينة عليه:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ وحبيب بن نَصْر المهلّبي قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال ذكَر أيوب بن عَبَاية قال: خرجتُ من تَيْمَاء في أغْبَاش[(١)] السَّحَر، فرأيت عجوزاً على أتَان، فتكلّمتْ فإذا أعرابيةٌ فصيحة. فقلت: ممن أنتِ؟ فقالت: عُذْريّة. فأجريتُ ذكر جميلٍ وبُثينة؛ فقالت: والله إنّا لعلى ماءٍ لنا بالجَنَاب وقد تنكّبْنا الجادّةَ[(٢)] لجيوشٍ كانت تأتينا من قِبَل الشأم تُريد الحجاز، وقد خرج رجالُنا لسَفَرٍ وخلّفوا معنا أحداثاً؛ فأنحدروا ذاتَ عشيّة إلى صِرْمٍ[(٣)] قريبٍ منا يتحدّثون إلى جَوَارٍ منهم، فلم يبقَ غيري وغيرُ بثينة، إذ أنحدر علينا منحدرٌ من هَضْبةٍ تِلْقاءنا، فسلّم ونحن مُستوحشون وَجِلون. فتأمّلتُهُ ورددتُ السلامَ فإذا جميلٌ. فقلت: أجميل؟ قال: إي والله؛ وإذا به لا يتماسك جوعاً، فقمت إلى قَعْبٍ لنا فيه أَقِطٌ[(٤)] مطحون وإلى عُكّةٍ[(٥)] فيها سَمْن ورُبٌّ[(٦)]، فَعَصَرْتها على الأقِط / ثم أدنيتُها منه وقلت: [٨/١٥٣] أَصِبْ من هذا، فأصاب منه؛ وقمتُ إلى سِقَاءٍ فيه لبنٌ فصَبَبْتُ عليه ماءً بارداً فشرب منه وتراجعتْ نفسُه. فقلت له: لقد بلغتَ ولقِيتَ شرّاً، فما أمرُك؟ قال: أنا والله في هذه الهَضْبةِ التي تَرَيْن منذ ثلاثٍ ما أَرِيمُها أنتظر أن أرى فُرْجةً، فلما رأيتُ مُنْحَدَرَ فِتْيَانكم أتيتُكم لأُودِّعكم وأنا عامدٌ إلى مِصْر. فتحدّثنا ساعةً ثم ودّعَنا وشخَص، فلم تَطُلْ غيبتُه أن جاءنا نَعْيُه. فزعموا أنه قال حين حضرتْه الوفاة:

صَـدَعَ[(٧)] النَّعِـيُّ ومـا كنـى بجميـلِ ... وثَـوَى بِمصْـرَ ثَـوَاءَ غيـرِ قُفـولِ

ولقـد أجُـرّ الـذَّيْـلَ فـي وادي القُـرَى ... نَشْـوانَ بيـن مـزارعٍ ونخيـلِ

قُـومِـي بُثَيْنـةُ فـانْـدُبِـي بعَـوِيـلِ ... وأبكِـي خليلَـكِ دون كـلّ خليـلِ

أخبرني أبو الحسن الأسَديّ قال حدّثني محمد بن القاسم عن الأصمعيّ قال: حدّثني رجلٌ شهد جميلاً لمّا حضرتْه الوفاة بِمصْر أنه دعاه فقال: هل لك في أن أُعطيَك كلَّ ما أُخلّفه على أن تفعل شيئاً أعهده إليك؟ فقال قلت: اللهم نعم. قال: إذا أنا متُّ فخُذْ حُلّتي هذه التي في عَيْبَتي فأعْزِلْها جانباً ثم كلَّ شيء سواها لك، وأرْحَلْ إلى رَهْط بني الأَحَبّ من عُذْرة ـ وهم رَهْط بُثينة ـ فإذا صرتَ إليهم فأرتحلْ ناقتي هذه وأرْكَبْها، ثم ألْبَسْ حُلّتي هذه وأشْقُقْها

(١) الغبش: ظلمة آخر الليل.

(٢) الجادة: الطريق.

(٣) الصرم: الجماعة من الناس ليسوا بالكثير.

(٤) الأقط (بفتح فكسر)، وفيه لغات أخرى هذه أفصحها: لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به.

(٥) العكة: زقيق صغير للسمن.

(٦) الرب: ما يطبخ من التمر.

(٧) صدع: جاهر وصرح.

ثم أعْلُ على شَرَفٍ وصِحْ بهذه الأبيات وخَلاَك ذَمٌّ. ثم أنشدني هذه الأبيات:

١١٠/٧ / صَـدَع النَّعِـيُّ ومـا كَنَـى بجميـلِ ... وثــوى بمِصْـرَ ثَــوَاء غيـرِ قُفُــولِ

ـ وذكر الأبيات المتقدِّمة ـ فلما قَضَى وواريتُه أتيتُ رَهْطَ بُثَينة ففعلتُ ما أمرني به جميل، فما أستتممْتُ الأبيات حتى بَرَزَتْ إليَّ امرأةٌ يتبعها نسوةٌ قد فَرَعَتْهُنَّ / طُولاً وبرَزَتْ أمامهن كأنها بدرٌ قد بَرَز في دُجُنَّةٍ وهي تتعثَّر [١٥٤/٨] في مِرْطِها[١] حتى أتتني، فقالت: يا هذا، والله لئن كنتَ صادقاً لقد قتلْتني، ولئن كنتَ كاذباً لقد فَضَحْتَني. قلت: والله ما أنا إلاّ صادق، وأخرجتُ حُلَّتَه. فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصَكَّتْ وجهَها، وأجتمع نساءُ الحيِّ يبكين معها ويَنْدُبْنَه حتى صَعِقتْ فمكثتْ مَغشيّاً عليها ساعةً، ثم قامت وهي تقول:

وإنّ سُلُـوِّي عــن جميـلٍ لَسَـاعـةٌ ... مـن الـدَّهْـرِ مـا حـانـتْ ولا حـان حِينُهـا

سـواءٌ علينـا يـا جميـلُ بـن مَعْمَـرٍ ... إذا مِـتَّ بـأسـاءُ الحيـاةِ ولِينُهـا

قالَ: فلم أرَ يوماً كان أكثر باكياً وباكيةً منه يومئذ.

صوت

من المائة المختارة من رواية جَحْظة عن أصحابه

أمسـى الشبـابُ مُـوَدَّعـاً محمـودا ... والشيـبُ مُـؤْتَنِـفَ[٢] المحـلِّ جـديـدَا

وتغيَّـر البِيـضُ الأوانـسُ بعـدمـا ... حَمَّلْتُهُــنَّ مَــوَاثِقــاً وعُهــودا

عروضه من الكامل. الشعر ليزيد بن الطَّثْرِيَّة، والغناء لإسحاق، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بالبنصر. وفيه لبابويه خفيف ثقيلٍ بالوسطى، كلاهما من رواية عمرو بن بانة.

---

(١) المرط: كساء من صوف.

(٢) ائتنف الشيء واستأنفه: استقبله، أو أخذ أوّله وابتدأه.

[٨/١٥٥] / ذكر يزيد بن الطَّثْرِيَّة[١] وأخباره ونسبه

نسبه ونسبُ أمه:

ذكر ابن الكَلْبيّ أنّ اسمه يزيد بن الصِّمَّة أحد بني سَلَمةِ الخَيْر بن قُشَيْر. وذكر البصريّون أنه من ولد الأعْوَر بن قُشَيْر. وقال أبو عمرو الشَّيْبانيّ: اسمه يزيد بن سَلَمة بن سَمُرَة بن سَلَمةِ الخير بن قُشَيْر بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة. وإنما قيل له سَلَمةُ الخَيْر لأنه كان لقُشَيرٍ ابنٌ آخر يقال له سَلَمَةُ الشَّرّ. قال: وقد قيل: إنه يزيد بن المنتشِر بن سَلَمة. والطَّثْرية أمّه، فيما أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن السُّكَّريّ عن محمد بن حَبِيبَ، امرأةٌ من طَثْر، وهم حيٌّ من اليمنِ عِدادُهم في جَرْم. وقال غيره: إن طَثْراً من عَنْز[٢] بن وائل إخوةِ بَكْر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أفصَى بن دُعْميّ بن جَديلة بن أَسَد بن رَبِيعة بن نِزَار. وكان أبو جَرَاد أحدُ بني المنتفِق بن عامر بن عُقَيْل أسَر طَثْراً فمكث عنده زماناً ثم خَلاّه وأخذ عليه إصْراً[٣] لَيَبْعَثَنَّ إليه بفدائه أو لَيَأْتينَّه بنفسه وأهله فلم يجد فِدَاءً، فاحتمل بأهله حتى دخل على أبي جَرَاد فوَسَمه / [٨/١٥٦] سِمَةَ إبله، فهم حُلَفاء لبني المُنْتَفِق إلى اليوم نَحْوٌ من خمسمائة رجلٍ متفرّقين في بني عُقَيْل يُوَالُون[٤] بني المنتفق، وهم يُعَيَّرون ذلك[٥] الوَسْمَ. وقال بعضُ مَنْ يهجوهم:

عليه الوَسْمُ وسمُ أبي جَرَادِ

وفيهم يقول يزيد بن الطَّثْرِيَّة:

أَلاَ بئسما أن تَجْرِمُوني[٦] وتغضَبوا ... عليّ إذا عاتبتُكم يا بني طَثْرِ

[١١١/٧] / وزعم بعض البصريين: أن الطَّثْرِيَّة أُمّ يزيدَ كانت مُولَعةً بإخراج زُبَد اللَّبن، فسُمّيت الطَّثْرِيَّة. وطَثْرةُ اللبن: زبدته.

---

(١) كذا ضبطه ابن خلكان بالعبارة فقال: «والطثرية بفتح الطاء وإسكان الثاء وبعدها راء ثم ياء النسب وهاء وهي أمه ينسب يزيد المذكور إليها، وهي من بني طثر بن عنز بن وائل. والطثر: الخصب وكثرة اللبن، يقال: إن أمه كانت مولعة بإخراج زبد اللبن». وفي «القاموس» و«شرحه» (مادة طثر): «وطثرية محركة أم يزيد بن الطثرية الشاعر القشيري». وقد ضبط بالقلم في الحماسة للتبريزي و «الأمالي» لأبي علي القالي و«الشعر والشعراء» بإسكان الثاء.

(٢) كذا في «تجريد الأغاني وابن خلكان والمعارف» لابن قتيبة و«الاشتقاق» لابن دريد و«القاموس» (مادة عنز). وعنز هذا وبكر وتغلب جميعاً أبناء وائل بن قاسط وأمهم هند بنت تميم بن مر. وفي الأصول: «عبد» وهو تحريف.

(٣) الإصر: العهد.

(٤) في أكثر الأصول «يولون بني المنتفق». ووالاه وتولاه: دخل في ولائه. وفي ب، س: «يولون إلى بني المنتفق».

(٥) في الأصول: «يعيرون بذلك». والفصيح الكثير أن يقال: يعيرون ذلك، حتى قيل: إن تعدية «عير» إلى مفعوله الثاني بالباء ممنوعة.

(٦) كذا في ب، س. والجرم: القطع والصرم. وفي سائر الأصول: «تحرموني» بالحاء المهملة وهو تصحيف.

كان يلقب مودّقاً لجماله، وكان كثير التحدث إلى النساء:

ويكْنى يزيدُ أبا المَكْشوح[١]. وكان يلقَّب مُوَدِّقاً؛ سُمِّي بذلك لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه، فكانوا يقولون: إنه إذا جلس بين النساء ودّقهن[٢].

أخبرني محمد بن خَلَف عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان يزيد بن الطَّثْريّة يقول: من أُفْحِم عند النساء فلْيُنْشِدْ من شعري. قال: وكان كثيراً ما يتحدّث إلى النساء، وكان يقال: إنه عِنِّين.

ما جرى بين جرم وقشير وما كان من مياد الجرمي ويزيد بن الطثرية:

وروى عنه[٣] عبدالله بن عمر عن يحيى بن جابر أحدِ بني عمرو بن كِلاَب عن سُعَادَ بنت يزيد بن زُرَيْق[٤] امرأةٍ منهم:

[٨/١٥٧] / أنّ يزيد بن الطَّثْريّة كان من أحسن مَنْ مضَى وجهاً وأَطْيَبِه حديثاً، وأنّ النساء كانت مفتونةً به، وذكر الناسُ أنه كان عِنِّيناً، وذلك أنه لا عَقِبَ له، وأنّ الناس أمْحَلُوا[٥] حتى ذهبت الدقيقةُ من المال ونُهكت[٦] الجليلةُ؛ فأقبل صِرْمٌ[٧] من جَرْم ساقته السَّنَةُ والجَدْبُ من بلاده إلى بلاد بني قُشَيْر، وكان بينهم وبين بني قُشَيْر حربٌ عظيمة؛ فلم يجدوا بُدّاً من رَمْي قشير بأنفسهم لِمَا قد ساقهم من الجَدْب والمَجَاعة ودِقّة الأموال وما أشرفوا عليه من الهَلَكة. ووقع الربيعُ في بلاد بني قُشَيْرٍ فأنتجعها الناسُ وطلبوها؛ فلم يَعْدُ أنْ لقيتْ جَرْمٌ قُشيراً، فنَصَبتْ قشيرٌ لهم الحربَ. فقالت جَرْم: إنما جئنا مُستجيرين غيرَ محاربين. قالوا: مما ذا؟ قالوا: من السَّنَة والجَدْب والهَلَكة التي لا باقيةَ لها. فأجارتهمْ قشيرٌ وسالمتْهم وأرْعَتْهم طرَفاً من بلادها. وكان في جَرْم فتًى يقال له مَيّاد، وكان غَزِلاً حسنَ الوجه تامَّ القامة آخِذاً بقلوب النساء. والغزلُ في جَرْم جائزٌ حسن، وهو في قُشَيْرٍ نائرة[٨]. فلمّا نازلتْ جَرْمٌ قشيراً وجاورتْها أصبح مَيّادُ الجَرْمِيّ فغدا إلى القُشَيْرِيّات يطلبُ منهنّ الغَزَلَ والصِّبَا والحديثَ واستبرازَ الفَتَيات[٩] عند غَيْبة الرِّجال واشتغالِهم بالسَّقْي والرِّعْية وما أشبه ذلك؛ فدفَعْنَه عنهنّ وأسمعنَه ما يكره. وراحت رجالُهُنّ عليهنّ وهنّ مُغْضَبات؛ فقال عجائزُ منهنّ: والله ما ندري أأرْعَيْتُم جَرْماً المَرْعَى أم أرْعيتموهم نساءكم! فأشتدّ ذلك عليهم فقالوا: وما أدْراكُنّه[١٠]؟ قُلْنَ: رجلٌ منذُ اليومِ ظلّ مجحراً[١١] لنا / ما يطلعُ منا[١٢] رأسُ واحدةٍ، يَدُور بين بيوتنا. فقال بعضهم: [٨/١٥٨]

(١) كني بذلك لأنه كان على كشحه (خاصرته) كي نار.

(٢) كذا في أكثر الأصول. يريد أنه فتنهن بجماله وحلاوة حديثه. يقال: ودقت المرأة واستودقت وأودقت إذا مالت إلى الفحل. والأصل فيه لذوات الحافر ثم نقل إلى الإنسان. وفي ب، س: «أودق».

(٣) مرجع الضمير في «عنه» غير واضح، على أنه يحتمل أن تكون كلمة «عنه» زيدت سهواً.

(٤) في م: «وزيق» بتقديم الزاي على الراء.

(٥) في ب، س: «محلوا»، وهو تحريف، إذ يقال: محلت الأرض (من باب كلام ومنع) وأمحلت، ويقال: أمحل القوم ليس غير.

(٦) كذا في جـ. وفي «سائر الأصول»: «وتهتكت الحليلة».

(٧) الصرم (بالكسر): الجماعة من الناس.

(٨) كذا «في الأصول». والنائرة: العداوة والشحناء، أي أن الغزل في قشير سبب العداوة والتباغض. وفي «تجريد الأغاني»: «مكروه».

(١٠) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «الفتيان» بالنون، وهو تصحيف.

(١١) في «تجريد الأغاني»: «. . . ماذاكنه».

(١٢) كذا في الأصول: «محجراً» (بحاء مهملة فجيم) والأرجح أن تكون (بجيم معجمة بعدها حاء) وهو مأخوذ من أحجره إذا الجأه إلى أن يدخل حجره. ومجاحر القوم: أماكنهم. (١٣) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «ما يطلع بنا».

بيّتُوا جَرْماً فاصْطَلِموها[1]. وقال بعضهم: قبيح! قومٌ قد سَقَيْتُموهم مِياهَكم وأرعيتُموهم مَرَاعِيَكم وخَلَطتموهم بأنفسهم وأجَرْتُموهم من القَحْط والسَّنَة تفتاتون عليهم هذا الافتيات! لا تفعلوا، ولكن تُصْبِحُوا[2] وتَقَدَّموا إلى هؤلاء القوم في هذا الرجل، فإنه سفيهٌ من سُفَهائهم فليأخذوا على يَدَيْه. فإن يفعلوا فأتِمُّوا لهم إحسانكم، وإن يمتنعوا ويُقِرّوا ما كان منه يَحِلّ لكم البَسْطُ عليهم وتَخرُجوا من ذِمَّتهم؛ فأجمعوا على ذلك. فلما أصبحوا غداً نفرٌ منهم إلى جَرْمٍ فقالوا: ما هذه البِدْعة التي قد جاورتُمونا بها! إن كانت هذه البدعة سجيّةً لكم فليس لكم عندنا إرعاءٌ ولا إسقاء، فبَرِّزُوا عنّا أنفسَكم وأذِنوا بحرب. وإن كان افتئاتاً فغيِّروا[3] على مَنْ فعله. وإنهم لم يَعْدُوا أن قالوا لجَرْمٍ ذلك. فقام رجالٌ من جَرْمٍ وقالوا: ما هذا الذي نالكم؟ قالوا: رجلٌ منكم أمسِ ظلَّ يَجُرّ أذيالَه بين أبياتنا ما ندري عَلَامَ كان أمرُه! فقَهْقهتْ جرمٌ من جَفَاء / القُشَيريّين وعَجْرَفِيَّتِها وقالوا: إنكم لَتُحِسُّون من نسائكم ببلاءٍ؛ ألاَ فابعثوا إلى بيوتنا رجلاً ورجلاً. فقالوا: والله ما نُحِسُّ من نسائنا ببلاء، وما نعرف منهنّ إلا العفّة والكرم، ولكن فيكم الذي قلتم. قالوا: فإنّا نبعث رجلاً إلى بيوتكم يا بني قُشَيْر إذا غدتِ الرجالُ وأُخْلِف النساء، وتبعثون رجلاً إلى البيوت، ونتحالف أنّه لا يتقدّم رجلٌ منّا إلى زوجةٍ ولا أخت ولا بنت ولا يُعْلمها بشيء مما دار بين القوم؛ فيَظلّ كلاهما في بيوت أصحابه حتى يَرِدَا علينا عَشِيّاً الماءَ وتُخْلَى لهما البيوت[4]، ولا تبرز عليهما امرأةٌ ولا تُصَادِق منهما واحداً فيُقْبَلُ منهما صَرْفٌ ولا[5] عَدْلٌ إلا بمَوْثِقٍ يأخذه عليها وعلامةٍ / تكون معه منها. قالوا: اللّهمّ نعم. فظلّوا يومَهم ذلك وباتوا ليلتَهم، حتى إذا كان من الغد غَدَوْا[6] إلى الماء وتحالفوا أنّه لا يعود إلى البيوت منهم أحد دون الليل. وغدا ميّاد الجَرْميّ إلى القُشَيْريّات، وغدا يزيد بن الطَّثْرِيّة القُشَيريّ إلى الجَرْميّات؛ فظل عندهنّ بأكرم مَظَلٍّ لا يصير إلى واحدةٍ منهنّ إلا افْتَتَنَتْ به وتابعته إلى المودّة والإخاء وقَبَض منها رَهْناً وسألته ألّا يدخل من بيوت جَرْمٍ إلّا بيتَها، فيقول لها: وأيّ شيء تخافين وقد أخذتِ منّي المواثيقَ والعهود وليس لأحدٍ في قلبي نصيبٌ غيرِك؛ حتى صُلّيت العصرُ. فانصرف يزيد بفَتَخٍ[7] كثيرٍ [وذَبْلٍ][8] وبَرَاقعَ وانصرف مَكْحولاً مدهوناً شبعانَ رَيّانَ مُرَجَّلَ اللِّمّة[9].

وظلّ مَيّادٌ الجَرْمِيّ يدور بين بيوت القُشَيْريّات مرجوماً مُقْصًى لا يتقرّب إلى بيت إلا استقبلته الولائدُ بالعَمَد[10] والجَنْدَل، فتهالك لهنّ وظنّ أنه ارتياد[11] منهنّ له، حتى أخذه ضربٌ كثير بالجندل ورأى البأسَ[12] منهنّ وجَهَده العطشُ، فانصرف حتى جاء إلى سَمُرَةٍ[13] قريباً إلى نصف النهار، فتوسّد يدَه ونام تحتها نُوَيْمةً حتى أفرجتْ عنه

(١) اصطلمه: استأصله.

(٢) أي لتصبحوا، فالفعل مجزوم بلام محذوفة.

(٣) أي ازجروه وأنكروا عليه ما فعله واصرفوه عنه.

(٤) هذه العبارة: «وتخلى لهما البيوت» ساقطة من جميع الأصول ما عدا ب، س.

(٥) «في الأصول»: «فيقبل منهما صرفاً ولا عدلاً» وقد جعلناها (صرف ولا عدل) بالرفع على أنه نائب الفاعل وهو الفصيح الكثير.

(٦) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول و«تجريد الأغاني»: «تواعدوا الماء».

(٧) الفتخ (كسبب): واحده فتخة، وهي حلقة من فضة لا فص لها، فإذا كان فيها فص فهي الخاتم.

(٨) هذه الكلمة ساقطة من ب، س. والذبل: جلد السلحفاة البرّية، وقيل: البحرية، وقيل: عظام ظهر دابة من دواب البحر تتخذ النساء منه الأسورة والأمشاط.

(٩) في «تجريد الأغاني»: «الجمة». واللمة (بالكسر): الشعر المجاوز شحمة الأذن، فإذا بلغ المنكبين فهو الجمة.

(١٠) العمد (بفتحتين وبضمتين أيضاً): قضبان الحديد. والجندل: الحجارة.

(١١) الارتياد: الطلب.

(١٢) في حـ، ء، م: «اليأس» بالياء المثناة التحتية.

(١٣) السمرة: شجرة من العضاه.

الظَّهيرةُ وفاءت الأظلالُ وسكن بعضُ ما به من ألم الضرب وبَرد عطشُه قليلاً، ثم قَرُب إلى الماء حتى ورد على القوم قبلَ يزيد، فوجد أَمَةً تَذُود غنماً في بعض الظُّعْن[1]، فأخذ بُرْقُعَها فقال: هذا برقعُ واحدةٍ من / نسائكم، [٨/١٦٠] فطرَحه بين يدي القوم؛ وجاءت الأَمَةُ تَعْدو فتعلّقتْ ببُرقُعها فرُدّ عليها وخجل مَيّادٌ خجلاً شديداً. وجاء يزيد مُمْسيًا وقد كاد القوم أن يتفرّقوا، فنثَر كُمَّه بين أيديهم ملآنَ براقعَ [وذُبُلاً] وفَتَخاً، وقد حلَف القومُ ألاّ يعرف رجلٌ شيئاً إلاّ رفعه. فلمّا نثَر ما معه أسودّتْ وجوهُ جَرْمٍ وأمسكوا بأيديهم[2] إمساكةً. فقالت[3] قُشَيْر: أنتم تعرفون ما كان بيننا أمسِ من العهود والمواثيق وتحرُّج الأموال والأهل، فمن شاء أن ينصرف إلى حرام فليمسك يده؛ فبسط كلُّ رجل يده إلى ما عرف فأخذه وتفرّقوا عن حرب؛ وقالوا: هذه مَكيدةٌ يا قُشَير. فقال في ذلك يزيد بن الطَّثْرِية:

فإنْ شئتَ يا مَيّادُ زُرْنا وزُرْتُمُ ... ولم نَنْفَسَ[4] الدّنيا على من يُصِيبُها

أيذهب مَيّادٌ بألبابِ نِسْوتي ... ونسوةُ مَيّادٍ صحيحٌ قُلوبها

وقال مَيّاد الجَرْميّ:

لَعَمْرُكَ إنّ جَمْعَ بني قُشَيْرٍ ... لِجَرْمٍ في يزيدَ لظالمونا

/ أليس الظلمُ أنّ أباكَ مِنّا ... وأنك في كَتيبةِ آخرينا [١١٣/٧]

أحالفةٌ عليك بنو قُشَيْرٍ ... يمينَ الصَّبْرِ[5] أمْ مُتَحَرِّجونا

أحب وحشية ومرض لبعدها فأعانه ابن عمه على رؤيتها فبرىء:

قال: وبُلِي يزيدُ بعشق جاريةٍ من جَرْم في ذلك اليوم يقال لها وَحْشية، وكانت من أحسن النساء. ونافرتْهم جَرْمٌ فلم يجد إليها سبيلاً، فصار من العشق إلى أن أشْرف على الموت وأشتدّ به الجَهْد؛ فجاء إلى أبن عمّ له يقال له خَليفة بن بوزل[6]، بعد أختلاف الأطبّاء إليه ويأسهم منه، فقال [له][7]: يأبنَ عمّ، قد تَعْلم أنه ليس إلى هذه المرأة سبيل، / وأنّ التعزّيَ أجمل، فما أرَبُك في أن تقتل نفسَك وتأثم بربّك!. قال: وما هَمِّي يأبنَ عَمّ بنفسي وما لي فيها [٨/١٦١] أمر ولا نهيٌ، ولا هَمّي إلا نفسُ الجَرْميّة؛ فإن كنتَ تريد حياتي فأرِنيها. قال: كيف الحيلة؟ قال: تحمِلني إليها. فحمله إليها وهو لا يطمع في الجرميّة، إلا أنهم كانوا إذا قالوا له نذهب بك إلى وَحْشيّة أبَلّ قليلاً وراجعَ وطَمِع، وإذا أيِس منها أشتدّ به الوجع. فخرج به خليفة بن بوزل فحمله فتخلّل به اليمَن، حتى إذا دخل في قبيلةٍ أنتسب إلى أخرى ويخبر أنه طالبُ حاجة. وأبَلّ حتى صلَح بعضَ الصَّلاح، وطَمِع فيه أبنُ عمّه، وصارا[8] بعد زمانٍ إلى حيّ

---

(١) كذا في أكثر الأصول. والظعن: سير البادية لنجعة أو حضور ماء أو طلب مربع أو تحوّل من ماء إلى ماء أو من بلد إلى بلد. وفي حـ، أ و«تجريد الأغاني» «تذود غنماً في العطن». والعطن: المناخ حول الورد، فأما في مكان آخر فمراح ومأوى.

(٢) يريد أنهم قبضوا أيديهم. ولم يمدوها إلى شيء مما نثر أمامهم.

(٣) كذا في حـ و«تجريد الأغاني». وفي «سائر الأصول»: «فقال».

(٤) كذا في «تجريد الأغاني». ونفس عليه الشيء (من باب علم): لم يره أهلاً له. وفي «جميع الأصول»: «تنفس» بالتاء المثناة.

(٥) يمين الصبر: هي التي يحبس المرء حتى يحلفها.

(٦) في أ، و«تجريد الأغاني»: «خليفة بن بورك».

(٧) زيادة عن «تجريد الأغاني».

(٨) في الأصول: «وصار بعد زمان إلى حيّ وحشية فلقي...» بدون ألف التثنية في الفعلين.

وَحْشيّة فلقيا الرُّعْيان وكَمَنا في جبل من الجبال. فجعل خليفةُ ينزل فيتعرّض لرُعيان الشّاء فيسألهم عن راعي وحشيّة[١]، حتى لقي غلامَها وغنمَها؛ فواعدهم موعداً وسألهم ما حالُ وحشيّة؟ فقال غلامها: هي والله بشرّ! لا حفِظ الله بني قُشَيْر ولا يوماً رأيناهم فيه! فما زالت عَليلةً منذ رأيناهم ـ وكان بها طَرَفٌ مما بأبن الطَّثْريّة ـ فقال: وَيْحَك! فإنّ هاهنا إنساناً يُداويها، فلا تقل لأحدٍ غيرِها. قال: نعم إن شاء الله تعالى. فأعلمها الراعي ما قال له الرجل حين صار إليها. فقالت له: وَيْحَك! فجِئْني به. ثم إنه خرج فلقيه بالغد فأعلمه، وظلّ عنده يرعَى غنمَه، وتأخّر عن الشاء حتى تقدمتْه الشاء وجنَح الليلُ، وأنحدر بين يديْ غَنَمِه حتى أراحها[٢]. ومشى فيها يزيد حتى[٣] قَرُبَتْ من البيت على أربع وتجلّل شَمْلةً سوداءَ بلون شاةٍ من الغنم؛ فصار إلى وَحْشية، فسُرّت به سروراً شديداً، وأدخلته سِتْراً لها وجمعتْ عليه من الغد مَنْ تَثِق به من صَوَاحِباتها وأترابها. وقد كان عَهِد إلى أبن عمّه أن يُقيم / في الجبل ثلاثَ ليال، فإن لم يَرَه فلينصرِفْ. فأقام يزيدُ عندها ثلاثَ ليال ورجع إلى أصحِّ ما كان عليه، ثم أنصرف فصار إلى صاحبه. فقال: ما وراءك يا يزيد؟ ورأى من سروره وطيب نفسه ما سرّه. فقال: [٨/١٦٢]

لَوَ انّكَ شاهدتَ الصِّبَا يابْنَ بَوْزَلٍ ... بفَرْعِ الغَضَى إذ راجعتْني غَياطِلُهْ[٤]

لشاهدتَ لهواً بعد شَحْطٍ من النَّوَى ... على بَخْطِ الأعداء حُلْواً شَمَائلُهْ

صوت

ويوماً كإبهامِ[٥] القَطَاةِ مُزَيَّناً ... لِعيني ضُحَاهُ غالباً لِيَ باطلُهْ

غنى في البيت الثالث وبعده البيت الثاني، وروايته:

تُشاهد لهواً بعد شحطٍ من النوى

مُخَارِقٌ ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبدالله بن عمرو قال حدّثني عليّ بن الصبّاح قال:

قال أبو محضة[٦] الأعرابيّ وأُنْشِد هذه الأبياتَ ليزيد / بن الطَّثْرية، فلمّا بُلغ إلى قوله: ١١٤/٧

بِنَفْسِيَ مَنْ لو مَرّ بَرْدُ بنانِهِ ... على كبِدِي كانت شِفاءً أنامِلُهْ

ومَنْ هابَني في كلِ أمرٍ وهِبْتُه ... فلا هو يُعطيني ولا أنا سائلُهْ

طَرِب[٧] لذلك وقال: هذا والله من مغنج الكلام.

---

(١) في ب، س، حـ: «عن راعي وحشية وحالها حتى لقي ألخ».
(٢) كذا في «تجريد الأغاني». وفي «الأصول»: «حتى أراحوا».
(٣) كذا «في الأصول» ولعله: «حين».
(٤) الغياطل: جمع غيطلة وهي الظلمة المتراكمة، استعارها هنا لجهالات الصبا.
(٥) يضرب المثل في القصر بإبهام القطا وكذلك بإبهام الحباري والضب.
(٦) في «تجريد الأغاني»: «أبو محيصة».
(٧) في «الأصول»: «فطرب» بالفاء.

/ كتب إلى وحشية شعراً فأجابته: [٨/ ١٦٣]

ونسختُ من كتاب الحسن بن عليّ: حدّثنا عبدالله بن عمرو قال حدّثني هشام بن محمد بن موسى قال حدّثنا عبدالله بن إبراهيم الطائيّ قال حدّثني عبدالله بن رَوْح الغَنَوِيّ قال حدّثتني ظَبْية بنت وزير الباهليّة قالت[١]:

كتب يزيد بن الطَّثَرِيَّة إلى وحشيّة:

أُحِبُّـكَ أطـرافَ النهـارِ بشـاشـةً ... وبـاللّيْـلِ يـدعـونـي الهـوى فـأُجِيـبُ

لئـن أصبحـتْ ريـحُ المـودّةِ بيننـا ... شَمَـالاً لَقِـدمـاً كنـتِ وهـي جَنُـوبُ

فأجابته بقولها:

أُحِبّـكَ حـبَّ اليـأس إن نفـع الحيا[٢] ... وإن لـم يكـن لـي مـن هـواك طبيـبُ

يزيد بن الطثرية وابن بوزل برملة حائل:

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني هانىء بن سعد:

أنّ ابن الطَّثَرِيّة وابن بَوْزَل، وهو قَطَرِيّ[٣] بن بوزل، خرجا يسيران حتى نزلا برَمْلة حائل[٤] بين قِفَار المِلْح؛ فقال يزيد لابن بوزل: اذهَبْ فاسقِ راحلتك وأسقِنا. فلمّا جاوز أَوْفَى يزيدُ على أجْرَعَ[٥]، فرأى أشباحاً فأتاها. فقيل له: هذه والله فلانة وأهلها عجيبةٌ بها (أي مُعْجَبون بها). فأتاها فظَلّ عشيّته وبات ليلته وأقام الغدَ حتى راح عَشِيّاً وقد لَقِيَ ابنُ بوزل كلَّ شرٍّ ومات غيظاً. فلما دنا منه قال:

لَـوَ انّـكَ شـاهـدتَ الصِّبَـا يـابْـنَ بـوزلٍ ... بِجِـزْعِ الغَضَـى إذ راجعتْنـي غَيَـاطِلُـهْ

/ بـأسفَـلِ خَـلٍّ[٦] المِلْـحِ إذ دَيْـنُ ذِي الهَـوى ... مُـؤَدًّى وإذ خيـرُ الـوصـال[٧] أوائلُـهْ [٨/ ١٦٤]

لشـاهـدْتَ يـومـاً بعـد شَحْـطٍ مـن النَّـوَى ... وبعـد تَنَـائـي الـدارِ حُلْـواً شَمـائلُـه

- وقد رُوِي:

وغَنْمَ[٨] الصِّبا إذ راجعتْني غَيَاطِلُهْ

فاخترط[٩] سيفَه ابنُ بَوْزَل، وحَاوَطه[١٠] يزيدُ بِعَصاه[١١]، ثم اعتذر إليه وأخبره خبرَه فقَبِل منه. وقد رَوى هذه الأبياتَ أبو عمرو الشَّيْبانيّ وغيرُه فزاد فيها على إسحاقَ هذه الأبياتَ:

(١) في الأصول: «قال» وهو تحريف.

(٢) كذا في الأصول. ولعله: «أحبك حب الناس أن يقع الحيا... إلخ».

(٣) الذي تقدم ذكره هو خليفة بن بوزل. ولعل قطرياً هذا أخ لخليفة.

(٤) حائل: موضع في أرض اليمامة لبني قشير.

(٥) الأجرع: الكثيب جانب منه رمل وجانب حجارة.

(٦) كذا في «معجم البلدان» لياقوت عند الكلام على «خل» وهو موضع. وفي «الأصول»: «حل الملح» بالحاء المهملة وهو تصحيف.

(٧) في «معجم البلدان»: «وإذ خير القضاء».

(٨) في ب، س: «وغنم الصبا».

(٩) اخترط السيف: استله من غمده.

(١٠) حاوطه: داوره.

(١١) كذا في ء، م. وفي سائر الأصول: «بغضاة» والغضاة: خشبة من أصلب الخشب.

أَلاَ حَبَّـذَا عينَـاكِ يـا أُمَّ شَنْبَـلِ ... إذا الكُحْلُ في جَفْنَيْهما جال جائلُهْ
فَـذَاكِ مـن الخُـلاَّنِ كـلُّ مُمَـزَّجٍ [١] ... تكـون لأدنـى مَـنْ يُـلاَقـي وسائلُهْ [٢]
فَـرُحْنـا [٣] تَلَقَّـانـا بـه أُمُّ شَنْبَـلٍ ... ضُحَيّـاً وأبكتنـا عَشِيّـاً أصـائلُـهْ
وكنـتُ كـأنّـي حيـنَ كـان كـلامُهـا ... وَدَاعـاً وخَلَّـى مَـوْثِـقَ العهـدِ حـاملُـه
رَهِيـنٌ [٤] بنفـسٍ لـم تُفَـكَّ كُبُـولُـه ... عـن الساقِ حتـى جَـرد السيـفَ قـاتلُـه
فقـال دَعُـونـي سَجْـدَتَيْـنِ وأُرْعِـدَتْ ... حِـذَارَ الـرَّدَى أحشـاؤه ومَفَـاصِلُـهْ [٥]

[١٦٥/٨] بَنو سدرة ويزيد ابن الطثرية:

/ قال إسحاق وقال أبو عثمان سَعيد بن طارق:

نزلتْ ساريةٌ [٦] من بني سِدْرةَ على بني قُشير بمالهم؛ فجعلتْ فِتْيانُ قُشير تترجَّل وتتزيَّن وتزور بيوتَ سِدْرة. فأستَنْهَوْهم [٧]؛ فقال يزيد بن /الطَّثَرِيّة: وما في هذا عليكم! زُورُوا بيوتنا كما نزور بيوتكم، وقال: [١١٥/٧]

دعـوهـنّ يَتْبَعْـنَ الصِّبَـا وتبـادلـوا ... بِنـا ليـس بـأسٌ بينَنـا بـالتَّبـادُلِ

ثم إنّ بني سِدْرة قالوا لنسائهم: وَيْحَكُنّ فَضَحْتُنّنا! تأتي نساءَ هؤلاء فلا نقدِر عليهنّ ويأتونكنّ فلا تَحْتجِبْنَ عنهم. فقالت كَهْلةٌ منهنّ: مُرُوا نساءكم يجتمعْنَ إلى بيتي، فإذا جاءوا لم يجدوا أمرأة إلا عندي، فإنْ يزيدُ أتاني لم يَعْدُ في بيوتكم ففعلوا. فجاء يزيدُ فقال:

سـلام عليكـنّ الغَـداةَ فمـالنـا ... إليكـنّ إلا أن تَشَـأْنَ سبيـلُ

فقالت الكهلةُ: ومن أنت؟ فقال:

أنـا الهـائـمُ الصَّـبُّ الـذي قـاده الهـوى ... إليـكِ فـأمْسَـى فـي حبـالِـكِ مُسْلَمَـا
بَـرَتْـه دَوَاعِـي الحـبّ حتـى تـركْنَـه ... سقيمـا ولـم يَتْـرُكْـنَ لحمـاً ولا دَمَـا

فقالت: اختَرْ إحدى ثلاثِ خِصال: إمّا أن تمضي ثم ترجعَ علينا فإنّا نرقُب عيونَ الرجال فإنهم قد سَبُّونا فيك؛ وإمّا أن تختار أَحَبَّنا إليك، وأن تطلب أمرأةً واحدةً خيرٌ من أن يَشْهَرَك النامُ، ونسي الثالثة. فقال: سآخذ إحداهن، فاختاري أنت إحدى ثلاثِ خصال. قالت: وما هنّ؟ قال: إما أن أحمِلَكِ على مَرْضُوفٍ [٨] من أمري فتركبيه، وإما

(١) الممزج: المخلط الكذاب، والذي لا يثبت على خلق.
(٢) في حـ: «رسائله» بالراء.
(٣) في ب، س: «فرحبا».
(٤) في ب، س: «رهينا» وهو تحريف.
(٥) في جـ: «وخصائله». والخصيلة: كل لحمة استطالت وخالطت عصباً، أو كل عصبة فيها لحم غليظ.
(٦) السارية: الجماعة تسري.
(٧) استنهاه: قال له انته. وقد وردت هذه الكلمة في الأصول محرفة.
(٨) المرضوف: المحمي. من رضف الحجارة إذا أحماها؛ والكناية فيه ظاهرة.

أن تحملني على مَشْرُوج[١] من أمرك فأركبه، وإما أن تَلْزَي بكري / بين قَلُوصَيْك. قالت: لو وقع بَكْرُك بين [٨/١٦٦] قَلُوصيّ لَطَمَرَتا[٢] به طَمْرةً يتطامن[٣] عنقُه منها. قال: كلاّ! إنه شديد الوَجِيف[٤]، عارمُ الوَظيف[٥]، فغلبها. فلما أتاها القوم قالت لهم: إنه أتاني رجلٌ لا تمتنع عليه امرأةٌ. فإمّا أن تُغمِضوا له، وإمّا أن تَرْحَلوا عن مكانكم هذا؛ فرحَلوا وذهبوا. فقال حَكيم بن أبي الخِلاَف السُّدْريّ في قصيدة له يذكر أنه إنما ارتحلوا عنهم لأنهم آذوْهم بكثرة ما يصنعون بهم:

فكــان الــذي تُهْــدُون للجــار منكــم ... بخــاتــج حبّــاتٍ[٦] كثيــراً سُعَــالُهــا

يزيد بن الطثرية وأسماء الجعفرية:

قال إسحاق فأخبرني الفَزَارِيّ: أنّ قوماً من بني نُمَيْر وقوماً من بني جَعْفَر تزاوروا؛ فزار شُبّانٌ من بني جعفر بيوتَ بني نُمَير، فقُبِلوا وحُدِّثوا، وزار بنو نُمَير بني جعفر فلم يُقْبَلوا؛ فاستنجَدوا ابنَ الطَّثْرِيّة فزار معهم بيوتَ بني جعفر، فأنشدهنّ وحدّثهنّ فأُعْجِبْنَ به واجتمعْنَ إليه من البيوت. فتوعّد[٧] بنو جعفر ابنَ الطَّثْرِيّة، فتَتَارَكُوا وأمسك بعضُهم عن بعض. فأرسلتْ أسماءُ الجَعْفَرِيّة إلى ابن الطَّثْرِيّة أن لا تَقْطَعْني، وإن مُنِعَتْ فإنّي سأتخلّص إلى لقائك. فأنشأ يقول:

خَليلَـيَّ بيــن المُنْحَنَــى مــن مُخَمّــرٍ[٨] ... وبيــن اللِّــوَى مــن عَــرْفَجَــاءَ[٩] المُقَــابِــلِ

قِفَــا بيــن أعنــاقِ اللِّــوَى[١٠] لمُــرِيَّــةٍ ... جَنُــوبٍ تُــداوِي غُــلَّ شَــوْقٍ مُمَــاطِــلِ

/ لكَيْمــا أَرَى أسمــاءَ أو لِتَمَسَّنِــي ... ريــاحٌ بــرَيّــاهــا لِــذَاذُ الشَّمــائــلِ [٨/١٦٧]

لقــد حــادَلــتْ[١١] أسمــاءُ دونَــك بــاللِّــوَى ... عيــونَ العِــدَا سَقْيــاً لهــا مــن مُحَــادِلِ

ودسّــتْ رســولاً أنّ حَــوْلــي عِصَــابَــةً ... هُــمُ الحَرْبُ[١٢] فاسْتَبْطِــنْ سلاحَ المُقَــاتِــلِ

/ عشيّــةَ مــالــي مــن نصيــرٍ بــأرضهــا ... ســوى السَّيْــفِ ضَمَّنْــهُ إلــيَّ حَمَــائلــي ١١٦/٧

فيــا أيُّهــا الــواشــون بــالغِــشِّ بيننــا ... فُــرَادَى ومَثْنَــى مــن عــدوٍّ وعــاذِلِ

---

(١) المشروج: المشقوق.

(٢) طمر الشيء: دفنه وخبأه.

(٣) في الأصول: «تتطامن» بالتاء والعنق يذكر ويؤنث والتذكير فيه أكثر.

(٤) الوجيف: سرعة السير.

(٥) العارم: القويّ الشديد. والوظيف لكل ذي أربع: ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق.

(٦) كذا في أكثر الأصول. والبخاتج: جمع بختج (بالضم) وهو العصير المطبوخ. وفي ب، س: «نحانج حمان» وفي م. «مخاتج حبات».

(٧) في الأصول: «فتواعد».

(٨) مخمر (بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وكسر الميم مشدّدة، كما في «معجم ما استعجم». وقد ضبطه ياقوت في «معجمه» بفتح الميم مشدّدة): واد لبني قشير.

(٩) قال أبو زياد: عرفجاء: ماء لبني قشير وقال في موضع آخر: لبني جعفر بن كلاب مطوية في غربيّ الحمى.

(١٠) كذا في ياقوت في الكلام على مخمر. وفي الأصول: «أعناق الهوى».

(١١) كذا في «معجم البلدان» لياقوت في الكلام على «مخمر». وحادل: راوغ. وفي الأصول: «. . . جادلت. . . من مجادل» بالجيم.

(١٢) كذا في «مهذب الأغاني». وفي الأصول: «الحوت».

دَعُـوهـنَّ يَتْبَعْـنَ الهـوى وتبـادَلُـوا بنـا، ليـس بـأسٌ بيننـا بـالتَّبـادُلِ
تَـرَوْا حيـن نـأتيهـنّ نحـنُ وأنتُـمُ لِمَـنْ وعلـى مَـنْ وَطْـأةُ المُتَثَـاقِـلِ
ومَـنْ عُـرِّيَـتْ للّهـوَ قِـدْمـاً رِكَـابُـه وشـاعـت قَـوَافـي شعـرِه فـي القبـائـل
تُبـرِّزْ وجـوهُ السـابقيـن ويَخْتَلِـطْ على المُقْـرِف[1] الكـافـي غبـارُ القنـابـلِ
فـإنْ تمنعـوا أسمـاءَ أو يَـكُ نَفْعُهـا لكـم أو تَـدِبُّـوا بيننـا بـالغـوائـل
فلـن[2] تمنعـونـي أنْ أُعَلِّـلَ صُحْبَتِـي على كل شيء[3] من مدى العيـنِ قـابـل[4]

حبسه لديون لزمته وما وقع في ذلك بينه وبين عقبة بن شريك:

قال إسحاق وحدّثني أبو زِيَاد الكِلاَبيّ:

أن يزيد بن الطَّثْرية كان شريفاً مِتْلافاً يغشاه الدَّيْن؛ فإذا أُخِذ به قضاه عنه أخ له يقال له ثَوْر، ثم إنه كَثُر عليه دَيْنٌ لمولًى لعُقْبةِ بن شَرِيك الحَرَشيّ يقال له البربريّ فحبسه له عُقْبة بالعَقِيق من بلاد بني عُقَيْل، وعُقْبةُ عليها يومئذٍ أميرٌ. وقال المُفَضَّل بن سَلَمة قال أبو عمرو الشَّيْبانيّ: كان يزيد قد هَرَب منه، فرجع إليه من حبّ [١٦٨/٨] / أسماء، وكانت جارةَ البربريّ، فأخذه البربريّ. ويقال: إنه أعطاه بعيراً من إبل ثَوْر أخيه. فقال يزيد في السجن:

قضـى غُـرَمـائـي حـبُّ أسمـاءَ بعـد مـا تَخَـوّنَنـي ظلـمٌ لهـم[5] وفجـورُ
فلـو قَـلَّ دَيْـنُ البـربـريّ قضيتُـه ولكـنَّ دَيْـنَ البـربـريّ كثيـرُ
وكنـتُ إذا حَلَّـتْ علـيّ ديـونُهـم أضُـمُّ جَنـاحِـي منهـمُ فـأطيـرُ
علـيّ لهـم فـي كـل شهـرٍ أَدِيَّـةٌ[6] ثمـانـون وافٍ نَقْـدُهـا وجَـزورُ
نَجِـيءُ[7] إلـى ثَـوْرٍ فَفِيـمَ رحيلُنـا وثَـوْرٌ علينـا فـي الحيـاة صَبُـورُ
أشُـدُّ علـى ثَـوْرٍ وثـورٌ إذا رأى بنـا خَلَّـةً جَـزْلُ العطـاء غفـورُ
فـذلـك دَأْبـي مـا بَقِيـتُ ومـا مَشَـى لِثَـوْرٍ علـى ظهـر البِـلاد بعيـرُ

ويُروى: «فهذا له ما دمتُ حيّاً» ثم إن عُقْبة حَجّ على جمل له يقال له ابن الكُمَيْت أنْجَب ما رِكِب الناسُ، وثبَت ابنُ

(١) المقرف: النذل. والكافي: الخادم والقنابل: جمع قنبلة وهي الطائفة من الناس أو الخيل.

(٢) في الأصول: «فإن تمنعوا». والمراد في هذا البيت غامض.

(٣) في ب، س: «على كل شر».

(٤) في أ، ء، م: «قاتل».

(٥) كذا في «الكامل للمبرد» (ص ٣٣٤ طبع أوروبا) وبه يستقيم رويّ القافية. قال في «أساس البلاغة»: وتخوّن فلان حقي إذا تنقصه كأنو خانه شيئاً فشيئاً. وكل ما غيرك عن حالك فقد تخوّنك. قال لبيد:

تخوّنها نزولي وارتحالي

وفي الأصول: تجردت من مطل لهم وغرور.

(٦) الأدية في اللغة: المال القليل.

(٧) في ب، س: «نحن».

الطَّثْرية في السجن حتى أنصرف عُقْبة بن شَرِيك من مكة، فأرسل أبن الكميت في مخاضه[١] مستقبِلةَ الرَّبيع وهي حاضرة العَقيق، تأكل الغَضَى وتشرب بأَحْسائه[٢]، وانحدر عُقْبة نحو اليَمامة وعليها المُهَاجِر بن عبدالله الكِلَابيّ. فلمّا ضاقت بأبن الطَّثْرِيَّة المَخَارِج قال له صاحبٌ له: لا أعلم لك أنجى إن قَدَرتَ على الخروج من السجن إلا أن تركَب أبن الكُمَيْت فيُنجيك نحو بلد من البلاد. فلم يزل حتى جعل للحَدّاد[٣]، على أن يُرسله ليلةً إلى أبن عمّه، جُعْلا؛ فشكا إليه وَجْدَه / بها فأرسله. فمضى يزيدُ نحوَ الإبل عشاءً فاحتكم أبنَ الكُمَيْت حتى جلس عليه فوجهه [١٦٩/٨] قَصْدَ اليَمامة يريد عُقْبةَ بن شَرِيك؛ وقال في طريقه:

لَعَمْرِيَ إن أبنَ الكُمَيْتِ على الوَجَا[٤] ... وسَيْرِيَ خَمْساً بعد خَمْسٍ مُكَمَّلُ

/ لَطَلْقُ الهَوَادِي بالوَجِيفِ إذا وَنَى ... ذواتُ البَقَايَا[٥] والعَتِيقُ الهَمَرْجَلُ ١١٧/٧

فورد اليَمامة فأناخ بأبنِ الكُمَيت على باب المهاجر[٦]، فكان أوّل مَنْ خرج عليه عُقْبة بن شريك. فلما نظر إليه عرفه وعرف الجمل فقال: وَيْحَكَ! أيزيدُ أنت؟ قال نعم وهذا ابن الكُمَيت؟ قال نعم قال: ويحك!. فما شأنك؟ قال: يا عقبة، فارٌّ منك إليك؛ وأنشده قصيدتَه التي يقول فيها:

يا عُقْبَ قد شُذِبَ اللِّحاءُ عن العصا ... عنّي وكنتُ مُؤَزَّراً محمودا

صِلْ لي جَناحِي وأتَّخِذْني[٧] عُدَّةً ... ترمِي بي المُتَعَاشِيَ الصِّنْدِيدا

فقال له عقبة ـ وكانت من خير فَعْلةٍ علمناه فعلَها ـ: أُشهِدكم أنّي قد أبرأته من دَيْن البربريّ وأن له ابنَ الكُمَيْت؛ وأمره أن يحتكم فيما سوى ذلك من ماله. وهذان البيتان من القصيدة التي أوّلها:

أمسى الشبابُ مُوَدَّعاً محمودا

وهي من جيِّد شعره، يقول فيها:

ومُدِلَّةٍ[٨] عند التبذُّل[٩] يَفْتَرِي[١٠] ... منها الوِشَاحُ[١١] مُخَصَّراً أُملودا

/ نازعتُها غُنْمَ الصِّبَا إنّ الصِّبا ... قد كان منّي للكواعب عِيدا [١٧٠/]

يا لَلرِّجالِ وإنما يشكو الفتى ... مَرَّ الحوادث أو يكون جليدا

(١) المخاض: الحوامل من النوق.

(٢) الأحساء جمع واحده الحسى وهو سهل من الأرض يستنقع فيه الماء.

(٣) الحدّاد: السجان.

(٤) الوجا: أن يشتكي البعير باطن خفه.

(٥) ذوات البقايا من الخيل: التي يبقى جريها بعد انقطاع جري الخيل. والعتيق: الرائع: والهمرجل: السريع.

(٦) في الأصول: «على باب ابن المهاجر».

(٧) في الأصول: «واتخذ لي».

(٨) في ب، س: «ومدله». وفي سائر الأصول: «وملله». وكلاهما تصحيف.

(٩) كذا في أ، ء، م. والتبذل: ترك التزين والتهيؤ بالهيئة الحسنة. وفي سائر الأصول: «التبدل». بالدال المهملة، وهو تصحيف.

(١٠) يفتري: يريد به يكسو، والأصل في معنى الافتراء: لبس الفروة.

(١١) الوشاح: شبه قلادة ينسج من أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها مخالفاً بينهما. والمخصر: الدقيق الضامر. والأملود: الناعم الغض.

بَكَرتْ نَوارُ تَجُدُّ[1] باقيةَ القُوَى يومَ الفِراقِ وتُخْلِفُ الموعودا
ولَرُبَّ أمرِ هَوًى يكون نَدامةً وسبيلِ مَكْرَهَةٍ يكون رشيدا

ثم قال يفخَر:

لا أتَّقي حَسَكَ[2] الضَّغائنِ بالرُّقَى فِعْلَ الذَّليلِ وإن بَقِيتُ وحيدا
لكنْ أُجَرِّدُ للضغائنِ مثلَها حتى تموتَ وللحُقودِ حُقودا

أخبَرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبدالله بن عمرو بن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصَّبّاح قال:

قال أبو محضة الأعرابيّ وأُنشِد هذه الأبياتَ ليزيد بن الطَّثْرية: هي والله من مغنج الكلام:

بِنَفْسِيَ مَنْ لو مَرَّ بَرْدُ بَنانِهِ على كبدي كانت شفاءً أناملُهْ
ومَنْ هابَني في كلّ شيءٍ وهِبْتُه فلا هو يُعطيني ولا أنا سائلُهْ

وهذه الأبيات من قصيدته التي قالها في وَحْشيّةَ الجَرْميّة التي مضى ذكرها.

تبعه أعداء له فترك راحلته وفرّ، وشعره في ذلك:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثتني ظَبْية قالت:

مرّ يزيد بن الطَّثْريّة بأعداء له؛ فأرادوه وهو على راحلته فركَضها وركَضوا الإبلَ على أثره؛ فخشي أن يُدركوه وكانت[3] نفسُه عنده أوثقَ من الراحلة، فنزل فسَبقهم عَدْواً، وأدركوا الراحلةَ فعقَروها. فقال في ذلك:

[٨/ ١٧١] / ألا هل أتى ليلَى على نَأْيِ دارِها بأنْ لم أُقاتِلْ يومَ صَخْرٍ[4] مُذَوَّدا
وأنّيَ أسلمتُ الرِّكابَ فعُقِّرتْ وقد كنتُ مِقْداماً بسيفي مُفَرَّدا
[١١٨/ ٧] / أثِرتُ فلم أسْطِعْ قتالاً ولا ترى أخا شِيعةٍ يوماً كآخرَ أوْحَدا[5]
فهل تَصْرِمَنّ الغانياتُ مودّتي إذا قيل قد هابَ المنونَ فعَرَّدا[6]

هاجى فديكا الجرميّ لأنه عذب وحشية بالنار ليصدّها عنه:

أخبرني يحيى إجازةً عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي زِياد قال:

كان يزيد بن الطَّثْريّة يتحدّث إلى نساء فُدَيْك بن حَنْظَلة الجَرْميّ، ومنزلهما بالفَلَج[7] فبلغ ذلك فُدَيْكا فَشقّ عليه فزجَر نساءه عن ذلك، فأبَيْنَ إلاّ أن يدخل عليهنّ يزيد. فدخل عليهنّ فُدَيْك ذاتَ يوم وقد جمعهنّ جميعاً

(١) تجدّ: تقطع.
(٢) المراد بحسك الضغائن: الحقد والعداوة.
(٣) المراد من هذه الجملة واضح وهو أن ثقته بنفسه في الجري أكثر من ثقته براحلته، وكان ينبغي لتأدية هذا المعنى أن يقول: «وكان بنفسه أوثق منه بالراحلة».
(٤) كذا في أكثر الأصول: وفي حـ «يوم صحراً مذوداً». وفي ب، س: «يوم صحراء مذوداً». ومذوّداً: ذائداً.
(٥) هذا البيت ساقط في جميع الأصول عدا ب، س.
(٦) عرّد: هرب.
(٧) الفلج (بالتحريك): مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة وقشير.

أخواتِه وبناتِ عمّه وغيرَهن من حُرَمه، ثم قال لهنّ: قد بلغني أنّ يزيد دخل عليكنّ وقد نهيتُكنّ عنه، وإن لله عليّ نَذْراً واجباً ـ وٱخترط سيفَه ـ إن لم أضرب أعناقكنّ به. فلما ملأهنّ رُعْباً ضرب عنقَ غلامٍ له مُوَلَّدٍ يقال له عِصام فقتله، ثم أنشأ يقول:

جعلتُ عصاماً عِبْرةً حين رابَني ... أنَاسِيُّ من أهلِي مِرَاضٌ قلوبُها

ثم إنّ فُدَيكاً رأى يزيدَ قائماً عند باب أهله، فظنّ أنه يُوَاعد بعض نسائه، فٱرتَصده على طريقه[1] وأمر بزُبْيَةٍ[2] فحُفِرتْ على الطريق ثم أوْقد فيها ناراً ليِّنةً ثم ٱختبأ في مكان ومعه عبدان له وقال لهما: تبَصَّرَا هل تَرَيانِ أحداً؛ فلم يَلْبَثا إلّا قليلاً حتى خرجتْ بنت أخي فُدَيْك، وكان يقال لها وَحْشِيّة، تتهادى في بُرودها لميعاد يزيد؛ فأيقظه / العبدان؛ ومضت حتى وقعتْ على الزُّبْيَة فٱحترق بعضُها، وأمَر بها فأُخرجتْ، وٱحتملها العبدان فانطلقا بها إلى [١٧٢/٨] داره. فقال فُدَيْك:

شفى النفسَ من وَحْشِيّةَ اليومَ أنّها ... تَهَادَى وقد كانت سريعاً عَنِيقُها[3]

فإلّا تَدَعْ خَبْطَ المَوَارِدِ في الدُّجَى ... تكُنْ قَمَناً[4] من غَشْيَةٍ لا تُفِيقُها

دواءُ طبيبٍ كان يعلم أنّه ... يُداوي المجانينَ المُخلَّى طريقُها

فبلغ ذلك يزيدَ فقال:

سَتَبْرَأُ من بعدِ الضَّمَانةِ[5] رجلُها ... وتأتي الذي تَهْوَى مُخَلّى طريقُها

عليّ هَدَايا البُدْنِ إن لم ألاقِها ... وإن لم يكن إلا فُدَيْكٌ يسوقها

يُحَصِّنُها منّي فديكٌ سَفَاهةً ... وقد ذهبتْ فيها الكُبَاسُ[6] وحُوقُها

تُذيقونها شيئاً من النّار كلّما ... رأتْ من بني كعبٍ غلاماً يَرُوقها

قال: وإنما كانت وضعت رجلَها فأحرقتْها النار.

وقال يزيد أيضاً:

يا سُخْنَةَ العين[7] لِلْجَرْميّ إذ جمعَتْ ... بيني وبين نَوَارٍ وحشةُ الدارِ

خُبِّرتُهمْ عذَّبوا بالنار جارتَهم ... ومَن يُعذِّبْ غيرَ اللهِ بالنارِ

فبلغ ذلك فُدَيْكاً فقال:

---

(١) في الأصول: «على طريقته».

(٢) الزبية: الحفرة يصاد بها الأسد والذئب.

(٣) العنيق: السير المنبسط.

(٤) هو قمن بكذا وقمن منه (بفتح الميم) وقمن (بكسر الميم) وقمين أي حريّ وخليق وجدير. فمن فتح الميم لم يثن ولا جمع ولا أنث لأنه مصدر، ومن كسرها أو زاد الياء فقال قمين ثني وجمع وأنث لأنه وصف.

(٥) الضمانة: الزمانة والعاهة. أراد احتراق رجلها.

(٦) الكباس: الكمرة الضخمة. والحوق: ما استدار من حروفها.

(٧) سخنت عينه سخناً وسخونة وسخنة. نقيض قرّت.

أحالفةٌ عليك بنو قُشَيْرٍ يمينَ الصَّبْرِ[1] أم متحرِّجونا

[١٧٣/٨] / ـ ويروى: يمين الله ـ

فإنْ تنكِلْ قُشَيْرٌ تَقْضِ جَرْمٌ وتقضِ لها[2] مع الشبه اليقينا

أليس الجَوْزُ أنّ أباك منّا وأنّك في قبيلةِ آخرينا

119/7 / لَعَمْرُ اللهِ أنّ بني قُشَيْرٍ لِجَرْمٍ في يزيدَ لظالمونا

فإلاّ يحلِفوا فعليك شَكْلٌ[3] ونَجْرٌ[4] ليس مما يعرفونا

وأعرفُ فيك سِيما آلِ صَقْرٍ ومِشْيتَهم إذا يتخيَّلونا

قال: وكانت جَرْمٌ تدّعيه، وقُشَيْرٌ تدّعيه؛ فأراد أن يُخبر أنه دَعِيّ.

وقال فُدَيْك بن حَنْظلة يهجوه:

وإنّا لسيّارون بالسُّنّة التي أحِلّتْ[5] وفينا جَفْوةٌ حين نُظْلَمُ

ومنّا الذي لاقته أمُّك خالياً فلم تدرِ ما أيّ الشهورِ المحرّمُ

فقال يزيد يهجو فُدَيكاً:

انعَتْ عَيْراً من عُيورِ القَهْرِ أقْمَرَ من شرّ خَميرٍ قُمْرِ[6]

صبّح أبياتَ فُدَيْكٍ يجري منزلةَ اللُّؤمِ ودارَ الغَدْرِ

فلَقِيتْه عند بابِ العَقْرِ[7] يَنْشِطُها والدِّرْعُ عند الصَّدْرِ

نَشْطَكَ بالدَّلوِ قَراحَ الجَفْرِ[8]

حاور حسناء عرفته من حديثه:

أخبرنا يحيى بن عليّ إجازةً عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا أبو الحارث هانىء بن سَعْد الخَفَاجيّ قال:

[١٧٤/٨] / ذُكرتْ ليزيد بن الطَّثْرِيّة امرأةٌ حَدَثةٌ جميلةٌ؛ فخرج حتى يَدْفَعَ إليها، فوجد عندها رجلين قاعدين يتحدّثان، فسلّم عليهم؛ فأوْجستْ أنه يزيد ولم تَتَثَبَّتْ[9]، ورأتْ عليه مَسْحة. فقالت: أيُّ ريح جاءت بك يا رجل؟ قال:

---

(١) يمين الصبر: هي التي يلزم بها المرء ويحبس عليها حتى يحلف بها؛ فلو حلف من غير إحلاف لم يكن قد حلف صبراً.

(٢) في أ، ء: «بها».

(٣) في ب، س: «ثكل» وهو تحريف.

(٤) كذا في حـ. والنجر: اللون. وفي سائر الأصول: «نحر» وهو تصحيف.

(٥) في حـ: «أجلت» بالجيم.

(٦) القهر: موضع. والقمرة: لون إلى الخضرة، وقيل: بياض فيه كدرة.

(٧) العقر: موضع. وينشطها: يرفعها.

(٨) الجفر: البئر.

(٩) في الأصول: «يثبت» بالياء.

الجَنُوبُ. قالت: فأيّ طيرٍ جرتْ لكَ الغَداة؟ قال: عنزٌ زَنِمةٌ[1] رأيتُها يُداوِرُها ثَعْلَبَانِ، فأنقضّ عليها سِرْحَانٌ[2] فراغ الثعلبانِ. قال: فَطَفِرتْ وراء سِتْرِها، وعرفتْ أنه يزيد.

ذُهب معه قطريّ لرؤية نساء يحتجبن عنه، وشعره في ذلك:

قال إسحاق وحدّثني عَطَرّد قال:

قال قَطَرِيّ بن بَوْزَل ليزيد بن الطَّثْرِيّة: انطَلِقْ معي إلى فلانةَ وفلانة فإنهنّ يَبْرُزْنَ لك ويستترْنَ عنّي، عسى أن أراهنّ اليوم على وجهك. فذهب به معه، فخرج عليهما النّسوةُ وظَلّا يتحدّثان عندهن حتّى تَرَوّحا. وقال يزيد في ذلك:

علـى قَطَـرِيٍّ نعمـةٌ إن جـرى بهـا	يـزيـدَ وإلّا يَجْـزِهِ اللهُ لـي أجْـرا
دَنـوتُ بـه حتّـى رَمَـى الـوحـشَ بعـدمـا	رأى قَطَـرِيٌّ مـن أوائلهـا نَفْـرا

قصته مع رجل من صداء أحب خثعمية فأعانه عليها:

أخبرنا يحيى إجازةً عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عَطَرّد قال:

نزل نَفَرٌ من صُدَاءَ[3] بناحية العَقِيق، وهو منزلُ ابن الطَّثْرِيَّة، نصفَ النهار فلم يأتهم أحد؛ فأبصرهم ابن الطَّثْرِيَّة فمرّ عليهم وهو منصرفٌ وليسوا قريباً من أهله. فلما رآهم مُرْمِلِين[4] أنْفَذَ إليهم هديّةً ومضَى على حِيَاله ولم يراجعْهم. فسألوا عنه بعدُ حتى عرفوه، فَحَلا عندهم وأعْجبهم. ثم إنّ فتًى منهم وادّه فآخاه فأهدى له بُرْداً وجُبّةً / وَنَعْلَين. ثم أغار المقدَّمُ بن عمرو بن هَمّام بن مُطَرِّف بن الأعلم بن رَبيعة بن عُقَيْل على ناس من خَثْعَم. وفي ذلك يقول الشاعر: [١٧٥/٨]

مُغَار ابن هَمّامٍ على حَيّ خَثْعَمَا

فأخذ منهم إبلاً ورَقيقاً، وكانت فيهنّ جاريةٌ من حِسان الوجوه، وكان يهواها الذي آخَى يزيدَ، فأصابه عليها بلاءٌ عظيم حتى نَحِل جسمُه وتغيّرتْ حالُه؛ فأقبل الفتى حتّى نزل العَقِيقَ متنكّراً؛ فشكا إلى يزيد ما أصابه في تلك الجارية. / فقال: أفيك خير؟ قال نعم. قال: فإني أدفعها إليك. فَخَبَأه في عَرِيشٍ له أيّاماً حتى خَطِف الجاريةَ فدفعها إليه. فبعث إليها قَطَرِيَّ بن بَوْزَل، فاعترَض لها بين أهلها وبين السوق فذهب بها حتى دفعها إليه وقد وَطّن له ناقةً مُفَاجّةً[5] فقال: النَّجَاةَ فإنك لن تُصْبِح حتى تخرجَ من بلاد قُشَير وتصيرَ إلى دار نَهْد فقد نجوتَ؛ وأنا أُخْفِي أثرَك فعفّى أثرَه، وقال لابنة خَمّارة كان يشرب عندها: اسْحَبِي ذيلَكِ على أثره ففعلتْ. ثم بُحِث على ذلك حتى [١٢٠/٧]

(١) عنز زنمة: لها لحمتان متدليتان من حلقها.

(٢) السرحان: الذئب.

(٣) كذا في حـ، ب، س. وصداء: مخلاف باليمن، بينه وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخاً. وفي سائر الأصول: «كداء» وهو موضع بأعلى مكة.

(٤) المرمل: الذي نفد زاده.

(٥) المفاجة: التي تفرّج في المشي بين رجليها.

قيل: قد كان قَطَرِيٌّ أَحْدَثَ الناسِ بها عهداً؛ فاستَعْدَى عليه فظَفِر بيزيد فأخذ مكانه فحُبِس بحُجْر[١]، حبسه المُهَاجِر. ففي ذلك يقول يزيد:

ألا لا أُبالِي إن نجا لي ابنُ بَوْزَلٍ ... ثَوائِي وتَقْيِيدِي بِحُجْرٍ لَيالِيَا

إذا حُمَّ أمرٌ فهو لا بدَّ واقعٌ ... له لا أُبالِي ما عليَّ ولا لِيَا

هو العَسَلُ الماذِيُّ طوراً وتارةً ... هو السَّمُّ والذَّيفان[٢] واللَّيْث عاديا

نحر ناقة من إبل أخيه لنسوة فسبه فقال شعراً:

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحُبَاب عن محمد بن سَلّام الجُمَحِيّ قال حدّثني أبو الغَرّاف قال.

[١٧٦/٨] / كان يزيد بن الطَّثْرِيّة صاحب غَزَلٍ ومُحادثةٍ للنساء، وكان ظريفاً جميلاً من أحسن الناس كلِّهم شعراً، وكان أخوه ثَوْرٌ سيِّداً كثيرَ المال والنَّخل والرَّقيق، وكان متنسّكاً كثير الحج والصَّدَقة كثيرَ المُلازمة لإبله ونخله، فلا يكاد يُلِمُّ بالحيّ إلا الفَلْتة[٣] والوَقْعة، وكانت إبلُه تَرِدُ مع الرِّعاء على أخيه يزيد بن الطَّثْرِيّة فتُسْقَى على عَيْنه. فبينا يزيدُ مارٌّ[٤] في الإبل وقد صدَر عن الماء إذ مرّ بِخِبَاءٍ فيه نسوةٌ من الحاضر؛ فلما رأينَه قلن: يَا يزيد، أطْعِمْنا لحماً. فقال: أعطِينَنِي سِكِّيناً فأعطينه، ونحرَ لهنّ ناقةً من إبل أخيه. وبلغ الخبرُ أخاه؛ فلما جاءه أخذ بشَعْره وفسَّقه وشتَمه. فأنشأ يزيد يقول:

يا ثَوْرُ لا تشتُمَنْ عِرْضي فداك أبي ... فإنما الشتمُ للقوم العَوَاوِيرِ[٥]

ما عَقْرُ نابٍ لأمثال الدُّمَى خُرُدٍ ... عِينٍ كِرامٍ وأبكارٍ مَعَاصِيرِ[٦]

عَطَفْنَ حَوْلِيَ يسألْنَ القِرَى أُصُلاً ... وليس يَرْضَيْنَ مِنّي بالمَعاذير

هَبْهُنَّ ضيفاً عَرَاكم بعد هَجْعَتِكم ... في قِطْقِطٍ[٧] من سَقِيطٍ[٨] اللّيلِ منثورِ[٩]

وليس قُرْبُكُمُ شاءٌ ولا لَبَنٌ ... أيرحَلُ الضيفُ عنكم غيرَ مجبور

ما خيرُ واردةٍ للماء صادرةٍ ... لا تنجلي عن عَقِيرٍ[١٠] الرِّجْلِ[١١] منحور

(١) حجر (بالضم): قرية باليمن.

(٢) الماذيّ: العسل الأبيض. والذيفان (بالفتح ويكسر): السم الناقع.

(٣) يريد الوقت بعد الوقت.

(٤) في الأصول. «مارّا» وهو ظاهر الخطأ.

(٥) العواوير: الجبناء.

(٦) الخرد: جمع خريدة وهي المرأة الحيية، والبكر التي لم تمس، والعين: جمع عيناء وهي الواسعة العين، والمعاصير: جمع معصر وهي الجارية التي بلغت شبابها أو أدركت.

(٧) القطقط (كزبرج): المطر الصغير أو المتتابع العظيم القطر، وقيل: هو دون الرذاذ.

(٨) كذا في «طبقات الشعراء» لابن سلام. والسقيط: الندى والثلج. وفي الأصول: «سواد الليل».

(٩) كذا في حـ و«طبقات الشعراء» و«مهذب الأغاني». وفي سائر الأصول: «منشور».

(١٠) كذا في حـ ونسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. وفي سائر الأصول: «عقيل» باللام وهو تحريف.

(١١) كذا في نسخة الشنقيطي مصححه بقلمه. وفي الأصول. «الرجل» وهو تصحيف.

[١٧٧/٨]

/ **أحب امرأة وعلم أن سعة يحبونها فقال شعراً:**

أخبرني أبو خَليفة قال قال ابن سَلّام:

كان يزيد بن الطَّثْرِيّة يتحدّث إلى امرأة ويُعْجَب بها. فبينما هو عندها إذ حدَث لها شابٌّ سِواه قد طلع عليه، ثم جاء آخرُ ثم آخر، فلم يزالوا كذلك حتى تَمُّوا سبعةً وهو الثامن؛ فقال:

أرى سبعةً يَسْعَوْنَ للوصلِ كلُّهم   لـه عند ليلَى دِينةٌ يستدينُها

فألقَيْتُ سهمي وسْطَهم حين أَوْخَشُوا[1]   فما صار لي من ذاك إلاّ ثَمِينُها

وكنتُ عَزُوفَ النَّفسِ أشْنأُ أن أرَى   على الشِّرْك من وَرْهاء طَوْعٌ قَرِينُها[2]

فيوماً تراها بالعهود وَفِيّةً   ويوماً على دِين ابن خاقانَ دِينُها

/ يَداً بِيَدٍ مَنْ جاء بالعَين منهمُ   ومَنْ لم يجيء بالعين حِيزَتْ رُهونُها

١٢١/٧

وقال فيها وقد صارَمها:

ألاَ بِأبِي مَنْ قد بَرَى الجسمَ حُبُّهُ   ومَنْ هو مَوموقٌ إليّ حبيبُ

ومن هو لا يزداد إلا تَشَوُّقاً   وليس يُرَى إلاّ عليه رقيبُ

وإنّي وإن أحْمَوْا[3] عليّ كلامَها   وحالت أعادٍ دونها وحُروبُ

لَمُثْنٍ على ليلَى ثناءً يزيدها   قَوافٍ بأفواه الرُّواةِ تَطِيبُ

أليلَى احْذَري نَقْضَ القُوَى لا يَزَلْ لنا   على النأْيِ والهِجْرانِ منكِ نصيبُ

وكُوني على الواشين لَدّاءَ شَغْبَةً   كما أنا للواشي ألَدُّ شَغُوبُ

فإنْ خِفْتِ ألاّ تُحْكِمي مِرَّةَ القُوَى   فرُدّي فؤادي والمَزارُ قريبُ

[١٧٨/٨]

/ **كتب والي اليمامة إلى أخيه ليؤدبه فحلق لمته فقال شعراً:**

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا عبدالرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه عن رجل من بني عامر ثم من بني خَفَاجةَ قال:

استعدت جَرْمُ على ابن الطَّثْرِيّة في وَحْشِيّة (امرأةٍ منهم كان يشبِّب بها) فكتب بها صاحبُ اليمامة إلى ثَوْر أخي يزيد بن الطَّثْرِيّة وأمره بأدبه، فجعل عقوبتَه حَلْق لِمّته فحلَقها، فقال يزيد:

أقول لِثَوْرٍ وهو يَحْلِقُ لِمّتي   بحَجْنَاءَ[4] مردودٍ عليها نِصَابُها

---

(١) أوخشوا: خلطوا وصاروا إلى الوخاشة أي الرذالة، يقال: وخش الشيء (بالضم) وخاشة ووخوشة ووخوشا أي رذل وصار رديئاً. وفي «الأصول»: «أوحشوا» بالحاء المهملة، والتصويب عن «اللسان» (مادة وخش).

(٢) الورهاء: الحمقاء. وطوع قرينها أي أن قرينها يطيعها، ولا تخضع هي لقرين، لأنها تستبدل بكل قرين من شاءت متى شاءت، فقرينها يطيعها وهي لا تطيع قريناً.

(٣) أحمى: حرّم ومنع.

(٤) في «الكامل للمبرد»: «بعقفاء». والعقفاء والحجناء بمعنى، وهي كل حديدة لوى طرفها.

ـ قال عبدالرحمن: كان عمّي يحتجّ في تأنيث المُوسَى بهذا البيت ـ

تَـرَفَّـقْ بهـا يـا ثـورُ ليس ثـوابُهـا ... بهـذا ولكـن غيـرُ هـذا ثـوابُهـا

ألا ربَّمـا يـا ثَـوْرُ قـد غَلّ[1] وسْطَهـا ... أنـامِـلُ رَخْصـاتٌ حـديـثٌ خِضَـابُهـا

وتَسْلُـك[2] مِـدْرَى العـاج فـي مُـدْلَهِمَّـةٍ ... إذا لـم تُفَـرِّجْ مـات غَمّـاً صُـوابُهـا

فـراح بهـا ثَـوْرٌ تَـرِفُّ[3] كـأنهـا ... سـلاسـلُ دِرْعٍ خِيـرُهـا[4] وانسكـابُهـا

مُنَعَّمـةٌ كـالشَّـرْبَـةِ[5] الفَـرْدِ جـادَهـا ... نِجَـاءُ الثُّـرَيّـا هَطْلُهـا وذِهَـابُهـا

[١٧٩/٨] / فـأصبـح رأسـي كـالصُّخَيْـرة أشْـرفـتْ ... عليهـا عُقَـابٌ ثـم طـارتْ عُقَـابُهـا

أخبار من حلق رؤوسهم:

ونظير هذا الخبر أخبار مَنْ حُلِقَتْ جُمَّتُه فرثاها، وليس من هذا الباب، ولكن يُذكر الشيء بمثله:

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرني عبدالرحمن عن عمه قال:

شَرِب طُخَيْمٌ الأسَدِيّ بالحِيرة، فأخذه العبّاس بن مَعْبَد المُرِّيّ، وكان على شُرَط يوسف بن عمر، فحلَق رأسَه؛ فقال:

وبـالحِيـرةِ البَيْضـاء شيـخٌ مُسَلَّـطٌ ... إذا حلَـف الأيمـانَ بـالله بَـرَّتِ

لقـد حَلَقُـوا مِنّـا غُـدَافـاً كـأنهـا ... عَنـاقيـدُ كَـرْمٍ أيْنعـتْ فـاسْبَطَـرَّتِ[6]

يَظَـلّ العَـذَارَى حيـن تُحْلَـقُ لِمَّتـي ... علـى عَجَـلٍ يَلْقُطْنَهـا حيـن جُـزَّتِ

أخبرني محمد عن[7] عبدالرحمن عن عمه عن بعض بني كِلاب قال:

أُخِذَ فتًى منّا مع بعض فَتَيَاتِ الحيّ، فحُلِق رأسُه فقال:

يـا لِمَّتـي ولقـد خُلِقْـتِ[8] جميلـةً ... وكُـرِمْـتِ حيـن أصـابـكِ الجَلَمـانِ

---

(١) غل شعره بالطيب: أدخله في أصوله. وفي ب، س «عل» بالعين المهملة وهو تصحيف. وفي «الكامل» (ص ٣٣٤ طبع أوروبا): «... يا ثور فرّق بينها».

(٢) في «الكامل»: «فيهلك». ويهلك: يصل. والمدرى: شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد، ويستعمله من لم يكن له مشط. ومد لهمه: سوداء.

(٣) كذا في «الكامل». وفي الأصول: «تزف». وهو تصحيف: ورف لونه: برق وتلألأ. وفيه أيضاً: فجاء بها» بدل «فراح بها».

(٤) الخير: الهيئة. وفي ب، س: «خبؤها». ورواية هذا الشطر في «الكامل»: «سلاسل برق لينها وانسكا بها». وسلاسل البرق هي ما استطال في عرض السحاب، ترى فيه هيئة انثناء والتواء.

(٥) الشرية: شجرة الحنظل، تشبه اللمم بها لحسنها لأنها جعدة. والنجاء: جمع نجو كبحر بحار، وهو السحاب الذي هراق ماءه. والذهاب: جمع ذهبة (بالكسر) وهي المطرة الضعيفة، وقيل: الجود. ورواية هذا البيت في «الكامل»:

خداريـة كـالشـريـة الفـرد جـادهـا ... مـن الصيـف أنـواء مطيـر سحـابهـا

والخدارية: وصف للمّة، أي شديدة السواد.

(٦) اسبطرت: طالت وامتدت.

(٧) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «محمد بن عبد الرحمن» وهو تحريف. إذ أن محمدا هذا هو محمد بن الحسن بن دريد، وقد تقدّمت روايته في السند السابق وفي غيره عن عبدالرحمن ابن أخي الأصمعي.

(٨) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «حلقت» بالحاء المهملة.

/ أمستْ تَروقُ الناظرين وأصبحتْ قَصَصاً[١] تكون[٢] فواصلَ المَرْجانِ ١٢٢/٧

شعره في أخيه ثور:

أخبرني وَكِيع قال حدّثني عليّ بن الحسين بن عبد الأعْلَى قال حدّثنا أبو مُحَلِّم قال:

كان ليزيد بن الطَّثْرِيّة أخٌ يقال له ثَوْر أكبرُ منه، فكان يزيدُ يغير على ماله ويُتْلفه، فيتحمّله ثَوْر لمحبته إيّاه.

فقال يزيد في ذلك:

/ نُغِيرُ على ثَورٍ وثورٌ يَسُرُّنا وثورٌ علينا في الحياة صَبُورُ [١٨٠/٨]

وذلك دَأْبي ما حَيِيتُ وما مَشَى لثورٍ على عَفْرِ التُّراب بعيرُ

الحرب بين عقيل وبني حنيفة ومقتل يزيد وما رثاه به الشعراء:

وقُتِل يزيد بن الطَّثْرِيّة في خلافة بني العبّاس[٣]، قتلته بنو حَنِيفة.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السُّكَّريّ عن محمد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضّل بن سَلَمة عن أبي عُبيدة وابن الكَلْبيّ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي الجَرّاح العُقَيْلِي قال:

أغارتْ بنو حَنِيفة على طائفة من بني عُقَيْل ومعهم رجلٌ من بني قُشَيْر جارٌ لهم؛ فقُتِل القُشَيْرِيّ ورجلٌ من بني عُقَيْل وأطْرَدتْ[٤] إبلٌ من العُقَيْلِيّين؛ فأتى الصَّريخُ[٥] عُقَيْلاً فلحِقوا القومَ فقاتلوهم فقتَلوا من بني حَنِيفَة رجلاً وعقَروا أفراساً ثلاثةً من خيل حنيفة وانصرفوا، فلبِثوا سنةً. ثم إن عُقَيْلاً انحدرتْ منتجعةً من بلادها إلى بلاد بني تَميم، فَذُكِر لحَنيفةَ وهم بالكَوْكَبةِ[٦] والقيصاف، فغزتْهم حَنيفةُ، وحَذِر العُقَيْليّون وأتتْهم النُّذُرُ من نُمَير فانكشفوا فلم يقدِروا عليهم؛ فبلَغ ذلك من بني عُقَيْل وتلهفوا على بني حنيفة، فجمعوا جمعاً ليَغْزُوا حنيفة، ثم تشاوروا. فقال بعضهم: لا تغزوا قوماً / في مَنَازلهم ودُورهم فيتحصَّنُوا دونكم ويمتنعوا منكم، ولا نأمنُ أن يفضحوكم، [١٨١/٨] فأقاموا بالعَقيق. وجاءت حنيفةُ غازيةً كَعْباً لا تتعدّاها حتى وقعت بالفَلَج، فتطاير الناسُ، ورأسُ حَنِيفةَ يومئذ المُنْدَلِفُ، وجاء صَرِيخُ كَعْب إلى أبي لَطِيفةَ بنِ مُسْلم العُقَيْليّ وهو بالعَقيق أميرٌ عليها؛ فضاق بالرسول ذَرْعاً وأتاه

---

(١) القصص (بالتحريك): ما قص من الشعر.

(٢) في ب، س: «تفوق».

(٣) قال ابن خلكان في ترجمة يزيد بن الطثرية: «وقال أبو بكر بن يحيى بن جابر البلاذري في كتاب «أنساب الأشراف»، بعد ذكر مقتل الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان الأموي الحكميّ ووقائع جرت في سنة ست وعشرين ومائة، فكان في أثناء ذلك وقعة قتل فيها المندلف بن إدريس الحنفي وقتل معه يزيد بن الطثرية المذكور على قرية يقال لها الفلج» ثم قال: وذكر أبو الحسن الطوسيّ المذكور في هذه الواقعة أن الراية كانت مع يزيد بن الطثرية، فلما قتل المندلف وهرب أصحابه ثبت يزيد بن الطثرية، وكان عليه جبة خز فتشبثت في عشرة (بضم العين وفتح الشين والراء) فعثر فضربه بنو حنيفة حتى قتلوه». ثم استنبط ابن خلكان أن قتل يزيد بن الطثرية كان في هذه السنة عقب مقتل الوليد بن يزيد. ثم نقل عن أبي الفرج قوله في أوّل «ديوان يزيد» الذي جمعه من شعره أنه قتل في خلافة بني العباس، وقال: والأوّل أصح.

(٤) طرد الأبل: ساقها، والمطاوع له اطردت الإبل.

(٥) الصريخ: الاستغاثة.

(٦) لم نجد هذين الموضعين في «معجمات البلدان».

هولٌ شديد، فأرسل في عُقَيْل يستمدّها؛ فأتته ربيعةُ بن عُقَيْل وقُشَيْرُ بن كعب والحَرِيشُ بن كعب وأَفْناءُ خُفَاجةَ، وجاش[1] إليه الناس؛ فقال: إني قد أرسلتُ طَليعةً فانتظروها حتى تجيء ونعلَم ما تُشير[2] به. قال أبو الجَرّاح: فأصبح صُبْحَ ثالثةٍ على فرسٍ له يَهْتِف: أعزّ الله نصركم وأمتعنا بكم! انصرِفوا راشدين فلم يكن بأسٌ؛ فانصرف الناسُ؛ وصار في بني عمّه ورَهْطِه دِنْيَةً. وإنما فعل ذلك لتكونَ له السُّمْعةُ والذُّكر. فكان فيمن سار معه القُحَيْف بن خُمَيْر[3] ويزيد بن الطَّثْرِيّة الشاعران؛ فساروا حتى واجهوا القومَ، فواقعوهم، فقتلوا المُنْدَلِفَ، رَمَوْه في عينه، وسَبَوْا وأسَروا ومَثَّلوا بهم وقطعوا أيديَ اثنين منهم وأرسلوهما إلى اليَمَامة وصنَعوا[4] ما أرادوا. ولم يُقتل ممن كان مع أبي لَطِيفةَ غيرُ يزيدَ بنِ الطَّثْرِيّة، نَشِب ثوبُه في جِذْلٍ[5] من عُشَرَةٍ فانقلب، وخبَطه القومُ فقُتل. فقال القُحَيْف يرثيه:

ألاَ تَبْكِي سَرَاةُ بني قُشَيْرٍ ... على صِنْدِيدِها وعلى فَتَاها

فإنْ يُقْتَلْ يزيدُ فقد قَتَلْنا ... سَرَاتَهُمُ الكهولَ على لِحَاها

/ أبا المَكْشوحِ بَعْدَكَ مَنْ يُحَامِي ... ومَنْ يُزْجِي المَطِيَّ على وَجَاها

١٢٣/٧ [١٨٢/٨]

/ وقال القُحَيْف أيضاً يرثيه:

إن تقتُلوا منّا شهيداً صابرَا ... فقد تركنا منكُمُ مَجَازِراً

عشرين لمّا يدخُلوا المقابرَا ... قتْلَى أُصِيبتْ قَعَصاً[6] نَحَائرا

نعجا[7] ترَى أرجُلَها شَوَاغِرَا

وهذه من رواية ابن حَبِيبَ وحدَه. وقال القُحَيْف أيضاً ولم يَرْوِها إلا ابن حبيبَ:

يَا عينُ بَكِّي هَمَلاً على هَمَلْ ... على يَزيدَ ويزيدَ بنِ حَمَلْ

قَتَّالِ أبطالٍ وجَرّارِ حُلَلْ

قال: ويزيد بن حَمَل قُشَيْريّ قُتِل يومئذ أيضاً. وقالت زينب بنت الطَّثْرِيّة ترثي أخاها يزيد ـ وعن أبي عمرو الشَّيْبانيّ أنّ الأبيات لأمّ يزيد، قال: وهي من الأزد. ويقال: إنها لوَحْشِيّة الجَرْميّة ـ:

أرَى الأثْلَ من بطن العَقِيق مُجَاوِري ... مُقِيماً وقد غالتْ يزيدَ غوائلُهْ

---

(١) جاش إليه الناس: ساروا إليه ليلا.

(٢) كانت العبارة في الأصل «ما تشير».

(٣) كذا في «شرح القاموس» (مادة قحف) وفي ب، س: «القحيف بن حمير». بالحاء المهملة، وهو تصحيف. وفي سائر الأصول «المحنف بن حمير» وهو تحريف.

(٤) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «وتصنعوا ما أرادوا» وهو تحريف.

(٥) الجذل: أصل الشجرة. والعشرة: شجرة من العضاه وهي من كبار الشجر ذات صمغ حلو وورق عريض.

(٦) القعص (بالفتح وبالتحريك): القتل المعجل والموت الوحيّ، يقال: مات فلان قعصاً إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه.

(٧) كذا في أكثر الأصول ولعله: «نعجى» جمع نعج كزمن وزمني. ونعج الرجل ربا وانتفخ، وذلك ملحوظ في الميت بجلاء. وفي ب، س: «نفجا» بالفاء. وشواغر: مرفوعات.

فَتَى قُدَّ قَدَّ السَّيْفِ لا مُتَضَائِلٌ ... ولا رَهِلٌ لَبَّاتُه وبَآدِلُه[١]

فتًى لا تَرى قَدَّ القميص بخَصْرِه ... ولكنّما تُوهِي القميصَ كواهلُه

إذا نزل الضِّيفانُ كان عَذَوَّراً[٢] ... على الحيّ حتى تَسْتَقِلَّ مَراجِلُه

يَسُرُّك[٣] مظلوماً ويُرضيك ظالماً ... وكلُّ الذي حَمَّلتَه فهو حامِلُه

/ إذا جَدّ عند الجِد[٤] أرضاك جِدُّه ... وذو باطلٍ إن شئتَ ألْهاكَ باطلُه [٨/١٨٣]

إذا القومُ أمُّوا بيتَه فهو عامِدٌ ... لأفضلِ ما أمُّوا له فهو فاعِلُه[٥]

مضَى وورِثْناه دَرِيسَ مُفَاضَةٍ[٦] ... وأبيضَ هِنْدِيّاً طويلاً حمائلُه

وقد كان يَحْمِي المَحْجِرين[٧] بسيفه ... ويبلغُ أقصَى حَجْرةِ[٨] الحيّ نائلُه

فتًى ليس لابن العم كالذئب إن رأى ... بصاحبه يوماً دماً فهو آكِلُه

سيَبْكِيه مولاه إذا ما ترفَّعت ... عن الساق عند الرَّوْع يوماً ذَلاَذِلُه

الذَّلَاذِل[٩]: هُدْب الثياب.

وقد أخبرنا الحَرَمِيّ عن الزُّبَيْر عن عمر بن إبراهيم السَّعْدِيّ عن عباس بن عبد الصمد قال:

قال هشام بن عبدالملك للعُجَيْر السَّلُولِيّ: أصدقتَ فيما قلتَ في ابن عمّك[١٠]؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، الاّ إنّي قلتُ:

فتَى قُدّ قَدّ السيفِ لا متضائِلٌ ... ولا رَهِلٌ لَبّاتُه وأبَاجِلُه[١١]

/ فذكر هذا البيتَ وحدَه ونسبه إلى العُجَيْر السَّلُولِيّ من الأبيات المنسوبة إلى أخت يزيد بن الطَّثْرِيّة أو إلى أمّه وأتى [٨/١٨٤] بأبيات أُخَر ليست منها، وسيُذكر ذلك في أخبار العُجَيْر مشروحاً إن شاء الله تعالى.

---

(١) البآدل: جمع بأدلة وهي اللحمة بين العنق والترقوة.

(٢) العذوّر: السيىء الخلق القليل الصبر عما يريده وما يهم به. والمراجل: جمع مرجل وهو القدر. واستقلالها: انتصابها على الأثافي. وصفته بسوء الخلق والتشدّد في الأمر والنهي حتى تنصب المراجل وتهيأ المطاعم للضيفان ثم يعود إلى خلقه الأوّل.

(٣) في «اللسان»: يعينك مظلوماً وينجيك ظالماً ويريد بقوله. ويرضيك ظالماً أنك إن ظلمت فطولبت بظلمك حماك ومنع منك.

(٤) كذا في أ، ء، م. وفي سائر الأصول: «عند الظلم».

(٥) رواية «ديوان» الحماسة: «لأحسن ما ظنوا به... إلخ».

(٦) الدريس: الخلق من الدروع وغيرها. والمفاضة: الدرع الواسعة. وأبيض يعني سيفاً. وجعله طويل الحمائل لطول قوامه. يريد: أنه أنفق ماله فيما نشر له حمداً فلم يكن إرثه إلاّ ما ذكر من السلاح.

(٧) المحجر: الحرم وما يمنعه القوم. ورواية هذا الشطر في الحماسة:

وقد كان يروي المشرفيّ بكفه

يريد أنه كان شديد النكاية في الأعداء.

(٨) الحجرة (بالفتح): الناحية.

(٩) في الأصول: «الذلاذال» بزيادة ألف ولم نقف عليها في «كتب اللغة»، وإنما واحد الذلاذل ذلذل وذلذلة.

(١٠) كذا في «ترجمة العجير السلولي» (ج ١١ ص ١٥٣ طبع بلاق). وفي الأصول: «في ابن عمر» وهو تحريف.

(١١) الأباجل: جمع أبجل، وهو عرق غليظ في الرجل، وقيل: هو في باطن الذراع.

وممّا يُغنّى فيه من شعر يزيد بن الطّثريّة قوله:

صوت

بنفسيَ مَنْ لا بدّ أنّيَ هاجِرُهْ ومن أنا في الميسور والعُسْرِ ذاكِرُهْ

١٢٤/٧ / ومن قد رماه الناسُ بي فاتّقاهم ببغضيَ إلاّ ما تُجِنُّ ضمائرُهْ

عروضُه من الطويل. غنّى في هذين البيتين عبدالله بن العباس الرَّبيعيّ لحناً من خفيف الثقيل بالبنصر. وغنّتْ فيه عَرِيبُ وفيَ أبيات أضافتها إليها لحناً من خفيف الثقيل الأوّل آخرَ. وغنّت عُلَيَّةُ بنت المهديّ فيها خفيفَ رَمَلٍ. وذكر الهِشَاميّ أن لإبراهيم فيها لحناً ماخُورِياً. والأبياتُ المُضَافةُ:

بنفسيَ من لا أُخبِرُ الناسَ باسمه وإن حَمَلَتْ حِقْداً عليّ عشائرُهْ

بأهلي ومالي من جلَبتُ له الأذى ومَنْ ذكرُه منّي قريبٌ أسامِرُه

ومَنْ لو جرت شَحْناءُ بيني وبينه وحاوَرَني لم أدرِ كيف أُحَاوِرُهْ

صوت

من المائة المختارة

شأتْكَ المنازلُ بالأبرَقِ دوارسَ كالعين في المُهْرَقِ

لآلِ جَميلةَ قد أخلَقتْ ومهما يَطُلْ عهدُه يُخلِقِ

فإن يَقُلِ الناسُ لي عاشِقٌ فأين الذي هو لم يَعْشَقِ

ولم يَبْكِ نُؤياً على عَبْرةٍ بسداء الصَّبَابةِ والمَعْلَقِ

[٨/١٨٥] / شأتك: بعُدتْ عنك. والشأو: البعد. يقال: جرى الفرسُ شَأواً، يريد طَلَقاً. والمُهْرَق: الصحيفة، والجمع المَهَارق. يريد أنّ الدار قد بَقِيتْ منها طرائقُ كالصّحف وما فيها.

الشعر للأحوص. والغناءُ لجَميلة. ولحنُها المختار خفيفُ رملٍ بالوسطى[1] عن إسحاق. وفيه لعَطَرّد ثقيلٌ أوّلُ بالخنصر في مجرى الوسطى. وفيه لمعبد خفيفُ ثقيلٍ عن حَبَش: وفيه رمل يقال: إنه لفَريدة، ويقال: إنه لمالك. وقيل: إن الثقيلَ الأوّل لابن عائشة. وذكر عمرو بن بانة أن خفيف الرمل لعَطَرّد أيضاً.

(١) في ب، س: بالوسطى في مجراها عن إسحاق».

/ ذكر جميلة وأخبارها

[١٨٦/٨]

ولاء جميلة وشعر عبدالرحمن بن أرطاة فيها:

هي جميلة مولاةُ بني سُلَيْم ثم مولاةُ بطن منهم يقال لهم بنو بَهْز، وكان لها زوج من موالي بني الحارث بن الخَزْرج، وكانت تنزِل فيهم، فغلَب عليها ولاءُ زوجها، فقيل: إنها مولاة للأنصار، تَنْزِل بالسُّنح[1] وهو الموضع الذي كان ينزله أبو بكر الصِّدِّيق؛ ذكر ذلك إبراهيم بن زِيَاد الأنصاري الأمَوِيّ السَّعِيدي. وذكر عبدالعزيز بن عِمْران أنها مولاةُ للحَجّاج بن عِلاَط السُّلَميّ وهي أصل من أصول الغناء، وعنها أخذ معبدٌ وابن عائشة وحَبَابَةُ وسَلاّمة وعقيلة العَقِيقية والشَّمَّاسِيَّان خُلَيْدة ورُبَيْحة. وفيها يقول عبدالرحمن بن أَرْطاة:

صوت

إنّ الـــدَّلاَل وحســـنَ الغنـــا ءِ شــطَّ بيــوت بنــي الخَـــزْرج

/ وتلكـم جميلــةُ زيــنُ النســا ءِ إذا هـــي تَـــزْدان للمَخْـــرَج

إذا جئتَهـــا بـــذَلَـــتْ وُدَّهـــا بـــوجــه مُنيـــرٍ لهـــا أبْلَـــجِ

١٢٥ / ٧

الشعر لعبد الرحمن بن أَرْطاة. والغناء لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق في مجرى الوسطى، ويقال: فيه الدَّلاَل وجَميلة لحنانِ.

كانت أعلم خلق الله بالغناء:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي جعفر القُرَشيّ عن المُخْرِزيّ[2] قال:

كانت جميلة أعلمَ خلق الله بالغناء؛ وكان معبد يقول: أصلُ الغناء جَميلة وفرعُه نحن، ولولا جميلة لم نكن نحن مُغَنِّين.

[١٨٧/٨]

/ كيف تعلمت الغناء:

قال إسحاق وحدّثني أيُّوب بن عَبَاية قال حدّثني رجل من الأنصار قال:

سُئِلت جميلة: أنّى لكِ هذا الغناء؟ قالت: والله ما هو إلهامٌ ولا تعليم ولكنّ أبا جعفر سائب خاثر كان لنا جاراً وكنتُ أسمعه يغنّي ويضرب بالعود فلا أفهمه، فأخذتُ تلك النَّغَمات فبنيتُ عليها غِنائي، فجاءت أجودَ من تأليف ذلك الغناء، فعلِمتُ وألقيتُ، فسمعني مَوَالِياتي[3] يوماً وأنا أغنّي سرّاً ففهِمْنَني ودخلْنَ عليّ وقُلْنَ: قد علِمنا فما تَكْتُمِينا. فأقسمْنَ عليّ، فرفعتُ صوتي وغنّيتُهنّ بشعر زُهير بن أبي سُلْمَى:

---

(١) السنح (بالضم وبضمتين): موضع قرب المدينة.

(٢) في حـ: «المخرزي بالخاء المعجمة.

(٣) مواليّاتي: هو جمع الجمع، كصواحبات.

وما ذكرتُكِ إلاّ هِجْتِ لي طَرَباً إنّ المحبَّ ببعض الأمر معذورُ
ليس المحبّ بمن[1] إن شطَّ غيَّره هجرُ الحبيب وفي الهِجران تغييرُ

صوت

نام الخليّ فنومُ العين تَعْذِيرُ[2] مما أذّكرتُ وهمُّ النفس مذكورُ
ذكرتُ سَلْمَى وما ذِكْري براجعها ودونها سَبْسَبٌ يَهْوِي به المُورُ[3]

ـ الشعر لزُهَير. والغناء في هذين البيتين لجَميلة فقط رملٌ بالوسطى عن حَبَش ـ فحينئذ ظهرَ أمري وشاع ذكري، فقَصَدني الناسُ وجلستُ للتعليم؛ فكان الجواري يتكاوَسْنَنِي[4]، فربما أنصرف أكثرُهنّ ولم يأخُذْنَ شيئاً سوى ما سمِعْنَنِي أُطَارِحُ لغيرهنّ، ولقد كَسبتُ لمَوَالِيَّ ما لم يخطِرْ لهنّ ببال، وأهلُ ذلك كانوا وكنتُ.

[٨/١٨٨] / **إجماع الناس على تقدمها في الغناء:**

وحدّثني أبو خليفة قال حدّثني ٱبن سَلاّم قال حدّثني مَسْلَمة بن محمد بن مَسْلَمة الثَّقَفِيّ قال:

كانت جميلةُ ممّن لا يُشَكُّ في فَضيلتها في الغناء، ولم يَدَّعِ أحدٌ مقارَبَتَها[5] في ذلك، وكلُّ مدنيّ ومكيّ يشهد لها بالفضل.

وصف مجلس من مجالسها غنت فيه وغنى فيه مغنو مكة والمدينة:

قال إسحاق وحدّثني هشام بن المُرِيَّة المدنيّ قال حدّثني جرير المدنيّ ـ قال إسحاق: وكانا جميعاً مغنّيَيْن حاذقين شيخين جليلين عالمين ظريفين، وكانا قد أسنّا، فأمّا هشام فبلغ الثمانين، وأمّا جرير فلا أدري ـ قال جرير:

وفَد ٱبنُ سُرَيج والغريض وسَعيد بن مِسْجَحْ ومُسْلِم بن مُحرِز المدينةَ لبعض من وفَدوا عليه، فأجمع رأيُهم على النزول على جَميلة مولاةِ بَهْز، فنزلوا عليها فخرجوا يوماً إلى العَقِيق متنزّهين، فوردوا على مَعْبَد وٱبن عائشة فجلسوا إليهما فتحدّثوا ساعةً؛ ثم سأل معبدٌ ٱبنَ سُرَيج وأصحابَه أن يَعْرِضوا عليهم بعضَ ما ألِفوا. فقال ابن عائشة: إنّ للقوم أعمالاً كثيرةً حسنةً ولك أيضاً يا أبا عَبّاد، ولكن قد ٱجتمع علماء مكة، وأنا وأنت من أهل المدينة، فلْيَعْمَل كلُّ واحد منّا صوتاً ساعتَه ثم يغنِّ به. قال / معبد: يأبنَ عائشة، قد أعجبتْك نفسُك حتى بلّغتْك هذه المرتبةَ! قال ٱبن عائشة: أوَ غَضِبْتَ يا أبا عَبّاد! إنّي لم أقل هذا وأنا أريد أن أتنقَّصك فإنك لأنت المُفَادُ منه. قال معبدٌ: أمّا إذ قد ٱختلفْنا وأصحابُنا المَكّيّون سكوتٌ فلنجعل بيننا حَكَما. قال ٱبن عائشة: إنّ أصحابنا شركاءُ في الحكومة. قال ٱبن سُرَيج: على شَريطةٍ؛ قال[6]: على أن يكون ما نُغَنِّي به من الشعر ما حُكِّمت فيه ٱمرأةٌ. قال ٱبن عائشة / ومَعْبَد: [٨/١٨٩]

(١) في ب، س: «كمن».

(٢) تعذير: قليل. وفي ب، س: «تقرير» وهو تحريف.

(٣) المور: الغبار المتردد، وقيل: التراب تثيره الريح.

(٤) يتكاوسنني، تريد: يتكنفنني ويتزاحمن حولي. ضمن «تكاوس» بمعنى «تكنف» فتعدّى تعديته؛ إذ الموجود في «كتب اللغة» أن التكاوس التزاحم والتراكم، فهو فعل لازم؛ يقال: تكاوس النخل والشجر والعشب إذا كثر والتف، وتكاوس النبت إذا التف وسقط بعضه على بعض.

(٥) في حـ، أ: «مقارنتها» بالنون.

(٦) كلمة «قال» هنا ظاهرة الزيادة.

رَضِينا، وهي أمُّ جُنْدَب. فأجمع رأيهم على الاجتماع في منزل جَميلة من غَدٍ. فلما حضروا قال أبن عائشة: ما تَرى يا أبا عبّاد؟ قال: أرى أن يبتدىء أصحابُنا أو أحدُهم. قال أبن سُرَيج: بل أنتما أَوْلى. قالا: لم نكن لنفعلَ. فأقبل ابن سُرَيج على سَعيد بن مِسْجَح فسأله أن يبتدىء فأبَى. فأَجمع رأيُ المكيّين على أن يبتدىء أبنُ سُرَيج. فغنّى أبن سريج:

صـوت

ذهبتَ مـن الهِجْرانِ فـي غيـر مَـذْهـبِ ... ولـم يَـكُ حقـاً كـلُّ هـذا التجنُّـبِ

خليلـيَّ مُـرّا بـي علـى أمّ جُنْـدَب ... أقْـضِ[1] لُبـانـاتِ الفـؤاد المُعَـذَّبِ

فـإنكمـا إن تُنْظِـرانـيَ سـاعـةً ... مـن الـدّهـر تَنْفَعْنـي لـدى أمّ جُنْـدَبِ

ألـم تَـرَيـانـي كلّمـا جئـتُ طـارقـاً ... وجـدتُ بهـا طِيبـاً وإن لـم تَطَيَّـبِ

ـ الشعر لامرىء[2] القيس. ولابن سُريج فيه لحنان ثاني ثقيلٍ بالسّبابة في مجرى الوسطى، وخفيفُ رملٍ بالسّبابة في مجرى الوسطى جميعاً عن أسحاق ـ

وغنّى مَعْبَد:

صـوت

فَلِلّـهِ عينَـا مَـنْ رأى مِـنْ تَفَـرُّقٍ ... أَشَـتَّ وأنـأى مـن فِـراق المُحَصَّـبِ[3]

عَلَـوْنَ بـأَنْطـاكيّـةٍ فـوق عِقْمَـةٍ ... كجِـرْمَـةِ نخـلٍ أو كجنّـةِ يَثْـرِبِ[4]

/ فـريقـانِ منهـم سـالـكٌ بطـنَ نَخْلَـةٍ ... وآخَـرُ منهـم جـازعٌ نَجْـدَ كَبْكَـبِ[5] [٨/ ١٩٠]

فَعَيْنـاكَ غَـرْبـاً جَـدْولٍ فـي مُفَـاضَـةٍ ... كَمَـرِّ خَلِيـجٍ فـي سَنِيـحٍ مُثَقَّـبِ[6]

وغنّى أبن مِسْجَح:

---

(١) في الأصول هنا: «أقضي». وفي «شرح ديوانه»: لنقضي حاجات».

(٢) يلاحظ أن البيت الأول من هذه الأبيات من شعر علقمة الفحل وهو مطلع قصيدة له.

(٣) المحصب: موضع رمي الجمار بمكّة.

(٤) علون: يعني الظعائن. وإنما يريد الإبل التي تحمل الظعائن، يعني علون بالخدور التي فيها ثياب أنطاكية أي علمت بأنطاكية. والعقمة: ضرب من الوشي. والجرمة: ما جرم من البسر. شبه ما على الإبل من الألوان بالبسر الأحمر والأصفر. والجنة: البستان. يريد نخل المدينة.

(٥) بطن نخلة: موضع على ليلة من مكة. والجازع: القاطع، يقال: جزعت الوادي أي قطعته. وكبكب هو الجبل الأحمر الذي يجعله خلف ظهرك إذا وقفت مع الإمام بعرفة.

(٦) كذا في «ديوان امرىء القيس» (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥ أدب ش). وفي الأصول: «مصوب» وهو تحريف. والغرب: الدلو الضخمة. والمفاضة ها هنا: الأرض الواسعة. والخليج: الخيط الذي يتناثر منه اللؤلؤ. والسنيح: اللؤلؤ. شبه ما يسيل من عينيه بالغربين، وما يسيل من الغربين باللؤلؤ المتناثر. (عن شرح الديوان).

صوت

وقالت فإن يُبخَلْ عليكَ ويُعْتَلَلْ يَسُؤْكَ وإن يُكْشَفْ غرامُك تَدْرَبِ[1]
وإنّك لم يَفْخَرْ عليك كفاخِرٍ[2] ضعيفٍ ولم يَغْلِبك مثلُ مُغَلَّبِ
وإنك لم تَقْطَعْ لُبانةَ عاشقٍ بمثل بُكُورٍ أو رَوَاحٍ مُؤَوِّبِ[3]
[8/191] / بأدماءَ حُرْجُوجٍ كأنّ قُتُودَها على أبْلَقَ الكَشْحَيْن ليس بمُغْرَبِ[4]
يغرِّد بالأسحار في كلّ سُدْفةٍ تَغَرُّدَ مَيّاحِ النَّدامَى المُطَرِّبِ[5]

وغنّى ابنُ عائشة:

صوت

وقد أغتدي والطيرُ في وُكُناتِها وماءُ النَّدَى يَجْرِي على كل مِذْنَبِ[6]
127/7 / بمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابدِ لاحَهُ طِرادُ الهَوَادِي كلَّ شَأْوٍ مُغَرِّبِ[7]
إذا ما جَرى شَأْوَيْنِ وابْتَلَّ عِطْفُه تقولُ هَزِيزُ الرِّيحِ مَرَّتْ بأَثْأَبِ[8]
له أيْطَلا[9] ظَبْيٍ وساقا نَعَامةٍ وصَهْوةُ عَيْرٍ قائمٍ فوقَ مَرْقَبِ

[8/192] / وغنّى ابن مُحْرِز:

---

(1) كل الشعر الماضي، ما عدا البيت الأوّل كما تقدّم، من قصيدة امرىء القيس. وقد اختلف في هذا البيت أهو من قصيدة امرىء القيس أم من قصيدة علقمة. (راجع كتاب «المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية» للإمام العيني فقد فصل الكلام في ذلك). وتدرب: من الدربة وهي التجربة. ومعنى البيت أنه إن بخل عليك بالوصال واعتل ساءك ذلك، وإن وصلت وكشف غرامك كان ذلك عادة لك ودربة. وإنما يريد أنها كانت لا تقطع وصاله كل القطع فيحمله ذلك على اليأس والسلو، ولا تصله كل الوصل فيتعود ذلك ويستكثر منه حتى يدعوه إلى الملل. (عن شواهد العيني). وفي الأصول: «تذرب» بالذال المعجمة وهو تصحيف.

(2) في ب، س: «كعاجز». والمغلب (بصيغة المفعول): الذي من عادته أن يغلب.

(3) المؤوب: المردّد المتكرر. ويصح أن يكون بالكسر باعتبار أن صاحبه يؤوب فيه أي يرده مع الليل بعد سير النهار كله. وهذا البيت من شعر علقمة.

(4) الأدماء: الناقة البيضاء. والحرجوج: الجسيمة الطويلة على وجه الأرض. والقتود: جمع قتد وهو أداة الرحل. وأبلق الكشحين: أبيض الخاصرتين. والإغراب: بياض الأشفار والوجه، فالمغرب: الذي تتسع غرته حتى تأخذ عينيه وأشفاره. وقيل: الإغراب: بياض الأرفاغ مما يلي الخاصرة. أو المغرب الذي كل شيء منه أبيض وهو أقبح البياض. أي ليس بلقه بإغراب. يريد: كأن قتود هذه الناقة على حمار وحشي موصوف بما ذكره بهذا البيت وما بعده لشدّة نشاطها. وفي الشطر الأوّل رواية أخرى أشار إليها شارح «الديوان» وهي: «بمجفرة حرف. . . إلخ». والمجفرة: المنتفخة. والحرف: الضامرة.

(5) يغرد: يطرّب. وسدفة: طائفة من الليل، ومياح: وصف من ماح في مشيته يميح ميحا وميحوحة إذا تبختر. والندامى: الفتيان الذين يتنادمون، الواحد ندمان ونديم. يصف الحمار بأنه يرفع بالأسحار صوته كأنه يطرّب نفسه.

(6) المذنب: مسيل الماء إلى الروضة.

(7) المنجرد: القصير الشعر. والأوابد: الوحش. ولاحه: غيره وأهزله وأضناه. والطراد: المطاردة. والهوادي: السوابق المتقدّمات. والشأو: الطلق وهو جري مرة إلى الغاية. والمغرّب: البعيد المدى.

(8) عطفه: ناحيته. وهزيز الريح: صوتها. والأثأب: شجر للريح في أضعاف أغصانه حفيف عظيم وشدّة صوت.

(9) الأيطل: الخاصرة. والصهوة: الظهر. والعير: حمار الوحش. وليس في الدواب أحسن موضع لبد من حمار الوحش. وإنما قال: «قائم» لأنه إذا قام تمدد وإذا عدا اضطرب. والمرقب: المكان المرتفع من الأرض.

صوت

فلِلسَّوْطِ أُلْهُوبٌ وللساق دِرَّةٌ ... وللزَّجْرِ منه وَقْعُ أَخْرَجَ مُهْذِب[١]

فأَدْرك لم يَجْهَدْ ولم يُثْنِ شَدَّه ... يَمُرُّ كخُذْرُوفِ الوَليد المُثَقَّبِ[٢]

تَذُبُّ به طَوْراً وطَوْراً تُمِرُّه ... كَذَبِّ البَشِير بالرِّداء المُهَذَّبِ[٣]

إذا ما ضربتُ الدَّفَّ أوصُلْتُ صَوْلَةً ... تَرَقَّبُ منّي غيرَ أدْنى تَرَقُّبِ[٤]

وغنّى الغريض:

صوت

أخائفةٍ لا يَلْعَنُ الحيُّ شخصَه ... صبوراً على العِلّاتِ غيرَ مُسَبَّب[٥]

رأينا شِياهاً يَرْتَعِينَ خَميلةً ... كَمَشْي العَذارَى في المُلاءِ المُجَوَّبِ[٦]

/ وما أنت أمْ ما ذِكْرُها رَبَعِيَّةً ... تَحُلّ بإيرٍ أو بأكناف شُرْبُبِ[٧] [١٩٣/٨]

أطعتُ الوُشاةَ والمُشاةَ بصُرْمِها ... فقد أَنْهَجَتْ حِبالُها للتقضُّبِ[٨]

فقالت جميلةُ: كلُّكم مُحسِنٌ وكلّكم مُجيد في معناه ومذهبه. قال ابن عائشة: ليس هذا بمُقْنِع دون التفضيل. فقالت: أمّا أنت يا أبا يحيى[٩] فتُضحِك الثَّكْلَى بحُسْن صوتك ومشاكلتِه للنفوس. وأمّا أنت يا أبا عَبّاد فنَسِيجُ وَحْدِك[١٠] بجودة تأليفك وحسن نَظْمك مع عذوبة غِنائك. وأمّا أنت يا أبا عثمان فلك أوّليّةُ هذا الأمر وفضيلتُه وأمّا أنت يا أبا جعفر فمع الخُلفاء تصلُح. وأمّا أنت يا أبا الخَطّاب فلو قَدَّمتُ أحداً على نفسي لقدّمتُك. وأمّا أنت يا

---

(١) الإلهاب والألهوب: شدّة العدو الذي يثير اللهب وهو الغبار الساطع كالدخان المرتفع من النار. وللساق درة أي إن حرك بالساق درّ على ذلك وزاد في عدوه. والأخرج: الذكر من النعام الذي اختلف ريشه في لونه. والمهذب: الشديد العدو. أي إذا زجر أخرج منه الزجر عدواً كعدو الظليم.

(٢) يريد أنه يدرك طريدته من غير جهد ولا مشقة. والخذروف: والدوّارة التي يلعب بها الصبيان.

(٣) هذا البيت والذي بعده من شعر علقمة وهما في وصف ناقته. ويرجع الضمير في «به» إلى ذنبها الذي وصفه في البيت الذي قبل هذا البيت وهو:

كأن بحاذيها إذا ما تشذرت ... عثا كيل قنو من سميحة مرطب

وذب البشير أن يلمع للقوم بردائه إذا جاءهم بخبر خير. والمهذب: ذو الهدب. شبه خطران الناقة بذنبها بلمع البشير برداء ذي هدب.

(٤) الدف: الجنب. وترقب: تلحظ السوط بمؤخر عينها من الخوف. وغير أدنى ترقب أي ترقباً شديداً.

(٥) هذا البيت والأبيات التي بعده في «ديوان علقمة» وغير مسبب: غير مسبوب.

(٦) شياه: بقر من الوحش. والخميلة: رملة فيها شجر قد صار لها كالخمل في الثوب. والمجوّب: المصنوع له جيب.

(٧) قوله: وما أنت أم ما ذكرها: يوبخ نفسه وينكر عليها تتبع هذه المرأة مع بعد دارها. وإير: جبل لبني غطفان غربيّ جبل طيء. وشربب: واد في ديار بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم في شمال اليمامة. والأكناف: النواحي.

(٨) أنهجت: خلقت وبليت. والتقضب: التقطع.

(٩) أبو يحيى كنيته ابن سريج، وأبو عباد كنية معبد، وأبو عثمان كنية سعيد بن مسجح، وأبو جعفر كنية ابن عائشة، وأبو الخطاب كنية ابن محرز، ومولى العبلات لقب الغريض.

(١٠) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فنسيج وحده» وهو تحريف.

مَوْلَى العَبَلاتِ فلو أبتدأتَ لقدمتُك عليهم. ثم سألوها جميعاً أن تغنّيهم لحناً كما غنّوا؛ فغنّتهم بيتاً لامرىء القيس وأربعةَ أبيات لعَلْقَمة وهي:

خَلِيلَيَّ مُرَّا بي على أمِّ جُنْدَبِ ... أَقَضِّ لُبَاناتِ الفؤاد المُعَذَّبِ

لَيَالِيَ لا تَبْلَى[1] نصيحةُ بَيْنِنا ... لياليَ حَلُّوا بالسِّتَارِ[2] فغُرَّبِ

/ مُبَتَّلَةٌ[3] كأنّ أَنْضَاءَ حَلْيِها ... على شادنٍ من صَاحَةٍ مُتَرَبَّبِ

مُحَالٌ[4] كأَجْوازِ الجَرادِ ولؤلؤٌ ... من القَلَقِيِّ والكَبِيسِ المُلَوَّبِ

إذا أَلْحَمَ الواشونَ للشرِّ بيننا ... تبلَّغَ رَسُّ الحبِّ غيرُ المُكَذَّبِ[5]

[٨/١٩٤]

فكلُّهم أقرُّوا لها وفضَّلوها. فقالت لهم: أَلاَ أحدِّثكم بحديث يتمُّ به حسنُ غِنائكم[6] وتمامُ أختياركم؟ قالوا: بَلَى والله. قال الغريض: قد والله فهمتُه يا سيِّدتي قالت: لعنك الله يا مخنَّث! ما أجودَ فهمكَ وأحسنَ وجهَك! وما يُلام فيك أبو يحيى إذ عرفتَه؛ فهاته حدِّثنا. قال: يا سيِّدتي وسيِّدةَ مَنْ حضر، والله لا نطقتُ بحرف منه وأنت حاضرةٌ، ولكِ الفضلُ والعُتْبَى. قالت: نازع أمرؤ القيس عَلْقَمَة بنَ عَبَدَة الفحلَ الشعر؛ فقال له: قد حَكَّمتُ[7] بيني وبينك / أمرأتَك أُمَّ جُنْدَب؛ قال: قد رَضِيتُ. فقالت لهما: قُولاَ شعراً على رَوِيٍّ واحد وقافيةٍ واحدةٍ صِفا فيه الخيلَ. فقال أمرؤ القيس:

١٢٨/٧

خَلِيلَيَّ مُرَّا بي على أمِّ جُنْدَبِ ... أَقَضِّ لُبَاناتِ الفؤادِ لمُعَذَّبِ

[٨/١٩٥] / وقال عَلْقَمة:

ذهبتَ من الهِجْرانِ في غير مَذْهَبِ ... ولم يَكُ حقّاً كلُّ هذا التجنُّبِ

وأنشداها، فغلَّبتْ عَلْقمةَ. فقال لها زوجُها: بأيِّ شيء غلَّبتِه؟ قالت: لأنك قلت:

---

(١) كذا في «ديوان علقمة». وفي الأصول: «ليلى فلا تبلى» وهو تحريف.

(٢) الستار (على وزن كتاب): جبل بعالية الحجاز. وغرب موضع تلقاءه. وهذا البيت واقع في «ديوان علقمة» بعد قوله:

ذهبت من الهجران في غير مذهب ... ولم يك حقاً كل هذا التجنب

وهو مطلع القصيدة. يقول لنفسه: ذهبت من هجران هذه المرأة لك في غير مذهب يجب، أي لم تهجرك لريبة رابتك بها لكن إدلالاً وتجنباً، ولم يكن تجنبها حقاً، إذ لم تأت إليها ما يوجب التجنب. وقوله: ليالي لا تبلى أي فعلت هذا بك زمن المرتبع إذ كان حيها وحيك متجاورين، فكنا نجدد النصائح ونقرب الوسائل. (راجع شرح ديوان علقمة الفحل للأعلم الشنتمري).

(٣) المبتلة: المكتنزة اللحم الضامرة الكشح. وأنضاء الحلى: ما دق منه ولطف. يعني قرطيها وقلائدها ولم يعن سواراً ولا خلخالاً، لأنه إنما قصد إلى تشبيه جيدها وما عليه من الحلى بجيد الشادن. وصاحة: جبل أحمر بين الركاء والدخول، وقيل: صاحة هضبتان عظيمتان لهما زيادات وأطراف كثيرة، وهي من عماية (جبل بالبحرين ضخم) تلي مغرب الشمس بينهما فرسخ. (عن «معجم ما استعجم» للبكري). ومتربب: مربى.

(٤) المحال: ضرب من الحلى يصاغ مفقراً (أي محززاً) على تفقير وسط الجراد، والجوز: وسط الشي، والقلقي: ضرب من القلائد المنظومة من اللؤلؤ. قال صاحب «اللسان»: والظاهر أنها سميت بذلك لقلقها (أي اضطرابها). والكبيس: حلى يصاغ مجوّفاً ثم يحشى طيباً ثم يكبس. والملوّب: المعطر بالملاب، وهو نوع من العطر، وقيل: الملاب كل عطر مائع.

(٥) ألحم: أدخل. يقال: ألحم بين بني فلان شراً إذا جناه لهم. وقوله: تبلغ رس الحب أي تبلغ في القلب وثبت فيه. والرس: الثابت الراسخ. وغير المكذب أي غير المنقطع الزائل.

(٦) في ب، س: «غضارتكم».

(٧) في الأصول: «حاكمت».

فللسَّوْطِ أُلْهُوبٌ وللساق دِرَّةٌ ... وللزَّجْرِ منه وَقْعُ أَهْوجَ مِنْعَبِ[١]

فجَهَدْتَ فرسَكَ بسَوْطِك، ومَرَيْتَه[٢] بساقك وزَجْرِك، وأتْعبتَه بجَهْدك. وقال علقمةُ:

فولَّى على آثارهنَّ بحاصِبٍ ... وغَيْبَةِ شُؤْبُوبٍ من الشَّدِّ مُلْهِبِ[٣]

فأدركهنّ ثانياً من عِنَانه ... يَمُرّ كمرّ الرائح المُتَحلِّبِ[٤]

فلم يضرب فرسَه بسوط، ولم يَمْرِه بساق، ولم يُتْعبْه بزَجْر. فقال ابن عائشة: جُعِلتُ فِداكِ! أتأذَنِينَ أن أُحدِّث؟ قالت: هِيه. قال: إنما تزوج أمَّ جُنْدَب حين هرَب من المُنْذِر بن ماء السماء فأتى جَبَلَيْ طيِّء، وكان مُفرَّكاً[٥]. فبينا هو معها ذاتَ ليلةٍ إذ قالت له: قمْ يا خيرَ الفِتيان فقد أصبحتَ. فلم يقم؛ فكرّرتْ عليه فقام فوجد الفجرَ لم يطلُع، فرجع فقال لها: ما حملكِ على ما صَنَعتِ؟ فأمسكتْ. وألحّ عليها فقالت: حملني أنك ثقيلُ الصدر، خفيفُ العَجيزة، سريعُ الإراقة، بطيءُ الإفاقة. فعرف تصديقَ قولها وسكتَ. فلما أصبح أتى علقمةَ وهو في خَيْمته وخَلْفَه أمّ جُنْدَب، فتذاكروا الشعر، فقال امرؤ القيس: أنا أشعر منك، وقال عَلْقمة مثلَ ذلك، فتحاكما إلى أمّ جُنْدَب، ففضّلت أمُّ جندب عَلْقمةَ على امرىء القيس. / فقال لها: بم فَضَّلتِه عليّ؟ قالت: فرسُ ابن عَبَدَةَ أجودُ من فرسك. [١٩٦/٨] زجرتَ وضربتَ وحرّكت ساقَيْك، وابنُ عَبَدَةَ جامدٌ لا مقتدر[٦]. فغضب من قولها وطلّقها، وخلَف عليها عَلْقمةُ.

فقالت جميلة: ما أحسنَ مجلسَنا لو دام اجتماعُنا!. ثم دعتْ بالغَداء فأتى بألوان الأطعمة وأنواع من الفاكهة. ثم قالت: لولا شَناعةٌ[٧] مجلسنا لكان الشراب مُعَدّاً ولكنّ الليل بيننا. فلم يزالوا يومَهم ذلك بأطيب مجلس وأحسن حديث. فلما جَنّهم الليلُ دعتْ بالشراب ودعت لكل رجلٍ منهم بعود، وأخذتْ هي عُوداً فضربتْ، ثم قالت: اضربوا فضربوا عليها بضربٍ واحد، وغنّتْ بشعر امرىء القيس:

أأذْكَرْتَ نفسَك ما لن يَعُودَا ... فهاج التَّذَكُّرُ قلباً عَمِيدَاً

تَذَكَّرتَ هنداً وأترابَها ... وأيامَ كنتَ لها مُستقِيدا[٨]

ويُعجبك اللَّهْوُ والمُسْمِعاتُ ... فأصبحتَ أزمعتَ منها صُدودا

ونادمتُ قَيْصَرَ في مُلكه ... فأوجهني[٩] ورَكِبتُ البَرِيدا

فما سمع السامعون بشيء أحسنَ من ذلك. ثم قالت: تَغَنَّوْا جميعاً بلحنٍ واحد؛ فغَنَّوْها هذا الشعر والصوتَ بعينه

---

(١) المنعب: الأحمق المصوت، كذا في «اللسان» واستشهد بالبيت. والمنعب أيضاً: الذي يمد عنقه في العدو.

(٢) مرى الفرس: استخرج جريه.

(٣) على آثارهنّ: يعني البقر. وبحاصب: يعني بعدو شديد كالحاصب من المطر وهو العظيم القطر. والغيبة: المطرة التي تجيء شديدة. والشؤبوب: أول كل شيء وحدّته. وملهب: مثير للهب من شدّة جريه. واللهب: الغبار الساطع كالدخان المرتفع من النار.

(٤) الرائح: يعني السحاب الذي يأتي بالعشيّ، والسحاب أغزر ما يكون بالعشيّ. والمتحلب: المتساقط المتتابع.

(٥) المفرّك: الذي يبغضه النساء.

(٦) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «مغتذر» بالغين المعجمة. وكلاهما غير واضح.

(٧) تريد: لولا شهرة مجلسنا وقبح الأحدوثة عنه.

(٨) استقاد له: أعطاه مقادته أي أطاعه له.

(٩) أوجهه: شرفه وجعله وجيهاً.

١٢٩/٧ كما غنّته. وعلم القوم ما أرادتْ بهذا الشعر؛ فقال ابن عائشة: جُعِلتُ / فِداكِ! نرجو أن يدوم مجلسنا، ويُؤثِرَ أصحابنا المُقامَ بالمدينة فنُواسيَهم من كل ما نَملكه. قال أبو عَبّاد: وكيف بذاك!. فباتوا بأنعم ليلةٍ وأحسنها. قال إسحاق قال أبي قال لي يونس: قال أبو عبّاد: لا أعرف يوماً واحداً منذُ عقَلتُ ولا ليلةً عند خليفة ولا غيرِه مثلَ ذلك [١٩٧/٨] اليوم، ولا أحسَبه / يكون بعدُ. قال يونس: ولا أدركنا نحن مثلَ ذلك اليوم ولا بلَغَنا. قال إسحاق: ولا أنا، ولا أحسب ذلك اليومَ يكون بعدُ.

زارها عبدالله بن جعفر فصرفت من عندها وأقبلت عليه تلاطفه:

وحدّثني أبي قال حدّثنا يونس قال قال لي أبو عَبّاد:

أتيتُ جميلةَ يوماً وكان لي موعدٌ ظننتُ[١] أنّي سبقْتُ الناسَ إليها، فإذا مجلسُها غاصٌّ؛ فسألتُها أن تُعَلّمني شيئاً؛ فقالت لي: إنّ غيرَك قد سبقَك ولا يجمُلُ تقديمُك على مَن سواك فقلتُ: جُعِلتُ فِداكِ! إلى متى[٢] تَفرُغِينَ مِمّن سبقَني! قالت: هو ذاك، الحقُّ يَسَعُك ويَسَعُهم. فبينا نحن كذلك إذ أقبل عبدُالله بن جعفر ـ وإنه لأول يوم رأيتُه وآخرُه وكنت صغيراً كَيِّساً، وكانت جميلةُ شديدةَ الفرح ـ فقامت وقام الناس، فتلقَّتْه وقبّلتْ رجليْه ويديْه، وجلس في صدر المجلس على كَرْمٍ لها وتحوّق[٣] أصحابُه حَوْلَه، وأشارت إلى من عندها بالانصراف، وتفرّق الناسُ، وغمَزتْني أن لا أبرحُ فأقمتُ. وقالت: يا سيّدي وسيّدَ آبائي ومَوَاليّ، كيف نَشِطْتَ إلى أن تنقل قدميك إلى أَمَتِك؟ قال: يا جَميلة، قد علمتُ ما آليتِ على نفسِكِ ألاّ تغنّي أحداً إلاّ في منزِلك، وأحببتُ الاستماع وكان ذلك طريقاً مادّاً فَسيحاً. قالت: جُعِلتُ فداكَ! فأنا أَصِيرُ إليكَ وأُكفِّر. قال: لا أكلّفكِ ذلك، وبلغني أنك تُغنّين بيتين لامرىء القيس تُجيدين الغناءَ فيهما، وكان اللهُ أنْقذ بهما جماعة من المسلمين من الموت. قالت: يا سيّدي نعم! فاندفعتْ تغنّي فغنّتْ بعُودها، فما سمعتُ منها قبلَ ذلك ولا بعدُ إلى أن ماتت مثلَ ذلك الغناء؛ فسبّح عبدُالله بن جعفر والقوم معه. وهما:

[١٩٨/٨] / ولمـا رأتْ أنّ الشّـريعـةَ هَمُّهـا ... وأنّ البَيـاضَ مـن فَـرائِصها دَامِـي[٤]

تَيَمَّمَـتِ العيـنَ التـي عنـد ضـارِجٍ ... يَفِـيءُ عليهـا الظِّـلُّ عَـرْمَضُهـا طـامِـي[٥]

حديث عبدالله بن جعفر عن جماعة ضلوا الطريق فأنقذهم الله بشعر امرىء القيس:

ـ ولابن مِسْجَحٍ في هذا الشعر صوتٌ وهذا أحسنُهما ـ فلما فرغتْ قالت جميلة: أيْ سيّدي أَزيدُكَ؟ قال: حَسْبِي. فقال بعضُ من كان معه: بأبي جُعلت فداكَ! وكيف أنْقذ اللهُ من المسلمين جماعةً بهذين البيتين؟ قال: نعمْ، أقبل

(١) جملة ظننت وما بعدها حال من فاعل أتيت، وليس من الضروري في مثل هذا المقام أن تقترن بالواو أو قد أو بهما.

(٢) هكذا في الأصول. وكلمة «إلى» في هذا المقام ظاهرة الزيادة.

(٣) تحوّقوا حوله: استداروا حوله وأحاطوا به.

(٤) الشريعة: مورد الماء الذي تشرع فيه الدواب. وهمها: طلبها. والفريضة: اللحم الذي بين الكتف والصدر. والفرائص أيضاً: العروق. والضمير في رأت للحمر. يريد أن الحمر لما أرادت شريعة الماء خافت على أنفسها من الرماة وأن تدمى فرائصها من سهامهم فعدلت إلى «ضارج» لعدم الرماة على العين التي فيها. و«ضارج»: موضع في بلاد بني عبس. والعرمض: الطحلب. وطام: مرتفع. «عن اللسان» مادة ضرج.

(٥) ورد في «اللسان» (مادة ضرج) بعد إيراد هذه الرواية: «قال ابن بري: ذكر النحاس أن الرواية في البيت: يفيء عليها الطلح».

قومٌ من أهل اليمن يريدون النبيَّ ﷺ فضَلُّوا[1] الطريقَ ووقعوا على غيرها ومكثوا ثلاثاً لا يقدِرون على الماء، وجعَل الرجلُ منهم يَسْتَذْرِي[2] بفَيْءِ السَّمُر والطَّلْح يائساً من الحياة، إذ أقبل راكبٌ على بعيرٍ له، وأنشد بعضُ القوم هذين البيتين فقال:

ولمـا رأتْ أن الشَّـريعـةَ همُّهـا ... وأن البيـاضَ مـن فَـرَائِصهـا دامِـي

تَيَمَّمَـتِ العيـنَ التـي عنـد ضـارجٍ ... يَفِـيءُ عليهـا الظِّـلُّ عَـرْمَضُهـا طـامِـي

فقال الراكبُ: مَنْ يقول هذا؟ قال: أمرؤ القَيْس. قال: والله ما كَذَب؛ هذا ضارِجٌ عندكم، وأشار لهم إليه؛ فحَبَوْا على الرُّكَب فإذا ماءٌ[3] عَذْبٌ وإذا عليه العَرْمَضُ والظلُّ يَفِيءُ عليه، فشربوا منه رِيَّهم وحمَلوا ما اكتفَوْا به حتى بلَغوا الماءَ، فأتوا / النبيَّ ﷺ / فأخبروه وقالوا: يا رسول الله، أحيانا الله عزّ وجلّ ببيتين من شعر أمرىء القيس، وأنشدوه الشعرَ. فقال رسول الله ﷺ: «ذلك رجلٌ مذكور في الدنيا شريفٌ فيها، منسيٌّ في الآخرة خاملٌ فيها، يجيءُ يومَ القيامة معه لواءُ الشعراء إلى النار». فكلٌّ استحسن الحديثَ. ونَهض عبدالله بن جعفر ونَهض القومُ معه. فما رأيتُ مجلساً كان أحسنَ منه. [٨/١٩٩] [١٣٠/٧]

سئل عمر بن الخطاب عن الشعراء فقدّم أمرأ القيس:

قال إسحاق: حدّثني بعض أهل العلم عن ابن عَيّاش عن الشَّعْبيّ قال:

رأيت دَغْفَلاً النسابةَ يحدِّث أنه رأى العباسَ بنَ عبد المطَّلب سأل عمرَ بنَ الخَطّاب عن الشعراء، فقال: امرؤ القيس سابقُهم خسفَ لهم عينَ الشعر فافتقَر عن[4] معانٍ عُورٍ أصحَّ بَصَراً[5]. قال إسحاق: معنى خسَف: احتفر. وهو من كِنْدَة من اليمن، وليست لهم فصاحةُ مُضَر، ولا شعرُهم بجيِّد. فجعَل معانيَ اليمن معانيَ عُوراً وما قاله: أصحّ بصراً[5] أي أجودَ شعراً. ومعنى افتقَر: احتفر. والفَقِيرة: الحَفيرة تُحفر للفَسِيلة لتُغْرَس. وكل ما ابتدأتَ حَفْرَه فهو فَقِير. والمعنى أنه قال شعراً جيّداً وليس هو في معنى شعر مُضَر.

حديث جرير عن طرفة وامرىء القيس وزهير وذي الرمة:

وقال عُمارة بن عُقيل بن بِلال بن جَرير بن الخَطَفَى:

سمعت أبي يقول: دخل جدِّي على بعض ملوك بني أمية؛ فقال: ألاَ تخبرُني عن الشعراء؟ قال بَلَى. قال: مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: ابنُ العشرين (يعني طَرَفة). قال: فما تقول في امرىء القَيْس؟ قال: اتخذ الخبيثُ الشعرَ نعلين، فأُقسِم بالله لو أدركتُه لرفعتُ له ذَلاذِلَه[6]. قال: فما رأيُك في ابن أبي سُلْمَى؟ قال: كان يَبْرِي / الشعر. قال: فما رأيُك في ذي الرُّمّة؟ قال: قدَر من طريف الكلام وغريبه وحَسَنِه على ما لم يقدِر عليه أحد حتى صنَّف الشعرَ. [٨/٢٠٠]

---

(١) في الأصول: «فأضلوا». ولا يقال: أضللت الشيء إلاّ إذا ضاع منك. وأما إذا أخطأت موضع الشيء الثابت مثل الدار والمكان قلت: ضللته، ولا تقل: أضللته.

(٢) يستذري: يستظل.

(٣) في أ، م: «عدّ». والماء العدّ: الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها مثل ماء العين وماء البئر.

(٤) كذا في «لسان العرب» (مادة فقر). وفي الأصول: «من مَعان».

(٥) في جميع الأصول واللسان: «أصح بصر» ولم يظهر له عندنا وجه.

(٦) كذا في حـ. والذلاذل: أسافل القميص الطويل، الواحد ذلذل. وفي سائر الأصول: «زلازله» بزايين، وهو خطأ.

زيارة معبد ومالك لجميلة وغناء معبد وجميلة على طريقة واحدة ثم غناء كل منهم وحده:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني أيّوب بن عَبَايَة عن رجل من الأنصار قال:

زار معبدٌ مالكَ بنَ أبي السَّمْح؛ فقال له: هل لك أن نصير إلى جَميلة؟ فمضيا جميعاً فقصداها؛ فأذِنتْ لهما فدخلا، فأخرجتْ إليهما رُقْعة فيها أبيات، فقالت لمعبد: بَعث بهذه الرقعة إليّ فلان أغنّي فيها[1]. فقال مَعْبد: فأبتدئي؛ فأبدأتْ جميلةُ فغنّتْ:

صوت

إنمـــا الــــذُّلفــــاءُ همّــــي فلْيَـــدَعْنِـــي مـــــن يَلُـــومُ

فغنّى معبد:

أحســـــنُ النـــاسِ جميعـــا حيـــــن تمشـــــي وتقـــوم

فغنّت جميلة:

حبّـــب الــــذُّلفـــاءَ عنـــدي مَنْطِـــقٌ منهـــا رَخيـــم

فغنّى معبد:

أَصِـــلُ الحبـــلَ لتـــرضَـــى وهـــي للحبـــل صَـــرُومُ

فغنّت جميلة:

حبُّهـــا فـــي القلـــب داءٌ مستكـــنٌّ لا يَـــرِيـــمُ

طريقةً واحدة ـ الشعر للأحْوَص. وذكر ابن النّطاح أنه للبَخْتَرِيّ[2] العِبَاديّ. والغناء لمَعْبد، وله فيه لحنانِ خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالسبّابة في مجرى البِنْصَر عن ابن / المكيّ، وثقيل أوّل بالوسطى عن عَمْرو. وذكر أحمدُ بن سَعيد المالكيّ أن له فيه خفيفَ ثقيلٍ آخرَ. وذكر حَمّاد بن إسحاق أن فيه لمالكٍ وجَميلةَ لحنين ـ وقالت لمَعْبد ولمالك: يغنّي كلُّ واحد منكما لحناً مما عمله. فغنّاها مَعْبَد بشعر قاله فيها الأحوصُ يصفها به، وكان مُعْجَباً بها، وكانت هي له / مُكْرِمة، وهو قوله:

شَـــأَتْـــكَ المنـــازلُ بـــالأبْـــرَقِ دوارسَ كـــالعيـــن فـــي المُهْـــرَقِ
لآلِ جَميلـــــةَ قـــــد أَخلقـــــتْ ومَهمـــا يَطُـــلْ عهـــدهُ يُخْلِـــقِ
فـــإن يقـــلِ النـــاس لـــي عـــاشـــقٌ فـــأيـــن الـــذي هـــو لـــم يَعْشَـــقِ
ولـــم يَبْـــكِ نُـــؤْيـــاً علـــى عَبْـــرةٍ بـــداء الصَّبـــابـــة والمغْلَـــقِ

ـ في هذه الأبيات ثقيلٌ أوّلُ بالخنصر في مجرى الوسطى، ذكر إسحاق أنه لعَطَرَّد، وذكر ابن المكيّ أنه لجَميلة. وفيها خفيفُ رملٍ بالوسطى في مَجْراها، ذكر إسحاق أنه لعَطَرَّد أيضاً وعمرو، وذكر الهشاميّ أنّ الثقيل الأوّل لابن

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «بها».

(٢) في ب، س: «للبحتري العبادي» بالحاء المهملة، وهو تصحيف.

عائشة. وذكر حَبَش أنّ فيه خفيفَ ثقيلٍ لمَعْبد وأن خفيفَ الرَّمَل لمالك ـ قال معبد: فَسُرتْ جميلةُ بما غنيتُها به وتبسَّمت وقالت: حَسْبُك يا أبَا عَبَّاد! ولم تكْنِني قبلها ولا بعدها! ثم قالت لمالك: يا أخا طيِّء هاتِ ما عندك وجنّبْنا مثلَ قول عَبْدِ ابن قَطَن[1]؛ فاندفع وغنّى بلحنٍ لها، وقد تغنّى به أيضاً معبدٌ لها. واللحنُ:

أَلَا مَـنْ لقلـبٍ لا يَمَـلُّ فيـذْهَـلُ ... أَفِـقْ فـالتعزِّي عـن بُثينـةَ أجمـلُ

فمـا هكـذا أحببـتَ مَـنْ كـان قبلهـا ... ولا هكـذا فيمـا مضـى كنـت تفعـلُ

فـإنّ التـي أَحْببـتَ قـد حيـلَ دونهـا ... فكـن حـازمـاً والحـازم المتحـوِّلُ

ـ لحنُ جَمِيلة هكذا ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر. وفيه ألحان عِدّةٌ مع أبيات أخَرَ من القصيدة، وهي لجميل ـ فقالت جميلة: أحسنتَ والله في غنائك وفي الأداء عنّي. / أمّا قوله: «شأتْك» فأراد بَعُدَتْ عنك. والشَّأْوُ: البعد، يقال: جرى [٢٠٢/٨] الفرس شَأْواً أو شأوين أي طَلقاً أو طَلَقين. والمُهْرَق: الصحيفة بما فيها من الكتاب، والجمع مَهَارِق؛ قال ذو الرمّة:

كمُسْتَعْبِـرٍ فـي رَسْـم دارٍ كـأنّهـا ... بـوَعسـاءَ تَنْفُـوهـا الجماهيـرُ[2] مُهْـرَقُ

الدلفاء التي شبب بها الأحوص:

والعين أن تتعيَّن الإداوة أو القِرْبةُ التي تُخرَز ويَسِيل الماء عن عيون الخَرْز. فشبّه ما بقي من الدار بتعيُّن القربة وطرائق خروقها التي يتزل منها الماء شيئاً بعد شيء. فأما الدَّلْفاء التي ذُكرت فيها فهي التي فُتن بها أهلُ المدينة. وقال بعض من كانت عنده بعد ما طلّقها:

لا بـارَكَ اللهُ فـي دار عـدَدْتُ بهـا ... طـلاقَ دَلْفـاءَ مـن دارٍ ومـن بلـدَ

فـلا يقـولَـنْ ثـلاثـاً قـائـلٌ أبـداً ... إنـي وجـدتُ ثـلاثـاً أنكـدَ العـدد

فكان إذا عَدّ شيئاً يقول: واحدٌ اثنان أربعةٌ ولا يقول ثلاثة.

حديث بثينة لها عن عفة جميل وعن حالها لما سمعت نعيه:

وقالت جميلة: حدّثتني بُثَينة ـ وكانت صَدُوقةَ[3] اللسان جميلةَ الوجه حسنةَ البيان عفيفةَ البطن والفرج ـ قالت: والله ما أرادني جَميلٌ رحمةُ الله عليه بريبةٍ قطّ ولا حَدّثت أنا نفسي بذلك منه. وإنّ الحيّ انتجعوا موضعاً، وإني لفي هَوْدج لي أسيرُ إذا أنا بهاتفٍ يُنْشِد أبياتاً، فلم أتمالكْ أن رميتُ بنفسي وأهلُ الحيّ ينظرون، فبقيت أطلب المُنْشِدَ فلم أقف عليه، فناديتُ: أيها الهاتف بشعر جميل ما وراءَك منه؟ وأنا أحسبه قد قضَى نَحْبَه ومضَى لسبيله، فلم يُجِبْني مُجيب؛ فناديت ثلاثاً، وفي كل ذلك لا يردُّ عليّ أحدٌ شيئاً. فقال صَوَاحِبَاتي: أصابكِ يا بُثَينة طائفٌ / من الشيطان؟ فقلت: كلّا! لقد سمعتُ قائلاً يقول! قُلْنَ: / نحن معكِ ولم نسمعْ! فرجعتُ فركبت مطيّتي وأنا [٢٠٣/٨] [١٣٢/٧] حَيْرَى والهةُ العقل كاسفةُ البال، ثم سرْنا. فلما كان في الليل إذا ذلك الهاتفُ يَهْتِف بذلك الشعر بعينه، فرميتُ بنفسي وسعيتُ إلى الصوت، فلما قَرُبت منه انقطع؛ فقلت: أيها الهاتف، ارحمْ حَيْرتي وسكّن عَبْرتي بخبر هذه

(١) تعني معبداً، إذ هو مولى ابن قطن.

(٢) الوعساء: الرملة اللينة. والجمهور: الرمل الكثير المتراكم الواسع.

(٣) التاء في صدوقة اللسان لتوكيد المبالغة؛ فإن «فعولاً» بمعنى الفاعل لا تلحقه التاء الفارقة بين المؤنث والمذكر.

الأبيات؟ فإن لها شأناً! فلم يردّ عليّ شيئاً. فرجعتُ إلى رَحْلي فركبت وسِرْتُ وأنا ذاهبة العقل؛ وفي كل ذلك لا يُخبرني صَوَاحِبَاتي أنهنّ سمِعْنَ شيئاً. فلما كانت الليلةُ القابلةُ نزلنا وأخذ الحيُّ مضاجعَهم ونامت كلُّ عين، فإذا الهاتف يهتِف بي ويقول: يا بُثَينة، أقْبِلي إليّ أُنبِئْك عمّا تريدين. فأقبلتُ نحوَ الصوت، فإذا شيخٌ كأنه من رجال الحيّ، فسألتُه عن اسمه وبيْته. فقال: دَعِي هذا وخُذِي فيما هو أهمُّ عليكِ[1]. فقلتُ له: وإن هذا لَمِمَّا يَهُمُّني. قال: اقنَعي بما قلتُ لكِ. قلت له: أنت المنشدُ الأبياتِ؟ قال نعمْ. قلتُ: فما خبرُ جميل؟ قال: نعمْ فارقتُه وقد قَضَى نَحْبَه وصار إلى حُفْرته رحمة الله عليه. فصرَختُ صَرْخةً آذنتُ[2] منها الحيَّ، وسقطتُ لوجهي فأُغمِي عليّ، فكأنّ صوتي لم يسمَعْه أحد، وبقيتُ سائرَ ليلتي، ثم أَفَقْتُ عند طلوع الفجر وأهلي يطلبونني فلا يقفون على موضعي، ورفعتُ صوتي بالعَويل والبكاء ورجعتُ إلى مكاني. فقال لي أهلي: ما خبرُكِ وما شأنُكِ؟ فقصَصْتُ عليهم القصّة. فقالوا: يَرْحَمَ الله جميلاً. واجتمع نساءُ الحيّ وأنشدتُهنّ الأبياتَ فأسعدْنَني بالبكاء، فأقَمْنَ[3] كذلك لا يفارقْنَني ثلاثاً، وتحزّن الرجالُ أيضاً وبكَوْا ورَثَوْهُ وقالوا كلُّهم: يَرْحمُه الله، فإنه كان عفيفاً صَدُوقاً! فلم أكتحلْ بعده بإثْمِد ولا فَرقتُ رأسي بمُخيطٍ[4] ولا مُشط ولا دهَنْتُه إلا من صُداع خِفتُ على / بصَرِي منه ولا لبِستُ خِماراً مصبوغاً ولا إزاراً ولا أزال أَبْكِيه إلى الممات. قالت جميلة: فأنشدتْني الشعرَ كلَّه وهذا الغناء بعضُه، وهو: [٨/٢٠٤]

ألا مَـنْ لقلـبٍ لا يَمَـلُّ فَيَـذْهَـلُ ... أَفِـقْ فـالتعـزّي عـن بُثَينـةَ أجمـلُ

مدحها ابن سريج فردت عليه مدحه ثم غنت وغنى هو ومعبد ومالك بشعر حاتم الطائي:

قال ابن سَلّام حدّثني جرير قال:

زار ابنُ سُرَيج جميلةَ ليسمعَ منها ويأخذَ عنها. فلما قدِم عليها أنزلتْه وأكرمتْه وسألتْه عن أخبار مكة فأخبرها. وبلغ معبداً الخبرُ[5]. [وكانت تُطارِحه وتسأله عن أخبار مكة فيخبرها]. وكانت عندها جاريةٌ مُحْسِنةٌ لَبِقَةٌ ظريفةٌ، فابتدأتْ تُطَارِحها. فقال ابن سُرَيج: سبحانَ الله! نحن كنّا أحقَّ بالابتداء. قالت جميلة: كلُّ إنسانٍ في بيته أمير وليس للداخل أن يتأمّر عليه. فقال ابن سُرَيج: صدقتِ جُعِلت فداكِ! وما أَدْرِي أيُّهما أحسنُ أدبُكِ أم غناؤكِ! فقالت له: كُفَّ يا عُبَيد، فإنّ النبيّ ﷺ قال: «احْثُوا في وجوه المَدّاحين الترابَ»[6]. فسكت ابنُ سُرَيج. وطارحت الجاريةَ بشعر حاتم الطائي:

أتعـرفُ آثـارَ الـديـار تـوهُّمَـا[7] ... كَخَطِّـك فـي رَقٍّ كتـابـاً مُنَمْنمـا

(١) يريد: فيما هو أجدى عليك.

(٢) في ب، س: «أذيت» وهو تصحيف».

(٣) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «فلم نزل كذلك إلخ».

(٤) لعله: «بخيط».

(٥) هذه الجملة المحصورة بين قوسين وردت في ب، س، حـ. وفي سائر الأصول: «وبلغ معبدا الخبر فوجد عندها جارية إلخ».

(٦) المراد بالمداحين هنا الذين عادتهم مدح الناس لغرض من الأغراض كتحصيل المال أو الجاه، وأما المدح على الفعل الحسن للتحريض على عمل الخير فليس منه. وحثو التراب في وجوههم، يراد به تجنبهم وترك التحفي بهم.

(٧) رواية هذا الشطر في «ديوانه»: أتعرف أطلالاً ونؤياً مهدّماً.

أذاعــتْ بــه الأرواحُ[١] بعــد أنيسهــا ... شهــوراً وأيّــامــاً وحَــوْلاً مجــرَّمــا[٢]

فــأصبَحْــنَ[٣] قــد غَيَّــرْنَ ظــاهــرَ تُــرْبِــه ... وغيَّــرتِ الأنــواءُ مــا كــان مَعْلَمــا

/ وغيَّــرهــا طــولُ التقــادُمِ والبِلَــى ... فمــا أعــرف الأطــلالَ إلا تــوهُّمَــا

[٢٠٥/٨] ١٣٣/٧

قال[٤]: فحُدِّثْتُ أنه حضر ذلك المجلسَ جماعةٌ من حُذّاق أهل الغناء، فكلُّهم قال: مَزَامِيرُ داود! . قال ابنُ سُرَيج لها: أفأُسْمِعُكِ صوتاً لي في هذا الشعر؟ قالت: هاتِه؛ فغنَّى:

ديــار التــي قــامــت تُــرِيــكَ وقــد عَفَــتْ ... وأَقْــوتْ مــن الــزُّوّار كَفّــاً ومِعْصَمَــا

تَهَــادَى عليهــا حَلْيُهــا ذاتَ بهجــة ... وكَشْحــاً كطَــيِّ الســابــرِيَّــة[٥] أَهْضَمــا

فبــانــتْ لِطِيَّــاتٍ[٦] لهــا وتبــدَّلــتْ ... بــه بَــدَلاً مَــرَّتْ بــه الطيــرُ أَشْــوَمــا

وعــاذلتــانِ هَبَّتــا بعــد هَجْعــةٍ ... تَلُــومــانِ مِتْــلافــاً مُفِيــداً ملــوَّمــا

قالت جميلةُ: أحسنتَ يا عُبيد، وقد غفرنا لك زَلَّتَك لحسن غنائك. قال مَعْبد: جُعلت فداءَكِ! أفلا أُسْمِعُكِ أنا أيضاً لَحْناً عملتُه في هذا الشعر؟ قالت: هاتِ وإنّي لأعلم أنك تُحْسِن. فاندفع فغنَّى:

فقلــتُ وقــد طــال العتــاب عليهمــا ... وأَوْعَــدتَــانِــي أن تَبِينَــا وتَصْــرِمــا

ألا لا تَلُــومــانِــي علــى مــا تَقَــدَّمــا ... كَفَــى بصُــرُوف الــدَّهــر للمــرء مُحْكِمــا

تَلُــومــانِ لمــا غَــوّر النجــمُ ضَلَّــةً ... فَتًى لا يَرى الإنفاقَ في الحقِّ مُغْرَمــا[٧]

قالت جميلةُ: ما عدوتَ الظنَّ بك ولا تجاوزتَ الطريقةَ التي أنت عليها. قال: مالكٌ: أفلا أُغنّيكِ أنا أيضاً؟ قالت: ما علمتُكَ إلاّ تُجِيد الغناء وتُحْسِن، فهات. فاندفع فغنّى في هذا الشعر:

يضــيء لنــا البيــتُ الظَّليــلَ[٨] خَصَاصــةً[٩] ... إذا هــي ليــلاً حــاولــتْ أن تَبَسَّمَــا

/ إذا أنقلبــتْ[١٠] فــوقَ الحَشِيّــة مَــرّةً ... تَــرنَّــمَ وَسْــواسُ الحُلــيِّ تــرنُّمــا

[٢٠٦/٨]

ونَحْــراً كفَــاثُــورِ[١١] اللُّجَيْــنِ يَــزِينــه ... تــوقُّــدُ يــاقــوتٍ وشَــذْرٍ[١٢] منظَّمــا

(١) الأرواح: جمع ريح. وأذاعت به الأرواح أي أذهبته وطمست معالمه، ومنه قول الراعي:

ربع قــواء أذاع المعصرات بــه

(٢) حولا مجرّماً: تاماً كاملاً.

(٣) رواية «الديوان»: دوارج قد غيرن إلخ.

(٤) في الأصول: «قالت».

(٥) السابرية: الثياب الرقيقة. والأهضم: اللطيف الكشح.

(٦) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «فبانت لآيات به... إلخ».

(٧) يقع هذا البيت في «الديوان» قبل البيتين السابقين.

(٨) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «يضيء لها البيت القليل إلخ».

(٩) الخصاص: المنافذ.

(١٠) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «انصرفت» وهو تحريف.

(١١) الفاثور: الخوان الذي يتخذ من فضة، وبه يشبه الصدر الواسع.

(١٢) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «وشذرا» والسياق يقتضي أن يكون معطوفاً على ياقوت. وهذا البيت في «ديوانه» بعد قوله: «وكشحا كطيّ السابرية أهضما». والشذر: اللؤلؤ الصغير والخرز يفصل به بين الجواهر في النظم.

كجَمْرِ الغَضَى هَبَّتْ[١] بـه بعـد هَجْعـةٍ مِـنَ الليـلِ أرواحُ الصَّبَـا فتنسَّما[٢]

فقالت: جميلٌ ما قلتَ وحَسَنٌ ما نظَمْتَ، وإنّ صوتَك يا مالكِ لِمِمّا يَزيد العقلَ قوّةً والنفسَ طِيباً والطبيعةَ سُهولة، وما أحسَب أن مجلسَنا هذا إلّا سيكون عَلَماً وفي آخر الزمان متواصَفاً؛ والخبرُ ليس كالمشاهدة، والواصف ليس كالمعاين وخاصّة في الغناء.

زارها ابن أبي عتيق وابن أبي ربيعة والأحوص فغنّتهم:

وحدّثني الحسن بن عُتْبة اللَّهَبِيّ قال حدّثني من رأى ابنَ أبي عَتيق وابنَ أبي ربيعة والأحوصَ بنَ محمد الأنصاريّ وقد أتَوْا منزلَ جميلة فاستأذنوا عليها فأذِنتْ لهم، فلما جلسوا سألت عمَر وأَحْفتْ؛ فقال لها: إنّي قصدتُكِ من مكة للسلام عليكِ. فقالت له: أهلُ الفضل أنتَ. قال: وقد أحببتُ أن تُفَرِّغي لنا نفسَكِ اليوم وتُخْلِي لنا مجلسَكِ؛ قالت: أفعل. قال لها الأحوص: أُحبُّ ألّا تُغَنّي إلّا ما أسألكِ. قالت: ليس المجلس لكَ، والقوم شركاؤكَ فيه. قال: أجَلْ. قال عمر: إن تُرِدْ أن تفعل ذلك بك يكُنْ. قال الأحوص: كلّا!. قال عمر: فإنّي أرَى أن نجعل الخيارَ إليها. قال ابنُ أبي عَتيق: وفّقَك الله. فدعتْ بالعودِ وغنّتْ:

[٢٠٧/٨] / تَمْشِـي الهُـوَيْنَـى إذا مشـتْ فُضُـلاً مَشْـيَ النَّـزِيـف المخمـور فـي الصُّعُـدِ[٣]

تَظَـلُّ مِـن زَوْرِ[٤] بيـت جـارتهـا واضعـةً كفَّهـا علـى الكَبِـدِ

$\frac{١٣٤}{٧}$ / يـا مَـن لقلـبٍ متَّيـمٍ سَـدِمٍ عـانٍ رهيـنٍ مكلَّـمٍ كَمِـدِ[٥]

أزجُـرُه وهـو غيـرُ مُـزدَجِـرٍ عنهـا وطَـرْفِـي مكحَّـلُ السَّهَـدِ

فلقد سُمِعت للبيت زَلْزَلَةٌ وللدار هَمْهمةٌ. فقال عمر: لله دَرُّكِ يا جَميلة! ماذا أُعطِيتِ! أنت أوّلُ الغناء وآخره!. ثم سكتتْ ساعة وأخذوا في الحديث، ثم أخذت العودَ وغنّتْ:

شَطَّـتْ سُعَـادُ وأمْسَـى البَيْـنُ قـد أَفِـدَا وأَوْرَثُـوكَ سَقـامـاً يَصْـدَعِ الكَبِـدا

لا أستطيـعُ لهـا هَجْـراً ولا تِـرَةً ولا تَـزال أحـاديثـي بهـا جُـدُدا

ـ الغناء فيه لِسيَاطٍ خفيفُ رَمَلٍ مطلقٌ في مجرى الوسطَى عن إسحاق. ولم يذكر حبش لحن جَميلة. وذكر إبراهيمُ أن فيه لحناً لحَكَم الوادِي. وذكر الهِشَاميّ وابن خُرْداذبه أنه من ألحان عمرَ بن عبدالعزيز بن مَرْوان في سُعَاد[٦] وأن طريقتَه من الثقيل الثاني بالوسطى. وذكر إبراهيمُ أن لابن جامع فيه أيضاً صَنْعةً ـ فاْستَخَفَّ[٧] القومَ أجمعين، وصفقُوا بأيديهم وفحَصوا بأرجلهم وحرّكوا رُؤوسَهم، وقالوا: نحن فِداؤُكِ من السوء ووِقاؤُكِ من المكروه، ما أحسنَ ما غنَّيتِ وأجملَ ما قلتِ!. وأُحْضِر الغَداءُ فتغدّى القومُ بأنواع من الأطعمة الحارّة والباردة ومن الفاكهة

---

(١) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «له».

(٢) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «فتبسما» وهو تصحيف.

(٣) تمشي فضلاً أي تمشي مبتذلة في ثوب واحد. والنزيف: السكران. والصعد: الصعود والارتفاع ويريد هنا المكان العالي.

(٤) الزور. مصدر كالزيارة.

(٥) السدم: الشديد العشق المهموم الحزين. والمكلم: المجرح.

(٦) راجع هذه الألحان في «ج ٨ ص ١٥٨ من الأغاني طبع بلاق».

(٧) مرجع الضمير في «استخف» الغناء المفهوم من قوله: «وغنت».

الرَّطْبةِ واليابسة، ثم دعتْ بأنواعٍ من الأشربة. فقال عمر: لا أشرب، وقال ابن أبي عَتيق مثلَ ذلك، فقال الأحوص: لكنّني أشرب؛ وما جزاءُ جَميلةَ أن يُمتَنع / من شرابها!. قال عمر: ليس ذلك كما ظننتَه. قالت جميلة: من شاء أن [٢٠٨/٨] يَحْمِلَنِي بنفسه ويَخْلِطَ رُوحي بِرُوحه شكرناه، ومن أبَى ذلك عذرناه، ولم يمنعْه ذلك عندنا ما يريد من قضاء حوائجه والأُنْس بمحادثته. قال ابن أبي عَتيق: ما يحسنُ بنا إلا مساعدتُكِ. قال عمرُ: لا أكون أخسَّكم، إفعلوا ما رشئتم تجدوني سميعاً مطيعاً. فشرب القوم أجمعون. فغنَّت صوتاً بشعر لعُمَر:

ولقـد قـالـت لجاراتٍ لهـا كـالمَهَـا يلعبْـنَ فـي حُجْـرَتِهـا
خُـذْنَ عنّـي الظِّـلَّ لا يتبعُنـي ومضـتْ تَسْعَـى إلـى قُبَّتِهـا
لـم تُعَـانِـقْ[١] رجـلاً فيمـا مضَـى طَفْلَـةٌ غَيْـداءُ فـي حُلَّتِهـا
لـم يَطِـشْ قَـطُّ لهـا سَهْـمٌ ومَـنْ تَـرْمِـه لا يَنْـجُ مِـن رَمْيَتِهـا

ـ لم يذكر طريقة لحنها في هذا الصوت. وذكر الهِشَاميّ أنّ فيه لابن المكّيّ رَمَلا بالبنصر. وذكر عليّ بن يحيى أنّ فيه لابن سُرَيج رَمَلا بالوسطى ـ فصاح عمر: وَيْلاَه! ويلاه! ثلاثاً ثم عمَد إلى جَيْب قميصه فشقَّه إلى أسفلِه فصار قَبَاءً، ثم آب إليه عقلُه فندِم واعتذر وقال: لم أملكْ من نفسي شيئاً. قال القوم: قد أصابنا كالّذي[٢] أصابَك وأُغْمِي علينا، غير أنّا فارقْناك في تخريق الثياب. فدعت جميلةُ بثيابٍ فخلَعتْها على عمرَ، فقبِلها ولبسها، وانصرف القومُ إلى منازلهم. وكان عمر نازلاً على ابن أبي عَتيق، فوجّه عمر إلى جَميلة بعشرة آلاف درهم وبعشرة أثواب كانت معه، فقبِلتْها جميلةُ. وانصرف عمرُ إلى مكة جَذْلانَ مَسْروراً.

حجت ومعها الشعراء والمغنون والمغنيات ووصف ركبها في مكة وفي المدينة حين آبت من الحج:

قال إسحاقُ وحدّثني أبي عن سِياط وابنُ جامع عن يونس قالا[٣]: حَجّتْ جميلةُ، وأخبرني / إسماعيلُ بن ١٣٥/٧ يونُس قال حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق / ابن إبراهيم قال حدّثني أبي عن سِيَاطٍ وابنُ جامع عن يونُسَ [٢٠٩/٨] الكاتِب، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سَعيد الدِّمَشْقِيّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني عمّي مُصْعَب قالوا جميعاً:

إنّ جَميلة حَجّتْ ـ وقد جمعتُ رواياتِهم لتقاربُها، وأحسَب الخبر كلَّه مصنوعاً وذلك بيِّنٌ فيه ـ فخرج معها من المغنِّين مشيِّعين حتى وافَوْا مكةَ ورجعوا معها من الرجال المشهورين الحُذّاقِ بالغناء هِيتٌ[٤] وطُوَيْسٌ والدَّلاَل وبَرْدُ الفؤاد ونَوْمةُ الضُّحَى وفِنْدٌ ورَحْمةُ[٥] وهِبةُ الله ـ هؤلاء مَشايخُ وكلُّهم طيِّب الغناء ـ ومَعْبدٌ ومالِكٌ وابن عائشة ونافعُ بنُ طُنْبورَةَ وبُدَيحُ المَليح ونافعُ الخير، ومن المغنّيات الفَرِهَةُ [و][٦] عَزّةُ المَيْلاء وحَبابةُ وسَلاّمةُ وخُلَيدة

(١) في أ، م، ء: «لم تعاين».
(٢) في جـ: «كل الذي أصابك».
(٣) في الأصول: «قال».
(٤) كذا في الأصول و«المشتبه في أسماء الرجال»، وذهب جماعة إلى أنه «هنب» (بالنون والباء). وقد رجح الأزهري أنه بالياء والتاء، واحتج برواية الشافعي له هكذا. (راجع «القاموس وشرحه واللسان» مادتي هنب وهيت).
(٥) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «رحة».
(٦) التكملة عن «نهاية الأرب» (ج ٥ ص ٤٤ من الطبعة الأولى)».

وعُقَيلة والشَّمَّاسيَّة وفَرْعةُ وبُلْبُلةُ[١] ولَذَّةُ العيشِ وسُعَيدة والزَّرْقاء، ومن غير المغنِّين ٱبنُ أبي عَتِيق والأحْوَص وكثيِّر عَزَّةَ ونُصَيب وجماعةٌ من الأشراف، وكذلك من النساء من مَوَاليها وغيرِهنّ[٢]. وأما سِيَاطٌ فذكَر أنه حَجّ معها من القِيَانِ مشيِّعاتٍ لها ومعظِّماتٍ لقَدْرها ولحقَها زُهَاءُ خمسين قَيْنةً، وجّه بهنّ مَوَاليهنّ معها فأعطَوْهنّ النفقاتِ وحَملوهنّ على الإبل في الهوادج والقِبَابِ وغيرِ ذلك؛ فأبتْ جميلةُ أن تنفق واحدةٌ منهنّ درهماً فما فوقَه حتى رجَعْنَ. وأما يونُس فذكر أنه حَجّ معها من الرجال المغنين مع من سَمَّينا زُهَاءَ ثلاثين رجلاً، وتخايروا في اتخاذ أنواع اللِّبَاس العَجيب الظَّريف وكذلك في الهوادج والقِباب. وقيل، فيما / قال أهلُ المدينة، : إنهم ما رأَوْا مثلَ[٣] ذلك الجَمْع سَفْراً طِيباً وحُسْناً ومَلاحةً. قالوا: ولما قارَبُوا مكةَ تلقَّاهم سَعِيدُ بن مِسْجَح وابنُ سُرَيج والغَرِيض وٱبنُ مُحْرِز والهُذَليُّون وجماعةٌ من المغنِّين من أهل مكة وقِيَانٌ كثيرٌ لم يُسَمَّيْن لنا، ومن غير المغنِّين عمرُ بن أبي رَبيعة والحارثُ بن خالدِ المَخْزُوميّ والعَرْجيّ وجماعةٌ من الأشراف. فدخلتْ جَميلةُ مكةَ وما بالحجاز مُغَنٍّ حاذقٌ ولا مغنِّيةٌ إلا وهو معها وجماعةٌ من الأشراف ممن سمَّينا وغيرهم من الرجال والنساء. وخرج أبناء أهلِ مكةَ من الرجال والنساء ينظُرون إلى جَمْعِها وحُسْنِ هيئتهم. فلما قضتْ حجّها سألها المكيّون أن تجعل لهم مجلساً. فقالت: للغناءِ أم للحديثِ؟ قالوا: لهما جميعاً. قالت: ما كنت لأخلِطَ جِدّاً بهَزْل، وأبتْ أن تجلس للغناء. فقال عمرُ بن أبي ربيعة: أقْسمتُ على من كان في قلبه حبٌّ لاستماع غنائها إلاّ خرج معها إلى المدينة، فإني خارج. فعزَم القومُ الذين سمَّيناهم كلّهم على الخروج ومعهم جماعةٌ ممّن نشِط، فخرجتْ في جَمْع أكثرَ من جَمْعِها بالمدينة. فلما قَدِمتِ المدينةَ تلقَّاها أهلُها وأشرافُهم من الرجال والنساء، فدخلتْ أحسنَ مما خرجتْ به منها، وخرج الرجالُ والنساء من بيوتهم فوقفوا على أبواب دُورهم ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها. فلما دخلتْ منزلَها وتفرّق الجمْعُ إلى منازلهم ونزل أهلُ مكة على أقاربهم وإخوانهم أتاها الناس مسلّمين، وما ٱستنْكَف من ذلك كبيرٌ ولا صغير. فلما مضى لمَقْدَمِها عشرةُ أيامِ جلستْ للغناء؛ فقالت لعمرَ بنِ أبي رَبيعة: إني جالسةٌ لك ولأصحابك، وإذا شئتَ / فعِدِ الناسَ لذلك اليوم، فغصَّتِ الدارُ بالأشراف من الرجال والنساء. فابتدأتْ جميلةُ فغنَّتْ صوتاً بشعر عمر:

[٨/٢١٠] [١٣٦/٧]

وصف مجلس غنائها بالمدينة بعد عودها من الحج:

[٨/٢١١]

/ هيهاتَ من أَمَةِ الوَهّابِ منزلُنا ... إذا حَلَلْنا بسِيفِ البحرِ من عَدَنِ
وٱحتلَّ أَهْلُكِ أَجْياداً[٤] فليس لنا ... إلا التذكُّر أو حَظٌّ من الحَزَنِ
لو أنها أبْصرتْ بالجِزْع عَبْرتَه ... وقد تَغَرّد قُمْريٌّ على فَنَنِ
إذاً رأتْ غيرَ ما ظَنّتْ بصاحبها ... وأَيْقنتْ أن عَكّاً[٥] ليس من وَطَني
ما أَنْسَ لا أَنْسَ يومَ الخَيْفِ موقفَها ... ومَوْقِفي وكِلانا ثَمّ ذو شَجَنِ

---

(١) في «نهاية الأرب»: «نبيلة».

(٢) في الأصول: «وغيرهم» ومرجع الضمير جمع مؤنث.

(٣) في حـ: «قبل ذلك الجمع».

(٤) أجياد: موضع بمكة يلي الصفا.

(٥) كذا في ب، س و«ديوانه». وروايته فيما تقدّم (جـ ١ ص ١١١ من هذه الطبعة): «أن لحجا . . .». وعك: قبيلة يضاف إليها مخلاف باليمن. ولحج: مخلاف باليمن. وفي سائر الأصول هنا: «أن نجحا . . .» وهو محرّف عن «لحج».

وقـولَهـا للثُّـريّـا وهـي بـاكيـةٌ[١] والـدمـعُ منهـا علـى الخـدّيـن ذو سُنَـنِ
بـالله قُـولـي لـه فـي غيـر مَعْتَبَـةٍ مـاذا أردتَ بطـول المُكْـثِ فـي اليَمَـنِ
إن كنـتَ حـاولـتَ دنيـا أو نَعِمْـتَ بهـا فمـا أصبـتَ بتـركِ الحـجّ مـن ثَمَـنِ

فكلُّهم استحسن الغناءَ، وضَجَّ القومُ من حُسْنِ ما سمعوا. ويقال: إنهم ما سمعوا غناءً قَطّ أحسنَ من غنائها ذلك الصوتَ في ذلك اليوم. ودمَعتْ عينُ عمرَ حتى جرَى الدمعُ على ثيابه ولِحْيتِه. وإنه ما رُئيَ عمرُ كذلك في مَحْفِل غيرِه[٢] قَطُّ. ثم أقبلتْ على ابن سُرَيج فقالت: هاتِ؛ فاندفع يغنّي ورفع صوتَه بشعر عمر[٣]:

غنى ابن سريج في مجلسها بشعر عمر:

أليسـتْ بـالتـي قـالـت لمَـوْلاةٍ لهـا ظُهُـرَا
أشِيـري بـالسـلام لـه إذا هـو نحـوَنـا نظَـرا
وقُـولـي فـي مُـلاطفـةٍ لـزينـبَ نَـوِّلـي عُمَـرا
وهـذا سِحْـرُكَ النّسْـوا نَ قـد خبَّـرْتِنِـي الخبـرَا

/ غناء ابن مسجح: [٨/٢١٢]

فسَمِع من ابن سُرَيج في هذا اللَّحْن من الحُسْن ما يقال إنه ما سُمِع مثلُه. ثم قالت لسَعِيد بن مِسْجَح: هاتِ يا أبا عثمان؛ فاندفع فغنَّى:

قـد قلـتُ قبـل البَيْـنِ لمّـا خَشِيتُـه لتُعْقِـبَ وُدّاً أو لتعلـمَ مـا عنـدي
لـكِ الخيـرُ هـل مـن مَصْـدَرٍ تَصْـدُرِينَـه[٤] يُـرِيـحُ كمـا سَهَّلْـتِ لـي سُبُـلَ الـوِرْدِ
فلمّـا شكـوتُ الحـبَّ صَـدَّتْ كـأنّمـا شَكـوتُ الـذي ألْقَـى إلـى حَجَـرٍ صَلْـدِ
تـولَّـتْ فـأبْـدتْ غُلَّـةً دونَ نَقْعِهـا كمـا أرْصدتْ مـن بُخْلِهـا إذا بَـدَا وَجْـدي

غناء معبد:

فاستُحْسِن ذلك منه وبرَع فيه. ثم قالت: يا مَعْبَد هاتِ؛ فغنَّى:

أحَـارِبُ مَـنْ حـاربـتَ مـن ذي عَـداوةٍ وأحْبِـس مـالِـي إن غـرِمـتَ فـأعْقِـلُ[٥]
وإنّـي أخـوكَ الـدائـمُ العهـدِ لـم أحُـلْ إنْ أبْـزاكَ[٦] خَصْـمٌ أو نبـابـكَ منـزِلُ

---

(١) في «الديوان»: «وقولها للثريا يوم ذي خشب».

(٢) في ب، س: في محفل ولا غيره قط» وهو تحريف.

(٣) في الأصول ما خلا جـ: «ورفع صوته بشعر عمر فقال» بزيادة «فقال».

(٤) يقال: صدر هو وصدر غيره وأصدره. فالثلاثي يتعدى ويلزم.

(٥) يريد: فأعقل عنه. يقال: عقل عنه إذا غرم ما لزمه من دية. وأما عقله فمعناه دفعت ديته. ومعنى البيت: إن أصابك غرم حبست مالي عليك واحتملت فيه الثقل عنك.

(٦) لم أحل: لم أتغير. وأبزاك خصم، يحتمل أن يكون معناه قهرك وغلبك، من أبزيت بفلان إذا بطشت به وقهرته. ويجوز أن يكون «أبزي» منقولاً بالألف من بزي يبزي بزى (كفرح). والبزى هو دخول الظهر وخروج البطن. ويكون المعنى: إن خفض منك خصم =

ستقطعُ في الدنيا إذا ما قطعتَني يمينَك فانظرْ أيَّ كفٍّ تَبدَّلُ

قالت جميلةُ: أحسنتَ يا مَعْبَد اختيارَ الشعر والغناء ـ هذا الشعر لمَعْن[1] بن أَوْس ـ

غناء ابن محرز:

ثم قالت: هات يابنَ مُحْرِز؛ فإنّي لم أؤخِّرك لخَسَاسةٍ بك ولا جهلاً بالذي يجب في الصناعة، ولكنّني رأيتك تحبّ من الأمور كلِّها أوسطَها وأعدلَها، فجعلتُك حيث تحبُّ واسطةً بين / المكيِّين والمدنيِّين. فغنَّى: ١٣٧/٧

وقفتُ بربْعٍ قد تحمَّل أهلُه فأذْرَيْتُ دمعاً يسبِق الطَّرْفَ هامِلُهْ

/ بسائلةِ الرَّوْحاءِ أو بَطْنِ مَثْغَرٍ[2] لها الضاحكاتُ الرابياتُ سواهِلُهْ[3] [٨/٢١٣]

هو الموتُ إلّا أن للموتِ مُدّةً متى يَلْقَ يوماً فارِغاً فهو شاغِلُهْ

غناء الغريض:

فقالت جميلة: يا أبا الخَطّاب، كيف بَدَا لك في ثلاثةٍ[4] وأنت لا ترى ذلك؟! قال: أحببتُ أن أواسيَ مَعْبداً. قال معبدُ: والله ما عَدَوت ما أردت[5]. ثم قالت للغَرِيض: هاتِ يا مَوْلَى العَبَلاتِ فاندفع يغنِّي:

ندِمتُ وبانَ اليومَ منّي بغيرِ ذَمْ فوا نَدَمِي على الشَّبابِ ووا نَدَمْ

وإذ إخوتي حَوْلِي وإذ أنا شائخٌ وإذ لا أُجِيبُ العاذلاتِ من الصَّمَمْ

أرادتْ عِراراً[6] بالهَوانِ ومن يُرِدْ عِراراً لعَمْرِي بالهَوانِ فقد ظَلَمْ

قالت جميلة: أَحْسن عمرو بن شَأْس ولم تُحْسِن إذ أفسدتَ غناءَك بالتعريض. والله ما وَضَعْناك إلاّ موضعَك ولا نقَصْنا من حظِّك! فبماذا أَهَنّاكَ! ثم أقبلتْ على الجماعة فقالت: يا هؤلاء، اصدُقوه وعرِّفوه نفسَه ليَقْنَع بمكانه. فأقبل القومُ عليه وقالوا له: قد أخطأتَ إن كنت عَرَّضْتَ. فقال: قد كان ذلك، ولستُ بعائدٍ. وقام إلى جميلة فقبَّل طَرَفَ ثوبها واعتذر فقبِلتْ عذرَه وقالت له: لا تَعُدْ. ثم أقبلتْ على ابن عائشة فقالت: يا أبا جَعْفر هاتِ؛ فتغنَّى بشعر النابغة[7]:

= وحملك من الثقل ما يبزى له ظهرك فلا تطيق الثبات تحته والنهوض به.

(١) شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام، وله ترجمة في «الأغاني (جـ ١٠ طبع بلاق)».

(٢) مثغر: ماء لجهينة.

(٣) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «سواحله» وكلتا الروايتين غير واضحة.

(٤) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «في ثالثة».

(٥) هكذا في الأصول: والمراد في هذه الجملة كلها غير واضح.

(٦) هو عرار بن عمرو بن شأس. وقد ورد في أكثر كتب الأدب، «كالحماسة» و«الكامل للمبرد» و«الشعر والشعراء» و«طبقات ابن سلام»، مضبوطاً بالقلم بكسر العين. وضبطه شارح «القاموس» فقال: هو كسحاب. وهوابن عمرو بن شأس من أمة له سوداء، وكان بينه وبين زوج أبيه أم حسان نزاع وخصام، فقد كانت تؤذيه وتعيره وتشتمه. وحاول عمرو أن يصلح ما بينهما فلم يفلح فطلقها.

(٧) في الأصول: «بشعر حسان» وهو خطأ، فهذا الشعر للنابغة الذبياني وليس لحسان. «(راجع «ديوان النابغة» طبع باريس و «شعراء النصرانية»، و «معجم ما استعجم» للبكري، و «معجم البلدان» لياقوت في الكلام على جولان)».

غناء ابن عائشة:

/ سقَى الغيثُ قبراً بين بُصْرَى وجاسِمٍ[١] ... عليـه مـن الـوَسْمِـيّ جَـوْدٌ ووابِـلُ [٨/٢١٤]

وأنْبـتَ حَـوْذَانـاً[٢] وعَـوْفـاً مُنـوِّراً ... سـأتْبِعُـه مـن خيـرِ مـا قـال قـائـلُ

بكَـى حـارثُ الجَـوْلانِ[٣] مـن هُلْـكِ ربِّـه ... فحَـوْرانُ منـه خـاشـعٌ مُتضـائـلُ

ومـا كـان بَيْنِـي لـو لَقِيتُـك سـالمـاً ... وبيـن الغِنَـى إلاّ ليـالٍ قـلائـلُ[٤]

غناء نافع وبديح:

قالت جميلةُ: حَسَنٌ ما قلتَ يا أبا جَعْفر. ثم أقبلتْ على نافع وبُدَيح فقالت: أُحِبُّ أن تغنِّياني صوتاً واحداً؛ فغنَّيا جميعاً بصوتٍ واحد ولَحْنٍ واحد:

ألاَ يـا مَـنْ يَلُـوم علـى التصـابِـي ... أَفِـقْ شيئـاً لتسمـعَ مـن جـوابِـي

بَكَـرْتَ تَلُـومُنِـي فـي الحـبِّ جَهْـلاً ... ومـا فـي حـبِّ مثلِـي مـن مَعَـابِ

/ أليـس مـن السعـادةِ غيـرَ شَـكٍّ ... هَـوًى متـواصليـن علـى اقتـرابِ [٨/٢١٥]

كـريـمٌ نـال وُدّاً فـي عَفَـافٍ ... وسِتْـرٍ مـن مُنَعَّمَـةٍ كَعَـابِ

غناء الهذليين الثلاثة:

فقالت جميلة: هواكما والله واحد وغناؤكما واحد، وأنتما نُجِئْتُما من بقيَّة الكرم وواحدِ الشرفِ: عبدِ[٥]الله بن جعفر بنِ أبي طالب. ثم أقبلتْ على الهذليِّين الثلاثة فقالت: غَنُّوا صوتاً واحداً؛ فأندفعوا فغنَّوْا بشعر عَنْتَرةَ العَبْسِيّ:

---

(١) كذا في «ديوانه» و«شعراء النصرانية» و«معجم ما استعجم». وبصري وجاسم: موضعان بالشأم. وفي الأصول: «فلا زال قبر بين بثي وجلق». وجلق: دمشق، وقيل موضع بقرية من قرى دمشق، وقيل غير ذلك. وأما «بثنى» فلم نقف في المراجع التي بين أيدينا إلا على «بثنة» وهي ناحية من نواحي دمشق.

(٢) الحوذان: نبت يرتفع قدر ذراع، له زهرة حمراء في أصلها صفرة، وورقته مدوّرة. والعوف: نبت طيب الرائحة.

(٣) الجولان (بالفتح والسكون): قرية، وقيل: جبل من نواحي دمشق ثم من عمل حوران. قال ابن دريد: يقال للجبل: حارث الجولان، وقيل: حارث قلة فيه. وحوران: كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كبيرة ومزارع وحرار، وما زالت منازل العرب، وذكرها في أشعارهم كثير، وقصبتها بصرى.

(٤) هذا البيت ليس من شعر النابغة، وإنما هو من قصيدة للحطيئة يرثي بها علقمة بن علاثة والي حوران من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ومنها ـ كما في «الأغاني» (جـ ١٥ ص ٥٨ طبع بلاق)» و«معجم البلدان» لياقوت في الكلام على حوران ـ:

لعمـري لنعـم المـرء مـن آل جعفـر ... بحـوران أمسـى أعلقتـه الحبـائـل

وأما بيت النابغة فهو ـ كما في «ديوانه» طبع أوروبا و«شرح الشواهد الكبرى» للعيني المطبوع على هامش خزانة الأدب ٤ ص ١٦٧ طبع بلاق ـ:

فمـا كـان بيـن الخيـر لـو جـاء سـالمـاً ... أبـو حجـر إلا ليـال قـلائـل

وهو من القصيدة التي ذكر المؤلف منها هذه الأبيات والتي مطلعها:

دعـاك الهـوى واستجهلتـك المنـازل ... وكيـف تصـابـي المـرء والشيـب شـامـل

يرثي بها النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني. وأبو حجر (بالضم) كنيته، وحرك في البيت لضرورة الشعر.

(٥) في «ب، س»: «... وواحد الشرف عنت عبدالله...».

حُيِّيتَ من طَلَلٍ تقادم عهدُه أقوى وأقفر بعد أمّ الهيثم
كيف المَزارُ وقد تربَّع أهلُها بعُنَيزتَين[1] وأهلُنا بالغَيْلَم
/ إن كنت أزمعتِ الفراقَ فإنما زُمَّتْ رِكابُكم بليلٍ مُظلم
شَرِبتْ بماء الدُّحرُضَينِ[2] فأصبحتْ زَوراءَ تَنفِر عن حِياضِ الدَّيْلَم

١٣٨/٧

غناء نافع بن طنبورة:

قالت: ما رأيتُ شيئاً أشبهَ بغنائكم من اتّفاق أرواحكم. ثم أقبلتْ على نافع بن طُنبورةَ فقالت: هاتِ يا نَقْشَ الغَضَار[3] ويا حَسَن اللسان؛ فاندفع يغنّي:

يا طُولَ ليلي وبتُّ لم أَنَمِ وِسادِيَ الهَمُّ مُبطِنٌ سَقَمي
أنْ قمتُ يوماً على البَلاطِ فأبْـ ـصرتُ رَقّاشَ وليت لم أقمِ

فقالت جميلة: حَسَنٌ والله ـ ولابن سُرَيج في هذا اللحنِ أربعةُ أبياتٍ في صَوْت ـ

غناء مالك بن أبي السمح:

[٨/٢١٦] ثم قالت: يا مالكُ هاتِ؛ فإنّي لم أؤخِّرْك لأنك في طبقة آخرهم، ولكنّي أردتُ أن / أختِمَ بك يومَنا تبرُّكاً بك وكَيْ يكون أوّلُ مجلسنا كآخرِه ووَسَطُه كطَرَفِه، وإنك عندي ومَعْبداً لفي طريقة واحدة ومذهبٍ واحد، لا يدفع ذلك إلا ظالمٌ ولا ينكره إلا عاضِل. الحقَّ أقول، فمن شاء فَلْيُنكِر؛ فسكتَ القومُ كلُّهم إقراراً لما قالت. واندفع يغنّي:

عَدُوٌّ لمن عادتْ وَسِلْمٌ لِسِلْمِها ومن قرّبتْ سَلْمَى أحبَّ وقرّبا
هَبِيني امرأً إمّا بريئاً ظلمتِه وإمّا مُسيئاً تاب بعدُ[4] وأعْتبا
أقول التماسَ العُذْرِ لمّا ظلَمْتِني وحمَّلْتِني ذنباً وما كنتُ مُذْنِبا
ليَهْنِئْكِ إشماتُ العدوّ بهَجْرِنا وقَطْعُكِ حبلَ الوصلِ حتى تقضَّبا

اليوم الثاني من أيام المدينة وغناء طويس:

قالت جميلة: ليت صوتَك يا مالك قد دام لنا ودمنا له. وقطعت المجلسَ وانصرف عامّةُ الناس وبقي خواصُّهم. فلما كان اليومُ الثاني حضَر القومُ جميعاً. فقالت لطُوَيس: هاتِ يا أبا عَبْد النَّعيم. قال: فأنكر ما فعلتْ جميلةُ في

---

(١) عنيزة: موضع بين البصرة ومكة. والغيلم: موضع في ديار بني عبس.

(٢) الباء بمعنى «من» أي شربت من ماء الدحرضين. والدحرضان: اسم موضع، وقيل: هما وسيع ودحرض. ماءان ثناهما بلفظ الواحد كما يقال القمران للشمس والقمر. فدحرض لآل الزبرقان بن بدر، ووسيع لبني أنف الناقة. والديلم: الأعداء، وقيل: حياض الديلم بالغور، أو ماءة لبني عبس، وفيه غير ذلك أقوال كثيرة يرجع إليها في «اللسان» (مادة دلم) وفي «شرح التبريزي على المعلقات».

(٣) الغضار: الطين اللازج الأخضر، وهو لقب له.

(٤) كذا في «نهاية الأرب» للنويري (جـ ٥ ص ٤٧ من طبعة دار الكتب المصرية الطبعة الأولى). وفي الأصول: «منه».

اليوم الأوّل؛ لأنّ طُوَيساً لم يكن يرضَى بذلك. فأخبرني ابنُ جامع أن جميلةَ صَفَّتْهم [(١)] طويساً [(٢)] وأصحابَه وابنَ سُرَيج وأصحابَه، ثم أقرعتْ بينهم؛ فخرجت القرعةُ الأولى لابن سُرَيج وأصحابِه والثانيةُ لطُوَيسٍ وأصحابِه. فابتدأ طويسٌ [(٣)] فغنَّى:

قد طال لَيْلِي وعاد لي طَرَبِي ... من حبِّ خَوْدٍ كريمةِ الحَسَبِ

غَرّاءَ مثلِ الهلال آنسةٍ ... أو مثلِ تِمْثالِ صُورةِ الذَّهَبِ

صادت فؤادي بجِيدِ مُغْزِلةٍ [(٤)] ... تَرْعَى رِيَاضاً ملتفَّةَ العُشُبِ

/ غناء الدلال: [٨/٢١٧]

فقالت جميلة: حسنٌ والله يا أبا عبدا النَّعِيم. ثم قالت للدَّلَال: هات يا أبا يَزِيد؛ فاندفع فغنَّى:

قد كنت آمُلُ فيكُم أملاً ... والمرء ليس بمدرِكٍ أَمَلَهْ

حتى بَدا لي منكُم خُلُفٌ ... فزَجَرْتُ قلبي فارْعَوَى جَهَلَهْ [(٥)]

ليس الفتى بمخلدٍ أبداً ... حَيّاً وليس بفائتٍ أجلَهْ

حَيِّ البُغُومَ ومَنْ بعَقْوتها [(٦)] ... وقَفَا العَمُودِ وإن خَلا أَهَلُهْ [(٥)]

غناء برد الفؤاد وتومة الضحى:

قالت: حسن والله يا أبا يزيد. ثم قالت لهِيتٍ: إنّا نُجِلُّك اليومَ لِكبَرِ سِنّك ورِقَّة عَظْمِك. قال: أجل يا مَامَا. ثم قالت لبَرْدِ الفؤاد ونَوْمةِ الضُّحَى: هاتيَا جميعاً لَحْناً واحداً؛ فغنِّيا [(٧)]:

/ إني تذكَّرتُ فلا تَلْحَني ... لؤلؤةً مكنونةً تَنْطِقُ [١٣٩/٧]

مسكنُها طَيْبةُ لم يَغْذُها ... بؤسٌ ولا والٍ بها يَخْرُقُ

قد قلت والعِيسُ سِراعٌ بنا ... تُرْقِلُ إرقالاً وما تُعْنِقُ [(٨)]

يا صاحِبِي شَوْقِي أرَى قاتِلِي ... ومُورِدِي منها جَوًى يُقْلِقُ

غناء فند ورحمة وهبة الله:

قالت جميلة: أحسنتُما. ثم قالت لفِنْد ورَحْمة وهبة الله: هاتُوا جميعاً صوتاً واحداً فإنكم متّفقون في الأصوات والألحان؛ فاندفعوا فغنَّوْا:

---

(١) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «صفتهم طبقتين طويس...» والمعنى مستقيم على كلتا الروايتين.

(٢) في الأصول: «طويس» بالرفع. والإبدال في هذا المقام خير من القطع.

(٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فابتدأ طويس وأصحابه فغنى».

(٤) المغزلة: الظبية ذات الغزال.

(٥) تحريك عين الثلاثي الساكن إذا كان من الحروف الحلقية شائع كثير في الشعر وفي النثر أيضاً.

(٦) العقوة: ساحة الدار. والعمود: هضبة مستطيلة عندها ماء لبني جعفر. وقفاه: وراءه.

(٧) في الأصول: «فغنتا» بتاء التأنيث وهو تصحيف.

(٨) الإرقال: السير السريع. والإعناق: السير المنبسط.

أشاقَكَ من نحو العَقيق بُروقُ لوامعُ تَخْفَى تارة وتَشُوقُ
وماليَ لا أَهْوَى جواريَ بَرْبَرٍ ورُوحي إلى أزواجِهن تَتُوق
لهنّ جمالٌ فائقٌ ومَلاحةٌ ودَلٌّ على دَلّ النساء يَفُوقُ

[٢١٨/٨] / وكان بَرْبَرٌ حاضراً، فقال: جواريَ والله على ما وصَفتُم، فمن شاء أقرّ ومن شاء أنكر.

غناء جميلة:

فقالت جميلة: صدَق. ثم غنّت جميلة بشعر الأعشى ـ ولمعبد فيه صوتٌ أخذه عنها ـ:

بانت سُعَادُ وأمسَى حبلُها انقطعا واحتلَّتِ الغَوْر فالجَدَّيْنِ فالفَرَعَا[١]
واستنكرتني وما كان الذي نَكِرَتْ من الحوادثِ إلا الشَّيبَ والصَّلَعَا
تقول بِنْتِي وقد قَرَّبْتُ مرتحلاً يا ربِّ جَنِّبْ أبي الأوْصابَ والوَجَعَا
وكان شيءٌ إلى شيء فغيَّره دهرٌ مُلِحٌّ على تفريق ما جَمعا

اليوم الثالث من أيام المدينة:

فلم يُسمَعْ شيءٌ[٢] أحسنُ من ابتدائها بالأمس وخَتْمِها في اليوم الثاني. وقطعت المجلس فانصرف القومُ وأقام آخرون[٣]. فلما كان اليومُ الثالث اجتمع الناسُ، فضربتْ سِتارة وأجلست الجواريَ كلَّهن فضرَبْنَ وضرَبَتْ فضرَبْنَ على خمسين وتراً فتزلزلتِ الدارُ؛ ثم غنَّت على عُودها وهنّ يضرِبْنَ على ضربها بهذا الشعر:

فإن خَفِيَتْ كانت لعينك قُرَّةً وإن تَبْدُ يوماً لم يُعْمِمْك[٤] عارُها
من الخَفِراتِ البِيضِ لم تَرَ غِلْظَةً وفي الحَسَبِ الضَّخْمِ الرَّفِيعِ نِجَارُها
فما رَوْضةٌ بالحَزْنِ طيِّبةُ الثَّرَى يَمُجُّ النَّدَا جَثْجاثُها وعَرَارُها[٥]
بأطيبَ من فيها إذا جئتَ طارقاً وقد أُوقِدتْ بالمَنْدَل الرَّطْبِ نارُها

غناء عزة الميلاء:

فدمَعت أعين كثير منهم حتى بَلّ ثوبَه وتنفَّس الصُّعَداءَ وقال: بنفسي أنتِ يا جميلةُ!. ثم قالت للجواري: اكفُفْنَ فكفَفْنَ؛ وقالت: يا عَزّ غنّي؛ فغنّت بشعر لعمرَ:

(١) الجدان: موضع. والفرع (بالتحريك): موضع بين الكوفة والبصرة. ورواية هذا الشطر في «معجم البلدان» في الكلام على الجدين والفرع: «فأحتلت الغمر... إلخ».

(٢) في ب، س: «بشيء».

(٣) كذا في الأصول. ولعل صوابها: «فانصرف قوم وأقام آخرون».

(٤) كذا في ب، س، جـ. وفي م، أ، ء: «لم يعمرك عارها». ولعل صوابه: «لم يغمك عارها» أي لم تأت بعار فيغمك ويحزنك، لأنها عفيفة.

(٥) قال أبو حنيفة الدينوري: الجثجاث، من أحرار الشجر، ينبت بالقيظ، له زهرة صفراء كأنها زهرة عرفجة، طيبة الريح، تأكله الإبل إذا لم تجد غيره. والعرار: بهار البر وهو نبت طيب الريح. قال ابن بري: وهو النرجس البريّ.

[٢١٩/٨] / تــذكَّــرتَ هنــداً وأَعْصــارَهــا(١) ... ولــم تَقْــضِ نفسُــك أوطــارَهــا

تــذكَّــرتِ النفسُ مــا قــد مضَــى ... وهــاجــتْ علــى العيــنِ عُــوّارَهــا(٢)

لتمنــحَ رامــةَ منّــا الهــوى ... وتَــرْعَــى لــرامــةَ أســرارَهــا

إذا لــم نَــزُرْهــا حِــذارَ العِــدَا ... حَســدْنــا علــى الــزَّوْرِ زُوّارَهــا

غناء حبابة وسلامة:

فقالت جميلة: يا عَزّ، إنكِ لباقيةٌ على الدهر، فهنيئاً لكِ حسنُ هذا الصوت مع جَوْدة هذا الغناء. ثم قالت لحَبَابةَ وسَلّامةَ: هاتِيَا لَحْناً واحداً؛ فغنّتا:

[١٤٠/٧] / كفَــى حَــزَنــاً أنــي أَغِيــبُ وتَشْهَــدُ ... ومــا نَلْتَقِــي والقلــبُ حَــرّانُ مُقْصَــدُ

ومــن عَجَــبٍ(٣) أنــي إذا الليــلُ جَنّنِــي ... أقــوم مــن الشــوق الشــديــد وأقعــدُ

أَحِــنُّ إليكــم مثــلَ مــا حَــنّ تــائــقٌ ... إلــى الــوِرْد عَطْشَــانُ الفــؤاد مصــرَّدُ(٤)

ولــي كَبِــدٌ حَــرّى يعــذِّبهــا الهَــوَى ... ولــي جســدٌ يَبْلَــى ولا يتجــدَدُ

غناء خليدة:

فاستُحْسِن غناؤهما. ثم أقبلتْ على خُلَيْدةَ فقالت لها: بنفسي أنتِ! غنّي؛ فغنَّتْ:

ألاَ يــا مَــنْ يَلُــوم علــى التَّصــابِــي ... أَفِــقْ شيئــاً لتسمــعَ مــن جــوابِــي

بكــرْتَ تَلُــومُنِــي فــي الحــبّ جَهْــلاً ... ومــا فــي حــبُّ مثلــي مــن مَعَــابِ

أليــس مــن السعــادة غيــرَ شَــكٍّ ... هَــوَى مُتــواصليــن علــى اقتــرابِ

كــريــمٌ نــال وُدًّا فــي عَفَــافٍ ... وسَتْــرٍ مــن منعَّمــةٍ كَعَــابِ

غناء عقيلة والشماسية:

فاستُحْسِن منها ما غنّتْ، وهو بلَحْنِها حسنٌ جداً. [ثم قالت لعُقَيلة والشَّمّاسِيّة: هاتِيَا، فغنّتا:

[٢٢٠/٨] / هجرتِ الحبيبَ اليومَ في غير ما اجْتَرَمْ ... وقطّعــتِ مــن ذي وُدّكِ الحبــلَ فــانصــرمْ

أطعــتِ الــوُشــاةَ الكــاشحيــن ومــن يُطِــعْ ... مقــالــةَ واشٍ يَقْــرَعِ الســنَّ مــن نَــدَمْ(٥)]

غناء فرعة وبلبلة ولذة العيش:

ثم قالت لفَرْعة وبُلْبُلَةَ ولذّةِ العَيْش: هاتِينَ فغنِّينَ؛ فاندفَعْنَ بصوتٍ واحد:

---

(١) الأعصار: جمع عصر، يريد الأوقات التي كان يجتمع فيها معها.

(٢) العوّار: ما عار في العين من القذى والرمد فأوجعها.

(٣) في أ، م، د: «وما عجبي».

(٤) التصريد: سقي دون الريّ، ومنه:

يسقون منها شرابا غير تصريد.

(٥) الموضوع بين قوسين انفردت به نسختا ب، س.

لعَمْرِي لئن كان الفؤادُ من الهوى بَغَى سَقَماً إنّي إذاً لسَقِيمُ
عليَّ دِماءُ البُدْنِ إن كان حبُّها على النأي في طول الزمان يَرِيمُ
تُلِمُّ مُلِمّاتٌ فيُنْسَيْنَ بَعْدَها ويُذْكَر منها العهدُ وهو قديمُ
فأُقْسِمُ ما صافيتُ بعدكِ خُلَّةً ولا لكِ عندي في الفؤاد قَسِيمُ

غناء سعدة والزرقاء:

قالت: أحسنتُنَّ! وهو لعَمْرِي حَسَنٌ. وقالت لسُعْدَة والزَّرْقاء: غَنِّيا؛ فغنَّتا:

قد أرسلوني يُعَزّوني فقلتُ لهم كيف العَزَاءُ وقد سارتْ بها الرُّفَقُ
اِسْتَهْدَتِ الرِّيمَ عينيه فجادلها بمُقْلَتَيْه ولم تُتْرَكْ له عُنُقُ

فاستُحْسِن ذلك. ثم قالت للجماعة فغنَّوْا، وانقضى المجلسُ وعاد كلُّ إنسانٍ إلى وطنه. فما رُئي مجلسٌ ولا جَمْعٌ أحسنُ من اليوم الأوّل ثم الثاني ثم الثالث.

طلب إبراهيم الموصلي الغناء لسماعه صوتاً لها:

وحدَّثتني[1] عمَّتي - وكانت أسنَّ من أبي وعُمِّرتْ بعده - قالت: كان السبب في طلب أبيك الغناءَ والمواظبةِ عليه لحناً سمعه لجميلةَ في منزل يونُسَ بنِ محمد الكاتب، فانصرف وهو كئيبٌ حَزِين مغمومٌ لم يَطْعَم ولم يُقْبِلْ علينا بوجهه كما كان يفعل. فسألته عن السبب فأمسك، فألححتُ عليه فانتهرني، وكان لي مُكْرِماً، فغضبتُ وقمتُ من ذلك المجلس إلى بيت آخر، فتبِعَني وترَضَّاني وقال لي: أُحَدِّثك ولا كتمانَ منكِ: عَشِقْتُ صوتاً لامرأة قد ماتت، فأنا بها وبصوتها هائمٌ إن لم يتداركْني اللهُ منه برحمته. فقالت: / أتظُنُّ أن الله يُحْيِي لك ميّتاً! قال: بل لا أشُكّ. قالت: فما تعليقُك قلبَك بما لا يُعْطاه إلا نبيٌّ ولا نبيَّ بعد محمد ﷺ!. وأمّا عشقُك الصوتَ فهو أن تَحْذِقَه وتُغَنِّيه عشرَ مِرَارٍ، فتَمَلَّه ويذهبَ عشقُك له!. فكأنه ارْعَوَى[2] ورجَع إلى نفسه، وقام فقبّل رأسي ويدي ورجْلي وقال لي: فرَّجْتِ عنّي ما كنتُ فيه من الكَرْب والغَمّ، / ثم تمثّل: «حبُّكَ الشيء يُعْمِي ويُصِمّ» ولزِم بيت يونس حتى حذَق الصوت ولم يمكث إلا زمناً يسيراً حتى مات يونُس وانضمّ إلى سِيَاطٍ، وكان من أحذقِ أهل زمانه بالغناء وأحسنِهم أداءً عمّن مضَى. قالت عمّتي: فقلت لإبراهيم: وما الصوتُ؟ فأنشدني الشعرَ ولم يُحْسِن أداءَ الغناء:

[٨/ ٢٢١] [١٤١/٧]

من البَكَراتِ عِراقيّةٌ تُسَمَّى سُبَيعةَ أَطْريتُها
مَن آلِ أبي بَكْرةَ الأكرمين خَصَصْتُ بوُدّي فأصْفيتُها
ومن حبِّها زرتُ أهلَ العراق وأسْخَطْتُ أهلي وأرضيتُها
أموتُ إذا شَحَطَتْ دارُها وأحيا إذا أنا لاقيتُها
فأُقْسِم لو أنّ ما بي بها وكنتُ الطبيبَ لداويتُها

---

(١) المتحدّث هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي وهو راوي الخبر المتقدّم كما مرّ بك.
(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فكأن الإرعواء».

قالت عمّتي: هذا شعرٌ حَسَنٌ، فكيف به إذا قُطِّع ومُدِّد تمديدَ الأطْرِبة[1] وضُرب عليها بقُضْبان الدِّفْلَى[2] على بطون المِعْزَى! فما مضت الأيامُ والليالي حتى سمعتُ اللحنَ مؤدًّى، فما خَرق مسامعي شيءٌ قطُّ أحسنُ منه؛ ولقد أذكرني بما يُؤْثَر من حسن صوت داودَ وجمالِ يوسفَ. فَبَيْنَا أنا يوماً جالسةٌ[3] إذ طَلع عليّ إبراهيمُ ضاحكاً مستبشراً؛ فقال لي: ألَا أحدِّثكِ بعَجَبٍ؟ قلت: وما هو؟ قال: إن لي شريكا / في عشق صوت جميلة. قلت: وكيف ذلك؟ قال: [٨/٢٢٢] كنت عند سِياطٍ في يومنا هذا وأنا أغنّيه الصوتَ وقد وقَّفني فيه على شيء لم أكن أحكمتُه عن يونُس، وحضر عند سِياطٍ شيخٌ نبيلٌ فسبَّح على الصوت تسبيحاً طويلاً، فظننتُ أنه فعل ذلك لاستحسانه الصوت. فلما فرغتُ أنا وَسِيَاطٌ من اللحن قال الشيخ: ما أَعْجب أمرَ هذا الشعر وأَحْسَنَ ما غُنِّي به وأحسن ما قال قائله!. فقلت له دون القوم: وما بلَغ من العَجَبِ به؟ قال: نعم! حَجّتْ سُبَيعةُ من ولد عبدالرحمن بن أبي بَكْرةَ، وكانت من أجملِ النساء، فأبصرها عمرُ بن أبي رَبيعة، فلما انحدرتْ إلى العراق أتْبَعها يُشيِّعها حتى بلغَ معها موضعاً يقال له الخَوَرْنَقُ. فقالت له: لو بلغتَ إلى أهلي وخطبتَني لزوّجوك. فقال لها: ما كنتُ لأَخْلِطَ تشييعي إياكِ بخِطْبة، ولكن أرجعُ ثم آتيكم خاطباً؛ فرجع ومَرّ بالمدينة فقال فيها:

قال ابن أبي ربيعة شعراً في سبيعة فلحنته وعلمته جارية من جواريه:

مـــــن البَكَـــراتِ عِـــراقيّــــةٌ تُسمَّـــى سُبَيعَـــةَ أطـــرِبَتُهـــا

ثم أتى بيتَ جميلة فسألها أن تُغَنِّيَ بهذا الشعر ففعلت. فأعجبه ما سمع من حسن غنائها وجَوْدة تأليفها، فحسُن موقعُ ذلك منه، فوجَّه إلى بعض مَوَالِياته ممن كانت تطلُب الغناء أن تأتيَ جميلةَ وتأخذَ الصوت منها؛ فطارحتْها إياه أيّاماً حتى حذَقَت ومهرتْ به. فلما رأى ذلك عمر قال: أرى أن تَخرُجي إلى سُبَيعة وتغنّيها هذا الصوتَ وتُبلّغيها رسالتي؛ قالت: نعم. جعلني الله فداكَ. فأتتها فرحَّبتْ بها، وأعلمتْها الرسالةَ، فحَيَّتْ وأكرمتْ، ثم غنّتْها فكادت أن تموت فرحاً وسروراً لحسن الغناء والشعر. ثم عادت رسولُ عمر فأعلمتْه ما كان وقالت له: إنها خارجة في تلك السنة.

حج سبيعة ثانية وسؤالها جميلة أن تغنيها بشعر عمر فيها:

فلما كان أوانُ الحج استأذنتْ سُبَيعةُ أباها في الحج، فأبَى عليها وقال لها: قد حَجَجْتِ حِجّةَ الإسلام. قالت له: تلك الحِجّةُ هي التي أسْهَرتْ ليلي وأطالت / نهاري / وتوَفَّتني[4] إلى أن أعود وأزُور البيتَ وذلك القَبْرَ؛ وإن [٨/٢٢٣] [١٤٢/٧] أنت لم تأذَنْ لي مُتُّ كَمَداً وغَمّاً؛ وذلك أن بقائي إنما كان لحضور الوقت، فإن يئستُ فالموت لا شكَّ نازلٌ بي. فلما رأى ذلك أبوها رَقّ لها وقال: ليس يَسَعُني منعُها مع مـا أرى بها، فأذِن لها. ووافَى عمرُ المدينةَ ليعرف خبرَها؛ فلما قدِمتْ علم بذلك. وسألها أن تأتَى منزلَ جميلة، وقد سبقَ إليه عمرُ، فأكرمتْها جميلةُ وسُرَّتْ بمكانها. فقالت لها سُبَيعة: جعلني الله فِداكِ! أَقْلقني وأَسْهرني صوتُكِ بشعر عمرَ فيّ، فأَسْمِعيني إيّاه. قالت جميلةُ: وعَزَازةً لوجهكِ الجميل! فغنّتْها الصوتَ، فأُغْمِيَ عليها ساعةً حتى رُشّ على وجهها الماءُ وثاب إليها عقلُها. ثم قالت: أعيدي عليّ، فأعادت الصوتَ مراراً في كل مرّة يُغْشَى عليها. ثم خرجتْ إلى مكة وخرج معها. فلما رجعتْ مَرّتْ بالمدينة وعمرُ

---

(١) هذا جمع غريب.

(٢) الدفلي: نبت مر زهره كالورد الأحمر، وحمله كالخروب، وألفه للإلحاق عند جماعة فينوّن نكرة، وللتأنيث عند آخرين فلا ينون.

(٣) في جميع الأصول: «جالس».

(٤) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «وذويت قلبي أن أعود... إلخ».

معها، فأتت جميلةَ فقالت لها: أعيدي عليّ الصوتَ ففعلتْ؛ وأقامتْ عليها[1] ثلاثاً تسألها أن تُعيد الصوتَ. فقالت لها جميلة: إني أُريد أن أغنّيَكِ صوتاً فاسمعيه. قالت: هاتِيه يا سيّدتي؛ فغنّتها:

أبتِ المليحةُ أن تُواصلَني … وأظنُّ أنّي زائرٌ رَمْسِي
لا خيرَ في الدنيا وزينتِها … ما لم تُوافِقْ نفسُها نفسِي
لا صبرَ لي عنها إذا حسَرتْ … كالبدر أو قَرْنٍ من الشمس
ورمتْ فؤادَكَ عند نظرتها … بمَلاحةِ الإيثار[2] والأنس

قالت سُبيعة: لولا أنّ الأوّل شعر عمرَ لقدّمتُ هذا على كلّ شيء سمعتُه. فقال عمر: فإنه والله أحسنُ من ذلك، فأمّا الشعرُ فلا. قالت جميلةُ: صدقتَ والله. قالت عمّتي قال لها أبي: لَعَمْرِي إنّ ذلك على ما قالا.

[٨/ ٢٢٤] / ولابن سُرَيج في هذا الشعر لَحْنٌ عن جَميلة وربما حُكي بزيادةٍ أو نقصانٍ أو مثلاً بمثل.

جمعت الناس في دارها وقصت عليهم رؤياها واعتزامها ترك الغناء فاختلفوا وخطب شيخ يحبذ الغناء فرجعت:

أخبرني من يفهم الغناء قال:

بلغني أنّ جميلة قعدتْ يوماً على كرسيٍّ لها وقالت لآذِنتها: لا تحجُبي عنّا أحداً اليوم، واقعدي بالباب، فكل من يمرّ بالباب فأعْرِضي عليه مجلسي؛ ففعلتْ ذلك حتى غَصّتِ الدارُ بالناس؛ فقالت جميلةُ: اصعَدوا إلى العَلاليّ؛ فصعِدتْ جماعةٌ حتى امتلأتِ السطوحُ. فجاءتها بعض جواريها فقالت لها: يا سيّدتي، إن تمادَى أمرُكِ على ما أرى لم يَبْقَ في دارِكِ حائطٌ إلاّ سقط، فأظهِري ما تريدين. قالت: اجلسي. فلما تعالَى النهارُ واشتدّ الحرّ استسقَى الناسُ الماءَ فَدَعَتْ لهم بالسَّوِيق[3]، فشرب من أراد؛ فقالت: أقسمتُ على كل رجل وامرأة دخل منزلي إلاّ شرب، فلم يبق في سُفْلِ الدار ولا عُلْوِها أحد إلاّ شرب، وقام على رؤوسهم الجواري بالمناديل والمَراوح الكبار، وأمرتْ جواريَها فقُمْنَ على كراسيّ[4] صِغارٍ فيما بين كلّ عشرةِ نفَرٍ جاريةٌ تروّح. ثم قالت لهم: إنّي قد رأيتُ في منامي شيئاً أفْزَعني وأرْعَبني[5]، ولستُ أعرف ما سببُ ذلك، وقد خِفْتُ أن يكون قُرْبَ أجلي، وليس ينفعني إلاّ صالحُ عملي، وقد رأيتُ أن أترك الغناء كراهةَ أن يَلْحَقني منه شيء عند ربي. فقال قوم منهم: وفّقكِ الله وثبّت عَزْمكِ! وقال آخرون: بل لا حَرَجَ عليكِ في الغناء. وقال شيخ منهم ذو سنّ وعلم وفقه وتجربة: قد تكلمت الجماعةُ، وكلُّ حزبٍ بما لديهم فَرِحُون، ولم أعترض عليهم في قولهم ولا شَرِكْتُهم في رأيهم، فاستمِعوا الآنَ لقولي وأنصِتُوا / ولا تَشْغَبُوا إلى وقت انقضاء كلامي؛ فمن قبِل قولي فالله موفّقُه، ومن خالفني فلا بأس عليه إذ كنتُ في طاعة ربي. [٨/ ٢٢٥] [١٤٣/ ٧]

فسكت القومُ جميعاً. فتكلّم الشيخ فحمِد اللهَ وأثنَى عليه وصلّى على محمد النبيّ ﷺ ثم قال: يا معشر أهلِ الحجاز، إنكم متى تخاذلتم فَشِلتم ووثَب عليكم عدوُّكم وظفِر بكم ولا تُفْلِحوا بعدها أبداً. إنكم قد انقلبتُم على

(١) في ب، س: «عليه».
(٢) كذا، في ب، س. وفي سائر الأصول هكذا: «الأنياب» أو الأيناب». وجميع الروايات غير ظاهرة.
(٣) السويق: شراب يتخذ من الحنطة والشعير.
(٤) كلمة: «على كراسيّ صغار» ساقطة من ب، س.
(٥) ذكر ابن الأعرابي في نوادره وثعلب في «الفصيح» أنه لا يقال: «أرعبه» بالهمز، وتبعهما الجوهري، وغيرهم رأى جوازه. (راجع «شرح القاموس» مادة رعب).

أعقابكم لأهلِ العِراق وغيرِهم ممّن لا يزال يُنْكِر عليكم ما هو وارثُه عنكم، لا ينكره عالمكم ولا يدفَعه عابُدكم بشهادة شريفكم ووَضيعكم يندب إليه كما يندب جموعكم وشرفكم وعزكم[(١)]. فأكثرُ ما يكون عند عابدكم فيه الجلوس عنه لا للتحريم له لكن للزهدِ في الدنيا؛ لأن الغناء من أكبر اللذات وأَسَرُّ النفوس من جميع الشهوات؛ يُحْيي القلبَ ويزيد في العقل ويَسُرّ النفسَ ويَفْسَحُ في الرأي ويتيسَّر به العَسير وتفتح به الجيوش ويذلَّل به الجبّارون حتى يمتهنوا أنفسَهم عند استماعه، ويُبْرِىءُ المَرْضَى ومن مات قلبُه وعقله وبصره، ويزيد أهلَ الثروة غِنًى وأهلَ الفقر قناعةً ورضاً باستماعه فيَعْزِفُون[(٢)] عن طلب الأموال. من تمسَّك به كان عالماً ومن فارقه كان جاهلاً؛ لأنه لا منزلةَ أرفعُ ولا شيءَ أحسنُ منه؛ فكيف يُستصوب تركه ولا يُستعان به على النشاط في عبادة ربّنا عزّ وجلّ. وكلامٌ كثيرٌ غيرُ هذا ذهب عن[(٣)] المحدِّث به، فما رَدَّ عليه أحد ولا أنكر ذلك منهم بَشَرٌ، وكلٌّ عاد بالخطأ على نفسه وأقرّ بالحق[(٤)] له. ثم قال لجميلة: أَوَعَيْتِ ما قلتُ ووقع من نفسكِ ما ذكرتُ؟ قالت: أجلْ وأنا أستغفر اللهَ. قال لها: فأختِمي مجلسَنا وفرِّقي جماعتَنا بصوت فقط؛ فغنَّت:

أفـي رسـم دارٍ دمعُـك المتـرقـرِقُ ... سَفَـاهـاً! ومـا أستنطـاقُ مـا ليس يَنْطِـقُ

/ بحيـثُ ٱلتقَـى جَمْـعٌ وأَقْصَـى مُحَسِّـرٍ[(٥)] ... مَغَـانِيـه قـد كـادتْ عـن العهـد تَخْلُـقُ [٢٢٦/٨]

مُقـامٌ لنـا بعـد العِشـاء ومنـزلٌ ... بـه لـم يكـدِّره علينـا مُعَـوِّقُ

فـأحسـنُ شـيء كـان أوّلُ ليلنـا ... وآخـرُه حـزنٌ إذا نتفـرّقُ

فقال الشيخ: حَسَنٌ واللهِ! أمثلُ هذا يترك[(٦)]! فيم نَتَشاهدُ الرجالُ! لا واللهِ ولا كرامةَ لمن خالف الحقّ. ثم قام وقام الناس معه، وقال: الحمد لله الذي لم يفرّق جماعتَنا على اليأس من الغناء ولا جحودِ فَضيلته، وسلامٌ عليكِ ورحمةُ الله يا جميلة.

وصف مجلس لها غنت فيه ورقصت وغنى المغنون ورقصوا:

وقال أبو عبدالله: جلستْ جميلة يوماً ولبست بُرْنُساً طويلاً، وألبستْ من كان عندها برانسَ دون ذلك، وكان في القومِ ٱبنُ سُرَيْج، وكان قبيحَ الصَّلَع قد اتخذ وَفْرَةَ شعر[(٧)] يضعها على رأسه، وأحبّتْ جميلةُ أن ترى صَلْعَته. فلما بلغَ البرنسُ إلى ٱبن سُرَيج قال: دبّرْتِ عليّ وربِّ الكعبة! وكشَفَ صَلْعَته ووضع القَلَنْسِيَةَ على رأسه، وضحك القومُ من قُبْح صَلْعتِه؛ ثم قامت جميلةُ ورقَصتْ وضربتْ بالعوْد وعلى رأسها البُرْنُس الطويل وعلى عاتقها بُرْدَةٌ يَمَانِيَّةٌ وعلى القوم أمثالُها، وقام ٱبنُ سُرَيج يرقُص ومَعْبَد والغَرِيض وٱبنُ عائشة ومالكٌ وفي يد كلّ واحد منهم عود يضرِب به على ضرب جميلة ورَقْصِها؛ فغنَّت وغنَّى القومُ على غنائها:

---

(١) وردت هذه الجملة هكذا في الأصول، وهي غير واضحة.

(٢) في جـ: «فيستغنون».

(٣) في ب، س: «ذهب على المحدث» وهو تحريف.

(٤) في ب، س: بالفضل له.

(٥) جمع: علم للمزدلفة. ووادي محسر: موضع بين منى والمزدلفة وليس من منى ولا مزدلفة بل هو واد برأسه، وقيل فيه غير ذلك. راجع «معجم البلدان» لياقوت.

(٦) في ب، س: «أمثل هذا ينزل فيه مشاهد الرجال لا والله لا ينزل هذا ولا كرامة» وهي محرفة.

(٧) كذا فيما سيأتي. وفي الأصول هنا: «وفرة شعرة» وهو تحريف. والوفرة: الشعر المجتمع على الرأس أو ما سال على الأذنين منه.

ذهب الشبابُ وليتَه لم يَذْهَبِ وعَلاَ المَفَارِقَ وَقْعُ شيبٍ مُغْرَبِ[١]
/ والغانياتُ يُرِدْنَ غيرَكَ صاحباً ويَعِدْنَكَ الهِجْرانَ بعد تقرُّبِ
/ إنّي أقولُ مقالةً بتجاربٍ حقاً ولم يُخْبِرْكَ مثلُ مجرِّبِ
صَافِ الكريمَ وكُنْ لِعِرْضِكَ صائناً وعن اللَّئيمِ ومِثْلِه فتنَكَّبِ

[١٤٤/٧] [٨/٢٢٧]

ثم دعتْ بثياب مُصَبَّغة ووَفْرة شعر مثل وفرة ابن سُرَيج فوضعتْها على رأسها، ودعت للقوم بمثل ذلك فلبِسوا، ثم ضربتْ بالعود وتمشّت وتمشّى القوم خَلْفَها، وغنّتْ وغنّوْا بغنائها بصوت واحد:

يَمْشِينَ مَشْيَ قَطَا البِطاحِ تَأَوُّداً قُبُّ البطون رواجحَ الأكفالِ
فيهنّ آنسةُ الحديثِ حَيِيّةٌ ليست بفاحشةٍ ولا مِتْفالِ[٢]
وتكون رِيقتُها إذا نَبَّهْتَها كالمسك فوق سُلافةِ الجِرْيالِ[٣]

ثم نعَرتْ ونعَر القوم طرباً، ثم جلستْ وجلسوا وخلعوا ثيابَهم ورجعوا إلى زِيِّهم، وأَذِنتْ لمن كان ببابها فدخلوا؛ وانصرف المغنّون وبقي عندها من يُطارحها من الجواري.

استزارت عبدالله بن جعفر لمجلس غناء هيأته له فزارها:

وحدّثتني عمّتي قالت: سمعت سِياطاً يحدّث أباك يوماً جميلةَ فقال: بنفسي هي وأمّي! فما كان أحسن وجهَها وخَلْقَها[٤] وغناءَها! ما خلَفتِ النساءُ مثلَها شبيهاً؛ فأعجبني ذلك. ثم قال سياط: جلستْ جميلةُ يوماً للوفادة عليها، وجعلت على رؤوس جواريها شعوراً مُسْدَلةً كالعناقيد إلى أعجازهنّ، وألبستهنّ أنواع الثياب المصبَّغة ووضعتْ فوق الشعور التيجانَ، وزيّنتهن بأنواع الحليّ، ووجّهتْ إلى عبدالله بن جعفر تستزيره، وقالت لكاتب أَمْلتْ عليه: «بأبي أنت وأمّي! قَدْرُك يَجِلّ عن رسالتي وكَرَمُك[٥] يحتمل زَلّتي؛ وذنبي لا تُقال عَثْرتُه ولا تُغْفَر حَوْبتُه. فإن / صَفَحْتَ فالصفحُ لكم مَعْشَر أهلِ البيت يُؤثر، والخيرُ والفضلُ كله[٦] فيكم مُدَّخر، ونحن العبيد وأنتم المَوَالي. فطُوبَى لمن كان لكم مُقَارِباً والي وجوهكم ناظراً! وطُوبَى لمن كان لكم[٧] مُجاوِراً، وبِعِزكم قاهراً، وبضيائكم مبصراً! والويل لمن جهِل قَدْرَكم ولم يعرِف ما أوجبه الله على هذا الخَلْق لكم! فصغيرُكم كبير بل لا صغيرَ فيكم، وكبيرُكم جليلٌ بل الجلالةُ التي وَهَبها الله عزّ وجلّ للخلق هي لكم ومقصورةٌ عليكم. وبالكتاب نسألُك وبحق الرسول ندعوك إن كنتَ نشيطاً لمجلس هَيّأتُه لك لا يحسُن إلاّ بك ولا يتمّ إلا معك، ولا يصلُح أن يُنْقَل عن موضعه، ولا يُسْلَكُ به غيرُ طريقه». فلما قرأ عبدالله الكتاب قال: إنّا لنعرف تعظيمَها لنا وإكرامَها لصغيرنا وكبيرنا. وقد علمتُ أنّها قد آلتْ أَلِيّةً ألاّ تغنّي أحداً إلاّ في منزلها. وقال للرسول: والله قد كنتُ على الركوب إلى موضع

[٨/٢٢٨]

---

(١) مغرب: أبيض.

(٢) المتفال: المتغيرة الريح لترك التطيب والأدهان.

(٣) الجريال: من أسماء الخمر.

(٤) في ب، س: «. . . وجهها وخلقها وخلقها وغناءها. . .».

(٥) في ب، س: «ولكن كرمك إلخ» بزيادة كلمة «لكن» ولعلها مقحمة من الناسخ.

(٦) هذه الكلمة ساقطة في ب، س.

(٧) في جميع الأصول عدا. ب، س: «لمن كان لكم أيضاً مجاوراً».

كذا[1] وكان في عَزْمِي المرورُ بها. فأمّا إذ وافق ذلك مُرَادَها فإنّي جاعلٌ بعد رجوعي طريقي عليها. فلمّا صار إلى بابها أدخل بعضَ مَنْ كان معه إليها وصرَف بعضَهم. فنظر إلى ذلك الحُسنِ البارع والهيئة الباذّة[2]، فأعجبه ووقع من نفسه؛ فقال: يا جميلة! لقد أوتيتِ خيراً كثيراً، ما أحسنَ ما صنعتِ! فقالت: يا سيِّدي، إنّ الجميل للجميل يصلُح، ولك هيّأتُ هذا المجلس. فجلس عبدالله بن جعفر وقامتْ على رأسه وقامت الجَوَارِي صَفَّيْنِ؛ / فأقسم ١٤٥/٧ عليها فجلستْ غيرَ بعيد. ثم قالت: يا سيِّدي، ألاَ أُغَنِّيك؟ قال: بلى! فَغَنَّتْ:

[٢٢٩/٨]

/ بَنِي شَيْبَةِ[3] الحمدِ الّذي كان وجهُه ... يُضِيءُ ظَلامَ اللّيلِ كالقمرِ البَدْرِ

كُهُولُهُم خيرُ الكهولِ ونَسْلُهم ... كنسلِ الملوكِ لا يَبُورُ ولا يحرى[4]

أبو عُتْبَةَ المُلْقِي إليك جَمَالَه ... أغرُّ هِجانُ اللَّوْنِ من نَفَرٍ زُهْرِ

لِساقِي[5] الحجيجِ ثم للخَيْرِ هاشمٍ ... وعبدِ منافٍ ذلك السيِّدِ الغَمْرِ

أبوكم قُصَيٌّ كان يُدْعَى مُجَمِّعاً ... به جمَّع اللهُ القبائلَ من فِهْرِ

فقال عبدالله: أحسنتِ يا جميلةُ وأحسنَ حُذَافَةُ ما قال! باللهِ أَعِيدِيه عليَّ فأعادته، فجاء الصوت أحسن من الارتجال. ثم دعت لكل جاريةٍ بعودٍ وأمرتْهنّ بالجلوس على كراسيّ صغارٍ قد أعدّتها لهنّ، فضربن وغنّتْ عليهنّ هذا الصوتَ وغنّى جواريها على غِنائها. فلمّا ضربنَ جميعاً قال عبدالله: ما ظننتُ أنّ مثلَ هذا يكون! وإنّه لَمِمّا يَفْتن القلبَ! ولذلك كَرِهه كثيرٌ من الناس لِما علموا فيه. ثم دعا ببَغْلته فركبها وانصرف إلى منزله. وقد كانت جميلةُ أعدّتْ طعاماً كثيراً، وكان أراد المُقام، فقال لأصحابه: تخلّفوا للغداء، فتغَدّوْا وانصرفوا مسرورين. وهذا الشعر لحُذافة[6] بن غانم[7] بن عُبيدالله بن عُوَيْج بن عَدِيّ بن كَعْب يمدح به عبد المطّلب.

[٢٣٠/٨]

/ أراد العرجي أن ينزل عليها حين فرّ من مكة فأبت وأنزلته على الأحوص:

قال وحدّثني بعض المكّيين قال:

كان العَرْجِيّ (وهو عبدالله بن عمرو بن عثمان) شاعراً سَخِيّاً شجاعاً أديباً ظريفاً. ويشبِّه شعرُه بشعر عُمَر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد بن هشام وإن كانا قُدِّما عليه؛ وقد نُسِبَ كثيرٌ من شعره إلى شعرهما، وكان صاحبَ صَيْد. فخرج يوماً متنزّهاً من مكّة ومعه جماعةٌ من غِلْمانه ومَوَاليه ومعه كِلابُه وفُهوده وصُقُوره وبوازيه نحوَ الطائف

---

(١) في ب، س: «إلى موضع كذا وكذا».

(٢) الهيئة الباذة: الغالبة الفائقة، وفي حـ: «والهيئة البارزة».

(٣) شيبة الحمد: لقب عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، لقب بذلك لكثرة حمد الناس له، لأنه كان مفزع قريش في النوائب وملجأهم في الأمور، فكان شريف قريش وسيدها كمالاً وفعالاً غير مدافع. وقيل: لأنه ولد في رأسه شيبة، وفي لفظ كان وسط رأسه أبيض، أو سمي بذلك تفاؤلاً بأن يبلغ سن الشيب. (راجع «ما يعوّل عليه في المضاف والمضاف إليه»). وفيه: وبنو شيبة الحمد.

(٤) يبور: يهلك: ويحري: ينقص.

(٥) ساقي الحجيج هو عبدالمطلب هذا، فهو الذي حفر زمزم.

(٦) في «السيرة لابن هشام» و«معجم البلدان» لياقوت: «حذيفة». وقد نسب هذا الشعر أيضاً لمطرود ابن كعب الخزاعي الشاعر. (راجع الطبري ص ١٠٨٨، ١٠٩٥ من القسم الأول طبع أوروبا، وصفحة ٥ من «كتاب الأوائل» لأبي هلال العسكري المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٧٣ تاريخ).

(٧) في الأصول: «عامر» وهو تحريف. (راجع «الطبري» ص ١٠٩٥ من القسم الأول طبع أوروبا و«معجم البلدان» لياقوت ج ٢ ص ١٤٤ طبع أوروبا والسيرة جـ ١ ص ٩٦، ١١١ طبع أوروبا، «وما يعوّل عليه في المضاف والمضاف إليه»).

إلى مالٍ له بالعَرْج ـ وبهذا الموضع سُمّي العَرْجِيّ ـ فجرى بينه وبينَ مولىً لبني أميّة كلامٌ، فأمضّه المولَى فكفَّ عنه العرجيّ حتى أوَى إلى منزله، ثم هجَم عليه ومعه غِلْمانه فأمَرهم أن يُوثِقوه، ثم أمرهم أن ينكِحوا امرأتَه وهو يراهم ففعلوا، ثم أخرجه فقتله. فبلغ أميرَ مكة ما فعل فطلَبه، فخرج من منزله وأخرج معه غِلمانَه ومَوَالِيَه وآلةَ الصَّيْد وتوجّه نحو المدينة وقد ركِب أفراسَه وأعدّ عُدّتَه. فلم يزل يتصيّد ويَقْصِف في طريقه حتى دخل المدينةَ ليلاً، وأراد المُقام في منزل جميلة، وكانت آلت ألاّ تغنّي بشعره ولا تُدْخلَه منزلَها لكثرة عَبَثه وسَفَهه وحَداثة سِنّه. فلما أعْلِمتْ بمكانه ليلاً قالت: طارق! إن له لشأناً! فاستخبرت خبرَه فقيل لها: إنه قدم مُستَخْفِياً، ولم يرَ بالمدينة موضعاً هو أطيبُ له مَن منزلك، والأيمانُ تكفَّر، والأشرافُ لا يُرَدُّون. فقالت لرسولها إليه: منزلي منزلُ جَوَازٍ. ولا يمكن مثلَك الاستخفاءُ فيه، فعليك بالأحوص ـ وكان الأحوص مُجانباً له لشيء جرى بينه وبينه في منزل جميلة ـ فقال: أنّى لي بالأحوص مع الذي كان بيننا! قالت: أئتِه عنّي وقل له: قد غنّينا بذلك الشعر؛ فأنْ أحببتَ أن تظهر وتبقى مودّتنا لك، فأصلح ما بينك وبين عبدالله، إذ أُصْلح ما بيننا، وأنْزِلْه منزلك. قال لها: ليس هذا بمُقْنِعِي؛ أمّا إذ أبَيْتِ أن أقيم بمنزلك فوَجّهي معي رسولاً إلى الأَحْوَص؛ فإنّ منزله / أحبُّ المنازل إليّ بعد منزلك. / فوجّهت معه إلى الأحوص بعضَ مَوْليَاتها؛ فأنزله الأحوص وأكرمه وأحسن جُوارَه وستَر أمرَه. فقال شعراً ووَجّه به إلى جميلة: [٢٣١/٨] [١٤٦/٧]

ألاَ قـاتَـلَ اللهُ الهَـوى كيـف أخلَقَـا ... فلـم تُلْفِـهِ إلاّ مَشُـوبـاً مُمَـذَّقَـا[1]

ومـا مـن حبيـبٍ يستـزيـر حبيبَـه ... يُعـاتبـه فـي الـودّ إلا تَفـرَّقـا

أمَـرّ وصـالُ الغـانيـاتِ فـأصبحـت ... مَضَـاضتُـه يشجَـى بهـا مَـنْ تَمَطَّقـا[2]

تعلّـق هـذا القلـبُ للحَيْـن مُعْلَقـاً ... غـزالاً تحلّـى عِقْـدَ دُرٍّ ويَـارَقـا[3]

إذا قلـتُ مهـلاً للفـؤاد عـن الّتـي ... دعتْـك إليهـا العيـنُ أغضَـى وأطْـرقـا

دعـانـا فلـم نَسْتَبْـقِ حُبّـاً بمـا نَـرَى ... فمـا منـك هـذا العـذلُ إلا تَخـرُّقـا[4]

فقـد سـنّ هـذا الحـبَّ مَـنْ كـان قبلَنـا ... وقـاد الصِّبَـا المـرءَ الكـريـمَ فـأعنقـا[5]

فلمّا قرأتْ شعرَه رقّتْ له وقالت: كيف لي بإيلائي ألاّ يدخل منزلي ولا أغنّيَه بشعره؟! فقيل لها: يدخل منزلك وتغنّين وتكفّرين عن يمينك. فوجّهتْ إليه أنْ صِرْ إلينا والأحْوَصَ في تلك الليلة، فجاءاها؛ وعرَّفت الأحوصَ تكفير اليمين؛ فقال لها: وأنا والله شفيعُه إليكِ؛ ففرِّجي ما به من غَمٍّ فقد فارق من يحبّ ويهوَى، فتُؤْنسينه وتَسُرِّينه وتغنِّينه بشعره. فغنّت:

ألاَ قـاتَـلَ اللهُ الهَـوى كيـف أخلَقَـا ... فلـم تُلْفِـهِ إلاّ مشـوبـاً مُمَـذَّقَـا

---

(١) ممذقاً: مخلوطاً، يقال: فلان يمذّق الود إذا لم يخلصه.

(٢) تمطق: تذوق وتمضغ.

(٣) اليارق: السوار.

(٤) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول:

دعـانـا فلـم نسبـق محبـاً بمـا تـرى ... فمـا منـك هـذا الغـدر إلاّ تخـرقـاً

(٥) الإعناق: السير المنبسط. يريد أن الصبا إذا قاد المرء الكريم انقاد له وجرى في ميدانه.

وحدّثني بعض أهلنا قال قال يونس بن محمد:

كان الأحوص معجباً بها وملازماً لها فصار إليها بغلام له جميل فأخرجته خوف الفتنة ثم دعتهما دعوة خاصة وغنّتهما:

كان الأحوصُ مُعْجَباً بجميلة، ولم يكن يكاد يُفارق منزلها إذا جلستْ. فصار إليها يوماً بغلام جميل الوجه يفتِن مَنْ رآه، فشغَل أهلَ المجلس، وذهبت اللحونُ عن / الجواري وخلّطن في غنائهنّ. فأشارت جميلة إلى [٨/٢٣٢] الأحوص أن أخرِج الغلام؛ فالخَلَلُ قد عمّ مجلسي وأفسد عليّ أمري. فأبى الأحوصُ وتغافل، وكان بالغلام مُعْجَباً، فآثر لَذّته بالنظر إلى الغلام مع السماع. ونظر الغلامُ إلى الوجوه الحِسان من الجواري ونظرن إليه، وكان مجلساً عاماً. فلما خافت عاقبةَ المجلس وظهورَ أمره أمرتْ بعضَ مَنْ حضر بإخراج الغلام فأُخرِج؛ وغضب الأحوص وخرج مع الغلام ولم يقلْ شيئاً؛ فأحمد[1] أهلُ المجلس ما كان من جميلة، وقال لها بعضهم: هذا كان الظنُّ بك، أكرمكِ الله! فقالت: إنه والله ما استأذنني في المجيء به ولا علمتُ به حتى رأيته في داري، ولا رأيتُ له وجهاً قبل ذلك؛ وإنه لَيَعِزّ عليّ غضبُ الأحوص، ولكن الحقّ أولى، وكان ينبغي له ألاّ يُعَرِّض نفسَه وإيّايَ لما نكره مثلَه. فلمّا تفرّق أهلُ المجلس بعثَت إليه: الذنبُ لك ونحن منه بُرءَاءُ؛ إذ كنتَ قد عرفتَ مذهبي؛ فلِم عَرّضتَني للّذي كان؛ فقد ساءني ذلك وبلغَ منّي؛ ولكن لم أجد بُدّاً من الذي رأيت إمّا حياءً وإمّا تصنُّعاً. فردّ عليها: ليس هذا لك بعذر إنّ لم تجعلي لي وله مجلساً نخلو فيه جميعاً تُمْحِينَ به ما كان منك. قالت: أفعلُ ذلك سرّاً؛ قال الأحوص: قد رَضِيتُ. فجاءاها ليلاً فأكرمتهما، ولم تُظهر واحدةً من جواريها على ذلك إلاّ عجائزَ من مَواليها. وسألها الأحوص وأقسم عليها أن تغنّيه / من شعره: ١٤٧/٧

وبالقَفْر دارٌ من جميلةَ هيجتْ ... سوالفَ حُبٍّ في فؤادِكَ مُنْصِبِ

وكانت إذا تنأى نَوًى أو تفرّقتْ ... شِدادُ الهَوَى لم تدرِ ما قولُ مِشْغَبِ[2]

أسِيلةُ مَجْرَى الدمعِ خَمْصانةُ الحَشَا ... بَرُودُ الثَّنايا ذاتُ خَلْقٍ مُشَرْعَبِ[3]

/ ترى العينُ ما تهوَى وفيها زيادةٌ ... من الحسنِ إذ تبدو ومَلْهًى لمُلْعِبِ[4] [٨/٢٣٣]

قال يونس: مالها صوتٌ أحسنُ منه، وابنُ مُحْرِزٍ يغنّيه وعنها أخذه، وأنا أغنّيه فتُعجبني نفسي ويدخلني[5] شيء لا أعرفه من النَّخْوة والتِّيه. وقال المحدِّث لي بهذا الحديث عن يونس: إنّ هذا للأحوص في جميلة. والذي عندي أنه لطُفَيْل الغَنَوِيّ قاله في ابن زيد الخيل، وهو زيد بن[6] المُهَلْهِل بن المُخْتَلِس بن عبد رُضاً أحدُ بني نَبْهان، ونَبْهان

(١) أي رضوا ما كان منها وصار عندهم محموداً.

(٢) كذا في أ، ء، م. والمشغب: المشاغب والعاند عن الحق. وفي ب، س: «لم تدر ما متشعب» ولعلها: «ما متشعبي» أي لم تدر مذهبي ولا أين طريق.

(٣) المشرعب: الطويل.

(٤) ألعب المرأة: جعلها تلعب أو جاءها بما تلعب به.

(٥) لعلها: «ويداخلني».

(٦) يلاحظ أن ما أورده المؤلف هنا من الأسماء في نسب زيد الخيل يخالف ما أورده في ترجمته (ج ١٦ ص ٤٧ طبع بلاق).

لقبٌ له، ولكنه سُودان[١] بن عمرو بن الغَوْث بن طيّىء، أغار على بني عامر فأصاب بني كِلاب وبني كَعْب، واستحرّ القتلُ[٢] في غَنِيّ بن أعْصُر ومالك بن أعْصُر؛ وأعصر هو الدخان، ولذلك قيل لهما ابنا دخان، وأخوهما الحارث وهو الطُّفَاوةُ[٣] وهو مالك بن سعد بن قيس بن عَيْلان، وغَطَفان بن سعد عمُّهم. وكانت غَنِيّ مع بني عامرٍ في دارهم مواليَ[٤] لنمير، وكان فيهم فرسانٌ وشعراء. ثم إنّ غَنِيّاً أغارتْ على طيّىء وعليهم سيار[٥] بن هريم؛ فقال في ذلك قصيدته الطويلة:

وبالقفر دارٌ من جميلة هيّجتْ ... سوالفَ شوقٍ في فؤادك مُنْصِبِ

[٨/٢٣٤] / لحنت قصيدة لعمرو بن أحمر بن العمرد في عمر بن الخطاب لحناً جميلاً، ونبذة عن ترجمة ابن أحمر:

وحدّثني أيّوب بن عَبَاية قال:

كان عمرو بن[٦] أحمر بن العَمَرّد بن عامر بن عبد شمس بن فَرّاص بن مَعْن بن مالك ابن أعْصُر بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر من شعراء الجاهليّة المعدودين، وكان ينزل الشأم، وقد أدرك الإسلام وأسلم، وقال في الجاهليّة والإسلام شعراً كثيراً وفي الخلفاء الذين أدركهم: عمرَ بنِ الخطاب فمن دونه إلى عبدالملك[٧] بن مروان، وكان في خيل خالد بن الوليد حين وجّه أبو بكر خالداً إلى الشأم؛ ولم يأتِ أبا بكر. وقال في خالد رحمه الله:

إذا قال سيفُ الله كُرُّوا عليهمُ ... كَرَرْتُ بقلبٍ رابطِ الجأش صارمِ

وقال في عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدة له طويلة جيّدة:

أدركتُ آل أبي حَفْص وأُسْرتَه ... وقبل ذاك ودهراً بعده كَلِبَا

قد ترتمي بقوافٍ بيننا دُوَلٌ ... بين الهناتين[٨] لا جِدّاً ولا لَعِبَا

اللهُ يعلم ما قولي وقولُهُم ... إذ يركبون جَنَاناً[٩] مُسْهَباً وَرِبَا

وقال في عثمان بن عفّان رضي الله عنه:

حُنّى فليس إلى عثمان مُرْتَجَعٌ ... إلاّ العداء وإلاّ مُكْنِعٌ[١٠] ضررُ

---

(١) كذا في «أسد الغابة» في «ترجمة زيد الخيل. وفي ب، س: «أسود بن عمرو». وفي «سائر الأصول: «أسودان بن عمرو». وكلاهما تحريف.

(٢) كذا في ب، س. وفي أكثر الأصول: «... واستحر القتل في غنى بن أعصر وأعصر اسمه مالك وأعصر هو الدخان ولذلك قيل لهما ابنا دخان وأخوهما... إلخ». وظاهر أن في هذه العبارة خطأ. والذي في كتاب «المعارف» لابن قتيبة أن أعصر بن سعد ولد غنى بن أعصر وممن بن أعصر وهو أبو باهلة ومنبه بن أعصر وهم الطفاوة». وفيما بينه وبين ما في الأصول هنا خلاف كبير.

(٣) كذا في الأصول. ولعل صواب العبارة: «وهو الطفاوة بن أعصر بن سعد... إلخ».

(٤) في الأصول: «مواليا لنمير».

(٥) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «سنان بن هديم».

(٦) كذا في نسخة المرحوم الشنقيطي و«الشعر والشعراء والمعارف» لابن قتيبة. وفي الأصول: «عمر بن أحمد بن العمرد». وهو تحريف.

(٧) وقيل: إنه مات في عهد عثمان رضي الله عنه. (راجع «معجم الشعراء» للمرزباني).

(٨) في ب، س: «بين الهباتين». ولم نهتد إلى الصواب فيه.

(٩) الجنان: الأمر الخفيّ. والورب (وزان فرح): الفاسد. أي يركبون أمراً ملتبساً فاسداً. (راجع «اللسان» مادة جنن).

(١٠) كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «مكبع صور» والمكنع: الذليل الحقير.

/ إخالُها سَمِعت عَزْفاً فتحسَبه إهابةَ القَسْرِ ليلاً حين تنتشر [1] [٨/ ٢٣٥]

وقال في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

/ مَنْ مُبْلِغٌ مَألُكاً عنّي أبا حَسَنٍ فارتَحْ لخَصْمٍ هداك الله مظلومِ ١٤٨/٧

فلما أُنشدتْ جميلةُ قصيدتَه في عمر بن الخطاب، قالت: والله لأعملنّ فيها لحناً لا يسمعه أحدٌ أبداً إلا بكى. قال إبراهيم: وصدَقَتْ؛ والله ما سمعتُه قَطُّ إلا أبكاني؛ لأني أجِد حين أسمعه شيئاً يضغَط قلبي ويَحْرِقه فلا أملك عيني، وما رأيتُ أحداً قطُّ سمعه إلا كانت هذه حالَه.

صوت
من المائة المختارة

يا دارَ عَبْلةَ من مَشارِقِ مَأسَلِ دَرَس الشؤونُ وعهدُها لم يَنجلِ

فاستبدلتْ عُفْرَ الظِّباء كأنما أبعارُها في الصَّيف حَبُّ الفُلْفُلِ

تمشي النَّعامُ به خلاءً حولَه مَشْيَ النَّصارى حولَ بيت الهيكلِ

إحذَرْ مَحَلَّ السّوءِ لا تَحْلُلْ به وإذا نَبا بك منزلٌ فتحوَّلِ

الشعر، فيما ذكر يحيى بن عليّ عن إسحاق، لعَنْترة بن شَدّاد العَبْسيّ. وما رأيت هذا الشعر في شيء من دواوين شعر عنترة، ولعله من رواية لم تقع إلينا؛ فذكر غير أبي أحمد أنّ الشعر لعبد قيس بن خُفَاف البُرْجُميّ، إلا أنّ البيت الأخير لعنترة صحيح لا يُشَكّ فيه. والغناء لأبي دُلَف القاسم بن عيسى العِجْليّ، ولحنه المختار، على ما ذكره / أبو [٨/ ٢٣٦] أحمد، من الثقيل الأوّل. وذكر ابن خُرْداذبه أنّ لحن أبي دُلَف خفيفُ ثقيل بالوسطى. وذكر إسحاق أنّ فيه لمعبد لحناً من الثقيل الأوّل المطلق في مجرى الوسطى، وأن فيه لأبي دُلَف لحناً ولم يجنّسه. وذكر حبش أن فيه لابن مُحْرِز ثاني ثقيل بالوسطى، وأن لابن سُرَيج في البيت الثاني ثقيلاً أوّل، وذكر ابن خرداذبه أن خفيف الثقيل لمالك، وليس ممن يعتمد على قوله. وقد ذكر يونس أيضاً أن فيه غناء لمالك ولم يذكر جنسه ولا طريقته.

---

(١) العزف: الصوت. والإهابة: مصدر أهاب بالشيء إذا دعاه. والقسر: اسم رجل كان راعياً لابن أحمر هذا. وتنتشر: تتفرق، يقال: انتشرت الإبل إذا تفرقت عن غرة من راعيها. وورد هذا البيت في ب، س:

إخالها شممت عرفاً فتحسبه إهابة القصر ليلاً حين تنتشر

وهو تحريف.

[٨/٢٣٧]

/ ذكر عنترة ونسبه وشيء من أخباره

نسب عنترة:

أمه أمة حبشية، كان أبوه نفاه ثم ألحقه بنسبه:

هو عَنْتَرةُ بن شَدّاد، وقيل: ابن عمرو بن شدّاد، وقيل: عنترة بن شدّاد بن عمرو بن معاوية بن قَراد بن مخزوم بن ربيعة، وقيل: مخزوم بن عوف بن مالك ابن غالب بن قُطَيْعة بن عَبْس بن بَغِيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر. وله لقبٌ يقال له عنترة الفَلْحاء؛ وذلك لتشقُّق شَفتيه. وأمّه أمَةٌ حبشيّة يقال لها زَبِيبة، وكان لها ولدٌ عَبِيدٌ من غير شدّاد، وكانوا إخوته لأمّه. وقد كان شدّاد نفاه مرّةً ثم اعترف به فألحق بنسبه. وكانت العرب تفعل ذلك، تستعبد بني الإماء، فإن أنجب اعترفت به وإلّا بقِي عبداً.

حرشت عليه امرأة أبيه فضربه أبوه فكفته عنه فقال فيها شعراً:

فأخبرني عليّ بن سليمان النحويّ الأخفش قال أخبرنا أبو سَعِيد الحسن بن الحسين السكّريّ عن محمد بن حَبِيبَ، قال أبو سعيد وذكر ذلك أبو عمرو الشَّيْبانيّ، قالا: كان عنترة قبل أن يدّعيه أبُوه حرّشتْ عليه امرأة أبيه وقالت: إنه يُراودني عن نفسي؛ فغضِب من ذلك شدّاد غضباً شديداً وضربه ضرباً مبرِّحاً وضربه بالسيف؛ فوقعت عليه امرأة أبيه وكفّته عنه. فلما رأتْ ما به من الجِراح بكتْ ـ وكان اسمها سُمَيّة وقيل: سُهَيّة[1] ـ فقال عَنْتَرة:

١٤٩/٧

/ صوت

أَمِنْ سُمَيّـةَ دمعُ العيـن مـذروفُ ... لـو أنّ ذا منكِ[2] قبل اليوم معروفُ

[٨/٢٣٨] / كـأنّهـا يـوم صـدّتْ مـا تكلّمنـي ... ظَبْيٌ بعُسْفانَ[3] ساجي العَيـن[4] مطروفُ

تَجَلّلتنـيَ إذ أهـوَى العَصَـا قِبَلِـي ... كـأنّهـا صَنَـمٌ يُعتـادُ معكـوف

العبـدُ عبـدُكُـم والمـالُ مـالُكُـم ... فهـل عـذابُـك عنّـي اليوم مصـروفُ

تنسَـى بـلائـي إذا مـا غـارةٌ لَحِقـتْ ... تخـرُج منهـا الطُّـوَالاتُ السَّـراعيـف

---

(١) كذا في أ، وهو المعروف. وفي سائر الأصول: «سمينة».

(٢) كذا في «ديوانه» نسخة مخطوطة بقلم المرحوم الشنقيطي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٨٣٧ أ، ب، ش). وفيما سيأتي في جـ، أ في شرح الأبيات، وفي الأصول هنا: «فيك».

(٣) عسفان: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة، وقيل فيها غير ذلك.

(٤) في بعض الأصول: «ساجي الطرف»، وهو الأكثر في الاستعمال.

يخـرُجـن منهـا وقـد بُلّـتْ رَحـائلهـا بـالمـاء تـركُضهـا[1] الشُّـمُّ الغطـاريـف

قـد أطعُـن الطعنـةَ النَجْـلاء عـن عُـرُضٍ تَصْفَـرُّ كَـفُّ أخيهـا وهـو منـزوف

غنّى في البيت الأوّل والثاني عَلّوية، ولحنه من الثقيل الأوّل مطلق في مجرى البنصر، وقيل: إنه لإبراهيم. وفيهما رَمَلٌ بالوسطى يقال: إن لابن سُرَيج، وهو من منحول ابن المكيّ.

قوله «مذروف»: من ذَرَفت عينُه، يقال: ذَرَفت تَذْرِفُ ذَرِيفاً وذَرْفاً، وهو قَطْرٌ يكاد يتصل. وقوله: «لو أنّ ذامنك قيل اليوم معروف». أي قد أنكرتُ هذا الحنوّ والإشفاقَ منك، لأنه لو كان معروفاً قبل ذلك لم يُنكره. «ساجي العين». ساكنها. والساجي: الساكن من كل شيء. «مطروف»: أصابت عينَه طَرْفةٌ، وإذا كان كذلك فهو أسكن لعينه. «تجللتني»: ألقت نفسها عليّ. و«أهوى»: اعتمد. «صنم يعتاد» أي يُؤْتَى مرّةً بعد مرّة. و«معكوف»: يُعْكَفُ عليه. و«السّراعيف»: السِّراع، واحدتها سُرْعوفة. و«الطُّوالات»: الخيل. والرحائل: السروج. والشمم: ارتفاع في الأنف. و«الغطاريف»: الكرام والسادة أيضاً. والغطرفة: ضرب من السير والمشيء يُختال فيه. و«النجلاء»: الواسعة، / يقال: سِنَانٌ مِنْجَلٌ: واسع الطعنة: «عن عُرُض» أي عن شِقٍّ وحَرْف. وقال غيره: أعْتَرِضه [٨/٢٣٩] اعتراضاً حين أقتُله.

سبب ادعاء أبيه إياه:

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني عمّي عن ابن الكلبيّ، وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيبة قال قال ابن الكلبيّ:

شَدّادٌ جَدُّ عنترةَ غلَب على نَسَبه، وهو عنترة بن عمرو بن شدّاد؛ وقد سمعتُ من يقول: إنما شدّاداً عمُّه، كان نشأ في حِجْره فنُسب إليه دون أبيه. قال: وإنّما ادّعاه أبوه بعد الكِبَر؛ وذلك لأن أمّه كانت أمَةً سوداء يقال لها زَبِيبة، وكانت العربُ في الجاهليّة إذا كان للرجل منهم ولدٌ من أَمةٍ استعبدوه. وكان لعنترة إخوةٌ من أُمّة عبيدٌ. وكان سببُ ادّعاء أبي عنترةَ إيّاه أنّ بعض أحياء العرب أغاروا على بني عَبْس فأصابوا منهم واستاقوا إبلاً، فتبِعهم العَبْسيّون فلَحِقُوهم فقاتلوهم عمّا معهم وعنترةُ يومئذٍ فيهم؛ فقال له أبوه: كُرَّ يا عنترةُ. فقال عنترة: العبدُ لا يُحْسِنُ الكَرّ، إنما يُحْسِن الحِلاَبَ والصَّرّ. فقال: كرّ وأنت حرّ. فكَرّ وهو يقول:

أنـا الهجيـنُ عَنْتَـرهْ كـلُّ امـرىء يحمِـي حِـرَه

أسـوَدَه وأحمـرَه والشَّعَـرَاتِ [المُشْعَـره][2]

الوارداتِ مِشْفَره[3]

وقاتلَ يومئذ قتالاً حسناً، فادّعاه أبوه بعد ذلك وألحقَ به نسبَه.

وحكى غير ابن الكلبيّ / أنّ السببَ في هذا أنّ عبساً أغاروا على طيّىء، فأصابوا نَعَماً، فلما أرادوا القِسْمة [١٥٠/٧] قالوا لعنترة: لا نَقسِم لك نصيباً مثلَ أنصبائنا لأنك عبد. فلما طال الخَطْبُ بينهم كرّتْ عليهم طيّىء؛ فاعتزلهم عنترة

(١) كذا في «ديوانه» وفي الأصول: «يقدمها».

(٢) التكملة عن الديوان. والشطر كله ساقط من ب، س..

(٣) في أكثر الأصول: «مسفرة بالسين المهملة، والتصويب عن أ، كتاب «الشعر والشعراء»

[٨/٢٤٠] وقال: دُونَكم القومَ، فإنكم / عَدَدُهم. واستنقذت طيّء الإبل. فقال له أبوه: كرّ يا عنترةُ. فقال: أوَ يُحْسِنُ العبد الكَرّ! فقال له أبوه: العبدُ غيرُك، فأعترف به، فكَرّ وأستنقذ النَّعَم. وجعل يقول:

أنـــــا ٱلهجيـــــنُ عَنْتَـــــرَهْ   كـــلُّ أمـــرىء يحمِـــي حِـــرَهْ

الأبيات.

قال ٱبن الكلبيّ: وعنترةُ أحدُ أَغْرِبة العرب، وهم ثلاثة[١]: عنترة وأُمّه زَبِيبة، وخُفَاف بن عُمَيْر الشَّرِيديّ وأُمّه نُدْبة، والسُّلَيْك بن عُمَيْر السَّعْديّ وأُمّه السُّلَكَةُ، وإليهنّ يُنسبون. وفي ذلك يقول عنترة:

إنّـي أمـرؤٌ مـن خيـر عَبْـسٍ مَنْصِبـاً   شَطْـرِي وأحمِـي سـائـري بـالمُنْصُـلِ

وإذا الكتيبـةُ أحجمـتْ وتـلاحظـت   أُلفيـتُ خيـراً مـن مُعَـمٍّ مُخْـوِلِ

يقول: إنّ أبي من أكرم عَبْس بشطري، والشطرُ الآخر ينوب عن كرم أُمّي فيه ضَرْبي بالسيف، فأنا خيرٌ في قومي ممن عَمُّه وخالُه منهم وهو لا يُغني غَنائي. وأحسب أنّ هذه القصيدة هي التي يُضاف إليها البيتان اللذان يُغَنَّى فيهما، وهذه الأبيات قالها في حرب داحِس والغَبْراء[٢].

[٨/٢٤١] / حامى عن بني عبس حين انهزمت أمام تميم، فسبه قيس بن زهير فهجاه:

قال أبو عمرو الشَّيْبانيّ: غزتْ بنو عَبْس بني تميم وعليهم قَيْس بن زُهَيْر، فانهزمت بنو عَبْس وطلبتْهم بنو تميم، فوقف لهم عنترة، ولحِقتهم كَبْكَبَةٌ من الخيل، فحامَى عنترةُ عن الناس فلم يُصَبْ مُدْبِرٌ[٣]. وكان قيس بن زُهَير سَيِّدَهم، فساءه ما صنع عنترةُ يومئذ، فقال حين رجع: والله ما حمَى الناسَ إلا ٱبنُ السوداء. وكان قيس أكولا. فبلغ عنترةَ ما قال؛ فقال يعرّض به قصيدتَه التي يقول فيها:

صوت

بَكَـرَتْ تُخَـوِّفُنـي الحُتـوفَ كـأنّنـي   أصبحـتُ عـن عَـرَضِ الحُتـوف بمَعْـزِلِ

فـأجبتُهـا أنّ المنيّـةَ مَنْهَـلٌ   لا بـدّ أن أُسْقَـى بكـأس المنهـلِ

فـاقْنَـيْ حيـاءَكِ لا أبـالَـكِ واعلمـي   أنّـي أمـرؤ سـأمـوت إن لـم أُقْتَـلِ

إنّ المنيّـةَ لـو تُمَثَّـلُ مُثِّلَـتْ   مِثْلـي إذا نـزلـوا بضَنْـكِ المنـزلِ

إنـي أمـرؤ مـن خيـر عَبْـسٍ مَنْصِبـاً   شَطْـرِي وأحمِـي سـائـري بـالمُنْصُـلِ

وإذا الكتيبـةُ أَحْجَمـتْ وتـلاحظـتْ   أُلْفِيـتُ خيـراً مـن مُعِـمٍّ مُخْـوَلِ

---

[١] اقتصر المؤلّف على هذا العدد في أغربة العرب وهم الذين جاءهم السواد من قبل أمهاتهم. وذكر غيره أكثر من ذلك، فمنهم في الجاهلية عنترة بن شدّاد وخفاف بن عمير بن الحارث وقيل: إنه مخضرم، وأبو عمير بن الحباب السلميّ وسليك بن السلكة وهشام بن عقبة بن أبي معيط وهو مخضرم، ومنهم في الإسلام عبدالله بن خازم وعمير بن أبي عمير بن الحباب السلميّ وهمام بن مطرف التغلبيّ ومنتشر بن وهب الباهلي ومطر بن أوفى المازنيّ وتأبط شرّاً والشنفري وحاجز غير منسوب. (راجع «القاموس وشرحه مادة غرب»).

[٢] راجع عن حرب داحس والغبراء الحاشية رقم ٤ ص ٣٣ جـ ٥ من هذه الطبعة.

[٣] في الأصول: «فلم يصب مدبراً».

والخيـــلُ تعلـــم والفـــوارسُ أنّنـــي فـــرّقـــتُ جَمْعَهـــمُ بضـــربـــةِ فيصـــلِ
إذ لا أبَـــادِر فـــي المَضِيـــق فـــوارســـي أوَ لا [١] أوَكّـــلُ بـــالـــرَّعِيـــلِ الأوّل
إن يُلحَقُـــوا أكْـــرُرْ وإنْ يُستَلْحَمُـــوا أشْـــدُدْ وإن يُلْفَـــوْا بضَنْـــكٍ [٢] أنـــزِلِ
حيـــن النـــزولُ يكـــون غـــايـــةَ مثلنـــا ويَفِـــرّ كـــلُّ مُضلَّـــلٍ مُسْتَـــوْهِـــلِ [٣]
والخيـــلُ ســـاهمـــةُ الـــوجـــوهِ كـــأنمـــا تُسْقَـــى فـــوارسُهـــا نقيـــعَ الحنظـــل
/ ولقـــد أبِيـــتُ علـــى الطّـــوَى وأظَلُّـــه حتـــى أنـــالَ بـــه كـــريـــمَ المـــأكـــلِ

١٥١/٧

/ عَرُوضه من الكامل. غنّت في الأربعة الأبيات الأول والبيت الثاني عَرِيبُ خفيفَ رمل بالبنصر من رواية الهشاميّ وابن المعتزّ وأبي العُبَيْس. [٨/ ٢٤٢]

«الحتوف»: ما عرض للإنسان من المكاره والمتالف. «عن عَرَض» أي ما يعرف منها. «بمعزل» أي في ناحية معتزلة عن ذلك. و«منهل»: مورد. وقوله: «فاَقْني حياءك» أي أحفظيه ولا تضيِّعيه. و«الضَّنْك»: الضيق. يقول: إن المنيّة لو خُلِقتْ مِثالاً لكانت في مثل صورتي. و«المَنصِب»: الأصل. و«المُنْصُل»: السيف، ويقال مُنْصَل أيضاً بفتح الصاد. وأحجمت: كَعَّتْ [٤]. و«الكتيبة»: الجماعة إذا أجتمعت ولم تنتشر [٥]. و«تلاحظت»: نظرتْ مَنْ يُقْدِم على العدوّ. وأصل التلاحظ النظر من القوم بعضهم إلى بعض بمُؤْخِر العين. و«الفيصل»: الذي يفصِل بين الناس. وقوله: «لا أبادر في المضيق فوارسي» أي لا أكون أوّل منهزم ولكني أكون حاميتهم. و«الرعيل»: القطعة من كل شيء. و«يُستَلْحموا»: يُدْرَكوا [٦]. والمُستَلْحِم: المُدْرَك؛ وأنشد الأصمعيّ:

نَجّـى عـلاجـاً وبِشْـراً كـلُّ سَلْهَبَـةٍ [٧] وأستلحـم المـوتُ أصحـابَ البـرَاذيـنِ

و«ساهمة»: ضامرة متغيِّرة، قد كَلَحَ [٨] فوارسُها لشدّة الحرب وهَوْلها. وقوله: «ولقد أبيت على الطوى وأظله». قال الأصمعيّ: أبيت بالليل على الطَّوَى وأظَلّ بالنهار كذلك حتى أنال به كريم المأكل أي ما لا عيبَ فيه عليّ، ومثله / قوله: إنه ليأتي عليّ اليومان لا أذوقُهما طعاماً ولا شراباً أي لا أذوق فيهما. والطَّوَى: خَمَصُ البطن، يقال: رجل طَيّان وطاوِي البطن. [٨/ ٢٤٣]

أنشد النبي ﷺ بيتاً من شعره فود لو رآه:

وأخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا ابن عائشة قال:

أُنشِد النبيُّ ﷺ قولَ عَنْتَرَةَ:

---

(١) في الأصول: «ولا أوكل» بدون ألف الاستفهام، والتصويب عن «اللسان وشرح القاموس» (مادة رعل).

(٢) «في الديوان»: «وإن يرموا بدهم أنزل».

(٣) المستوهل: الضعيف الفزع.

(٤) كع (من بابي ضرب ونصر): جبن وضعف.

(٥) كذا في «المخصص» (ج ٦ ص ١٩٨) وفي الأصول: «ولم تنشرف» وهو تحريف.

(٦) عبارة «اللسان» (مادة «لحم»): واستلحم (مجهولاً): روهق في القتال، واستلحم الرجل: إذا احتوشه العدوّ في القتال.

(٧) السلهبة: الفرس الطويل، يطلق على الذكر والأنثى.

(٨) هذا تفسير لقوله: «كأنما تسقى فوارسها نقيع الحنظل».

ولقد أبيتُ على الطَّوَى وأظَلُّه ... حتّى أنالَ به كريمَ المأكل

فقال ﷺ: «ما وُصِف لي أعرابيٌّ قَطُّ فأحببتُ أن أراه إلاّ عنترةَ».

كيف ألحق أخوته لأمه بنسب قومه:

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيد السكّريّ عن محمد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ وأبي عُبَيدة:

أن عنترة كان له إخوة من أمّه، فأحبّ عنترةُ أن يدّعيَهم قومُه؛ فأمر أخاً له كان خيرَهم في نفسه يقال له «حنبل»، فقال له: أَرْوِ مُهْرَك من اللَّبن ثم مُرَّ به عليَّ عشاءً. فإذا قلت لكم: ما شأنُ مُهْرِكم مُتَخَدِّداً[1] مهزولاً ضامراً، فأضرب بطنَه بالسيف كأنك تُريهم أنك قد غَضِبتَ مما قلتُ: فمَرّ عليهم، فقال له: يا حنبل، ما شأنُ مهركم متخدّداً أعجرَ[2] من اللبن؟ فأهوَى أخوه بالسيف إلى بطن مُهْره فضربه فظهر اللبن. فقال في ذلك عَنْتَرةُ:

أَبَنِي زَبِيبَةَ ما لِمُهْرِكُمُ ... مُتَخَدِّداً وبطونُكم عُجْرُ

أَلَكُم بإيغالِ الوليدِ على ... أَثَرِ الشِّياه بشِدَّةٍ خُبْرُ[3]

[٨/٢٤٤] / وهي قصيدة. قال: فأستلاطه[4] نفرٌ من قومه ونفاه آخرون. ففي ذلك يقول عنترة:

أَلاَ يا دارَ عَبْلَةَ بالطَّوِيِّ ... كرَجْعِ الوَشْمِ في كَفِّ الهَدِيِّ[5]

وهي طويلة يُعدِّد فيها بلاءَه وآثاره عند قومه.

جوابه حين سئل أنت أشجع العرب:

[١٥٢/٧] أخبرني عمّي قال أخبرني الكُرَانيّ عن / النَّضْر بن عمرو عن الهَيْثم بن عَدِيّ قال:

قيل لعنترة: أنت أشجعُ العربِ وأشدُّها؟ قال لا. قيل: فبماذا شاع لك هذا في الناس؟ قال: كنت أُقْدِمُ إذا رأيتُ الإقدام عَزْماً، وأُحْجِمُ إذا رأيتُ الإحجام حَزماً، ولا أدخلُ إلا موضعاً[6] أرى لي منه مَخْرَجاً، وكنتُ أعتمِد الضعيفَ الجبانَ فأضربُه الضربةَ الهائلةَ يطير لها قلبُ الشُّجاع فأَثْنِي عليه فأقتله.

أخبرني حبيب بن نَصْر وأحمد بن عبدالعزيز قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال:

قال عمر بن الخطاب للحُطَيْئة: كيف كنتم في حربكم؟ قال: كنا ألفَ فارس حازمٍ. قال: وكيف يكون ذلك؟ قال: كان قيس بن زُهَيْر فينا وكان حازماً فكنا لا نعصيه. وكان فارسنا عنترةَ فكنّا نحمِل إذا حمل ونُحْجِم إذا أحجم. وكان فينا الرَّبيع بن زِياد وكان ذا رَأْيٍ فكنا نستشيره ولا نُخالِفه. وكان فينا عُرْوة بن الوَرْد فكنّا نأتمّ بشعره، فكنا كما وصفتُ لك. فقال عمر: صدَقتَ.

---

(١) المتخدد: المهزول. وفي الأصول: «متخدراً» في المواضع الثلاثة. والتصويب عن «اللسان» (مادة عجر).

(٢) بطن أعجر: ملآن.

(٣) رواية هذا البيت في «الديوان»:

ألكم بآلاء الوشيج إذا ... مر الشياه بوقعة خبر

والمراد في كلتا الروايتين غامض.

(٤) استلاطه قومه: ألصقوه بهم وادّعوه.

(٥) الطويّ: موضع. والهديّ: العروس.

(٦) كذا في م. وفي سائر الأصول: «ولا أدخل موضعاً إلاّ أرى منه مخرجاً».

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيد السكريّ قال قال محمد بن حَبيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل عن أبي عبيدة[١] وابن الكلبيّ قالا:

/ **موته واختلاف الروايات في سببه:** [٢٤٥/٨]

أغار عنترةُ على بني نَبْهان من طيّئ فطَرَد[٢] لهم طريدةً وهو شيخ كبير، فجعل يرتجز وهو يطرُدها ويقول:

آثارُ ظُلْمَانٍ بقاعٍ مُحْرِب[٣]

قال: وكان زِرّ[٤] بن جابر النَّبْهانيّ في فُتُوّة، فرماه وقال: خذها وأنا آبن سَلْمَى، فقطع مَطَاه[٥]؛ فتحامل بالرَّمِيّة حتى أتى أهلَه؛ فقال وهو مجروح:

وإنّ آبـنَ سَلْمَـى عنـده فـأعلمـوه دَمـي ... وهيهاتَ لا يُرْجَى آبن سلمى ولا دَمِي
يحـلُّ بـأكنـاف الشِّعـاب وينتمـي[٦] ... مكـانَ الثُّـرَيَّـا ليـس بـالمُتَهَضَّـمِ
رمـانـي ولـم يَـدْهَـشْ بـأزرقَ لَهْـذَمٍ ... عشيّـةَ حلُّـوا بيـن نَعْـفٍ[٧] ومَخْـرِمِ

قال ابن الكلبي: وكان الذي قتله يلقّب بالأسد الرهيص[٨]. وأما أبو عمرو الشَّيْبانيّ فذكر أنه غزا طيّئاً مع قومه، فانهزمت عَبْسٌ، فخرّ عن فرسه ولم يَقْدِرْ من الكِبَر أن يعود فيركب؛ فدخل دَغَلاً، وأبصره رَبيئةُ[٩] طَيّء فنزل إليه، وهاب أن يأخذه أسيراً فرماه وقتله.

وذكر أبو عبيدة أنه كان قد أسنّ وآحتاج وعجز بِكِبَرِ سِنّه عن الغارات، وكان له على رجل من غَطَفان بَكْرٌ، فخرج يتقاضاه إيّاه، فهاجت عليه ريحٌ من صَيْف وهو بين شَرْجٍ[١٠] وناظرة، فأصابته فقتلتْه.

/ **كان أحد الذين يباليهم عمرو بن معد يكرب:** [٢٤٦/٨]

قال أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلّام قال:

كان عمرو بن معد يكرب يقول: ما أُبالي مَنْ لَقِيتُ من فُرْسان العرب ما لم يلقَني حُرَّاها وهَجِيناها. يعني بالحُرَّيْنِ عامرَ بن الطُّفَيْل وعُتَيْبةَ بن الحارث بن شِهَاب، وبالعَبْدَيْن عنترةَ والسُّلَيْكَ بن السُّلَكة.

---

(١) في الأصول: «... عن المفضل وعن ابن حبيب عن ابن الكلبيّ قالا». والظاهر أنه محرف عما أثبتناه فقد تقدّمت رواية المفضل عن أبي عبيدة وابن الكلبيّ في أكثر من موضع في هذا الجزء والأجزاء السابقة، وبعيد أن تكون له رواية عن ابن حبيب.

(٢) طرد الطريدة: ساقها. وفي الأصول: «فأطرد لهم طريدة» وليس في معجمات اللغة «أطرد» بمعنى ساق الذي هو المراد هنا.

(٣) ظلمان (بضم الظاء وكسرها): جمع ظليم وهو ذكر النعام. والقاع: أرض سهلة مطمئنة تنفرج عنها الجبال والآكام. ومحرب، لعل صوابه «مجدب» بالدال.

(٤) في ب، س، جـ: «وزر بن جابر».

(٥) المطا: الظهر.

(٦) كذا في «ديوان عنترة» (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٩٣٧ أدب). وفي الأصول: «إذا ما تمشي بين أجبال طي مكان الثريا إلخ».

(٧) النعف: ما انحدر عن السفح وغلظ. والمخرم: منقطع أنف الجبلي.

(٨) الأسد الرهيص: الذي لا يبرح مكانه كأنه رهص (شدخ) باطن حافره حجر، فهو كأنه لا يستطيع المشي خبثاً وتيهاً.

(٩) الربيئة: الطليعة.

(١٠) شرج وناظره: ماءان لبني عبس.

هذه أخبار عنترة قد ذكرت فيها ما حضر.

* * *

نبذة عن عبد قيس بن خفاف البرجمي:

وأمّا عبد قَيْس بن خُفَاف البُرْجُمِيّ فإنّي لم أجد له خبراً أذكره إلاّ ما أخبرني به جعفر بن قُدَامة قال: قرأت في كتابٍ لأبي عثمان المازنيّ: كان عبد قَيْس بن خُفَاف البُرْجُمِيّ أتى حاتمَ طيّىء في دِماء حمَلها عن قومه فأسلموه فيها وعجَز عنها، فقال: والله لآتينّ مَنْ يحمِلها عنّي، وكان شريفاً شاعراً شُجاعاً؛ فقدِم على حاتم وقال له: إنه وقعت بيني وبين قومي دماءٌ فتواكلوها، وإني حملتها في مالي وأهلي، فقدّمتُ مالي وأخّرتُ أهلي، وكنتَ أوثقَ الناس في نفسي. فإن تحمّلتَها فكَمْ من حَقٍّ قَضَيْتَه وهَمٍّ / كَفَيْتَه، وإن حال دون ذلك حائلٌ لم أذمُمْ يومَك ولم آنس غدَك؛ ثم أنشأ يقول: ١٥٣/٧

حملــتُ دمــاءً للبَــرَاجِــمِ جَمّــةً ... فجئتُــكَ لمّــا أسلمتْنــي البــراجــمُ

وقــالــوا سَفَــاهــاً لِــمْ حَمَلــتَ دمــاءَنَــا ... فقلــتُ لهــم يكفــي الحَمَــالــةَ حــاتــمُ

متــى آتــه فيهــا يَقُــلْ لِــيَ مــرحبــاً ... وأهــلاً وسهــلاً أخطــأتْــكَ الأشــائــم

فيحملهــا عنّــي وأن شئــتُ زادَنــي ... زيــادةَ مَــنْ حِيــزَتْ إليــه المكــارمُ

يعيــش النَّــدَى مــا عــاش حــاتــمُ طَيّــىءٍ ... وإن مــات قــامــت للسخــاء مــآتــمُ

يُنــادِيــنَ مــات الجــودُ مَعْــك فــلا نَــرَى ... مُجيبــاً لــه مــا حــام فــي الجــوِّ حــائــم

وقــال رجــال أنهــبَ العــامَ مــالَــه ... فقلــتُ لهــم إنّــي بــذلــك عــالــم

ولكنــه يُعطــى مِــنَ أمــوال طَيّــىءٍ ... إذا حلّــق المــالَ الحقــوقُ اللّــوازمُ

/ فيُعْطِــي الّتــي فيهــا الغِنَــى وكــأنــه ... لتصغيــره تلــك العطيّــةَ جــارمُ [٢٤٧/٨]

بــذلــك أوصــاه عَــدِيٌّ[١] وحَشْــرَجٌ ... وسَعْــدٌ وعبــدُالله تلــك القَمَــاقِــمُ

فقال له حاتم: إني كنتُ لأُحِبّ أن يأتيني مثلُك من قومك، وهذا مِرْباعي[٢] من الغارة على بني تميم فخذه وافراً، فإنْ وَفَى بالحَمالةِ وإلا أكملتُها لك، وهي مائتا بعير سوى نيبِها[٣] وفِصالها، مع أنّي لا أُحِبّ أن تُؤَبّس[٤] قومَك بأموالهم. فضحِك أبو جُبَيْل[٥] وقال: [لكم ما أخذتم منّا ولنا ما أخذنا[٦] منكم]، وأيّ بعير دفعتَه إليّ وليس ذَنَبُه في يد صاحبه فأنت منه بريء. فأخذها وزاده مائةَ بعير، وانصرف راجعاً إلى قومه. فقال حاتم:

---

(١) هؤلاء الذين وردوا في البيت هم أجداد حاتم، فهو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدي بن أخزم. والقماقم: جمع قمقام وهو السيد العظيم.

(٢) المرباع: ما يأخذه الرئيس من الغنيمة خاصة دون أصحابه وهو ربع الغنيمة.

(٣) كذا في نسخة الشنقيطي مصححة بقلمه. وفي الأصول: «سوى بنيها» وهو تصحيف.

(٤) تؤبس: توبخ وتؤنب.

(٥) كذا في كتاب «المفضليات» للضبي ونسخة الشنقيطي مصححة بخطه. وفي الأصول: «أبو جميل» بالميم وهو تحريف. وأبو جبيل: كنية عبد قيس بن خفاف، كما هو ظاهر من السياق.

(٦) هذه الجملة غير واضحة المناسبة في هذا الكلام.

أتـــانــي البُــرْجُمِــيّ أبــو جُبَيْــلٍ لِهَــمٍّ فــي حَمَــالتِــه طــويــلِ
فقلــت لــه خُــذِ المربــاعَ منهــا فــإنّــي لســتُ أرضَــى بــالقليــلِ
علــى حــالٍ ولا عــوّدتُ نفســي علــى عِــلاّتهــا عِلَــلَ البخيــلِ
فخُــذْهــا إنهــا مــائتَــا بعيــرٍ ســوى النــابِ الــرذِيَّــة والفصيــلِ
ولا مَــنٌّ عليــك بهــا فــإنّــي رأيــتُ المَــنَّ يُــزري بــالجميــلِ
فــآبَ البُــرْجُمِــيُّ ومــا عليــه مِــنَ أعبــاء الحَمــالــةِ مــن فتيــلِ
يَجُــرُّ الــذّيْــلَ ينفُــض مِــذْرَوَيْــهِ[1] خفيــفَ الظهــر مــن حمــلٍ ثقيــلِ



(١) يقال: جاء فلان ينفض مذرويه، إذا جاء باغياً يتهدّد. والمذري: في الأصل: طرف الألية.

[٨/٢٤٨]

/ ذكر أبي دُلَف ونسبه وأخباره

نسب أبي دلف ومكانته:

هو القاسم بن عيسى بن إدريس، أحد بني عِجْل بن لُجَيْم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل. ومَحَلُّه في الشجاعة وعُلُوّ المحلّ عند الخلفاء وعِظَم الغَنَاء في المَشَاهد وحُسْنِ الأدب وجودة الشعر محلٌّ ليس لكبير أحد[1] من نُظَرائه. وذكرُ ذلك أجمع مما لا معنى له لطُوله؛ وفي هذا القدر من أخباره مَقْنَع. وله أشعارٌ جِيادٌ، وصنعةٌ كثيرة حسنة. فمن جيِّد شعره وله فيه صنعة قولُه:

صوت

بنفسي يا جِنَانُ وأنتِ مِنِّي ... محلَّ الروح من جَسَد الجَبَانِ

/ ولو أنّي أقول مكانَ نفسي ... خَشِيتُ عليكِ بادرةَ الزمانِ

لإقدامي إذا ما الخيلُ حامتْ ... وهابَ كُمَاتُها حَرَّ الطِّعانِ

[١٥٤/٧]

وله فيه لحن. وهذا البيت الأوّل أخذه من كلام إبراهيم النَّظَّام[2].

أخذ معنى من محاورة إبراهيم النظام لغلام:

أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن الحسن بن الحَرُون قال:

لقي إبراهيم النظّام غلاماً حسنَ الوجهَ، فاستحسنه وأراد كلامَه فعارضه، ثم قال له: يا غلام، إنك لولا ما سَبَق من قول الحكماء مما جعلوا به السبيل لمثلي إلى مثلك في قولهم: لا ينبغي لأحد أن يكبُر عن أن يَسأل، كما أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يصغُر عن أن يقول، لمَا أنَبْتُ[3] إلى مُخاطبتك ولا أنشرح صدري لمحادثتك، لكنه سببُ الإخاء وعَقْد المودّة، ومحلُّك من قلبي محلّ الروح من جسد الجبان. فقال له الغلام / ـ وهو لا يعرفه ـ: لئن قلتَ ذلك أيها الرجل لقد قال أستاذنا إبراهيم النظّام: الطبائع تُجاذب ما شاكلها بالمجانسة، وتميل إلى ما قاربها بالموافقة؛ وكِياني مائلٌ إلى كِيانك بكُلِّيتي. ولو كان الذي أنطوى عليه عَرَضاً لم أعتدّ به وُدّاً، ولكنه جوهر جسمي؛ فبقاؤه ببقاء النفس، وعَدَمُه بعَدَمها؛ وأقول كما قال الهذليّ:

[٨/٢٤٩]

فتيقّني أنْ قد كَلِفتُ بكم ... ثم افْعَلي ما شئتِ عن علمِ

---

(١) يظهر أن صوابه: «ليس لكبير آخر».

(٢) هو إبراهيم بن سيار أبو إسحاق النظام المعتزلي أحد شيوخ المتكلمين والمعتزلة في دولة المعتصم.

(٣) أنبت: رجعت. وفي ب، س: «لما أتيت».

فقال له النظّام: إنما كلّمتك بما سمعتَ وأنت عندي غلام مُستَحْسَن؛ ولو علمتُ أنّ محلّك مثلُ محلّ مَعْمَرٍ[١] وطَبَقتِه في الجَدَل لَمَا تعرّضتُ لك. قال أبو الحسن: ومن هذا أخذ أبو دُلَف قولَه:

أُحِبُّـكِ يـا جِنـانُ وأنـتِ منّـي ... محـلَّ الـرُّوح مـن جسـد الجبـانِ

ومن جيّد شعره وله فيه صنعة قوله:

صـوت

فـي كـلّ يـومٍ أرَى بيضـاءَ طـالعـةً ... كـأنمـا أُنبِتـتْ فـي نـاظـر البَصَـرِ

لئـن قَصَصْتُـكِ بـالمِقْـراضِ عـن بَصَـرِي ... لَمَـا قطعتُـكِ عـن هَمِّـي وعـن فِكَـرِي

بلغه طروق الشراة وهو بالسرادن مع جارية له فأسرع لحربهم وردهم:

أخبرني عليّ بن عبدالعزيز الكاتب قال حدّثني أبي قال سمعت عبدالعزيز بن دُلَف بن أبي دُلَف يقول: حدّثتني ظَبْية جارية أبي[٢] قالت: إنّي لَمَعَهُ ليلةً بالسَّرَادِنِ[٣] وهو جالسٌ يشرَب معي وعليه ثيابٌ ممسَّكة، إذ أتاه الصريخ بطروق الشُّرَاة أطرافَ عسكره؛ فلبس الجَوْشَنَ ومضى فقتَل وأَسَر وانصرف إليّ في آخر اللّيل وهو يغنّي ـ قالت: والشعر له ـ:

[٨/ ٢٥٠]

صـوت

ليلتِـــي بـــالسَّـــرَادِنِ ... كُلِّلَـــتْ بـــالمحـــاســـنِ

وجَـــوَارٍ أوَانـــسٍ ... كـــالظِّبَـــاءِ الشَّـــوادنِ

بُـــدِّلَـــتْ بـــالمُمَسَّكـــا ... تِ أدْراعَ الجَـــوَاشِـــنِ

الشعر لأبي دُلَف. والغناء له رملٌ بالسبّابة في مجرى البنصر.

خرج مع الإفشين لحرب بابك فأراد قتله فأنقذه ابن أبي داود:

وقال أحمد بن أبي طاهر: كان أبو دُلَف القاسم بن عيسى في جملة مَنْ كان مع الإفشين[٤] خَيْذَر بن كاوُوس

---

(١) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي من تيم قريش البصري النحوي العلامة. قال الجاحظ فيه: لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه. أقدمه الرشيد من البصرة إلى بغداد سنة ثمان وثمانين ومائة. (عن وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص ١٥٤).

(٢) كذا في «الأصول». ولعله يريد: «جدي».

(٣) السرادن: موضع ببلاد فارس.

(٤) قد وردت هذه الكلمة في «شرح القاموس» بكسر الشين مضبوطة بالعبارة وفي «كتب التاريخ» مضبوطة بالقلم. وفي «شعر أبي تمام» ما يؤيده إذا قال يمدحه من قصيدة:

لـم يقـر هـذا السيـف هـذا الصبـر فـي ... هيجـاء إلّا عـزّ هـذا الـدِّيـنُ

قـد كـان عـذرة مغـرب فـافتضهـا ... بـالسيـف فحـلُ المشـرق الإفشيـنُ

وفي «رسالة الغفران» طبع مصر ص ١٦٦ ما يدل على أن ضبطه بفتح الشين وإسكان الياء. وهو أحد قوّاد المعتصم المقدمين وولاته، ولاه حرب بابك الخرّمي، ثم غضب عليه وحبسه مضيقاً عليه ثم قتله. (انظر الطبري ق ٣ ص ١١٧٠، ١١٧٩، ١١٨٦، ١٢٣٤، ١٣٠٠، ١٣١٨).

١٥٥/٧ لمّا خرج لمحاربة بَابَك[١]، ثم تنكّر له؛ فوجّه يوماً بمن جاء به ليقتله. وبلغَ المعتصمَ الخبرُ، فبعث إليه بأحمد / بن أبي دُوَاد وقال له: أدرِكْه، وما أُراك تلحقه، فاحتَلْ في خَلاصه منه كيف شئتَ. قال ابنُ أبي دُوَاد: فمضيتُ رَكْضاً حتى وافيتُه، فإذا أبو دُلَفَ واقفٌ بين يديه وقد أخذَ بيديه غلامان له تركيّان، فرميتُ بنفسي على البِساط، وكنت إذا جئته دعا لي بمُصَلّى، فقال لي: سبحانَ الله! ما حملك على هذا؟ قلت: أنت أجلستني هذا المجلسَ. ثم كلّمتُه في القاسم وسألته فيه وخضعتُ له، فجعل لا يزداد إلاّ غِلظةً. فلما رأيت ذلك قلت: هذا عبدٌ وقد أغرقتُ في الرِّفق به فلم ينفع، وليس إلا أخْذُه بالرَّهْبة والصِّدق؛ فقمتُ / فقلت: كم تُراك قدَرتَ! تقتُل أولياء أمير المؤمنين واحداً بعد واحد، وتُخالف أمره في قائد بعد قائد! قد حملتُ إليكَ هذه الرسالة عن أمير المؤمنين، فهاتِ الجوابَ!. قال: فذلّ حتى لصِق بالأرض وبان لي الاضطرابُ فيه. فلما رأيتُ ذلك نهضتُ إلى أبي دُلَفَ وأخذت بيده، وقلت له: قد أخذتُه بأمر أمير المؤمنين. فقال: لا تفعلْ يا أبا عبدالله. فقلت: قد فعلتُ وأخرجت القاسم فحملتُه على دابّة ووافيتُ المعتصمَ. فلما بَصُر بي قال: بك يا أبا عبدالله وَرِيتْ زِنَادي، ثم ردّ عليّ خبري مع الإفْشِين حَدْساً بظَنّه ما أخطأ فيه حرفاً؛ ثم سألني عما ذكره لي وهو كما قال، فأخبرتُه أنه لم يخطىء حرفاً. [٢٥١/٨]

أنكر عليه أحمد بن أبي دواد الغناء مع جلالة قدره وكبر سنه:

وقال عليّ بن محمد حدّثني جَدّي قال:

كان أحمد بن أبي دواد يُنكر أمرَ الغناء إنكاراً شديداً. فأعلمه المعتصم أن صديقه أبا دُلَفَ يغنّي؛ فقال: ما أُراه مع عقله يفعل ذلك. فستر أحمدَ بن أبي دُوَاد في موضع وأحضر أبا دُلَفَ وأمره أن يغنّي، ففعل ذلك وأطال؛ ثم أخرج أحمدَ بن أبي دُوَاد عليه من موضعه والكراهةُ ظاهرةٌ في وجهه. فلما رآه أحمد قال له: سَوْءةً لهذا من فِعْلٍ[٢]! بعد هذه السِّنّ وهذا المحلّ تضع نفسَك كما أرى! فخجِل أبو دُلَفَ وتشوّر[٣]، وقال: إنهم أكرهوني على ذلك. فقال: هَبهُم أكرهوك على الغِناء أفأكرهوك على الإحسان والإصابة!.

سمع المعتصم غناءه عند الواثق فمدحه:

قال عليّ وحدّثني جَدّي: أنّ سبب مُنادمته للمعتصم أنه كان نديماً للواثق، وكان أبو دُلَفَ قد وُصِف للمعتصم فأحب أن يسمعه، وسأل الواثقَ عنه؛ فقال: يا أمير المؤمنين، أنا على القَصْد غداً وهم عندي. فقال له المعتصم: أُحِبّ ألاّ تُخفى عليّ / شيئاً من خبركم. وقُصِد الواثق، فأتاه أبو دُلَفَ وأتته رسل الخليفة بالهدايا، وأعلمهم الواثق حضورَ أبي دُلَفَ عنده؛ فلم يلبث أن أقبل الخَدَمُ يقولون: قد جاء الخليفة. فقام الواثق وكلّ مَنْ عنده حتى تلَقَّوْه حين برَز من الدِّهْليز إلى الصَّحْن؛ فجاء حتى جلس، وأمَر بنُدماء الواثق فرُدُّوا إلى مجالسهم. قال حَمْدون[٤]: وخَنَستُ عن مجلسي الذي كنتُ فيه لَحَداثتي؛ فنظر المعتصم إلى مكاني خالياً، فسأل عن صاحبه فسُمّيتُ له، فأمَر بإحضاري فرجعت إلى مكاني، وأمَر بأن يُؤتَى بِرَطْلٍ من شرابه فأُتِي به؛ فأقبل على أبي دُلَفَ فقال له: يا قاسم، غَنّ [٢٥٢/٨]

---

(١) هو بابك الخرّمي الطاغية الذي كاد أن يستولي على الممالك زمن المعتصم، كان يرى رأي المزدكية من المجوس الذين خرجوا أيام قباذ وأباحوا النساء والمحرّمات، وقتلهم أنوشروان. (عن شرح القاموس مادة خرم).

(٢) كذا في «جـ». وفي «سائر الأصول»: «سوءة لمن فعل هذا...».

(٣) تشوّر: خجل.

(٤) هو حمدون بن إسماعيل بن داود الكاتب أوّل من نادم الخلفاء من أهله.

أميرَ المؤمنين صوتاً؛ فما حَصِر ولا تثاقلَ وقال: أغنّي أميرَ المؤمنين صوتاً بعينه أو ما[1] أخترته؟ قال: بل غَنِّ صنعتَك في شعر جرير:

بَانَ الخليطُ برامَتَيْنِ فودَّعوا

فغنّاه إيّاه. فقال المعتصم: أحسن! أحسن! ثلاثاً، وشرب الرّطل، ولم يزل يستعيده ويشرب عليه حتى وَالَى بين سبعة أرطال، ثم دعا بحمار فركِبه، وأمَر أبا دُلَفَ أن ينصرف معه، وأمرني بالانصراف معهما، فخرجتُ أسعَى / مع رِكابه، فثبُتُّ في نُدَمائه من ذلك اليوم، وأمَر لأبي دُلَفَ بعشرين ألف دينار.

١٥٦/٧

نسبة الصوت الذي غنّاه أبو دلف

صوت

بَانَ الخليطُ برامتَيْنِ فودَّعوا ... أوَ كُلَّما أعتزموا لبينٍ تَجْزَعُ
كيف العَزاءُ ولم أجِدْ مذ غِبْتُمُ ... قلباً يَقَرُّ ولا شراباً يَنْقَعُ

عَروضه من الكامل. الشعر لجرير، والغناء لأبي دُلَفَ ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ وعمرو بن بانة.

/ ما كان من جعفر بن أبي جعفر مع حماد الراوية: [٨/ ٢٥٣]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال:

كان جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكُرْديّة يستخفّ مُطيعَ بن إياس، وكان منقطعاً إليه وله منه منزلةٌ حسنة. فذكر له مُطيع بن إياس حمّاداً الراوية، وكان مُطَّرَحاً مَجْفُوّاً في أيّامهم. فقال له: دَعْني، فإنّ دولتي كانت في بني أُميّة وما لي عند هؤلاء خير. فأبى مُطيع إلا الذهابَ به إليه. فاستعار سواداً وسيفاً؛ ثم أتاه فدخل على جعفر فسلّم عليه وجلس. فقال له جعفر: أنْشِدني. فقال: لمن أيها الأمير؟ قال: لجرير. قال حماد: فسلخ الله شعرَه أجمع من قلبي إلاّ قولَه:

بَانَ الخليطُ برامتين فودّعوا

فاندفعتُ أنْشده إيّاه حتى بلغتُ إلى قوله:

وتقول بَوْزَعُ قد دَبَبْتَ على العَصَا ... هَلاَّ هَزِئْتِ[2] بغيرنا يا بَوْزَعُ

قال حمّاد فقال لي جعفر: أعِدْ هذا البيتَ فأعدتُه؛ فقال: إيش هو بَوْزع؟ قلتُ: اسم امرأة. قال: امرأةٌ اسمُها بَوْزَع! هو بريءٌ من الله ورسوله ومن العبّاس بن عبد المطّلب إن كانت بَوْزَع إلا غُولاً من الغِيلان! تركتَني والله يا هذا لا أنام الليل من فزع بَوْزَع! يا غِلمان، قَفّاه. قال: فصُفِعتُ والله حتى لم أدرِ أين أنا. ثم قال: جُرُّوا برجله، فجرُّوا برجلي

(١) في «الأصول»: «بعينه وما أخترته».
(٢) كذا في «النقائض». وفي «الأصول»: «هذيت» بالذال المعجمة.

حتى أخرجتُ من بين يديه وقد تَخرَّق السوادُ وأنكسر جفنُ السيف ولقيتُ شرّاً عظيماً مما جرى من ذلك. وكان أغلظ من ذلك عليّ غَرَامتي السوادَ والسيف. فلما أنصرف إليّ مُطِيع جعل يتوجّع لي. فقلت له: ألم أخبرك أنّي لا أصيب منهم خيراً وأنّ حظِّي قد مضى مع من مضى من بني أمية!.

[٨/٢٥٤] / رجع الحديث إلى أخبار أبي دُلَف.

كان جواد ممدّحاً وشعر علي بن جبلة فيه:

وكان أبو دُلَفَ جواداً ممدَّحاً؛ وفيه يقول عليّ بن جَبَلَة:

إنمــا الــدُّنيــا أبــو دُلَــفٍ ... بيــن مَغْــزَاهُ ومُحْتَضَــرِهْ
وإذا وَلَّــى أبــو دُلَــفٍ ... وَلَّــتِ الــدُّنيــا علــى أثَــرِهْ

وهي من جيِّد شعره وحَسَن مدائحه. وفيها يقول:

ذادَ وِرْدَ الغَــيّ عــن صَــدَرِهْ ... وأرعــوَى(1) واللَّهــوُ مــن وَطَــرِهْ
نَــدَمِــي أنّ الشَّبــابَ مضَــى ... لــم أُبَلِّغْــهُ مَــدَى أشَــرِهْ
حَسَــرتْ عنِّــي بَشَــاشَتُــه ... وذوَى المحمــودُ مــن ثَمَــرِهْ
ودَمٍ أهْــدرتُ مــن رَشَــإٍ ... لــم يُــرِدْ عَقْــلاً علــى هَــدَرِهْ
فــأتَــتْ دون الصِّبَــا هَنَــةٌ ... قلبــتْ فُــوقِــي(2) علــى وَتَــرِهْ
/ دَعْ جَــدَا قَحْطَــانَ أو مُضَــرٍ ... فــي يَمَــانِيــهِ وفــي مُضَــرِهْ
وأمْتَــدِحْ مــن وائــلٍ رجــلاً ... عُصُــرُ الآفــاقِ مــن عُصُــرِهْ
المَنــايــا فــي مَقَــانِبِــه ... والعطــايَــا فــي ذَرَا(3) حُجَــرِهْ
مَلِــكٌ تنــدَى أنَــامِلُــه ... كــأنبــلاج النَّــوْء عــن مَطَــرِهْ
مستهــلٌّ عــن مَــواهِبِــه ... كــأبتســام الــرَّوْض عــن زَهَــرِهْ
جَبَــلٌ عــزّتْ مَنَــاكِبُــه ... أمِنــتْ عَــدْنــانُ فــي ثَغَــرِهْ
إنمــا الــدُّنيــا أبــو دُلَــفٍ ... بيــن مَغْــزَاهُ ومُحتَضَــرِهْ
فــإذا ولَّــى أبــو دُلَــفٍ ... وَلَّــتِ الــدنيــا علــى أثَــرِهْ
/ كــلُّ مَــنْ فــي الأرض مــن عَــرَبٍ ... بيــن بــادِيــه إلــى حَضَــرِهْ(4) [٨/٢٥٥]

١٥٧/٧

---

(١) كذا في «جـ» ونهاية الأرب (ج ٤ ص ٢٥٠ طبع دار الكتب المصرية طبعة أولى). وفي «سائر الأصول»: «والهوى واللهو من وكره» وهو تحريف.

(٢) الفوق من السهم: موضع الوتر.

(٣) كذا في «نهاية الأرب». وفي «الأصول»: «في ذوي حجره» وهو تحريف.

(٤) في «الأصول»: «بين باديه ومختصره». والتصويب عن «نهاية الأرب».

مستعيــــرٌ منـــــه مَكــــرُمــــةً يكتسيهـــــا يــــومَ مُفْتَخَـــــرهْ

وهذان البيتان هما اللّذان أحفظا المأمونَ على عليِّ بن جَبَلة حتى سلّ لسانَه من قَفاه، وقولُه في أبي دُلَف أيضاً:

أنـت الـذي تُنـزل الأيّـامَ منـزلَهـا وتَنْقُـلُ الـدهـرَ مـن حـالٍ إلـى حـالِ

ومـا مـددتَ مَـدَى طَـرْفٍ إلـى أحـدِ إلاّ قضيـــتَ بـــأرزاقٍ وآجـــالِ

وسنذكر ذلك في موضعه من أخبار عليّ بن جبلة إن شاء الله تعالى؛ إذ كان القصد ها هنا أمرَ أبي دُلَف.

ذكرت قصة له في الكرم وأخرى لأبي البختري فكان هو أكرم:

أخبرني أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار قال:

كنّا عند أبي العباس المبرّد يوماً وعنده فتًى من ولد أبي البَخْتَرِي وهْب بن وهب القاضي أمردُ حسنُ الوجه، وفتًى من ولد أبي دُلَفَ العِجْلِيّ شبيه به في الجمال. فقال المبرّد لابن أبي البختريّ: أعرف لجدّك قصّةً ظريفة من الكرم حسَنةً لم يُسْبَقْ إليها. قال: وما هي؟ قال: دُعِي رجلٌ من أهل الأدب إلى بعض المواضع، فسقَوْه نبيذاً غير الذي كانوا يشربون منه؛ فقال فيهم:

نَبِيــذانِ فــي مجلــسٍ واحــدِ لإيثــار مُثْــرٍ علــى مُقْتِــرِ

فلــو كــان فعلُــك ذا فــي الطعــامِ لَــزِمْــتَ قيــاسَــك فــي المُسْكِـرِ

ولــو كنــتَ تطلــب شــأوَ الكرام صنعــتَ صنيــعَ أبــي البَخْتَــرِي

تتبَّــعَ إخــوانَــه فــي البــلادِ فــأغنــى المُقِــلَّ عــن المُكْثِــرِ

/ فبلغت الأبياتُ أبا البَخْتَرِيّ فبعث إليه بثلثمائة دينار. قال ابن عمّار: فقلت: قد فعل جَدُّ هذا الفتى في هذا المعنى [٨/٢٥٦] ما هو أحسنُ من هذا. قال: وما فعل؟ قلت: بلغه أنّ رجلاً افتقر بعد ثروة، فقالت له امرأته: افترِضْ في الجند؛ فقال:

إليــكِ عنّــي فقــد كلّفْتِنــي شَطَطــاً حَمْـلَ السلاحِ وقِيـلَ الـدَّارعيـن قِـفِ

تمشـي المنايـا إلـى غيـري[1] فـأكـرَهُهـا فكيــف أمشــي إليهــا عــارِيَ الكَتِيــفِ

حَسِبــتِ أنّ نفــادَ المــال غيّــرنــي وأنّ رُوحِــيَ فــي جَنْبَــيْ أبــي دُلَــفِ

فأحضره أبو دُلَف ثم قال له: كم أمّلتِ امرأتُك أن يكون رزقُك؟ قال: مائة دينار. قال: وكم / أمّلتَ أن تعيش؟ [١٥٨/٧] قال: عشرين سنة. قال: فذلك لك عليّ على ما أمّلت امرأتُك في مالنا دون مال السلطان؛ وأمر بإعطائه إيّاه. قال: فرأيتُ وجهَ ابن أبي دلف يتهلّل، وانكسر ابن أبي البَخْتَرِيّ انكساراً شديداً.

عاتب ابن جَبلة على انقطاعه عنه فأجابه ورد عليه:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد المبرّد قال أخبرني عليّ بن القاسم قال:

قال عليّ بن جَبَلة: زرتُ أبا دُلَفَ بالجَبَل[2]، فكان يُظهر من إكرامي وبِرِّي والتّحفّي بي أمراً مُفْرِطاً، حتى

(١) في جـ: إلى قوم.

(٢) بلاد، الجبل: مدن بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم.

تأخرتُ عنه حيناً حياءً. فبعث إليّ مَعْقِلَ بن عيسى، فقال: يقول لك الأمير: قد أنقطعتَ عنّي، وأحسبك أستقللتَ بِرّي بك، فلا يُغضبنك ذلك، فسأزيد فيه حتى ترضَى. فقلت: والله ما قطعني إلاّ إفراطه في البِرّ، وكتبت إليه.

هجرتُكَ لم أهجُرْكَ من كفر نعمةٍ ... وهل يُرتَجَى نَيْلُ الزيادة بالكفرِ

[٨/٢٥٧] / ولكنني لمّا أتيتُك زائراً ... فأفرطتَ في بِرّي عجزتُ عن الشكرِ

فَمِ ألانَ لا آتيك إلا مُسَلِّماً ... أزورُك في الشهرين يوماً أو الشهرِ

فإن زدْتَني بِرّاً تزايدتُ جفوةً ... ولم تلقَني طولَ الحياةِ إلى الحشرِ

فلمّا قرأها مَعْقِل استحسنها جِدّاً وقال: أحسنتَ والله! أمَا إنّ الأمير لتُعْجبه هذه المعاني. فلما أوصلها إلى أبي دُلَفَ قال: قاتله الله. ما أشعره وأدقّ معانيه! فأعجبتُه فأجابني لوقته ـ وكان حسنَ البديهة حاضرَ الجواب ـ:

ألاَ رُبَّ ضيفٍ طارقٍ قد بَسَطتُه ... وآنسته قبل الضِّيافة بالبِشْرِ

أتاني يرجِّيني فما حال دونه ... ودون القِرَى والعُرْفِ من نائلي سِتْري

وجدتُ له فضلاً عليَّ بقَصْدِهِ ... إليَّ وبِرّاً زاد فيه على بِرّي

فزوّدته مالاً يَقِلّ بقاؤه ... وزوّدني مدحاً يدوم على الدهر

قال: وبعث إليّ بالأبيات مع وصيفٍ له وبعث معه إليَّ بألف دينار؛ فقلت حينئذ: * إنما الدنيا أبو دُلَفٍ *. الأبيات.

أخبرني عليّ بن سليمان قال أخبرنا المبرّد قال أخبرني إبراهيم بن خَلَف قال:

بينا أبو دُلَفَ يسير مع مَعْقِل، وهما إذ ذاك بالعراق، إذ مَرّا بقصْر، فأشرفتْ منه جاريتان؛ فقالت إحداهما للأخرى: هذا أبو دُلَفَ الذي يقول فيه الشاعر:

إنما الدنيا أبو دُلَفٍ

فقالت الأخرى: أوَ هذا! قد والله كنتُ أُحِبّ أن أراه منذ سمعتُ ما قيل فيه. فألتفت أبو دُلَفَ إلى مَعْقِل فقال: ما أنصفَنا عليُّ بن جَبَلَة ولا وفيناه حقّه، وإن ذلك لمن كبير همّي. قال: وكان أعطاه ألفَ دينار.

[٨/٢٥٨]

/ صوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

أمّا القَطاةُ فإنّي سوف أنعتُها ... نعتاً يُوافق منها بعضَ ما فيها

سَكّاءُ[١] مخطوبةٌ[٢] في ريشها طَرَقٌ ... صُهْبٌ قَوادِمُها كُدْرٌ خَوافِيها

١٥٩/٧ عروضه من البسيط. والشعر مختلَف في قائله، ينسب إلى أوْس بن غَلْفَاءَ الهُجَيْمِيّ وإلى / مُزَاحِم العُقَيْلِيّ وإلى

---

(١) السكك: صغر الأذن ولصوقها بالرأس. يقال للقطاة سكاء لأنه لا أذن لها.

(٢) كذا في «نهاية الأرب» (ج ١٠ ص ٢٦٢ طبعة أولى). والمخطوبة: التي على لون الحنظلة إذا أخطبت أي أصفرّت وصارت فيها خطوط خضر. والطرق في الريش. أن يكون بعضه فوق بعض كأن الأعلى يلبس الأسفل. والصهبة: لون يضرب إلى الحمرة أو إلى الشقرة. وفي الأصول: «مخطوطة بالطاء المهملة.

العبّاس بن يزيد بن الأسود الكِنْدِيّ وإلى العُجَيْر السَّلُوليّ وإلى عمرو بن عُقَيْل بن الحَجّاج الهُجَيْميّ وهو أصح الأقوال؛ رواه ثعلب عن أبي نَصْر عن الأصمعيّ. وعلى أنّ في هذه الروايات أبياتاً ليست مما يُغَنَّى فيه وأبياتاً ليست في الرواية[1]. وقد رُوِي أيضاً أنّ الجماعة المذكورة تساجلوا هذه الأبيات فقال كل واحد منهم بعضاً. وأخبارُ ذلك وما يحتاجُ إليه في شرح غريبه يُذْكَر بعد هذا. والغناء في اللحن المختار لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى. وفي هذين البيتين مع أبيات أُخَر من القصيدة أشتراكٌ كثيرٌ بين المغنّين يتقدّم بعضُ الأبيات فيه بعضاً ويتأخر بعضها عن بعض على أختلاف تقديم ذلك وتأخيره. والأبياتُ تُكْتَب ها هنا ثم تُنْسَب صنعةُ كلِّ صانع في شيء منها إليه؛ وهي بعد البيتين الأوّلين، إذ كانا قد مضيا وأستُغْنِي عن إعادتهما، :

لمّا تبدّى لها طارت وقد علمتْ ... أنْ قد أظل وأنّ الحيّ غاشيها

/ تَشْتقّ[2] في حيث لم تُبْعِدْ مُصَعِّدةً ... ولم تُصَوِّبْ إلى أدنى مَهَاويها [٨/٢٥٩]

تَنْتاشُ[3] صفراءَ مطروقاً بقيّتُها ... قد كاد يأزِي عن الدُّعْموصِ آزِيها

ما هاج عينَك أمْ قد كاد يُبْكيها ... من رَسْمِ دار كسَحْقِ[4] البُرْدِ باقيها

فلا غنيمةُ تُوفي بالذي وَعَدَتْ ... ولا فؤادُك حتى الموتِ ناسِيها

بسيطٍ مولى عبدالله بن جعفر خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر من رواية إسحاق في «أمّا القطاة» والذي بعده، و«تنتاش[5] صفراء» خفيف ثقيل نصر عن عمرو. ولإبراهيم الموصليّ في «لما تبدّى لها» و«أمّا القطاة» خفيف رمل عن الهشاميّ. ولعمَر الواديّ في «أمّا القطاة» ثقيلٌ بالوسطى. ولابن جامع في «لما تبدّى لها» وبعده «أمّا القطاة» خفيفُ رملٍ. ولسِيَاط في الأوّل والثاني وبعدهما «تشتق في حيث لم تبعد» خفيفُ ثقيل بالبنصر، ومن الناس من يُنسب لحنَه إلى عمر الواديّ وينسب لحن عمر إليه. ولعَلّويه في «أما القطاة» والذي بعده رملٌ هو من صدور أغانيه ومُقَدَّمها. فجميع ما وجدتُه في هذه الأبيات من الصنعة أحدَ عشرَ لحناً[6].

تفاخر جماعة من الشعراء فتسابقوا في وصف القطاة:

فأمّا خبر هذا الشعر، فإن أبن الكلبيّ زعم أنّ السبب فيه أنّ العُجَيْر السَّلُوليّ أَوْس بن غَلْفاء الهُجَيْميّ ومُزَاحِماً العقَيْليّ والعباس بن يزيد بن الأسود الكِنْديّ وحُمَيْد بن ثَوْر الهلاليّ اجتمعوا فتفاخروا بأشعارهم وتناشدوا وادّعى كل واحد منهم أنه أشعر من صاحبه. ومرّ بهم سِرْبُ قطاً؛ فقال أحدهم: تعالَوْا حتى نَصفَ القَطَا ثم نتحاكم إلى من نتراضى به، فأيُّنا كان أحسنَ وصفاً لها غلبَ أصحابَه؛ فتراهنوا على ذلك. فقال أَوْس بن غَلْفاء الأبيات المذكورة وهي «أمّا القطاة». وقال حُميد أبياتاً وصف ناقتَه فيها، ثم خرج إلى صفة القطاة فقال:

---

(١) في هذه الجملة غموض.

(٢) تشتق: تقطع.

(٣) سيشرح أبو الفرج فيما سيأتي هذا البيت.

(٤) السحق: الثوب البالي.

(٥) لعله: «وفي تنتاشن صفراء خفيف ثقيل...».

(٦) المذكور هنا سبعة ألحان فقط.

[٨/٢٦٠] / كما أنصلتتْ[١] كَدْراءُ تسقِي فِرَاخَها ... بشَمْظَةَ[٢] رِفهاً والمياهُ شُعُوبُ

غدتْ لم تُباعِدُ في السماء ودونَها ... إذا ما علتْ أُهْوِيَّةٌ[٣] وصَبُوبُ

قرينةُ سَبْعٍ[٤] إنْ تَوَاتَرنَ[٥] مَرَّةً ... ضَرَبْنَ فصَفَّتْ أرؤس وجُنوبُ

١٦٠/٧ / فجاءتْ وما جاء القطا ثم قَلَّصتْ[٦] ... بمفحَصِها والوارداتُ تَنوبُ

وجاءت ومَسْقاها الذي وردتْ به ... إلى الصَّدْرِ مشدودُ[٧] العِصَامِ كَتِيبُ

تُبادر أطفالاً مساكينَ دونها ... فَلاً لا تَخَطَّاه العيونُ رَغِيبُ[٨]

وصَفْنَ لها مُزْناً بأرض تَنُوفةٍ[٩] ... فما هي إلاّ نَهْلةٌ وتَؤوبُ

وقال العباس بن يزيد بن الأسود ـ هكذا ذكر ابن الكلبيّ، وغيره يرويها لبعض بني مُرَّةَ ـ:

حَذّاءُ[١٠] مُدْبِرةً سَكّاءُ مقبلةً ... للماء في النحر منها نَوْطةٌ[١١] عَجَبُ

تسقي أُزَيْغِبَ تُرويه مُجاجتها[١٢] ... وذاك من ظَمْأةٍ من ظِمْئها[١٣] شَرَبُ

[٨/٢٦١] / مُنْهَرِت الشِّدقِ لم تَنْبُتْ قَوَادِمُه ... في حاجب العين من تسبيده[١٤] زَبَبُ

تدعو القَطَا بقصير الخطو ليس له ... قُدَّامَ مَنْحَرِها ريشٌ ولا زَغَبُ

تدعو القَطَا وبه تُدْعَى إذا انتسبتْ ... يا صِدْقَها حين تدعوه وتنتسبُ

وقال مُزَاحِم العُقَيْليّ:

أذلكَ أم كُدْرِيَّةٌ هاج وِرْدَها ... من القيظ يومٌ واقِدٌ وسَمُومُ

(١) انصلتت: أسرعت في السير.

(٢) كذا في «معجم البلدان» لياقوت و«معجم ما استعجم». وشمظة: موضع بعكاظ، وهو الذي نزلت فيه قريش وحلفاؤها أوّل يوم اقتتلوا فيه من أيام الفجار. وفي الأصول: «شمطة» بالطاء المهملة وهو تصحيف. والرفه (بالكسر): أقصر الورد، وهو أن ترد الإبل الماء كل يوم أو متى شاءت. والشعوب: البعيدة، يقال: ماء شعب ومياه شعوب.

(٣) كذا في جـ و«معجم البلدان» لياقوت في الكلام على شمظة. والأهوية: الهاوية. والصبوب (بالفتح): منحدر الوادي. وفي الأصول: «هوية وهبوب».

(٤) كذا في جـ و«اللسان» (مادة وتر). وفي سائر الأصول: «قرية سبع».

(٥) التواتر: التتابع، يقال: تواترت الإبل والقطا إذا جاء بعضها في إثر بعض ولم تجيء مصطفة.

(٦) قلصت: انضمت وانزوت. والمفحص: مجثم القطاة. والواردات تنوب أي الواردات للماء ترجع.

(٧) في أ، جـ: «مسدود العصام». بالسين المهملة. وفي سائر الأصول: «مسرود العظام». والعصام: حبل تشدّ به القربة. وكتيب: مخروز.

(٨) رغيب: واسع.

(٩) التنوفة: الأرض القفر.

(١٠) الحذاء: القصيرة الذنب.

(١١) النوطة: الحوصلة.

(١٢) المجاجة: الريق.

(١٣) الظمء: ما بين الشربين والوردين.

(١٤) التسبيد: أول ظهور ريش الفرخ. والزبب: كثرة الزغب.

غـدتْ كَنَـواة القَسْـب[١] لا مُضمحِلَّـةٌ وَنَـاةٌ[٢] ولا عَجْلَـى الفُتـور سَئـومُ
تُـواشِـكُ رَجْـعَ المَنْكِبيـن وتـرتمـي إلـى كَلْكَـل، للهـاديـاتِ[٣] قَـدُومُ
فمـا انخفضـتْ حتـى رأتْ مـا يسرُّهـا وفَـيْءُ الضُّحَـى قـد مـال فهـو ذميـمُ
أَبـاطِـح وانْتَصَّـتْ[٤] علـى حيث تستقي بهـا شَـرَكٌ للـواردات مُقيـمُ
سقتْهـا سيـولُ المُـدْجِنـاتِ فـأصبحـتْ عَـلاَجِيـمَ تَجْـرِي مـرّةً وتـدومُ[٥]
فلمـا أُستقـتْ مـن بـارد المـاء وانجلَـى عـن النفـس منهـا لَـوْحـةٌ[٦] وهمـومُ
دعـتْ بـاسمهـا حيـن استقـتْ فـاستقلّهـا قَـوادِمُ حجـنٌ[٧] رِيشُهـنّ مليـمُ
بجَـوْزٍ[٨] كحُـقِّ الهـاجـريّـة زانَـه بـأطـراف عـودِ الفـارسـيّ وُشُـومُ

ـ يعني حُقّ الطيب. شبّه حوصلتها به. والوشوم يعني الشِّيَة[٩] التي في صدرها ـ: [٨/٢٦٢]

لتسقِـيَ زُغْبـاً بـالتَّنـوفـةِ لـم يكـن خِـلاَفَ مُـوَلاَّهـا لهـنّ حميـمُ
تَـرائكَ[١٠] بـالأرضِ الفَـلاة ومـن يَـدَعْ بمنـزلهـا الأولادَ فهـو مُليـمُ
إذا استقبلتْهـا الـريـحُ طَمَتْ[١١] رفيقـةً وهُـنَّ بمهْـوًى كـالكُـرَاتِ جُثُـومُ
يُرَاطِنُّ[١٢] وَقْصاءَ[١٣] القفَـا وَحْشـةَ الشَّوَى بـدعـوى القَطَـا لَحْـنٌ لهـنّ قـديـمُ
فبِتْـنَ قـريـراتِ العيـونِ وقـد جـرى عليهـنّ شِـرْبُ فـأستقَيْـنَ مُنِيـمُ
صَبِيـبُ سِقَـاءٍ نِيـطَ قـد بَـرَكـتْ بـه مُعَـاوِدةٌ سَقْـيَ الفِـرَاخِ رَءومُ

وقال العُجَيْر ـ فيما روَى ابن الكلبيّ، وقد تروى لغيره ـ:

سـأغلِـبُ والسمـاءِ ومَـنْ بنـاهـا قَطـاةَ مُـزَاحِـمٍ ومَـنِ انتحـاهـا

(١) القسب: تمر يابس يتفتت في الفم صلب ونواه شديد قوي.
(٢) الوناة: البطيئة القيام والقعود.
(٣) الهادية: المتقدّمة، يريد أنها توالي بين جناحيها مسرعة حتى تتقدّم غيرها من السابقات.
(٤) يقال: انتصت العروس إذا جلست على المنصة لترى، هذا هو الأصل فيه. يريد أنها وقفت على الماء.
(٥) المدجنات: السحائب الدائمة المطر. والعلاجيم: جمع علجوم وهو الماء الغمر الكثير. وتدوم: تسكن.
(٦) اللوحة: العطشة.
(٧) حجن: عوج. ومليم، كذا في الأصول، ولم نهتد إلى وجه الصواب في هذه الكلمة. وظاهر أنه يريد أن ريشهن كثير متكاثف.
(٨) في بعض الأصول: «تجوز»: والهاجرية: المرأة الحضرية.
(٩) في أكثر الأصول: «الثقبة». وفي جـ: «الثقة» وظاهر أنه تحريف عن «الشيه» وهي لون يخالف معظم لون الشيء. والمراد النمنمة التي في الصدر.
(١٠) ظاهر أنه يريد بالترائك أو ضدها اللاتي تركتهن بالفلاة: والمليم (بضم الميم): الذي يفعل ما يلام عليه.
(١١) طمت: أسرعت.
(١٢) كذا في جـ: وفي سائر الأصول: «يواطئن».
(١٣) الوقصاء: القصيرة.

قَطـاةُ مُـزاحِـمٍ وأبـي المُثَنّـى على حُـوزيَّـةٍ[(١)] صُلْبٍ شَـواهـا

غـدتْ كـالقَطْـرةِ السَّفْـواء[(٢)] تَهْـوِي أمـام مُجَلْجِـلٍ[(٣)] زَجِـلٍ نَفَـاهـا

١٦١/٧ / تَكَفّا كـالجُمـانـةِ لا تُبـالـي أبـالمـومـاةِ أضحـتْ أم سِـواهـا

نبتْ منهـا العَجيـزةُ فـاحـزألّتْ[(٤)] ونَبّـسَ[(٥)] للتقتُّـل مَنْكِبَـاهـا

[٨/٢٦٣] / كـأنّ كعـوبهـا أطـرافُ نَبْـلٍ كسـاهـا الـرّازقيّـةَ[(٦)] مَـنْ بَـراهـا

قال: واحتكموا إلى ليلى الأخيليّة، فحكمت لأَوْس بن غَلْفاء.

وأخبرني أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل عن قَعْنَب بن مُحْرِز الباهليّ قال حدّثني رجل عن أبي عبيدة قال أخبرنا حُمَيْد[(٧)] بن ثور والعُجَير السَّلُوليّ ومُزَاحِم العُقَيْليّ وأَوْس بن غَلْفاء الهُجَيْميّ أنهم تحاكموا إلى ليلى الأخيليّة لمّا وصفوا القطاة أيُّهم أحسنُ وصفاً لها؛ فقالت:

أَلَا كـلّ مـا قـال الـرُّواة وأنشـدوا بهـا غيـرَ مـا قـال السَّلُـولـيُّ بَهْـرَجُ

وحكمتْ له. فقال حُمَيْد بن ثَوْر يهجوها:

كـأنّـكِ وَرْهـاءُ[(٨)] العِنـانَيْـنِ بغلـةٌ رأت حُصُنـاً فعـارضتْهـنّ تَشْحَـجُ

ووجدت هذه الحكاية عن أبي عُبيدة مذكورةً عن دَمَاذ عنه وأنّه سأله عن أبيات العُجَير فأنشده:

تجوبُ الدُّجَى سَكّاءُ من دون فَرْخِها بمَطْلَـى أَرِيـك نَفْنَـفٌ[(٩)] وسُهـوبُ

فجـاءت وقَـرْنُ الشمـسِ بـادٍ كـأنّـه هِجـانٌ بصحـراء الخُبَيْـبِ[(١٠)] شَبُـوبُ

لِتسقـيَ أفـراخـاً لهـا قـد تبلّلـتْ حـلاقيـمُ أسمـاطٌ[(١١)] لهـا وقلـوبُ

قِصـارُ الخُطَـا زُغْـبُ الـرؤوسِ كـأنهـا كُـرَاتٌ تَلَظَّـى مـرّةً وتَلـوبُ[(١٢)]

---

(١) كذا في جـ والحوزية (بالضم): الناقة المنحازة عن الإبل لا تخالطها، أو هي التي عندها سير مذخور من سيرها أي التي تغلب غيرها بالهويني وعندها سير مذخور لم تبتذله أو هي التي لها خلفة انقطعت عن الإبل في خلفتها وفراهتها كما تقول: منقطع القرين. (راجع «القاموس وشرحه» مادة حوز). وفي سائر الأصول: «خرزية» وهو تحريف.

(٢) السفواء: السريعة.

(٣) المجلجل من السحاب: الذي فيه صوت الرعد. وغيث زجل: لرعده صوت.

(٤) احزألت: ارتفعت.

(٥) نبس: تحرّك. والتقتل: التثني والتبختر. وفي الأصول ما عدا جـ: «للتفتل» بالفاء.

(٦) الرازقية: ثياب كتان بيض.

(٧) كذا في جميع الأصول. والمعروف أن أبا عبيدة معمر بن المثنى الذي كان يعاصر الرشيد لم يعاصر هؤلاء النفر الذين كانوا في صدر الدولة الأموية. ولعل صوابه: «... عن أبي عبيدة قال: إن حميد بن ثور... إلخ» أو أن في السند نقصاً.

(٨) الورهاء: الخرقاء.

(٩) المطلى: مسيل ضيق من الأرض. وأريك (كأمير): واد بدبار بني مرة. والنفنف: المفازة. والسهوب: الفلوات.

(١٠) هجان: أبيض. الخبيب: الأصل فيه حبل من رمل لا طيء بالأرض، ويريد هنا موضعاً بعينه. وشبوب: تجاوز رجلاه يديه في العدو. شبه قرن الشمس بفرس أبيض تجاوز رجلاه يديه حين يشتد في العدو حتى يصير كالكرة.

(١١) حلاقيم أسماط أي لا سمة فيها.

(١٢) تلوب: تعطش.

/ فأمّا ما ذكرتُ من رواية ثَعْلب في الأبيات التي فيها الغناءُ فإنه أنشدها عن أبي حاتم عن الأصمعيّ أن أبا الحُضَيْر [٨/٢٦٤] أنشده لعمرو بن عُقَيْل بن الحَجّاج الهُجَيميّ:

أمّـا القطـاةُ فـإنـي سـوف أنعَتُهـا نعتاً يُـوَافِـق نعتِـي بعـضَ مـا فيهـا

صفـراءُ مطـروقـةٌ فـي رِيشهـا خَطَـبٌ صُفْـرٌ قـوادمُهـا سُـودٌ خَـوافِيهـا

مِنْقـارُهـا كَنـواة القَسْـبِ قَلَّمهـا بِمِبْـرَدٍ حـاذقُ الكفَّيـن يَبْـرِيهـا

تمشِـي كمَشْـيِ فتـاةِ الحـيِّ مسـرعـةً حـذارَ قـومٍ إلـى سِتْـرٍ يُـواريهـا

ـ قال الأصمعيّ: مطروقة يعني أنّ ريشها بعضه فوق بعض. والخَطَب: لون الرماد، يقال للمشبّه به أخطب ـ:

تَنْتـاشُ صفـراءَ مطـروقـاً بَقيَّتُهـا قـد كـاد يَـأْزِي عـن الـدُّعْمـوصِ آزِيهـا

ـ تنتاش: تتناول بقية من الماء. والمطروق: الماء الذي قد خالطه البول. وقوله: يأزى أي يَقِلّ عن الدعموص فيخرج منه لقلته. والدّعموص: الصغير من الضفادع وجمعه دعاميص ـ

تسقـي رَذِيَّيْـنِ بـالمَـوْمـاةِ قُـوتُهمـا فـي ثُغْـرةِ النَّحْـرِ مـن أعلـى تَـرَاقِيهـا

ـ الرذيّ: الساقط من الضعف. يعني فرخيها ـ

كـأنّ هَيْـدَبـةً[١] مـن فـوق جُـؤْجئِهـا أو جِـرْوُ حَنْظلـةٍ لـم يعْـدُ راميهـا

ـ جرو الحنظل: صغاره. وقوله: لم يعُد من العَداء، أي لم يعد عليها فيكسرها ـ

/ تَشْتَـقّ مـن حيـث لـم تُبْعِـدْ مُصَعِّـدةً ولـم تُصَـوِّبْ إلـى أدنـى مَهـاويهـا ١٦٢/٧

حتـى إذا استـأنسـا للـوقـت واحتَضـرت[٢] تَـوَجَّسـا الـوَحْـيَ منهـا عنـد غَـاشِيهـا

ـ ويروى: حتى إذا استأنسا للصوت. وتوجّسا: تسمّعا. وَحْيها أي سُرْعة طيرانها. وغاشيها أي حين تغشاهما وتنتهي إليهما ـ

/ تَـرَفَّعـا عـن شـؤون غيـر ذاكيـةٍ علـى لَـدِيـدَيْ أعـالِـي المَهْـدِ أُدْحِيهـا[٣] [٨/٢٦٥]

ـ الذاكية: الشديدة الحركة. والمهد: أفحوصها. ولديداه: جانباه ـ

مَـدَّا إليهـا بـأفـواهٍ مُـزَيَّنـةٍ صُعْـداً ليستنـزلا الأرزاقَ مِـنْ فِيهـا

كـأنّهـا حيـن مَـدّاهـا لجَنْـأتهـا طَلَّـى بَـوَاطنَهـا بـالـوَرْسِ طَـالِيهـا

ـ جَنْأتها أي جنأت عليهما بصدرها لتَزُقّهما ـ

حِثْلَيْـن رَضّـا رُفَـاضَ البَيْـضِ عـن زَغَـبٍ وُرْقٍ[٤] أسـافلُهـا بيـضٌ أعـاليهـا

حِثْلَيْنِ: دقيقين ضاويين. رَضّا: كسرا. والرُّفَاض: ما أرفضّ وتفرّق ـ

(١) الهيدبة: خمل الثوب.

(٢) احتضرت: حضرت.

(٣) الأدحى: موضع البيض الذي يفرخ فيه.

(٤) الورقة: سواد في غبرة.

تَـرَأَدا حيـن قـامـا ثُمَّتَ أحتطبَـا ... علـى نَحَـائـفَ مُنْـآدٍ مَحَـانيهـا

ترأدا: تثنّيا. واحتطبا: دَنَوا. والمنآد: المنعطف. ومحَانيها: حيث أنحنت ـ

تكـاد مـن لِينهـا تنـآد أسْـؤُقُهـا ... تَـأَوُّدَ الـرِّبْـل[1] لـم تَعـرِمْ نـواميهـا

ـ تعرم: تشتد. ونواميها: أعاليها ـ:

لا أشتكـي نَـوْشَـةَ[2] الأيّـام مـن وَرَقـي ... إلّا إلـى مَـنْ أن سـوف يُشْكِيهـا[3]

لِـدِلْهِـمْ مـأثُـراتٌ قـد عُـدِدْن لـه ... إن المـآثِـرَ معـدودٌ مَسَـاعِيهـا

تَنْمِـي بـه فـي بنـي لأيٍ دَعَـائمُهـا ... ومـن جُمَـانـة لـم تَخْضَـعْ سَـوَارِيهـا

بنَـى لـه فـي بيـوت المجـد والـدُه ... وليـس مَـنْ ليـس يَبْنِيهـا كبـانيهـا

وأنشدني هذه الأبيات الحسن بن محمد الضُّبَعيّ الشاعر المعروف بابن الحدّاد قال: وجدتها بخط محمد بن داود بن الجرّاح عن إسماعيل بن يونس الشّيعي شيخنا رحمه / الله عن أخيه عن أبيٍّ محلم مثل رواية ثعلب وزاد فيها: قال أبو محلِّم: جُمَانة أبن جرير بن عبد ثَعْلبة بن سَعْد بن الهُجَيْم، وهم أخوالِ[4] دِلْهِم هذا الممدوح. ودلهم من بني لَأْي ـ ثم من بني يَزيد بن هِلَال بن بَذْل بن عَمْرو بن الهَيْثَم، وكان أحدَ الشُّجعان، وهو قَتَل الضحّاك[5] بن قيس الخارجيّ بيده مع مروان بن محمد ليلة كَفَرْتُوثَا[6]. [٢٦٦/٨]

صوت
من المائة المختارة عن علي بن يحيى

أيّهـا القلـبُ لا أراك تُفيـق ... طـالمـا قـد تعلّقتْـك العُلـوقُ[7]

مـن يكـن مـن هـوى حبيـبٍ قـريبـاً ... فـأنـا النـازحُ البعيـدُ السَّحيـقُ

قُـدِّرَ الحـبّ بيننـا فـألتقينـا ... وكِـلانـا إلـى اللقـاءِ مَشُـوقُ

[١٦٣/٧] الشعر لعمر بن أبي ربيعة وقد مضت أخباره. والغناء في اللحن المختار لبابويه الكوفيّ / خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن سُريج ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه أيضاً

---

(١) الربل: ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر.

(٢) النوش: التناول.

(٣) يشكيها: يريد ينصف منها ويزيل أسباب شكواها.

(٤) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «وهو أخ لدلهم» وهو تحريف، كما هو ظاهر من سياق نسب دلهم.

(٥) هو الضحاك بن قيس الشيباني الحروري، خرج على مروان بن محمد سنة سبع وعشرين ومائة بالجزيرة واستولى على الموصل وكورها، فكتب إلى ابنه عبدالله وهو خليفته بالجزيرة يأمره أن يسير إليه، ثم سار إليه مروان وقتله. (انظر «الكامل» لأبي الأثير جـ ٥ ص ٢٥٤، ٢٦٥ ـ ٢٦٧).

(٦) كفرتوثا: قرية كبيرة من أعمال الجزيرة.

(٧) العلوق: جمع علق، كأسود وأسد، وشجون وشجن، والعلق: الهوى والحب. يريد طالما تعلقت بك هموم الحب وأشجانه.

لمُخَارق[1] خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ. وفيه لعَلُّويه رملٌ بالبنصر عنه[2] وعن الهشاميّ. وبابويه رجل من أهل الكوفة قليل الصنعة، ليس ممن خدم الخلفاء ولا الأكابر، ولا أعلم له خبراً فأذكرَه.

[٨/٢٦٧]

/ صوت
من المائة المختارة

مَـــنْ لِقَلْـــبٍ أضحَـــى بكـــم مُستهـــامَـــا خـــائفـــاً للـــوُشـــاةِ يُخْفِـــي الكـــلامـــا

إنّ طَـــرْفِـــي رســـولُ نفســـي ونفســـي عـــن فـــؤادي تقـــرَا عليـــك الســـلامـــا

لم يقع إلينا قائل الشعر فنذكُر خبره. والغناء لرياض جارية أبي حمّاد خفيف ثقيل بالوسطى. وكان أبو حماد هذا أحد القوّاد الخُراسانية ومن أولاد الدُّعاة، وكان يُعاشر إسحاق ويَبَرّه ويُهاديه، فأخذت رياض عنه غناءً كثيراً؛ وكانت محسنةً ضاربةً كثيرة الرواية؛ وأحبّ إسحاق أن ينوّه باسمها ويرفعَ من شأنها، فذكر صنعتها في هذا الصوت فيما اختاره للواثق قضاءً لحقّ مولاها. وليس فيما قلتُه في هذا لأنّ الصوت غير مختار ولكن في الغناء ما هو أفضل منه بكثير ولم يذكره؛ وقد فعل ذلك بجماعة ممن كان يودّه ويتعصّب له مثل مُتَيَّم وأبي دُلَف وغيرهم. ومن يعلم هذه الصناعة يعرف صحّة ما قلناه. وماتت رياض هذه مملوكةً لمولاها لم تخرج من يده ولا شُهِرت ولا رُوِي لها خبر.

صوت
من المائة المختارة عن علاّ بن يحيى

راح صحبـــي وعـــاود القلـــبَ داءُ مـــن حبيـــبٍ طِـــلاَبُـــه لـــي عَنـــاءُ

حَسَـــنُ الـــرأي والمـــواعيـــدِ لا يُلْـ ـفَـــى لشـــيء ممـــا يقـــول وفـــاء

مَـــنْ تَعَـــزَّى عمـــن يحـــبّ فـــإنّـــي ليـــس لـــي مـــا حَيِيـــتُ عنـــه عـــزاء

أمّ عثمـــان قـــد قتلـــتِ قتيـــلاً عَمْـــدَ عَيْـــنٍ قتلتِـــه لا خَطَـــاءُ

لم يقع إلينا قائل هذا الشعر فنذكرَه. والغناء لنافع بن طُنْبورة، ولحنه المختار خفيفُ ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى. وفي هذا الشعر لحنٌ لعبدالله بن طاهر ثاني ثقيلٍ / من جيِّد صَنْعته، وكان نسبه إلى لَمِيسَ جاريته، وله [٨/٢٦٨] خبر سنذكره في أخباره إذا انتهينا. وكان نافع بن طُنبورة يُكْنَى أبا عبدالله، مُغَنٍّ[3] محسنٌ من أهل المدينة، حسن الوجه نظيف الثوب، يلقّب نَقْشَ الغَضَار لحسن وجهه. وجعلتْه جميلة في المرتبة، لمّا اجتمع المغنُّون إليها، بعد نافع وبُدَيح وقبل مالك بن أبي السَّمْح. وغنّاها يومئذ:

يـــا طُـــولَ ليلِـــي وبِـــتُّ لـــم أنَـــمِ وِســـادِيَ الهَـــمُّ مُبطِـــنٌ سَقَمِـــي

أنْ قمـــتُ يـــومـــاً علـــى البَـــلاَطِ وأبـ ـصـــرتُ رَقّـــاشـــاً فليـــتَ لـــم أقُـــمِ[4]

---

(١) في الأصول: «لابن مخارق» وظاهر أنه محرف عما أثبتناه.

(٢) هذه الكلمة «عنه» وردت في جميع الأصول.

(٣) في ب، س: «ابن معن» وهو تحريف.

(٤) في ب، س: «أن نمت... فليت لم أنم» وهو تحريف.

١٦٤/٧ فقالت جميلة: أحسنت والله يا نَقْش الغَضَار ويا حلو اللسان ويا حسنَ البيان!. ولم يفارق / أبن طُنبورة الحجاز ولا خدم الخلفاء ولا أنتجعهم بصنعة فخمَلِ ذكره.

صوت

من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى

عَتَــق الفــؤادُ مــن الصِّبَــا ... ومــن السَّفــاهــة والعَــلاَقِ

وحططــتُ رحلــي عــن قَلُــو ... صِ الغــيّ فــي قُلُــص عِتَــاقِ

ورفعــت فضــلَ إزاريَ الْــ ... ـمجــرور عــن قــدمــي وســاقــي

وكَفَفْــتُ غَــرْبَ النفــسِ حتّـ ... ـــى مــا تتــوقُ إلــى مَتــاقِ

الشعر لسَعِيد بن عبدالرحمن بن حَسّان بن ثابت. والغناء لابن عَبّاد الكاتب. ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل، وقيل: إنه لغيره.



/ أخبار سعيد بن عبدالرحمن

[٨/٢٦٩]

سعيد بن عبدالرحمن ومنزلته في الشعر:

وقد مضى نسبُه في نسب جَدّه حسّان بن ثابت متدِّماً. وهو شاعر من شعراء الدولة الأُمويّة، متوسّطٌ في طبقته ليس معدوداً في الفحول. وقد وفد إلى الخلفاء من بني أُميّة فمدحهم ووصَلوه. ولم تكن له نباهةُ أبيه وجدّه.

وفد على هشام فلم ينل منه ودعاه الوليد فأكرمه:

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثني أحمد بن الهَيْثَم بن فِرَاس قال حدّثني أبو عمرو الخَصّاف عن العُتْبيّ قال:

خرج سَعِيدُ بن عبدالرحمن بن حسّان مع جماعة من قريش إلى الشأم في خلافة هشام بن عبدالملك، وسألهم مُعاونتَه، فلم يُصادفوا من هشام له نشاطاً. وكان الوليد بن يزيد قد طلّق أمرأتَه العثمانيّة ليتزوّج أختَها، فمنعه هشام عن ذلك ونهى أباها أن يزوِّجه. فمرّ يوماً بالوليد وقد خرج من داره ليركب؛ فلما رآه وقف؛ فأمر به الوليد فدُعِي إليه؛ فلما جاءه قال: أنت أبن عبدِالرحمن بن حسّان؟ قال: نعمْ أيها الأمير. فقال له: ما أَقْدَمَكَ؟ قال: وفدتُ على أمير المؤمنين منتجعاً ومادحاً ومستشفعاً بجماعة صَحِبْتُهم من أهله، فلم أَنَلْ منه حُظْوةً ولا قبولاً. قال: لكنك تجد عندي ما تُحِبّ، فأقِمْ حتى أعود. فأقام ببابه حتى دخل إلى هشامٍ وخرج من عنده؛ فنزل ودعا بسعيد، فدخل إليه، فأمَر بتغيير هيئته وإصلاح شأنه؛ ثم قال له: أنشِدْني قصيدةً بلغتْني لك فشوّقتْني إليك، وغُنِّيتُ في بعضها، فلم أزَلْ أتمنّى لقاءك. فقال: أيّ قصيدة أيها الأمير؟ قال قولك:

أبـائنـةٌ سُعْـدَى ولـم تُـوفِ بـالعَهْـدِ ... ولـم تَشْـفِ قلبـاً تيّمتْـه علـى عَمْـدِ

/ نَعَـمْ أَتَمُـودِ أنـت إن شَطّـتِ النّـوَى ... بِسُعْـدَى ومـا مـن فُـرقـةِ الـدهـر مـن رَدّ[١]

[٨/٢٧٠]

كـأنْ قـد رأيـتَ البيـنَ لا شـيءَ دونـه ... فَـمِ الآنَ أعْلِـنْ مـا تُسِـرّ مـن الـوجـدِ

لعلـك منهـا بعـد أن تشحَـطَ النّـوَى ... مُـلاقٍ كمـا لاقـى أبنُ عَجْلانَ[٢] مـن هنـدِ

فـوَيْـلُ أبـنِ[٣] سَلْمَـى خُلّـةً غيـرَ أنهـا ... تُبَلِّـغ منّـي وهـي مـازحـةٌ جِـدّي

/ وتـدنـو لنـا فـي القـول وهـي بعيـدةٌ ... فمـا إنْ بسَلْمَـى[٤] مـن دُنُـوٍّ ولا بُعْـدِ

١٦٥ / ٧

(١) في أ، م: «من بدّ».

(٢) هو عبدالله بن عجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب، جاهليّ يضرب به المثل في العشق. وهند هي بنت كعب بن عمرو بن الليث النهدي، تتصل بعبدالله هذا في النسب. (انظر قصتهما مطوّلة في كتاب «تزيين الأسواق» جـ١ ص ٩٠، و«الأغاني» جـ١٩ ص ١٠٢ طبع بلاق).

(٣) كذا في الأصول. ولعله «فويل أم سلمى إلخ» أو «فيا ويل سلمى».

(٤) كذا في جـ وفي سائر الأصول. «فما أن تسلى».

ومهمـا أكُـنْ جَلْـداً عليـه فـإنّنـي ... علـى هَجْـرِهـا غيـرُ الصَّبُـورِ ولا الجَلْـدِ
إذا سُمْتُ نفسي هجرَها قُطِعتْ[1] بـه ... فجـانبتُـه فيمـا أُسِـرّ ومـا أُبْـدِي
كـأنّـي أرى فـي هَجـرهـا، أيَّ سـاعـةٍ ... هَمَمْتُ بـه، مـوتـى وفـي وصلها خُلْـدي
ومـن أجلِهـا صـافَيْتُ مَـنْ لا تَـرُدُّنـي ... عليـه لـه قُـرْبَـى ولا نعمـةٌ عنـدي
وأغضيتُ عيني من رجالٍ على القَذَى ... يقـولـون أقـوالاً أمَضُّـوا بهـا جِلْـدِي
وأقصَيْـتُ مَـنْ قـد كنـتُ أُدْنِـي مكـانَـه ... وأدنيـتُ مـن قـد كنـتُ أقصيتُـه جَهْـدِي
فـإن يَـكُ أمسَـى وصـلُ سَلمَـى خِـلابـةً ... فمـا أنـا بـالمفتـونِ فـي مثلِهـا وحـدي
فـأَصْبـحَ مـا مَنَّتْـكَ دَيْنـاً مُسَـوَّفـاً ... لـواه غـريـمٌ ذو اعتـلالٍ وذو جَحْـدِ
تجـود بتقـريـبِ الـذي هـو آجـلٌ ... مـن الـوعـد ممطـولٌ وتبخَـل بـالنَّقْـدِ
وقـد قلـت إذ أهـدَتْ إلينـا تحيّـةً ... عليهـا سـلامُ الله مـن نـازحٍ مُهْـدِي
سقـى الغيثُ ذاك الغـورَ مـا سكنـتْ بـه ... ونجـداً إذا صـارت نَـواهَـا إلـى نجـدِ

[٢٧١/٨] / قال: فجعل يُنشدها ودموعُ الوليد تنحدر على خَدَّيه حتى فرَغ منها. ثم قال له: لن تحتاج إلى رِفْد أحد ولا معونتِه ما بَقِيتُ، وأمر له بخمسمائة درهم، وقال: إبْعَثْ بها إلى أهلك وأقم عندي، فلن[2] تعدَم ما تُحِبّه ما بَقِيت. فلم يزل معه زماناً، ثم استأذنه وانصرف. وفي بعض هذه الأبيات غناءٌ نِسْبتُه:

صوت

أبـائنـةٌ سُعْـدَى ولـم تُـوفِ بـالعهـدِ ... ولـم تَشْـفِ قلبـاً أقصـدتْـه علـى عَمْـدِ
ومهمـا أكـن جلـداً عليـه فـإنّنـي ... علـى هجـرهـا غيـرُ الصبـور ولا الجَلْـدِ

الغناء لمالك خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ. من هذه القصيدة:

صوت

وأغضيتُ عيني من رجالٍ على القَذَى ... يقـولـون أقـوالاً أمَضُّـوا بهـا جِلْـدِي
إذا سُمْـتُ نفسـي هجـرَهـا قُطِعـتْ بـه ... فجـانبتُـه فيمـا أُسِـرّ ومـا أبْـدِي

الغناء لابن مُحْرِز ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو.

قصته مع عبد الصمد بن عبد الأعلى:

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني عمّي ومحمد بن الضحّاك بن عثمان قالا[3]:

---

(١) أي كلت وأعيت.

(٢) كذا في أ. وفي سائر الأصول: «فلم» وهو تحريف.

(٣) في الأصول: «قال».

وفَد سعيد بن عبدالرحمن بن حسّان على هشام بن عبدالملك وكان حسن الوجه؛ فاختلف إلى عبدالصمد بن عبد الأعلَى مؤدِّب الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فأراده على نفسه، وكان لُوطيّاً زِنْدِيقاً؛ فدخل سعيد على هشام مُغْضَباً وهو يقول:

إنــــه والله لــــولا أنــــتَ لــــم ... ينـجُ منّـي سـالمـاً عبـدُ الصَّمَـدْ

[٨/ ٢٧٢] / فقال له هشام: ولماذا؟ قال:

إنــــه قــــد رام منّــــي خُطّــــةً ... لــم يَــرُمْهــا قبلــه منّــي أحــدْ

١٦٦/٧ / فقال: وما هي؟ قال:

رامَ جهــلاً بــي وجهــلاً بــأبــي ... يُـدْخِـلُ الأفعَـى إلـى خِيسِ الأسَـدْ

قال: فضحِك هشامٌ وقال له: لو فعلتَ به شيئاً لم أُنكر عليك.

سأل أبا بكر بن محمد حاجة لدى سليمان بن عبدالملك فلم يقضها وقضاها غيره فهجاه:

أخبرني أحمد بن عُبَيدالله بن عَمّار قال حدّثني عمر بن شَبّة قال أخبرنا ابن عائشة [لا أعلمه(١) إلا عن أبيه] قال:

سأل سعيد بن عبدالرحمن بن حسّان صديقاً له حاجةً ـ وقال هشام بن محمد في خبره: سأل سعيد بن عبدالرحمن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم حاجةً ـ يكلِّم فيها سليمان بن عبدالملك فلم يَقْضِها له، ففَزِع فيها إلى غيره فقضاها؛ فقال:

سُئلتَ فلم تفعلْ وأدركتُ حاجتِي ... تـولّـى سـواكـم حَمْـدَهـا واصطنـاعَهـا

أبـى لـك كَسْـبَ الحمـد رأيٌ مُقَصِّـرٌ ... ونفــسٌ أضــاق الله بــالخيــر بــاعَهــا

إذا مــا أرادتــه علــى الخيــر مــرّةً ... عصــاهــا وإن هَمّــتْ بشــرٍّ أطــاعهــا

قال ابن عمّار: وقد أنشدَنا هذه الأبياتَ سليمان بن أبي شَيْخ لسعيد بن عبدالرحمن ولم يذكر لها خبراً.

مدح عديّ بن الرقاع شعره:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن زكريا الغَلّابيّ عن ابن عائشة قال:

قال رجلٌ من الأنصار لعَدِيّ بن الرِّقَاع: أَكْتِبْنِي(٢) شيئاً من شعرك. قال: ومن أيّ العرب أنت؟ قال: أنا رجلٌ من الأنصار. قال: ومَنْ منكم القائل:

[٨/ ٢٧٣] / إنّ الحمَـامَ إلـى الحجـازِ يَهيـجُ لـي ... طَــرَبــاً تَــرَنُّمُــهُ إذا يَتَــرنَّــمُ

والبــرقُ حيــن أَشِيمُــه مُتَيــامِنــاً ... وجنــائــبُ الأرواحِ حيــن تَنَسَّــمُ

(١) كذا وردت هذه الجملة في الأصول.

(٢) كذا في أ. وأكتبه شعره وغيره: أملاه عليه. وفي سائر الأصول: «اكتب لي...».

فقال له: سعيد بن عبدالرحمن بن حسّان بن ثابت. فقال: عليكم بصاحبكم فأكتُبْ شعره، فلستَ تحتاج معه إلى غيره.

وفي أوّل هذه القصيدة غناءٌ نِسْبتُه:

صوت

بَـرِحَ الخفـاءُ فـأيَّ مـا بـك تكتُـمُ　　والشَّـوْقُ[1] يُظْهِـرُ مـا تُسِـرّ فيُعْلَـمُ

وحملـتَ سُقْمـاً مـن عـلائـق حبِّهـا　　والحـبُّ يَعْلَقُـه الصحيـحُ فيَسْقَـمُ

الغناء لحَكَم خفيفُ رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ، وذكره إبراهيم له ولم يجنّسه وفي هذه القصيدة يقول:

علـويّـةٌ أمسـتْ ودون وِصَـالِهـا　　مضمـارُ مصـرَ وعـابِـدٌ[2] والقُلْـزُمُ

خَـوْدٌ تُطِيـفُ بهـا نـواعـمُ كـالـدُّمَـى　　ممـا أصطفـى ذو النِّيقـةِ[3] المتـوسِّـمُ

حُلِّيـنَ مَـرْجـانَ البحـورِ وجـوهـراً　　كـالجمـر فيـه علـى النحـور يُنَظَّـمُ

قـالـت ومـاءُ العيـن يغسِـل كحلَهـا　　عنـد الفِـراق بمستهـلٍّ يَنْسَجِـمُ

يـا ليـتَ أنـك يـا سعيـدُ بـأرضِنـا　　تُلْقِـي المَـرَاسِـيَ ثـاويـاً وتُخَيِّـمُ

فتُصِيـبَ[4] لـذَّةَ عيشِنـا ورخـاءَه　　فنكـون أجـواراً فمـاذا تنقِـمُ

/ لا تَـرجِعَـنّ إلـى الحجـازِ فـإنـه　　بلـدٌ بـه عيـشُ الكـريـم مُـذَمَّـمُ

[٨/ ٢٧٤]

وهَلُـمَّ جَـاوِزْنـا فقلـت لهـا أقصِـرِي　　عيـشٌ بطَيْبَـةَ ويـحَ غيـرِك أنعَـمُ

/ أيُفـارَقُ الـوطـنُ الحبيـبُ لمنـزِلٍ　　نـاءٍ ويُشْـرَى[5] بـالحـديـث الأقـدمُ

١٦٧/٧

إنّ الحمـامَ إلـى الحجـاز يَهِيـجُ لـي　　طَـرَبـاً تَـرَنُّمُـه إذا يتـرنَّـمُ

والبـرقُ حيـن أَشِيمُـه متيـامنـاً　　وجنـائـبُ الأرواحِ حيـن تَنَسَّـمُ

لـو لَـجَّ ذو قَسَـمٍ علـى أنْ لـم يكـن　　فـي النـاسِ مُشْبِهُهـا لبَـرَّ المُقْسِـمُ

مـن أجلهـا تَـرْكِـي القَـرارَ وخَفْضَـه　　وتَجَشُّمِـي مـا لـم أكـن أتَجَشَّـمُ

ولقـد كتمـتُ غـداةَ بـانـتْ حـاجـةً[6]　　فـي الصـدر لـم يعلـم بهـا متكلِّـمُ

تَشفِـي بـرؤيتهـا السقيـمَ وتـرتمـي　　حَـبَّ القلـوب، رَمِيُّهـا لا يَسْلَـمُ

---

(١) كذا في «تجريد الأغاني» وفي الأصول: «ولسوف».

(٢) كذا في «معجم البلدان» لياقوت في كلامه على القلزم. وعابد: جبل بمصر، وقيل: موضع أو صقع بها. وفي الأصول: «عائذ» وهو تصحيف. والقلزم: بلدة شرقي مصر قرب جبل الطور، إليها يضاف البحر الأحمر فيقال بحر القلزم.

(٣) النيقة: اسم للتنوّق أي التخير.

(٤) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «فتصيب» بالنون.

(٥) يشرى هنا: يباع. يقال: شراه إذا باعه، وشراه إذا ملكه بالشراء، فهو من أفعال الأضداد.

(٦) كذا في حـ وفي سائر الأصول: حاجتي».

رَفْـراقـةٌ فـي عُنْفـوان شَبـابهـا ... فيهـا عـن الخُلُـق الـدَّنِـيِّ تَكَـرُّمُ
ضَنَّـتْ علـى مُغْـرًى بطـول سـؤالهـا ... صَـبٍّ كمـا يَسَـلُ الغَنِـيَّ المُعْـدِمُ

سأل عنبسة بن سعيد أن يكلم له الخليفة فتأخر فسرق متاعه فقال شعر:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مُسْلِم عن الحِرْمازيّ قال:

خرج سعيد بن عبدالرحمن بن حسّان إلى عسكر يزيد بن عبدالملك، فأتى عنبسة بن سَعِيد بن العاصِي، وكان أبوه صديقاً لأبيه، فسأله أن يرفع أمرَه إلى الخليفة، فوعده أن يفعل؛ فلم يمكث إلّا يسيراً حتى طَرقه لِصٌّ فسرَق متاعَه وكلّ شيء كان معه؛ فأتى عنبسةَ فتنجّزه ما وعده؛ فاعتلّ عليه ودافَعه؛ فرجع سعيد من عنده فأرتجل وقال:

أَعَنْبَسَ قـد كنـت لا تَعْتَـزِي[1] ... إلـى عِـدَةٍ منـك كـانـت ضَـلَالَا
/ وعـدتَ عِـدَاتٍ لَـوَ أنجـزتَهـا ... إذاً لحُمِـدْتَ ولـم تُـرْزَ[2] مـالاَ [٢٧٥/٨]
ومـا كـان ضَـرَّكَ لـو قـد شفعـتَ ... فـأعطـى الخليفـةُ عفـواً نَـوالا
وقـد يُنْجِـزُ الحـرُّ مـوعـودَه ... ويفعـل مـا كـان بـالأمـس قـالا
فيـاليتنـي والمُنَـى كـأسمِهـا ... وقـد يصـرِف الـدهـرُ حـالاً فحـالا
قعـدتُ ولـم ألتمـس مـا وعـدتَ ... ويـاليـت وعـدَك كـان أعتـلالا
وكـانـت نَعَـمْ منـك مخـزونـةً ... وقلـت مِـنَ أوّل يـومٍ ألَالا
أرى كَـذِبَ القـولِ مِـن شـرِّ مـا ... يُعَـدُّ إذا النـاسُ عَـدُّوا الخِصـالاَ
فـأبقيـتَ لـي عنـكَ منـدوحـةً ... ونفسـاً عَـزُوفـاً تُقِـلّ السـؤالا
فـإن عـدتُ أرجـوكُـمُ بعـدَهـا ... فبُـدِّلـتُ بعـد العَـلاَء السَّفَـالا
أأرجـوك مـن بعـد مـا قـد عَـرَفْـتَ[3] ... لَعَمْـرِي لقـد جئـتُ شيئـاً عُضَـالا

لقي الوليد لما حج فاستأنس به الوليد:

نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبَانيّ يأثِرُهُ عن أبيه قال:

كان سَعِيد بن عبدالرحمن بن حسّان إذا وفَد إلى الشأم نزل على الوليد بن يزيد، فأحسن نُزُلَه وأعطاه وكساه وشفَع له. فلما حجّ الوليد لَقِيه سعيد بن عبدالرحمن في أوّل مَنْ لقِيه، فسلّم عليه، فردّ الوليد عليه السلام وحيّاه وقرّبه وأمر بإنزاله معه وبسَطه، ولم يأنَس بأحد أُنسَه به. وأنشده سعيدٌ قولَه فيه:

يـا لَقَـوْمـي لِلهَجْـرِ بعـد التَّصـافِـي ... وتَنَـائـي الجميـع بعـد أئتـلافِ
/ مـا شجـا القلـبَ بعـد طـول أنـدمـال ... غيـرُ هـابٍ[4] كـالفَـرْخ بيـن أثـافِـي ١٦٨/٧

---

(١) تعتزي: تنتسب.

(٢) ترز: أصلها «ترزأ» سهلت الهمزة ثم حذفت للجازم.

(٣) كذا في ب، س: بالزاي المعجمة. وفي سائر الأصول: «عرفت» بالراء المهملة.

(٤) الهابي: الرماد الدقيق أو التراب المنتشر في الجوّ كالهباء، وأنشد الأصمعيّ:

=

ونعيبِ الغراب في عَرْصةِ الدا ر ونُؤْيٍ تَسْفِي عليه السَّوافي

[٢٧٦/٨] / وقد رَوى عن سعيد بن عبدالرحمن بن حَسّان قال: رأى عَلَيّ ٱبنُ عمر أوضاحاً[١] فقال: ٱلْقِها عنك فقد كَبِرتَ.

صوت

من المائة المختارة من رواية جَحْظة

ما جرتْ خَطْرةٌ على القلب منّي فيكِ إلّا ٱستترتُ[٢] عن أصحابي

من دموعٍ تجري فإن[٣] كنتُ وحدي خالياً أسعدتْ دموعي انتحابي

إنّ حُبّي إيّاكِ قد سَلّ جِسْمي ورَماني بالشيبِ قبل الشَّباب

إرْحَمي[٤] عاشقاً لكِ اليوم صبّا هائمَ العقل قد ثَوَى في التُّراب

الشعر للسيِّد الحِمْيَرِيّ، والغناء لمحمد نَعْجة خفيفُ رمل أيضاً. ولم أجد لهذا المغنّي خبراً ولا ذكراً في موضع من المواضع أذكره. وقد مضت أخبار السيِّد متقدماً.

صوت

من المائة المختارة

أَكْرَعُ الكَرْعةَ الرويّةَ منها ثم أصحو وما شَفَيتُ غَليلي

كم أتى دون عهدِ أُمِّ جميلٍ من أنْي[٥] حاجةٍ ولُبْثٍ طويلِ

وصياح الغراب أن سِرْ فأسْرِعْ سوف تحظَى بنائلٍ وقَبولِ

الشعر للأحوص. والغناء للبُرْدَان خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر.

= وهاب كجثمان الحمامة أجفلت به ريح ترج والصبا كل مجفل

(١) الأوضاح: حلى من الفضة.

(٢) كذا في «الأغاني» ج ٧ ص ٢٢٨ من هذه الطبعة. وفي الأصول هنا: «إلّا اشهرت من أصحابي» وهو تحريف.

(٣) كذا في «الأغاني» في الموضع السابق. وفي الأصول: «فأبكيت وحدي» وهو تحريف.

(٤) ورد هذا الشطر فيما مرّ هكذا: «لو منحت اللقا شقي بك صبا».

(٥) إني حاجة: إدراكها وبلوغها. والإنى: التأخير أيضاً وهو المراد هنا.

/ أخبار البُرْدَانِ

[٢٧٧/٨]

كان متولي السوق بالمدينة وأخذ عن معبد وجميلة وعزة الميلاء:

البُرْدانُ لقب غلَب عليه. ومن الناس من يقول: بُرْدان من أهل المدينة، وأخذ الغناء عن معبد وقبلَه عن جميلة وَعزّةَ المَيْلاَء. وكان مُعَدَّلاً مقبولَ الشّهادة، وكان متولِّيَ السّوق بالمدينة.

قال هارون بن الزيّات حدّثني أبو أيّوب المَدينيّ عن محمد بن سلاّم قال: هو بُرْدَانُ بضم الباء وتسكين الراء.

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر وحُسَين بن يحيى قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني عليّ بن عبدالعزيز عن ٱبن خُرْدَاذْبه قال قال إسحاق:

كان بُرْدَانُ متولِّيَ السوق بالمدينة. فقَدّم إليه رجل خَصْماً يدّعي عليه حقّاً؛ فوجب الحكم عليه فأمر به إلى الحبس. فقال له الرجل: أنت بغير هذا أعلمُ منك بهذا. فقال: رُدُّوه فرُدّ؛ فقال: لعلك تعني الغناء! إني والله به لعارف؛ ولو سمعت شيئاً جاء البارحةَ لازددت علماً بأني عارف، ومهما جَهِلتُ فإني بوجوب الحقّ عليك عالم؛ اذهبوا به إلى الحبس حتى يخرج إلى غريمه من حقّه.

رآه سياط بالمدينة وأخذ عنه أصواتاً:

قال وحدّثني أبو أيّوب عن حَمّاد عن أبيه عن ٱبن جامع عن سِياط قال:

رأيت البُرْدَانَ بالمدينة يتولّى سوقَها وقد أسنّ؛ فقلت له: يا عمّ، إني / رويت لك صوتاً صنعتَه، وأحببتُ أن تصحِّحه لي. فضحِك ثم قال: نَعَمْ يا بُنَيّ وحبّاً وكرامة. لعله: [١٦٩/٧]

كم أتى دون عهد أمّ جميل

فقلت: قال: مِل بنا إلى ها هنا؛ فمال بي إلى دار في السّوق، ثم قال: غَنِّه؛ فقلت: بل تُتمّ إحسانك يا عمّ وتغنِّيني به فإنه أطيب لنفسي؛ فإن سمعتُه كما أقول / غنّيته وأنا غير متهيِّب، وإن كان فيه مُسْتَصْلَحٌ ٱستعدته[1]. فضحك ثم قال: أنت لستَ تريد أن تصحِّح غِنائك، إنما تُريد أن تقول سمعتني وأنا شيخ وقد ٱنقطعتُ وأنت شابّ. فقلت للجماعة[2]: إن رأيتم أن تسألوه أن يُشَفِّعني فيما طلبتُ منه! فسألوه، فاندفع فغنّاه فأعاده ثلاثَ مرّات؛ فما رأيتُ أحسنَ من غنائه على كِبَر سِنّه ونُقصان صوته. ثم قال: غَنِّه فغنَّيته؛ فطرِب الشيخ حتى بكى، وقال: اذهب يا بُنَيّ، [٢٧٨/٨]

(١) لعلها: استفدته.

(٢) لعله يعني جماعة كانوا في الدار التي مال به إليها.

فأنت أحسن الناس غناءً، ولئن عِشْتَ ليكوننّ لك شأن. قال: وكان بُرْدانُ خفيفَ الرُّوح طَيِّبَ[1] الحديث مليح النادرة مقبول الشهادة قد لقي الناسَ، فكان بعد ذلك إذا رآني يدعوني فيأخذني معه إلى منزله ويسألني أن أُغنّيه فأفعل؛ فإذا طابت نفسُه سألته أن يطرَح عليَّ شيئاً من أغاني القدماء فيفعل إلى أن أخذتُ عنه عِدّة أصوات.

صوت

من المائة المختارة

لِمَنِ الدِّيارُ بحائِلٍ[2] فَوعَالِ ... دَرَسَتْ وغَيَّرها سِنُونَ خَوالِي

دَرَجَ البَوارِحُ[3] فوقها فتنكّرَتْ ... بعد الأنيس مَعارِفُ الأطلالِ

[٨/٢٧٩] / دِمَنٌ تُذَعْذِعها[4] الرياحُ وتارةً ... تعفو بمُرتَجِزِ السَّحابِ ثِقالِ

فكأنما هي من تَقَادُمِ عهدِها ... وَرَقٌ نُشِرنَ من الكتاب بَوَالِي

الشعر للأخطل، والغناء لسائب خاثر، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بالبنصر من أصوات قليلة الأشباه. وذكر عمرو بن بانة أنّ في الثاني والرابع من الأبيات للأبجر ثقيلاً أوّل. وذكر حبش أنّ لمعبد فيه ثقيلاً أوّل بالوسطى وأنّه أحد السبعة[5]، وأن لإسحاق فيه ثانيَ ثقيل، وذكر الهشاميّ أنّ لحن إسحاق خفيف ثقيل.

---

(١) في أ، م: «حسن الحديث».

(٢) حائل: موضع باليمامة. ووعال (كغراب): جبل قيل إنه بسماوة كلب بين الكوفة والشأم. (انظر «معجم البلدان» لياقوت و«شرح ديوان الأخطل» ص ١٥٦ طبع الآباء اليسوعيين).

(٣) كذا في أ، م و«ديوانه». والبوارح: الرياح الحارة الشديدة. أي جرت الرياح عليها جريانا شديداً فغيرت هيئتها حتى لم تعد تعرف. وفي سائر الأصول: «درج البواكر».

(٤) كذا في جـ و«ديوانه». وتذعذعها: تحركها تحريكاً شديداً وتفرقها وتبددها. وفي سائر الأصول: «تزعزعها» بالزاي. والزعزعة: التحريك.

(٥) يريد سبعة أصوات معبد المعروفة بالمدن.

/ ذكر الأخطل وأخباره ونسبه

[٨/ ٢٨٠]

نسب الأخطل:

هو غِيَاثُ بن غَوْثُ بن الصَّلْت بن الطَّارِقة، ويقال أبن سَيْحَان بن عَمْرو بن الفَدَوْكَس بن عمرو بن مالك بن جُشَمَ بنِ بكر بنِ حَبِيب بن عمر بن غُنْم بن تَغْلِب. ويكنى أبا مالك. وقال المدائِنِيّ: هو غِياث بن غَوْث بن سَلَمة بن طَارِقة، قال: ويقال لسَلَمَة سَلَمَةُ اللحّام[١]. قال: وبَعَث النُّعْمان بن المُنْذِر بأربعةِ أرماح لفُرسان العرب، فأخذ أبو بَرَاء عامر بن مالك رُمْحاً، وسلَمَةُ بن طارِقة اللحّام[٢] رمحاً وهو جدّ الأخطل، وأَنَسُ بن مُدْرِك رمحاً، وعمرُو بن مَعْدِ يَكْرِبَ رمحا.

سبب تلقيبه بالأخطل والهجاء بينه وبين كعب ابن جعيل:

والأخطل لقبٌ غلبَ عليه. ذكر هارون بن الزيّات عن أبن النطّاح عن أبي عُبَيدة أنّ السبب فيه أنه هجا رجلاً من قومه؛ فقال له: يا غلام، إنك لأخطل، فغلبتْ عليه. وذكر يعقوب بن السِّكّيت أنّ عُتْبة بن الزَّعَل[٢] بن عبدالله بن عمر بن عمرو بن حبيب / بن الهجرس[٣] بن تَيم بن سَعْد بن جُشَمَ بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غُنْم بن تَغْلِب حمَل حَمالةً، فأتى قومَه يسأل فيها؛ فجعل الأخطلُ يتكلّم وهو يومئذ غلام. فقال عُتْبة: مَنْ هذا الغلام الأخطل؟! فلُقِّب به.

١٧٠/٧

قال يعقوب وقال غير أبي عُبيدة: إنّ كَعْب بن جُعَيْل كان شاعرَ تَغْلِبَ، وكان لا يأتي منهم قوماً إلا أكرموه وضربوا له قُبّة؛ حتى إنه كان تُمَدّ له حبالٌ بين وَتِدَين فتُملأ له غَنَما. فأتى في مالك بن جُشَمَ ففعلوا ذلك به؛ فجاء الأخطل وهو / غلام فأخرجِ الغَنَم وطرَدها؛ فسبّه عُتْبة وردّ الغنم إلى مواضعها؛ فعاد وأخرجها وكعبٌ ينظر إليه؛ فقال: إنّ غلامكم هذا لأخطَلُ - والأخطل: السفيه - فغلَب عليه. ولَجّ الهجاء بينهما؛ فقال الأخطل فيه:

[٨/ ٢٨١]

سُمِّيتَ كعباً بشرّ العظام ... [وكان[٤] أبوك يُسَمّى الجُعَلْ

وإنّ مَحَلّك من وائلٍ ... محلُّ القُرَاد من أست الجمل]

فقال كعب: قد كنتُ أقول لا يقهَرني إلاّ رجل له ذكرٌ ونَبَأ، ولقد أعددتُ هذين البيين لأن أُهْجَى بهما منذ كذا وكذا، فغلَب عليهما هذا الغلام.

(١) في جـ: «سلمة اللجام» بالجيم.

(٢) في جـ: «ابن الزغل» بالزاي والغين المعجمتين. وورد في «الطبري» (ق ١ ص ٢٤٧٦ طبع أوروبا): «عتبة بن الوعل أحد بني سعد بن جشم».

(٣) في جـ: «ابن الهجر» وفي أ، م: «ابن البحر».

(٤) التكملة عن «ديوانه».

وقال هارون بن الزيّات حدّثني قَبِيصةُ بن مُعاوية المهلّبيّ قال حدّثني عيسى بن إسماعيل قال حدّثني القَحْذَميّ قال:

وقع بين ٱبنَيْ جُعَيْل وأمِّهما ذَرْءٌ[١] من كلام، فأدخلوا الأخطل بينهم؛ فقال الأخطل:

لَعَمْرُكَ إنّني وٱبْنَيْ جُعَيْلٍ وأُمُّهما لإسْتارٌ[٢] لئيمُ

فقال ٱبن جُعَيْل: يا غلام، إنّ هذا لَخَطَلٌ من رأيك؛ ولولا أنّ أُمّي سَمِيّةُ أُمّك لتركتُ أمّك يحدو بها الرُّكبان؛ فسُمّي الأخطلَ بذلك. وكان ٱسم أمّهما وأمّ الأخطل ليلى.

وقال هارون حدّثني إسماعيل بن مُجَمِّع عن ٱبن الكلبيّ عن قومٍ من تَغْلِبَ في قصّة كعب بن جُعَيل والأخطل بمثل ما ذكره يعقوب عن غير أبي عُبَيدة ممن لم يسمِّه، وقال فيها: وكان الأخطل يومئذ يُقَرْزِم[٣] - والقرزمة: الابتداء بقول / الشعر - فقال له أبوه: أبِقَرْزَمتك تُريد أن تُقاوم ٱبنَ جُعَيل! وضربه. قال: وجاء ٱبن جُعَيل على تَفِئَةِ[٤] ذلك فقال: مَنْ صاحبُ الكلام؟ فقال أبوه: لا تَحْفِل به فإنه غلام أخطل. فقال له كعب: [٨/٢٨٢]

شَاهِدُ هذا الوجه غِبَّ الحُمَّهْ

فقال الأخطل:

فناكَ كعبُ بن جُعَيْلٍ أُمَّهْ

فقال كعب: ما ٱسم أمّك؟ قال: ليلى. قال: أردتَ أن تُعيذها باسم أمّي. قال: لا أعاذها الله إذاً. وكان اسم أمّ الأخطل[٥] ليلى، وهي امرأة من إيَاد؛ فيُسمّي الأخطلَ يومئذ، وقال:

هجا الناسُ ليلى أُمَّ كَعْبٍ فمُزِّقتْ فلم يبقَ إلا نَفْنَفٌ[٦] أنا رافعُهْ

وقال فيه أيضاً:

هجاني المُنْتِنَانِ ٱبنا جُعَيْلٍ وأيُّ الناسِ يقتلُه الهجاءُ
وُلِدتم بعد إخوتكم من ٱسْتٍ فهلّا جئتُمُ من حيث جاؤوا

فانصرف كعب، ولجّ الهجاء بينهما.

طبقته في الشعراء والخلاف فيه وفي جرير والفرزدق:

وكان نَصْرانيّاً من أهل الجزيرة[٧]. ومَحَلُّه في الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف. وهو وجرير والفرزدق

---

(١) الذرء: الشيء اليسير من القول.

(٢) إستار: أربعة.

(٣) كذا في «معجمات اللغة». وفي الأصول: «يغرزم» بالغين المعجمة، وهو تصحيف.

(٤) يقال: أتيته على تفئة ذلك أي على حينه وزمانه.

(٥) كذا في الأصول، والظاهر أن صواب العبارة: «وكان اسم أم كعب... إلخ».

(٦) النفنف: الهواء. يريد: لم يبق إلا شيء يسير.

(٧) كذا في جـ. والجزيرة: منازل تغلب قبيلة الأخطل. وفي سائر الأصول: «من أهل الحيرة».

طبقةٌ واحدة، فجعلها ابن سَلّام أوّل طبقات الإسلام. ولم يقع إجماع على أحدهم أنه أفضل، ولكل واحدٍ منهم طبقةٌ تفضّله عن[١] الجماعة.

/ أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن أبي عُبَيدة قال: [٨/ ٢٨٣]

جاء رجلٌ إلى يونس فقال له: مَنْ أشعرُ الثلاثة؟ قال: الأخطل. / قلنا: منِ الثلاثة؟ قال: أيّ ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم. قلنا: عَمّنْ تروي هذا؟ قال: عن عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق الحَضْرَميّ[٢] وأبي عمرو بن العَلاء وَعَنْبَسةَ الفِيل وميمون الأقْرَن الذين ماشُوا[٣] الكلامَ وطرَقوه. أخبرنا به أحمد بن عبدالعزيز قال قال أبو عُبيدة عن يونس، فذكر مثله وزاد فيه: لا كأصحابك هؤلاء لا بدويّون ولا نحويّون. فقلتُ[٤] للرجل: سَلْه وبأيّ شيء فضّلوه؟ قال: بأنه كان أكثَرهم عددَ طِوَالٍ جِيَادٍ ليس فيها سَقَطٌ ولا فُحْش وأشَدَّهم تهذيباً للشعر. فقال أبو وَهْب الدقّاق: أمَا إنّ حَمّاد[٥] وجَنّاداً كانا لا يفضّلانه. فقال: وما حَمّاد وجَنّاد! لا نحويّان ولا بدويّان ولا يُبْصِران الكسور ولا يُفْصِحان، وأنا أُحَدّثك عن أبناء تسعين أو أكثر أدَّوْا إلى أمثالهم ماشُوا الكلام وطرَقوه حتى وضعوا أبنيته فلم تَشِذّ عنهم زِنَةُ كلمة، وألحقوا السليمَ بالسليم والمضاعفَ بالمضاعف والمعتلّ بالمعتلّ والأجوفَ بالأجوف وبناتِ الياء بالياء وبناتِ الواو بالواو، فلم تَخْفَ عليهم كلمةٌ عربيّة، وما عِلْمُ حَمّادٍ وجَنّاد!

[٨/ ٢٨٤] / قال هارون حدّثني القاسم بن يوسف عن الأصمعيّ:

أنّ الأخطل كان يقول تسعين بيتاً ثم يختار منها ثلاثين فيُطَيِّرها[٦].

أخبرنا أبو خَليفة الفضل بن الحُبَاب قال أخبرنا محمد بن سَلّام قال سمعت سَلَمة بن عَيّاش وذكر أهلُ المجلس جريراً والفرزدقَ والأخطلَ ففضّله سلمةُ عليهما. قال: وكان إذا ذُكِر الأخطل يقول: ومَنْ مثل الأخطل وله في كل [بيتٍ] شعرٍ بيتان! ثم يُنْشِد قوله:

ولقد علمت إذا العِشارُ تَرَوّحتْ ... هَدَجَ الرِّئال تَكُبُّهُنّ شَمالا[٧]

أنّا نُعَجِّلُ بالعَبِيطِ[٨] لضيفِنا ... قبل العِيال ونضرب الأبطالا

---

(١) لعلها: «تفضله على الجماعة».

(٢) كذا في «طبقات ابن سلام» ص (٦، ٧، ٨، ١٦) نسخة الشنقيطي مصححة بقلمه. وفي الأصول: «الخضري».

(٣) ماش الكلام: خلطه. ويقال: طرق النجاد الصوف إذا ضربه بالمطرقة وندفه. يريد أنهم يخلطون الكلام ثم يغر بلونه ليستخرجوا أحسنه. وفي ب، س: «ماثوا» بالثاء المثلثة، وهو أيضاً بمعنى خلط.

(٤) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «فقال للرجل» وهو تحريف.

(٥) يعني حماداً الراوية المعروف. وجناد هو جناد بن واصل الكوفي مولى بني عاضدة، من رواة الأخبار والأشعار لا علم له بالعربية، وكان يصحف ويكسر الشعر ولا يميز بين الأعاريض المختلفة فيخلط بعضها ببعض، وهو من علماء الكوفيين القدماء، وكان كثير الحفظ في قياس حماد الراوية عن «معجم الأدباء» لياقوت ج ٢ ص ٤٢٥).

(٦) أي يذيعها.

(٧) كذا في «ديوانه» ص ٤٣. والعشار من الإبل: التي أتت عليها عشرة أشهر من ملقحها. وتروّحت: ذهبت في الرواح. والرئال: أولاد النعام. والهدج: عدو متقارب. وقوله: تكبهن شمالاً أي تكبهن الريح شمالاً، يريد وهي هابة شمالاً. وفي ب، س:

ولقد علمت إذا الرياح تناوحت ... هوج الرئال تكبهن شمالا

وفي سائر الأصول: «... الرياح تناوحت هدج الرئال...».

(٨) العبيط من اللحم: الطري (الطازج) غير النضيج.

ثم يقول ولو قال:

ولقــــد علمـــــت إذا العِشــــا رُ تــروّحــت هَــدَجَ الــرئــال

كان شعراً، وإذا زدتَ فيه تكبهنّ شمالاً، كان أيضاً شعراً من رَوِيٍّ آخر.

أخبرنا أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلاّم قال حدّثني أبو يحيى الضَّبّيّ قال:

كَعْبُ بن جُعَيل لَقَّبه الأخطلَ، سمعه يُنشد هجاءً فقال: يا غلام إنك لأخْطَلُ اللِّسان؛ فلزِمَته.

سأل نوح بن جرير عنه أباه فمدحه:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية قال حدّثنا بعض أصحابنا عن رجل من بني سَعْد قال:

[٨/ ٢٨٥] / كنتُ مع نوح بن جرير في ظِلّ شجرة، فقلت له: قبّحك الله وقبح أباك! أمّا أبوك فأفنَى عمرَه في مديح عبد ثَقِيف (يعني الحَجّاج). وأمّا أنت فامتدحتَ قُثَم بن العبّاس فلم تهتد لمَنَاقِبه ومَناقِب آبائه حتى امتدحتَه بقصرِ بناه. فقال: والله لئن سُؤتَني في هذا الموضع لقد سُؤتُ فيه أبي: بينا أنا آكل معه يوماً وفي فيه لقمةٌ وفي يده أخرى، فقلت: يا أبتِ، أنت أشعر أم الأخطل؟ فَجرِض[1] باللُّقمة التي في فيه ورمى بالتي في يده وقال: يا بُنيّ، لقد سَرَرْتَني وسُؤْتَني. فأمّا سرورُك إيّاي فلِتَعَهُّدِكَ لي مثلَ هذا وسؤالِك عنه. وأما ما سُؤتَني به فلِذِكْرِكَ رجلاً قد مات. يا بُنيّ أدركتُ الأخطلَ وله نابٌ واحد، ولو أدركتُه وله ناب آخر لأكلني به، ولكني أعانتني عليه خَصْلتان: كِبَرُ سِنّ، وخُبْثُ دين.

آراء الأئمة والشعراء فيه:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد وقال:

١٧٢/٧ سُئِلَ حَمّاد الراوية عن الأخطل، فقال: ما تسألوني عن رجلٍ قد حَبَّبَ شعرُه إليّ / النَّصْرانيةَ!.

قال إسحاق وحدّثني أبو عُبيدة قال قال أبو عمرو: لو أدرك الأخطلُ يوماً واحداً من الجاهليّة ما قدّمتُ عليه أحداً.

قال إسحاق وحدّثني الأصمعيّ أن أبا عمرو أنشد بيتَ شعر، فاستجاده وقال: لو كان للأخطل ما زاد.

وذكر يعقوب بن السِّكِّيت عن الأصمعيّ عن أبي عمرو:

أنّ جريراً سُئل أيّ الثلاثة أشعر؟ فقال: أمّا الفرزدق فتكلّف منّي ما لا يُطيق. وأمّا الأخطل فأشدُّنا اجتراءً وأرمانا للفَرائض. وأمّا أنا فمدينة الشعر.

[٨/ ٢٨٦] / وقال ابن النطّاح حدّثني الأصمعيّ قال:

إنما أدرك جريرٌ الأخطلَ وهو شيخٌ قد تحطّم. وكان الأخطل أسَنّ من جرير، وكان جرير يقول: أدركته وله

---

(١) جرض: غص.

نابٌ واحد، ولو أدركتُ له نابين لأكلني. قال: وكان أبو عمرو يقول: لو أدرك الأخطلُ يوماً واحداً من الجاهليّة ما فضّلتُ عليه أحداً.

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال:

قال العَلاء بن جَرير: إذا لم يجيء الأخطلُ سابقاً فهو سُكَّيْتٌ، والفرزدقُ لا يجيء سابقاً [ولا سُكَّيْتاً، وجرير يجيء[1] سابقاً] ومُصَلِّياً وسُكَّيْتاً.

وقال يعقوب بن السِّكِّيت قال الأصمعيّ:

قيل لجرير: ما تقول في الأخطل؟ قال: كان أشدَّنا اجتزاءً بالقليل وأنعتَنا للحُمُر[2] والخمر.

وروى إسماعيل عن عُبيدالله عن مؤرِّج عن شُعْبة عن سِمَاك بن حَرْب:

أنّ الفرزدق دخل الكوفة، فلقيه ضَوْءُ بن اللَّجْلَاج[3]؛ فقال له: مَنْ أمدَحُ أهل الإسلام؟ فقال له: وما تُريد إلى ذلك؟ قال: تَمارَيْنا فيه. قال: الأخطل أمدَحُ العرب.

وقال هارون بن الزيّات حدّثني هارون بن مسلم عن حَفْص بن عمر قال:

سمِعْتُ شيخاً كان يجلس إلى يونس كان يكنى أبا حَفْص، فحدّثه أنه سأل جريراً عن الأخطل فقال: أمدَحُ الناسِ لكريمٍ وأوصَفُه للخَمْرِ. قال: وكان أبو عُبَيدة يقول: شعراء الإسلام الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق. قال أبو عبيدة: وكان أبو عمرو يشبّه الأخطلَ بالنابغة لصحّة شعره.

/ وقال ابن النطّاح حدّثني عبدالله بن رُؤبة بن العجاج قال: [٢٨٧/٨]

كان أبو عمرو يفضّل الأخطل.

وقال ابن النطّاح حدّثني عبدالرحمن بن بَرْزَج قال: كان حمّاد يفضّل الأخطلَ على جرير والفرزدق. فقال له الفرزدق: إنما تفضّله لأنه فاسق مثلك. فقال: لو فضّلتُه بالفسق لفضّلتُك.

قال ابن النطّاح قال لي إسحاق بن مَرّار الشَّيْبانيّ: الأخطلُ عندنا أشعرُ الثلاثة. فقلت: يقال إنه أمدحُهم! فقال: لا واللهِ! ولكن أهجاهم. مَنْ منهما يُحْسِن أن يقول:

ونحن رفعنا عن سَلُولَ رماحَنا وعَمْداً رغِبنا عن دماء بني نَصْرِ

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال:

قال الأخطل: أشعرُ الناسِ قبيلةً بنو قَيْس بن ثَعْلَبة، وأشعرُ الناسِ بيتاً آلُ أبي[4] سُلْمَى وأشعر الناس رجل[5] في قميصي.

---

(١) التكملة عن «الأغاني» فيما تقدم في ترجمة جرير ص ٦ من هذا الجزء.

(٢) في «جـ»: «اللحم».

(٣) كذا في «شرح القاموس» (مادة «ضوأ»). وفي الأصول: «ضوء بن الجلاح».

(٤) يعني بيت زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي الأشهر. وفي ب، س، جـ: «سلمة» وهو تحريف.

(٥) كذا في الأصول. ومقتضى السياق أن يكون: «وأشعر الناس رجلاً في قميصي» على أن يكون «رجل» تمييزاً، كما كانت «قبيلة» و«بيت» وأن يكون «في قميصي» خبراً.

أنشد عبدالملك بن مروان مدحه فيه فأجازه:

أخبرني الحسن قال حدّثني محمد قال حدّثني الخَرّاز عن المدائنيّ عن عليّ بن حمّاد ـ هكذا قال؛ وأظنه عليّ بن مجاهد ـ قال:

قال الأخطل لعبدالملك: يا أمير المؤمنين، زعم ابنُ المَراغة أنه يبلُغ مِدْحَتك في ثلاثة أيّام وقد أقمتُ في مِدْحتِك:

خَفّ القَطِينُ فراحوا منك أو بَكَرُوا

[٢٨٨/٨] / سنةً فما بلغتُ كُلّ ما أردتُ. فقال عبدالملك: فأسْمِعْنَاها[1] يا أخطلُ؛ فأنشده إيّاها؛ فجعلتُ أرى عبدالملك ١٧٣/٧ يتطاول لها؛ ثم قال: وَيْحَك / يا أخطل! أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب؟ قال: أكتفي بقول أمير المؤمنين. وأمر له بجَفْنةٍ كانت بين يديه فمُلِئتْ دراهمَ وألقى عليه خِلَعاً، وخرج به مولى لعبدالملك على الناس يقول: هذا شاعر أمير المؤمنين، هذا أشعر العرب.

أنشد عبدالملك شعراً له وازنه بشعر لكثير:

وقال ابن الزيّات حدّثني جعفر بن محمد بن عُيَيْنة بن المِنْهال عن هشام عن عَوَانةَ قال:

أُنشد عبدُالملك قولَ كُثَيِّر فيه:

فمـا تـركـوهـا عَنْـوةً عـن مـودّةٍ ... ولكـن بحَـدِّ المَشْـرَفـيّ أستقـالَهـا

فأعْجِب به. فقال له الأخطل: ما قلتُ لك والله يا أمير المؤمنين أحسنُ منه. قال: وما قلتَ؟ قال قلت:

أهَلّـوا[2] مـن الشهـر الحَـرامِ فـأصبحـوا ... مَـوالِـي مُلْـكٍ لا طَـرِيـفٍ ولا غَصْـبِ

جعلتُه لك حقّاً وجعلك أخذتَه غَصْباً؛ قال: صدقتَ.

حلف باللات أنه أشعر من جرير والفرزدق:

قال أخبرنا أحمد بن عبدالعزيز قال أخبرنا عمر بن شَبّة قال أخبرنا أبو دُقَاقة[3] الشاميّ مولى قريش عن شيخ من قريش قال:

رأيتُ الأخطل خارجاً من عند عبدالملك؛ فلما انحدر دنوتُ منه فقلت: يا أبا مالك، مَنْ أشعرُ العرب؟ قال: هذان الكلبان المتعاقِران من بني تميم. فقلت: فأين أنت منهما؟ قال: أنا واللاّتِ أشعرُ منهما. قال: فحلَف باللاّتِ هُزؤاً وأستخفافاً بدِينه.

[٢٨٩/٨] / وروَى هذا الخبرَ أبو أيّوب المَدينيّ عن المدائنيّ عن عاصم بن شِبْل الجَرْميّ أنه سأل الأخطل عن هذا، فذكر نحوَه، وقال: واللاّتِ والعُزّى.

---

(١) في ب، س: «ما سمعناها».
(٢) أهلوا من الشهر الحرام: خرجوا في استهلاله. وموالي ملك أي يتولونه.
(٣) في جـ: «أبو دفافة» بفاءين.

نصح له شيباني بألا يهجو جريراً:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد قال ذكر الحِرْمازيّ:

أنّ رجلاً من بني شَيْبان جاء إلى الأخطل فقال له: يا أبا مالك، إنّا، وإن كنّا بحيث تعلم من ٱفتراق العشيرة وٱتّصال الحرب والعداوة، تجمعنا ربيعةُ، وإنّ لك عندي نُصْحاً. فقال: هاتِه، فما كَذَبتَ. فقلت: إنك قد هجوتَ جريراً ودخلتَ بينه وبين الفرزدق وأنت غنيٌّ عن ذلك ولا سيما أنه يُبسط لسانه بما ينقبض عنه لسانُك ويَسُبّ ربيعةَ سبّاً لا تقدِر على سبّ مُضَرَ بمثله والمُلْكُ فيهم والنبوّة قبله؛ فلو شئتَ أمسكتَ عن مُشارّته ومُهارتّه. فقال: صدقتَ في نُصْحك وعرفتُ مُرادَك، وصَلَتْكَ رَحِمٌ! فوَالصّليبِ والقُرْبان لأَتخلّصنّ إلى كُلَيْب خاصّةً دون مُضَر بما يَلْبَسُهم خِزْيُه ويَشْمَلُهم عارُه. ثم أعلم أنّ العالِمَ بالشعر لا يُبالي وحقِّ الصليبِ إذا مرّ به البيتُ المُعَايرَ[1] السائر الجيِّد، أمُسْلِمٌ قاله أم نَصْرانيّ.

أنشد عبدالملك من شعره وتخيله في حانوت بدمشق فبحث عنه فكان كما ظن:

أخبرني وَكيع قال حدّثني أبو أيّوب المَدينيّ عن أبي الحسن المدائنيّ قال: أصبح عبدالملك يوماً في غداةٍ باردة، فتمثّل قولَ الأخطل:

إذا ٱصطبَـح الفتـى منهـا ثـلاثـاً ... بغيـر المـاءِ حـاول أن يَطُـولاَ
مَشَـى قـرشيّـةً لا شـكَّ فيهـا ... وأرخَـى مـن مـآزِرِه الفُضـولا

ثم قال: كأنّي أنظر إليه الساعةَ مُجَلَّلَ[2] الإزار مستقبِلَ الشمس في حانوت من حوانيت دِمَشْق؛ ثم بعث رجلاً يطلبه فوجده كما ذكره.

[٨/ ٢٩٠] / **قال أبو عمرو لأبي حيّة وقد أنشده معجباً بنفسه: كأنك الأخطل:**

وقال هارون بن الزيّات حدّثني طائع عن الأصمعيّ قال: أنشد أبو حَيّة النُّمَيْريّ يوماً أبا عمرو:

يـا لَمَعَـدٍّ ويـا لَلنّـاسِ كلِّهـمُ ... ويـا لغَـائبهـم يـومـاً ومَـنْ شَهِـدا

[١٧٤/ ٧] / كأنه مُعْجَبٌ بهذا البيت؛ فجعل أبو عمرو يقول له: إنك لَتُعْجَبُ بنفسك كأنك الأخطل.

عرض عليه عبدالملك الإسلام وحواره معه في ذلك:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الغَلاَبيّ عن عبدالرحمن التَّيْميّ عن هشام بن سليمان المخزوميّ:

أن الأخطل قدِم على عبدالملك، فنزل على ٱبن سرحون[3] كاتبه. فقال عبدالملك: على مَنْ نزلتَ؟ قال:

---

(١) المعاير: المتداول بين الناس. وفي ب، س: «العائر» وهو أيضاً السائر بين الناس.

(٢) لعل صوابه «مجللاً بالإزار» أي مغطى به.

(٣) كذا في الأصول. والذي في «العقد الفريد» (جـ ٢ ص ٣١٧): «وكان كاتبه ـ يعني عبدالملك ـ سرحون بن منصور الرومي». وذكره الطبري باسم «سرجون بن منصور الرومي» بالجيم، وذكر أنه كان كاتباً لمعاوية بن أبي سفيان ثم لمعاوية بن يزيد بن معاوية.

على فلان. قال: قاتلك الله! ما أعلمَكَ بصالح المنازل! فما تريد أن يُنْزِلك[1]؟ قال: دَرْمَكٌ[2] من دَرْمَكِكم هذا ولحمٌ وخمر من بيت رأس[3]. فضحك عبدالملك ثم قال له: وَيْلَكَ! وعلى أيِّ شيء أقتلنا إلا على هذا!. ثم قال: ألاَ تُسْلِمُ فنَفرِضَ لك في الفَيْء[4] ونُعطيَك عشرة آلاف؟ قال: فكيف بالخمر؟ قال: وما تصنع بها وإنّ أوّلها لَمُرّ وإن آخِرَها لَسُكْر! فقال: أمّا إذ قلتَ ذلك فإن فيما بين هاتين لمَنزلةً ما مُلْكُكَ فيها إلاّ كعُلْقة ماء من الفراتِ بالإصبع. فضحك ثم قال: ألاّ تزور الحَجّاج! فإنه كتب يستزيرك. فقال: أطائعٌ أم كاره؟ قال: بل طائع. قال: ما كنتُ لأختار نوالَه على نوالك ولا قُرْبَه على قربك؛ إنني إذاً لَكَما قال الشاعر:

[٢٩١/٨] / كَمُبْتاعٍ ليركبَه حماراً تَخَيَّره[5] من الفرس الكبير

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمره بمدح الحَجّاج؛ فمدحه بقوله:

صَرَمتْ حِبالَكَ زينبٌ ورَعُومُ[6] وبَدَا المُجَمْجَمُ[7] منهما المكتومُ

ووجّه بالقصيدة مع ابنه إليه وليست من جيِّد شعره.

حاج أبو غسان بن خاقان ببيتين من شعره:

وقال هارون بن الزيّات حدّثني محمد بن إسماعيل عن أبي غسّان قال:

ذكروا الفرزدق وجريراً في حَلْقة المدائنيّ؛ فقلت لصَبّاح بن خاقان: أُنشِدك بيتين للأخطل وتجيء لجرير والفرزدق بمثلهما؟ قال: هاتِ؛ فأنشدتُه:

ألَمْ يأتِها أنّ الأراقِمَ[8] فَلّقتْ جَماجِمَ قَيْسٍ بين رَاذانَ والحَضْرِ[9]

جَماجِمَ قومٍ لم يَعافوا ظُلامةً ولم يعرفوا أين الوفاءُ من الغَدْرِ

قال: فسكت.

حديث يونس النحوي عن الأخطل وسبقه جريراً والفرزدق:

قال إسحاق وحدّثني أبو عبيدة أن يونس سُئل عن جرير والفرزدق والأخطل: أيهم أشعر؟ قال: أجمعت العلماء على الأخطل. فقلت لرجل إلى جنبه: سَلْه ومَنْ هم؟ فقال: مَنْ شئتَ، ابن أبي إسحاق وأبو عمرو بن العَلاَء وعيسى بن عمر وعَنْبَسة الفِيل وميمون الأقْرَن، هؤلاء طَرَقوا الكلام وماشُوه لا كمن تحكُمون عنه لا بدويَّين

(١) أي يقدّم لك النزل، وهو ما يهيأ للضيف من طعام وغيره.

(٢) الدرمك: دقيق الحواري.

(٣) بيت رأس: اسم لقريتين في كل واحدة منهما كروم كثيرة، تنسب إليهما الخمر.

(٤) في جـ: «فتفرض لك في ألفين».

(٥) في ب، س: «عن».

(٦) كذا في «شعر الأخطل» ص ٤٣ من النسخة التي نشرها أنطون صالحاني اليسوعي ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩٣٧ أدب. ورعوم: اسم امرأة كما في «شرح القاموس». في الأصول: «زعوم» بالزاي المعجمة.

(٧) جمجم في صدره شيئاً: أخفاه ولم يبده.

(٨) الأراقم: هي من تغلب وهم جشم وبنو بكر ومالك والحارث ومعاوية.

(٩) الحضر: اسم مدينة بإزاء تكريت بينها وبين الموصل والفرات. وراذان: قرية بنواحي نسا (بلد من خراسان).

ولا نحويِّين. فقلت للرجل: سَلْه: وبأيّ شيء فُضِّل على هؤلاء؟ قال: بأنه كان أكثرهم عددَ قصائدَ طِوالٍ جيادٍ ليس فيها فُحْش ولا سَقَط. قال أبو عُبيدة: / فنظرنا في ذلك فوجدنا للأخطل عَشْراً بهذه الصفة وإلى جانبها عَشْراً إن لم [٨/ ٢٩٢] تكن مثلَها فليست بدونها؛ ووجدنا لجرير بهذه الصفة ثلاثاً. قال إسحاق: فسألت أبا عُبيدة عن العشر فقال:

عَفَا واسِطٌ[١] من آل رَضْوَى[٢] فنَبْتَلُ[٣]

وتأبَّد الرَّبْعُ من سَلْمَى بأحفارِ[٤]

وخَفَّ القَطِينُ فراحوا منك وابتكَروا

وكَذبتْك عينُك أم رأيتَ بواسطٍ

ودَعِ المُعَمَّر لا تسأل بمَصْرَعِه

ولمن الديارُ بحائلٍ فوعالِ

قال إسحاق: ولم أحفظ بقيّة العَشْر. قال: وقصائد جرير:

حيِّ الهِدَمْلَةَ من ذات المَوَاعِيسِ[٥]

وألا طرقتْكَ وأهلي هُجودُ

وأهوَى أراكَ برامَتَيْنِ وَقودا

قال وقال أبو عُبيدة: / الأخطل أشبه بالجاهليّة وأشدُّهم أسْرَ شعرٍ وأقلُّهم سَقَطا وأخبرنا الجوهريّ عن عمر بن شَبّة ١٧٥/٧ عن أبي عُبَيدة مثلَه. وفي بعض هذه القصائد التي ذُكِرت للأخطل أغانٍ هذا موضع ذكرها.

/ منها: [٨/ ٢٩٣]

صوت

تأبَّد الرَّبْعُ من سَلْمَى بأحفارِ وأقفرتْ من سُلَيْمَى دِمْنةُ الدارِ

وقد تَحُلُّ بها سَلْمَى تُجاذِبُني تَساقُطَ الحَلْيِ حاجاتي وأسراري

غَنّاه عمر الواديّ هزجاً بالسبّابة في مجرى الوسطى. وسنذكر خبر هذا الشعر في أخبار عبدالرحمن بن حَسّان لَمّا هجاه الأخطل وهجا الأنصار، إذ كان هذا الشعر قيل في ذلك.

ومنها:

---

(١) واسط: في عدة مواضع، ومنها واسط الجزيرة، وهي التي يعنيها الأخطل في شعره، لأن الجزيرة منازل تغلب قبيلة الأخطل.

(٢) كذا في «شرح القاموس» في مادتي «وسط ورضى» و«معجم ما استعجم» للبكري في الكلام على نبتل وياقوت في الكلام على واسط. وفي جـ: «آل بنوى». وفي سائر الأصول: «آل بندى». ورضوى: اسم امرأة، كما جاء في «القاموس».

(٣) نبتل: موضع بنجد، كذا في «معجم ما استعجم»، وساق البيت.

(٤) أحفار: موضع في بلاد بني تغلب، كذا في «معجم ما استعجم»، واستشهد بالبيت.

(٥) انظر شرحه في ترجمة جرير ص ٨٤ من هذا الجزء.

صوت

خَفَّ القَطِينُ فراحوا منك وابتكروا ... وأزعجتْهم نَوَى في صَرْفِها غِيَرُ

كأنّني شاربٌ يوم استُبِدّ بهم ... من قَهْوَةٍ ضُمِّنَتْها حِمْصُ أو جَدَرُ[1]

جادتْ بها من ذواتِ القارِ مُتْرَعةٌ ... كَلْفاءُ[2] يَنْحَتُّ عن خُرْطومها المَدَرُ

غنّاه إبراهيم خفيفَ ثقيل بالبنصر. ولابن سُرَيج فيه رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه رمل آخر يقال: إنه لعلّوية، ويقال: إنه لإبراهيم. وفيه لعلّوية خفيفُ ثقيلٍ آخر لا يُشَكّ فيه.

سأله عمر بن الوليد عن أشعر الناس فأجابه:

وقال هارون بن الزيّات حدّثني ابن النطّاح عن أبي عمرو الشّيبانيّ عن رجل من كَلْب يقال له مهوش عن أبيه:

أنّ عمر بن الوليد بن عبدالملك سأل الأخطل عن أشعر الناس؛ قال: الذي كان إذا مدَح رفَع، وإذا هجا وضَع. قال: ومَنْ هو؟ قال: الأعشى. قال: ثم مَنْ؟ قال: ابن العشرين (يعني طَرَفة). قال: ثم من؟ قال: أنا.

[٨/ ٢٩٤] / **أخر الراعي في حضرة بشر بن مروان:**

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قال أخبرنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو بكر العُلَيْميّ قال حدّثنا أبو قُحافَةَ المُرّيّ عن أبيه قال:

دخل الأخطل على بِشْر بن مَرْوان وعنده الراعي؛ فقال له بِشْرٌ: أنت أشعر أم هذا؟ قال: أنا أشعر منه وأكرم. فقال للراعي: ما تقول! قال: أمّا أشعر منّي فعسى، وأمّا أكرم فإن كان في أمّهاته من ولَدتْ مثلَ الأمير فنعم. فلمّا خرج الأخطل قال له رجلٌ: أتقول لخال الأمير أنا أكرم منك!. قال: وَيْلَك! إنّ أبا نسطوس وضع في رأسي أكؤساً ثلاثاً، فوالله ما أعقِل معها.

استنشده عبد الملك بن مروان فشرب خمراً ثم أنشده:

قال: ودخل الأخطلُ على عبدالملك بن مَرْوان، فاستنشده؛ فقال: قد يَبِس حَلْقي، فمُرْ مَنْ يسقيني. فقال: اسقُوه ماء. فقال: شراب الحمار، وهو عندنا كثير. قال: فاسقُوه لبناً. قال: عن اللبن فُطِمتُ. قال: فاسقُوه عسلاً. قال: شراب المريض. قال: فتُريد ماذا؟ قال: خمراً يا أمير المؤمنين. قال: أوَ عَهِدتَني أسقي الخمرَ لا أمّ لك! لولا حُرْمتك بنا لفعلتُ بك وفعلت!. فخرج فلقي فَرّاشاً لعبدالملك فقال: وَيْلَكَ! إنّ أمير المؤمنين استنشدني وقد صَحِل[3] صوتي، فاسقِني شربةَ خمر فسقاه؛ فقال: اعْدِلْه بآخر فسقاه آخر. فقال: تركتَهما يعتركان في بطني، إسقني ثالثاً فسقاه ثالثاً. فقال: تركتني أمشي على واحدة، إعدِلْ مَيْلي برابع فسقاه رابعاً؛ فدخل على عبدالملك فأنشده:

١٧٦/٧ / خَفَّ القطينُ فراحوا منك وابتكَروا ... وأزعجتْهم نَوَى في صرفها غِيَرُ

---

(١) جدر. قرية بين حمص وسليمة، تنسب إليها الخمر.

(٢) الكلف: حمرة كدرة. وينحت عن خرطومها المدر أي يفض ختام الطين الذي على فيها.

(٣) صحل صوته. بح.

فقال عبدالملك: خُذ بيده يا غلام فأخرِجه، ثم ألقِ[1] عليه من الخِلَع ما يغمُره، وأحسن جائزتَه، وقال: إنّ لكل قوم شاعراً وإنّ شاعر بني أُميّة الأخطل.

/ حوار بينه وبين ذهلي في شعره وشعر الفرزدق: [٨/ ٢٩٥]

أخبرني أبو خَليفة إجازةً عن محمد بن سَلاّم قال قال أَبَانُ بن عثمان حدّثني سِمَاك بن حَرْب عن ضَوْء بن[2] اللَّجلاج قال:

دخلتُ حمّاماً بالكوفة وفيه الأخطل؛ قال فقال: ممّن الرجل؟ قلت: من بني ذُهْل. قال: أتروي للفرزدق شيئاً؟ قلت نعم. قال: ما أشعرَ خليلي! على أنه ما أسرعَ ما رجع في هِبَته. قلت: وما ذاك؟ قال قوله:

أبَنـي غُـدَانـةَ[3] إنّنـي حـرَّرتكـم ... فـوَهبتُكـم لعطيّـة بـن جِعَـالِ
لـولا عَطِيّـةُ لاجتـدعـتُ أُنـوفَكـم ... مـن بيـن ألام آنُـفٍ وسِبَـالِ[4]

وهبهم في الأول ورجع في الآخر. فقلت: لو أنكر الناس كلُّهم هذا ما كان ينبغي أن تُنكره أنت. قال: كيف؟ قلتُ: هجوتَ زُفَر[5] بن الحارث ثم خوّفتَ الخليفةَ منه فقلتَ:

بنـي أُميّـةَ إنّـي نـاصـحٌ لكـمُ ... فـلا يَبيتـنّ فيكـم آمِنـاً زُفَـرُ
مفتـرشـاً كـافتـراش اللَّيـث كَلْكَلَـه ... لـوقعـةٍ كـائـنٍ فيهـا لـه جَـزَرُ[6]

ومدحتَ عِكْرِمةَ بن رِبْعِيّ فقلتَ:

قـد كنـتُ أحسَبـه قَيْنـاً وأُخبَـرُه ... فـأليـومَ طُيّـرَ عـن أثـوابـه الشَّـرَرُ

/ قال[7]: لو أردتَ المبالغةَ في هجائه ما زدتَ على هذا. [فقال له الأخطل[8]]: والله لولا أنك من قوم سبَق لي [٨/ ٢٩٦] منهم ما سبَق لهجوتُك هجاءً يدخل معك قبرك. ثم قال:

مـا كنـتَ هـاجِـيَ قـومٍ بعـد مَـدْحِهِـمُ ... ولا تُكَـدِّرُ نُعْمَـى بعـد مـا تَجِـبُ

أُخرُجْ عنّي.

---

(١) في ب، س، جـ: «ثم ألقى» بإثبات الياء على أن الفعل ماض. والسياق يحتمله.

(٢) في الأصول هنا: «الجلاح بن ضوء». (انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٨٦ من هذه الترجمة).

(٣) بنو غدانة: بطن من يربوع. وعطية بن جعال بن مجمع كان من ساداتهم. (راجع الأغاني جـ ١٩ ص ٥٠ طبع بلاق).

(٤) سبلة الرجل: الدائرة التي في وسط الشفة العليا، وقيل: السبلة: ما على الشارب من الشعر.

(٥) هو زفر بن الحارث العامري الكلابي، خرج على مروان بن الحكم بمرج راهط مع الضحاك بن قيس. (انظر الطبري ق ٢ ص ٤٧٤).

(٦) جزر: قتلى.

(٧) كذا في أ. م. وفي سائر الأصول: «فقال»، على أن سياق الكلام غير محتاج إلى هذه الكلمة.

(٨) زيادة يقتضيها السياق.

هو وزفر بن الحارث في حضرة عبدالملك بن مروان:

وقال هارون بن الزيّات حدّثني أحمد بن إسماعيل الفِهْرِيّ عن أحمد[1] بن عبدالعزيز بن عليّ بن ميمون عن مَعْنْ بن خَلاد عن أبيه قال:

لمّا استنزَل عبدُالملك زُفَرَ بن الحارث الكِلابيّ من قِرْقِيسيا[2]، أقعده معه على سريره؛ فدخل عليه ابن ذي الكَلاَع[3]. فلما نظر إليه مع عبدالملك على السرير بكى. فقال له: ما يُبكيك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كيف لا أبكي وسيفُ هذا يقطُر من دماء قومي في طاعتهم لك وخِلاَفِه عليك، ثم هو معك على السرير وأنا على الأرض! قال: إني لم أجلسه معي أن يكون أكرمَ عليَّ مِنك؛ ولكنّ لسانه لساني وحديثه يُعْجِبُني. فبلغتِ الأخطلَ وهو يشرب فقال: أمَا والله لأقومَنّ في ذلك مقاماً لم يَقُمْه ابن ذي الكَلاَع! ثم خرج حتى دخل على عبدالملك. فلما ملأ عينَه منه قال:

وكـأسٍ مثـلِ عيـنِ الـدِّيـكِ صِـرْفٍ ... تُنَسِّـي الشـاربيـن لهـا العقـولاَ
إذا شَـرِبَ الفتـى منهـا ثـلاثـاً ... بغيـرِ المـاءِ حـاول أن يَطُـولاَ
مَشَـى قُـرَشِيَّـةً لا شـكَّ فيهـا ... وأرخَـى مـن مـآزره الفُضـولا

[٨/٢٩٧] / فقال له عبدالملك: ما أخرج هذا منك يا أبا مالك إلا خُطَّةٌ في رأسك. قال: أجَلْ والله يا أمير المؤمنين حين تُجلِس عدوّ الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأمس:

وقـد يَنْبُـتُ المَرْعَـى على دِمَـنِ الثَّرَى[4] ... وتبقَـى حـزازاتُ النفـوسِ كمـا هيـا

$\frac{177}{7}$ / قال: فقبض عبدالملك رجلَه ثم ضرب بها صَدْرَ زُفَرَ فقلبه عن السرير وقال: أذْهَبَ الله حزازاتِ تلك الصدور. فقال: أَنشُدُكَ الله يا أمير المؤمنين والعهدَ الذي أعطيتَني!. فكان زُفَرُ يقول: ما أيقنتُ بالموت قطُّ إلا تلك الساعةَ حين قال الأخطل ما قال.

قال إني فضلت الشعراء وأنشد من عيون شعره:

وقال هارون بن الزيّات حدّثني هارون بن مُسْلِم عن سعيد بن الحارث عن عبد الخالق بن حَنْظَلة الشَّيْبانيّ قال:

قال الأخطل: فَضَلتُ الشعراءَ في المديح والهجاء والنَّسيب بما لا يُلْحَق بي فيه. فأمّا النَّسِيب فقولي:

ألاَ يـا اَسْلَمِـي يـا هنـدُ هنـدَ بني بَـدْرِ ... وإن كـان حيّـانَـا عِـدًى[5] آخِـرَ الـدَّهـرِ

---

(١) كذا ورد هذا الاسم في الأصول.

(٢) قرقيسيا: بلد على الفرات قرب رحبة مالك بن طوق.

(٣) هو ابن ذي الكلاع الحميري، شهد صفين مع معاوية، وكان من رجالاته. (انظر «الطبري» ق ١ ص ٣٢٧٢، ٣٢٨٣، ٣٢٨٦ طبع أوروبا).

(٤) يقول: قد يبدو على وجه المرء البشر وفي قلبه الحقد والعداوة، مثل نبات الدمن يبدو حسن المنظر ومنبته خبيث وبيء.

(٥) كذا في «ديوانه» طبع بيروت (ص ١٢٨) و«تجريد الأغاني» ونسخة الشنقيطي مصححة بقلمه. وفي الأصول: «وإن كان حيّاً قاعداً... إلخ» وهو تحريف.

مِـن الخَفِـراتِ البِيـضِ أمّـا وِشَـاحُهـا فيجـري وأمّـا القُلْـبُ[1] منهـا فـلا يجـري

تمـوت وتحيـا بـالضجيـع وتلتـوي بمُطَّـرِدِ المَتْنَيْـنِ مُنْبَتـرِ الخَصْـرِ

وقولي في المديح:

نفسِـي فـداءُ أميـرِ المـؤمنيـن إذا أبـدى النَّـوَاجِـذَ يـومـاً عـارِمٌ ذَكَـرُ[2]

الخـائـضُ الغمـرةِ الميمـونُ طـائـرهُ خليفـةُ الله يُسْتَسْقَـى بـه المَطَـرُ

[٨/ ٢٩٨] / وقولي في الهجاء:

وكنـتَ إذا لَقِيـتَ عبيـدَ تَيْـمٍ وتيمـاً قلـتَ أيُّهـمُ العبيـدُ

لئيـمُ العـالَميـن يَسُـودُ تَيْمـاً وسيِّـدُهـم وإن كَـرِهـوا مَسُـودُ

قال عبدالخالق: وصدَق لعَمْرِي، لقد فَضَلَهم.

تزوّج مطلقة أعرابي فتذكرته، وكان هو طلق زوجته وشعره في ذلك:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدّثني عمر بن شَبّة عن أحمد بن معاوية عن محمد بن داود قال:

طَلَّق أعرابيٌّ آمرأته فتزوّجها الأخطل؛ وكان الأخطل قد طلَّق آمرأته قبل ذلك. فبينا هي معه إذ ذكرتْ زوجَها الأوّل فتنفّست؛ فقال الأخطل:

كِـلاَنَـا علـى هَـمٍّ يبيـتُ كـأنمـا بجَنْبَيْـهِ مـن مَـسِّ الفِـراشِ قُـروحُ

علـى زوجِهـا المـاضـي تنـوحُ وإننـي علـى زوجتـي الأخـرى كـذلـك أنـوحُ

حديثه مع عبدالملك بن المهلب:

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرنا أحمد بن زُهَيْر بن حَرْب عن خالد بن خِدَاش:

أنّ الأخطل قال لعبدالملك بن المُهَلَّب: ما نازعتْني نفسي قطُّ إلى مدح أحدٍ ما نازعتني إلى مَدْحِكم؛ فأَعطِني عطيّةً تبسُط بها لساني؛ فوالله لأُرَدِّيَنكم أرديةً لا يذهب صِقَالُها إلى يوم القيامة. فقال: أَعْلَمُ والله يا أبا مالك أنك بذلك مليء، ولكني أخاف أن يبلُغ أميرَ المؤمنين أنّي أُسألُ في غُرْم وأُعطي الشعراء فأَهلِك ويظنّ ذلك منّي حيلةً. فلما قدِم على إخوته لامُوه كلَ اللّوْم فيما فعله. فقال: قد أخبرتُه بعُذْرِي.

حديث جرير عنه:

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلاّم قال قال أبو الخطّاب حدّثني نوح بن جرير قال:

[٨/ ٢٩٩] / قلت لأبي: أنت أشعرُ أم الأخطلُ؟ فنَهَرني وقال: بئس ما قلتَ! وما أنت وذاك لا أمَّ لك! فقلت: وما أنا وغيرَه! قال: لقد أُعِنتُ عليه بكُفْر وكِبَر سِنّ، وما رأيتُه إلاّ خَشِيتُ أن يبتلعني.

---

(١) القلب: السوار.

(٢) العارم: الشديد الشرس.

حديث أبي عمرو عن منزلة الأخطل:

أخبرني عمّي عن الكُرَانيّ عن دَمَاذ عن أبي عُبَيْدة قال:

١٧٨/٧ قال رجل لأبي عمرو: يا عجباً للأخطل! نَصْرانيّ كافر يهجو المسلمين!. فقال أبو عمرو: / يالُكَع! لقد كان الأخطل يجيء وعليه جُبّة خَزّ وحِرزٌ خَزٌّ، في عنقه سلسلةُ ذهب فيها صليب ذهب تنفُض لحيتُه خمراً حتى يدخل على عبدالملك بن مَرْوان بغير إذن.

رأي أبي العسكر فيه وفي جرير والفرزدق:

وقال هارون حدّثني أحمد بن إسماعيل الفِهْرِيّ عن أحمد بن عبدالله بن عليّ الدَّوْسيّ عن مَعْقِل بن فلان عن أبيه عن أبي العَسْكر قال:

كنّا بباب مَسْلَمة بن عبدالملك، فتذاكرنا الشعراء الثلاثة؛ فقال أصحابي: حَكَّمناك وتراضَيْنا بك. فقلت: نعم، هم عندي كأفراسٍ ثلاثةٍ أرسلتهن في رِهانٍ، فأحدُها سابقٌ الدهرَ كلّه، وأحدُها مُصَلٍّ، وأحدُها يجيء أحياناً سابقَ الريح وأحياناً سُكَّيْتا وأحياناً متخلِّفاً. فأمّا السابق في كل حالاته فالأخطل. وأمّا المصلّى في كل حالاته فالفرزدق. وأمّا الذي يسبق الريح أحياناً ويتخلّف أحياناً فجرير؛ ثم أنشد له:

سَرَى لهمُ ليلٌ كأنّ نجومَه ... قناديلُ فيهنّ الذُّبَالُ المُفتَّلُ

وقال: أحسن في هذا وسبَق. ثم أنشد:

التَّغْلَبِيّةُ مَهرُها فَلْسانِ ... والتغلَبِيّ جنازةُ الشَّيْطانِ

وقال: تخلّف في هذه. فخرجنا من عنده على هذا.

[٨/ ٣٠٠] / **حديثه هو والفرزدق مع فتى من أهل اليمامة:**

وقال هارون بن الزيّات حدّثني محمد بن عمرو الجُرْجانيّ عن أبيه:

أنّ الفرزدق والأخطل؛ بينا هما يشربان وقد اجتمعا بالكوفة في إمارة بِشْر بن مروان إذ دخل عليهما فتًى من أهل اليَمامة؛ فقالا له: هل تَرْوِي لجرير شيئاً؟ فأنشدهما:

لو قد بعثتُ على الفرزدقِ مِيسمي ... وعلى البَعِيثِ لقد نكحتُ الأخطلا

فأقبل الفرزدق فقال: يا أبا مالك، أتُراه إنْ وَسَمَني يتورّكك على كِبَر سِنّك! ففزع الفتى فقام وقال: أنا عائذٌ بالله من شرّكما. فقالا: اجلس لا بأسَ عليك! ونادماه بقيةَ يومهما.

الفرزدق في ضيافته:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قال أخبرنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو يَعْلى قال حدّثني عبدالسلام بن حَرْب قال:

نزل الفرزدق على الأخطل ليلاً وهو لا يعرفه، فجاءه بعَشَاءٍ ثم قال له: إنّي نَصْرانيّ وأنت حَنِيفٌ، فأيُّ الشرابِ أحبُّ إليك؟ قال: شرابُك. ثم جعل الأخطل لا يُنْشِد بيتاً إلا أتَمّ الفرزدق القصيدة. فقال الأخطل: لقد نزل

بي الليلةَ شرٌّ، مَنْ أنت؟ قال: الفرزدق بن غالب. قال: فسجَد لي وسجدتُ له. فقيل للفرزدق في ذلك، فقال: كَرِهتُ أن يفضُلني. فنادى الأخطلُ: يا بني تَغْلِبَ هذا الفرزدق. فجمعوا له إبلاً كثيرة. فلما أصبح فرّقها ثم شخَص.

كان خبيث الهجاء في عفة:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال:

كان ممّا يُقَدَّم به الأخطل أنه كان أخبثَهم هجاءً في عَفَافٍ عن[1] الفحش. وقال الأخطل: ما هجوتُ أحداً قطُّ بما تستحي العذراءُ أن تُنْشِده أباها.

/ **أجاز بيتاً ليزيد بن معاوية:** [٣٠١/٨]

أخبرني أحمد وحبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قالا حدّثنا بن شَبّة قال حدّثني محمد بن عَبّاد المَوْصِليّ قال:

خرج يزيد بن معاوية معه عامَ حَجّ بالأخطل. فاشتاق يزيدُ أهلَه فقال:

بكَى كلُّ ذي شَجْوٍ من الشأم شاقَهُ ... تَهامٍ فأنَّى يلتقي الشَّجِيّانِ

أَجِزْ يا أخطل، فقال:

/ يغورُ الذي بالشأم أو يُنْجِدُ الذي ... بغَوْرِ تِهاماتٍ فيلتقيان

١٧٩/٧

مدح أبو العباس شعراً له في بني أمية:

أخبرني أحمد وحبيب قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال:

قيل لأبي العبّاس أمير المؤمنين: إنّ رجلاً شاعراً قد مدَحك، فتسمع شعرَه؟ قال: وما عسى أن يقول فيّ بعد قول ابن النّصْرانيّة في بني أُمَيّة:

شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم ... وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَرُوا

أخبرني به وَكيع عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهَيْثَم بن عَدِيّ بمثله.

حادثة له مع أمه:

قال هارون وحدّثني هارون بن سليمان عن الحسن بن مروان التّميميّ عن أبي بُرْدة الفَزَاريّ عن رجل من تَغْلِب قال:

لحَظ الأخطل شَكْوةً[2] لأمّه فيها لبن وجِراباً فيه تمر وزبيب، وكان جائعاً وكان يُضيَّق عليه؛ فقال لها: يا أمّه، آلُ فلان يزورونكِ ويقضُون حقَّكِ وأنتِ لا تأتينهم وعندهم عليلٌ، فلو أتيتِهم لكان أجملَ وأولى بِك. قالت: جُزِيتَ خيراً يا بُنَيّ! لقد نَبّهتَ على مَكْرُمةٍ. وقامت فلبِست ثيابها ومضت إليهم. فمضى الأخطلُ إلى الشّكوة ففرّغ ما فيها

---

(١) في الأصول: «في عفاف من الفحش».
(٢) الشكوة: وعاء من جلد للماء واللبن.

[٣٠٢/٨] وإلى الجراب فأكل التمر والزَّبيب كلّه. / وجاءت فلحَظت موضعَها فرأته فارغاً، فعلمتُ أنه قد دهاها، وعمَدت إلى خَشَبة لتضربَه بها؛ فهرَب وقال:

ألَمَّ على عِنَبات العجوزِ ... وشَكْوَتِها من غِياثٍ[١] لَمَمْ

فظلّتْ تُنادي ألا وَيْلَها ... وتَلْعَنُ واللعنُ منها أمَمْ[٢]

وذكر يعقوب بن السِّكِّيت هذه القصة، فحكى أنها كانت مع أمرأةٍ لأبيه لها منه بنون، فكانت تُؤثرهم باللَّبن والتمر والزبيب وتبعَث به يرعَى أعنُزاً لها. وسائرُ القصة والشعر متَّفِق. وقال في خبره: وهذا أوّل شعر قاله الأخطل.

نسب بأمامة ورعوم ابنتي سعيد بن إياس:

أخبرني الحسنُ بن عليّ عن أبن مَهرويه عن عليّ بن فَيْروز عن الأصمعيّ عن أمَامةَ ورَعُومَ اللَّتين قال فيهما الأخطل:

صَرَمَتْ أمَامةُ حبلَها ورَعومُ

ورَعُومُ وأُمامةُ بنتا سَعِيد بن إيَاس بن هانىء بن قَبِيصة، وكان الأخطل نزل عليه فأطعمه وسقاه خمراً وخرجتا وهما جُوَيْريتان فخدمتاه. ثم نزل عليه ثانيةً وقد كَبِرتا فحُجِبتا عنه؛ فسأل عنهما وقال: فأينَ أبنتاي؟ فأُخبِر بكبرهما، فنسَب بهما. قال: والرَّعُوم هي التي كانت عند قُتَيبة بن مُسْلِم وكان يقال لها أُمّ الأخماس، تزوّجت في أخماس[٣] البَصْرة محمدَ بن المهلّب وعامرَ بن مِسْمَع وعَبّادَ بن الحُصَيْن وقتيبةَ بن مُسْلِم؛ وكان يقال لها الجارُود.

[٣٠٣/٨] / كان حكم بكر بن وائل:

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيدي قال حدّثنا الخَرّاز عن المدائنيّ قال قال أبو عبدالملك:

كانت بكر بن وائل إذا تشاجرتْ في شيء رَضِيتْ بالأخطل، وكان يدخل المسجدَ فَيَقْدَمون إليه. قال: فرأيته بالجزيرة وقد شُكِي إلى القَسّ وقد أخذ بِلحيته وضربه بعصاه[٤] وهو يَصيء[٥] كما يَصيء الفَرْخ. فقلت له: أين هذا مما كنت فيه بالكوفة؟ فقال: يأبن أخي، إذا جاء الدِّين ذَلَّلنا.

استنشده داود بن المساور فأنشده ثم سأله عن أشهر الناس فأجابه:

وقال يعقوب بن السِّكِّيت زعم غَيْلان عن يحيى بن بِلاَل عن عمر بن عبدالله عن داود بن المُسَاوِر قال:

دخلتُ إلى الأخطل فسلّمت عليه، فنسَبني[٦] فأنتسبت، وأستنشدته فقال: أُنْشِدك حبّة قلبي، ثم أنشدني:

(١) غياث: اسم الأخطل، كما مر في أوّل الترجمة.
(٢) أمم: قريب يسير.
(٣) أخماس البصرة: خمسة، فالخمس الأوّل العالية، والخمس الثاني بكر بن وائل، والخمس الثالث تميم، والخمس الرابع عبد القيس، والخمس الخامس الأزد، وفي ب، س، جـ: «الأحماس» بالحاء المهملة، وهو تصحيف.
(٤) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «وضربه فعضله...».
(٥) يصيء: يصيح.
(٦) نسبني: سألني أن أنتسب.

١٨٠/٧ / لَعَمْرِي لقد أَسْرَيتُ لا ليلَ عاجزٍ بسَلْهَبةِ[1] الخَدَّيْنِ ضاويةِ القُرْبِ[2]
إليكَ أميرَ المؤمنين رَحَلْتُها على[3] الطائرِ الميمون والمنزل الرَّحْبِ

فقلت: مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: الأعشى. قلت: ثمّ مَنْ؟ قال: ثم أنا.

أعطاه هشام فاستقل عطاءه وفرّقه في الصبيان:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه عن أبي أيّوب المَدينيّ عن المدائنيّ قال:

إمتدحَ الأخطلُ هشاماً فأعطاه خمسمائة درهم، فلم يرضَها وخرج فاشترى بها تُفّاحاً وفرّقه على الصِّبيان. فبلغ ذلك هشاماً فقال: قبّحه الله! ما ضرَّ إلّا نفسَه.

/ تمثل هشام بشطر بيت في ناقة، فأتمه جرير والفرزدق وهو فأخذها: [٨/ ٣٠٤]

وقال يعقوب بن السِّكِّيت حدّثني سَلَمة النُّمَيْريّ ـ وتُوُفّي وله مائةٌ وأربعون سنة ـ أنه حضر هشاماً وله يومئذ تسعَ عَشْرَة سنة وحضر جريرٌ والفرزدق والأخطل عنده؛ فأحضر هشامٌ ناقةً له فقال متمثّلاً:

أُنِيخها ما بَدَا لِي ثم أَرْحَلُها

ثم قال: أيكم أتمَّ البيتَ كما أُريد فهي له. فقال جرير:

كأنّها نِقْنِقٌ[4] يَعْدُو بصَحْراءِ

فقال: لم تصنع شيئاً. فقال الفرزدق:

كأنّها كاسِرٌ[5] بالدَّوِّ فتْخاءُ

فقال: لم تُغنِ شيئاً. فقال الأخطل:

تُرْخِي المَشَافِرَ واللَّحْيين إرخاءَ

فقال: أركبها لا حملك الله!.

هجته جارية من قومه فحذر أباها ثم هجاها:

وقال هارون بن الزيّات حدّثني الخَرّاز عن المدائنيّ قال:

هجتِ الأخطلَ جاريةٌ من قومه؛ فقال لأبيها: يا أبا الدَّلْماء، إنّ أبنتك تعرّضتْ لي فأكْفُفْها. فقال له: هي أمرأةٌ مالكةٌ لأمرها. فقال الأخطل:

ألا أبْلِغْ أبا الدَّلْماءِ عنّي بأن سِنانَ شاعركم قصيرُ

(١) سلهبة الخدين: طويلتهما.
(٢) القرب: الخاصرة.
(٣) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «عن الطائر...» وهو تحريف.
(٤) النقنق: الظليم وهو ذكر النعام.
(٥) الدّوّ: الفلاة الواسعة. والكاسر: العقاب. والفتخاء: اللينة الجناح لأنها إذا انحطت كسرت جناحيها وغمزتهما.

فــإنْ يَطْعُــنْ فليــس بــذي غَنــاءٍ وإن يُطْعَــنْ فمَطْعَنَــهُ يسيــرُ
متــى مــا ألقَــه ومعــي سِلاحــي يخِــرّ علــى قفــاه فــلا يُحيــرُ[1]

فمشى[2] أبوها في رجال من قومه إلى الأخطل فكلّموه؛ فقال: أمّا ما مضى فقد مضى ولا أزيد.

[٨/٣٠٥] / وصيته عند موته:

أخبرنا أبو خَلِيفة إجازةً عن محمد بن سَلّام قال:

لمّا حضرتِ الأخطلَ الوفاةُ قيل له: يا أبا مالك، ألاَ تُوصِي؟ فقال:

أَوَصِّــي الفــرزدق عنــد الممــاتِ بــأُمِّ جــريــرٍ وأعيــارِهــا
وزار القبــورَ أبــو مــالــكٍ بــبرغــم العُــداة وأوْتــارِهــا

رأي ابن سلام في شعر له وشعر لجرير:

أخبرنا أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سَلّام قال قال لي معاوية بن أبي عمرو بن العَلَاء: أيُّ البيتين عندك أجودُ: قول جرير:

ألستم خيرَ مَنْ رَكِب المَطَايَا وأنْـدَى العـالميـن بُطُـونَ رَاحِ

أم قول الأخطل:

شُمْـسُ العـداوةِ حتـى يُسْتفَـادَ لهـم وأعظـمُ النـاسِ أحـلامـاً إذا قَـدَرُوا

فقلت: بيتُ جرير أحلى وأسْيَر، وبيتُ الأخطل أجْزَل وأرْزَن. فقال: صَدقتَ، وهكذا كانا في أنفسهما عند الخاصّة والعامّة.

رأي حماد الراوية في شعره:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن الحَلَبيّ وجعفر بن سعيد أنّ رجلاً سأل حَمّاداً الراوية عن الأخطل فقال: وَيْحَكم! ما أقول في شعر رجلٍ قد والله حَبّبَ[3] إليّ شعرُه النَّصْرانيةَ!.

فضله كثير من العلماء على صاحبيه:

١٨١/٧ أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال / حدّثنا أبو عثمان الأشناندانيّ[4] عن أبي عُبَيْدة قال: كان يونس بن حَبِيب وعيسى بن عُمَر وأبو عَمْرو يفضّلون الأخطل على الثلاثة[5].

---

(١) في «شعر الأخطل» ص ١١٨: «يخر على القفا وله نخير».
(٢) في ب، س: «فمضى».
(٣) في ب، س: «قد والله حبب إليّ شعر النصرانية».
(٤) في أ، م: والاشنانادانى».
(٥) لعل صوابها: «من الثلاثة» أو «على الاثنين».

[٣٠٦/٨] / فضله عمر بن عبدالعزيز على جرير:

وقال هارون بن الزيّات حدّثني أبو عثمان المازنيّ عن العُتْبيّ عن أبيه:

أنّ سليمان بن عبدالملك سأل عمر بن عبدالعزيز: أجريرٌ أشعرُ أم الأخطلُ؟ فقال له: أعْفِني. قال: لا والله لا أُعفيك. قال: إنّ الأخطل ضيّق عليه كفرُه القولَ، وإنّ جريراً وسّع عليه إسلامُه قولَه؛ وقد بلغ الأخطلُ منه حيث رأيتَ. فقال له سليمان: فضّلتَ والله الأخطلَ.

أثنى عليه الفرزدق:

قال هارون وحدّثني أبو عثمان عن الأصمعيّ عن خالد بن كُلْثوم قال:

قال عبدالملك للفرزدق: مَنْ أشعرُ الناسِ في الإسلام؟ قال: كفاك بابن النّصْرانيّة إذا مدَح.

مهاجاته جريراً في حضرة عبدالملك وقصة أبي سواج:

أخبرنا أحمد وحبيب قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال:

حُدِّثتُ أنّ الحجّاج بن يوسف أوفد وفداً إلى عبدالملك وفيهم جريرٌ. فجلس لهم ثم أمر بالأخطل فدُعِي له؛ فلما دخل عليه قال له: يا أخطل، هذا سَبّك ـ يعني جريراً ـ وجريرٌ جالسٌ ـ فأقبل عليه جريرٌ فقال: أين تركتَ خنازير أمّك؟! قال: راعيةً مع أعيار أمّك[1]؛ وإن أتيتنا قَرَيْناك منها. فأقبل جريرُ على عبدالملك فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ رائحة الخمرِ لتفوحُ منه. قال: صدَق يا أمير المؤمنين، وما أعتذاري من ذلك!.

تَعِيبُ الخمرَ وهِي شرابُ كِسْرَى ... ويشرَبُ قومُك العَجَبَ العجِيبَا

مَنِيُّ العبدِ عبدِ أبي سُوَاجٍ ... أَحَقُّ من المُدامةِ أن تَعِيبَا

فقال عبدالملك: دعوا هذا، وأنْشِدْني يا جرير، فأنشده ثلاثَ قصائدَ كلُّها في الحجّاج يمدَحه بها، فأحْفِظ عبدُالملك، وقال له: يا جرير، إنّ الله لم ينصر الحجّاج وإنما نَصر خليفته ودينه. ثم أقبل على الأخطل فقال:

[٣٠٧/٨] / شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم ... وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدَروا

فقال عبدالملك: هذه المُزَمِّرة؛ والله لو وُضِعتْ على زُبَر[2] الحديدِ لأذابتها. ثم أمر له بِخَلْعٍ فَخُلِعَتْ عليه حتى غاب فيها، وجعل يقول: إنّ لكل قومٍ شاعراً، وإنّ الأخطل شاعرُ بني أُمَيّة.

فأمّا قول الأخطل:

مَنيّ العبدِ عبدِ أبي سُوَاجِ

فأخبرني بخبر أبي سُواجٍ عليّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العبّاس اليزيديّ قالا حدّثنا أبو سعيد السُّكّريّ قال حدّثنا محمد بن حَبِيبَ وأبو غَسّان دَماذ عن أبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنّى أنّ أبا سُوَاجٍ وهو عَبّاد بن خَلَف الضّبّيّ

---

(١) في «تجريد الأغاني وطبقات ابن سلام»: «مع أعيار أبيك».

(٢) الزبرة: القطعة الضخمة من الحديد.

جاور بني يَرْبوع، وكانت له فرسٌ يقال لها بَذْوة[(١)]، وكان لِصُرَدَ بن جَمْرة اليَرْبُوعيّ فرس يقال لها القَضِيب، فتراهنا عشرين بعشرين، فسبقت بَذْوةُ فظلمه ابن جَمْرةَ حقَّه ومنعَه سَبَقَه[(٢)]، وجعل يفجُر بامرأته. ثم إنّ أبا سُوَاج ذهب إلى البَحْرَين يمتارُ؛ فلما أقبل راجعاً، وكان رجلاً شديداً مُعْجَباً بنفسه، جعل يقول وهو يَحْدو:

يا ليتَ شِعْرِي هل بَغَتْ من بَعْدي

فسمع قائلاً يقول من خَلْفِه:

نَعَمْ بمكوِيٍّ قَفاهُ جَعْدِي

فعاد إلى قوله فأجابه بمثل ذلك. وقَدِم إلى منزله فأقام به مدّةً، فتغاضَبَ صُرَدُ على امرأة أبي سُوَاج وقال: لا أرضَى أو تَقُدِّي من أست أبي سُوَاج سيراً. فأخبرتْ / زوجَها بذلك فقام إلى نعجةٍ له فذبحها وقَدّ من باطن ألْيَتَيْها سيراً فدفعه إليها؛ فجعله / صُرَدُ بن جَمْرة في نعله، فقال لقومه: إذا أقبلتُ وفيكم أبو سُوَاج فسَلُوني من أين أقبلت ففعلوا، فقال: من ذي بِلِيّان[(٣)] وأُريد ذابِلِيّان، وفي نعلي شِرَاكان، من أسْتِ إنسان. فقام أبو سُوَاج: فطرَح ثوبَه وقال: أنشدُكم اللهَ! هل ترَوْن بأساً؟ ثم أمر أبو سُوَاج غلامين له راعيَيْن أن يأخذا أمَةً له فيَتَراوحَاها؛ ودفع إليهما عُسّاً وقال: لئن قطرتْ منكما قطرةٌ في غير العُسّ لأقتلنّكما. فباتا يتراوحانِها ويصُبّان ما جاء منهما في العُسّ، وأمرَهما أن يحلُبَا عليه فحلَبا حتى ملآه؛ ثم قال لامرأته: واللهِ لتَسْقِنّه صُرَدَ أو لأقتلنّكِ: واَختبأ وقال: ابعثي إليه حتى يأتيكَ ففعلتْ. وأتاها لعادتها كما كان يأتيها، فرحّبتْ به واَستبطأته ثم قامت إلى العُسّ فناولته إيّاه. فلما ذاقه رأى طعماً خبيثاً وجعل يَتَمطّق[(٤)] من اللّبن الذي يشرَب وقال: إني أرى لبنكم خاثراً، أحسب إبلَكم رعَتِ السَّعْدان. فقالت: إنّ هذا من طُول مُكْثه في الإناء، أقسمتُ عليكَ إلاّ شربتَه. فلما وقع في بطنه وجد الموتَ، فخرج إلى أهله ولا يعلمَ أصحابهُ بشيء من أمره. فلما جَنّ على أبي سُوَاج اللّيل أتى أهلَه وغِلمانَه فانصرفوا إلى قومه وخلّف الفرسَ وكلبَه في الدار؛ فجعل الكلب ينبَح والفرس يصهِلُ؛ وذلك ليظنّ القومُ أنّه لم يَرْتَحِل. فساروا ليلتَهم والدارُ ليس فيها غيرُه وكلبِه وفرسِه وعُسِّه. فلما أصبح ركِب فرسَه وأخذ العُسّ فأتى مجلسَ بني يَرْبُوع فقال: جزاكم الله من جيرانٍ خيراً! فقد أحسنتم الجِوار، وفعلتم ما كنتم له أهلاً. فقالوا له: يا أبا سُوَاج، ما بَدَا لك في الانصراف عنّا؟ قال: إنّ صُرَدَ بن جَمْرة لم يكن فيما بيني وبينه محسناً، وقد قلتُ في ذلك:

/ إنّ المَنِيَّ إذا سَرَى ... في العبد أصبح مُسْمَغِدًا[(٥)]
أتُنالُ سَلْمَى باطلاً ... وخُلِقْتُ يوم خُلِقْتُ جَلْدَا
صُرَدَ بنَ جمرةَ هل لَقِيـ ... ـتَ رثيئةً لبناً وعَضْدَا[(٦)]

[١٨٢/٧] [٣٠٨/٨] [٣٠٩/٨]

---

(١) كذا في «تجريد الأغاني وشرح القاموس» مادة «سوج» وفي الأصول ندوة».

(٢) السبق بفتح الباء الخطى الذي يوضع بين أهل السباق.

(٣) ذوبليان: موضع وراء اليمن، وقال أبو نصر: أقصى الأرض، وقال غيره: ذوبليان من أعمال هجر. كذا في «معجم ما استعجم للبكري» وقد جاء في «معجم البلدان» لياقوت: ذوبليان موضع في قصة أبي سواج الضبيّ.

(٤) يتمطق: يتذوّق.

(٥) كذا في «تجريد الأغاني». والمسمغد: المرتوي من اللبن. وفي ب، س «مصمغدا». وفي حـ: «مسعدا» بالسين. وفي سائر الأصول «مصعدا» بالصاد، وكله تحريف.

(٦) الرثيئة: اللبن الحامض. والعضد: تحريك العصيدة بالمسواط فتنقلب فلا يبقى في الإناء منها شيء إلاّ انقلب.

وأعلموا أنّ هذا القَدَح قد أحبلَ منكم رجلاً وهو صُرَد بن جَمْرة. ثم رَمى بالعُسّ على صخرةٍ فانكسر وركَض فرسَه. وتنادَوْا: عليكم الرجلَ، فأعجزهم ولَحِق بقومه. وقال في ذلك عمر بن لَجَأ التَّيْميّ:

تُمَسِّـحُ يـربـوعٌ سِبـالاً لئيمـةً   بهـا مـن مَنِـيِّ العبـدِ رَطْـبٌ ويـابِـسُ

وإيّاهُ عَنَى الأخطلُ بقوله:

ويشرَب قومُك العجبَ العجيبا

حبسه القس ثم أطلقه بشفاعة هاشمي:

أخبرنا أبو خَليفةَ قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال زعم محمد بن حَفْص بن عائشة التَّيميّ عن إسحاق بن عبدالله بن الحارث بن نَوْفَل بن الحارث بن عبد المطّلب قال:

قَدِمتُ الشامَ وأنا شابٌّ مع أبي، فكنت أطوفُ في كنائسها ومساجدها؛ فدخلتُ كنيسةَ دِمَشْق، وإذا الأخطلُ فيها محبوس، فجعلتُ أنظر إليه. فسأل عَنّي فأخْبِر بنسبي، فقال: يا فتى، إنك لَرَجلٌ شريف، وإني أسألك حاجةً. فقلت: حاجتُك مقضيّةٌ. قال إنّ القَسّ حبَسني هاهنا فتكلّمُه لِيُخَلّيَ عنّي. فأتيتُ القَسّ فانتسبت له، فرحّب وعظَّم، قلت: إنّ لي إليك حاجةً. قال: ما حاجتك؟ قلت: / الأخطلُ تُخَلّي عنه. قال: أُعِيذُك بالله من هذا! مثلُك لا يَتكلّم فيه، فاسقٌ يشتُم أعراضَ الناس ويهجوهم! فلم أزل أطلُب إليه حتى مضى معي متّكئاً على عصاه، فوقف عليه / ورفع عصاه وقال: يا عَدُوَّ الله! أتعود تشتمُ الناس وتهجوهم وتقذِف المُحْصَنات! وهو يقول: لستُ بعائدٍ ولا أفعل، ويَسْتَخْذِي له. قال: فقلت له: يا أبا مالك، الناسُ يهابونك والخليفةُ يُكرمك وقَدْرُك في الناس قَدْرُك، وأنت تخضَع لهذا هذا الخضوعَ وتستخذِي له!. قال: فجعل يقول لي: إنّه الدِّين! إنه الدِّين!.

$\frac{183}{7}$ [٨/ ٣١٠]

مر به أسقف فأمر امرأته أن تتمسح به:

أخبرنا اليزيديّ عن عمه عُبيدالله عن ابن حَبِيبَ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال:

كانت امرأة الأخطل حاملاً، وكان متمسّكاً بدِينه. فمرّ به الأُسْقُفّ يوماً. فقال لها: الحَقِيه فتَمَسَّحِي به؛ فعدَتْ فلم تلحَق إلاّ ذَنَبَ حماره فتمسّحتْ به ورجعتْ. فقال لها: هو وذنب حماره سواء.

هنأه هشام بالإسلام فأجابه:

أخبرنا أبو خَليفة قال حدّثنا ابن سَلّام قال حدّثني يونس قال قال أبو الغَرّاف. سمع هشامُ بن عبدالملك الأخطلَ وهو يقول:

وإذا افتقـرتَ إلـى الـذخـائـرِ لـم تَجِـدْ   ذُخْـراً يكـون كصـالـح الأعمـالِ

فقال: هنيئاً لك أبا مالك هذا الإسلام!. فقال له: يا أمير المؤمنين[1]، مازلتُ مُسْلِماً في دِيني.

---

(١) ورد في ترجمته في «ذيل ديوانه» طبعة مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت أن الأخطل توفي في خلافة الوليد بن عبدالملك نحو سنة ٧١٠ ميلادية. وهشام بن عبدالملك ولي الخلافة بعد ذلك. وقد ورد هذا الخبر في «طبقات الشعراء» لابن سلام (ص ١١٥ طبعة أوروبا) وليس فيه كلمة «يا أمير المؤمنين».

وفد على الغضبان بن القبعثري في حمالة فخيره في عطاءين، وقصة ذلك:

أخبرني أبو خَليفة قال حدّثنا ابن سَلّام قال حدّثني يونُس وعبدالملك وأبو الغَرّاف فألّفتُ ما قالوا، قالوا:

أتى الأخطل الكوفة، فأتى الغَضْبان بن القَبَعْثَري[١] الشيباني فسأله في حَمَالةٍ، فقال: إن شئت أعطيتُك ألفين، وإن شئتَ أعطيتُك درهمين. قال: وما بالُ الألفين / وما بال الدرهمين؟ قال: إن أعطيتُك ألفين لم يُعْطِكَها إلاّ قليلٌ، وإن أعطيتُك درهمين لم يبقَ في الكوفة بَكْريٌّ إلاّ أعطاك درهمين؛ وكتبنا إلى إخواننا بالبَصْرة فلم يبقَ بكريٌّ بها إلاّ أعطاك درهمين، فخفّتْ عليهم المئونةُ وكَثُر لك النَّيْل. فقال: فهذه إذاً. فقال: نَقْسِمها لك على أن تَرِد علينا. فكتب بالبصرة إلى سُوَيْد بن مَنْجُوف[٢] السَّدُوسيّ فقدِم البَصْرةَ ـ فقال يونس في حديثه ـ فنزل على آل الصَّلْت بن حُرَيْث الحنفي فأخبر مَنْ سمعه يقول[٣]: والله لا أزال أفعل ذلك. ثم رجع الحديث الأوّل: فأتى سويداً فأخبره بحاجته. فقال نعم! وأقبل على قومه فقال: هذا أبو مالك قد أتاكم يسألكم أن تجمعوا له، وهو الذي يقول:

إذا مـا قلـتُ قـد صـالحـتُ بَكْـراً … أبَـى البَغْضـاءُ والنَّسـبُ البعيـدُ

وأيّـامٌ لنـا ولهُـمْ طِـوَالٌ … يَعَـضّ الهـامَ فيهـنّ الحـديـدُ

ومُهْـراقُ الـدمـاءِ بـوارِدَاتٍ[٤] … تَبِيـدُ المُخْـزِيـاتُ ولا تَبِيـدُ

هُمَـا أخـوانِ يَصْطليـانِ نـاراً … رِداءُ الحـربِ بينهمـا جـديـدُ

فقالوا: فلا والله لا نُعطيه شيئاً. فقال الأخطلُ:

فـإنْ تَبْخَـلْ سَـدُوسُ بـدِرْهَمَيْهـا … فـإنّ الـرِّيـحَ طَيّبَـةٌ قَبُـولُ[٥]

تَـوَاكَلَنِـي[٦] بنـو العَـلّاتِ[٧] منهـم … وغـالـتْ مـالكـاً ويـزيـدَ غُـولُ[٨]

/ صَـرِيعَـا[٩] وائـلٍ هَلَكَـا جميعـاً … كـأنّ الأرضَ بعـدهمـا مُحُـولُ[١٠]

وقال في سُوَيْد بن مَنْجُوف ـ وكان رجلاً ليس بذي منظر ـ:

/ وما جِذْعُ سَوْءٍ خَرّب السُّوسُ أصلَه … لِمَـا حَمّلتْـه وائـلٌ بمُطِيـقِ

---

(١) الغضبان بن القبعثري من أشراف العراق، وكان من دعاة المروانية أيام حرب عبدالملك بن مروان مصعب بن الزبير. (انظر «الطبري» جـ ٢ ص ٨٠٤ من القسم).

(٢) سويد بن منجوف: من أشراف البصرة. (انظر الكلام عليه في «الطبري» ق ٢ ص ٤٤٣، ٧٧٩).

(٣) في ب، س: «... سمعه بأنه يقول...».

(٤) يريد يوم واردات وهو يوم كان بين بكر وتغلب في حروبهما (انظر الكلام مفصلاً عليه في جـ ٥ ص ٥٣ من «الأغاني» من هذه الطبعة).

(٥) القبول: هي ريح الصبا.

(٦) تواكل القوم: إذا اتكل بعضهم على بعض في الأمر.

(٧) يقال: هم بنو العلات: إذا كان الأب واحداً والأمهات شتى.

(٨) يريد مالك بن شيبان الجحدري من قيس بن ثعلبة، ويزيد بن الحارث بن زيد بن رويم الشيباني صاحب شرطة الحجاج.

(٩) في «ديوانه» (طبع بيروت ص ١٢٥): «قريعا وائل» ويعني بهما بكراً وتغلب.

(١٠) كذا في «ديوانه» وفي الأصول «سحول» وهو تحريف.

كان مع مهارته وشعره يسقط أحياناً:

أخبرنا أبو خَليفة قال قال محمد بن سَلّام:

كان الأخطلُ مع مَهارته وشعره يسقُط أحياناً: كان مدح سِماكاً الأَسَديّ، وهو سِمَاك الهالكيّ من بني عمرو بن أسد، وبنو عمرو يلقَّبون القُيُونَ، ومسجد سِمَاك بالكوفة معروف، وكان من أهلها؛ فخرج أيام عليٍّ هارباً فلَحِق بالجزيرة، فمدحه الأخطل فقال:

نعم المُجِيرُ سِمَاكٌ من بني أَسَدٍ ... بالقاع إذ قتلت جيرانَها مُضَرُ

قد كنتُ أحسَبه قَيْناً وأُخبَرُه ... فاليومَ طُيِّر عن أثوابه الشَّرَرُ

إنّ سماكاً بني مجداً لأُسرته ... حتى المماتِ وفِعلُ الخير يُبتَدرُ

فقال سِمَاك: يا أخطلُ: أردتَ مَدْحي فهجوتَني، كان الناس يقولون قولاً فحقّقتَه. فلما هجا سُوَيْداً قال له سُوَيْد: والله يا أبا مالك، ما تُحْسِن تهجو ولا تمدح[1]؛ لقد أردتَ مَدْحَ الأَسَديّ فهجوتَه ـ يعني قوله:

قد كنتُ أحسَبه قيناً وأُنبَؤُه ... فاليومَ طُيِّر عن أثوابه الشَّرَرُ

إنّ سماكاً بني مجداً لأُسرته ... حتى المماتِ وفعلُ الخير يُبتدرُ

ـ وأردتَ هجائي فمدحتَني، جعلتَ وائلاً حَمّلتني أمورَها، وما طَمِعتُ في بني تَغْلِب فضلاً عن بكر.

/ **أبى الصلاة في مسجد بني رؤاس وهجاهم:** [٨/٣١٣]

أخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال حدّثني أَبَانُ البَجَليّ قال:

مرّ الأخطل بالكوفة في بني رُؤاس[2] ومؤذِّنُهم يُنادي بالصلاة. فقال له بعض فتيانهم: ألاَ تدخل يا أبا مالك فتصلِّي؟ فقال:

أُصَلِّي حيث تُدركني صَلاتي ... وليس البِرُّ عند بني رُؤَاسِ

خلا في نزهة مع صديق له فطرأ عليهما ثقيل فهجاه:

أخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال حدّثني أبو الحُصَيْن الأمَويّ قال:

بينا الأخطلُ قد خلا بخُمَيْرة له في نُزْهةٍ مع صاحب له، وطرأ عليهما طارىء لا يعرِفانه ولا يَستخِفّانِه، فشرِب شرابَهما وثَقُل عليهما. فقال الأخطل في ذلك:

صوت

وليس القَذَى بالعُودِ يسقُط في الإنا ... ولا بذُبابٍ خَطْبُه أيسرُ الأمرِ

ولكنّ شخصاً لا نُسَرُّ بقُربِه ... رمتْنا به الغِيطانُ من حيث لا ندري

(١) المعنى على تقدير «أن» أي ما تحسن أنْ تهجو ولا أن تمدح.

(٢) بنو رؤاس: حي من بني عامر بن صعصعة، وهو رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

ويُرْوَى:

ولكن قَذَاها زائرٌ لا نُحِبّه

وهو الجَيِّد. الغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وقد أخبرنا بهذا الخبر محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسَد قال حدّثنا العُمَريّ قال حدّثنا الهَيْثَم بن عَدِيّ عن ابن عيّاش قال:

بينا الأخطلُ جالسٌ عند امرأةٍ من قومه، وكان أهلُ البَدْو إذ ذاك يتحدّث رجالُهم إلى النساء لا يرَوْن بذلك بأساً، وبين يديه باطِيةُ شَرابٍ والمرأةُ تُحدّثه وهو يشرب، إذ دخل رجلٌ فجلس، فثَقُل على الأخطل وكرِه أن يقول له قُم استحياءً منه. وأطال الرجل الجلوسَ إلى أن أقبل ذُبابٌ فوقع في الباطية في شرابه؛ فقال الرجل: يا أبا مالك، الذُّبابُ في شَرابك. فقال:

[٨/٣١٤] [١٨٥/٧]

/ وليس القَذَى بالعود يسقُط في الخمر ... ولا بذُبَابٍ نَزْعُه أيسرُ الأمرِ
ولكنْ قَذَاها زائرٌ لا نُحِبّه ... رمَتْنا به الغيطانُ من حيث لا نَدْري

قال: فقام الرجل فانصرف.

وأخبرني عمّي رحمه الله بهذا الحديث عن الكُرانيّ عن الزِّيَاديّ عن عليّ بن الحفّار أخي أبي الحجّاج[١]:

أنّ الأخطل جاء إلى مَعْبَد في قَدْمةٍ قدِمها إلى الشأم. فقال له مَعْبَد: إنّي أحِبّ محادثتك. فقال له: وأنا أحِبّ ذلك. وقاما يَتَصَبّحانِ[٢] الغُدْرَانَ حتى وقفا على غديرٍ فنزلا وأكلا؛ فتبِعهما[٣] أعرابيّ فجلس معهما. وذكر الخبر مثل الذي قبله.

لبى دعوة شاب من أهل الكوفة وشعره في ذلك:

أخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال قال أَبَان بن عثمان حدّثني أبي قال:

دعا الأخطلَ شابٌّ من شَبَاب أهل الكوفة إلى منزله. فقال له: يابن أخي، أنت لا تَحْتَمِل المئونةَ وليس عندك مُعْتَمَدٌ؛ فلم يزل به حتى انتجعه، فأتى الباب فقال: يا شَقْراء، فخرجت إليه امرأةٌ، فقال لأمّه: هذا أبو مالك قد أتاني؛ فباعتْ غَزْلاً لها واشترت له لحماً ونبيذاً ورَيْحاناً. فدخل خُصّاً لها فأكل معه وشرِب، وقال في ذلك:

وبيتٍ كظهر الفِيل جُلُّ مَتَاعِه ... أباريقُه والشاربُ المُتَقَطِّرُ[٤]
ترى فيه أثْلامَ الأصِيصِ[٥] كأنها ... إذا بال فيها الشيخُ جَفْرٌ[٦] مُعَوَّرُ
لَعَمْرُك ما لاقيتُ يومَ معيشةٍ ... من الدهرِ إلّا يومُ شقراءَ أقصرُ
حَوَاريّةٌ لا يدخل الذّمُّ بيتَها ... مُطَهَّرةٌ يأوي إليها مُطَهَّرُ

---

(١) في جـ: «عن علي بن علي الحفار أخي أبي العجاج».
(٢) يتصبحان الغدران: يأتيانها صباحاً.
(٣) في الأصول «فتبعهم» وهو تحريف.
(٤) كذا في أكثر الأصول وشعر الأخطل. والمتقطر: المصروع. وفي ب، س: «الشادن المتعطر».
(٥) الأصيص: أسفل الدن كان يوضع ليبال فيه.
(٦) الجفر: البئر الواسعة. والمعور: المكبوس بالتراب. وفي ب، س: «حير مقور» وهو تحريف.

/ وذكر هارون بن الزيّات هذا الخبر عن حمّاد عن أبيه أنه كان نازلاً على عِكْرِمة الفيّاض وأنه خرج من عنده يوماً، [٨/٣١٥] فمرّ بفتيان يشربون ومعهم قَيْنةٌ يقال لها شَقْراء. وذكر الخبرَ مثل ما قبله، وزاد فيه: فأقام عندهم أربعة أيّام. وظنّ عِكرمةُ أنه غضِب فانصرف عنه. فلما أتاه أخبره بخبره، فبعث إلى الفتيان بألف درهم وأعطاه خمسة آلاف، فمضى بها إليهم وقال: إستعينوا بهذه على أمركم. ولم يزل ينادمهم حتى رحَل.

حكم بين جرير والفرزدق بأمر بشر بن مروان:

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال حدّثني أبو يحيى الضَّبّيّ قال:

إجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند بِشْر بن مَرْوان، وكان بِشْرٌ يُغْرِي بين الشعراء. فقال للأخطل: أحكُمْ بين الفرزدق وجرير. فقال: أعْفِني أيها الأمير. قال: أحكم بينهما، فأستعفاه بجَهْده فأبى إلا أن يقول؛ فقال: هذا حكمٌ مشئومٌ؛ ثم قال: الفرزدق يَنْحِتُ من صَخْر، وجريرٌ يغرِف من بحر. فلم يرضَ بذلك جرير، وكان سببَ الهجاء بينهما. فقال جرير في حُكومته:

يا ذَا الغَباوةِ[1] إنّ بِشْراً قد قضَى ... ألّا تجوزَ حكومةُ النَّشْوانِ

فدَعُوا الحكومةَ لستُم من أهلِها ... إنّ الحكومةَ في بني شَيْبانِ

قَتلوا كُلَيْبَكُم[2] بِلِقْحةِ جارِهِمْ ... يا خُزْرَ تَغْلِبَ لستمُ بِهِجانِ

فقال الأخطل يردّ على جرير:

ولقد تَناسبتمْ[3] إلى أحسابكم ... وجعلتُم حَكَماً من السُّلطانِ

/ فإذا كُلَيبٌ لا تُساوِي دارِماً ... حتى يُساوِيَ حَزْرَمٌ[4] بأبَانِ [٨/٣١٦]

/ وإذا جعلتَ أباكَ في ميزانهم ... رَجَحُوا وشالَ أبوك في الميزانِ ١٨٦/٧

وإذا وردتَ الماءَ كان لدارمٍ ... عِفْوَاتُه[5] وسهولةُ الأعطانِ

ثم أستطارا في الهجاء.

مناقضة بينه وبين جرير

أخبرني أبو خَلِيفَة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثنا أبو الغَرّاف قال:

لما قال جرير:

إذا أخَذتْ قَيْسٌ عليكَ وخِنْدِفٌ ... بأقطارِها لم تَدْرِ من أين تَسْرَحُ

---

(١) في جـ: «ياذا العباءة».

(٢) يشير إلى حادثة كليب وجساس بن مرة الشهيرة. واللقحة: الناقة الحلوب.

(٣) في «ديوانه» ص (٢٧٤): «ولقد تجاريتم على أحسابكم».

(٤) حزوم: جبيل فوق الهضبة في ديار بني أسد. (عن «شرح القاموس» مادة حزرم). وأبان: جبل شرقي الحاجز فيه نخل وماء، ويعرف بالأبيض، وهو أيضاً جبل لبني فزارة وهو المعروف بالأسود، وبينهما ميلان وقيل فيهما غير ذلك. (انظر «معجم البلدان» لياقوت و «شرح القاموس» مادة أبن).

(٥) عفوة كل شيء: صفوته وكثرته. والعطن: مناخ الإبل حول الورد.

قال الأخطل[1]. لا أين! سَدَ والله عليَّ الدنيا. فلما أُنشد قولَه:

فمـا لـك فـي نَجْـدٍ حَصَـاةٌ تَعُـدُّهـا   ومـا لـك مـن غَـوْرَيْ تهـامـةَ أبطَـحُ

قال الأخطل: لا أُبالي والله ألّا يكونَ فَتَحَ لي والصَّلِيبِ القول؛ ثم قال:

ولكـــنّ لنـــا بَـــرُّ العِـــراقِ وبَحْـــرُه   وحيث تَرَى القُرْقُورَ[2] في الماء يَسْبَحُ

استشهد تغلبي بشعر لجرير في محاورة بينه وبين تميمي

أخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال حدّثني محمد بن الحَجّاج الأسَيِّديّ قال:

خرجتُ إلى الصائفةِ[3] فنزلتُ منزلاً ببني تَغْلِبَ فلم أجِدْ به طعاماً ولا شراباً ولا عَلَفاً لدوابّي شِرًى ولا قِرًى ولم أجد ظِلاًّ؛ فقتل لرجل منهم: ما في داركم هذه مسجد / يُستَظَلُّ فيه؟ فقال: ممّن أنت؟ قلت: من بني تميم. [٨/٣١٧] قال: ما كنتُ أرى عمّك جريراً إلّا قد أخبرك حين قال:

فينـــا المســـاجـــدُ والإمـــامُ ولا تـــرى   فـــي آل تَغْلِـــبَ مسجـــداً معمـــورا

لقيه جرير حين خرج إلى الشام فتناشدا وتعارفا

أخبرني أبو خَليفة قال أنبأنا محمد بن سَلّام قال حدّثني شيخ من ضُبَيْعة قال:

خرج جريرٌ إلى الشام فنزل منزلاً ببني تَغْلِبَ فخرج متلثّماً عليه ثيابُ سفره، فلقيه رجلٌ لا يعرفه. فقال: ممّن الرجل؟ قال: من بني تميم. قال: أمَا سمعتَ ما قلتُ لغاوي بني تميم؟! فأنشده مما قال لجرير. فقال: أمَا سمعتَ ما قال لك غاوي بني تميم؟! فأنشده. ثم عاد الأخطل وعاد جريرٌ في نَقْضه حتى كثُر ذلك بينهما. فقال التغلَبيّ: من أنت؟ لا حيّاك الله! والله لكأنك جرير. قال: فأنا جرير. قال: وأنا الأخطل.

دخل على عبد الملك وهو سكران فخلط في كلامه وأنشده

أخبرني عمّي قال أنبأنا الكُرَانيّ قال أنبأنا أبو عبدالرحمن عن المدائنيّ قال:

دخل الأخطل على عبدالملك وقد شرب، فكلّمه فخلّط في كلامه. فقال له: ما هذا؟ فقال:

إذا شـــرِب الفتـــى منهـــا ثـــلاثـــاً   بغيـــر المـــاء حـــاول أن يَطُـــولاَ

مشـــى قُـــرَشِيّـــةً لا عيـــبَ فيهـــا   وأرخَـــى مـــن مـــآزره الفُضـــولا

نزل به الفرزدق ضيفاً في طريقه إلى الشام فتناشدا وتعارفا

أخبرني أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال أخبرني إسماعيل بن أبي محمد اليزيديّ قال أخبـرني أبو محمد اليزيديّ قال:

خرج الفرزدق يَؤُمّ بعض الملوك من بني أُميّة، فرُفع له في طريقه بيتٌ أحمـر من أدَم، فدنا منه وسأل فقيل

(١) في جـ، م، أ: «فلما أنشدها الأخطل قال. . .».

(٢) القرقور: السفينة العظيمة.

(٣) في أ، م: «الطائف» والصائفة: الغزو في الصيف.

له: [بيت][1] الأخطل. فأتاه فقال: أنزل. فلمّا نزل قام / إليه الأخطلُ وهو لا يعرفه إلا أنه ضيفٌ؛ فقعدا يتحدّثان. [٨/٣١٨] فقال له الأخطل: ممّن الرجل؟ قال: من بني تميم. قال: فإنك إذاً من رَهْط أخي الفرزدق. فقال: تحفَظ من شعره شيئاً؟ قال: نعم كثيراً. فما زالاً يتناشدان ويتعجّب الأخطل من حفظه شعرَ الفررزدق إلى أن عمِل فيه الشراب، وقد كان الأخطلُ قال له قبل ذلك: أنتم معشرَ / الحَنِفيّة لا ترون أن تشربوا من شرابنا. فقال له الفرزدق: خَفِّضْ قليلاً ١٨٧/٧ وهاتِ من شرابك فاسْقِنا. فلمّا عمِلت الرّاحُ في أبي فِرَاس قال: أنا والله الذي أقول في جرير فأنشده. فقام إليه الأخطل فقبّل رأسه وقال: لا جَزاكَ الله عنّي خيراً! لِمَ كتمْتني نفسَك منذ اليوم! وأخذا في شرابهما وتَناشُدهما، إلى أن قال له الأخطل: والله إنك وإيّاي لأشعرُ منه ولكنه أُوتِي من سَير الشعر ما لم نُؤْتَه؛ قلت أنا بيتاً ما أعلم أنّ أحداً قال أهجَى منه، قلت:

قـــومٌ إذا أستنبـــح الأضيـــافُ كلبَهُـــمُ ... قـــالـــوا لأُمّهـــمُ بُـــولِـــي علـــى النـــارِ

فلم يَرْوِه إلاّ حُكماء أهل الشعر. وقال هو:

والتغلَبِـــــيّ إذا تنحنـــــح للقِـــــرَى ... حَـــكّ أَسْتَـــه وتمثّـــلَ الأمثـــالا

فلم تبقَ سُقاة ولا أمثالُها إلا روَوْه. فقضَيا له أنه أسْيَرُ شعراً منهما.

كان له دار ضيافة فمر به عكرمة الفياض وهو لا يعرفه فأكرمه

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال قال المدائنيّ:

كان للأخطل الشاعر دارُ ضيافة، فمرّ به عِكْرِمة الفيّاض وهو لا يعرفه، فقيل له: هذا رجل شريف قد نزل بنا. فلمّا أمسى بعث إليه فتعشّى معه، ثم قال له: أتُصيب من الشراب شيئاً؟ قال: نعم. قال: أيّةً؟ قال: كلَّه إلاّ شرَابَك. فدعا له بشراب يُوافقه، وإذا عنده قَيْنتانِ هما خلفَه وبينه وبينهما سِتْرٌ، وإذا الأخطل أشهب اللِّحية له ضفيرتان؛ فغمز السترَ بقضيبٍ في يده وقال: غنّياني بأردية الشعر، فغنّتاه بقول عمرو بن شَأْس:

/ وبِيـــضٍ تَطَلَّـــى بـــالعَبِيـــرِ كـــأنمـــا ... يَطَـــأْنِ وإن أَعْنقـــنَ[2] فـــي جُـــدَدٍ وَحْـــلاَ [٨/٣١٩]

لَهَـــوْنـــا بهـــا يـــومـــاً ويـــومـــاً بشـــاربٍ ... إذا قلـــتَ مغلـــوبـــاً وجـــدتَ لـــه عقـــلا

السبب في مدحه عكرمة بن ربعي الفياض

فأما السبب في مدح الأخطل عِكْرِمةَ بن ربعيّ الفيّاض فأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سَلاّم قال:

قدِم الأخطل الكوفةَ فأتَى حَوْشَبَ بن رُوَيْم الشَّيْبانيّ، فقال: إني تحمّلتُ حَمَالتين لأحقِن بهما دماء قومي فنَهَره، فأتى سَيّارَ بن البَرِيعة، فسأله فاعتذر إليه، فأتَى عِكْرِمةَ الفيّاض، وكان كاتباً لبِشْر بن مَرْوان، فسأله وأخبره بما رَدّ عليه الرجلان؛ فقال: أمّا إني لا أنهَرُك ولا أعتذر إليك، ولكني أعطيك إحداهما عيناً والأخرى عَرَضاً. قال: وحدَث أمرٌ بالكوفة فأجتمع له الناس في المسجد، فقيل له: إن أردتَ أن تكافىء عِكرِمة يوماً فاليوم. فلبِس جُبّة خَزٍّ وركب فرساً وتقلّد صليباً من ذهب وأتى باب المسجد ونزل عن فرسه. فلما رآه حَوْشَب وسيّار نَفِساً عليه ذلك،

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) الإعناق: سير فسيح سريع. والجدد: الطرق.

وقال له عِكْرِمة: يا أبا مالك، فجاء فوقف وابتدأ يُنشد قصيدته[١]:

* لِمَنِ الدِّيارُ بحائلٍ فوُعالِ *

حتى أنتهى إلى قوله:

إنّ أبنَ رِبْعِيٍّ كَفَانِي سَيْبُه ... ضِغْنَ العدوّ وغَدْرَةَ المُحتالِ[٢]

أغْلَيْتَ حين تواكَلَتْني وائلٌ ... إنّ المكارمَ عند ذاك غَوالِ

ولقد مَنَنْتَ على ربيعةَ كلِّها ... وكَفَيْتَ كلَّ مُواكِلٍ خَذالِ

كابن البَزِيعة أو كآخَر مثلِه ... أوْلَى[٣] لك أبنَ مُسِيمةِ الأجمالِ

[٣٢٠/٨] / إنّ اللّئيمَ إذا سألتَ بَهَرْتَه ... وترى الكريمَ يَرَاحُ[٤] كالمختالِ

188/7 / وإذا عدلتَ به رجالاً لم تَجِدْ ... فيضَ الفُرَاتِ كراشِحِ الأوشالِ

قال: فجعل عِكْرِمة يبتهج ويقول: هذه والله أحبُّ إليَّ من حُمْر النَّعَم.

ومما في شعر الأخطل من الأصوات المختارة:

صوت

من المائة المختارة

أراعكَ بالخابورِ[٥] نوقٌ[٦] وأجمالُ ... ودارٌ عَفَتْها الرِّيحُ بعدي بأذيالِ

ومَبْنَى قِبَابِ المالكيّة حَولَنا ... وجُرْدٌ تَعَادَى بين سَهْلٍ وأجبالِ

عروضه من الطويل. الشعر للأخطل. والغناء لابن محرز، ولحنه المختار من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه خفيف رمل في هذا الوجه نسبه يحيى المكيّ إلى أبن محرز، وذكر الهشاميّ أنه متحول. وفيه لحُنَين الحِيريّ ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ.

(١) عبارة «تجريد الأغاني»: «فلما رآه حوشب وسيّار نكسا رأسيهما، فقال له عكرمة الفياض: إلينا يا أبا مالك، فابتدأ ينشده قصيدته».

(٢) وردت هذه الأبيات في «ديوانه» ص ١٥٩ باختلاف يسير عما هنا.

(٣) أولى لك: ويل لك فهي كلمة تقال في مقام التهديد والوعيد وقال الأصمعي معناه: قاربك ما تكره أي نزل وحاق بك.

(٤) راح الإنسان إلى الشيء: إذا نشط له وسرّ به.

(٥) الخابور: نهر بين رأس عين والفرات، وهو أيضاً واد بالجزيرة.

(٦) في جـ: «ابرق».

/ ذكر سائب خاثر ونسبه

[٨/ ٣٢١]

نسب سائب خاثر

كان سائب خاثر مولى بني لَيْث. وأصلُه من فَيْء كِسْرَى، وأشترى عبدُالله بن جعفر ولاءَه من مواليه، وقيل: بل أشتراه فأعتقه، وقيل: بل كان على وَلائه لبني لَيْث، وإنما أنقطع إلى عبدالله بن جعفر فلزمه وعُرِف به. وكان يبيع الطعام بالمدينة. وأسم أبيه الذي أعتقه بنو ليث «يشا»[1].

هو أوّل من عمل العود بالمدينة وغنى به وأخذ عنه المغنون الأولون

قال ابن الكَلْبيّ وأبو غَسّان وغيرُهما: هو أوّل من عمِل العُود بالمدينة وغنَّى به. وقال أبن خُرْدَاذْبه: كان عبدالله بن عامر أشترى إماءً صَنّاجاتٍ[2] وأتى بهنّ المدينة، فكان لهنّ يومٌ في الجمعة يلعبن فيه، وسمع الناسُ منهنّ، فأخذ عنهنّ. ثم قدِم رجل فارسيٌّ يسمَّى بنَشِيطٍ، فغنَّى فأُعْجِب عبدُ الله بن جعفر به. فقال له سائب خاثر: أنا أصنع لك مثلَ غِناء هذا الفارسيّ بالعربيّة، ثم غدا على عبدالله بن جعفر وقد صنع:

* لِمَنِ الدِّيارُ رسومُها قَفْرُ *

قال ابن الكلبيّ: وهو أوّل صوت غُنِّي به في الإسلام من الغناء العربيّ المُتْقَن الصنعة. قال: ثم أشترى عبدالله بن جعفر نَشِيطاً بعد ذلك، فأخذ عن سائب خاثر الغناء العربيّ وأخذ عنه أبنُ سُرَيج وجميلةُ وعَزّة المَيْلاءُ وغيرُهم.

/ قتل يوم الحرة:

[٨/ ٣٢٢]

قال أبن الكلبيّ وحدّثني أبو مِسْكين قال:

كان سائب خاثر يُكْنَى أبا جعفر، ولم يكن يضرب بالعود إنما كان يَقْرع بقَضِيب ويغنّي مرتجِلاً، ولم يزل يغنّي. وقُتل يومَ الحَرّة. ومرّ به بعض القُرَشيِّين وهو قتيل، فضربه برجله وقال: إنّ ها هنا لحنجرةً حسنةً. وكان سائب من ساكني المدينة.

قال أبن الكلبيّ: وكان سائب تاجراً مُوسِراً يبيع الطعامَ، وكان تحته أربعُ نسوة، وكان أنقطاعُه إلى عبدالله بن جعفر، وكان مع ذلك يُخالط سَرَواتِ الناس وأشرافَهم لظَرْفه وحلاوته وحسن صوته. وكان قد آلَى ألا يغنّي أحداً سوى عبدالله بن جعفر، إلا أن يكون خليفةً أو وليَّ عهد أو أبنَ خليفة؛ فكان على ذلك إلى أن قُتِل. قال: وأخذ

---

(١) في جـ: «بشا» بالباء الموحدة. وفي «تجريد الأغاني»: «يسار».

(٢) كذا في «نهاية الأرب» (جـ ٢ ص ٢٣٧ من الطبعة الأولى). والصناجات: اللاعبات بالصنج وهو صفيحة مستديرة من نحاس تضرب بأخرى مثلها، وهو أيضا شيء ذو أوتار تختص به العجم. وفي الأصول: «نائحات».

معبد عنه غناءً كثيراً فنحَل الناسُ بعضَه إليه[١]، وأهلُ العلم بالغناء يعرفون ذلك. وزعم ابن خُرْدَاذْبه أنّ أُمّ محمد
١٨٩/٧ / ابن عمرو الواقديّ القاضي المحدِّث بنتُ عيسى بن جعفر بن سائب خاثر.

هو أول من غنى بالعربية الغناء الثقيل:

وقال ابن الكلبيّ: سائب خاثر أوّل من غَنّى بالعربيّة الغناءَ الثقيل؛ وأوّل لحنٍ صنعه منه:

لِمَنِ الدّيارُ رسومُها قَفْرُ

قال: فَأَلِفتُ هذا الصوتَ الفَرُوحَ.

قال وحدّثني محمد بن يزيد أنّ أوّلَ صوت صنعه في شعر امرىء القيس:

أفاطِمُ مَهْلاً بعضَ هذا التدلُّلِ

وأنّ معبداً أخَذ لحنَه فيه فغنّى عليه:

أمِنْ آل ليلى باللِّوَى مُتَرَبَّعُ

[٨/٣٢٣] / **وفد على معاوية مع عبدالله بن جعفر فسمع منه وأجازه:**

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن لَقِيط قال:

وفَد عبدالله بن جعفر على معاوية ومعه سائب خاثر فوقّع له في حوائجه، ثم عرَض عليه حاجةً لسائب خاثر؛ فقال معاوية: مَنْ سائب خاثر؟ قال: رجلٌ من أهلِ المدينة لَيْثيٌّ يَرْوي الشعر. قال: أو كُلُّ من روَى الشعر أراد أن نَصِلَه! قال: إنه حَسَّنه. قال: وإنْ حَسَّنه! قال: أفأُدْخِله إليك يا أمير المؤمنين؟ قال نعم. قال: فألبستُه مُمَصَّرتين[٢] إزاراً ورِداء. فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته يتغنّى:

لِمَنِ الديارُ رُسومُها قَفْرُ

فالتفت معاويةُ إلى عبدالله بن جعفر فقال: أشْهَد لقد حسَّنه! فقضى حوائجه وأحسن إليه.

نسبة هذا الصوت

لِمَنِ الديارُ رُسومُها قَفْرُ لَعِبتْ بها الأرواحُ والقَطْرُ

وخَلاَ لها من بعد ساكنِها حِجَجٌ مَضَيْنَ ثَمانٍ أوْ عَشْرُ

والزَّعْفرانُ على تَرائبِها شَرِقٌ[٣] به اللَّبّاتُ والنَّحْرُ

الشعر يُنسب إلى أبي بكر[٤] بن المِسْوَر بن مَخْرَمة الزُّهْرِيّ، وإلى الحارث بن خالد المخزوميّ، وإلى بعض

---

(١) الذي في أمهات «كتب اللغة»: نحلة القول ينحله نحلاً شبه إليه ونحلته القول أنحله نحلاً بالفتح إذا أضفت إليه قولاً قاله غيره وادّعيته عليه.

(٢) كذا في «تجريد الأغاني». والممصر من الثياب: الذي فيه صفرة خفيفة. وفي الأصول: «مخصرتين» بالخاء المعجمة وهو تحريف.

(٣) شرق الجسد بالطيب: امتلأ.

(٤) كذا في جـ، و«كتاب المعارف» لابن قتيبة ص ٢١٨، وفي سائر الأصول: «أبي ذكر» وهو تحريف. وقد ورد البيت الأخير في «لسان العرب» و«شرح القاموس» (مادة شرق) منسوباً للمخبل.

القرشيّين من السبعة المعدودين من شعراء العرب. والغناء[1] لسائب خاثر ثقيلٌ أوّل بالسبّابة عن الكَلْبيّ وحَبَش، وذكر أنّ لحن سائب خاثر ثقيلٌ / أوّل بالوسطى، ووافق إسحاق في ذلك، وذكر أنّ الثقيل الأوّل لنشيط. وذكر [٨/ ٣٢٤] يونس أن فيه لحناً لمعبد ولم يجنّسه، وذكر الهشاميّ أن لحن معبد خفيفُ ثقيل، وأنّ فيه لابن سُرَيج خفيفَ رَمَل.

سمعه معاوية عند ابنه يزيد فأعجبه وأمر يزيد بصلته:

أخبرنا أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار وأحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ وإسماعيل بن يونس قالوا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني قَبيصة بن عمرو قال حدّثنا محمد بن المِنْهال عن رجل حدّثه، وذكر ذلك أيضاً ابن الكَلْبيّ عن لَقِيط قال:

أَشْرف معاويةُ بن أبي سفيان ليلاً على منزل يزيدَ ابنِه، فسمع صوتاً أعجبه، واستخفّه السماعُ فاستمع قائماً حتى مَلّ، ثم دعا بكرسيّ فجلس عليه، واشتهى الاستزادَة فاستمع بقية ليلته حتى مَلّ. فلما أصبح غَدا عليه يزيدُ. فقال له: يا بُنَيّ! مَنْ كان جليسَك البارحة؟ قال: أيّ جليس يا أمير المؤمنين؟ واستَعْجَم عليه. قال: عرِّفني فإنه لم يخفَ عليّ شيءٌ من أمرك. قال: سائب خاثر. قال: فأَخْثِرْ[2] له يا بُنَيّ من بِرّك وصِلَتك، فما رأيتُ بمجالسته بأساً.

سمعه معاوية عند ابن جعفر فأعجب به:

قال ابن الكلبيّ: قدم معاويةُ المدينةَ في بعض ما كان يقدَم؛ فأمر حاجبَه بالإذن للناس؛ فخرج الآذِنُ ثم رجع فقال: ما بالباب أحدٌ. فقال معاوية: وأين الناس؟ قال: عند ابن جعفر. فدعا ببغلته فركبها ثم توجّه إليهم. فلما جلس قال بعضُ القرشيّين / لسائب خاثر: مُطْرَفي هذا لك ـ وكان من خَزّ ـ إن أنتَ اندفعتَ تُغنّي ومشيتَ بين $\frac{190}{7}$ السّماطَيْن وأنت تغنّي. فقام ومشى بين السماطين وغنّى:

لنـا الجَفَنَـاتُ الغُـرُّ يَلْمَعْـنَ بـالضُّحَـى وأسيـافُنـا يَقْطُـرْنَ مِـن نجـدةٍ دَمَـا

فسمع منه معاويةُ وطَرِب وأصغى إليه حتى سكَت وهو مُسْتحسِنٌ لذلك، ثم قام وانصرف إلى منزله. وأخذ سائب خاثر المُطْرَفَ.

/ قتله يوم الحرة وكلام يزيد فيه: [٨/ ٣٢٥]

أخبرني حبيب بن نصر عن عمر بن شَبّه عن الزُّبَيريّ، وأخبرني أبو بكر بن أبي شَيْبة البَزّار قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنيّ قال:

قُتل سائب خاثر يومَ الحَرّة، وكان خَشِي على نفسه من أهل الشام فخرج إليهم وجعل يحدّثهم ويقول: أنا مُغَنٍّ، ومن حالي وقصّتي كيتَ وكيتَ؛ وقد خدَمتُ أمير المؤمنين يزيدَ وأباه قبلَه. قالوا: فغنِّ لنا، فجعل يغنّي؛ فقام إليه أحدُهم فقال له: أحسنتَ والله! ثم ضربه بالسيف فقتله. وبلغ يزيدَ خبرُه ومرّ به اسمُه في أسماء من قُتِل يومئذٍ فلم يعرفه وقال: مَنْ سائب خاثر هذا؟ فقيل له: هو سائب خاثر المغنّي. فعَرفه فقال: وَيْلَه!! ماله ولنا! ألم

---

(١) هذه الألحان رويت هكذا في أكثر الأصول وفي أ، م: «والغناء لسائب خاثر ثقيل أول بالوسطى ووافق إسحاق في ذلك وذكر أن الثقيل الأول للنشيط... إلخ». وفي كلتا الروايتين اضطراب لا يخفى.

(٢) أخثر: أكثر.

نُحسِنُ إليه ونَصِلُه ونَخْلِطُه بأنفسنا! فما الذي حمله على عداوتنا! لا جَرَمَ أن بَغْيَه صرعه. وقال المدائنيّ في خبره: فقال إنّ لله! أو بلغَ القتلُ إلى سائب خاثر وطبقتِه! ما أرى أنه بقي بالمدينة أحدٌ. ثم قال: قبّحكم الله يأهلَ الشام! تَجِدهم صادفوه في حديقة أو حائط مستتراً منهم فقتلوه.

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال أنبأنا عمر بن شَبّة قال حدّثني قَبِيصةُ بن عمرو قال حدّثني حاتم بن قَبيصة قال حدّثني ابن جُعْدُبة قال حدّثني مُوَيْلك عن أبيه قال قال لي سائب خاثر يومَ الحرّة: هل سمعتَ شيئاً صنعتُه؟ فغنّاني صوتاً:

صوت

لِمَنْ طَلَلٌ بين الكُرَاعِ[1] إلى القَصْرِ ... يُغَيِّب عنا آيَه سَبَلُ القَطْرِ

إلى خالداتٍ ما تَرِيمُ وهامِد ... وأشعثَ[2] تُرْسِيه[3] الوَليدةُ بالفِهْرِ[4]

[٣٢٦/٨] / قال: فسمعتُ عجباً مُعْجِباً، ثم ذكر أهلَه وولَده فبكى. فقلت له: وما يمنعك منهم؟ فقال: أمّا بعدَ شيء سمعتُه ورأيتُه من يزيدَ بنِ معاوية فلا! ثم تقدّم حتى قُتِل.

/ صوت
من المائة المختارة

أَقْفَر من أهلِه مَصِيفُ ... فبَطْنُ[5] نَخْلَةَ فالعَرِيفُ[6]

هل تُبْلِغَنّي ديارَ قومي ... مَهْرِيّةٌ[7] سَيْرُها زَفِيفُ

يا أمّ نُعْمانَ نَوِّلِينا ... قد ينفَعُ النائلُ الطَّفِيفُ

أعمامُها الصِّيدُ من لُؤَيٍّ ... حَقّاً وأخوالُها ثَقِيفُ

الشعر لأبي قَرْعَةَ الكِنانيّ، والغناءُ لجرادَتَيْ عبدالله بن جُدْعان، ولحنُه من خفيف الثقيل. وفيه في الثالث والرابع ثقيلٌ أوّلُ مطلق.

---

(١) كراع الأرض: ناحيتها وهو أيضاً ما سال من أنف الجبل أو الحرة. وكراع الغميم: موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال.

(٢) الأشعث: الوتد.

(٣) كذا في أ، م. وأرسى الشيء: ثبته. وفي سائر الأصول «ترميه» بالميم وهو تحريف.

(٤) الفهر: حجر يملأ الكف. وقد ورد هذا البيت في «اللسان» مادة «رسا» منسوباً للأحوص.

(٥) بطن نخلة: موضع بين مكة والطائف.

(٦) ظاهر أن مصيف والعريف: اسمان لموضعين. ولم نقف عليهما في «كتب البلدان» التي بين أيدينا.

(٧) إبل مهرية: منسوبة إلى مهرة بن حيدان أبي قبيلة. وزفيف: سريع.

[٨/٣٢٧] / ذكر جَرَادَتَي عبد الله بن جُدْعان وخبرهما
وشيء من أخبار ابن جُدْعان

نسب عبدالله بن جدعان:

هو عبدالله بن جُدْعانَ بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ بن غالِب.

كان جواداً فوهب لأمية بن أبي الصلت أمتية الجرادتين:

قال ابن الكلبيّ: كانت لابن جُدْعانَ أَمَتانِ تُسمّيَانِ الجَرَادتين تتغنّيان في الجاهليّة، سمّاهما[1] بجرَادَتَيْ عادٍ. ووهبهما عبدُالله بن جُدْعانَ لأميّة بن أبي الصَّلْت الثَّقَفِيّ، وقد كان امتدحه. وكان ابنُ جُدْعانَ سيّدًا جَوادا، فرأى أُميّةَ ينظر إليهما هو عنده فأعطاه إيّاهما.

سؤال عائشة للنبي ﷺ عنه:

وأخبرني أبو اللَّيْث نصرُ بن القاسم الفَرَائضيّ قال حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبة قال حدّثنا حَفْص بن غِياث عن داود عن الشَّعْبيّ عن مسروق عن عائشة قالت:

قلتُ: يا رسول / الله إن ابن جُدْعانَ كان في الجاهليّة يَصِلُ الرَّحِمَ ويُطْعِم المسكينَ فهل ذلك نافعُه؟ قال: «لا لم يقل يوماً أغفِرْ لي خَطيئتي يومَ الدِّين». ٨/٣

قدم عليه أمية وهو عليل فضمنه قضاء دينه، فمدحه:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزّبَيْر بن بكّار قال حدّثني جعفر بن الحسين قال حدّثني إبراهيم بن أحمد قال:

قَدِم أُميّة بن أبي الصَّلْت على عبدالله بن جُدْعان؛ فلما دخل عليه قال له عبدالله: أمرٌ مّا أتَى بك! فقال أميّة: كلابُ غُرَماءُ نَبَحَتْني ونَهَشَتْني. فقال له عبدُالله: قَدِمتَ عليّ وأنا عليلٌ من حقوق لَزِمَتني ونهشتني، فأنْظِرْني قليلاً، ما في يدي[2]، وقد ضَمِنْتُكَ قضاءَ دينك ولا أَسأل عن مَبْلَغه. قال: فأقام أُميّةُ أيّاماً، فأتاه فقال:

[٨/٣٢٨]
/ أأذكُر حاجتي أم قد كَفَاني ... حياؤك إن شيمتَك الحيَاءُ
وعِلْمُك بالأمور وأنت قَرْمٌ ... لك الحسبُ المهذّبُ والسَّناء
كريمٌ لا يُغَيِّره صباحٌ ... عن الخُلُق السَّنِيّ ولا مَساء

(١) في أ، م: «يسميهما».
(٢) الظاهر أنه يريد: «ما في يدي شيء».

تُباري الرِّيحَ مَكْرُمةً وجوداً[1] إذا ما الكلبُ أحجره الشتاءُ

إذا أَثْنَى عليك المرءُ يوماً كفاه من تعرُّضه الثناءُ

إذا خلَّفتَ عبدَ الله فاعلم بأن القوم ليس لهم جَزاء

فأرضُك كلُّ مَكْرُمةٍ بناها بنو تَيْمٍ وأنت لهم سماءُ

فأَبْرَزَ فضلَه حقّاً عليهم كما بَرزتْ لناظرها السماء

فهل تَخفَى السماءُ على بَصيرٍ وهل بالشمس طالعةً خَفَاءُ

فلما أنشده أُميّةُ هذا الشعرَ كانت عنده قينتانِ فقال: خذ أيّتَهما شئتَ؛ فأخذ إحداهما وانصرف. فمرّ بمجلس من مجالس قريش فلاموه على أخذها وقالوا له: لقد لَقِيتَه عَليلاً، فلو رددتَها عليه، فإن الشيخ يحتاج إلى خدمتها، كان ذلك أقربَ لك عنده وأكثرَ من كل حقّ ضَمِنه لك، فوقع الكلامُ من أميّة موقِعاً ونَدِم، ورجع إليه ليردَّها عليه. فلما أتاه بها قال له ابن جُدْعانَ: لعلك إنّما رَدَدتَها لأن قريشاً لاموك على أخذها وقالوا كذا وكذا، فوصف لأميّةَ ما قال له القوم. فقال أُميّة: واللهِ ما أخطأتَ يا أبا زُهَير. فقال عبدالله بن جُدْعانَ: فما الذي قلتَ في ذلك: فقال أُميّةُ:

صوت

عطاؤكَ زَيْنٌ لامرىءٍ إن حَبَوْتَه بِبَذْلٍ وما كلُّ العطاء يَزِينُ

وليس بشَيْنٍ لامرىءٍ بذلُ وجهه إليكَ كما بعضُ السؤال يَشِينُ

[٨/٣٢٩] / غنّت فيه جرادتا عبدالله بن جُدعان ـ فقال عبدالله لأميّة: خُذِ الأخرى؛ فأخذهما جميعاً وخرج. فلما صار إلى القوم بهما أنشأ يقول ـ وقد أنشدنا هذه الأبياتَ أحمدُ بن عبدالعزيز الجوهريّ عن عمر بن شَبّة وفيها زيادة ـ:

ومالِي لا أحيِّيه وعندي مواهبُ يَطَّلِعْنَ من النِّجادِ

لأبيضَ من بني تَيْم بن كَعْبٍ وهم كالمَشْرَفيّاتِ الحِدادِ

/ لكل قبيلةٍ هسادٍ[2] ورأسٌ وأنت الرأسُ تَقْدُم كلَّ هادي

له بالخَيْفِ قد علمتْ مَعَدٌّ وإن البيتَ يُرْفَع بالعمادِ

له داعٍ بمكّةَ مُشْمَعِلٌّ[3] وآخرُ فوق دارته يُنادي

إلى رُدُحٍ[4] من الشِّيزَي مِلاءٍ لُبابَ البُرِّ يُلْبَكُ بالشِّهادِ

وقال فيه أيضاً:

ذُكِرَ ابنُ جُدعانَ بخيـ ـرٍ كلّما ذُكِرَ الكرامُ

(١) كذا في جـ وفي سائر الأصول: «ومجداً».

(٢) الهادي: العنق لأنها تتقدّم على البدن ولأنها تهدي الجسد وكل متقدم هاد.

(٣) اشمعل القوم في الطلب إذا بادروا فيه وتفرقوا.

(٤) ردح: جمع رداح وهي الجفنة العظيمة. والشيزي: خشب أسود تتخذ منه القصاع.

مـــــن لا يَخُـــــون ولا يَـــــعُـــــقُّ ولا تُغَيِّـــــــره اللئـــــامُ

نَجِـــــبٌ[1] النَّجيبـــــة والنجيـــــب لـــه الـــرِّحـــالـــةُ والـــزِّمـــامُ

وفد على كسرى وأكل عنده الفالوذ فصنعه بمكة ودعا الناس إليه:

أخبرني محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثنا محمد بن إسحاق البَغَويّ قال حدّثنا الأثْرَم عن أبي عُبيدة قال:

كان ابنُ جُدْعانَ سيّداً من قريش؛ فوفَد على كسرى فأكل عنده الفَالُوذَ، فسأل عنه فقيل له: هذا الفالوذُ. قال: وما الفالوذُ؟ قالوا[2]: لُبابُ البرّ يُلْبَك مع عسل / النحل. قال: ابغُوني غلاماً يصنعه؛ فأتَوْه بغلام يصنعه فأبتاعه ثم قدِم به مكةَ معه، ثم أمره فصنع له الفالوذَ بمكة، فوضع الموائدَ بالأبْطَح إلى باب المسجد، ثم نادى مُنادِيه: ألاَ مَنْ أراد الفالُوذَ فليَحْضُرْ فحضر الناسُ؛ فكان فيمن حضرَ أميّةُ بن أبي الصَّلْت؛ فقال فيه: [٨/ ٣٣٠]

ومـــالـــي لا أُحيِّـــيـــه وعنـــدي مـــواهـــبُ يَطَّلِعْـــنَ مـــن النِّجـــادِ

إلـــيّ وإنّـــه للنـــاس نِهْـــيٌ[3] ولا يَعْتـــلُّ بـــالكَلِـــم الصَّـــوادِي[4]

وذكر باقيَ الأبيات التي مضت متقدّماً.

استشهاد سفيان بن عيينة في تفسير حديث بشعر لأمية فيه:

حدّثنا أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار قال أخبرنا يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدّثني محمد بن عِمْران الجُرْجانيّ ـ وليس بصاحب إسحاق الموصليّ؛ قال: وهو شيخ لَقِيتُه بجُرْجان ـ قال حدّثنا الحسين بن الحسن المَرْوَزِيّ قال:

سألتُ سفيان بن عُيَينة فقلت: يا أبا محمد، ما تفسيرُ قول النبي ﷺ: «كان من أكثر دعاء الأنبياء قبلي لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» وإنما هو ذِكْرٌ وليس فيه من الدعاء شيء؟ فقال لي: أعَرفتَ حديث مالك بن الحارث: يقول الله جَلّ ثناؤه: «إذا شغَل عبدي ثناؤه عليّ عن مسألتي أعطيتُه أفضلَ ما أُعطي السائلين»؟ قلت: نعمْ! أنتَ حدّثْتنيه عن منصور عن مالك بن الحارث. قال: فهذا تفسير ذلك، ثم قال: أمَا علمتَ ما قال أُميّةَ بن أبي الصَّلْت حين خرج إلى ابن جُدْعانَ يطلب نائلَه وفَضْلَه. قلت: لا أدري؟ قال قال:

/ أأذكُـــر حـــاجتـــي أم قـــد كَفَـــانِـــي حيـــاؤك إنّ شيمتَـــك الحيـــاءُ [٨/ ٣٣١]

إذا أثْنَـــى عليـــك المـــرءُ يـــومـــاً كفـــاه مـــن تعـــرُّضـــه الثنـــاءُ

ثم قال سفيان: فهذا مخلوقٌ يُنْسَب إلى الجود فقيل له: يكفينا من مسألتك أن نُثْنِيَ عليك ونسكتَ حتى تأتيَ على حاجتنا، فكيف بالخالق!.

(١) النجب: السخيّ الكريم كالنجيب.

(٢) كذا في «تجريد الأغاني» وفي الأصول «قال» وهو تحريف.

(٣) النهي: الغدير، وهو أيضاً كل موضع يجتمع فيه الماء.

(٤) الصوادي: العطاش. يريد أنه لا يلجأ إلى الكلم التي لا تجدي.

زاره أمية في احتضاره وقال فيه شعراً:

أخبرني الحَرَمِيّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا حُمَيْد بن حُمَيْد قال حدّثني جَبّار ابن جابر قال:

دخل أميّةُ بن أبي الصَّلْت على عبدالله بن جُدْعانَ وهو يجود بنفسه؛ فقال له أُميّةُ: كيف تَجِدُك أبا زُهَير؟ قال: إني لمُدَابِر (أي/ ذاهب). فقال أُميّةُ: ٥/٨

علِمَ ابنُ جُدْعانَ بنِ عمـ ـرٍو أنّه يوماً مُدابِرْ
ومسافرٌ سفراً بعيـ ـداً لا يؤوب به المُسافِر
فقُدُورُه بفِنائه للضيف مُتْرَعَةٌ زَوَاخِرْ
تبدو الكسورُ[1] من انْفِرا جِ الغَلْيِ فيها والكَراكِرْ[2]
فكأنهنّ بما حَمِيـ ـنَ وما شُحِنَّ[3] بها ضَرائر
بَذَّ المَعاشِرَ كلَّها بالفضل قد علِم المعَاشِرْ
وعلا عُلُوَّ الشمس حتـ ـى ما يُفاخِرُه مُفاخِرْ
دانت له أبناءُ فِهْـ ـرٍ من بني كعبٍ وعامر
أنتَ الجوادُ ابنُ الجوا دِ بكم يُنافِرُ من يُنافِرْ

[٨/ ٣٣٢] / **ترك الخمر قبل موته وذمها بشعر:**

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو سعيد السُّكَّرِيّ قال أخبرني أبو عبدالرحمن الغَلَابيّ عن الواقِديّ عن ابن أبي الزِّناد قال:

ما مات أحد من كبراء قُرَيش في الجاهليّة إلّا ترك الخمرَ استحياءً ممّا فيها من الدَّنَس؛ ولقد عابَها ابن جُدْعانَ قبل موته فقال:

شَرِبتُ الخمرَ حتى قال قومي ألستَ عن السَّفَاه بمُستفيقِ
وحتى ما أُوسَّدُ في مَبِيتٍ أنام به سوى التُّرْبِ السَّحيقِ
وحتى أَغْلَقَ[4] الحانوتُ رَهْني وآنَسْتُ الهَوانَ من الصديق

قال: وكان سببُ تركه الخمرَ أن أميّة بن أبي الصَّلْت شرِب معه فأصبحت عين أميّةَ مُخْضَرّةً يخاف عليها الذَّهاب. فقال له: ما بال عينِك؟ فسكت. فلما ألحّ عليه قال له: أنت صاحبُها أصبتَها البارحةَ. فقال: أو بلَغَ منّي الشَّراب

---

(١) الكسور: جمع كسر وهو نصف العظم بما عليه من اللحم.
(٢) الانضراج: الانفراج. يريد أن القدر إذا غلت واضطرب ماؤها بان اللحم الموضوع فيها. والكركرة: كالقهقهة ويعني بها صوت الماء في غليانه.
(٣) كذا في أ، م و«شعراء النصرانية». وفي سائر الأصول: «وما شحين».
(٤) أغلق الرهن: استحقه. والحانوت: الخمار، والحانوت أيضاً: دكان الخمار.

الذي[1] أَبلغُ معه من جليسي هذا! لا جَرَمَ لأَدِيَنّها لك دِيَتَيْن؛ فأعطاه عشرةَ آلاف درهم، وقال: الخمرُ عليّ حرام أن أذوقها أبداً، وتركها من يومئذ.

صوت
من المائة المختارة

قـــد لَعَمْـــرِي بِـــتُّ لَيْلِـــي	كـــأخـــي الـــداءِ الـــوَجِيـــعِ
ونَجِـــيُّ الهـــمّ منّـــي	بـــات أدنـــى مـــن ضَجيعـــي
كلمـــا أبصـــرتُ رَبْعـــاً	خـــالِيـــاً فـــاضـــت دمـــوعـــي
// لا تَلُمْنـــا إن خَشَعْنـــا	أو هَمَمْنـــا بـــالخشـــوع [٨/ ٣٣٣]
إذا فقـــدْنـــا سيِّـــداً كـــا	ن لنـــا غيـــرَ مُضِيـــعِ

الشعر للأحوص. والغناء لسَلّامة القَسّ. ولحنُه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالوسطى في مَجْراها. وقد قيل: إن الشعر والغناء جميعاً لها، وقد قيل: إن الغناء لمعبد وإنها أخذتْه عنه.



(١) يريد أو بلغ مني الشراب هذا الحد الذي يجري فيه لجليسي ذلك!

[٨/ ٣٣٤]

/ ذكر سلّامة القسّ وخبرها

٦/٨

نشأة سلامةُ القس ومن أخذت عنه الغناء، وسبب تسميتها بذلك:

كانت سَلاّمةُ مولَّدة من مولَّدات المدينة وبها نشأت. وأخذت الغناءَ عن معبد وأبن عائشة وجميلةَ ومالك بن أبي السَّمْح وذَوِيهم فمهَرت. وإنما سمّيت سَلاّمةَ القَسّ لأن رجلاً يُعرف بعبدالرحمن بن أبي عَمّار الجُشَمِيّ من قُرّاء أهلِ مكة، وكان يُلَقَّب بالقَسّ لعبادته، شُغِف بها وشُهِر، فغلَب عليها لقبُه. وآشتراها يزيد بن عبدالملك في خلافة سليمان، وعاشت بعده، وكانت إحدى من اُتُّهِم به الوليدُ من جواري أبيه حين قال له قَتَلَتُهُ: نَنْقِمُ عليك أنك تَطأ جواريَ أبيك. وقد ذكرنا ذلك في خبر مقتله.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال:

كانت حَبَابةُ وسَلاّمةُ القسّ من قِيان أهل المدينة، وكانتا حاذقتين ظريفتين ضاربتين وكانت سَلاّمةُ أحسنَهما غناءً، وحَبَابةُ أحسنَهما وجهاً، وكانت سَلاّمةُ تقول الشعر، وكانت حَبَابة تتعاطاه فلا تُحْسِن. وأخبرني بذلك المَدائنيّ عن جَرير.

وحدّثني الزُّبَيْرِيّ قال حدّثني مَنْ رأى سَلاّمةَ قال:

ما رأيتُ من قِيان المدينة فتاةً ولا عجوزاً أحسنَ غناءً من سَلاّمةَ. وعن جميلةَ أخذتِ الغناءَ.

كانت لسهيل بن عبدالرحمن، وشعر ابن قيس الرقيات فيها:

حدّثني أحمد بن عُبيدالله بنُ عَمّار وإسماعيل بن يُونس قالا حدّثنا أبو زيد عمر بن شَبّة قال حدّثني المَدائنيّ قال:

كانت حَبَابةُ وسَلاّمةُ قَيْنتين بالمدينة؛ أمّا سَلاّمةُ فكانت لسُهَيْل بن عبد الرحمن، ولها يقول ابنُ قَيْس الرُّقَيّاتِ:

[٨/ ٣٣٥]

/ لقـد فَتَنـتْ رَيّـا وسَـلاّمـةُ القَسّـا ... فلـم تتـركـا للقَـسّ عقـلاً ولا نَفْسَـا

فتـاتـانِ أمّـا منهمـا فشبيهــةُ الـ ... ـهـلالِ وأُخـرى منهمـا تُشبـه الشمسـا

وغَنّاه مالك بن أبي السَّمْح. وفيها يقول أبن قيس الرُّقَيّات:

أُختـانِ إحـداهمـا كـالشمـس طـالعـةً ... فـي يـوم دَجْـنٍ وأُخـرى تشبـه القمـرا

قال: وفُتِن القَسُّ بسَلاّمةَ، وفيها يقول:

أهـابُـكِ أن أقـول بـذلـتُ نفسـي ... ولـو أنّـي أُطيـع القلـبَ قـالا

حيـاءً مِنـك حتـى سُـلّ جسمـي ... وشَـقّ علـيّ كتمـانـي وطـالا

سبب افتتان عبدالرحمن بن أبي عمار القس بها وشعره فيها:

قال: والقَسّ هو عبدالرحمن بن أبي عَمّار من بني جُشَمَ بنِ معاوية، وكان منزلُه بمكة. وكان سببُ افتتانه بها فيما حدّثني خَلّاد الأَرْقَط قال سمعت من شيوخنا أهل مكة يقولون: كان القَسُّ من أَعْبَدِ أهل مكة، وكان يُشَبَّه بعَطَاء بن أبي رَبَاح، وأنّه سمع غناءَ سَلاّمةِ القَسّ على غير تعمُّد منه لذلك. فبلغ غِناؤها منه كلَّ مبلغ؛ فرآه مولاها فقال له: هل لك أن أُخرِجَها إليك أو تدخلَ فتسمع! فأبى. فقال مولاها: أنا أُقْعِدها في موضع تَسمع غناءَها ولا تراها فأبى؛ فلم يزل به حتى دخل فأسمعه غِناءها فأعجبه. فقال له: هل لك في أن أُخرجها إليك؟ فأبى. فلم يزل به حتى أخرجها فأقعدها بين يديه، فتغنّت فشُغِف بها وشُغِفت به، وعرَف ذلك أهلُ مكة. فقالت له يوماً: أنا والله أُحبّك. قال: وأنا والله أُحبّك. قالت: وأُحبّ أن أضعَ فمي على فمك. قال: وأنا والله أُحبّ ذاك. قالت: فما يمنعك! فوالله إنّ الموضع لخالٍ. قال: إنّي سمعت / الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ٱلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1] وأنا أكره أن تكون خُلّةُ ما بيني وبينك تؤول إلى عداوة. ثم قام وانصرف وعاد إلى ما كان عليه من النُّسك؛ وقال من فَوْره[1] فيها: ٧/٨

[٨/٣٣٦]

/ إنّ التي طَرَقَتْكَ بين ركائبٍ	تَمْشي بِمِزْهَرِها وأنتَ حَرَامُ
لَتَصِيدُ قلبَك أو جَزاءَ مودّةٍ	إنّ الرفيقَ له عليك ذِمامُ
باتت تعلّلنا وتحسب أنّنا	في ذاك أيقاظٌ ونحن نِيامُ
حتى إذا سطَع الضّياءُ لناظرٍ	فإذا وذلك بيننا أحلامُ
قد كنتُ أعذِلُ في السّفاهة أهلَها	فاعجَبْ لِما تأتي به الأيّامُ
فاليومَ أعذِرُهم وأعلم أنما	سُبُلُ الضّلالة والهُدَى أقسامُ

ومن قوله فيها:

ألم تَرَها لا يُبْعِدِ الله دارَها	إذا رَجّعتْ في صوتها كيف تصنعُ
تَمُدّ نظامَ القولِ ثم تَرُدّه	إلى صَلْصَلٍ[2] في صوتها يترجّع

وفيها يقول:

ألا قُلْ لهذا القلب هل أنت مُبْصِرُ	وهل أنت عن سَلّامة اليومَ مُقْصِرُ
ألا ليت أنّي حين صارتْ بها النّوَى	جليسٌ لسَلْمَى كلّما عَجّ[3] مِزْهَرُ

وقال في قصيدة له:

سَلَامُ وَيْحَكِ هل تُحيين مَنْ ماتا	أو تَرْجعينَ على المحزون ما فاتا

وقال أيضاً:

---

(١) عبارة أ، م: «... من النسك من فوره وفيها يقول».

(٢) الصلصلة: ترجيع الصوت.

(٣) عج: رفع صوته وصاح.

سَلاَمٌ هل لي منكُم ناصرُ أم هل لقلبي عنكُم زاجرُ

قد سمِع الناسُ بوجدي بكم فمنهمُ اللاَّئمُ والعاذرُ

في أشعار كثيرة يطول ذكرها.

[٨/٣٣٧] / **غنت هي وأختها ريا في شعر لابن قيس الرقيات وللأحوص وأجادتا في شعر الأحوص فحسده ابن قيس:**

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال حدّثني الجُمَحيّ قال:

كانت سلاّمة وريّا أختين، وكانتا من أجمل النساء وأحسنهن غناءً. فاجتمع الأحْوَص وابن قَيس الرقيّات عندهما؛ فقال لهما ابن قيس الرقيّات: إنّي أريد أن أمدحكما بأبياتٍ وأصدُقُ فيها ولا أكذبَ؛ فإن أنتما غنّيتماني بذلك وإلاّ هجوتكما ولا أقرَبكما. قالتا: فما قلتَ؟ قال قلتُ:

لقد فتنتْ رَيَّا وسَلاّمةُ القَسَّا فلم تتركا للقَسِّ عقلاً ولا نفسا

فتاتانِ أمّا منهما فشبيهةُ الـ ـهلالِ وأُخرَى منهما تُشبه الشمسا

تكُنّانِ أبشاراً رِقاقاً وأوجُهاً عِتَاقاً[1] وأطرافاً مُخَضَّبةً مُلْسا

فغنّته سَلاّمة واستحسنتاه. وقالتا للأحوص: ما قلتَ يا أخا الأنصار؟ قال قلت:

صوت

أسَلاَم هل لمتيَّم تنويلُ أم هل صَرَمْتِ وغالَ ودَّكِ غولُ

لا تَصْرِفِي عنّي دلالَكِ إنّه حَسَنٌ لديّ وإن بَخِلْتِ جميلُ

٨/٨ / أزَعمتِ أنّ صَبابتي أُكذوبةٌ يوماً وأنّ زيارتي تعليلُ

ـ الغناء لَسَلاّمةِ القَسّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن الهشاميّ وحَمّاد. وفيه لإبراهيم لحنان، أحدهما خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر في مجراها عن إسحاق وعمرو، والآخر ثقيل أوله استهلال عن الهشاميّ ـ فغنّت الأبياتَ. فقال ابن قيس الرُّقيّات: يا سلاّمة! أحسنتِ واللهِ! وأظنُّكِ عاشقة لهذا الحَلَقيّ[2]! فقال له الأحوص: ما الذي أخرجكَ[3] إلى هذا؟ قال: حُسْنُ غِنائها بشعرك، فلولا أنّ لك في قلبها محبّةً مُفْرِطةً ما جاءها هكذا حَسَناً على هذه البديهة. فقال له [٨/٣٣٨] الأحوص: على قَدْر حُسْن شعري على شعرك هكذا حَسُن الغناءُ به، / وما هذا منك إلاّ حسد، ونُبيِّن لك الآن ما حسدتَ عليه. فقالت سَلاّمة: لولا أنّ الدخول بينكما يُوجب بِغْضةً لحكمتُ بينكما حكومةً لا يردّها أحدٌ. قال الأحوص: فأنت من ذلك آمنة. قال ابن قيس الرقيّات: كلاّ! قد أمِنتَ أن تكون الحكومة عليك، فلذلك سبقت بالأمان لها. قال الأحوص: فرَأيُك يدلّك على أن معرفتك بأنّ المحكوم عليه أنت؛ وتفرّقا. فلما صار الأحوص إلى منزله جاءه ابن قيس الرقيّات فقرَع بابه، فأذِن له وسلّم عليه واعتذر.

ومما قاله الأحوص في سَلاّمةِ القَسّ وغُنّي به:

---

(١) العتق: الجمال والكرم.

(٢) كذا في جـ يقال: أتان حلقية (بالتحريك) إذا تداولتها الحمر فأصابها داء في رحمها. والمراد هنا واضح.

(٣) في حـ: «ما الذي أحوجك».

صوت

أسَلاَمُ إنكِ قد ملكتِ فأَسْجِحِي ... قد يملك الحرُّ الكريم فيُسْجِحُ
مُنِّي على عانٍ أطَلْتِ عَناءَهُ ... في الغُلِّ عندكِ والعُنَاةُ تُسَرَّحُ
إنِّي لأنصَحُكم وأعلَمُ أنّه ... سِيّانِ عندكِ مَن يَغُشّ ويَنصَحُ
وإذا شكوتُ إلى سَلاَمةَ حُبَّها ... قالت أجِدٌّ منك ذا أم تمزَحُ

الشعر للأحوص. والغناء لابن مِسجَح في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو. ولِدَحْمانَ في الأربعة الأبيات ثقيلٌ أوّل بالبنصر فيه استهلال. وفيه خفيفُ ثقيلٍ يقال: إنه لمالك؛ ويقال: إنه لِسَلاّمةِ القَسّ.

أخبرني الحسين عن حَمّاد عن أبيه قال قال أيّوب بَن عَبَاية:

كان عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي عَمّار من بني جُشَمَ بنِ معاوية، وكان فقيهاً عابداً من عُبّاد مكة، يسمَّى القَسّ لعبادته؛ وكانت سَلاّمة بمكة لسُهَيْل، وكان يدخل عليها الشعراء فيُنشدونها وتُنشدهم وتغنّي مَنْ أحَبّ الغناء؛ ففُتن بها عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي عَمّار القَسّ؛ فشاع ذاك وظهر، فسُمّيت سَلاّمةَ القَسِّ بذلك.

/ سألها القس أن تغنيه بشعر له: [٨/٣٣٩]

قال إسحاق وحدّثني أيوب بن عَبَاية قال: سألها عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي عَمّار القَسّ أن تغنّيه بشعر مَدَحها به ففعلتْ، وهو:

ما بالُ قلبِكَ لا يزال يُهيمُه ... ذِكَرٌ عواقِبُ غَيِّهِنّ سَقَامُ
إنّ التي طرقتْك بين ركائبٍ ... تمشي بِمِزْهَرِها وأنت حَرَامُ
لَتَصِيدُ قلبَك أو جزاءَ مَوَدّةٍ ... إنّ الرفيقَ له عليك ذِمامُ
باتت تعلّلُنا وتحسَب أننا ... في ذاك أيقاظٌ ونحن نِيامُ
/ حتى إذا سطَع الصباحُ لناظرٍ ... فإذا وذلك بيننا أحلامُ [٩/٨]
قد كنتُ أعذِلُ في السّفاهة أهلَها ... فاعْجَبْ لِمَا تأتي به الأيّامُ
فاليومَ أعذِرهم وأعلَمُ أنما ... سُبُلُ الغَوايةِ والهُدَى أقسامُ

أراد يزيد بن عبدالملك شراءها حين قدم مكة فأمرها أن تغني:

قال إسحاق وحدّثني المدائنيّ قال حدّثني جُرير قال:

لمّا قدم يزيد بن عبدالملك مكةَ وأراد شراءَ سَلاّمةِ القَسّ وعُرِضتْ عليه، أمرَها أن تغنّيه، فكان أوّل صوت غنّته:

إنّ التي طرقتك بين ركائبٍ ... تمشي بمِزْهَرِها وأنت حرامُ
والبِيضُ تَمْشِي كالبُدورِ والدُّمَى ... ونَواعِمٌ يَمْشِين في الأرْقامِ[1]

(1) الرقم: ضرب مخطط من الوشي أو الخز أو البرود. وهذا البيت غير موجود في أ، م وفيه إقواء.

لَتَصِيدُ قلبَكَ أو جزاءَ مودّةٍ إنّ الرفيقَ له عليك ذمامُ

فاستحسنه يزيد فاشتراها. فكان أوّلَ صوت غنّته لمّا اشتراها:

ألاَ قُلْ لهذا القلبِ هل أنت مبصرُ وهل أنت عن سَلاّمة اليومَ مُقْصِرُ

ألاَ ليتَ أنّي حين صار بها النّوى جليسٌ لسَلْمَى حيث ما عَجّ مِزْهَرُ

[٨/ ٣٤٠] / وإنّي إذا ما الموتُ زالَ[1] بنَفْسِها يُزَالُ بنفسي قبلَها حين تُقْبَرُ

إذا أخذتْ في الصوتِ كاد جليسُها يطيرُ إليها قلبُه حين ينظرُ

كأنّ حَمَاماً راعِبِيّاً[2] مُؤَدِّياً إذا نطقتْ من صدرها يَتَغَشْمَرُ[3]

فقال لها يزيد: يا حبيبتي، مَنْ قائلُ هذا الشعر؟ فقصّت عليه القصّة، فرَقّ له وقال: أحسنَ وأحسنتِ!.

قال الأحوص شعراً وبعث به إليها حين رحل بها يزيد فغنت به يزيد:

قال إسحاق وحدّثني المدائنيّ قال:

لمّا اشترى يزيدُ بن عبدالملك سَلاّمة، وكان الأحوصُ مُعْجَباً بها وبحُسْن غنائها وبكثرة مجالستها؛ فلما أراد يزيد الرِّحْلة، قال أبياتاً وبعث بها إلى سَلاّمةَ. فلما جاءها الشعر غَنّت به يزيدَ وأخبرتْه الخبر، وهو:

صوت

عاودَ القلبَ من سَلاَّمَة نَصْبُ[4] فلعينيّ من جَوَى الحُبّ غَرْبُ

ولقد قلتُ أيها القلبُ ذُو الشو قِ، الّذي لا يُحبّ حُبَّك حِبُّ

إنّه قد دنا فِراقُ سُلَيْمَى وغدا[5] مُطّلَبٌ عن الوصل صَعْبُ

غنّاه ابن مُحْرِز ثانيَ ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لابن عَبّاد وعَلّويه رَمَلان. وفيه لدَحْمانَ خفيفُ رَمَلٍ. هذه الحكايات الثلاث عن الهشاميّ. وذكر حَبَشٌ أنّ لسَلاّمةِ القَسّ فيه ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى.

[٨/ ٣٤١] / **عاتبت حبابة حين استخفت بها لأثرتها عند يزيد:**

قال إسحاق وحدّثني أيّوبُ بن عَبَايةَ قال: كانت سلاّمة وريّا لرجل واحد، وكانت حَبَابة لرجل، وكانت المقدّمة منهنّ سَلاّمةَ، حتى صارتا إلى يزيد بن عبدالملك، فكانت حَبَابةُ تنظر إلى سَلاّمةَ بتلك العين الجليلة المتقدّمة وتعرف فضلها عليها. فلمّا رأت أُثْرتها عند يزيد ومحبّةَ يزيد لها استخفّتْ بها. فقالت لها سَلاّمةُ! أيْ

---

(١) زال: ذهب.

(٢) الراعبي: جنس من الحمام، وحمامة راعبية: ترعب في صوتها ترعيباً وهو شدّة الصوت، جاء على لفظ النسب وليس به، وقيل: هو نسب إلى موضع لا أعرف صيغة اسمه. (عن «لسان العرب» مادة رعب).

(٣) يتغشمر: يصوّت.

(٤) النصب: الداء والبلاء. والغرب: الدمع.

(٥) غدا هنا تامة يستغنى عن منصوبها.

أُخَيَّه! نَسِيتِ لي فضلي عليكِ! ويلكِ! أين تأديبُ الغناء وأين حقُّ التعليم! أنسيتِ قولَ جميلة يوماً [وهي][١] تُطارحنا وهي تقول لك: خُذي إحكام ما أُطارحك من أُختِك سَلاّمة، ولن تَزالِي بخيرٍ ما بقيتْ لكِ وكان / أمرُكما ١٠/٨ مؤتلفاً!. قالت: صَدَقْتِ خليلتي! والله لا عدتُ إلى شيء تكرهينه؛ فما عادت لها إلى مكروه. وماتت حَبَابةُ وعاشت سَلاّمة بعدها دهراً.

احتال ابن أبي عتيق على والي المدينة حتى جعله يسمع منها ويعدل عن إبعاد المغنين من المدينة:

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثني عمّي مُصْعَب عن عبدالرحمن بن المُغِيرة الحِزَاميّ الأكبر قال:

لمّا قدِم عثمانُ بن حَيّانَ المُرّيّ المدينةَ والياً عليها، قال له قومٌ من وجوه الناس: إنّك قد وَلِيتَ على كثرةٍ من الفساد؛ فإن كنتَ تُريد أن تُصْلِح فطهِّرها من الغِناء والزِّنا. فصاح في ذلك وأجَلَّ أهلَها ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة. وكان ابن أبي عَتِيق غائباً، وكان من أهل الفضل والعَفَاف والصلاح. فلما كان آخرُ ليلة من الأجَل قَدِم فقال: لا أدخلُ منزلِي حتى أدخلَ على سَلاّمةِ القَسّ. فدخل عليها فقال: ما دخلتُ منزلي حتّى جئتكم أسَلِّم عليكم. قالوا: ما أغفلَكَ عن أمرنا! وأخبروه الخبر. فقال: أصبِروا عليّ[٢] الليلةَ. فقالوا: نخاف ألاّ يُمْكِنَك شيءٌ ونُنْكَظ[٣]. / قال: إن خفتم شيئاً فأخرُجوا في السَّحَر. ثم خرج فأستأذن على عثمان بن حَيّان فأذِن له، فسلّم عليه [٨/٣٤٢] وذكر له غَيْبَته وأنه جاءه ليقضي حَقَّه، ثم جزاه خيراً على ما فعل من إخراج أهل الغِناء والزِّنا، وقال: أرجو ألاّ تكون عَمِلتَ عملاً هو خيرٌ لك من ذلك. قال عثمان: قد فعلتُ ذلك وأشار به عليّ أصحابُك. فقال: قد أصبتَ، ولكن ما تقول - أمتع الله بك - في امرأةٍ كانت هذه صناعتَها وكانت تُكْرَه على ذلك ثم تركتْه وأقبلتْ على الصَّلاة والصيام والخير، وأنى رسولُها إليك تقول: أتوجّه إليك وأعوذ بك أن تُخْرِجَني من جِوار رسول الله ﷺ ومسجدِه؟ قال: فإنّي أدَعُها لك ولكلامِك. قال ابن أبي عتيق: لا يَدَعُك الناسُ، ولكن تأتيك وتسمع من كلامها وتنظر إليها، فإنْ رأيتَ أنّ مثلَها ينبغي أن يُتْرَكَ تركتها؛ قال نعم. فجاءه بها وقال لها: أجعلي[٤] معك سُبْحةً وتَخَشّعي ففعلتْ. فلمّا دخلتْ على عثمان حدّثتْه، وإذا هي من أعلم الناس بالناس وأعجِبَ بها، وحدّثتْه عن آبائه وأمورهم ففكِه لذلك. فقال لها ابن أبي عتيق: أقْرَئي للأمير فقرأتْ له؛ فقال لها أحْدِي له ففعلتْ، فكَثُر تَعَجُّبه. فقال: كيف لو سَمِعتَها في صِناعتها! فلم يزلْ يُنْزِله شيئاً شيئاً حتى أمرها بالغِناء. فقال لها ابن أبي عَتيق: غَنّي، فغنّت:

سَدَدْنَ خَصَاصَ[٥] الخَيْمِ لمّا دَخَلْنَهُ بكلِّ لَبَانٍ[٦] واضحٍ وجبينِ

فغنّته؛ فقام عثمان من مجلسه فقعد بين يديها ثم قال: لا والله ما مِثْلُ هذه تخرج!. قال ابن أبي عتيق: لا يَدَعُك الناسُ، يقولون: أقَرَّ سلاّمة وأخرج غيرَها. قال: فدَعُوهم جميعاً؛ فتركوهم جميعاً.

---

(١) زيادة عن حـ .

(٢) كذا في «نهاية الأرب» (حـ ٥ ص ٥٤ طبع دار الكتب المصرية طبعة أولى). وفي الأصول: «إلى الليلة».

(٣) كذا في حـ . يقال: أنكظة إذا أعجله عن حاجته. وفي سائر الأصول: «وتنكص».

(٤) رواية، «أ، م»: «احملي».

(٥) الخصاص: الخروق.

[٣٤٣/٨] / **لما اشتراها رسل يزيد ورحلوا بها غنت مشيعيها عند سقاية سليمان بن عبدالملك:**

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنا عبدالله بن أبي فَرْوة قال:

قَدِمتْ رسلُ يزيدَ بنِ عبدالملك المدينةَ فاشتَرَوْا سَلّامةَ المغنّية من آل رُمّانةَ بعشرين ألفَ دينار. فلما خرجتْ من مِلْك أهلِها طلبوا إلى الرُّسُلِ أن يتركوها عندهم أيّاماً ليجهّزوها بما يُشْبِهها من حُلِيٍّ وثيابٍ وطِيب وصِبْغ. فقالت لهم الرسل: هذا كلُّه معنا لا حاجةَ بنا إلى شيء منه، وأمروها بالرَّحيل. فخرجتْ حتى نزلتْ سقَايةَ سليمانَ بنِ عبدالملك وشيّعها الخَلْق من أهل المدينة، فلما بلغوا السِّقاية قالت للرسل: قومٌ كانوا يَغْشَوْنَني / ويسلِّمون عليّ، ولا بدّ لي من وَداعهم والسلام عليهم، فأذِن للناس عليها فانقضُّوا حتى ملئوا رحبةَ القصر[١] ووراءَ ذلك؛ فوقفتْ بينهم[٢] ومعها العود، فغنّتْهم:

فارَقُوني وقد علمتُ يقيناً ... ما لِمَنْ ذاقَ مِيتةً من إيابِ

إنّ أهلَ الحِصَابِ قد تركوني ... مُولَعاً مُوزَعاً بأهلِ الحِصَابِ

أهلُ بيتٍ تَتَابَعُوا[٣] للمنايا ... ما على الدهر بعدهم من عِتابِ

سكنوا الجِزْعَ جِزْعَ بيتِ أبي مو ... سى إلى النخل من صُفِيِّ السِّبَابِ[٤]

كم بذاك الحَجُونِ[٥] من حَيِّ صِدْقٍ ... وكُهُولٍ أعِفَّةٍ وشَبابِ

قال عيسى[٦]: وكنتُ في الناس، فلم تزلْ تُردِّد هذا الصوت حتى راحت؛ وانتحب الناسُ بالبكاء عند ركوبها، فما شئتُ أن أرى باكياً إلاّ رأيتُه.

[٣٤٤/٨] / **كلفت الأحوص أن يحتال لدخول الغريض على يزيد حين قدم معه إلى دمشق:**

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال:

وَجّه يزيد بن عبدالملك إلى الأحوص في القُدوم عليه، وكان الغَريض معه، فقال له: اخرُجْ معي حتى آخُذ لك جائزة أمير المؤمنين وتغنّيه؛ فإنّي لا أحمِل إليه شيئاً هو أحبُّ إليه منك، فخرجا. فلمّا قدِم الأحوص على يزيد جلس له ودعا به. فأنشده مدائحَ فاستحسنها، وخرج من عنده؛ فبعثتْ إليه سَلّامةُ جاريةُ يَزِيدَ بَلَطَفٍ. فأرسل إليها: إن الغريض عندي قَدِمتُ به هديّةً إليك. فلمّا جاءها الجوابُ اشتاقتْ إلى الغَرِيض وإلى الاستماع منه. فلمّا دعاها أمير المؤمنين تمارضتْ وبعثتْ إلى الأحوص: إذا دعاك أميرُ المؤمنين فاحْتَلْ له في أنْ تذكر له الغَرِيض. فلما دعا يزيدُ الأحوصَ قال له يزيد: وَيْحَكَ يا أحوص! هل سَمِعْتَ شيئاً في طريقك تُطْرِفنا به؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين،

(١) لعله يريد قصر سعيد بن العاص وهو بجوار المدينة. (انظر الكلام عليه في «الأغاني» جـ ١ من هذه الطبعة في الكلام على أبي قطيفة).

(٢) في «أ، م»: «فوقفت فيهم».

(٣) تتابعوا: تهافتوا. (انظر الحاشية رقم ٨ ص ٣٢١ جـ ١ من هذه الطبعة).

(٤) صفيّ السباب: موضع بمكة. (انظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٢٢).

(٥) الحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها.

(٦) كذا في الأصول. ولم يتقدّم لعيسى ذكر في هذا الخبر.

مررتُ في بعض الطريق فسمعتُ صوتاً أعجبني حسنُه وجودةُ شعره؛ فوقفتُ حتى استقصَيْتُ خبرَه، فإذا هو الغريض، وإذا هو يغنّي بأحسن صوتٍ وأشجاه:

ألا هـاجَ التـذكُّـرُ لـي سَقَـامَـا ... ونُكْسَ الـداءِ والـوجـعَ الغَـرَامـا[1]

سَـلامـةُ إنهـا[2] هَمِّـي ودائـي ... وشَـرُّ الـداءِ مـا بَطَـنَ العِظـامـا

فقلـتُ لـه ودمـعُ العيـنِ يجـري ... علـى الخَـدَّيْـنِ أربعـةً سِجَـامـا[3]

عليـكَ لهـا السـلامُ فمَـنْ لِصَـبٍّ ... يبيـتُ الليـلَ يَهْـذِي مُستهـامـا

قال يزيد: وَيْلَكَ يا أحوص! أنا ذاك في هوًى خليلتي؛ وما كنتُ أحسَبُ مثل هذا يتّفق، وإنّ ذاك لمما يزيد لها في قلبي. فلما صنعتَ يا أحوصُ حين / سمعت ذاك؟ قال: سمعتُ ما لم أسمع يا أمير المؤمنين أحسنَ منه، فما صَبَرْتُ حتى أخرجتُ الغريضَ معي وأخفيتُ أمره، وعلمتُ أنّ أمير المؤمنين يسألني عما رأيتُ في طريقي. فقال له يزيد: ائتِني بالغريض ليلاً وأخْفِ أمرَه. فرجع الأحوص إلى منزله وبعث إلى سَلّامةَ بالخبر. فقالت للرسول: قل له جُزِيتَ خيراً، قد انتهى إليّ كلُّ ما قلتَ، وقد تَلَطَّفتَ وأحسنتَ. فلمّا وارى الليلُ أهلَه بعث إلى الأحوصِ أن عَجِّل المجيءَ إليّ مع ضيفك. فجاء الأحوصُ مع الغريض فدخلا عليه. فقال غَنِّني الصوت الذي أخبرني الأحوصُ أنه سمِعه منك ـ وكان الأحوص قد أخبر الغريضَ الخبرَ؛ / وإنما ذلك شعر قاله الأحوص يُريد يحرِّكه به على سَلّامةَ ويحتال للغريض في الدخول عليه ـ فقال: غَنِّني الصوتَ الذي أخبرني الأحوصُ. فلما غنّاه الغريضُ دمعتْ عينُ يزيدَ ثم قال: وَيْحَكَ!. هل يمكن أن تصير إلى مجلسي؟ قيل له: هي صالحة. فأرسل إليها فأقبلتْ. فقيل ليزيد: قد جاءت؛ فضُرِب لها حجابٌ فجلستْ، وأعاد عليه[4] الغريضُ الصوتَ؛ فقالت: أحسَنَ واللهِ يا أمير المؤمنين، فاسمَعْه منّي؛ فأخذتِ العودَ فضربته وغنّت الصوتَ، فكاد يزيدُ أن يطير فرحاً وسُروراً، وقال: يا أحوصُ، إنّك لمبارَك! يا غريض غَنِّني في ليلتي هذا الصوتَ؛ فلم يزلْ يغنّيه حتى قام يزيد وأمر لهما بمال، وقال: لا يُصبح الغريضُ في شيء من دِمَشْق. فارتحل الغريض من ليلته، وأقام الأحوص بعده أيّاماً ثم لَحِق به؛ وبعثت سَلّامةُ إليهما بكسوة ولَطَف كثير.

[٨/٣٤٥]

$\frac{١٢}{٨}$

/ رثت يزيد وناحت عليه حين مات:

[٨/٣٤٦]

أخبرني أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار قال حدّثني عليّ بن محمد النَّوْفَليّ قال حدّثني رجل من أهلي من بني نَوْفَل قال:

قَدِمتُ في جماعةٍ من قريش على يزيدَ بنِ عبدالملك، فألفَيْناه في عِلّته التي مات فيها بعد وفاة حَبَابة، فنزلْنا منزلاً لاصقاً بقصر يزيد، فكنّا إذا أصبحْنا بعثْنا بمولًى لنا يأتينا بخبره، وربما أتينا البابَ فسألْنا، فكان يَثْقُل في كلّ يوم. فإنّا لفي منزلنا ليلةً إذ سمعنا هَمْساً من بكاء ثم يزيدُ ذلك، ثم سمِعْنا صوتَ سَلّامةِ القَسِّ وهي رافعةٌ صوتَها تنوح وتقول:

---

(١) الغرام: الملازم الشديد.

(٢) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «إنما همي...».

(٣) أربعة سجام: يريد بها اللحاظين والموقين للعينين، فإن الدمع يجري من الموقين، فإذا غلب وكثر جرى من اللحاظين أيضاً.

(٤) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «عليها».

لا تَلُمْنـــــا إنْ خَشَعْنـــــا ... أوْ هَمَمْنـــــا بخشُـــــوعِ

قـــد لَعَمْـــرِي بِـــتُّ لِيلِـــي ... كـــأخـــي الـــداءِ الـــوجيـــعِ

كلّمـــا أبصـــرتُ ربعـــاً ... خـــاليـــاً فـــاضـــتْ دمـــوعـــي

قـــد خـــلا مـــن سيِّـــدٍ كـــا ... ن لنـــا غيـــرَ مُضِيـــعِ

ثم صاحت وَا أميرَ المؤمنين! فعلمنا وفاتَه، فأصبحنا فغدَوْنا في جنازته.

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا إسماعيل بن أبي أوَيْس عن أبيه قال:

قال يزيدُ بن عبدالملك ما يُقِرُّ عيني ما أُوتيتُ من أمر الخلافة حتى أَشترِيَ سَلاّمةَ جارية مُصْعَب بن سُهَيْل الزُّهْرِيّ وحبَابةَ جاريةَ آلِ لأحِقٍ المكيّة؛ فأرسل فاشتُرِيتا له. فلمّا اجتمعتا عنده قال: أنَا الآن كما قال الشاعر:

فـألقـتْ عَصـاهـا وٱستقـرّ بهـا النَّـوَى ... كمـا قَـرَّ عينـاً بـالإيـابِ المسـافـرُ

فلمّا تُوُفّي يزيد رثته سَلاّمةُ فقالت وهي تنوح عليه هذا الشعر:

لا تَلُمْنـــــا إن خَشَعْنـــــا ... أو هَمَمْنـــــا بخُشـــــوعِ

[٣٤٧/٨] / إذ فقـــدْنـــا سَيِّـــداً كـــا ... ن لنـــا غيـــرَ مُضيـــعِ

وهـــو كـــالَّليْـــثِ إذا مـــا ... عُـــدَّ أصحـــابُ الـــدروعِ

يَقْنِـــصُ الأبطـــالَ ضـــربـــاً ... فـــي مُضِـــيٍّ ورجـــوعِ

أخبرنا الحسين بن يحيى قال حدّثنا الزُّبَير والمدائنيّ أن سَلاّمةَ كانت لسُهَيْل بن عبدالرحمن بن عَوْف، فاشتراها يزيدُ بن عبدالملك، وكانت مغنّيةً حاذقةً جميلةً ظريفةً تقول الشعر، فما رأيتُ خِصالاً أربعاً[1] اجتمعنَ في امرأةٍ مثلِها: حُسْن وجهها وحسن غنائها وحسن شِعْرها. قال: والشعر الذي كانت تغنّي به:

$\frac{١٣}{٨}$ / لا تَلُمْنـــــا إن خَشَعْنـــــا ... أو هَمَمْنـــــا بخُشـــــوعِ

لِلّـــذي حَـــلَّ بنـــا اليـــو ... مَ مـــن الأمـــرِ الفظيـــعِ

وذكر باقيَ الأبيات مثل ما ذكره غيرُه.

قال إسحاق وحدّثني الجُمَحيّ قال حدّثنا مَنْ رأى سَلاّمةَ تندُب يزيدَ بن عبدالملك بمَرْثِيَةٍ رثته بها، فما سمع السامعون بشيء أحسنَ من ذلك ولا أشْجَى؛ ولقد أبكت العيونَ وأحرقت القلوبَ وأفتنت[2] الأسماعَ، وهي:

يـــا صـــاحـــبَ القبـرِ الغـريـبِ ... بـــالشـــأم فـــي طَـــرَفِ الكثيـــبِ

بـــالشـــأم بيـــن صفـــائـــحٍ ... صُـــمٍّ تُـــرَصَّـــفُ بـــالجَبُـــوبِ[3]

(١) لم يرد في الأصول إلاّ ثلاث خصال.

(٢) هكذا في الأصول بالهمز، وهي لغة أهل نجد، وأهل الحجاز يقولون فتنته المرأة وقد جاء باللغتين قول الشاعر:

لئـــن فتنتنـــي لهـــي بـــالأمـــس أفتنـــت ... سعيـــداً فـــأمســـى قـــد قلـــى كـــل مسلـــم

(٣) كذا في م ونسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. والجبوب: المدر المفتت. وفي ب، س، أ: «بالجنوب». وفي جـ: «بالجيوب» وكلاهما تصحيف.

لمّــــا سمعــــتُ أنينَـــه وبكـــــاءه عنـــــد المَغيــــبِ
أقبلـــــتُ أطلُــــبُ طِبَّــــه والــــداءُ يُعْضِــلُ بـــالطبيــبِ

/ الشعر لرجل من العرب كان خرج بآبن له من الحجاز إلى الشأم بسبب آمرأةٍ هَوِيها وخاف أن يفسُد بحبّها، فلما [٨/٣٤٨] فقدها مرِض بالشأم وضَنِي فمات ودُفن بها. كذا ذكر آبن الكلبيّ، وخبره يُكْتَب عَقِبَ أخبار سَلاّمةِ القَسّ. والغناء لسَلاّمةَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن حَبَش. وفيه لحَكَم رَمَلٌ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لحن لابن غَزْوانَ الدِّمَشْقِيّ من كتاب ابن خُرْدَاذْبه غيرُ مجنَّس.

سألها الوليد بن يزيد أن تغنيه فيما رثت به أباه:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني الجُمَحيّ قال:

حدّثني مَنْ حضر الوليدَ بن يزيد وهو يسأل سَلاّمةَ أن تغنّيَه شعرَها في يزيد وهي تتنغّص من ذلك وتدمَع عيناها؛ فأقسم عليها فغنّته؛ فما سمعتُ شيئاً أحسنَ من ذلك. فقال لها الوليد: رحم الله أبي وأطال عمري وأمتعني بحسن غنائك يا سلاّمة!. بِمَ كان أبي يقدِّم عليكِ حَبَابة؟ قالت: لا أدري والله!. قال لها، لكنّني والله أدْري! ذلك بما قسَم الله لها. قالت: يا سيّدي أجَلْ.

انتحل إسحاق الموصلي ما ناحت به على يزيد حين كلفته أم جعفر أن يصوغ لحناً تنوح به على الرشيد:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني عبدالله بن عبدالملك الهَدَادِيّ عن بعض رجاله عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال:

سمعت نائحةً مدنيّةً تنوح بهذا الشعر:

قَـــدْ لعَمْـــرِي بـــتُّ ليلِـــي كـــأخـــي الـــداءِ الـــوَجِيـــعِ
ونجـــيُّ الهـــمّ منّـــي بـــات أدنـــى مـــن ضلـــوعـــي
كلّمـــا أبصـــرتُ رَبْعـــاً دارســـاً فـــاضـــتْ دمـــوعـــي
مُقْفِـــراً مـــن سيّـــدٍ كـــا ن لنـــا غيـــرَ مُضِيـــعِ

والشعر للأحوص. والنَّوْح لمعبد؛ وكان صنعه لسَلاّمة وناحت به سَلاّمةُ على يزيد. فلما سمعتُه منها آستحسنتُه وآشتهيتُه ولَهِجتُ به، فكنتُ أترنّم به كثيراً. فسمع ذلك / منّي أبي فقال: ما تصنع بهذا؟ قلت: شعرٌ قاله الأحوصُ [٨/٣٤٩] وصنعَه معبدٌ لسَلاّمةَ وناحت به سَلاّمةُ على يزيد. ثم ضرَب الدهرُ؛ فلما مات الرشيد إذا رسولُ أمّ جعفر قد وافاني فأمرني بالحضور. فسِرتُ إليها؛ فبعثتْ إليّ: إني قد جمعتُ بنات الخلفاء وبنات هاشم لننوح[1] على الرشيد في ليلتنا هذه؛ فقُلِ الساعةَ أبياتاً رقيقةً وأصنَعْهن صنعةً حسنةً حتى أنوحَ بهن. فأردتُ نفسي على أن أقول شيئاً فما حضَرني وجعلتْ تُرسِل إليّ تَحُثّني، فذكرتُ هذا النَّوْحَ فأرَيتُ / أنّي أصنع شيئاً، ثم قلت: قد حضَرني القولُ وقد ١٤/٨ صنعتُ فيه ما أمرتْ؛ فبعثتْ إليّ بكُنَيْزةَ وقالت: طَارِحْها حتى تُطَارِحَنيه. فأخذتْ كُنَيْزةُ العود ورَدّدتُه عليها حتى أخذتْه، ثم دخلتْ فطارحتْه أمَّ جعفر؛ فبعثتْ إليّ بمائة ألف درهم ومائة ثوب.

(١) في الأصول: «لتنوح» بالتاء، وسياق الكلام يقتضي أن تكون بالنون، كما أثبتناها.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

صوت

لقد فتنت ريّا وسلّامةُ القسّا فلم تتركا للقسّ عقلاً ولا نفسا
فتاتانِ أمّا منهما فشبيهةُ الـ هلالِ وأخرى منهما تُشبه الشمسا

الشعر لعبدالله بن قَيْس الرُّقيّات. والغناءُ لمالك خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّل عن الهِشاميّ. وزعم عمرو بن بانة أن خفيف الثقيل لحُنَين الحِيري. وقيل: إنّ الثقيلَ الأوّل لدَحْمان.

ومنها الشعرُ الذي أوّلُه:

أهابُكِ أن أقولَ بذلتُ نفسي

[٨/٣٥٠] / صوت

ألَا قُلْ جَرَ[1] جِيرتُكِ الزِّيالا[2] وعاد ضميرُ ودُكم خبالا
فإنّي مستقيلُكِ أنّ لُبّي ولُبُّ المرء أفضلُ ما استقالا
أهابُكِ أن أقولَ بذلتُ نفسي ولو أنّي أطيع القلبَ قالا
حياءً منكِ حتى سُلّ جسمي وشقّ عليّ كتماني وطالا

الشعر للقَسّ. والغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق في مجرى البنصر. وفيه لمَعْبد ثقيلٌ أوّل بالوسطى، أوّله:

أهابُكِ أن أقولَ بذلتُ نفسي

كيف تعلق القس بها وقصة لها معه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبدالملك الزيات قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنا بكّار بن رَبَاح قال:

كان عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي عَمّار من بني جُشَم بنِ معاوية، وقد كانت أصابتْ جَدَّه مِنّةٌ من صَفْوانَ بنِ أميّة، وكان ينزل مكةَ، وكان من عُبّاد أهلها، فسُمّي القَسَّ من عِبادته. فمرّ ذاتَ يوم بسَلّامةَ وهي تغنّي فوقف فتسمّع[3] غناءها. فرآه مولاها فدعاه إلى أن يُدخله إليها فيسمعَ منها، فأبى عليه. فقال له: فإني أُقعِدك في مكانٍ تَسْمع منها ولا تَراها. فقال: أمّا هذا فنَعَمْ. فأدخله دارَه وأجلسه حيث يسمع غناءها؛ ثم أمرها فخرجت إليه. فلمّا رآها عَلِقتْ بقلبه فهامَ بها، واشتهر وشاع خبرُه بالمدينة. قال: وجعل يتردّد إلى منزل مولاها مدّةً طويلة. ثم إنّ [٨/٣٥١] / مولاها خرج يوماً لبعض شأنه وخلّفه مقيماً عندها؛ فقالت له: أنا والله أحبُّك! فقال لها: وأنا والله الذي لا إله إلا

(١) جرجيرتك الزيالا أي سببوه وفي جـ، م: «جد» بالدال المهملة والمستعمل متعدياً في هذه المادة هو «أجد» وأما «جد» الثلاثي فيستعمل لازماً.
(٢) الزيال: الفراق. وفي ب، س: «الذيال» بالذال المعجمة، وهو تحريف.
(٣) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «فسمع».

هو. قالت: وأنا والله أشتهي أن أعانِقَك وأُقبِّلَك! قال: وأنا والله. قالت: وأشتهي والله أن أضاجِعَك وأجعلَ بطني على بطنك وصَدْري على صدرك! قال: وأنا والله. قالت: فما يمنعك من ذلك؟ فوالله إنّ المكان لخال!. قال: يمنعني منه قولُ الله عزّ وجل: ﴿الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ فأكره أن تَحُولَ مودّتي لك عداوةً يوم القيامة. ثم خرج من عندها وهو يبكي؛ فما عاد إليها بعد ذلك.

لما ملكها يزيد وملك حبابة صار لا يبالي بعدهما شيئاً:

وأخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن المدائنيّ قال:

لما مَلَك يزيدُ بن عبدالملك حَبَابةَ وسَلّامةَ القَسّ تمثّل:

/ فألقتْ عصاها واستقرّ بها النّوَى ... كما قَرّ عيناً بالإيابِ المسافرُ

١٥/٨

ثم قال: ما شاء بعدُ من أمر الدنيا فليَفُتْني.

صوت

من المائة المختارة

وإنّي لَيُرْضِيني قليلُ نَوالِكُمْ ... وإن كنتُ لا أرضَى لكم بقليلِ

بحُرْمةِ ما قد كان بيني وبينكم ... من الوصلِ إلاّ عُدْتُمُ بجميلِ

الشعر للعبّاس بن الأحنف. والغناء لسليمان الفَزَاريّ. ولحنه المختار من الرَّملَ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه خفيفُ رملٍ أوّله الثاني ثم الأوّل، ينسب إلى حَكَم الواديّ وإلى سليمانَ أيضاً. وفيه لحنٌ من الثقيل الأوّل يقال: إنه لمُخَارِق، ذكر حَبَش أنّ لحن مُخَارِق ثاني ثقيلٍ.

[٨/٣٥٢] # / أخبار العباس بن الأحنف ونسبه

نسب العباس بن الأحنف:

هو ـ فيما ذكر ابن النطّاح ـ العبّاس بن الأحنف بن الأَسْوَد بن طَلْحةَ ابن جَدَّانَ[١] بن كَلَدَةَ[٢] من بني عَدِيّ بن حَنِيفةَ.

وأخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني القاسم بن إسماعيل قال سمعتُ إبراهيم بن العبّاس يقول:

العبّاس بن الأحنف بن الأسْوَد بن قُدامةَ بن هِمْيَان من بني هَفان بن الحارث بن الذُّهْل بن الدُّول[٣] بن حَنيفة. قال: وكان حاجبُ بن قُدامة عمُّ العبّاس من رجال الدّولة.

قال محمد بن يحيى وحدّثني أبو عبدالله الكِنْديّ قال حدّثني محمد بن بكر الحَنِفَيّ الشاعر قال حدّثني أبي قال:

سمعت العبّاس بن الأحنف يذكر أنّ هَوْذةَ بن عليّ الحنفيّ قد ولَده من قِبَل بعض أمهاته.

هو شاعر غزل عفيف لم يهج ولم يمدح:

وكان العبّاس شاعراً غَزِلاً ظريفاً[٤] مطبوعاً، من شعراء الدّولة العبّاسيّة، وله مذهبٌ حسنٌ، ولديباجة شعره رَوْنَقٌ، ولمعانيه عُذوبةٌ ولُطْف. ولم يكن يتجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء، ولا يتصرّف في شيء من هذه المعاني. وقدّمه أبو العباس المبرّد في كتاب الرَّوضة على نُظرائه، وأطنبَ في وصفه، وقال: رأيتُ جماعةً من / الرّواة للشعر يقدِّمونه. قال: وكان العبّاس من الظّرفاء، ولم يكن من الخُلَعاء[٥]، وكان غَزِلاً ولم يكن فاسقاً، [٨/٣٥٣] وكان ظاهرَ النّعمة مُلوكيّ المَذْهبِ شديدَ التّرُّف[٦]، وذلك بيِّنٌ في شعره. وكان قصدهُ الغَزَلَ وشغلهُ النسيب، وكان حلواً مقبولاً غَزِلاً غزيرَ الفكر واسعَ الكلام كثيرَ التصرُّف في الغَزَل وحدَه، ولم يكن هَجّاء ولا مَدّاحاً.

كان حلو الحديث:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا أبو ذَكْوان قال:

---

(١) في ابن خلكان (ج ١ ص ٣٤٦): «حردان».
(٢) كذا في «تجريد الأغاني» وابن خلكان. وفي ب، س، جـ: «صلدة». وفي أ، م: «طرة».
(٣) في الأصول: «الديل بن حنيفة» وهو تحريف. (راجع «القاموس وشرحه» مادة دول و«لسان العرب» وكتاب «المعارف» لابن قتيبة ص ٤٧ طبعة أوروبا).
(٤) في ب، س، جـ: «شريفاً».
(٥) كذا في «تجريد الأغاني» وفي ب، س: «الحلفاء». وفي سائر الأصول: «الخلفاء» وكلاهما تصحيف.
(٦) كذا في «تجريد الأغاني». والترف: التنعم. وفي ب، س: «التزيف». وفي جـ: «التتريف». وفي أ، م: «التزايف» وكله تحريف.

سمعتُ إبراهيم بن العباس يصف العبّاسَ بن الأحنف، فقال: كان والله ممّن إذا تكلّم لم يُحِبَّ سامعُه أن يسكت، وكان فصيحاً جميلاً ظريفَ اللّسان، لو شئتَ أن تقول كلامُه كله شعرٌ لقلتَ.

حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عُبيدالله بن عبدالله بن طاهر قال:

رأيت نُسَخاً من شعر العبّاس بن الأحنف بخُراسان، وكان عليها مكتوب: «شعرُ الأمير أبي الفضل العبّاس».

هو من عرب خراسان ومنشؤه بغداد:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثني صالح بن عبدالوهاب:

أنّ العبّاس بن الأحنف كان من عَرَب خُراسان، ومنشؤه ببغداد، ولم تزل العلماء / تقدّمه على كثير من المُحْدَثين، ولا تزال قد تَرى له الشيء البارعَ جِداً حتى تُلْحقه بالمحسِنين. ١٦/٨

/ أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا يَمُوت بن المُزَرَّع قال. [٨/ ٥٤]

سمعتُ خالي (يعني الجاحظ) يقول: لولا أنّ العبّاس بن الأحنف أحذقُ الناس وأشعرُهم وأوسعُهم كلاماً وخاطراً ما قدَر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه، لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكسّب ولا يتصرَّف، وما نعلم شاعراً لَزِم فناً واحداً لزومهَ فأحسنَ فيه وأكثر.

حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن القاسم بن خَلّاد قال: أنشد الحِرْمَازيّ أبو عليّ وأنا حاضرٌ للعبّاس بن الأحنف:

صوت

لا جَـزَى اللهُ دمـعَ عينَـي خيـراً ... وجـزى اللهُ كـلَّ خيـرٍ لسـانـي

نَـمَّ دمعِـي فليـس يكتُـم شيئـاً ... ورأيـتُ اللّسـان ذا كتْمـانِ

كنـتُ مثـلَ الكتـابِ أخفـاه طَـيٌّ ... فـاستـدلُّـوا عليـه بـالعُنْـوان

ـ الغناء لِعَريبَ رَمَلٌ ـ ثم قال الحِرْمازيّ: هذا والله طِرازٌ يطلُب الشعراء مثلَه فلا يقدِرون عليه.

لعنه أبو الهذيل العلاف لشعر قاله فهجاه:

أخبرني محمد قال حدّثني حسين بن فَهْم قال سمعت العَطَويّ يقول:

كان العبّاس بن الأحنف شاعراً مُجيداً غَزِلاً، وكان أبو الهُذَيْل العَلَّاف يُبْغِضه ويلعنه لقوله:

إذا أردتُ سُلُـواً كـان نـاصـركـم ... قلبـي، ومـا أنـا مـن قلبـي بمنتصـرِ

فـأكثِـروا أو أقِلُّـوا مـن إسـاءتكـم ... فكـلُّ ذلـك محمـولٌ علـى القَـدَرِ

قال: فكان أبو الهُذَيْل يلعَنه لهذا ويقول: يعقِد الكفرَ والفجورَ في شِعْره.

/ قال محمد بن يحيى: وأنشدني محمد بن العباس اليزيديّ شعراً للعباس أظنّه يهجو به أبا الهُذَيل ـ وما سمعت للعبّاس هجاءً غيرهَ ـ: [٨/ ٥٥]

يا من يُكذّبُ أخبار الرسولِ لقد أخطأتَ في كلِّ ما تأتي وما تَذَرُ
كَذّبتَ بالقَدَرِ الجاري عليك فقد أتاك منّي بما لا تَشْتهي القدرُ

سئل الأصمعي عن أحسن ما يحفظ للمحدثين فأنشد من شعره:

حدثني محمد بن يحيى قال حدّثني محمد بن سعيد عن الرياشيّ قال:

قيل للأصمعيّ - أو قلتُ له - ما أحسنُ ما تحفَظ للمُحْدَثين؟ قال: قول العبّاس بن الأحنف:

صوت

لو كنتِ عاتبةً لَسَكّنَ رَوْعَتي أَمَلِي رضاكِ وزرتُ غيرَ مُراقِبِ
لكن مَلِلْتِ فلم تكن لِيَ حيلةٌ صَدُّ المَلُولِ خلافُ صدِّ العاتبِ

الغناء للعبّاس أخي بَحْر رَمَلٌ.

معاتبته الأصمعي في مجلس الرشيد:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ ومحمد بن العبّاس اليزيديّ قالا، واللفظ لهاشم، قال حدّثنا عبدالرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال:

دخل عمّي على الرشيد والعبّاسُ بن الأحنف عنده، فقال العبّاسي للرشيد: دَعْني أعبث بالأصمعيّ. قال له الرشيد: إنه ليس ممن يحتمل العَبَثَ. فقال: لستُ أعبَثُ به عبثاً يَشُقّ عليه. قال: أنت أعلم. فلما دخل عمّي قال له:

يا أبا سعيد، مَنِ الذي يقول:

إذا أحببتَ أن تصنـ ـع شيئاً يُعجب الناسا
فَصَوِّرْ هاهُنا فَوْزاً وصَوِّرْ ثَمّ عَبّاسا
فإنْ لم يَدْنُوا حتّى ترى رأسَيْهما راسا
فكَذِّبْها بما قاسَتْ وكَذِّبْه بما قاسى

17/8

[٣٥٦/٨] / فقال له عمّي يعرِّض بأنه نَبَطِيٌّ: قاله الذي يقول:

إذا أحببتَ أن تُبْصِـ ـر شيئاً يُعجب الخُلْقا
/ فصَوِّرْ ها هنا دوراً وصَوِّرْ ها هنا فلقا[1]
فإنْ لم يَدْنُوا حتى ترى خَلْقَيْهما خَلْقاً
فكَذِّبْها بما لاقتْ وكَذِّبْه بما يَلْقى

قال: فخجِل العبّاس، وقال له الرشيد: قد نهيتُك فلم تقبَل.

(١) الظاهر من السياق أن «دورا» و«فلقا» اسمان من الأسماء النبطية.

حديث إبراهيم بن العباس مع ابن مهرويه عن شعره:

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال أنشدني إبراهيم بن العبّاسي للعبّاس بن الأحنف:

صـوت

قـالـت ظَلُـومُ سَمِيّـةُ الظُّلْـمِ ... مـالـي رأيتُـك نـاحـلَ الجِسْـمِ

يـا مَـنْ رَمَـى قلبـي فـاقْصَـده ... أنـت العليـمُ بمـوضـع السَّهْـمِ

فقلت له: إن أبا حاتم السِّجِسْتانيّ حكَى عن الأصمعيّ أنه أنْشِد للعبّاس بن الأحنف:

صـوت

أتَـأْذَنُـون لِصَـبٍّ فـي زيـارتكـم ... فعنـدكـم شَهَـواتُ السمـعِ والبَصَـرِ

لا يُضْمِـرُ السُّـوءَ إن طـال الجلـوسُ بـه ... عَـفُّ الضميـرِ ولكـن فـاسـقُ النظـرِ

فقال الأصمعيّ: ما زال هذا الفتى يُدْخِل يده في جِرَابه فلا يُخْرِج شيئاً، حتى أدخلها فأخرج هذا، ومَنْ أدْمَنَ طلب شيء ظفِر ببعضه. فقال إبراهيم بن العبّاس: أنا لا أدري ما قال الأصمعيّ، ولكن أنْشِدُك للعبّاس ما لا تدفع أنت ولا غيرُك فضلَه، ثم أنشدني قولَه:

/ واللهِ لـو أنّ القلـوبَ كقلبهـا ... مـا رَقّ للـولـدِ الضعيـفِ الـوالـدُ [٨/٥٧]

وقوله:

لكـن مَلِلْـتِ فلـم تكـن لـيَ حيلـةٌ ... صَـدُّ المَلُـولِ خِـلافُ صـدّ العـاتـبِ

وقوله:

حتـى إذا اقتحـم الفتـى لُجَـجَ الهـوىَ ... جـاءت أمـورٌ لا تُطَـاقُ كِبـارُ

ثم قال: هذا والله ما لا يقدر أحدٌ على أن يقول مثلَه أبداً.

طلب الحسن بن وهب من بنان أن تغنيه بشعر فتندرت عليه:

حدّثني عمّي قال حدّثني ميمون بن هارون قال: كنّا عند الحسن بن وهب فقال لِبَنَانَ: غَنِّيني:

أتَـأذنـون لِصَـبٍّ فـي زيـارتكـم ... فعنـدكـم شَهَـواتُ السَّمْـعِ والبصـرِ

لا يُضْمِـرُ السـوءَ إن طـال الجلـوسُ بـه ... عَـفُّ الضميـرِ ولكـن فـاسـقُ النظـرِ

قال: فضحكتْ ثم قالت: فأيُّ خيرٍ فيه إنْ كان كذا أو أيّ معنًى! فخجِل الحسن من نادرتها[1] عليه، وعجبنا من حدّة جوابها وفِطنتها.

(١) في ب، س: «بادرتها».

مدح سعيد بن جنيد شعره في إخفاء أمره:

حدّثني الصُّوليّ قال أخبرنا أحمد بن إسماعيل النَّصِيبِيني قال سمعتُ سعيد بن جُنَيْد[1] يقول: ما أَعْرِف أحسنَ من شعر العبّاس في إخفاء أمره حيث يقول:

١٨م/٨ / أُرِيـدُكِ بـالسـلام فـأتّقيهـم ... فـأَعمِـدُ بـالسـلام إلـى سِـواكِ
وأُكثِـرُ فيهـمُ ضَحِكِـي ليَخْفَـى ... فسِنِّـي ضـاحـكٌ والقلـبُ بـاكِ

تمثل الواثق بشعره إذا كان غضبان على بعض جواريه:

حدّثني الصُّولي قال حدّثني عليّ بن محمد بن نصر قال حدّثني خالي أحمد بن حَمْدون قال:

كان بين الواثق وبين بعض جَوارِيه شَرٌّ فخرج كسلانَ، فلم أَزَلْ أنا والفتحُ بن خَاقَانَ نحتال لنَشَاطِه، فرآني أُضاحِك الفتحَ فقال: قاتل اللهُ ٱبنَ الأحنف حيث يقول:

[٨/٣٥٨] / عَـدْلٌ مـن الله أبكـانـي وأضحكهـا ... فـالحمـدُ لله عـدلٌ كـلُّ مـا صنَعـا
اليـوم أَبْكـي علـى قلبـي وأنـدُبُـه ... قلـبٌ أَلَـحّ عليـه الحُـبُّ فـأنصـدَعـا

فقال الفتح: أنت والله يا أمير المؤمنين في وَضْع التَّمثُّل موضعَه أشعرُ منه وأعلمُ وأظرفُ.

تمثل بشعره في عتاب جارية له:

أخبرني الصُّولِيّ قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلَّبيّ عن أبيه قال:

قالت للواثق جاريةٌ له كان يهواها وقد جرَى بينهما عَتْبٌ: إنْ كنتَ تَستطيلُ بعزّ الخلافة فأنا أدلّ بعِزّ الحُبّ. أَتُرَاك لم تَسمع بخليفة عِشق قبلك قطُّ فأستوفى من معشوقه حقَّه؛ ولكنّي لا أرى لي نظيراً في طاعتك. فقال الواثق: لله درُّ ٱبن الأحنف حيث يقول:

أمَـا تَحْسَبِينـي أرى للعـاشقيـنَ ... بلَـى، ثـم لسـتُ أرى لـي نظيـرا
لعـلّ الـذي بيـديـه الأمـورُ ... سيَجعـل فـي الكُـرْه خيـراً كثيـرا

مدح الزبير بن بكار شعره:

حدّثني الصُّولِيّ قال حدّثني المُغيرةُ بن محمد المُهَلَّبِيّ قال: سمعتُ الزبير يقول: ابن الأحنف أشعرُ الناس في قوله:

تَعْتَـلّ بـالشُّغْـلِ عَنّـا مـا تكلِّمنـا ... الشغـلُ للقلـب ليـس الشغـلُ للبَـدَنِ

ويقول: لا أعلم شيئاً من أمور الدنيا خيرِها وشرِّها إلا وهو يصلُح أن يُتَمثَّل فيه بهذا النصف الأخير.

استظرف إسحاق الموصلي شعره في مجافاة النوم:

حدّثني الصُّولِيّ قال حدّثني محمد بن سعيد عن حماد بن إسحاق قال: كان أبي يقول: لقد ظَرُف ٱبنُ الأحنف في قوله يَصِفُ طولَ عهده بالنَّوْم:

---

[1] في جـ: «حنيد».

قِفَـا خَبِّـرانـي أيُّهـا الـرجـلانِ عـن النـوم إنّ الهجـرَ عنـه نَهـانـي

وكيـف يكـون النـومُ أم كيـف طَعْمُـه صِفَـا النّـومَ لـي إن كنتمـا تَصِفَـانِ

قال: على قلّة إعجابه بمثل هذه الأشعار.

/ كان سلمة بن عاصم معجباً بشعره حتى كان يحمله معه: [٨/ ٣٥٩]

حدّثني الصُّولِيّ قال حدّثني ميمون بن هارون بن مَخْلَد قال حدّثنا أحمد بن إبراهيم قال: رأيتُ سَلَمة بن عاصم ومعه شعر العباس بن الأحنف، فعَجِبْتُ منه وقلتُ: مثلُك ـ أعزّك الله ـ يحمِل هذا! فقال: ألَا أحمِل شعرَ من يقول:

صوت

أسَـأتُ أَنْ أحسنـتُ ظنّـي بكـم والحَـزْمُ سـوءُ الظـنّ بـالنّـاس

يُقلقنـي الشـوقُ فـآتيكـمُ والقلـبُ مملـوءٌ مـن اليـاس

غنّى هذين البيتين حسين بن مُحْرِز خفيفَ رملٍ بالوسطى. وأوّلُ الصوت:

يـا فـوزُ يـا مُنيـةَ[1] عبّـاسِ واحَسـرَبَـا مـن قلبـك القـاسـي

أعجب أعرابي بشعره:

وروى أحمد بن إبراهيم قال: أتاني أعرابيٌ فصيحٌ ظريف، فجعلت أكتب عنه أشياء / حساناً، ثم قال: أنشِدْني لأصحابكم الحَضَرِيّين. فأنشدتُه للعبّاس بن الأحنف: [١٩/ ٨]

ذكـرتُـك بـالتُّفّـاح لمّـا شَمِمْتُـه وبـالـرّاح لمـا قـابلـتْ أوْجُـهَ الشَّـرْبِ

تـذكّـرتُ بـالتفّـاح منـك سَـوَالِفـاً وبـالـرّاح طعمـاً مـن مُقَبّلَـك العَـذبِ

فقال: هذا عندك وأنت تكتب عنّي! لا أُنشِدك حرفاً بعد هذا.

فضل العباس بن الفضل بعض شعره على قول أهل العراق:

وحدّثني الصُّولِيّ قال حدّثني الحسين بن يحيى الكاتب قال سمعت عبدالله بن العبّاس بن الفضل يقول: ما أعرف في العراق أحسنَ من قول ابن الأحنف:

سبحـانَ ربِّ العُـلاَ مـا كـان أغْفَلَنـي عمـا رمَتْنـي بـه الأيـامُ والـزمـنُ

مَـنْ لـم يَـذُقْ فُـرقـةَ الأحبـابِ ثـم يـرى آثـارَهـم بعـدهـم لـم يَـدْرِ مـا الحَـزَنُ

قال أبو بكر: وقد غنّى عبدالله بن العبّاس فيه صوتاً خفيفَ رملٍ.

---

(١) كذا في «ديوانه» طبع مطبعة الجوائب ص ٩١، وقد ورد فيه هذا البيت هكذا:

يـا فـوز يـا منيـة عبـاس قلبـي يفـدّي قلبـك القـاسـي

وفي الأصول: «يا هيبة عباس» وهو تحريف.

[٨/ ٣٦٠] / **مدح حسين بن الضحاك شعره واستجاده:**

حدّثني الصُّولي قال حدّثنا ميمون بن هارون قال: سمعتُ حسين بن الضّحّاك يقول:

لو جاء العبّاس بن الأحنف بقوله ما قاله في بيتين في أبيات لعُذر، وهو قولهُ:

لَعَمْـرُك مـا يستـريـح المُحِـبُّ حتـى يَبُـوحَ بـأسـرارِهِ

فقـد يكتُـم المـرءُ أسـرارَهُ فتظهـرُ فـي بعـض أشعـارِهِ

ثم قال: أمّا قولُه في هذا المعنى الذي لم يتقدّمه فيه أحدٌ فهو:

الحُـبُّ أمْلَـكُ للفـؤاد بقهـره مـن أن يُـرَى للسَّتـر فيـه نصيبُ

وإذا بَـدَا سـرُّ اللبيـبِ فـإنّـه لـم يَبْـدُ إلاّ والفتـى مغلـوبُ

أخبرني الصُّولِيّ قال حدّثني الغَلَابِيّ قال حدّثني الزُّبَير بن بَكّار قال قال أبو العتاهية: ما حسَدْتُ أحداً إلا العبّاسَ بن الأحنف في قوله:

إذا أمتنـع القـريـبُ فلـم تَنَلْـهُ علـى قُـربٍ فـذاك هـو البعيـدُ

فإني كنتُ أولى به منه وهو بشعري أشبه منه بشعره. فقلت له: صدقت، هو يُشبه شعرك.

استجاد الكندي ضروب شعره:

أخبرني الصُّولِيّ قال حدّثني أبو الحسن الأنصاريّ قال: سمعتُ الكِنْدِيّ يقول: العباس بن الأحنف مليحٌ ظريفٌ حكيم جَزْلٌ في شعره، وكان قليلاً ما يُرضيني الشعرُ. فكان يُنشد له كثيراً:

صـوت

ألاَ تَعْجَبُـون كمـا أعجـبُ حبيـبٌ يُسـيء ولا يُعْتِـبُ

وأبغِـي رضـاهُ علـى سُخْطِـهِ فيـأبَـى علـيَّ ويستصعِـبُ

فيـا ليـتَ حَظّـي إذا مـا أسـا تَ أنّـك تـرضَـى ولا تَغْضَـبُ

[٨/ ٣٦١] / **كان إبراهيم الموصلي مشغوفاً بشعره كثير الغناء فيه:**

أخبرني الصوليّ قال حدّثنا محمد بن الفَضْل قال حدّثني حماد بن إسحاق قال:

كان جَدّي إبراهيم مشغوفاً بشعر العبّاس، فَتَغَنّى في كثيرٍ من شعره، فذكر أشعاراً كثيرةً حَفِظتُ منها:

صـوت

وقـد مُلِئـتْ مـاءَ الشَّبـابِ كـأنّهـا قضيـبٌ مـن الرَّيْحـان رَيّـانُ أخضـر

هُـم كتمـونـي سَيْـرَهـم حيـن أزمَعُـوا وقـالـوا اتَّعَـدْنـا للـرَّوَاح وَبكَّـرُوا

$\frac{٢٠}{٨}$ / ذكر الهشاميّ أنّ اللحن في هذين البيتين لعَلّوية رمل، وفي كتاب أبن المكيّ أنه لابن سُرَيْج، وهو غَلطٌ.

كلمة المأمون لما أنشد بيتاً له:

وقد أخبرني الحسن بن عليّ عن الحسين بن فَهْم قال:

أنْشِد المأمون قولَ عبّاس بن الأحنف:

هـمُ كتمـونـي سَيْرَهـم حيـن أزمعـوا　　　وقـالـوا ٱتّعـدْنـا للـرّواح وبكّـرُوا

فقال المأمون: سَخِروا بأبي الفضل.

قال: وحفِظْتُ مِنها:

صـوت

تمنّـى رجـالٌ مـا أحبّـوا وإنمـا　　　تمنّيـتُ أن أشكـو إليـكَ وتَسْمعـا

أرَى كـلّ معشـوقيـن[1] غيـري وغيـرهـا　　　قـد ٱستعـذَبـا طـولَ الهـوى وتمتّعـا

الغناءُ لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر. وفيه ثقيل أوّلُ بالوسطى يُنْسَب إلى يزيدِ حوراء وإلى سُلَيْم بن سَلاّم.

[٨/ ٣٦٢] / قال وحفِظتُ منها:

بكـتْ عينـي لأنْـواعِ　　　مـن الحـزن وأوجـاعِ

وأنّـي كـلَّ يـوم عنـ　　　ـدكـم يَحْظـى بـيَ السّـاعـي

أعيـشُ الـدّهـرَ إن عشـتُ　　　بقلـبٍ منـكِ مُـرْتـاعِ

وإن حـلّ بـيَ البعـدُ　　　سَيَنْعـانـي لـكِ النّـاعـي

الغناء لإبراهيم المَوْصليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو. وفي كتاب إبراهيم بن المهديّ الذي رواه الهشاميّ عنه أن لإبراهيمَ بن المهديّ فيه لحنَيْن: ثقيلاً أوّل وماخُورياً. وفيه هَزَجٌ مُحْدَثٌ.

غنى إبراهيم الموصلي في شعره وشعر ذي الرمة أكثر ما غنى في شعر غيرهما:

أخبرني الصوليّ قال حدّثنا أصحابُنا عن محمد بن الفضل عن حمّاد بن إسحاق قال:

ما غنّى جَدّي في شعر أحد من الشعراء أكثَر ممّا غنّى في شعر ذي الرُّمّة وعبّاس بن الأحنف.

مدح ابن الأعرابي شعراً له غنى له في حضرة أحد أولاد الرشيد:

أخبرني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن عبدالله التّميميّ قال:

كنا في مجلس ٱبن الأعرابيّ، إذ أقبل رجل من ولد سعيد بن سالم كان يَلْزَم ٱبنَ الأعرابيّ، وكان يحبّه ويأنَسُ به، فقال له: ما أخّرك عنّي؟ فٱعتذر بأشياء ثم قال: كنتُ مع مُخارق عند بعض بني الرّشيد فوهب له مائة ألف درهم على صوت غنّاه به، فٱستكثر ذلك ٱبنُ الأعرابيّ وٱستهاله وعجِب منه، وقال: ما هو؟ قال: غنّاه بشعر عبّاس بن الأحنف:

(١) في جـ: «كل مشغوفين».

بكـــتْ عيْنـــي لأنـــواعِ ... مـــن الحـــزن وأوجـــاعِ
وأنـــي كـــل يـــوم عنـ ... ـــدكم يَحْظَـــى بسيَ السّـاعـــي

فقال ابنُ الأعرابيّ: أمّا الغناء فما أدْري ما هو، ولكن هذا والله كلامٌ قريبٌ مليحٌ.

[٨/ ٣٦٣] / نوّه الواثق بشعره:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثنا محمد بن الهيثم قال حدّثني محمد بن عمرو الرّوميّ[1] قال:

كنّا عند الواثق فقال: أريد أن أصنَع لحناً في شعرٍ معناه أنّ الإنسان كائناً من كان لا يقدِر على الاحتراس من عدوّه، فهل تعرفون في هذا شيئاً؟ فأنشَدْنا ضروباً من الأشعار؛ فقال: ما جئتُم بشيء مثل قول عبّاس بن الأحنف:

قلبـــي إلـــى مـــا ضـــرّنـــي داعِـــي ... يُكْثِـــر أسقـــامـــي وأوجـــاعِـــي
كيـــف احتـــراســـي مـــن عـــدوّي إذا ... كـــان عـــدوّي بيـــن أضـــلاعـــي
/ أَسْلمنـــي للحـــبّ أشيـــاعـــي ... لمّـــا سعـــى بـــي عنـــدهـــا السّـــاعـــي
لقلّمـــا أَبْقـــى علـــى كـــلّ ذا ... يُـــوشـــك أن يَنْعـــانِـــيَ النّـــاعـــي

٢١/ ٨

قال: فَعَمِل فيه الواثقُ لحنه الثقيلَ الأوّل، النّشيد[2] بالوسطى.

قصة للمتوكل وعليّ بن الجهم في صدد شعره:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى أو حُدّثتُ به عنه عن عليّ بن الجَهْم قال:

انصرفتُ ليلةً من عند المتوكل، فلما دخلتُ منزلي جاءني رسولُه يطلُبني، فراعني ذلك وقلت: بلاءٌ تُتُبِّعتُ به بعد انصرافي، فرجعتُ إليه وَجِلاً، فأُدْخِلْتُ عليه وهو في مَرْقَده. فلما رآني ضحِك، فأيقنتُ بالسلامة؛ فقال: يا عليّ، أنا مُذْ فارقتُك ساهرٌ؛ خطَر[3] على قلبي هذا الشعرُ الذي يُغَنّي فيه أخي، قولُ الشاعر:

قلبي إلى ما ضرّني دَاعِي

الأبيات. فَحَرَصْتُ أن أعمَل مثلَ هذا فلم يَجِئْني، أو أن أعمَل مثلَ اللّحن فما أمكنني؛ فوجدتُ في نفسي نقصاً، فقلت: يا سيّدي، كان أخوك خليفةً يغنّي وأنت خليفةٌ لا تغنّى؛ فقال: قد والله أهديت إلى عيْني نوماً، أعطوه ألفَ دينار، فأخذتها وانصرفتُ.

[٨/ ٣٦٤] / أنشد أبو الحارث جميز من شعره فقال: إنه قاله في طباخة:

وجدتُ في كتاب الشّاهيني بغير إسناد:

أُنشِد أبو الحارث جُمَيْز[4] قول العباس بن الأحنف.

قلبي إلى ما ضرّني دَاعي

(١) كذا في جـ: «عمرو الدوري».

(٢) كذا في أكثر الأصول. وفي حـ: الثقيل النشيد بالوسطى». ولعل الصواب: «الثقيل الأوّل بالوسطى».

(٣) في ب، س: «فخطر» بزيادة الفاء.

(٤) كذا في «شرح القاموس والأغاني (ج ١ ص ٨٣ من هذه الطبعة)» وقد ورد فيهما خلاف وتصويب فيه فانظره. وفي أ، ء، م: «حمين». وفي ب، س: «حميد» بالحاء المهملة. وكلاهما تحريف.

الأبيات. فبكى ثم قال: هذا شعرُ رجلٍ جائعٍ في جارية طبّاخَةٍ مليحةٍ، فقلت له: من أين قلت ذاك؟ قال: لأنه بَدَأَ فقال:

قلبي إلى ما ضرّني داعِي

وكذلك الإنسان يدعوه قلبُه وشهوتُه إلى ما يضرُّه من الطّعام والشّراب فيأكله، فتكثر عِلَلُه وأوجاعُه، وهذا تعريض، ثم صرّح فقال:

كيف احتراسي من عدوّي إذا كان عدوّي بين أضلاعي

وليس للإنسان عدوٌّ بين أضلاعه إلاّ مَعِدتُه، فهي تُتلِف مالَه، وهي سببُ أسقامِه، وهي مِفتاح كلّ بلاء عليه، ثم قال:

إن دام لي هجرُك يا مالِكي أوْشَكَ أن يَنْعانِيَ النّاعِي

فعلمتُ أنّ الطبّاخةَ كانت صديقتَه، وأنها هجرتْه ففقَدَها وفقد الطّعامَ، فلو دام ذلك عليه لمات جوعاً ونَعاه النّاعي.

تمثل الحسن بن وهب بشعره في حادثة له مع بنان:

وحدّثني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن عيسى قال:

جاء عبدالله بن العبّاس بن الفَضْل بن الرّبيع إلى الحسن بن وهب، وعنده بنَان جاريةُ محمد بن حمّاد، وهي نائمةٌ سَكْرى وهو يبكي عندها. فقال له: مالَكَ؟ قال: قد كنتُ نائماً فجاءتني فأنْبَهتْني وقالت: اجلس حتى تشربَ فجلستُ، فوالله ما غنّتْ / عشرةَ أصوات حتى نامت وما شرِبتُ إلاّ قليلاً، فذكرتُ قولَ أشعر الناس وأظرفهم، العبّاس بن الأحنف. [٨/ ٣٦٥]

صوت

أبكي الذين أذاقوني مودّتَهم حتى إذا أيقظوني للهوى رقَدُوا

فأنا أبكي وأنْشِد هذا البيت.

كلام ابنه إبراهيم في مدح شعر له وبلاغته وإنشاده له:

وحدّثني الصّوليّ قال حدّثني القاسم بن إسماعيل قال:

سمعت إبراهيم بن العبّاس يقول: ما رأيتُ كلاماً مُحْدَثاً أجزلَ في رقّةٍ، ولا أصعبَ في سهولةٍ، ولا أبلغَ في إيجازٍ، من قول العباس بن الأحنف:

تعالَيْ نُجَدِّدْ دارسَ العهد بيننا كلانا على طول الجفاء مَلُومُ

قال الصّوليّ: ووجدتُ بخطّ عبدالله بن الحسن: أنشد أبو محمد الحسن بن مَخْلَد قال: أنشدني إبراهيم بن العباس بن الأحنف: ٢٢/٨

صوت

إن قال لم يَفْعَل وإن سِيلَ لم يَبْذُل وإن عُوتِبَ لم يُعْتِبِ

صبٌّ بِعِصْياني ولو قال لي لا تَشْربِ[1] البارِدَ لم أشْرَبِ
إليك أشكو ربُّ ما حلّ بي من صدّ هذا المُذْنِبِ المُغْضَبِ

غنّى في هذه الأبيات أحمد بن صَدَقة هزجاً بالوسطى. وفيها لحنٌ آخر لغيره ـ قال الحسن بن مَخْلَد[2]: ثم قال لي إبراهيم بن العباس: هذا والله الكلامُ الحسنُ المَعْنى، السهلُ المَوْرِد، القريبُ المتناوَل، المليحُ اللفظ، العذب المستَمَع.

[٣٦٦/٨] / **مدح علي بن يحيى شعره وقال على رويه شعراً:**

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال:

سمعتُ عليّ بن يحيى يقول: من الشعر المرزوق[3] من المغنّين خاصّة [شعر[4]] العباس بن الأحنف، وخاصّة قوله:

نامَ من أَهْدى ليَ الأرَقا مستريحاً سامَني قَلَقا

فإنه غنّى فيه جماعةٌ من المغنّين، منهم إبراهيم الموصليّ وابنه إسحاق وغيرهما. قال: وكان يَسْتحسن هذا الشعر، وأظن استحسانه إيّاه حمَلَه على أن قال في رَوِيّه وقافيته:

بأبي واللهِ مَنْ طَرَقا كابْتسام البرق إذ خَفَقا

وعمِل فيه لحناً من خفيف الثقيل في الإصبع الوسطى. هكذا رواه الصُّوليّ.

وأخبرني جَحْظة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال: قال أبي: هذا الصوت:

نام من أهدى ليَ الأرَقا

مدح إسحاق شعره وقال إنه محظوظ من المغنين:

من الأشعار المحظوظة في الغناء لكثرة ما فيه من الصَّنْعة واشتراك المغَنين في ألحانه. وذكر محمد بن الحسن الكاتب عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حَمْدون[5] أنّه قال ذلك ولم يذكره عن إسحاق.

نسبة هذين الصوتين منهما

صوت

نام من أَهْدى لِيَ الأرَقا مستريحاً زادَني قَلَقا
لو يَبيتُ الناسُ كلُّهم بسهادي بيَّض الحَدَقا
[٣٦٧/٨] / كان لي قلبٌ أعيش به فاصطلى بالحبّ فاحترقا

(١) في الأصول: «لم تشرب...». والتصويب عن الديوان.
(٢) في الأصول هنا: «الحسن بن خالد».
(٣) في ب، س، م: «الموزون» وهو تحريف.
(٤) تكملة يقتضيها سياق الكلام. وعبارة «تجريد الأغاني» «ومن رقيق شعر العباس المحظوظ في الغناء قوله... إلخ».
(٥) في الأصول: «ابن حمدون». وهو تحريف. (راجع «الاستدراك» الأول ص ٥٣٧ ج ٥ من هذه الطبعة).

أنـــا لـــم أرْزَق مـــودَّتكـــم | إنمـــا للعبـــد مـــا رُزِقـــا

لإسحاق في هذا الشعر خفيفٌ بالوسطى في مجراها. ولأبيه إبراهيم أيضاً فيه خفيفُ ثقيل آخرُ. ولابن جامع فيه لحنان: رَمَلٌ مُطْلَق في مجرى الوسطى في الأوّل والثالث، وخفيفُ رملٍ مطلّق في مجرى الوسطى أيضاً في الأبيات كلها. وفيه لسُلَيْم هزَجٌ، وفيه لَعَلويه ثقيلٌ أوّل.

نسبة صوت علي بن يحيى

صوت

/ بـأبـي والله مَـنْ طَـرَقـا | كـابتسـام البـرق إذْ خَفَقـا [٢٣/٨]

زادنـي شـوقـاً بـزَوْرَتـه | ومـلا قلبـي بـه حُـرَقـا

مَـنْ لقلـبٍ هـائـمٍ دَنِـفٍ | كلّمـا سلّيْتُـه قَلِقـاً

زارنـي طيـفُ الحبيـب فمـا | زاد أن أغـرى بـي الأَرَقـا

الشعر لعليّ بن يحيى، وذكر الصّوليّ أن الغناء له خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى.

وذكَر أبو العُبَيْس بن حمدون أنّ هذا الخفيفَ الثقيلَ من صنعته. وفيه لعَرِيب ثاني ثقيل بالوسطى أيضاً.

مدح عبدالله بن المعتز شعره:

حدّثني الصّوليّ قال: سمعتُ عبدالله بن المعتزّ يقول: لو قيل: ما أحسنُ شيء تعرِفه؟ قلتُ: شعرُ العبّاس بن الأحنف:

صوت

قـد سحَّـبَ النـاسُ أذيـالَ الظنـون بنـا | وفـرّق النـاسُ فينـا قـولَهـم فِـرَقـا

فكـاذِبٌ قـد رمَـى بـالحـبّ غيـرَكُـم | وصـادقٌ ليـس يَـدْري أنّـه صـدَقـا

/ قال: ولِلْمسدود[1] في هذا الشعر لحن. قال: ولم يُغَنّ المسدُود أحسنَ من غنائه في شعر العبّاس بن الأحنف. هكذا ذكر الصّوليّ، ولم يأت بغير هذا. ولإسحاق في هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر من نسخة عمرو بن بانة الثانية. ولابن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ. وليزيد حَوْراء خفيفُ ثقيل عنه. وللمَسْدود رملٌ. ولعبدالله بن العباس الرّبيعيّ خفيفُ رمَلٍ. [٣٦٨/٨]

شكا الفضل بن الربيع جاريته إلى إبراهيم الموصلي فأحاله على شعره:

وأخبرني الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن سعيد قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

غَضِب الفضلُ بن الربيع على جارية له كانت أحبَّ الناس إليه، فتأخّرت عن استرضائه، فَغَمَّه ذلك، فوجّه إلى

(١) كذا في «الأغاني» في ترجمته (ج ٢١ ص ٢٥٦) واسمه الحسن، وكنيته أبو علي، وكان أبوه قصاباً، وكان هو مسدود فرد منخر ومفتوح الآخر، وكان يقول: لو كان منخري الآخر مفتوحاً لأذهلت بغنائي أهل الحلوم وذوي الألباب. وفي الأصول هُنا في كل المرات التي ذكر فيها: «المشدود» بالشين المعجمة، وهو تصحيف.

أبي يُعْلِمُه ويشكوها إليه. فكتب إليه أبي: لك العزّةُ والشرف، ولأعدائك الذل والرّغم. وأستَعْمِلْ قولَ العباس بن الأحنف:

تحمَّلْ عظيمَ الذنب ممّن تحبّه ... وإن كنتَ مظلوماً فقُل أنا ظالمُ

فإنك إلّا تَغْفِر الذنبَ في الهوى ... يُفارقْك من تَهوى وأنفُك راغِمُ

فقال: صدقْتَ، وبعث إليها فترضّاها.

دافع مصعَب الزبيري عن شعره:

أخبرني الصّوليّ قال حدّثني أبو بكر بن أبي خَيْثَمَة قال:

قيل لمُصْعَب الزّبيري: إن الناس يَسْتبرِدُون شعرَ العباس بن الأحنف. فقال: لقد ظلموه، أليس الذي يقول:

[٣٦٩/٨] / صوت

قالت ظلومُ سميّةُ الظُّلْمِ ... مالي رأيتُك ناحِلَ الجسمِ

يا من رمى قَلبي فأقْصَدَه ... أنت العليمُ بموقعِ السَّهْمِ

الغناء لأبي العُبَيْس أو أبنه إبراهيم، ماخُوريّ.

قال شعراً في البكاء فأجازته أم جعفر:

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثنا ميمون بن هارون قال حدّثني أبو عبدالله الهشاميّ الحسن بن أحمد[1] قال حدّثنا عمرو بن بانَةَ قال:

كنّا في دار أُمّ جعفر جماعةً من الشعراء والمغنّين، فخرجتْ جاريةٌ لها وكمُّها مملوء دراهم، فقالت: أيّكم القائل:

٢٤/٨ / من ذا يُعيرك عينَهُ تبكي بها ... أرأيتَ عيناً للبكاء تُعارُ

فأُومىء إلى العباس بن الأحنف، فَنَثَرتْ الدراهمَ في حِجره فنفضَها فلقَطَها الفرّاشون، ثم دخلت ومعها ثلاثةُ نفرٍ من الفرّاشين على عُنُق كلّ فرّاش بَدْرةٌ فيها دراهم، فمضَوْا بها إلى منزِل العبّاس بن الأحنف:

أنشد الرشيد شعره في البكاء فدعا عليه وسخط:

أخبرني الحسَنُ بنُ عليّ قال حدّثني محمدُ بن موسى قال:

أنشِد الرشيدُ قولَ العبّاسِ بنِ الأحنف:

من ذا يُعيرك عينَه تبكي بها

فقال: مَنْ لا صَحِبه الله ولا حاطه.

---

(١) في الأصول: أبو عبدالله الهشامي أحمد بن الحسين». وهو تحريف. (راجع الجزء السابع من هذه الطبعة ص ٢٩٣).

سرق مخلد الموصلي من شعره فكشفه عبدالله بن ربيعة الرقي:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عَوْنُ بن محمّد الكِنديّ قال:

/ كنّا مع مَخْلَد المَوْصِليّ في مجلسٍ وكان معنا عبدُالله بن رَبيعة الرَّقِّيّ؛ فأنشد مَخْلد المَوْصِلي قصيدةً له يقولُ فيها: [٨/ ٣٧٠]

كــلُّ شــيءٍ أَقْــوى عليــه ولكــنْ ... ليــس لــي بــالفِــراق منــك يَــدانِ

فجعل يستحسِنه ويردِّده، فقال له عبدُالله: أنتَ الفِداء لمن ابتدأ هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول:

سلبتْنــي مــن السُّــرور ثِيــابــاً ... وكَستنــي مــن الهمــوم ثِيــابَــا

كلمــا أغْلَقَــتْ مــن الــوصــل بــابــا ... فتَحَــتْ لــي إلــى المنيّــةِ بــابــا

عــذِّبينــي بكــلِّ شــيءٍ ســوى الصـ ... ـدّ فمــا ذقــتُ كــالصــدود عــذابــا

قال: فضحك المَوْصِليّ. والشعرُ للعباس بن الأحنف.

مدح الرياشي شعره:

وأخبرني الصُّوليّ قال حدّثني أبو الحسن الأسديّ قال:

سمع الرِّياشيّ يقولُ، وقد ذُكِر عندَه العباسُ بن الأحنف: والله لو لم يقلْ من الشعر إلا هذين البيتين لكفَيا:

صوت

أحْــرَمُ منكــم بمــا أقــولُ وقــد ... نــالَ بــه العــاشِقــونَ مَــن عَشِقُــوا

صِــرْت كــأنــي ذُبــالــةٌ نُصِبَــتْ ... تُضِــيءُ للنّــاسِ وهــي تحتَــرِقُ

وفي هذين البيتين لحنٌ لعبدِ الله بنِ العبّاس من الثقيل الثاني بالبِنصر. وفيه لخَزْرَج رمَل أوّلُ عن عبد الله بن العبّاس:

أنــتِ لا تعلميــنَ مــا الهــمُّ والحُــزْ ... نُ ولا تعلَميــــن مــــا الأرَقُ[1]

اختلف الرشيد وإسحاق الموصلي في مدحه ومدح أبي العتاهية: [٨/ ٣٧١]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال حدَّثني محمد بن يَزيد المبرِّد قال حدّثني بعضُ مشايخ الأزْد عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال:

كان الرشيد يقدِّم أبا العتاهية حتى يجوزَ الحدَّ في تقديمه، وكنت أقدِّم العبّاس بن الأحنف؛ فاغتابني بعضُ الناسِ عند الرشيد وعابني عنده، وقال عَقِبَ ذلك: وبحَسْبِك يا أميرَ المؤمنين أنه يُخالِفُك في العباس بن الأحنف على حداثة سنّه وقلّة حِذْقِه وتجريبه، ويقدِّمُه على أبي العتاهية مع ميْلك إليه. وبلغني الخبرُ فدخلت على الرّشيد؛

(١) ورد هذا البيت في الأصول مفرداً، وهو وإن كان على رويّ البيتين السابقين إلاّ أنه لم يمهد له فالظاهر أن في الأصول نقصاً.

فقال لي ابتداءً: أيما أشعرُ عندك: العباسُ بن الأحنف أو أبو العتاهية؟ فعلِمتُ الذي يريدُ، فأطرقتُ كأني مُسْتَثْبِتٌ ثم قلت: أبو العتاهية أشعرُ. قال: أنْشدْني لهذا ولهذا؛ قلت: فبأيّهما أبدأ؟ قال: بالعباس. قال: فأنشدتُه أجودَ / ما أرويه للعبّاس، وهو قوله:

٢٥/٨

أُحْـرَمُ مِنكـم بمـا أقـولُ وقـد	نـال بـه العـاشِقـونَ مَـنْ عَشِقُـوا

فقال لي: أحْسَن، فأنشدني لأبي العتاهية، فأنشدتُه أضعفَ ما أقدِرُ عليه، وهو قوله:

كـأنَّ عُتَّـابَـةَ مـن حُسْنهـا	دُمْيَـةُ قَـسٍّ فتنـتْ قَسَّهـا
يـا رَبِّ لـو أنسيتَنِيهـا بمـا	فـي جَنَّـةِ الفـردوس لـم أنسَهـا
إنـي إذاً مثـلُ التـي لـم تـزل	دائبـةً فـي طحنِهـا كُـدْسَهـا[1]
حتـى إذا لـم يبـق منهـا سـوى	حَفْنـةِ بُـرٍّ قتلـتْ نفسَهـا

قال: أتعيِّره[2] هذا! فأين أنت عن قوله:

قـال لـي أحمـدُ ولـم يـدْرِ مـا بـي	أتحـبُّ الغـداةَ عُتبـةَ حَقّـا
فتنفَّسْـتُ ثُـمَّ قلـت نعـم حُبَّـ	ـا جرى فـي العـروق عِـرْقاً فعِرْقا

[٨/٣٧٢] / ويحك! أتعرف لأحدٍ مثلَ هذا، أو تعرف أحداً سبقه إلى قوله: «فتنفَّسْتُ ثم قلت كذا وكذا»! اِذهبْ ويحَك فأحفَظْها؛ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، ولو كنت سمعتُ بها لحفظتُها. قال إسحاق: وما أشُكّ إني كنت أحفَظَ لها حينئذ من أبي العتاهية، ولكنّي إنما أنشدتُ ما أنشدتُ تعصُّباً.

صحب الرشيد إلى خراسان وعرّض للرجوع بشعر فأذن له:

قال محمدُ بنُ يَزيد:

وحُدِّثت من غير وجهٍ أنّ الرشيدَ ألِف العباسَ بن الأحنف؛ فلما خرج إلى خُراسان طال مُقامُه بها، ثم خرج إلى أرْمِينيَةَ والعباسُ معه ماشياً إلى بغدادَ، فعارَضه في طريقه فأنشده:

قـالـوا خُـراسـان أقصـى مـا يُـرادُ بنـا	ثـم القُفـولُ فَقَـد جئنـا خـراسـانـا
مـا أقـدرَ اللّـهَ أن يُـدْنـي علـى شَحَـط	سكـانَ دَجلـةَ مـن سُكّـان جَيْحَـان[3]
متـى الـذي كنـتُ أرجـوه وآمُلُـه	أمّـا الـذي كنـتُ أخشـاه فقـد كـانـا
عيـنُ الـزمـانِ أصـابتْنـا فـلا نَظَـرتْ	وعـذِّبْـت بصنـوفِ الهجـر ألـوانـا

ـ في هذين البيتين الأخيرين رَمَلٌ بالوسطى يُنسَب إلى مخارق وإلى غيره ـ قال فقال له الرشيد: قد اشتقتَ يا عبّاس وأذنتُ لك خاصة، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

(١) التكدس: العرمة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك.
(٢) في الأصول «أتعيره بهذا». وهي لغة رديئة.
(٣) جيحان: اسم نهر.

لم يبتذل هو ولا العراف شعرهما في رغبة ولا رهبة:

أخبرني الصُّوليّ قال حدَّثنا محمدُ بن القاسِم قال: سمعتُ مُصْعَبًا الزُّبَيْرِيّ يقول: العباسُ بن الأحنف وعمرو العرّاف[1] ما ابتذلا شعرَهُما في رَغْبة ولا رهَبَة، ولكن فيما أحبّاه، فلَزِما فنًّا واحداً لو لَزِمه غيرُهما ممّن يُكثر إكثارَهما لضعُف فيه.



(١) كذا في أكثر الأصول. وفي جـ: «العراق». والظاهر أنه تحريف عن «الوراق»، فقد كان عمرو الوراق شاعراً غزلاً ظريفاً معاصراً للعباس بن الأحنف.

[٨/ ٣٧٣]

/ ذكر الأصوات التي تجمع النَّغَم العشر

منها:

صوت

توهَّمتُ بالخَيْف رسماً مُحيلا ... لِعزَّةَ تَعْرِفُ منه الطُّلولا

تَبدَّل بالحيّ صوتَ الصَّدى ... ونوحَ الحمامة تدعو هَديلا

عروضُه من المتقارِب. الخَيْفُ الذي عناهُ كُثَيِّر ليس بخيف مِنًى، بل هو موضع آخَر في بلاد ضَمْرَة.

[٢٦/٨] والطُّلول: جمع طللٍ، وهو ما كان[١] له شخص وجسم عالٍ من آثار الدِّيار. والرَّسم / ما لم يكن له شخص [وجسم][٢]. والصَّدَى ها هنا: طائر، وفي موضع آخر: العطش. ويزعُم أهل الجاهليّة أن الصَّدى طائر يخرج من رأس المقتول فلا يزال يصيح [أسقوني][٢] حتى يُدرَكَ بثأره. قال طَرَفَة:

كريم يروِّي نفسَه في حياته ... ستعلم إن مِتنا صَدًى أيُّنا الصَّدِي[٣]

والحمام: القماريّ ونحوها من الطير. والهديل: أصواتها.

الشعر لكثيِّر والغناء لعُبَيْدالله بن عبدالله بن طاهر، ونَسَبه إلى جاريته وكَنَى عنها، فذكر أن الصَّنعةَ لبعض من كثرت دُرْبَتُه بالغناء وعظُم علمُه وأتعب نفسَه حتى جمع النَّغَم العشرَ في هذا الصوت، وذكر أن طريقتَه من الثقيل الأوّل، وأنّه ليس يجوز أن ينسُبَه إلى موضع إصْبع مُفْردة؛ لأن ابتداءه على المَثْنى مُطْلقاً، ثم بسبَّابة المَثْنى، ثم وُسْطى المثنى، ثم بِنْصر المَثْنى، ثم خنصر المَثْنى، ثم سبّابة الزِّير، ثم وُسْطاه، ثم بِنصره، ثم خِنصره، ثم النَّغمة الحادَّة، وهي العاشرة. وفيه لابن مُحرِزٍ ثاني ثقيلٍ مطلَق في مجرى البِنْصر. وفيه لابن الهِرْبِذ رَمَلٌ بالوُسطى عن

[٨/ ٣٧٤] عمرو، وهذا الصوتُ من الثقيل / الثاني، وهو الذي ذكر إسحاق في كتاب النَّغم وعِلَلِها أن لحنَ ابن محرز فيه يَجمع ثمانياً من النغم العَشر، وأنّه لا يعرف صوتاً[٤] يجمعها غيرُه، وأنه يمكن من كان له علمٌ ثاقبٌ بالصناعة أن يأتيَ في صوتٍ واحدٍ بالنَّغم العشر، بعد تعبٍ طويل ومُعَاناةٍ شديدة. وذكر عُبَيْد الله أن صانع هذا الصوتِ الذي كَنَى عنه فعلَ ذلك وتلطَّف له حتى أتى بالنغم العشر في هذا متواليةً من أوّلها إلى آخرها، وأتى بها في الصوت الذي بعده متفرّقةً على غير توالٍ إلاّ أنها كلّها فيه، وذكر أن ذلك الصوتَ أحسنُ مسموعاً وأحلى. وحَكى ذلك أيضاً عنه

(١) في حـ «ما بان».
(٢) زيادة عن حـ.
(٣) الصدى: العطشان.
(٤) في الأصول: «وأنه لا يعرف صوتاً إلى عشرة يجمعها... إلخ». والظاهر أن كلمة «إلى عشرة» مقحمة.

يحيى بن عليّ بن يحيى في «كتاب النَّغَم». وإذ فرغتُ من حكايةِ ما ذكَره وحكاه عُبَيْد الله في نِسبة هذا الصوتِ فقد ينبغي ألاّ أُجرَى الأمرَ فيه على التقليد دون القول الصحيح فيما ذكره وحكاه. والذي وصفه من جهة النغم العشر متواليةً في صوت واحد محالٌ لا حقيقة له، ولا يُمكن أحداً بتّةً[1] أن يفعله. وأنا أُبيِّن العلّةَ في ذلك على تقريبٍ، إذ كان استقصاء شرحها طويلاً. وقد ذكرتُه في رسالة إلى بعض إخواني في علل النغم، وشرحتُ هناك العلّةَ في أن قُسِّم الغناءُ قسمين وجُعِل على مجريَيْن: الوُسطى والبِنصر دون غيرهما، حتى لا يُدْخِل[2] واحدةً منهما على صاحبتها في مجراها قُرْبُ مخرج الصوت، إذا كان على الوُسطى منه [أو][3] إذا كان على البنصر وشبهه به. فإذا أراد مُرِيدٌ إلحاقَ هذا بهذا لم يُمكنه بَتّةً على وجهٍ ولا سببٍ؛ ولا يُوجد في استطاعة حيوان أن يتلو إحداهما بالأخرى. وإذا أُتْبِعت[4] إحداهما بالأخرى في ناي أو آلة من آلات الزمر تَفَصَّلَت إحداهما / من الأخرى. [٨/٣٧٥] وإنما قلّت النغمُ في غِناء الأوائل لأنهم قسّموها قسمين بين هاتين الإصْبَعين، فوجدوهما إذا دخلت إحداهما مع الأخرى في طريقتها لم يكن ذلك إلا بعد أن يُفْصَلَ بينهما بنغم أخرى للسبّابة والخنصر يدخل بينهما حتى تتباعد المسافةُ بينهما، ثم لا يكون لذلك الغناءِ ملاحةٌ ولا طِيبٌ للمضادّة في المَجْرَيَيْن، فتركوه ولم يستعملوه؛ فإن كان صحّ لعُبَيْد الله عملٌ في النغم العشر في صوت، / فلعلّه صحّ له في الصوت الذي ذكر أنه فرّقها فيه؛ فأما المتوالية ـ على ٢٧/٨ ما ذكره ها هنا ـ فمحالٌ، ولستُ أقدر في هذا الموضع على شرحٍ أكثرَ من هذا، وهو في الرسالة التي ذكرتُها مشروح.

* * *

انتهى الجزء الثامن من كتاب الأغاني

ويليه الجزء التاسع

وأوّله نسب كثير وأخباره

(١) المشهور في هذه الكلمة أنها لا تنكر. قال ابن بري: مذهب سيبويه وأصحابه، أن البتة لا تكون إلّا معرفة لا غير، وإنما أجاز تنكيرها الفراء وحده، وهو كوفي.

(٢) في الأصول: «لا تدخل» بالتاء المثناة الفوقية.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) في الأصول: «ولا إذا اتبعت... إلخ». والظاهر إنها محرفة عما أثبتناه.



كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

ترجمة

حارثة بن بدر

لحق

بالجزء الثامن من طبعة دار الكتب

بتحقيق

إبراهيم الأبياري



تقديم

(١) هذه الترجمة، من تراجم الجزء الحادي والعشرين. وتقع فيه بعد ترجمة «أم جعفر» وقبل ترجمة «خالد الكاتب»، وقد رمزنا إلى هذا الجزء الحادي والعشرين بالحرف «س».

(٢) لم يورد ابن واصل هذه الترجمة، وهو الذي أورد في كتابه «**تجريد الأغاني**» جميع التراجم المزيدة التي انفرد بها الجزء الحادي والعشرون.

(٣) ذكر أبو الفرج حديثه عن «الصوت من المائة المختارة» هناك (٧: ١٤٨ طبعة بلاق ـ ٨: ٢٣٥ طبعة دار الكتب)، وهو يقدم لعنترة، ثم كرره هنا بنصه ـ مع خلاف يسير ـ وهو يترجم لحارثة بن بدر.

(٤) قوبلت هذه الترجمة على مخطوطتين من مخطوطات «الأغاني» المحفوظة في دار الكتب:

(أ) الأولى من هاتين المخطوطتين قطعة قديمة كانت من بين مخطوطات مكتبة «الظافر» الخليفة الفاطمي. وتقع هذه المخطوطة في مائة وخمس وسبعين ورقة، وأخبار حارثة تشغل الثماني عشرة ورقة الأخيرة منها؛ وهذه النسخة تحمل رقم ٤٢٧ أدب، وقد رمزنا إليها أثناء المقابلة بحرف «أ».

(ب) وثانية المخطوطتين، مصوّرة مأخوذة عن نسخة مكتبة «فيض الله» بتركيا، ويرجع تاريخ نسخها إلى القرن التاسع أو العاشر الهجري، وتضم مائة لوحة؛ تقع أخبار «حارثة» في اللوحات من ٨٠ إلى ٨٩. وهذه النسخة تحمل رقم ١٩٠٢٠ ز. وقد رمزنا إليها بحرف «ب».

(٥) تتفق المخطوطتان على إيراد أخبار «حارثة بن بدر» قبل أخبار «أبي دلف»، وبعد أخبار «جميلة».

[٨/ ٣٨٣]

/ صوت[١]

من المائة المختارة

يـا دار عَبْلَـةَ مِـن مَشَـارق مَـأْسَـلِ ... درس الشّـؤون وعَـهـدُهـا لـم يَنْجَـلِ[٢]

واستبـدلـت عُفْـرَ الظِّبـاء كـأنمـا ... أبعـارُهـا فـي الصّيـف حَـبُّ الفُلْفُـلِ

ذكر يحيى بن عليّ أن الشعر لعَنترة بن شدّاد، وليس ذلك بصحيح. وذكر غيره من الرُّواة أنه لَعبد قَيس بن خُفاف البُرْجمي، وليس ذلك بصحيح أيضاً، والشعر لحارثة بن بَدر الغُداني من قصيدة له طويلة يفتخر فيها ويذكر سالف أيامه. وقد ذكرت المختار منها بعقب أخبار حارثة وبعد انقضائها. والغناء المختار لأبي دُلَف العجلي، ولحنه في المختار [ثقيل أول، وفيه ألحان كثيرة[٣]].



(١) جاء هذا الصوت من المائة المختارة (٧: ١٤٨ طبعة بلاق ـ ٨: ٢٣٥ طبعة دار الكتب) لعقب أخبار جميلة وقبل أخبار عنترة. وقد أضاف أبو الفرج هناك إلى هذين البيتين بيتين آخرين وهما:

تمشـي النعـام بـه خـلاء حـولـه ... مشـى النصـارى حـول بيـت الهيكـل

احـذا محـل السـوء لا تحلـل بـه ... وإذا نبـا بـك منـزل فتحـوّل

ثم عقب أبو الفرج على الأبيات الأربعة بقوله: «الشعر فيما ذكر يحيى بن علي عن إسحاق، لعنترة بن شداد العبسي. وما رأيت هذا الشعر في شيء من دواوين شعر عنترة، ولعله من رواية لم تقع إلينا، فذكر غير أبي أحمد أن الشعر لعبد قيس بن خفاف البرجمي، إلاّ أن البيت الأخير لعنترة صحيح لا يشك فيه. والغناء لأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي. ولحنه المختار على ما ذكره أبو أحمد من الثقيل الأوّل». ثم مضى أبو الفرج يذكر ألحاناً أخرى مختلفة.

(٢) دارة مأسل: من ديار بني عقيل. («معجم البلدان» في رسم: دارة مأسل).

(٣) تكملة من: ب.

/ نسب حارثة بن بدر وأخباره[١]

[٨/ ٣٨٤]

نسبه:

حارثة بن بدر بن حُصين بن قَطن بن غُدانة بن يَربوع.

وقال خالد بن حبل:

حارثة بن بدر بن مالك بن كُليب[٢] بن غُدانة بن يربوع[٣].

نسب أمه:

وأم حارثة بن بَدْر امرأة من بني صَريم بن الحارث، يقال لها: الصَّدُوف، بنت صُدى[٤].

رأي ابن الأهتم فيه وفي الأحنف وابن جبلة:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز، قال: حدّثنا عُمر بن شَبّة، قال: حدّثني العلاء بن الفَضل بن [عبدالملك بن[٥]] أبي سَوِيّة المِنْقري، قال:

مرّ عَمرو بن الأهتم بحارثة بن بَدر، والأحنف بن قَيس، وزَيد بن جَبلة، وهم مُجتمعون، فسلّم عليهم، ثم بقي مُفكراً، فقالوا: مالك؟ فقال: ما في الأرض ثلاثة أنجب من آبائكم، حيثُ جاؤوا بأمثالكم من أمثال أمهاتكم! فَضحكوا منه.

أمه وأما الأحنف وابن جبلة:

قال:

وأم الأحنف: الزّافرية، واسمها حُبّى، من باهلة، وأُم زيد بن جبلة: عَمرة بنت حذلم، من بني الشُّعيراء. وأُم حارثة: الصَّدوف بنت صُدى[٤]، من بني صَريم بن الحارث.

وقد مضى نسب بني يَربوع في نَسب جرير وغيره [من عشيرته[٦]] من هذا الكتاب.

---

(١) ترجم له ابن عساكر في كتابه «تاريخ دمشق» (٨: ١٣٣ ـ ١٤٢ تاريخ تيمور ١٠٤١) معتمداً فيما ترجم على كتاب «الأغاني» في الكثير مما نقل.

(٢) أ، ب: «كلب».

(٣) سياق النسب في الجمهرة لابن الكلبي (٢٢٦): «حارثة ابن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة بن يربوع».

(٤) أ، ب: «الصدى».

(٥) التكملة من «تهذيب التهذيب».

(٦) تكملة من أ، ب.

[٣٨٥/٨] / **شعر الفرزدق في بني غدانة وحديث هذا:**

وفي بني غُدانة يقول الفرزدق:

أبنـي غُـدانـة إنّنـي حَـرَّرتُكـم ... فـوهبتُكـم[1] لعطيّـه بـن جِعَـالِ

لـولا عَطِيّـة لاجْتَـدَعْـتُ أُنـوفكـم ... مـن بيـن ألأم أعيُـنٍ وسِبَـالِ[2]

وكان عَطية استوهب منه أعراضهم لصهرٍ كان بينه وبينهم، وكان عطية سيّدا من سادات بني تميم. فلما سمع هذا الشعر قال: والله لقد أمتن عليّ أبو فراسٍ بهذه الهبة وما[3] تممها حتى أرتجعها، ووصل الامتنان بتحريرهم بأقبح هجاء لهم.

عطية وشعر جرير فيه:

قال:

وكان عطية هذا جواداً، وفيه يقول جرير[4]:

إن الجـوادَ علـى المـواطـن كُلهـا ... وابـنَ الجـواد عطيـةُ بـن جِعَـالِ

يهـبَ النجـائـبَ لا يَمـلُّ عطـاءهـا ... والمُقـرَبـاتِ كـأنهـن سَعـالـى[5]

شيء عن حارثة:

وحارثة بن بدر من فُرسان بني تميم ووجوهها وساداتها [وجُودَائها[6]]، وأحسِب أنه قد أدرك النبي ﷺ في حال صباه وحداثته. وهو من ولد[7] بني الأحنف بن قيس، وليس بمعدود في فحول الشعراء، ولكنه كان يعارض نظراءه الشّعرَ، وله من ذلك أشياء كثيرة ليست مما يُلحقه بالمُتقدمين في الشعر والمُتصرفين في فُنونه.

[٣٨٦/٨] / **هو وابن زياد وقد عاتبه على الشراب:**

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز [الجوهري[8]]، قال: أنبأنا عمر بن شبّة، قال: أنبأنا المدائني، قال:

كان زيادٌ مُكرماً لحارثة بن بدر، قابلاً لرأيه، محتملاً لما يعلمه من تناوله الشراب. [فلما وَلِيَ عُبيدالله بن زياد أخّر حارثةَ بعض التأخير، فعاتبه على ذلك. فقال له عبيدالله: إنك تتناول الشراب[9]]. فقال له: قد كان أبوك يعلم

(١) في «الديوان (٧٢٦)»: «ووهبتكم».
(٢) السبال: جمع سبلة، بالتحريك، وهو الشارب.
(٣) أ، ب: تمها».
(٤) أ، ب: «وفيه يقول الشاعر وهو جرير». ولم يرد الشعر في «ديوان» جرير.
(٥) النجائب: جمع نجيبة، وهي الكريمة العتيقة، من النوق والأفراس. والمقربات: جمع مقربة، وهي الفرس يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها والسعال: جمع سعلاة، وهي الغول.
(٦) التكملة من أ، ب: «ويقال في جمع الجواد من الرجال: جود، وأجواد، وأجاود، وجوداء.
(٧) أ، ب: «من لدات». واللدات: جمع لدة، وهو من يولد معك.
(٨) تكملة من أ، ب.
(٩) التكملة من س.

هذا منّي، ويُقربني[١] ويكرمني. فقال له: إن أبي كان لا يخاف من القَالة في تقريبك ما أخاف، وإنَّ اللسان إليَّ فيك لأسرعُ منه إلى أبي. فقال حارثة:

وكم من أميرٍ قد تجبَّر بعدما ... مَريت له الدنيا بَسيفي فدرَّتِ[٢]

إذا ما هي آحلولتْ نَفَى حق مَقسمي ... ويَقْسِم لي منها إذا ما أمرَّتِ[٣]

إذا زَبَنَتْه عن فُواقٍ يريدُه ... دُعِيتُ ولا أُدْعَى إذا ما أقرَّتِ[٤]

شعره لابن زياد وقد شاوره:

وقال حارثة بن بدرٍ أيضاً، و[قد[٥]] شاوره عُبيدالله في بعض الأمر:

أَمَانُ وأُقصى ثم يَنتصحونني ... وَمَنْ ذا الذي يُعطى نصيحتَه قَسْرَا

رأيتُ أكفَّ المُصْلِتِين عليكمُ ... مِلاءً وكفِّي من عَطاياكُمْ صِفرا

متى تسألوني ما عليَّ وتَمنعوا ... الذي ليَ لم أَسطِعْ على ذلكم صبرا[٦]

فقال له عبيدالله: فإني مُعوِّضك ومولِّيك، فولاّه.

[٣٨٧/٨] / **هجاه رجل من بني كليب له حين حوّل زياد دعوته في قريش:**

أخبرني يحيى بن علي[٧] إجازةً، قال: أنبأنا أحمد بن يحيى بن جابر البَلاذُرِيّ، قال: قال لي أبو اليقظان: حوّل زيادٌ دعوة حارثة بن بدر و«ديوانه» في قُريش، لمكانه منه، فقال[٨] [فيه] رجل من بني كُليب يهجوه بذلك:

شهدتُ بأن حارثةَ بنَ بدرٍ ... غُدانيُّ اللَّهازِمِ والكَلامِ[٩]

سَجاحِ في كتاب الله أدنى ... له من نَوفلٍ وبني هشام

يعني: سَجاحِ، التي ادّعت النبوة، وهي آمرأة من بني تميم.

شعره في احتراق داره:

قال أحمد بن يحيى: وقال المدائني:

احترقت دار حارثة بن بدر بالبصرة، أحرقها بعضُ أعدائه من بني عمه، فقال في ذلك:

---

(١) أ، ب: «وهو يقربني».

(٢) مريت له الدنيا: ذللتها لتعطي، وأصله من مري الناقة، إذا مسحت ضرعها لتدر.

(٣) احلولت: صارت حلوة. وفي أ، ب: «احولت».

(٤) الفواق، بالضم: اللبن يجتمع بين الحلبتين في الضرع. وزبنته: دفعته، وأصله في الناقة: إذا ضربت برجلها عند الحلب.

(٥) التكملة من ب.

(٦) أ، ب: «لا أستطيع لذلكم صبراً».

(٧) ب «يحيى بن علي بن يحيى».

(٨) التكملة من أ، ب.

(٩) اللهازم: جمع لهزمه، بكسر اللام، وهي ما نتأ تحت الأذنين. وغدانيها: أي يشبه غدانة فيها، وهي قبيلة، كما يشبهها في الكلام.

رأيتُ المنايا بادئاتٍ وَعُوَّداً إلى دارنا سهلاً إليها طَرِيقُهَا[١]

لها نَبْعَةٌ[٢] كانت تَقينا فُروعها فقد تَلِفت إلاّ قليلاً عُروقها

احتراق أخيه:

قال:

وكان لحارثة أخٌ يقال له: دَارع[٣]، فأُحرق مع ابن الحَضْرمي بالبصرة.

هجاؤه لبني سليط وسبب ذلك:

وقال أحمد يحيى أيضاً:

كان عَطية بن جِعال يُهاجي حارثة بن بدر، ثم اصطلحا. وكان أيضاً يُهاجيه من قومه العُكَّمِصُ، وكانت بنو سَليط تروي هجاءه لحارثة بن بدر، فقال حارثة يهجوهم:

[٨/٣٨٨] / أراويةٌ عليَّ بنو سَليط هجاءَ الناس يا لِبَني سَلِيط

فما لَحْمي لتأكله سَليط شبيهاً بالذكيِّ ولا العَبيط[٤]

هو وابن زُنَيْم وابن زياد:

أخبرنا أحمد بن محمد [ابن عبدالله[٥]] بن صالح بن سمح بن عمرة[٦] الأسدي أبو الحسن، قال: أنبأنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: قال: روح بن السَّكن:

كان أنس بن زُنَيْم الليثي صديقاً لعُبيدالله بن زياد، فرأى منه جفوة وأثرةً لحارثة بن بدر الغُداني، فقال:

أُهان[٧] وأُقصى ثم تُرجَى نَصيحتي وأيُّ امرىءٍ يُعطي نصيحته قَسْرَا

رأيتُ أكُفَّ المُصْلِتِينَ عليكُم مِلاءً وكفِّي من عَطاياكُم صِفْرا

فإن تسألوني ما عليَّ وتمنعوا الَّـ ـذِي ليَ لم أسطِع على ذلكم صبرا

رأيتكُم تُعطون من تَرهبونه زربيةً قد وُشحتْ[٨] حَلَقاً[٩] صُفرا

وإنّي مع الساعي عليكم بسيفِه[١٠] إذا عَظْمكم يوماً رأيتُ به كَسرا

---

(١) العوّد: العائدات. والذي في أ، ب: سهلاً إلينا طريقها».

(٢) س: «سعة».

(٣) س: «دراع».

(٤) الذكي: ما ذبح تذكية. والعبيط: لحم الذبيحة السمينة الفتية تنحر من غير داء.

(٥) التكملة من س.

(٦) أ: «شيخ بن عمرة»، وفي ب: «شيخ بن عميرة».

(٧) مرت الأبيات الثلاثة الأولى (ص ٣٧٩) منسوبة لحارثة.

(٨) الزربية: الطنفسة. ووشحت: غشيت. وقبل هذا البيت في أ، ب بيت آخر، هو:

فعمداً صدقت الناس عما يريبكم ولو شئت أغليت في حربكم قدرا

(٩) س: «خلعا».

(١٠) س: بسلعة».

فقال عُبيدالله بن زياد لحارثة بن بدر: أجبه. فاستعفاه[١] لمودةٍ كانت بينهما، فأكرمه على ذلك وأقسم عليه [ليُجيبَنّه[٢]]، فقال:

[٨/ ٣٨٩] / تبدلْتُ من أنسٍ إنّه كَذوبُ المودةِ خَوّانُها
أراهُ بصيراً بضُرِّ الخليلِ وخير[٣] الأخلاّءِ عُوْرانُها[٤]

فأجابه أنس فقال:

إن الخيانَةَ شرُّ الخَليلِ والكُفْرُ عندك دِيوانُها
بَصُرْتُ به في قديمِ الزمانِ كما بَصَرُ[٥] العينِ إنسانُها

فأجابه حارثة بن بدر فقال:

أَلِكني[٦] إلى أنسٍ إنّه عَظيمُ الحُوَاشَةِ[٧] عِنْدِي مَهيبُ
فما أبْتَغِي عَثَراتِ الخليلِ وَلاَ أبغينَ[٨] عليهِ الوثوب[٩]
وما إن أرى مالَهُ مغنماً من الدهرِ إنْ أعوزتني الكُسُوب[١٠]

فقال أنس:

أحارِ بنَ بدرٍ وأنت امرؤٌ لعَمْري المتاعُ إليّ الحبيب[١١]
متى كان مالُكَ لي مَغْنَماً من الدهرِ إن أعوزتني الكُسُوب[١٢]
وشرُّ الأخلاّءِ عند البلاءِ وعند الرزيّةِ خِلٌّ[١٣] كَذُوب

[٨/ ٣٩٠] / قال: فتهادى أنس وحارثة الشعر عند عُبيدالله زماناً، ووقع بينهما شرٌّ حتى قدِم سَلْمُ بن زيادٍ من عند يزيد بن معاوية عاملاً على خُراسان وسجستان، فجعل ينتخب ناساً من أهل البصرة والكوفة، وكان الذي بين عُبيدالله وبين سَلْم شيئاً[١٤]، فأرسل سَلم إلى أنس يعرض عليه صحبته وجعل له أن يستعمله على كورة، فقال له أنس: أَمْهِلْني حتى أنظر في أمري، وكتب إلى عُبيدالله بن زياد.

---

(١) س: فأجابه واستعفاه».
(٢) التكملة من أ، ب.
(٣) س: «وشر».
(٤) عوران: من جموع أعور. يريد الذين لا تقع عيونهم على الضر.
(٥) س: «تبصر».
(٦) الكني إلى أنس: كن رسول إليه.
(٧) أ، ب: «القرابة» وهما بمعنى. تقول: لي في بني فلان حواشة، أي من ينصرني من قرابة أو ذي مودة.
(٨) س: ولا ابتغي».
(٩) أ، ب: «عليه الذنوب».
(١٠) أ، ب: «من الدهر نائبات الخطوب».
(١١) أ، ب: «إليه حبيب».
(١٢) أ: «الخطوب». ب: «كسوب».
(١٣) أ، ب: «خب». والخب، بالفتح والكسر: الخداع الخبيث.
(١٤) س: «سببي».

ألم ترني خُيِّرْتُ والأمرُ واقعٌ[1] فما كنت لما قلت بالمُتخيَّرِ
رِضاكَ على شيءٍ سواهُ ومن يكن إذا اختار ذا حزمٍ من الأمر[2] يَظْفَر
قَعَدْتُ لترضى عن جهادٍ وصاحبٍ شَفيقٍ قديمِ الوُدِّ كان موقَّري[3]
على أحدِ الثَّغرين ثم تركتُه وقد كنتَ في تأميره غيرَ مُمْتَرِي
فأمسكتُ عن سَلْمٍ عِنانِي[4] وصُحبتي ليعرفَ وجهَ العُذرِ قبلَ التعذر
فإن كنتَ لمّا تَدْرِ ما هي شيمتي فسَلْ بيَ أكفائي وسَلْ بيَ معشري
ألستُ مع الإحسان والجُودِ ذا غنًى وبأسٍ إذا ما كُفِّروا في التَّسَتُّر[5]
ورأيٍ[6] وقد أعصى الهوى خشيةَ الرَّدَى وأعرفُ غِبَّ الأمرِ قبلَ التَّدبُّر
وما كنتُ لولا ذاك ترتدُّ بُغيتي عليَّ ارتدادَ المُظلمِ المُتجبِّر

قال: ودفعها إلى عُبيدالله [بن[7] زياد] في صحيفة، فقرأها ثم دفعها إلى حارثة بن بدر، وقال له: أردد على أنسٍ صحيفتَه فلا حاجةَ لنا فيها[8]. فقال حارثة:

[٨/٣٩١] / أَلِكْني إلى مَن قال هذا وقُلْ له كذبتَ فما إنْ أنت بالمتخيَّرِ
وإنك لو صاحبتَ سَلْماً وجدتَه كعهدك عَهْدِ السُّوءِ لَمْ يَتَغيَّر
أتنصحُ لي يوماً ولستَ بناصحٍ لنفسك فاغشُشْ ما بدا لك أو ذَر
كذبتَ ولكنْ أنت رَهْنٌ بِخَزْيَةٍ[9] ويَوْمٍ كأيامٍ عَبوسٍ مُذَكَّر[10]
كأشقرَ أَضْحَى بين رُمحين إنْ مَضَى على الرُّمحِ يُنْحَرْ أو تأخَّرْ يُعْقَر

(قال): وأعجبت[11] عُبيدالله، وقال: لَعمري لقد أجبتَهُ. على إرادتي وأمسك عبيدالله في يده الصحيفة، فلما دخل عليه أنس دفعها إليه، فنظر فيها، ثم قال لعبيدالله: لقد ردّ عليَّ من لا أستطيعُ جوابَه. وظنَّ أن عبيدالله قالها[12]، وخرج أنسٌ والصحيفةُ في يده، فلقيهُ عبدُالرحمن بن رَألان فدفعها إليه أنس، فلما قرأها قال: هذا شعرُ حارثةَ بنِ بدر، أعرفه. فقال له أنس: صدقت والله، ثم قال لحارثة:

عجبتُ لِهَرْجٍ[13] من زمانٌ مُضلِّلِ ورأيٍ لألبابِ الرجالِ مُغَيَّرِ
ومن حِقْبَةٍ عَوْجاءَ[14] غَوْلٍ تلبَّسَتْ على الناسِ جلدَ الأرْبَدِ المُتَنَمِّر
فلا يُعْرَفُ المعروفُ فيه لأهله وإن قِيلَ فيه مُنْكَرٌ لم يُنَكَّر

(١) أ، ب: «والحزم».
(٢) أ، ب: «القوم».
(٣) أ، س: «مؤمري».
(٤) ب: «لساني».
(٥) أ، ب: «بالتستر».
(٦) س: «ورائي».
(٧) التكملة من أ، ب.
(٨) أ، ب: «نصيحته فلا حاجة لي فيها».
(٩) أ، ب: «لخزية».
(١٠) مذكر: شديد صعب.
(١١) أ، ب: «فأعجبت».
(١٢) أ، ب: «قائلها».
(١٣) كذا في أ، ب. والهرج: الكذب والخداع. والذي في س. «هوج».
(١٤) كذا في أ، ب. والذي في س: «عقبة عرجاء».

لحـارثـةَ الْهَـدِيِ الخَنَـى لـي ظـالـمـاً ... ولـم أرَ مِثْـلَ مُـدْرٍ صَيْـد مُـدْري[١]

لِحـارِ[٢] بـن بـدرٍ قـد أتتنـي[٣] مقـالـةٌ ... فمـا بـال نُكْـرٍ منـك مـن غيـر مُنكـر[٤]

[٨/ ٣٩٢] / أيَـروي عليـك النـاسُ مـا لا تقـولُـه ... فتَعْـذَرَ أم أنـت آمـرؤٌ غيـرُ مُعْـذَرِ

فـإنْ يـك حقـاً مـا يُقـالُ فـلا يكُـن ... دَبيبـاً وجـاهِـرْنـي فمـا مـن تَستُّـر

أقَلْـذكَ[٥] إن كنـتَ آمـرأً خـانَ عِـرْضَـه ... قـوافِـيَ مـن بَـاقِـي الكـلام المُشَهَّـر

وقـد كنـتَ قبـل اليـومِ جـرَّبـتَ أنني ... أشُـقُّ علـى ذي الشّعْـرِ والمُتَشَعْـر[٦]

وأن لسـانـي بـالقصـائـد مَـاهـرٌ ... تَعِـنُّ لـه غُـرُّ[٧] القـوافـي وتَنْبَـرِي

أصـادِفُهـا حينـاً يسيـراً وأبتغـي ... لهـا مِـرَّةً شَـزْراً إذا لـم تَيَسَّـر[٨]

تَنَـاوَلُنـي بـالشتـم فـي غيـر كُنْهِـه ... فمَهْـلاً[٩] أبـا الخَيْماءِ[١٠] وابـنَ المُعَـذَّر

هجوتَ[١١] وقد سَامَاكَ في الشعر خُطَّةَ الـ ... ـذَّليـلِ ولـم يفعل[١٢] كـأفعـال مُنْكـر

قال: وقال أنس بن زُنَيْم لعُبيدالله بن زياد، وفيه غناءٌ:

سَـلْ أميـري مـا الـذي غَيَّـره ... عـن وِصَـالـي اليـومَ حتـى ودَعه[١٣]

لا تُهِنِّـي بعـد إكـرامـك[١٤] لِـي ... فشـديـدٌ عـادةٌ مُنتَـزَعَـه

لا يكـن وَعْـدُكَ بَـرْقـاً خُلَّبـاً ... إنَّ خيـر البـرقِ مـا الغيـثُ مَعَـه

[٨/ ٣٩٣] / بينه وبين ابن ظبيان في شرب الخمر:

أخبرني محمد بن مَزْيَد [بن أبي الأزهر[١٥]]، قال: حدثنا حمادُ بن إسحاق عن أبيه، قال:

---

(١) المدّري: الذي يختل الصيد ليصيده. يريد: لم ير مثل صائد هو صيد لصائد.

(٢) أ، ب: «أحار».

(٣) أ: «أتتنا».

(٤) أ، ب: . . «نكر قبل في غير منكر».

(٥) سكنت الدال في جواب «إن».

(٦) البيت ساقط من أ.

(٧) الأصول: «عن». وظاهر أنه محرف عما أثبتنا.

(٨) الشزر من الفتل: ما كان عن العسراء، أي اليسار، وهو أن يبدأ الفاتل من خارج ويرده إلى بطنه. وأمر الحبل شزراً: إذا فعل به ذلك، وأمره يسرا: إذا كان عن اليسراء، أي عن اليمين. يقول: حاوله عن اليسار فإن استعصى فعن اليمين، كما يفعل بالحبل عند فتله. والمعنى أنه يأتي الشعر من أي جانب شاء لا يستعصى عليه.

(٩) أ، ب: «فهلا».

(١٠) أ: «ابن الخيماء»، ب: «أبا الخشماء».

(١١) من: «هجرت».

(١٢) أ، ب: «تفعل».

(١٣) أ، ب: «وزعه».

(١٤) أ: «بعد أن أكرمتني».

(١٥) التكملة من أ، ب.

زعم عاصم بن الحدثان[١] أنّ حارثَة بن بدر قال لعُبيدالله بن ظَبيان، وكانا في عُرْس لابن مِسْمَع: هل لك في شراب؟ قال: نعم، فَأتيا بنبيذٍ من زَبيب وعسل، فأخذ ابنُ ظبيان العُسَّ فكَرع فيه حتى كاد يأتي عليه[٢]، ثم ناوله حارثة. فقال له حارثة: [يا بن ظَبيان]، إنك لَطَب بِحَسْوِها[٣]. فقال: أجل، والله إنّي لأَشْرَبُها حلالاً وأجاهرُ بها إذا أَخفَى غيري شُرْبَ الحرام. فقال له حارثة: مَنْ غيرك هذا؟ قال: سائلي عن هذا الأمر. فقال حارثة:

إذا كنتَ نَدْمَانِي فخُذها وسَقِّني[٤] ... وَدَعْ عنك من رآك تكرعُ في الخمرِ
فإنّي امرؤٌ ولا أشرب الخمرَ في الدُّجا ... ولكنني أَحْسُو النبيذَ من التمر
حَيَا وتُقىً لله والله عالمٌ ... بكلّ الذي نأتيه في السّر والجهر[٥]
ومثلُكَ قد جرَّبْتُه وخَبَرْتُه ... أَبَا مطرٍ[٦] والحَيْنُ[٧] أَسْبَابُه تَجْري
حَساها كَمُسْتَدْمَى الغزال عتيقةً ... إذا شُعْشِعَتْ بالماءِ طَيِّبةَ النشر[٨]
أقام عليها دَهْرَه كلَّ ليلةٍ ... يُشَافِهُها حتى يَرى وَضَحَ الفجر
/ فأصبح ميتاً مِيتَةَ الكلب ضُحْكَةً ... لأصحابه حتى يُدَهْدَهَ في القَبرِ[٩]

[٣٩٤/٨]

فما إن بكاهُ غيرُ دَنٍّ ومِزهر ... وغانيةٍ كالبَدر واضِحَةِ الثَّغْر
وبَاطِيَةٍ كانت له خِدْنَ زَيْنَةٍ[١٠] ... يُعاقِرُها[١١] والليلُ مُعْتكِرُ السِّتْر

شعره في الرد على الأحنف وقد عاتبه على شربه الخمر:

أخبرني عَمِّي، قال: حدَّثنا الكُرَانِيُّ، قال: حدثنا العُمري عن عاصم بن الحدثان، قال:

عاتب الأحنفُ بنُ قيس حارثة بنَ بدرٍ على مُعَاقَرَة الشَّراب وقال له: قد فَضَحْتَ نَفْسك وأسقطت قَدرك، وأوجعه عتاباً. فقال له: إني سأُعْتِبُك[١٢]. فانصرف[١٣] الأحنف طامعاً في صَلاحه، فلما أمسى راح إليه فقال له: اسمع يا أبا بحرٍ[١٤] ما قلتُ لك. فقال: هات، فأنشده:

(١) س: «الحارث».
(٢) أ، ب: «على آخره».
(٣) التكملة من أ، ب. والطب، بفتح الطاء وتشديد الباء: الحاذق الماهر.
(٤) س: «واسقني».
(٥) البيت ساقط من أ، ب.
(٦) أبا مطر: كنية ابن ظبيان.
(٧) في أ، ب: «والخير».
(٨) مستدمى الغزال: دمه.
(٩) الضحكة: بضم فسكون: من يضحك عليه. ويدهده في القبر: يدحرج إليه.
(١٠) الباطية: ناجود الخمر. وخدن زينة، أي رفيق غيّ.
(١١) س: «يعاهرها».
(١٢) سأعتبك: سأقبل عتبك.
(١٣) أ، ب: «فأمسك وانصرف الأحنف».
(١٤) أبو بحر: كنية الأحنف.

يَـذُمُّ أبـو بَحْـرٍ أُمـورًا يُـريـدهـا ... ويكـرهُهـا لـلأريحـيِّ المُسَـوَّدِ
فـإن كنـتَ عَيَّـابـاً[(١)] فَقُـلْ مـا تُـريـده ... ودَعْ عنـك شُـرْبـي لسـت فيـه بـأَوْحَـد[(٢)]
سـأشـربُهـا صهبـاءَ كـالمِسـك رِيحُهـا ... وأشـربُهـا فـي كـل نـادٍ ومشهـد
فنفسـك فَـانْصَـحْ يـابْـن قيـس وخلِّنـي ... ورأيـي فمـا رأيـي بِـرأيِ مُفَنَّـد[(٣)]
وقـائلـةٍ يـا حـارِ هـل أنـت ممسـكٌ ... عليـك مـن التبـذيـر قلـتُ لهـا اقْصِـدِي
ولا تـأمـرينـي بـالسَّـدَادِ فـإنّنـي ... رأيـتُ الكثيـرَ المـالِ غيـرَ مُخَلَّـد
ولا عَيـبَ لِـي إلاّ اصْطِبَـاحِـيَ قَهْـوَةً ... متـى يَمتـزجْهـا[(٤)] المـاءُ في الكـأس تُـزْبِـد
/ مُعَتَّقَـةً صهبـاءَ كـالمسـك رِيحُهـا ... إذا هـي فـاحـت[(٥)] أذهبـتْ غُلَّـةَ الصَّـدِي [٨/٣٩٥]
ألا إنمـا الـرُّشْـدُ المُبيـنُ طَـرِيقُـه ... خـلافَ الـذي قـد قلـتَ إذ أنـت مُـرْشِـدي
سـأشـربُهـا مـا حـجَّ لله راكـبٌ ... مجـاهـرةً وَحْـدِي ومـعْ كـل مُسْعِـد
وأسْعِـدُ نَـدمـانـي وأتبـعُ شَهـوتـي ... وأبـذل عَفْـوًا كُـلَّ مَـا مَلَكَـتْ يَـدي
كـذا العيـشُ لا عيـشُ ابْـن قيـسٍ وصَحبِـه ... مـن الشُّـربِ للمـاء القَـراحِ المُصَـرَّد[(٦)]

فقال له الأحنف: حسبك، فإني أراك غير مُقْلِع عن غيِّك، ولن أعاتبك بعدها أبداً.

قال عاصم: ثم كان بعد ذلك بن الأحنف وحارثة كلامٌ وخصومة، فافترقا عن مجلسهما مُتغاضبَيْن، فبلغ حارثةَ أن الأحنف قال: أما والله لولا ما يعْلَم لقلتُ فيه ما هو أهلهُ. فقال حارثة: وهل يَقدر على أن يذُمني بأكثر من الشرابِ وحُبّي له؟ وذلك أمرٌ لستُ أعتذرُ منه إلى أحد، ثم قال في ذلك:

وكـم لائـمٍ لـي فـي الشـراب زَجَـرْتُـه ... فقلـتُ لـه دَعنـي ومـا «أنـا شـاربُ
فلسـتُ عـن الصهبـاء مـا عشـتُ مُقْصِـراً ... وإنْ لامنـي فيهـا اللئـامُ الأشَـائِـب[(٧)]
أأتـرُكُ لـذَّاتـي وآتِـي هـواكُـمُ ... ألا ليـس مثلـي يـا بـنَ قيـسٍ يُخـالـب[(٨)]
أنـا الليـثُ مَغْـدُوّاً عليـه وعـاديـا ... إذا سُلَّـتْ البِيضُ الـرِّقَـاقُ القَـوَاضِـب
فَـأَنـت[(٩)] حليـمٌ تـزجُـر النـاس عـن هـوى ... نفـوسهـمُ جَهْـلاً وحلمُـكَ عـازِب

---

(١) أ: «عياراً».
(٢) أ، ب: «لست في ذا بأوحد».
(٣) المفند: المكذب.
(٤) أ، ب: «المرء».
(٥) ب: هاجت». والبيت ساقط من أ.
(٦) القراح: الخالص لا يخالطه شيء. والمصرد: القليل دون الري.
(٧) الأشائب: جمع أشابه، وهم الأخلاط غير الصرحاء.
(٨) يخالب: يخدع.
(٩) أ، ب: «وأنت».

فحِلْمَكَ صُنْهُ لا تُذِلْهُ[1] وخلِّني ... وشأنيَ وَارْكَبْ كلَّ ما أنت راكبُ

[٨/٣٩٦] / فإنّي امرُؤٌ عَوَّدْتُ نَفْسي عادةً ... وكل امرىءٍ لا شك ما اعتاد طالِبُ[2]

أجُود بمالي ما حييتُ سَماحةً ... وأنت بخيلٌ يَجتويك[3] المُصَاحِب

فما أنت أو ما غَيُّ مَن كان غاوِياً ... إذا أنت لم تُسْدَدْ عليك المذاهب

زيادة الوليد له في عطائه وقصة ذلك:

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعي، قال: أنبأنا أبو الأسود الخليلُ بنُ أسد، قال: أنبأنا العُمري عن العُتبي، قال:

أجرى الوليد بن عبدالملك الخيلَ وعنده حارثةُ بن بدرٍ الغُداني، وهو حينئذٍ في ألف وستمائة من العطاء، فسبق الوليدُ، فقال حارثة: هذه فرصة. فقام فهنّاه ودعا له، ثم قال:

إلى الألفين[4] مُطَّلَعٌ قريب ... زيادةُ أربع لي قد بَقِينا

فَإِنْ أهْلِكْ فهنَّ لكم وإلا ... فهنَّ من المتاع لكم[5] سِنِينا

فقال له الوليد: فتشاطِرني ذلك: لك مائتان ولي مائتان. فصيّر عَطَاءه ألفا وَثَمَانِمَائَة. ثم أجرى الوليدُ الخيلَ[6]، فسبق أيضاً، فقال حارثةُ: هذه فرصة [أخرى[7]]. فقام فهنأه ودعا له، ثم قال:

وما أحتجب الألفان إلاّ بهيّنٍ ... هما الآن أدنى منهما قبلَ ذَالِكا

فَجُدْ بهما تَفديك نفسي فإنني ... مُعلّق آمالي ببعض حبالكا

فأمر الوليدُ له بالمائتين، فانصرف وعَطاؤه ألفان.

[٨/٣٩٧] / شهادة زياد له بالبيان:

أخبرني[8] محمد بن يحيى، أنبأنا محمد بن زكريا، قال: أنبأنا مهدي بن سابق، قال: أنبأنا عبدُالرحمن بنُ شَبيب بن شَبّة، عن أبيه، قال:

قال زيادٌ يوماً لحارثةَ بنِ بدرٍ: مَنْ أخطبُ الناس، أنا أو أنت؟ فقال: الأمير أخطبُ مني إذا توعّد وَوَعد، وأعطَى ومَنع، وبَرَق وَرَعَد، وأنا أخطب منه في الوفادة وفي الثناء والتَّحْبير، وأنا أكذِب إذا خطبتُ، فأحشو كلامي بزيادةٍ مليحةٍ شهيّة، والأميرُ يَقْصِد إلى الحقّ وميزانِ العدل ولا يزيد فيه شُعَيْرة ولا يَنقص منه. فقال له زياد: قاتلك

---

(١) لا تذله: لا تبتذله.

(٢) ب: «وكل امرىء ما اعتاد لا شك طالب». والبيت ساقط من أ.

(٣) يجتو بك: يكرهك.

(٤) أ، ب: «إلى ألفين».

(٥) أ، ب: «لنا».

(٦) أ، ب: «الفرح».

(٧) التكملة من أ، ب.

(٨) الكلام من هنا إلى قوله «أخبرني محمد بن يحيى» (ص ٣٩٥) ساقط من أ، ب.

الله! فلقد أجدتَ تخليصَ صفتِك وصِفتي، من حيثُ أعطيتَ نفسك الخطابةَ كلَّها وأرضيتني وتخلَّصْت. ثم التفتَ إلى أولاده فقال: هذا لعَمركم البيانُ الصريح.

هو وزياد في شربه الخمر صرفاً:

أخبرني محمدُ بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا عن الحِرمازيّ، قال:

شرب حارثةُ بن بدرٍ مع بني زيادٍ ليلةً إلى الصُّبح فأكثر، وصرف[1] ومَزجوا، فلما أن غدا على زيادٍ كان وجهه شديدَ الحمرة، ففَطِن له زِياد، فقال: مالك يا حارثة؟ فقال: أكلت البارحةَ رُمَّاناً فأكثرت. قال: قد عرَفت مع من أكلتَه، ولكنهم قَشَّروه وأكلته بِقِشره فأصارك إلى ما تَرَى.

رثاؤه زياداً:

قال الحِرمازي:

قال بعضُ أهلِ العِلم: إنَّ زياداً استعمل حارثةَ على سُرَّقٍ[2]. فمات زيادٌ وهو بها، ثم إنه بَلَغه موتُه، فقال حارثةُ يرثيه:

[٨/٣٩٨]

/ إن الـرزِيَّـةَ فـي قَبـرٍ بمنـزلـةٍ تجري عليهـا بِظَهْرِ الكُوفَـةِ المُـورُ[3]

أَدَّتْ إليـه قُـريـش نَعْشَ سيـدهـا فَفِيـه ضَـافِـي النَّـدَى والْحَـزْمِ مَقْبُـور

أَبَـا المُغِيـرة والـدنيـا مُغَيِّـرَةٌ وإنَّ مَـن غُـرَّ بـالـدنيـا لَمَغْـرُور

قـد كـان عنـدك للمعـروفِ مَعْـرِفَـةٌ وكـان عنـدك لِلنُّكْـرَاءِ تنكيـر

وكُنْـتَ تُـؤتَـى فتُعْطِـي الخيرَ عـن سَعـةٍ فـاليـوم بـابُـك دون الهجـرِ مَهْجُـور

ولا تَليـن إذا عُـوسِـرْتَ مُقْتَسِـراً[4] وَكُـلُّ أمـركَ مـا يُـوسِـرْتَ مَيسـور

قال: وكان الذي أتاه بنَعيه مسعودُ بن عمرو الأَزْديّ، فقال حارثة:

لقـد جـاء مسعـودٌ أخـو الأزدِ غُـدْوَةً بـداهيـةٍ غَـرَّاءَ بَـادٍ حُجُـولُهَـا[5]

مـن الشـر ظَـلَّ النـاسُ فيهـا كـأنهـم وقـد جـاء بـالأَخْبَـار مـن لا يُحِيلُهـا

بينه وبين سعد الرابية في مجلس ابن زياد:

أخبرني الحسنُ بن عليّ، قال: أنبأنا العُمري عن أحمد بن خالد بن مِنجوف، عن مؤرِّج السَّدوسي، قال:

دخل حارثةُ بن بدر على عبيدالله بن زيادٍ وعندَه سعد الرَّابيةُ أحدُ بني عمرو بنِ يربوع بن حَنظلة، وكان شِريراً يُضحك ابنَ زيادٍ ويُلهيه، وله يقول الفرزدق:

---

(١) صرَف: أي شرب الشراب غير ممزوج.
(٢) سرق، كسكر: كورة بالأهواز.
(٣) المور: الريح المثيرة للتراب.
(٤) مقتسراً: مكرهاً.
(٥) حجولها: جمع حجل، بالكسر، وهو الخلخال، ولا يكون ذلك إلاّ مع الشديد من الدواهي.

إنـــي لأُبْغِـــض سعــداً أن أجــاوِرَهُ ... ولا أُحِـب بنـي عمـرو بـن يَـربـوعِ

قــومٌ إذا حــاربــوا لــم يخشَهــم أحــدٌ ... والجــارُ فيهــم ذليــلٌ غيــر ممنــوعِ[١]

[٣٩٩/٨] / فلما جلس حارثةُ قال له سعد: يا حارثة، أَيْنَعَ الكَرْمُ؟ قال: نعم، واستودع ماءَه الأصِيص[٢]، فَمَهْ؟ قال: إني لم أرِد بأساً. قال: أجل! ولستَ من أهل البأس: ولكن هل لك علمٌ بالأتان إذا اعْتَاصَ رحمها[٣]، كيف يُسْطَى عليها، أكما يُسطى على الفرس، أم كيف؟ قال: واحِدةٌ بِواحدة، والبادي أظلم، سألتني عما لا عِلَم لي به، وسألتُك عما تعلمَ. قال: أنت بما سألتك عنه أعلم مني بما سألتني عنه، ولكن من شاء جَهَّل نفَسه وأنكر ما يَعرف. وقال حارثةُ يهجو سعداً:

لا تَـرْجُ منـي يـابْـن سعـدٍ هَـوادةً ... ولا صُحبـةً مـا أرزَمَـتْ أمُّ حَـائِـلِ[٤]

أعنــد الأميــر أبــنِ الأميــر تَعيبنــي ... وأنـت ابـنُ عمـرٍو مُضْحكٌ فـي القبـائـل

ولــو غيــرَنـا يـا سعـد رُمْـتَ حـريمَـه ... بِخَسْـفٍ لقـد غُـودِرْتَ لحمـاً لآكـل

فشـالـت بـك العَنقـاءُ أو صِـرت لحمـة ... لأغْبَـسُ عـوّاء العشيّـات عـاسِـل[٥]

هو وابن مسمع حين أراد أن يعرض به:

أخبرني هاشم بن محمد، قال: أنبأنا الرِّياشي عن الأصمعي وأبي عُبيدة، قالا:

كان حارثة بن بدر يجالس مالكَ بن مسمع فإذا جاء وقتٌ يشرب فيه قام، فأراد مالك أن يُعلم مَن حضره أنه قام ليشرب، فقال له: إلى أين تمضي يا أبا العَنبس؟ قال، أجيء بعبّادِ بن الحُصينِ يَفْقأَ عينَك الأخرى ـ وقال الأصمعيُّ: «أمضي فأفقأ عين عبّادِ بن الحُصين لآخذ لك بثأرك ـ وكان عبادُ فقأ عينَ مالكٍ يوم المِرْبَدِ[٦].

[٤٠٠/٨] / شعره في فتنة مسعود:

قال:

وذكر المدائنيُّ أن حارثة بن بدر كان يومئذٍ ـ وهو يومُ فتنة مسعود ـ على خيل حنظلة بإزاء بكر بن وائل، فجعل عَبْسَ بنَ مطلق بنِ ربيعةَ الصُّريمي على الخيل بحيال الأزد، ومعه سَعد والرِّباب والأساورة، وقال حارثةُ بن بدر:

سيكفيـكَ عبـسٌ أخـو كَهْمَـسٍ ... مُقـارعَـةَ الأزدِ بـالمِـرْبـدِ[٧]

---

(١) «الديوان» (٥٢٧ ـ ٥٢٨ طبعة الصاوي).

(٢) الأصيص: الباطية، والدن المقطوع الرأس.

(٣) اعتاص: التأث.

(٤) أم حائل: كنية الناقة. وأرزمت. حنت إلى ولدها.

(٥) الأغبس: الذئب، من الغبسة، وهي لونه التي هي بياض مع كدرة. والعاسل: الذي يضطرب في عدوه ويهز رأسه من مضائه، وهي مشية الذئب والفرس.

(٦) حديث هذا كان يوم الجفرة وكان بين عبدالملك بن مروان ومصعب (ابن الأثير في حوادث سنة سبعين).

(٧) في الشعر إقواء، وهو اختلاف اعراب القوافي.

ويكفيــكَ عمــرو وأشيــاعُــه لُكيــز بــنَ أفصــى ومــا عــدَّدوا
وأكفيــكَ بَكــرًا إذا أقبلَــتْ بِطَعْــنٍ يَشيــب لــه الأمْــرَد

فلما اصطف الناسُ، أرسل مالكُ بنُ مَسمع إلى ضرارِ بنِ القَعقاع يسأله الصلْحَ على أن يعطيَه ما أحبَّ، فقال له حارثة: إنه والله ما أَرسل إليك نظراً لك ولا إبقاءً عليك، ولكنه أراد أن يُغْرِيَ بينَك وبين سعد. فمضى ضرارٌ إلى راية الأحنف فحملها وحمل على مالكٍ فهزمه، وفقئت عينه يومئذٍ.

هو ومسجد الأحامرة:

أخبرني محمدُ بن يحيى قال: أنبأنا محمد بن زكريا، عن محمد بن سلام، عن أبي اليقظان قال:

مرّ حارثة بن بدرٍ بالمسجد الذي يقال له «مسجد الأحامرة» بالبصرة فرأى مَشْيَخَةً قد خضبوا لِحَاهم بالحنّاء فقال: ما هذه الأحامرة؟ فالمسجدُ الآنَ يُلَقَّبُ «مَسِجد الأحامرة» منذ يوم قال حارثةُ هذا القول.

شعره في رجل من الخلج:

أخبرني محمد بنُ يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا، عن القَحذمي، قال: عرض لحارثة بن بدر رجلٌ من الخُلْجِ[1] في أمرٍ كرهه عند زياد، فقال فيه حارثةُ:

[٤٠١/٨]

/ لقـد عجبـتُ وكـم للـدهـر مـن عَجَـبٍ مِمّـا تَـزيّـد فـي أنسـابهـا الخُلُـجُ
كـانـوا خَسًـا أو زَكًـا مـن دون أربعـة لـم يخلَقُـوا وجُـدود النـاسِ تَعتلـج[2]

الخَسَا: الفَرْد، والزَّكَا: الزوج.

أنشد الشعبي من شعره عبدالله بن جعفر فأجازه:

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ، قال: أنبأنا أحمدُ بن يحيى، قال: أنبأنا محمدُ بن عمر بن زياد الكِندي، قال: أنبأنا يحيى بنُ آدم، عن أبي زائدةَ، عن مجالد، عن الشعبي، قال:

كنتُ عند عبدالله بن جعفر بن أبي طالب فأنشدتُه لحارثة بن بدرٍ:

وكــان لنــا نَبْـعٌ تَقينـا عُـرُوقـه فَقَـدْ بَلَغـت إلا قليـلاً حُلـوقهـا[3]
وشيَّـب رأسـي واستَخَـفَّ حُلُـومَنـا رُعُـودُ المنـايـا فـوقَنـا وبُـرُوقهـا
وإنّـا لَتَستحلـي[4] المنـايـا نُفـوسنـا ونتـرك أخـرى مُـرَّةً مـا تـذوقهـا
رأيـتُ المنـايـا بـادئـاتٍ وعُـودا إلـى دارنـا سهـلاً إليهـا طـريقهـا
فقـد قُسِّمـتْ نفسـي فـريقيـن منهمـا فـريـقٌ مـع المـوتـى وعنـدي فَـريقهـا

---

(١) الخلج: أولاد الحارث بن فهر. («جمهرة أنساب العرب» ١٧٦ ـ ١٧٧).

(٢) أنشد ابن منظور البيت (خسا) منسوباً إلى الدبيرية.

(٣) مرّ هذا البيت برواية أخرى (ص ٣٨٠).

قال الشَّعبي: فقال لي ابنُ جعفر: نحن كنا أحقَّ بهذا الشعر. وجاءه غلامُه بدراهمَ في منديل، فقال له: هذه غلّة أرْضِك بمكان كذا وكذا. فقال: ألْقِها في حِجر الشَّعبي. فألقاها في حِجري.

شعر علقمة المازني في ولاية حارثة كوار:

أخبرني الحسنُ بن علي، قال: أنبأنا أحمدُ بن الحارث الخرازُ، عن المدائني، عن مسلمةَ بن محارب:

أن زياداً استعملَ حارثةَ بن بدر على كُوَار[1]، وهو إذْ ذاك عاملُ عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه على فارس، وكان حارثةُ بن بدر صاحبَ شراب، فكتب زيادٌ إلى حارثةَ يحثُّه على جباية الخراج، فكتب إليه علقمةُ بن مَعْبَدٍ المازني:

[٨/٤٠٢] / ألـم تَـرَ أنّ حـارثـة بـنَ بـدرٍ يُصلّـي وهـو أكفـر مـن حمـار[2]
وأن المـال يُعـرف مـن حَـوَاهُ ويُعـرَفُ بـالـزَّوانـي والعُقَـار[3]

شعره في بغلة مرت به وكان زياد أهداها له:

وقال المدائني في خبره هذا:

حَمل زيادُ بن أبيه حارثةَ بن بدر على بغلة يقال لها «أطلال» كان خرزاذ بن الهربد ابتاعها بأربعة آلاف درهم وأهداها له، فركبها حارثةُ، وكان فيها نِفَارٌ، فصَرعته عن ظهرها، فقام فركبها، وقال:

مـا هـاج أطـلالَ بجَنبـي حِـرْمَـهْ تحمـل وضّـاحـاً رفيـع الحِكمـه[4]
قَرْماً إذا زاحم قَرْماً زَحَمَهْ

بينه وبين سليمان بن عمرو وقد قراه:

أخبرني[5] محمدُ بن يحيى، قال: أنبأنا محمدُ بن زكرياء، قال: أنبأنا إبراهيمُ بن عمر عن أبي عُبيدةَ وعبدالله بن محمد، قالا:

مرَّ سليمانُ بن عمرو بن مرثد بحارثة بن بدر وهو بفارس يريد خراسان، فأنزله وقراه وقرى أصحابه، وحملهم وإياه، فلما ركبوا للمسير قال سليمان[6]:

---

(١) كوار: من نواحي فارس. (معجم البلدان).

(٢) قال الميداني في كتابه «مجمع الأمثال»: «أكفر من حمار» هو رجل من عاد يقال له: حمار ابن مويلع ـ وقال الشرقي: هو حمار بن مالك بن نصر الأزدي ـ كان مسلماً، وكان له واد طوله مسيرة يوم في عرض أربعة فراسخ، لم يكن ببلاد العرب أخصب منه، فيه من كل الثمار، فخرج بنوه يتصدون فأصابتهم صاعقة فهلكوا فكفر وقال: لا أعبد من فعل هذا ببنيّ. ودعا قومه إلى الكفر فمن عصاه قتله، فأهلكه الله تعالى وأخرب واديه، فضربت به العرب المثل في الكفر وأنشد البيت».

(٣) العقار، بالضم: الخمر.

(٤) حرمه، بالفتح ثم السكون: موضع في جانب حمى ضرية. «معجم البلدان».

(٥) أ، ب: «أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن النضر بن حديد قال»:

(٦) أ، ب: مر سليمان بن عمرو بن مرثد وهو يريد خراسان بحارثة بن بدر الغداني وهو بالأهواز ومعه أصحاب له، فنزلوا به فقراهم حارثة بن بدر وسقاهم وكساهم وحملهم، فقال سليمان يمدحه».

[٨/٤٠٣] / قَريتَ فأحسنتَ القِرى وسَقَيْتَنا مُعتَّقةً صهباءَ كالعَنبرِ الرَّطْبِ

وواسيتَنا[١] فيما ملكتَ تبرُّعاً وكنتَ أبنَ بَدرٍ نعم ذو منزل الرَّكب

وأنتَ لَعمري في تَميم عِمادُها[٢] إذا ما تداعتْ لِلعُلى موضع القُطْبِ

وفارسُها في كل يومِ كريهةٍ وملجؤها[٣] إن حلَّ خَطْبٌ من الخَطْب

وعندكُم نالَ الغنى[٤] من أراده إذا ما خَطرتم كالضَّراغمة الغُلْب

يُرَى الحَلَقُ الماذيّ[٥] فوق حُماتهم[٦] إذا الحربُ شُبَّتْ بالمُهنَّدة القُضْب[٧]

وعند الرَّخَا والأمنِ غيثٌ ورحمةٌ لمنَ يعتريهم خائفاً صولةَ الحرب

وجسدتُهمُ جُوداً صِباحاً وجوهُهم كِراماً على العِلاّتِ في فادحِ الخَطْبِ[٨]

كأن دنانيراً على قَسَماتهمْ إذا جئتَهم قد خِفتَ نُكْباً من النُّكْب

فمنْ مُبْلغٌ عنّي تميماً فخيرُكُمْ غُدانةُ حقّاً قاله غيرُ ذِي لعْب

فقال حارثة يُجيبه:

وأسحَم ملآنٍ جررتُ لفتيةٍ كرامٍ أبوهم خيرُ بكر بن وائل[٩]

وأطولُهم كفّاً وأصدقُهم حيا وأكرمُهم عند اختلافِ المَنَاصِل

مِنَ المَرثديّين الذين إذا انتَدوا رأيتَ نَديّاً جدُّه غير[١٠] خامل

فَعالهمُ زَيْنٌ لهم ووجوهُهمْ تَزين الذي يأتونه في المَحافل

فَسَقْياً وَرَعْياً لابن عمرو بن مَرثَد سليمانَ ذِي المجد التليدِ الحُلاحِل[١١]

[٨/٤٠٤] / فتى لم يزل يسمو إلى كُل نَجدةٍ فيُدرك ما أعْيَتْ[١٢] يدَ المتناوِل

فَحسبُك بي عِلماً به وبفَضله إذا ذُكر الأقوامُ أهل الفضائل

---

(١) أ، ب: «وآسيتنا».

(٢) أ، ب: «وإنك قرم من تميم عماده».

(٣) أ، ب: «وفارسهم... وملجؤهم».

(٤) أ، ب: «المنى».

(٥) الحلق: الدروع. والماذيّ: ما كان من حديد.

(٦) أ، ب: «كماتهم».

(٧) أ، ب: «الشهب».

(٨) هذا البيت ساقط من أ، ب.

(٩) الأسحم: زق الخمر.

(١٠) أ، ب: «جدّهم».

(١١) الحلاحل، بضم الحاء: السيد الشجاع الكثير المروءة.

(١٢) أ، ب: «ما أعيا».

بينه وبين أنس بن زنيم في حضرة ابن زياد:

أخبرني[(١)] عمي، قال: أنبأنا الكَراني، قال: أنبأنا العمري، عن عطاءِ بن مُصعب، عن عاصم بن الحدثان، قال:

دخل أنس بن زنيم على عُبيدالله بن زياد، وعنده حارثة بن بدر، وكان بينهما تَعارُض ومُقارضة قبل ذلك، فلما خرج أنسٌ قال عُبيدالله لحارثة: أيّ رجلٍ هو أنسٌ عندك؟ قال: هو عندي - أصلح الله الأمير - كما قلتُ فيه:

يَبيتُ بَطيناً من لحُومِ صديقِه ... خَميصاً من التَّقوى ومن طلب الحَمْدِ

ينام إذا ما الليلُ جَنّ ظلامُه ... ويَسري إلى حاجاته نومة الفَهْدِ[(٢)]

يُراعي عَذارَى قومِه كلما دَجَا ... له الليلُ والسوآت كالأسد الوَرْدِ

جريئاً على أكل الحَرام وفعلِه ... جَباناً عن الأقران مُعْتَرِمَ الكَرْدِ[(٣)]

فلما كان من الغد، دخل أنسٌ على عُبيدالله، فقال له عبيدُالله، بحَضرة حارثة: إني سألتُ هذا عنك فأخبرني بما كرهتُه لك، ولم أكن إخالُك كما نُعِتَّ لي - فقال: أصلح اللهُ الأميرَ، إن يكن قال خيراً فأنا أهلُه، وإن قال غير ذلك فلم يَعْدُ ما هو أَوْلَى به منّي، أما والله لو كان - أصلح الله الأمير - حقّاً، لَحَفِظ غيبتي، فلقد أوليتُه حسنَ الثَّناء بما ليس أهلَه، والله يعلم أني كنت كاذباً، وما إخالُ ما قالهُ فيّ إلاّ عقوبةً، فإن عقوبةَ الكذبِ حاضرةٌ، وثمرةُ الكذب الندامة، فقد لعَمْري أَجْنَيْتُها بكذبي وقولي فيه ما ليس فيه. وهو عندي كما أقول - أصلح الله الأمير - وأنشد:

[٨/٤٠٥] / يُحلي لِيَ الطرفَ ابنُ بَدْرٍ وإنني ... لأعرفُ في وجه ابنِ بدرٍ ليَ البُغْضَا

رآني شَجَىً في حَلقه ما يُسيغُه ... فما إنْ يزال الدهرَ يُجْرِض بي جَرْضا[(٤)]

وما لِيَ من ذنبٍ إليه علمتُه ... سوى أن رآني في عشيرته مَحْضا

وإنَّ ابنَ بدرٍ في تميمٍ مُكَرْكَسٌ ... إذا سِيمَ خَسفاً أو مُشنَّعةً أَغْضى[(٥)]

فعِشْ يابنَ بدر ما بقيتَ كما أرى ... كثيرَ الخَنَا لا تسأم الذلَّ والغَضَّا

تعيبُ الرجالَ الصالحين وفعلَهم ... وتبذُل بُخلاً دون ما نِلتَه العِرْضا

وتَرضى بما لا يرتضي الحرُّ مثلَه ... وذو الحِلم بالتَّخْييسِ والذُّلّ لا يَرضى[(٦)]

قال: وقال أنس في حارثة بن بدر ينسُبُه إلى الخمر والفجور:

أحارِ بنَ بدرٍ باكِر الراحَ إنها ... تُنَسِّيكَ ما قدّمتَ في سالف الدَّهرِ

(١) هذا الخبر ساقط من أ، ب.

(٢) الفهد: حيوان معروف، وبه يضرب المثل في كثرة النوم.

(٣) الكرد، بالفتح: العنق، أو أصله. ومعترمه: صلبه شديده.

(٤) يجرض: خفض.

(٥) المكركس، بفتح الكافين بينهما سكون: من ولدته الإماء.

(٦) التخييس: الإذلال.

تُنَبِّيك أسبابـاً عِظـامـاً ركبتَها ... وأنتَ على عَمياءَ في سَنَنٍ تَجري
أتذكر ما أسديتَ واخترتَ فِعلَه ... وجئتَ من المكروه والشّر والنُّكْر
إذا قلتُ مهلاً نِلتَ عِرضي فما الذي ... تَعيب على مثلي هُبِلتَ أبا عَمرو
أليس عظيماً أن تُكايِدَ حُرةً ... مُهَفْهَفَةَ الكَشْحَيْنِ طيبةَ النَّشْر
فإنْ كنت قد أزمعتَ بِشرك بالذي ... عُرفت به إذ أنت تَخزي ولا تَدري
فدعْ عنك شُرْبَ الخمر وارجع إلى التي ... بها يَرتضِي أهلُ النباهةِ والذُّكْر
عليك نبيذَ التمرِ إن كنتَ شارباً ... فإن نبيذَ التمرِ خيرٌ من الخمر
ألا إنَّ شُرْبَ الخمرِ يُزْرِي بِذِي الحِجَى ... ويَذْهب بالمال التِّلاد وبالوَفْر
/ فَصَبْراً عن الصَّهْباءِ واعلَم بأنني ... نَصِيحٌ وأنّي قد كبرت عن الزَّجرِ [٨/٤٠٦]
وأنك إن كَفْكَفْتَني عن نصيحةٍ ... تركتُك يا حَارِ بن بدرٍ إلى الحَشْرِ
أَأَبذل نُصْحِي ثمّ تَعصِي نَصيحتي ... وتَهجرني عنها هُبِلتَ أبا بَدْر

بينه وبين أبي الأسود حين ولي سرق:

أخبرني أحمدُ بنُ عبدالعزيز الجَوهري، قال: حدّثنا عمرُ بن شبّة، قال: حدّثنا عبدالله بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، عن أبيه، قال:

[لما[(١)]] وَلِيَ حارثةُ بن بدرٍ سُرَّق[(٢)] خرج معه المُشيِّعون من البصرة وفيهم أبو الأسود الدُّؤَلي، فلما انصرف المشيعون دنا منه أبو الأسود فقال [له[(٣)]]:

أحارِ بن بدرٍ قد وَلِيتَ إمارةً ... فكن جُرَذاً فيها تَخون وتَسرقُ[(٤)]
ولا تَحقرنْ يا حارِ شيئاً تُصيبُه ... فحظُّكَ من مُلك العراقين سُرَّق
فإن جميعَ الناس إما مُكَذِّبٌ ... يقول بما يَهْوى وإما مُصَدِّق
يقولون أقوالاً بِظَنٍّ وشُبهةٍ ... فإن قيل هاتوا حقِّقُوا لم يُحَقِّقوا
فلا تَعجزنْ فالعجزُ أبطأُ مَركبٍ ... وما كل من يُدْعَى إلى الرِّزق يُرْزَق[(٥)]
وَكَاثِرْ تَميماً[(٦)] بالغنى إن للغنَى ... لساناً به يَسطو العَيِيُّ ويَنطِق[(٧)]

---

(١) التكملة من س.

(٢) سرق: من كور الأهواز. «معجم البلدان».

(٣) تكملة من أ، ب.

(٤) أحار، أي حارثة، منادى مرخم.

(٥) أ، ب:

ولا تعجزن فالعجز أبطأ مركب ... وما كل مدفوع إلى الرزق يرزق

(٦) ب: «وبار».

(٧) ب لساناً به المرء الهيوبة ينطق.

فقال له حارثة:

جـزاك مليـكُ النـاسِ خيـرَ جـزائِـهِ ... فقـد قلـتَ مَعـروفـاً وأوصيـتَ كـافِيَـا

أمـرتَ بحَـزمٍ لـو أمـرتَ بغيـره ... لألفَيْتَنـي فيـهِ لـرأيـك عـاصيـاً

سَتَلْقَى أخـاً يُصْفيـك بـالـوُد حـاضـراً ... ويُـوليـك حِفْـظَ الغَيـبِ إن كنـتَ نـائِيـا

[٨/٤٠٧] / نشيطة أصحابه بدولاب وهجاء غوث له:

أخبرني محمدُ بن مَزيد، قال: حدّثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن عاصم ابن الحدثان، قال:

لما نُدِبَ حارثةُ بن بَدر لقتالِ الأزارقةِ بدُولاب لقيهم، فلما حميت الحربُ بينهم واشتدّت، قال حارثة لأصحابه:

كَـرْنِبُـوا وَدَوْلِبُـوا ... وحيـث شئتـم فَـاذْهَبُـوا[(١)]

ثم انهزم، فقال غوث بن الحُباب يهجوهُ ويُعيِّره[(٢)] بالفِرار، ويُعيره بشُرب الخمر [ومُعاقرتها[(٣)]].

أحـار بـنَ بـدرٍ دونـك الكـأسَ إنهـا ... بمثلـك أولـى مـن قِـرَاع الكتـائـبِ

عليـك بهـا صَهْبـاءَ كـالمِسـك رِيحُهـا ... يَظَـلُّ أخـوهـا للعِـدَا غيـرَ هَـائِـب

فـدَع عنـك أقـوامـاً وَلِيـتَ قتـالَهـم ... فلسـتَ صَبُـوراً عنـد وَقْـعِ القَـواضِـب

وخُـذهـا كَعيـن الـدِّيـك تَشْفِـي مـن الجَـوَى ... وتَـرك ذَا الهِمَّـات[(٤)] حَصْـرَ المـذاهِـب[(٥)]

إذا شُعْشِعَـتْ بـالمـاء خِلْـتَ حَبَـابَهـا ... نَظَـائـمَ دُرٍّ أو عيـونَ الجَنَـادِب

كـأنـك إذ تَحْسُـو ثـلاثـةَ أكـؤُسٍ ... مـن التِّيـهِ قَـرْمٌ مـن قُـرُوم المَـرَازِب[(٦)]

وَدَع عنـك أبنـاءَ الحُـروبِ وشـأنَهـم ... إذا خَطـروا مثـل الجِمـال المَصَـاعِـب

حمله حمالتين عن قومه:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ، قال: حدّثنا عمر بن شَبّةَ، قال: حدّثنا العَلاء بن الفَضل بن أبي سُوية، قال: حدّثني أبي، قال:

[٨/٤٠٨] / كانت في تَميم حَمَالتان[(٧)]، فاجتمعوا في مَقبرة بني شَيبان، فقال لهم الأحنف: لا تَعْجلوا حتى يحضَر

---

(١) كرنبوا: خذوا طريق كرنبى، وكرنبى، بالفتح: موضع في نواحي الأهواز، ودولبوا خذوا طريق دولاب، ودولاب: قرية قريبة من الأهواز.

(٢) أ، ب: «ويعيبه».

(٣) التكملة من س.

(٤) س: «التهمام».

(٥) حصر المذاهب، أي مسدودة عليه مذاهبه فهو كالمحبوس.

(٦) المرازب: جمع مرزبان، بفتح فسكون فضم: الرئيس من الفرس.

(٧) الحمالة: الكفالة.

سيّدُكم. فقالوا: مَن[1] سيدُنا غيُرك؟ قال: حارثةُ بن بدر. قال: وقَدِمَ حارثة من الأهواز بمالٍ كثير فبلَغه ما قال الأحنف، فقال: اغرَمنِيها والله أبنُ الزَّافِريَّة! ثم أتاهم كأنه لم يعلم فيما أجتمعوا، [فقال فِيم أجتمعتم؟ فأخبروه]. فقال[2]: لا تَلْقَوا فيهما أحداً [فهما عليّ[2]]، ثم أتى منزله فقال:

خَلَتِ الديارُ فسُدْتُ غير مُسَوَّدِ ... ومن الشَّقاء[3] تفرُّدي بالسُّودَدِ

تمثل سفيان بن عيينة ببيت له:

أخبرني أحمدُ بن عُبيدالله بن عمار، قال: حدثنا أحمدُ بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه، قال:

خرج أصحاب الحديث[4] إلى سُفيان بن عُيَينة فازدحموا، فقال: لقد هَمَمْتُ ألا أحدّثكم شهراً. فقام إليه شاب من أهل العراق، فقال له: يا أبا محمد، أَلِنْ جانبَك، وحَسِّنْ قولَك، وتأسَّ بصالحي سَلَفِك، وأَجْمِل مُجالسةَ جُلَسائِك، فقد أصبحتَ بقيةَ الناس، وأميناً لله ورسوله على العِلم، والله إن الرجلَ ليريد الحجَّ فَتَتعاظَمه مشقتُه حتى يكاد أن يقيم، فيكونُ لقاؤُه إياكَ وطمعُه فيكَ أكثر[5] ما يحرِّكه عليه. قال: فخضع سفيان [وتواضع[2]] ورَقَّ وبكى، ثم تمثَّل بقول[6] حارثة:

خَلَت الديارُ فسُدت غير مُسوَّد ... ومن الشقاء[7] تَفَرُّدي بالسُّودَدِ

ثم حدّثهم بعد ذلك بكل ما أرادوا إلى أن رَحلوا.

مدحه سعيد ابن قيس لإجارته حين أهدر علي دمه:

/ أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ ومُحمد بن الحسين الكِندي، قالا: حدثنا الخليلُ بن أسدٍ، قال: حدثنا العمري، عن الهيثمِ بن عديّ، عن الحسن بن عمارة عن الحكم بن عُتَيبة[8]: [٤٠٩/٨]

أن حارثة بن بدر الغُداني كان سعى في الأرض فساداً، فأهدر[9] عليٌّ أبنُ أبي طالبٍ عليه السلام دَمه، فهرب فاستجار[10] بأشراف الناس، فلم يُجِرْه أحد، فقيل له: عليكَ بسعيدِ بن قيسٍ الهمدانيّ فلعله [أن[11]] يُجيرك. فطلب سعيداً فلم يجده، فجلس في طلبه حتى جاء، فأخذ بلجام فرسه فقال[12]: أَجِرْني أجارك الله، قال: ويحك، مالك؟ قال: أهدر[13] أمير المؤمنين دَمي. قال: وفيم [ذاك[14]]؟ قال: سعيتُ في الأرض فساداً. قال: ومن أنت؟ قال: حارثة بن بدر الغُداني. قال: أَقِمْ. وانصرفَ إلى عليٍّ عليه السلام فوجده قائماً على المنبرِ يَخْطُب، فقال: يا أمير المؤمنين، ما جزاءُ الَّذِينَ يُحَارِبون الله ورسوله ويسعون في الأرض فَسَاداً؟ قال: أَنْ يُقَتَّلوا أَو يصلَّبوا أَوْ تُقَطَّع أَيدِيهم وأَرْجلهم من خلافٍ أَو يُنفَوا من الأرض. قال: يا أمير المؤمنين، إلاّ من؟ قال: إلاّ من تاب. قال: فهذا حارثةُ بن

---

(١) أ، ب: «قالوا: ومن سيدنا».
(٢) التكملة من أ، ب.
(٣) أ، ب: «ومن البلاء».
(٤) أ، ب: «على».
(٥) أ، ب: «أكبر».
(٦) أ، ب: «ثم تمثل قول».
(٧) أ، ب: «ومن البلاء».
(٨) ب: «عتبة».
(٩) أ، ب: «فنذر».
(١٠) أ، ب: «واستجار».
(١١) التكملة من أ، ب.
(١٢) أ، ب: «وقال».
(١٣) أ، ب: «نذر».
(١٤) تكملة من ب.

بدر قد جاء تائباً، وقد أجرتُه. قال: أنت رَجلٌ من المسلمين وقد أَجَرْنا من أَجَرْت. ثم قال[١] عليٌّ عليه السلام وهو على المنبر: أيها الناس[٢]، إني كنت / نذرتُ دَمَ حارثة بن بدر، فمن لقيه فلا يَعْرِضْ[٣] له. فانصرفَ إليه سعيدُ بن قيسٍ فأعلمه وحمله وكساه[٩]، وأجازه [بجائزة سنية[٤]]، فقال فيه حارثة: [٨/٤١٠]

اللهُ يَجزي سعيدَ الخيرِ نافلةً ... أَعني سعيد بن قيسٍ قَرْمِ هَمْدانِ

أنقذني من شَفَا غَبراء مُظلِمَةٍ ... لولا شفاعتُه أُلبِسْتُ أكفاني

قالت تَميمُ بن مُرٍّ لا نُخاطِبُه ... وقد أَبَتْ ذلكم قيسُ بنُ عَيلان

قال الهَيْثم:

لم يكن الحسن بن عُمارة يروي من هذا الشعر غير هذه الثلاثةِ الأبيات، وأخذتُ الشعر كلَّه من حمادِ الرَّاوية، فقلت له: ممَّن أخذْتَه قال: من سِمّاك ابن حَرب. وهو:

أَساغ في الحَلق رِيقاً كان يَجْرِضُني[٥] ... وأَظهر الله سِرّي بعد كِتمانِ

إني تداركَني عفٌّ شمائلُه ... آباؤه حين يُنمى خيرُ قحطان

يَنميه قيسٌ وزيدٌ والفتى كُرَبٌ ... وذو جَبائرَ من أولاد عثمان

وذو رُعَيْنٍ وسيف وابن ذي يزنٍ ... وعَلقم قبلهم أعني أبنَ نَبهان[٦]

قال[٧]: فلما أراد الانصرافَ إلى البصرةِ شيّعه سعيد بن قيس إلى نهر البصريين[٨] في ألفِ راكب، وحمله وجهزه، فقال حارثة:

/ لقد سُررتُ غَداةَ النهر إذ بَرزت ... أشياخُ همدانَ فيها المجدُ والخِير [٨/٤١١]

يقودهم ملكٌ جَزْلٌ مواهبُه ... وَارِي الزِّناد لدى الخيرات مَذكور

أعني سعيدَ بن قيسٍ خير ذي يَزنٍ[٩] ... سامِي العِماد[١٠] لدى السُّلطانِ مَحبور

ما إنْ يلين إذا ما سِيمَ مَنْقَصَةً[١١] ... لكن له غَضب فيها وتَنكير[١٢]

أغرُّ أَبْلَجُ يُستسقى الغمامُ به ... جَنابُه الدهرَ يُضحِي وهو مَمطور[١٣]

---

(١) أ، ب: «. . وقد أجرناه. قال عليّ».
(٢) أ، ب: «يا أيها الناس».
(٣) أ، ب: «فلا يعرضنّ له».
(٤) أ، ب: «وكساه وحمله».
(٥) التكملة من س.
(٦) أ، ب: «كنت أجرضه». ويجرضني: يغصني.
(٧) أ، ب: «أعني ابن قيقان».
(٨) تكملة من أ، ب.
(٩) س: النصرين».
(١٠) أ، ب: «خير ذي يمن».
(١١) أ: «جمّ الفضال» ب: «حامي الدبار».
(١٢) أ: «منقبة». وفي ب: «مندية».
(١٣) أ، ب: «وتذكير».
(١٤) البيت ساقط من ب.

أنس ابن زياد به وقصة ذلك:

أخبرني[١] محمد بن يحيى، قال: حدّثنا محمد بن زكريا، قال: حدّثنا محمد ابن معاوية الزيادي، عن القَحذمي، قال:

كان حارثة بن بدر فصيحاً بليغاً عارفاً بأخبار الناس وأيامهم، حلواً شاعراً ذا فكاهة، فكان زيادٌ يأنس به طُول حياته، فلما مات وولي عُبيدُالله ابنُه، كان يجفوه، فدخل إليه في جمهور الناس، فجلس متوارياً منه حتى خفَّ الناسُ، ثم قام فأذْكره بحُقوقه على زيادٍ وأُنسِه به. فقال له: ما أعْرفني بما قلت! غير أنّ أبي كان قد عَرفه الناسُ وعرفوا سِيرتَه، فلم يكن يَلصق به من أهل الرِّيبة مثلُ ما يلحقني، مع الشباب وقُربِ العهدِ بالإمارة، فأما إن قلت ما قلت فاختر مُجالستي إن شئت ليلاً وإن شئت نهاراً. فقال: الليلُ أحبُّ إليّ. فكان يدعوه ليلاً فيسامره، فلما عرفه استحلاه، فغلب عليه ليلَه ونهارَه حتى كان يغيب فيبعثُ من يُحضره، فجاءه ليلةً وبوجهه آثار، فقال له: ما هذا يا حار؟ قال: / ركبت فرسي الأشقر[٢] فلجَّجَ بي مَضِيقاً[٣] فسَحَجَني. قال: لكنك لو ركبتَ أحدَ الأشهبين لم يُصبك [٤١٢/٨] شيء من هذا. يعني: اللبن والماء[٣].

طلاقه لزوجته وحسرته عليها:

أخبرني محمدُ بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا، قال: أنبأنا محمد ابن معاوية الزيادي، عن القَحذمي، عن عمه، قال:

خرج حارثة بن بدر إلى سَلم بن زياد بخُراسان فأوصى رجلاً من غُدانة أن يتعاهد امرأته الشَّماء ويقومَ بأمرها، فكان الغُدانيُّ يأتيها فيتحدث عندها ويُطيل، حتى أحبَّها وصَبا بها، فكتب إلى حارثة يخبره أنها فَسدتْ عليه وتغيّرت، ويُشير عليه بفراقها، ويقول له: إنها قد فَضَحتْك من تَلَعُّبِ الرجالِ بها. فكتب إليها بطلاقها، وكتب في آخر كتابه:

ألا آذِنَا شَمَّاءَ بالبَيْن إنه ... أبَى أوَدُ الشمَّاء أن يَتَقَوَّما

قال: فلما طلّقها وقضت عدّتها، خطبها الغُدانيُّ فتزوجها، وكان حارثةُ شديدَ الحبِّ لها، وبلغه ذلك، وما صَنعت، فقال:

لعمرِكَ ما فارقتُ شَمَّاءَ عن قِلًى ... ولكنْ أطَلَّتْ النَّأيَ عنها فَمَلَّتِ

مُقيماً بِمَرْوَرُّوذَ لا أنا قافِلٌ ... إليها ولا تَدْنُو إذا هي حَلَّتِ

رثاء زوجته له:

أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمدُ بن زكريا، قال: أنبأنا مَهدي بن سابق، قال: أنبأنا عطاء، عن عاصم بن الحدثان، قال:

---

(١) هذا الخبر والأخبار الثلاثة بعده ساقطة من أ، ب.

(٢) يعني: الخمر.

(٣) لجج: إذا خاض لجة.

تزوج حارثة بن بَدر ميسةَ بنت جابر، وكانت تُذكر بجمال وعقل ولسان، فلما هَلك حارثةُ تزوّجها بِشرُ بن شِعافٍ بعدَهُ فلم تَحْمده، فقالت تَرْثِي حارثةَ:

[٨/٤١٣] / بُـدِّلْـتُ بِشْـراً شَقَـاءً أو مُعَـاقبـةً ... مِـن فَـارِسٍ كـان قِـدْمـاً غَيْـرَ خَـوَّارِ

يـا ليتنـي قبـلَ بِشْـرٍ كـان عَـاجَلَنـي ... دَاعٍ مِـن اللهِ أو دَاعٍ مِـن النَّـار

وقالت أيضاً فيه:

مَـا خَـارَ لـي ذُو العـرشِ لمّـا اسْتَخَـرْتُـه ... وعَـذَّبنـي أن صِـرتُ لابـن شِعَـافِ

فمـا كـان لـي بَعْـلاً ومـا كـان مثلـه ... يكـون حَليفـاً أو يَنَـالُ إلافـي

فيـا ربُّ قـد أَوْقَعْتَنـي فـي بَلِيَّـةٍ ... فكُـن لـيَ حِصْنـاً منـه رَبُّ وكَـافِ[١]

وَنَـحِّ إلٰهِـي رِبْقَتِـي مـن يَـدِ امْـرِىءٍ ... شَتِيـمٍ مُحَيَّـاهُ لكُـل مُصَـافـي[٢]

هـو السَّـوْأةُ السَّـوْآءُ لا خيـر عنـده ... لطـالِـب خَيـرٍ أو أَحَـدٍّ قَـوَافـي[٣]

يَـرَى أكْلَـةً إن نِلْتُهـا قَلْـعَ ضِـرْسِـه ... ومـا تلـك زُلْفَـى يَـالَ عَبـد منَـاف

وإن حَـادِثٌ عَـضَّ الشَّعَـافِـيَّ لـم يكُـن ... صَلِيبـاً ولا ذا تُـدْرَأ وقِـذَاف[٤]

بينه وبين ابن زنيم:

أخبرني محمدُ بنُ مَزيدٍ[٥]، قال: أنبأنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم ابن الحدثان، قال:

لقي أنس بن زُنيم الدُّئلي حارثةَ بن بدرٍ فقال له: يا حارثة، قد قُلْتُ لك أبياتاً فاسمَعْها. فقال: هاتها، فأنشده:

فحتَّـى متـى أنـت ابـنَ بَـدْرٍ مُخَيِّـمٌ ... وَصُحْبُـكَ يَحْسُـونَ الحَلِيـبَ مـن الكَـرْمِ

فَـإنْ كـان شَـرّاً فَـالْـهُ عنـه وَخَلِّـهِ ... لغيـرك مـن أهـل التَّخَبُّـط والظُّلْـم

[٨/٤١٤] / وإن كـان غُنْمـاً يـابْـن بـدرٍ فقـد أُرَى ... سَيَمْنَـعُ مـن الإكثـار مـن ذلـك الغُنْـمِ

وإن كنـتَ ذَا علـم بهـا واحْتِسَـائِهـا[٦] ... فمـالـك تـأتـي مـا يَشِينـك عـن عِلْـم

تَـقِ اللهَ واقْبَـلْ يـا بـنَ بـدرٍ نصيحتـي ... ودَعْهـا لمـن أَمْسَـى بَعِيـداً مـن الحَـزْم

فلـو أنهـا كانت شَـرَابـاً مُحَلَّـلاً ... وقُلْتَ لِي أتركها لأوْضَعْتُ[٧] في الحُكْم[٨]

وأيقنـت أن القـولَ[٩] مـا قلـتَ فـانْتَفِـعْ ... بقَـوْلـي ولا تَجْعَـلْ كـلامـي مـن الجُـرْم

---

(١) الوجه: «وكافيا»، فعدل عنها للقافية، وهذه من أقبح الضرورات.

(٢) الربقة، بكسر الراء وسكون الباء: العقدة. وشتيم المحيا: كريهه.

(٣) الأحذ: الذي لا يتعلق به شيء لجودته.

(٤) الشعافي، هو بشر بن شعاف، المذكور قبل. وذو تدرأ: ذو عزة ومنعة. والقذاف: الرمي.

(٥) ب: «يزيد».

(٦) أ، ب: «بما في احتسائها».

(٧) أوضعت: أسرعت.

(٨) أ، ب: «في الحلم».

(٩) أ، ب: «الحلم».

فَــرُبَّ نَصِيــحِ الجَيْــبِ رُدَّ انْتِصَــاحُــه عليــه بــلا ذَنْــبٍ وعُــوجِــلَ بِــالشَّتْــمِ[١]

فقال له حارثةُ: لقد قلتَ فأحسنتَ، ونصحتَ فبالغتَ[٢]، جُزِيتَ الخَيرَ أبا زُنَيم[٣]. فلما رجع إلى منزله، أتاه ندماؤه فذكر لهم ما قال ابنُ زنيم، فقالوا: والله ما نَرَى ذلك إلا حَسَداً[٤]. ثم قال حارثة بن بدر لابن زُنَيم:

يَعِيبُ عليَّ الرَّاحَ مَنْ لـو يَـذُوقُهـا لَجُنَّ بهـا حتـى يُغَيَّبَ فـي القَبْـرِ
فَـدَعْهَـا[٥] أو امْـدَحْهـا فـإنَّـا نُحِبُّهـا صُـرَاحـاً كمـا أَغْـرَاكَ رَبُّكَ بـالهَجْـرِ[٦]
عَـلامَ تَـذُمُّ الـرَّاحَ والـرَّاحُ كـاسْمِهـا تُـرِيـحُ الفتـى مـن هَمِّـهِ آخِـرَ الـدَّهْـرِ
فَلُمْنِـي فـإنَّ اللَّـوْمَ فيهـا يَـزِيـدُنـي غَـرَامـاً بهـا إنَّ المَلامـةَ قـد تُغْـرِي
وبـاللهِ أُولِـي صَـادِقـاً لـو شَـرِبْتَهـا لأقصَـرْتَ عـن عَـذْلِي ومِلْتَ إلى عُـذْرِي[٧]
وإن شِئْتَ[٨] جَـرِّبْهـا وَذُقْهـا عَتِيقَـةً لهـا أَرَجٌ كـالمسـكِ مَحْمُـودَةَ الخُبْـرِ
فـإن أنـت لـم تَخْلَـعْ عِـذَارَكَ فَـالْحَنِي وقُـلْ لِـي لَحَـاكَ اللهُ مـن عَـاجِـزٍ غُمْـرِ
وقَبْلَـكَ مـا قـد لامنـي فـي اصْطِبَـاحِهـا وفـي شُـربها[٩] بَـدْرٌ فَـأَعْـرَضْتُ عَـنْ بَـدْرِ
وَحَـاسَيْتُهـا قـومـاً[١٠] كـأنَّ وُجُـوهَهـم دنـانيـرُ فـي الـلأْوَاءِ وَالـزَّمَـنِ النُّكْـرِ
فـدَعنـي مـن التَّعْـذَالِ فيهـا فـإنَّنـي خُلِقْـتُ أَبِيّـاً لا أَلِيـنُ علـى القَسْـرِ
أَجُـودُ وأُعْطِـي المُنْفِسَـاتِ تَبَـرُّعـاً وأُغْلِـي بهـا عنـد اليَسَـارَةِ والعُسْـرِ
وأشـربهـا حتـى أَخِـرَّ مُجَـدَّلاً مُعَتَّقَـةً صَهْبَـاءَ طَيِّبَـةَ النَّشْـرِ
ولـولا النُّهَـى لـم أَصْـحُ مـا عِشْتُ سـاعـةً ولكننـي نَهْنَهْـتُ نَفْسِـي عـن الهَجْـرِ
فَقَصَّـرْتُ عنهـا بعـد طُـولِ لَجَـاجَـةٍ وَحُـبٌّ لهـا فـي سِـرِّ أَمْـرِي وفي الجَهْرِ[١١]
وحَـقٌّ لِمِثْلِـي أن يَكُـفَّ عـن الخَنَـى وَيُقْصِـرَ عـن بعـض الغَـوَايَـةِ والنُّكْرِ[١٢]

هو وابن زياد في خراج نيسابور:

أخبرني الحسين[١٣] بن يحيى، عن حمّاد عن أبيه، عن أبي عُبيدة:

أن عُبيدَاللهِ بنَ زياد استعمل حارثَةَ بن بدرعلى نَيسابور[١٤] فغاب عنه أشهراً، ثم قدم فدخل عليه، فقال له: ما جاء بك ولم أكتب إليك؟ قال: اسْتَنْظَفْتُ خَرَاجَكَ[١٥] وجئتُ به وليس لي [بها][١٦] عملٌ، فما مُقَامِي؟ قال: أَوَ بذلك

[٨/٤١٥]

(١) نصيح الجيب: أمين.
(٢) س: «فما بلغت».
(٣) أ: «يا زنيم».
(٤) أ، ب: «فقالوا: ما أراد إلا تبكيتك. قال: وأنا والله أرى ذلك».
(٥) أ، ب: «فعبها».
(٦) صراح، بضم الصاد: صرفة غير ممزوجة.
(٧) أولي صادقاً: أحلف صادقاً.
(٨) أ، ب: «فإن شئت».
(٩) أ، ب: «وفي إدمانها».
(١٠) وحاسيتها قوماً: شربتها معهم.
(١١) أ: «في سر أمري والجهر».
(١٢) أ، ب: «والسكر».
(١٣) ب: «الحسن».
(١٤) ب: «هل جند نيسابور».
(١٥) استنظفت خراجك: استوفيته.
(١٦) تكملة من أ، ب.

[٤١٦/٨] أمرتك؟ ارْجِع فَازْدُدْ عليهم الخراجَ وَخُذْه منهم نُجُوماً حتى تنقضي السنةُ وقد فَرَغْتَ من/ ذلك[1]، فإنه أَرْفَقُ بالرعيّة وبك، واحذرْ أنْ تحملَهم على بَيْع غلاّتهم ومواشيهم ولا التَّعْنِيفَ عليهم[2]. فرجع فردّ الخراجَ عليهم، وأقام يستخرجه منهم نجوماً حتى مَضَتْ السنة.

شهادة الأحنف له:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدّثنا الرياشيُّ عن الأصمعي، قال:

قال الأحنفُ بنُ قيس: ما غِبْتُ عنْ أمرٍ قطّ فحضره حارثة بن بدرٍ إلا وثِقْتُ بإحكامه إيّاه وجَوْدةِ عَقْدِه له، وكان حارثةُ بن بدرٍ من الدُّهاة.

عوتب زياد على تقريبه إياه فأجاب:

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش، قال: حدّثنا أحمدُ بن يحيى، عن ابن الأعرابيّ، قال:

كان حارثةُ بنُ بدرٍ يُصيب من الشراب، وكان حَظِيّاً عند زياد، فَعُوتِب زِيَادٌ على رَأيه فيه. فقال: أتلومُونَني على حارثة؟ فوالله ما تَفَلَ في مجلسي قَطّ، ولا حكَّ رِكابُه رِكَابي، ولا سار معي في عُلاوة الريح[3] فَغَبَّرَ عليّ، ولا دَعَوْتُه قطّ فَاحْتَجْتُ إلى تَجَشُّم الالتفات إليه حتى يوازيني، ولا شاورتُه في شيءٍ إلا نَصحني، ولا سألتُه عن شيءٍ من أمر العرب وأخبارها إلا وجدتُه به بصيراً.

موقفه يوم دولاب:

أخبرني أحمدُ بن عبدالعزيز [الجوهري][4] وأحمدُ بنُ عبيدِالله بن عمّارٍ، قالا: حدّثنا عمر بنُ شبَّةَ، قال: حدّثنا الأصمعيّ، قال:

[٤١٧/٨] / لما كان يوم دُولَاب وأفضت الحربُ إلى حارثةَ بن بدر صاح: مَن جاءنا من الموالي فله فريضةُ العرب، ومن جاءنا من الأعراب فله فريضةُ المهاجر[5]. فلما رأى ما يَلقى أصحابه من الأزارقة قال:

أَيْــرُ الحمــارَ فَــرِيضَــةٌ لشبــابكــم ... والخُصْيتـــان فـــريضـــة الأعْـــرَابِ
عَــضَّ المَـــوَالِـــي جِلْـــدَ أَيْـــرِ أَبِيهـــمُ ... إن المَـــوَالِـــيَ مَعْشَـــرُ الخُيَّـــاب

ثم قال:

كَـــــزِنْبُـــــوا وَدَوْلِبُـــــوا ... وشَـــــرِّقُـــــوا وغَـــــرِّبُـــــوا
وحَيْثُ شِئْتُمْ فَاذْهَبُوا

يَعْني بقوله «كزنبُوا» أي خُذُوا طريقَ كَرْنَبَى، و «دولبوا»: خذوا طريق دُولاب[6].

---

(١) أ، ب: «وقد فرغت من خراجك».
(٢) أ، ب: ولا التغير عليها».
(٣) علاوة الريح: أن تكون في مهبها.
(٤) تكملة من أ، ب.
(٥) ب: «العرب».
(٦) مر بعض هذا الخبر (ص ٤٠٠).

سؤال ابن زياد له وللأحنف عن الشراب:

أخبرني محمدُ بن زكريا الصحّاف، قال: حدّثنا قَعنب بن مُحرز، قال: حدثنا الهيثم بنَ عديّ، عن ابن عيّاشٍ[1]، عن المغيرة بن المُنتشر، قال:

إنّا عند[2] عُبيدالله بن زياد، وعِنده الأحنفُ [بن قيس][3] وحارثةُ بن بدر، وكان حارثةُ يُتّهم بالشراب. فقال له عبيدُالله: يا حارثة، أيُّ الشراب أطيب؟ قال: بُرّة طبريّة[4]، بأقِطَة عَنَزِيّة، بَسمنة عَرَبيّة، بسُكرة سُوسِيّة[5]. فتبسّم عبيدُالله، ثم قال للأحنف: يا أبا بحر، أيُّ الشّرابِ أطْيَبُ؟ قال: الخمر. فقال له عُبيدُالله: وما يُدْرِيكَ ولَسْتَ[6] من أهْلِها؟ قال: مَنْ يَسْتَحِلُّها لا يَعْدُوها إلى غَيْرِها، ومن يُحَرِّمُها يَتَأَوّل فيها حتى يَشْربها. قال: فضحك عُبيدالله.

/ **هو ورجل أجاز له بيتاً:** [٤١٨/٨]

أخبرني أحمد بن محمد أبو الحسن الأسدي[7] وعمرُو بنُ عبدالله العَتكي، قالا: حدّثنا الرياشيّ. وقال العتكي في خبره: «عن أبي عبيدة»، ولم يَقُلْهُ الأسديُّ ولا تَجاوَزَ الرياشيَّ به:

إن حارثةَ كان بكُوَار[8] من أردشير[9] خُره [يتنزه][10] فقال:

ألـم تَـرَ أن حـارثـة بـن بَـدْرٍ ... أقـام بـدَيْـر أبْلَـقَ[11] مـن كُـوَارا

ثم قال لجُند كانوا معه: من أجاز هذا البيت فله حُكْمُه. فقال له رجلٌ منهم: أنا أجيزُه على أن تَجْعَلَ لِي الأمانَ من غضبك، وتجعلَني رسولك إلى البصرة، وتطلبَ لِي القَفَل[12] من الأمير. قال: ذلك لك. قال: ثم رد عليه نشيد البيت، فقال الرجل:

مُقيمـاً يشـربُ الصَّهْبَـاءَ صِـرْفـاً ... إذا مـا قلـتَ تَصْـرَعـه استَـدَارَا

فقال له حارثةُ: لك شرطُك، ولو كنتَ قلتَ لنا شيئاً يسُرنا لَسَرَرْناك.

طلب منه الأبيرد ثوبين فأعطاه ما لم يرضه فهجاه:

كتب إليّ أبو خليفة الفضلُ بنُ الحُبَاب، أخبرنا محمدُ بنُ سلاّم، قال: قدم الأُبَيْرِدُ الرِّيَاحيُّ على حارثة بن بدر

---

(١) س: «أبي عياش»، تحريف.

(٢) أ، ب: «كنا عند».

(٣) تكملة من أ، ب.

(٤) س: «طيسارية».

(٥) «سوسية»: نسبة إلى سوس. كورة بالأهواز.

(٦) أ، ب: «وما يدريك من أهلها».

(٧) أ: «أخبرني محمد أبو الحسن الأسدي». س: «أخبرني محمد بن محمد الحسن الأسدي».

(٨) كوار، بالضم وتخفيف الواو: بلدة بينها وبين شيراز عشرة فراسخ.

(٩) أردشير خره: كورة بفارس، منها شيراز وكوار.

(١٠) تكملة من أ، ب.

(١١) ذكر ياقوت هذا الدير في «دير الأبلق» وقال: «بكوار من ناحية أردشير حره» ثم أورد البيتين، هذا البيت والذي بعده منسوبين لحارثة.

(١٢) القفل، بالفتح: الرجوع، كالقفول.

فقال له: اكْسُني ثَوْبَيْنَ أدخلُ بهما[1] على الأمير. فكساه ثوبين لم يَرْضَهُما، فقال فيه:

[٨/٤١٩] / أحارثُ أَمْسِكْ فَضْلَ بُرْدَيْكَ إنما ... أَجَاعَ وَأَعْرَى اللهُ مَنْ كُنْتَ كاسِيَا

وكُنْتُ إذا اسْتَمْطَرْتُ منك سَحَابَةً ... لِتُمْطِرَني عَادَتْ عَجَاجاً وَسَافِيَا[2]

أَحَارِثُ عَاوِدْ شُرْبَكَ الخَمْرَ إنني ... رأيتُ زِيَاداً عنكَ أَصْبَحَ لَاهِيَا[3]

فَبَلَغَتْ زياداً، وبلغتْ حارثة، فقال: قَبَّحه الله! لقد شهد [عليّ[4]] بما لم يعلم، ولم أدَعْ[5] جوابه إلاّ لمَا يعلم.

مجاهرة الحكم ابن المنذر بالشراب لأبيات لحارثة:

أخبرني محمد بنُ مزيد، قال حدثنا حمادُ بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم ابن الحدثان، قال:

كان الحكم بن المنذر بن الجَارُود يشرب الشراب، فقيل له في ذلك وعُوتب، وعرف أن الصَّلتان العبدي هجاه فقال فيه:

تَرَكَ الأشياءَ طُرّاً وَانْحَنَى[6] ... يَشرب الصَّهْبَاءَ من ماء العِنَبْ

لا يَخَافُ النَاسَ قد أَدْمَنَهَا ... وَهْيَ تُزْرِي بِاللَّئِيمِ المُؤْتَشِبْ[7]

وَهْيَ بِالأَشْرَافِ أَزْرَى والَّتِي ... غَايَةِ التَّأْنِيبِ تَدْعُو ذا الحَسَبْ

فَدَعِ الخَمْرَ أبا حَرْبٍ وَسُدْ[8] ... قَوْمَكَ الأَدْنَيْنَ مِن بَيْنِ العَرَبْ

فقال: لعنه الله! والله ما ترك للصلح موضعاً، ولقد صدق، ولولا الشُرْبُ[9] لكنتُ الرجلَ الكامل، وما يخفي عليّ قبيحُه[10] وسوء القَالَة فيه، ولكني سمعتُ حارثةَ بنَ بدرٍ الغُداني أنشد أبياتاً يوماً فحملتني على المُجاهرة بالشراب، وإن كان ذلك إليّ بغيضاً. قيل له: وما الأبيات؟ قال: سمعتُه يُنْشد:

[٨/٤٢٠] / أَذْهَبَ عني الغَمَّ والهمَّ والذي ... بِه تُطْرَدُ[11] الأَحْدَاثُ شُرْبُ المُرَوَّقِ

فواللهِ ما أنفكُّ[12] بالرَّاحِ مُغْرَماً[13] ... ولولا لامَ فيها كُلُّ حُرٍّ مُوفَّقِ

---

(١) أ، ب: «فيهما».

(٢) العجاج: الغبار. والسافي: التراب المتبدد.

(٣) أ، ب: . أرى ابن زياد عنك أصبح لاهياً.

(٤) تكملة من أ، ب.

(٥) أ، ب: «وما أدع».

(٦) س: «والخنى».

(٧) المؤتشب: الذي جمع ماله من الأشابات، وهي الأخلاط فيها الحرام.

(٨) أ، ب: «تسد».

(٩) أ، ب: «الشراب».

(١٠) أ، ب: «قبحه».

(١١) أ، ب: «تطرق».

(١٢) أ، ب: «ولا أنفك».

(١٣) [illegible]

فمـا لائمـي فيهـا وإن كـان نـاصحـاً بـأعلَـمَ منِّـي بـالـرَّحيـق المُعتَّـق
ولكـنَّ قلبـي مُستَهَـامٌ بحُبهـا وحُـبُّ القِيـانِ رأيُ كـلِّ مُحمَّـق
أُحِبُّ التـي لا أملكُ الـدَّهـرَ بُغضَهـا وذلـك فِعـلٌ مُعجِـبٌ كـلَّ أخـرَق
سـأشـرَبُها صِـرفـاً وأسقِـي صحـابتـي وأطلـب غِـرَّاتِ الغَـزَال المُنَطَّـق [1]

هو ونديم له من قريش:

أخبرني محمدُ بن مَزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم بن الحدثان، قال:

كان لحارثة بن بدر نَديمٌ من قُرَيش يُصيب معه الشرابَ، ولا يفارقهُ إذا شرب، وقال فيه.

وأبيَـضَ مـن أولاد سَعـد بـن مَـالِـك سَقيـتُ مـن الصَّهبَـاء حتـى تَقَطَّـرا [2]
وحتـى رأى الشَّخـصَ القـريـبَ بِسُكـرِه شُخُـوصـاً فنـادى يَـالَ سعـدٍ وَكَبَّـرا
فقلـتُ أسَكـرَانٌ؟ فَقَـالَ مُكَـابِـراً [3] أبَـى اللهُ لـي أن أُستَخَـفَّ وَأسكَـرا
فقلـتُ لـه أشـرَبْ هـذه بَـابِليَّـةً تُخـالُ بهـا مِسكـاً ذَكيـاً وَعَنبَـرا [4]
فلمـا حَسَـاهَـا هَـرَّهـا [5] ثـمَّ إنَّـه تمـاسَـكَ شيئـاً واجمـاً مُتَفَكِّـرا
/ وقـال أعِـدهَـا قلـتُ صَبـراً سُـوَيعَـةً فَهَـوَّمَ شيئـاً ثـم قـام فَبَـربَـرا [6] [٨/٤٢١]
فقلـتُ لـه نَـم سـاعـةً عَـلَّ ما أرَى [7] مـن السُّكـرِ يُبـدِي منـك صُرمـاً مُـذَكَّـرا [8]

قال إسحاق: قال عاصم بن الحدثان:

هو ومخارق بن صخر وقد دخل عليه وهو مصطبح:

كان أبو صخر مخارق بن صخر أحد بني ربيعة بن مالك شاعراً، وهو خال أبي حُزانة، أو خال أبي جميعة [9]، وكان صديقاً لحارثة بن بدر، فدخل عليه يوماً وهو مُصْطَبِحٌ، فعاتبه [حارثة بن بدر [10]] وقال [11] [له]: قَدْ أسقطتَ

---

(١) المنطق: لابس المنطقة.
(٢) تقطر: ألقى على قطره، أي ظهره.
(٣) أ، س: «مكابر».
(٤) أ، ب: «مخالطة مسكاً ذكياً وعنبراً».
(٥) كذا في أ، ب. وهرها: أطلقها من بطنه. وفي س: «هدها».
(٦) هوّم: هز رأسه من النعاس. وبربر: خلط في كلامه هاذياً.
(٧) أ، ب: «عل ما ترى».
(٨) الصرم: الهجر. ومذكر: قاطع حاسم. يريد إقلاعاً عن شرب الخمر لا رجعة بعده.
(٩) أ، ب: «حنيفة».
(١٠) التكملة من أ.
(١١) تكملة من أ، ب.

الخمرُ قَدرك ومُروءَتك. قال له: دع عنك هذا الجنونَ وهلمَّ نتساعدَ واسمع ما قلت.

قال: هاته، فأنشده:

غدا نَاصحاً لم يَألُ جُهْداً مُخَارِقٌ ... يَلُومُ على شُربِ السُّلَافِ المُعَتَّقِ
فقلتُ أبا صَخْرٍ دَع النَّاس يَجْهَلُوا ... ودُونَكَهَا صَهْبَاء ذَاتَ تَأَلُّقِ
تراها إذا ما المَاءُ خَالَطَ جِسْمَهَا ... تَخَايَلُ في كَفِّ الوَصِيفِ المُنَطَّقِ[1]
لهَا أَرَجٌ كَالمِسْكِ تُذْهِب رِيحُها ... عَمَايَةَ حَاسِيها بِحُسْنِ تَرَفُّقِ
وكم لَائِمٍ فيها بِصيرٍ بفَضْلِهَا ... رَمَتْهُ بِسَهْمٍ صَائِبٍ مُتَزَلِّقِ[2]
فَظَلَّ لِرَيَّاهَا يَعَضُّ نَدَامَةً ... يَدِيهِ وأَرْغَى بعد طُولِ تَمَطُّقِ[3]
وقَالَ لَكَ العُذْرُ ابن بدرٍ على التي ... تُسَلِّي هُمُومَ المُسْتَهَامِ المُشَوَّقِ
فلستُ ابنَ صَخْرٍ تاركاً شُرْبَ قَهْوَةٍ ... لقَولِ لَئِيمٍ جَاهِلٍ[4] مُتَحَذْلِقِ
يعيب عليَّ الشُّربَ والشُّربُ هَمُّهُ ... لِيُحْسَبَ ذَا رَأْيٍ أَصِيلٍ مُصَدَّقِ
فما أنا بالغِرِّ ابنَ صَخْرٍ ولا الذي ... يُصَمِّمُ في شيءٍ من الأمْرِ مُوبِقِ[5]

[٨/٤٢٢]

فقال له مخارق بن صخر: إنما عاتبتك لأن الناسَ قد كَثَّرُوا[6] فيك، ورأيتُ النصيحةَ لله واجبةً عليَّ، وكرهتُ[7] أن تَضَعَ لذَّتُك قَدْرَك، فإن أطعتني في تركها وإلاّ فلا تجاهر بها، فإنك قادرٌ [على[8]] أن تَبْلُغَ حاجَتَك في سَتْر. فقال حارثة: ما عندي غير ما سَمِعْتَ، فتركهُ وانْصَرف.

هو وأبو الأسود وفيل مولى زياد:

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخُزاعِي، قال: أنبأنا الرياشيّ عن محمد بن سلام، عن يونس بن حبيب، قال:

لما بنى فيل مولى زيادٍ داره[9] بالسَّبابجة[10]، صنع طعاماً ودعا أصحابَ زيادٍ، فدخلوا الحمامَ المعروفَ

(١) أ، ب: «فكم لائم... بسهم صائب لم يذلق».
(٢) متزلق: محدد.
(٣) التمطق: التصويت باللسان والغار الأعلى، وذلك عند استطابة الشيء.
(٤) أ، ب: «عاجز».
(٥) موبق: مهلك.
(٦) أ، ب: «قد أكثروا».
(٧) أ، ب: «ورأيت النصيحة لك واجبة، فكرهت أن».
(٨) تكملة من أ، ب.
(٩) أ: «لما بنى فيل مولى داره بالسبابجة». «س»: «لما بنى داره فيل مولى زياد بالسبابجة».
(١٠) السبابجة: قوم من السند، كانوا نواب البصرة جلاوزة وحراس السجن، يريد الحي الذي كانوا ينزلونه.

بحمَّامِ[١] فيل، وخرجوا[٢] فتغدَّوا عنده، وركب فِيلٌ وأصحابهُ الهَمَالِيجَ والمَقَارِيفَ[٣] والبِغَال، واجتاز بهم معه[٤] على حارثةَ بنِ بدر وأبي الأَسْوَد الدُّؤَلِيِّ وهما جالسان، فقال أبو الأسود:

/ لَعَمْـرُ أَبِيـكَ مـا حَمَّـامُ كِسْـرَى … عَلَـى الثُّلُثَيْـنِ مِـنْ حَمَّـامِ فِيـلِ [٨/٤٢٣]

فقال له حارثة:

ومـا إيجَـافُنَـا خَلْـفَ المَـوالـي … بِسُنَّتِنَـا علـى عَهْـدِ الـرَّسُـولِ

تعقب الأحنف له في قول بلغه عنه بمحضر ابن زياد:

أخبرني محمدُ بن مَزيد، قال: أنبأنا حمادٌ عن أبيه، عن عاصم بن الحدثان، قال: حدثني عمي عن الحارث الهُجَيْمي، قال:

ذُكِرَ حِلْمُ الأحنف بن قيس عند عُبيدالله بنِ زياد وعنده حارثةُ بنُ بدر، فنفس عليه حارثة ذلك، فقال لعبيدالله: أيها الأمير[٥]، ما يَبلغ حِلمُ منْ لا قَدْرَةَ له ولا يملُك لعَدوِّه ضرّاً ولا لصديقه نفعاً. وإنما يتكلَّفُ الدخولَ فيما لا يعنيه؟ فَبَلغَ ذلك من قوله. الأحنفَ فقال: أَهْوِنْ بحارثةَ وكلامِه؟ وما حارثةُ ومقدارُه؟ أليس الذي يقولُ ـ قَبح اللهُ رأيَه ـ في قوله:

إذا مـا شَـرِبْـتُ الـراح أَبْـدَتْ مَكَـارِمـي … وَجُـدْتُ بمـا حَـازَتْ يَـدَايَ مـن الـوَفْـرِ

وإن سَبَّنِـي جَهْـلاً نَـديمـيَ لـم أَرِدْ … علـى أشْـرَبْ سَقَـاكَ اللهُ طَيِّبَـةَ النَّشْـرِ

أَرَى ذاك حَقّـاً وَاجِبـاً لمُنَـادِمِـي … إذا قالَ لي اِغْفِـرَ الجَمِيـلِ مـن النُّكْـرِ

هو وجاريته ميسة:

أخبرني عمِّي، قال: أنبأنا الكُرانيّ، قال: أنبأنا الرياشيُّ عن الأصمعي[٦]، قال:

كان لحارثة بنِ بدرٍ جاريةٌ يقال لها «مَيْسَة» وكان بها مَشْغُوفاً، فلما مات تزوجَتْ بعَدُه بِشْر بن شغاف. فهؤلاء الشُّغافيون[٧] من ولدها، وفيها يقول حارثة:

/ خليلـيَّ لـولا حُـبُّ مَيْسَـةَ لَـمْ أُبَـلْ … أفـي اليَـوْمِ لاَقَيْـتُ المَنِيَّـةَ أمْ غَـدَا [٨/٤٢٤]

خليلـيَّ إنْ أَفْشَيْـتُ سِـرِّي إِلَيْكُمـا … فَـلاَ تَجْعَـلا سِـرِّي حـديثـاً مُبَـدَّدا[٨]

---

(١) حمام فيل: بالبصرة. وكان أهل البصرة يضربون المثل به. «معجم البلدان».

(٢) أ، ب: «ثم خرجوا».

(٣) الهماليج: البراذين، جمع هملاج، بكسر الهاء. والمقاريف: الخيل غير الأصيلة، واحدها مقرف، بضم فسكون فكسر.

(٤) أ: «واجتازوهم معه». وفي ب: «واجتازوا وهم معه».

(٥) أ، ب: «وما يبلغ...».

(٦) أ، ب: «العتبي».

(٧) س: «الشعافيون» تصحيف. «الاشتقاق» لابن دريد ص ٢٧٧).

(٨) هذا البيت ساقط من ب.

وإنْ أنْتُمَا أفشيتُماه فلا رأتْ عُيُونُكُما يَوْمَ الحِسَابِ مُحَمَّدا
ولا زِلْتُمَا في شِقْوَةٍ ما بَقِيتُما تَذُوقَانِ عَيْشاً سَيِّءَ الحَالِ[1] أنْكَدا

هو ومولاه في تسويد قومه له:

أخبرني حبيبُ بن نصر المُهَلَّبِيّ، قال: أنبأنا الحُسين بن عليل، قال: أنبأنا مسعودُ بن بشرٍ عن أبي عبيدة، قال:

اجتاز حارثة بن بدر الغُداني بمجلسٍ من مجالِس قومه [من[2]] بني تميم ومعه كَعْبٌ مولاه، فكلما اجتاز بقوم قاموا إليه وقالوا: مرحباً بسيدنا، فلما وَلَّى قال له كعبٌ: ما سمعتُ كلاماً قطّ أقرّ لعيني ولا ألَذَّ بسمعي[3] من هذا الكلام الذي سمعته اليوم. فقال له حارثة: لكني لم أسمعْ كلاماً قطّ أكْرَهَ لنفسي وأبغضَ إليّ مما سَمِعْتُهُ. قال: ولم! قال: ويحك يا كعب! إنما سوَّدَني قومي حين[4] ذهب خيارُهم وأمَاثِلُهم، فاحفظْ عني هذا البيت:

خَلَتِ الدِّيَارُ فَسُدْتُ غيرَ مُسَوَّدِ ومِنَ الشَّقَاءِ[5] تَفَرُّدِي بالسُّودَدِ

مطلبه في وفاته:

قال:

واشتكى حارثةُ [ابن بدر] وأشرفَ[6] على الموت، فجعل قومه يَعُودونه[7] فقالوا له[8]: هل لك من حاجةٍ أو شيء تريده؟ قال: نعم، اكْسروا رِجْلَ مولاي كعب لئلا يَبْرَحَ من عندي فإنه يُؤْنِسُني. ففعلوا، وأنشأ[9] يقول:

[٤٢٥/٨] / يا كعْبُ مَهْلاً فلا تَجْزَع على أَحَدٍ يا كَعْبُ لم يَبْقَ منَّا غيرُ أَجْسَادِ
يا كَعْبُ مَا رَاحَ من قومٍ ولا بكرُوا[10] إلا ولِلْمَوْتِ في آثارِهِمْ حَادي
يا كعبُ ما طَلَعَتْ شمسٌ ولا غَرُبتْ إلاّ تُقَرِّبُ آجالاً[11] لميعَادِ
يا كَعْبُ كم من حِمَى قَوْمٍ نَزَلْتُ بِهِ[12] على صَوَاعِقَ من زَجْرٍ وَإِيعَادِ

---

(١) ب: «البال».
(٢) تكملة من أ، ب.
(٣) أ، ب: «لسمعي».
(٤) أ، ب: «حيث».
(٥) أ، ب: «ومن البلاء».
(٦) التكملة من أ، ب.
(٧) أ، ب: «ودخل عليه قومه يعودونه».
(٨) تكملة من س.
(٩) أ، ب: «فأنشأ».
(١٠) أ، ب: «ولا ابتكروا».
(١١) س: «آجال».
(١٢) أ، ب: «بهم».

فــإنْ لَقِيــتَ بــوادٍ حيّــةً ذَكَــرا فَـاذْهَـبْ ودَعْني[1] أُمَـارِسْ حَيّةَ الـوَادي[2]

جاء بعقب هذه الترجمة في الجزء الحادي والعشرين:

صوت

عِـشْ فَحُبّيـك سَـرِيعـا قـاتلـي والضَّنَـى إنْ لَـمْ تَصِلْنـي واصِلِـي

ظَفِـرَ الشَّـوْقُ بِقَلْـبٍ دَنِـفِ فيـكَ والسُّقْـمُ بِجِسْـمٍ نَـاحِـلِ

فهمـا بيـن اكتئـابٍ وَضَنًـى تَـرَكَـانـي كـالقضيـب الـذَّابِـلِ

الشعر لخالد الكاتب، والغناء للمسدود، رمل مطلق في مجرى الوسطى. وذكر جحظة أن هذا الرمل أخذ عنه، وأنه أول صوت سمعه فكتبه.

* ثم جاءت بعد هذا أخبار خالد الكاتب.



(١) أ: «وذرني» «ب»: «فامرر وذرني فإني حية الوادي».

(٢) حية الوادي: من هو نهاية في الدهاء والخبث والعقل.

فهرس التراجم التي في الجزء الثامن